

# مَعَاجِزُ التَّفَكُّرِ وَدَقَائِقُ التَّدَبُّرِ

تَفْسِيرُ تَدَبُّرِيٍّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِحَسَبِ تَرْتِيبِ الزُّوْلِ  
وَفَوْقَ مَنْهَجِ كِتَابِ «قَوَاعِدِ التَّدَبُّرِ الْأَمْثَلِ» لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

المجلد الثالث عشر

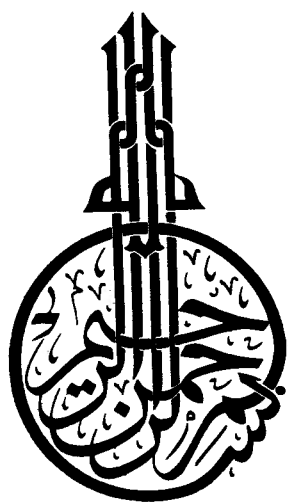
تفسير سور

الدُّخَانُ/٦٤ الجَاثِيَّةُ/٦٥ الْأَحْقَافُ/٦٦ الذَّارِيَاتُ/٦٧

الْغَاشِيَّةُ/٦٨ الْكَهْفُ/٦٩ النُّحْلُ/٧٠ وَنُوحٌ/٧١

عبد الرحمن حسن جبنة الميذاني

دار القلم  
دمشق



مِجَارِحُ التَّفَكُّرِ  
وَدَقَائِقُ التَّذَكُّرِ

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



تطلب جميع كتبنا من :

دار القلم - دمشق : ص ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عبر طريق

دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص ب : ٢٨٩٥

ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١



## سُورَةُ الدُّخَانِ

٤٤ مصحف ٦٤ نزول

وهي سورة مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا

وهي السُّورَةُ الْخَامِسَةُ مِنَ الْحَوَامِيمِ السَّبْعِ



(١)

## نص السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ۝  
 إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ  
 عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
 الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝ إِن كُنْتُمْ  
 مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ  
 آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝  
 فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ  
 هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ  
 ۝ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ  
 وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۝ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ  
 ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝ \* وَلَقَدْ

- ١ - سَكَتَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى «حَا» وَعَلَى «مِيمٍ» سَكَنَةً لَطِيفَةً مِنْ غَيْرِ تَنْفُسٍ.
- ٧ - قَرَأَ عَاصِمٌ، وَحَمْزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلْفَ: [رَبُّ] بِالْجُرِّ إِنْ تَبَاعَا لَ [رَبِّكَ].  
وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءُ الْعَشْرَةُ: [رَبُّ] بِالرَّفْعِ، إِنْ تَبَاعَا لَ [السَّمِيعُ الْعَلِيمُ].
- ١٦ - قَرَأَ أَبُو جَعْفَرٍ: [نَبْطِشُ] بِضَمِّ الطَّاءِ.  
وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءُ الْعَشْرَةُ: [نَبْطِشُ] بِكَسْرِ الطَّاءِ.  
وَهُمَا لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا  
إِلَى عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ  
إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَلَئِي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ  
﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ  
مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكْ  
الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ  
وَعَيُْونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ  
﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ  
السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ بَجَعْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ

- ١٩ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [إِنِّي آتِيكُمْ] بفتح ياء المتكلم.  
وقرأها باقي القراء العشرة بإسكان ياء المتكلم.
- ٢٠ و ٢١ - • قرأ يعقوب بإثبات ياء المتكلم في: [أَنْ تَرْجُمُونِي] وفي: [فَاعْتَزِلُونِي]  
في الوصل والوقف. وكذلك وَرْشٌ في الوقف فقط. وقرأها باقي القراء  
العشرة بحذف ياء المتكلم وضلاً ووقفاً.
- ٢١ - • فتح وَرْشٌ ياء المتكلم في: [لِي فَاعْتَزِلُونِ] وأسكنها باقي القراء العشرة.
- ٢٣ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: [فَأَسْرًا] من فعل «سَرَى» وقرأها باقي  
القراء العشرة [فَأَسْرًا] من فعل «أَسْرَى».
- ٢٥ - • قرأ ابن كثير، وابن ذكوان، وشعبة، وحَمْزَةُ، والكِسَائِيُّ: [وَعَيُْونٍ] بكسر العين.  
وقرأها باقي القراء العشرة: [وَعَيُْونٍ] بضم العين.  
والقراءتان لغتان عَرَبِيَّتَانِ.
- ٢٧ - • قرأ أبو جعفر: [فَكَاهِينَ] أي: مُسْتَمْتِعِينَ بِطَرِينِ.  
وقرأها باقي القراء العشرة: [فَأَكَاهِينَ] أي: مُسْتَمْتِعِينَ.
- ٢٩ - • قرأ أبو عمرو: [عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ] بكسر هاء الضمير والميم بعدها.  
وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ] بكسر هاء الضمير وضم الميم  
بعدها.

مِنَ الْعَذَابِ أَلْمِهينَ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ  
 الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾  
 وَءَايَيْنَاهُمْ مِّنَ آيَاتِنَا مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ  
 لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ  
 ﴿٣٥﴾ فَاتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ  
 تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا  
 بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ  
 مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا  
 هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ  
 الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ  
 ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾  
 خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ  
 مِّنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

٤٥ - • قرأ ابن كثير، وحفص، ورؤيس: [يغلي].

وقراها باقي القراء العشرة: [تغلي].

٤٧ - • قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: [فَاعْتِلُوهُ] بضم التاء. وقرأها باقي القراء العشرة: [فَاعْتِلُوهُ] بكسر التاء. وهما لغتان.

٤٩ - • قرأ الكسائي: [ذُقْ أَنْتَ] أي: لِأَنَّكَ.

وقراها باقي القراء العشرة: [ذُقْ إِنَّكَ].

الْكَرِيمِ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ  
 الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ  
 مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِبِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ  
 بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا  
 يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ  
 الْعَذَابَ الْجَحِيمَ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾  
 فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ  
 مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

٥١ - • قرأ نافع، وابنُ عامر، وأبو جعفر: [مَقَامٍ] من فعل: «أقام». وقرأها باقي القراء العشرة: [مَقَامٍ] مِنْ فعل: «قام».

٥٢ - • قرأ ابنُ كثير، وابنُ ذَكْوَانَ، وشعبة، وحمزة، والكِسَائِيُّ: [وَعُيُونٍ] بِكَسْرِ الْعَيْنِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَعُيُونٍ] بضمّ الْعَيْنِ. وهما لغتان.

(٢)

## مِمَّا وَرَدَ بِشَأْنِ سُورَةِ (الدُّخَانِ)

(١) (الدُّخَانُ) حَاجَةُ الْحَوَامِيمِ السَّبْعِ، وَيَنْطَبِقُ عَلَيْهَا مَا وَرَدَ بِشَأْنِ الْحَوَامِيمِ السَّبْعِ، السَّابِقِ ذَكَرَهُ فِي الرَّقْمِ (٢) مِنْ تَدَبُّرِ الْحَوَامِيمِ الْأَرْبَعِ السَّابِقَاتِ.

(٢) وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:

«مَنْ قَرَأَ حَمْدَ الدُّخَانِ فِي لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ أَصْبَحَ مَغْفُوراً لَهُ».

وفي رواية:

«مَنْ قَرَأَ الدُّخَانَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، أَصْبَحَ مَغْفُوراً لَهُ وَزَوْجٌ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ».

وفي رواية:

«مَنْ قَرَأَ سُورَةَ حَمِّ الدُّخَانِ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بِهَا بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ».

وهي روايات لم تصل إلى درجَةِ الحَسَنِ.

(٣)

### مَوْضُوعُ سُورَةِ (الدُّخَانِ)

أُعِيدَ هُنَا بَيَانُ مَا سَبَقَ أَنْ ظَهَرَ لِي مِنْ أَنَّ (الْحَوَامِيمَ السَّبْعَ) ذَاتُ خَطِّ رَئِيسٍ وَاحِدٍ، هُوَ خَطُّ الْحَدِيثِ عَنِ الْقُرْآنِ وَمَوْقِفِ الْكَافِرِينَ مِنْهُ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ.

وهو يَدُورُ حَوْلَ مُعَالَجَةِ مُشْرِكِي مَكَّةَ إِبَّانَ تَنْزِيلِهَا، تُجَاهَ مَوَاقِفِهِمُ الْكُفْرِيَّةِ أَوْ بَعْضِهَا إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَلَا سِيَّمَا مَوْقِفُهُمُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالرُّسُولِ ﷺ. وَتَكَادُ تَكُونُ «الْحَوَامِيمُ السَّبْعُ» عَائِلَةً وَاحِدَةً مُفَصَّلَةً إِلَى سَبْعِ سُورٍ، ذَوَاتِ مَلَامِحٍ وَقَسَمَاتٍ مُتَشَابِهَاتٍ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا شَرِيفَاتُ أَسْرَةٍ وَاحِدَةٍ.

(٤)

### دُرُوسُ سُورَةِ الدُّخَانِ

ظَهَرَ لِي أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ يُمَكِّنُ تَقْسِيمُهَا إِلَى سِتَّةِ دُرُوسٍ، هِيَ الدُّرُوسُ التَّالِيَةُ:

الدرس الأول: الآيات من (١ - ٨).

وفي آيات هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ عَنِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، مِضَافٌ إِلَى مَا جَاءَ

عَنْهُ فِي «الْحَوَامِيمِ السَّبْعِ» وَفِي غَيْرِهَا مِنْ سُورٍ سَبَقَ تَدَبُّرُهَا، وَقَدْ نَزَلَتْ قَبْلَ نُزُولِهَا.

وفيهما بيانٌ أَنَّ إِنْزَالَ الْقُرْآنِ هُوَ مِنْ أَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، وَهَذَا الْبَيَانُ مَقْرُونٌ بِبَيَانِ بَعْضِ صِفَاتِ اللَّهِ الْجَلِيلَةِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، الَّتِي هِيَ مِنْ أَمَّهَاتِ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، فِي دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِتِّلَاءِ.

### الدَّرْسُ الثَّانِي: الْآيَاتُ مِنْ (٩ - ١٦).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَعَرُّضٌ لِمَوْقِفِ مُشْرِكِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَإِضْرَارِهِمْ عَلَى الشَّكِّ فِي الْقُرْآنِ وَتَلْهِيهِمْ لِأَعْيُنِ بَأْمُورِ دُنْيَاهُمْ، وَتَحْذِيرُهُمْ مِنْ عُقُوبَاتٍ جُزْئِيَّةٍ تُلْجِئُهُمْ إِلَى الْوَعْدِ بِالْإِيمَانِ إِذَا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، لَكِنَّهُمْ لَا يَقُونَ بِوَعْدِهِمْ بَلْ يَنْقُضُونَهُ وَيَتِمَادُونَ فِي غِيهِمْ، وَأَخِيرًا يُنْذِرُهُمُ اللَّهُ بِأَنْ يَبْطِشَ بِهِمْ بِطُشَّةٍ كُبْرَى مُتَقِمًا مِنْهُمْ.

### الدَّرْسُ الثَّالِثُ: الْآيَاتُ مِنْ (١٧ - ٣٣).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضٌ جَانِبٍ مِنْ قِصَّةِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَعَدَمِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَرَضُ النِّهَايَةِ التَّعْيِيسَةِ الَّتِي عَاقَبَ اللَّهُ بِهَا فِرْعَوْنَ وَكُلَّ جُنُودِهِ، إِغْرَاقًا بِخَارِقٍ عَظِيمٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعِقَابِيَّةِ الْإِنْتِقَامِيَّةِ.

وَفِيهَا بَيَانٌ مُوجِزٌ جَدًّا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ أَنْ أَنْجَاهُمُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ الَّذِي كَانُوا يُعَانُونَهُ فِي مِصْرَ مُسْتَعْبِدِينَ.

### الدَّرْسُ الرَّابِعُ: الْآيَاتُ مِنْ (٣٤ - ٤٢).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ عَنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، بِالنُّسْبَةِ إِلَى مَوْقِفِهِمْ مِنْ إِنْكَارِ الْآخِرَةِ وَالْبُعْثِ، مَعَ مَعَالَجَتِهِمْ بِالْإِقْنَاعِ، وَبِالْإِنْذَارِ بِيَوْمِ الدِّينِ.



الدَّرْسُ الخامس: الآيات من (٤٣ - ٥٧).

وفيها بيانٌ عَنْ شَجَرَةِ الرَّقُومِ فِي الْجَحِيمِ، الَّتِي يَكُونُ مِنْهَا طَعَامُ  
الْأَثِيمِ. وَعَرْضُ مَشْهَدَيْنِ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ:

المشهد الأول: يَتَضَمَّنُ بَيَانَ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ عَذَابِ الْكَافِرِ الْمُجْرِمِ  
فِي الْجَحِيمِ.

المشهد الثاني: يَتَضَمَّنُ بَيَانَ بَعْضِ نَعِيمِ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ،  
فِي مُقَابِلِ بَيَانِ بَعْضِ عَذَابِ الْكَافِرِينَ.

الدَّرْسُ السادس: الآيتان (٥٨) و(٥٩).

وفيهما خطابٌ مِنْ اللَّهِ لِرَسُولِهِ ﷺ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ وَتَيْسِيرِهِ بِلِسَانِهِ  
الْعَرَبِيِّ، وَالْمَآخِ بِبِشَارَتِهِ بِأَنَّهُ مَنْصُورٌ بِنَصْرِ اللَّهِ لَهُ، وَبِأَنَّ الْمَشْرِكِينَ  
الْمُعَانِدِينَ مَخْذُولُونَ، وَبِأَنَّ اللَّهَ سَيَتَقَمُّ مِنْهُمْ.



(٥)

التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (الدخان)

الآيات من (١ - ٨)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حَمْدٌ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا  
مُنْذِرِينَ ٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ٥  
رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ  
كُنُوزَهُمْ ثَوَابِتٌ ٧ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ  
الْأَوَّلِينَ ٨﴾

## القراءات:

(١) • سَكَتَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى «حَا» وَعَلَى «مِيم» سَكَنَةً لَطِيفَةً مِنْ غَيْرِ تَنَفُّسٍ، دُونَ سَائِرِ الْقَرَاءِ.

(٧) • قَرَأَ عَاصِمٌ، وَحَمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلَفَ: [رَبُّ] بِالْجَرِّ إِتْبَاعاً لـ [رَبُّكَ].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقَرَاءِ الْعَشْرَةُ: [رَبُّ] بِالرَّفْعِ، إِتْبَاعاً لـ [السَّمِيعُ الْعَلِيمُ].  
وَالْقَرَاءَتَانِ وَجْهَانِ نَحْوَيَّانِ مُؤَدَّاهُمَا وَاحِدٌ.

## تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ عَنِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، مُضَافٌ إِلَى مَا جَاءَ عَنْهُ فِي «الْحَوَامِيمِ السَّبْعِ» وَفِي غَيْرِهَا مِنْ سُورٍ سَبَقَ تَدَبُّرُهَا.

وَفِيهَا بَيَانٌ أَنَّ إِنْزَالَ الْقُرْآنِ هُوَ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، وَهَذَا الْبَيَانُ مَقْرُونٌ بِبَيَانِ بَعْضِ صِفَاتِ اللَّهِ الْجَلِيلَةِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، الَّتِي هِيَ مِنْ أَمَّهَاتِ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، فِي دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِتِّلَاءِ.

## التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

• ﴿حَمَّ﴾ ﴿١﴾ حرفان من الحروف المقطعة، الواردة في أوائل بعض سور القرآن المجيد، وَقَدْ ذَكَرْتُ مَا يَكْفِي بِشَأْنِهَا لَدَى تَدَبُّرِ أَوَّلِ سُورَةِ (الْقَلَمِ/ ٤ نزول).

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ﴿٢﴾:

أُعِيد هُنَا مَا سَبَقَ أَنْ كَتَبْتُهُ فِي تَدَبُّرِ نَظِيرِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ.

يُقَسِّمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، فَالَوَاوِ هِيَ وَאו الْقِسْمِ. وَذَكَرَهُ اللَّهُ هُنَا بِعَنْوَانِ «الْكِتَابِ» لِتَأْكِيدِ تَكْلِيفِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ بِأَنْ يَدُونُوهُ وَيَجْعَلُوهُ كِتَابًا مَصُونًا، مَحْفُوظًا مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ وَالتَّخْرِيفِ وَالضَّيَاعِ، وَقَدْ تَمَّ هَذَا بِأَمْرِ مِنَ الرُّسُولِ ﷺ لِكِتَابِ الْوَحْيِ الَّذِينَ كَانَ يَخْتَارُهُمْ مِنْ أَصْحَابِهِ لِكِتَابَةِ مَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ بِمَا قَامَ بِهِ خُلَفَاؤُهُ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ، عَلَى مَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي التَّارِيخِ.

﴿الْمُبِينِ﴾ مِنْ فَعَلٍ: «بَانَ» اللَّازِمُ، بِمَعْنَى: ظَهَرَ وَاتَّضَحَ. وَمِنْ فَعَلٍ: «أَبَانَ» الْمَتَعَدِّي، بِمَعْنَى أَظْهَرَ وَأَوْضَحَ.

فَالْقُرْآنُ ظَاهِرٌ وَاضِحٌ لَا غُمُوضَ فِي كَلِمَاتِهِ وَتَرَائِكِبِ جُمْلِهِ، وَمُظْهِرٌ مُوَضِّحٌ لِلْمَعَانِي الَّتِي أُنْزِلَ لِبَيَانِهَا لِلنَّاسِ.

وَالْقَسَمُ بِالْقُرْآنِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَى آيَةٍ كُبْرَى مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْمُعْجَزَةِ، وَإِعْجَازُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٢﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٣﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾:

يَتَحَدَّثُ رَبُّنَا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ، لِلإِشْعَارِ بِعَظَمَةِ هَذَا الْكِتَابِ، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ وَبَيَانٍ لِصَرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ آيَةٍ إِعْجَازِيَّةٍ كُبْرَى.

أي: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ الْمُبِينَ وَهُوَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، أَخَذًا مِمَّا سَبَقَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (القدر/ ٢٥ نزول) بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَهِيَ إِحْدَى لَيَالِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، بِدَلِيلِ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ/ ٨٧ نزول):

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...﴾.

وجاء في السُّنَّةِ بيانٌ أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ هي إِحْدَى لَيَالِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَخَصَّ الرَّسُولُ الْأَحَادَ مِنْهَا.

يُقَسِّمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُرْآنِ الْكِتَابَ الْمُبِينِ، عَلَى أَنَّهُ أُنْزِلَ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ كَثِيرَةٍ الْبَرَكَةِ، فَلَا تَطَابُقَ بَيْنَ الْمُقْسَمِ بِهِ وَالْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، إِنَّ الْقُرْآنَ مُدْرِكُ الْآيَاتِ، وَإِنْزَالُهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَمْرٌ خَفِيَ غَيْرُ مُدْرِكِ، فَأَقْسَمَ اللَّهُ بِالظَّاهِرِ عَلَى تَحَقُّقِ أَمْرٍ خَفِيَ غَيْرِ ظَاهِرٍ.

وَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَةَ الَّتِي أُنْزِلَ فِيهَا الْقُرْآنَ بِأَنَّهَا لَيْلَةُ مُبَارَكَةٍ، أَيْ: ذَاتُ بَرَكَةٍ، وَالْبَرَكَةُ: هِيَ الْكَثْرَةُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.

وَمِنْ بَرَكَةِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ ذَاتِ الْخُصُوصِيَّةِ النَّفِيسَةِ عِنْدَ اللَّهِ أَنَّهَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، أَيْ: هِيَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ فِي فَضْلِهَا الزَّمَانِيِّ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهَا، وَبِمَا يُجْرِي اللَّهُ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ عَظِيمٍ، وَبِمَا يُفِيضُ اللَّهُ فِيهَا عَلَى عِبَادِهِ مِنْ رَحِمَاتٍ، وَبِمَا فِيهَا مِنْ فَضْلِ الدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ، وَبِمَا يُضَاعَفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا لِعِبَادِهِ مِنْ أَجُورٍ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يُؤَدُّونَهَا فِيهَا، وَبِمَا يَقْضِي اللَّهُ فِيهَا مِنْ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ.

مَا الْمُرَادُ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ؟

ذكر المفسِّرون أَنَّ الْمُرَادَ بِإِنْزَالِ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ، إِنْزَالُ أَوَّلِ قُرْآنٍ أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَدْ كَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ

من شهرِ رَمَضَانَ، باعتبارِ أَنَّ هَذَا الْإِنْزَالَ مِنْهُ يَسْتَتَبِعُ إِنْزَالَ سَائِرِهِ فِي الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي وَالشُّهُورِ، بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ مِنْ إِنْزَالِ نُجُومِهِ خِلَالَ (٢٣) سَنَةٍ، فَكَانَ بَدْءُ إِنْزَالِهِ فَاتِحَةً أَمْرٍ عَظِيمٍ، وَقَدَرٍ جَلِيلٍ لِلنَّاسِ.

وروي عن ابنِ عباسٍ مِنْ عِدَّةِ طُرُقٍ كَمَا ذَكَرَ ابْنُ كَثِيرٍ، أَنَّهُ سَأَلَهُ «عَطِيَّةُ بْنُ الْأَسْوَدِ» فَقَالَ: وَقَعَ فِي قَلْبِي الشَّكُّ، قَوْلُ اللَّهِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَقَدْ أُنْزِلَ فِي شَوَّالٍ، وَفِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَفِي ذِي الْحِجَّةِ، وَفِي الْمُحَرَّمِ، وَصَفَرٍ، وَشَهْرِ رَبِيعٍ.

فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ أُنْزِلَ فِي رَمَضَانَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَفِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ، جُمْلَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَى مَوَاقِعِ النُّجُومِ تَرْتِيلاً فِي الشُّهُورِ وَالْأَيَّامِ.

وروي عن ابنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً بِإِسْنَادٍ صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، أَنَّهُ قَالَ: أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، حَتَّى وُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ جَعَلَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى مُحَمَّدٍ بِجَوَابِ كَلَامِ الْعِبَادِ وَأَعْمَالِهِمْ.

• ﴿... إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾: الْإِنْذَارُ: الْإِخْبَارُ بِمَكْرُوهِ قَادِمٍ. أَي: إِنَّا مِنْ شَأْنِنَا أَنْ نُنْذِرَ عِبَادَنَا عَاقِبَةَ عَدَمِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِلْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ بِكِتَابِنَا الْمَنْزَلِ، وَبِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَوَامِرَ وَنَوَاهِي وَإِرْشَادٍ إِلَى سُلُوكِ صِرَاطِنَا الْمُسْتَقِيمِ.

جاء في هَذِهِ الْعِبَارَةِ الْاِكْتِفَاءُ بِآخِرِ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاجِلِ دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَهِيَ مَرَحَلَةُ الْإِنْذَارِ بِالْعِقَابِ، فِي مُقَابِلِ إِطْلَاقِ إِنْزَالِ الْكِتَابِ عَلَى أَوَّلِ مَا أُنْزِلَ مِنْهُ، إِذْ سَيَسْتَتَبِعُ إِنْزَالَ سَائِرِهِ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ مَعَ مَسِيرَةِ الرَّسُولِ الدَّعْوِيَّةِ.

أَمَّا مَرَاجِلُ دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، فَتَبْدَأُ بِإِنْزَالِ الْبَيَانِ الرَّبَّانِيِّ، وَيَتَّبَعُهُ

التَّبْلِيغِ، فَالْبَيَانُ وَالشَّرْحُ، وَالتَّرْغِيبُ وَالتَّذْكِيرُ، وَالْإِفْتِنَاعُ بِالْأَدِلَّةِ وَالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ، وَالْجِدَالُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَالْمُجَاهَدَةُ بِالْقُرْآنِ، وَآخِرُ مَرَاكِهَا الْإِنذَارُ بِعِقَابِ اللَّهِ الْمُؤَجَّلِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، مَعَ اخْتِمَالِ عِقَابِ مُعَجَّلٍ إِنْ افْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ أَنْزَالَ هَذَا الْعِقَابَ، وَهَذَانِ الْإِجْرَاءَانِ مِنَ الْإِيجَازِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَلَيْسَ الْمَرَادُ بِكَوْنِ الْإِنذَارِ آخِرَ مَرَاكِحِ دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ أَنَّهُ مُتَأَخِّرٌ زَمَنِيًّا، بَلْ تَرْتِيبُهُ الْفِكْرِيُّ يَأْتِي مُتَأَخِّرًا، وَقَدْ تَقْتَضِي الْمَصْلَحَةُ التَّرْهيبَ بِالْإِنذَارِ مَعَ التَّرْغِيبِ بِالتَّبْشِيرِ، وَعَقِبَ التَّبْلِيغِ الْعَامَ بِوُجُوبِ الْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ.

• ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ١ ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا...﴾.

﴿يُفْرَقُ﴾: أي: يُفَصَّلُ وَيُبَيَّنُ، يُقَالُ لُغَةً: «فَرَقَ فُلَانٌ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، يَفْرُقُ، فَرْقًا، وَفُرْقَانًا» أي: فَصَّلَ وَمَيَّزَ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخَرِ، وَيُقَالُ: «فَرَقَ شَيْئًا عَنْ شَيْءٍ» أي: فَصَّلَهُ. وَيُقَالُ: «فَرَقَ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ» أي: حَكَمَ وَفَصَّلَ بَيْنَهُمَا. وَيُقَالُ: «فَرَقَ بَيْنَ الْمُتَشَابِهَيْنِ» أي: بَيَّنَّ أَوْجُهَ الْخِلَافِ بَيْنَهُمَا. وَيُقَالُ: «فَرَقَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ عَنِ الْأَمْرِ» أي: كَشَفَهُ لَهُ وَبَيَّنَّهُ. وَيُقَالُ: «فَرَقَ الشَّيْءَ، وَفَرَّقَهُ» أي: قَسَمَهُ، وَقَسَمَهُ.

**فالمعنى:** فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الَّتِي أُنْزِلَ فِيهَا عَلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ أَوَّلُ مَا أُنْزِلَ مِنَ قُرْآنٍ، يَكُونُ فِي نَظِيرِهَا مِنْ كُلِّ سَنَةِ فَرَقُ كُلِّ أَمْرٍ حَكِيمٍ، وَهَذَا الْفَرَقُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، أي: فَضْلَ اسْتِنْسَاخٍ مِنْهُ، لِتَبْلِيغِ الْمَلَائِكَةِ الْمَكْلَفِينَ الْقِيَامَ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْقِيَامُ بِهَا طَوَالَ الْعَامِ، حَتَّى مِثْلِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ مِنَ السَّنَةِ الْقَادِمَةِ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَا يَقْضِي اللَّهُ بِهِ وَيُمْضِيهِ، مِمَّا تَمَّ بِهِ تَقْدِيرُهُ مِنْ أُمُورِ عِبَادِهِ وَأَحْدَاثِ كَوْنِهِ، مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، مِمَّا لِلْمَلَائِكَةِ فِيهِ وَظَائِفُ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِهَا، أَوْ أَنْ يَكُونُوا عَلَى عِلْمِ بِهَا، وَالْمَلَائِكَةُ

يَدُونُونَ ذَلِكَ فِي صُحُفِهِمْ، وَيَنْتَظِرُونَ أَوَامِرَ التَّنْفِيدِ، وَيَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ مِنْهَا وَيُثَبِّتُ، وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَحْدُثُ فِيهِ تَغْيِيرٌ بِمَحْوٍ وَلَا إِثْبَاتٍ.

• ﴿فِيهَا يُفَرِّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (١): أي: كُلُّ أَمْرٍ مُحْكَمٍ، مُخْتَارٍ مِنْ بَيْنِ الاحْتِمَالَاتِ الْمُمَكِّنَةِ اخْتِيَاراً حَكِماً. وَتَكُونُ الْحِكْمَةُ بِاخْتِيَارِ أَفْضَلِ الْأَشْيَاءِ، وَاتَّقِيهَا وَأَحْسِنَهَا مِنْ كُلِّ الْبَدَائِلِ لِمَا تُخْتَارُ لَهُ.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ وَنُؤْمِنُ، أَنَّ كُلَّ اخْتِيَارَاتِ اللَّهِ بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ، أُمُورٌ حَكِيمَةٌ، فَوُضِعَ لَفْظُ «أَمْرٍ» وَهُوَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ بِأَنَّهُ حَكِيمٌ وَصِفٌ كَاشِفٌ، وَلَيْسَ وَصْفاً تَقْيِيدِيًّا.

وَوُضِعَ الْأَمْرُ بِأَنَّهُ حَكِيمٌ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، فِي تَدْبِيرِهِ لِأُمُورِ عِبَادِهِ وَسَائِرِ كَوْنِهِ.

• ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٢) رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣):

أي: حَالَةٌ كَوْنِ الْأَمْرِ الْحَكِيمِ الَّذِي تَمَّ تَحْدِيدُهُ بِالتَّقْدِيرِ وَالْقَضَاءِ أَمْرًا صَادِرًا مِنْ عِنْدِنَا.

وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْأُمُورِ الْحَكِيمَةِ أُمُورٌ تَتَعَلَّقُ بِإِتِلَاءِ الْعِبَادِ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَكَانُوا هُمْ الْمَقْصُودِينَ مِنْ إِنْزَالِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ الْقُرْآنِ، وَسَائِرِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ قَبْلَهُ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ لِتَبْلِيغِ دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَتَبْلِيغِ آيَاتِ كِتَابِهِ أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ رُسُلًا يَحْمِلُونَ رِسَالَتَهُ لِلنَّاسِ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿... إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾: أي: إِنَّا مِنْ شَأْنِنَا فِي كُلِّ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ وَفِي هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخَاتِمَةِ لِلْأُمَمِ أَنْ نُرْسِلَ مَنْ يَحْمِلُ رِسَالَتَنَا وَيُبَلِّغُنَا عَنْهَا، وَأَنْ نُؤَيِّدَهُ بِالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، لِنَشْهَدَ لَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُنَا حَقًّا وَصِدْقًا.

• ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾: أي: كُنَّا مُرْسِلِينَ رُسُلًا إِزْسَالًا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ

لِهَدَايَةِ النَّاسِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ الْمَوْصِلِ مَنْ اتَّبَعَهُ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ الْخَالِدَةِ، وَالْخِطَابُ لِكُلِّ صَالِحٍ لِلخِطَابِ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِي.

وبما أَنَّ الموضوعينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، سَوْفَ يُحَاسَبُونَ عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ فِيهَا يَوْمَ الدِّينِ، وَيَقْضِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِهِمْ، بِالثَّوَابِ أَوْ بِالْعِقَابِ، كَانَ مِنَ الْمُنَاسِبِ ذِكْرُ أَسْمَاءِ مَنْ أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى مُتَّصِلِينَ بِأَقْوَالِ الْعِبَادِ وَأَعْمَالِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

• ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦﴾:

السَّمِيعُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِكُلِّ مَا يُمَكِّنُ سَمْعَهُ، فَهُوَ سَمِيعٌ لِكُلِّ قَوْلٍ يُمَكِّنُ أَنْ يُسْمَعَ، حَتَّى حَدِيثِ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ فِي دَاخِلِ نَفْسِهِ.

الْعَلِيمُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَمِنْ عِلْمِهِ عِلْمُهُ بِأَعْمَالِ عِبَادِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ الْجَسَدِيَّةِ، وَالنَّفْسِيَّةِ.

■ قول الله تعالى:

• ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾:

وفي القراءة الأخرى: [رَبُّ] بِالرَّفْعِ، وَسَبَقَ تَوْجِيهُمَا؛ يُخَاطَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذَا الْبَيَانِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ، فَيُعَلِّمُهُمْ بِأَنَّ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، وَالْإِنْذَارَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِلْكَافِرِينَ يَوْمَ الدِّينِ، وَإِذْ سَالَ الرَّسُولُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ مِنَ الرَّبِّ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ.



هَذَا الرَّبُّ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَكُلُّ مَا فِيهِمَا، فَهُوَ خَالِقُ كُلِّ ذَلِكَ وَمَالِكُهُ، وَالْمَتَصَرِّفُ بِكُلِّ أَصْغَرِ جُزْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، دَوَامًا، فَلَا رَبَّ غَيْرُهُ فِي الْوُجُودِ فَاغْبُدُوهُ وَخُدُّهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِعِبَادَتِهِ غَيْرُهُ مَهْمَا كَانَ شَأْنُ هَذَا الشَّرِيكِ، إِنْ كُنْتُمْ مُسْتَعِدِّينَ لِأَنْ تُوقِنُوا بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَهِيَ أَنَّ مُنْزَلَ الْكِتَابِ، وَالْمُنْذِرَ، وَمُرْسِلَ الرَّسُولِ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا.

مُوقِنٌ اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ فِعْلٍ «أَيَقَنَ الشَّيْءَ وَأَيَقَنَ بِهِ» أَي: عَلِمَهُ عِلْمًا لَا شَكَّ فِيهِ، وَاسْمُ الْفَاعِلِ بِقُوَّةِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ.

• ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾: أَي: إِنْ كُنْتُمْ مُسْتَعِدِّينَ لِأَنْ تُوقِنُوا بِهَذِهِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا آيَاتُ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَبَرَاهِينُ الْعَقْلِ، فَاغْبُدُوهُ وَخُدُّهُ.

• ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾: أَي: لَا إِلَهَ يَسْتَحِقُّ عَقْلًا أَنْ يُعْبَدَ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، فَالْإِلَهِيَّةُ حَقُّ الرَّبِّ وَخُدُّهُ، وَعِبَادَةُ غَيْرِهِ أُنْذَادًا أَوْ أَضْدَادًا أَوْ شُرَكَاءَ، عُذْوَانٌ عَلَى حَقِّهِ، وَعُقُوبَتُهُ الْخُلُودُ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ، لِأَنَّهُ جُحُودٌ لِحَقِّ الرَّبِّ كُلِّهِ أَوْ بَعْضِهِ.

• ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾: لَمَّا كَانَ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى عَلَى اخْتِيَارِ الْإِنْسَانِ فِي رِخْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، رِخْلَةِ الْإِبْتِلَاءِ، مُؤَجَّلًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ بَعْدَ فَاصِلِ الْمَوْتِ، الَّذِي يَعْقِبُهُ النُّبُغُ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ التَّذْكِيرُ هُنَا بِأَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - يُحْيِي وَيُمِيتُ. فَهُوَ الَّذِي أَحْيَا النَّاسَ وَسَائِرَ الْأَحْيَاءِ، وَهُوَ الَّذِي يُمِيتُهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يُخَيِّبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيَلْقُوا حِسَابَهُمْ، وَفَضْلَ الْقَضَاءِ بِشَأْنِهِمْ، ثُمَّ يَكُونُ جَزَاؤُهُمْ بِالْعَدْلِ فِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ، أَوْ بِالْفَضْلِ فِي دَارِ النِّعَمِ الْجَنَّةِ.

• ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨): أَي: رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا بَيْنَهُمَا، هُوَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ، الَّذِينَ سَلَفُوا فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ آدَمَ جَدُّكُمْ الْأَوَّلِ، وَأَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ وَالْمُؤْهَلُونَ مِنْ غَيْرِكُمْ مَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَالْمَطْلُوبُ مِنْكُمْ جَمِيعاً فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا رَبَّكُمْ، بِالْإِيمَانِ بِالْحَقِّ - الَّذِي أَمَرَكُمْ بِأَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ، وَبِإِعْلَانِ الْإِسْلَامِ لَهُ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَبِالتَّغْيِيرِ عَنْ هَذَا الْإِسْلَامِ بِالطَّاعَةِ وَالْإِنْقِيَادِ.

كَلِمَةُ «الرَّبِّ» وَعُنوان «الرُّبُوبِيَّةِ» يَدُلَّانِ عَلَى كُلِّ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ السَّامِيَّاتِ ذَوَاتِ الْعَلَاقَةِ بِالْمَخْلُوقَاتِ مِنْ خَلْقٍ وَرِزْقٍ وَتَصَارِيفٍ، وَإِحْيَاءٍ وَإِمَاتَةٍ، وَنَفْعٍ وَضَرٍّ، وَامْتِحَانٍ وَتَكْلِيفٍ وَجَزَاءٍ، إِلَى مَعْظَمِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى.

وبهذا تمَّ تدبر الدرس الأول من دروس سورة (الدُّخان).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِنْتَهَى وَفَتْحِهِ.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الدُّخان)  
الآيات من (٩ - ١٦)

قال الله عز وجل:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ الَّذِينَ كَذَبُوا قَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ لِّبَنَاتٍ يَخُونُ ﴿١٤﴾ إِنْ شِئْتُمْ إِلَّا عَذَابٌ قَلِيلٌ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

## القرءات:

(١٦) • قَرَأَ أَبُو جَعْفَرُ: [نَبْطِشُ] بِضَمِّ الطَّاءِ.

وقرأها باقي القرءاء العشرة: [نَبْطِشُ] بِكَسْرِ الطَّاءِ. وهما لُغَتَانِ

عَرَبِيَّتَانِ.

## تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَعَرَّضَ لِمَوْقِفِ مُشْرِكِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَإِضْرَارِهِمْ عَلَى الشَّكِّ فِي الْقُرْآنِ، وَتَلْهِيهِمْ لَاعِبِينَ بِأُمُورِ دُنْيَاهُمْ، وَفِيهَا تَحْذِيرُهُمْ مِنْ عُقُوبَاتٍ جُزْئِيَّةٍ تَذْكِيرِيَّةٍ، تُلْجِئُهُمْ إِلَى الْوَعْدِ بِالْإِيمَانِ إِذَا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، لَكِنَّهُمْ لَا يَقُونَ بِوَعْدِهِمْ بَلْ يَنْقُضُونَهُ وَيَتَمَادُونَ فِي غَيْبِهِمْ، وَأَخِيرًا يُنْذِرُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ يَبْطِشَ بِهِمْ بَطْشَةً كُبْرَى مُنْتَقَا مِنْهُمْ.

## التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

• ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ (٩): أي: لَمْ تُؤَثِّرْ فِي الْمَعْنِيِّينَ بِالْمَعَالَجَةِ فِي السُّورَةِ، وَهُمْ مُشْرِكُو مَكَّةَ وَلَا سِيَمَا أَيْمَتُهُمْ وَقَادَتُهُمْ وَالْمُتَرَفُّونَ فِيهِمْ، وَسَائِلُ الْعِلَاجِ السَّابِقَةِ، الْإِقْنَاعِيَّةُ، وَالتَّرغِيبِيَّةُ، وَالتَّرْهِيبِيَّةُ، وَالْجِدَالِيَّةُ، بَلْ هُمْ مُنْغَمِسُونَ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهِمْ فِي شَكٍّ مِنْ كَوْنِ الْقُرْآنِ كَلَامَ اللَّهِ، وَمِنْ كَوْنِ مُحَمَّدٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ نَبِيًّا لِلَّهِ وَرَسُولًا حَقًّا وَصِدْقًا، وَهُمْ يَلْعَبُونَ بِدَلَائِلِ آيَاتِ اللَّهِ الْإِعْجَازِيَّةِ، وَآيَاتِهِ الْبَيَانِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ، وَيَنْظِلُونَ فِي حَيَاتِهِمْ لَاعِبِينَ، لِتَحْقِيقِ مَتَاعَاتِهِمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ.

اللَّعِبُ: ضِدُّ الْجِدِّ، يُقَالُ لُغَةً: «لَعِبَ، يَلْعَبُ، لَعِبًا، وَلَعْبًا» أَي: شَغَلَ نَفْسَهُ بِمَا لَا فَائِدَةَ لَهُ فِيهِ. وَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلًا لَا يُجْدِي عَلَيْهِ

نَفْعًا: إِنَّمَا أَنْتَ لَاعِبٌ، وَكَذَلِكَ مَنْ يَشْتَغِلُ بِنَافِعٍ قَلِيلٍ عَنْ نَافِعٍ جَلِيلٍ.  
فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مَا يُنْفِقُ وَقْتَهُ وَطَاقَاتِهِ فِيهِ، سَوْفَ يَجْزِيهِ عَلَيْهِ عَذَابًا  
أَلِيمًا يَكُونُ خَالِدًا فِيهِ أَبَدًا!!!.

• ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ  
أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الدَّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ  
رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾﴾.

• ﴿فَارْتَقِبْ﴾: أي: فَانْتَظِرْ اانتظاراً مُفْتَرِناً بِمَلاحِظَةٍ وَتَوَقُّعٍ أَمْرٍ  
سَيَحْدُثُ قَرِيباً. الْخِطَابُ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٍ رَاغِبٍ  
فِي أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ بِمُشْرِكِي مَكَّةَ مَا يَكْرَهُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

• ... ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾﴾:

أُطْلِقَ لَفْظَ «يَوْمٍ» وَأُرِيدَ بِهِ الزَّمَنُ الَّذِي يَحْدُثُ فِيهِ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ رَبُّكَ  
بِكُفَّارِ قَوْمِكَ فِي مَكَّةَ الْمُصْرِينَ عَلَى عِنَادِهِمُ الْبُاسَاءَ عِقَاباً جُزْئِيًّا، رَغْبَةً فِي  
أَنْ يَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا عَنْ غِيهِمُ الْعِنَادِي.

إِنَّهُمْ حِينَ يَنْزِلُ بِهِمْ هَذَا الْعِقَابُ الْجُزْئِيُّ التَّربَوِيُّ الَّذِي يَمَسُّهُمْ فِيهِ  
الْقَحْطُ وَالْجُوعُ، وَالْحَرَمَانُ مِنَ الْغَيْثِ، يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ أَنْ تُنْزَلَ لَهُمْ  
غَيْثًا، فَلَا يَرَوْنَ فِيهَا إِلَّا غُبَاراً وَقَتَمًا وَدُخَانًا، مِنْ شِدَّةِ الْجَفَافِ، وَتَتَابَعِ  
عَلَيْهِمُ الشُّهُورُ وَالسَّنُونَ وَهُمْ يُعَانُونَ مِنْ هَذَا الْحَرَمَانِ، وَيَشْتَدُّ عَلَيْهِمْ هَذَا  
الْبَلَاءُ وَأَرْضُهُمْ شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ، فَيَحْسُونَ أَنْ أَجْوَاءَ بِلَدِهِمْ قَدْ انْتَشَرَ فِيهَا  
الدُّخَانُ بَدَلًا أَنْ تَكُونَ رَطْبَةً يَبْخَارُ الْمَاءُ، إِحْسَاسٌ بِأَعْيُنِهِمْ مَضْحُوبٌ بِذَرَاتِ  
الْجَفَافِ الَّتِي انْتَشَرَتْ فِي أَجْوَائِهِمْ.

وَمَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنْ قَحْطٍ وَجَفَافٍ وَجُوعٍ، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ،  
وَيَجْعَلُهُمْ يَقُولُونَ: هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ.

• ﴿يَغْشَى النَّاسَ...﴾: أي: يَغْشَى كُفَّارَ مَكَّةَ، فَيَعْمُهُمْ وَيُجَلِّلُهُمْ كَالسُّتْرِ وَالْغِطَاءِ الْكَبِيرِ الَّذِي يَعُمُّ مَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ.

رَوَى البخاريُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا لَمَّا غَلَبُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَاسْتَعَصَوْا عَلَيْهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعِ كَسْبَعِ يُوسُفَ».

فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ أَكَلُوا فِيهَا الْعِطَامَ وَالْمَيْتَةَ مِنَ الْجَهْدِ، حَتَّى جَعَلَ أَحَدُهُمْ يَرَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ مِنَ الْجُوعِ.

فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: اسْتَثْقِلَ لِمُضَرٍّ (قُرَيْشٌ مُنَحَدِرُونَ مِنْ مُضَرَ) أَنْ يَكْشِفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، فَدَعَا فَكُشِفَ عَنْهُمْ، وَقَالَ اللَّهُ لَهُ: «إِنْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ عَادُوا» فَعَادُوا فَانْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

• ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (٧٢): أي: فَسَيَقُولُونَ مِنْ شِدَّةِ مُعَانَاتِهِمْ مِنَ الْجُوعِ هَذَا الْقَوْلَ، وَفِيهِ دُعَاءٌ وَوَعْدٌ بِأَنْ يُؤْمِنُوا إِذَا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَا سَيُنْزِلُ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ الْجُوعِ.

مُؤْمِنُونَ: اسم فاعل جَمَعَ «مُؤْمِنٌ» وَقَدْ صَحَّ عِنْدِي أَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ بِقُوَّةِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ، قَدْ يَدُلُّ عَلَى الْحَالِ وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى الْاسْتِقْبَالِ، عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ، أَخْذًا مِنَ النُّصُوصِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تَابَعْتُهَا فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

لَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبَانَ أَنَّهُمْ سَيَنْقُضُونَ وَعْدَهُمْ، وَيَعُودُونَ إِلَى شِرْكِهِمْ إِذَا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَذَابَ الْجُوعِ، فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ (٧٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِثْلُنَا يَحْتَنُونَ ﴿٧٤﴾: ﴿أَنَّى﴾: اسْمُ اسْتِفْهَامٍ، وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى: مِنْ أَيْنَ؟

• ﴿الذِّكْرَى﴾: هُنَا اسْمٌ لِلتَّذَكُّرِ، وَالْمِرَادُ أَثَرُ التَّذَكُّرِ الْمَطْلُوبِ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ.

• ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا﴾: أَي: ثُمَّ بَعْدَ سِنِينَ مُتَعَدِّدَةٍ، عَالَجَهُمُ الرَّسُولُ فِيهَا بِكُلِّ وَسَائِلِ الْإِقْنَاعِ، وَالْجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَالْمَلَايَنَةِ وَالْمُدَارَاةَ، لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا التَّوَلَّى، وَهُوَ إِدَارَةُ ظُهُورِهِمْ لِدَعْوَتِهِ، وَالْإِبْتِعَادُ عَنْهَا، بَعْدَ أَنْ أَعْرَضُوا وَنَاوَأُوا، فَمَا هُمْ فِيهِ الْآنَ هُوَ أَقْصَى حَالَاتِ رَفْضِ الْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَتِهِ.

• ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾: أَي: قَالُوا غُلُوبًا فِي كُفْرِهِمْ: إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ بَشَرٌ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُوَ مَجْنُونٌ جُنُونٌ عَظَمَةٌ وَرَغْبَةٌ فِي الْعُلُوِّ فِي الْأَرْضِ، إِذْ يَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، عَرَبِهِمْ وَعَجَبِهِمْ.

فَالْمَعْنَى: مِنْ أَيْنَ تَحْصُلُ لَهُمُ الذِّكْرَى الَّتِي تُؤَثِّرُ فِي قُلُوبِهِمْ وَنَفُوسِهِمْ، فَتَجْعَلُهُمْ يَفُونَ بِوَعْدِهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا، إِذَا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ، وَهُمْ قَدْ أَصْرُوا عَلَى الْإِبْتِعَادِ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي بَعَثْنَا بِهِ رَسُولَنَا، وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ حَقٌّ عَنْ طَرِيقِ رَسُولٍ ظَاهِرٍ فِي صِحَّةِ نُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَمُظْهِرٍ لِلْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلْنَاهُ لِتَبْلِيغِهِ بِالْبَيَانِ الْكَافِي، وَبِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ وَمُخْتَلِفِ وَسَائِلِ الْإِقْنَاعِ، عَبْرَ عِدَّةِ سِنِينَ نَزَلَتْ فِيهَا (٦٣) سُورَةٌ بَلَّغَهُمْ إِيَّاهَا، وَقَامَ بِوِظَائِفِ رِسَالَتِهِ تَجَاهَهَا، وَبَعْدَ هَذِهِ السِّنِينَ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا كَلِمَةُ ﴿ثُمَّ﴾ وَصَلُوا إِلَى حَالَةِ الْإِذْبَارِ وَالْإِبْتِعَادِ مُعَانِدِينَ، وَقَالُوا مُفْتَرِينَ عَلَى رَسُولِنَا الَّذِي عَلِمُوا أَنَّهُ رَسُولٌ صَادِقٌ أَمِينٌ، وَأَنْ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ: ﴿مُعَلَّمٌ﴾ يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ بَشَرٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِكُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿مَجْنُونٌ﴾ جُنُونٌ عَظَمَةٌ وَاسْتِعْلَاءٌ، يَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

• ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ :

أي: قال الله لهم كلمة قضاء أعلمهم بها بهذا البيان القرآني، إِنَّا سَنَكْشِفُ عَنْكُمْ الْعَذَابَ الَّذِي سَنُنْزِلُهُ بِكُمْ اسْتِجَابَةً لِدُعَائِكُمْ وَوَعْدِكُمْ بِأَنْ تُؤْمِنُوا، وَهَذَا الْكَشْفُ سَيَكُونُ زَمَنُهُ قَلِيلًا، لِأَنَّكُمْ سَتَعُودُونَ إِلَى شِرْكِكُمْ وَكُفْرِكُمْ فَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَتَجْحَدُونَهُ، وَلَكِنْ نُنْذِرُكُمْ بِأَنَّا سَنَنْتَقِمُ مِنْكُمْ، بَعْدَ فَاصلِ زَمَنِي لَيْسَ طَوِيلَ الْأَمَدِ، وَتَجِدُونَ هَذَا الْإِنْتِقَامَ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى.

وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا الْإِنْتِقَامُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ.

الْبَطْشُ: التَّنَاوُلُ بِشِدَّةٍ عِنْدَ الصَّوْلَةِ، وَالْأَخْذُ الْقَوِيُّ الشَّدِيدِ، وَالسَّطْوُ فِي سُرْعَةٍ.

وُوصِفَتِ الْبَطْشَةُ الرَّبَّانِيَّةُ بِأَنَّهَا كُبْرَى، مُرَاعَاةً لِحَالَةِ الْمُبْطُوشِ بِهِمْ، فَهِيَ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ كُبْرَى، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهِيَ مِنَ الصَّغَرِيَّاتِ جَدًّا.

قَلِيلًا: صِفَةٌ لِمَفْعُولٍ مُظْلَقٍ مَحْذُوفٍ، أَي: كَشَفْنَا قَلِيلًا زَمَنَهُ.

إِنَّكُمْ عَائِدُونَ: أَي: إِنَّكُمْ سَتَعُودُونَ إِلَى كُفْرِكُمْ الْعِنَادِي الْجُحُودِيِّ، بَعْدَ أَنْ نَكْشِفَ عَنْكُمْ الْعَذَابَ الَّذِي سَنُنْزِلُهُ بِكُمْ.

إِنَّا مُنْتَقِمُونَ: أَي: إِنَّا سَنَنْتَقِمُ بَعْدَ أَنْ تَعُودُوا إِلَى كُفْرِكُمْ.

الْإِنْتِقَامُ: الْمُعَاقَبَةُ عَلَى الذَّنْبِ.

وَالْمَعْنَى: إِنَّا سَنَنْتَقِمُ مِنْكُمْ وَنُعَاقِبُكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَنَقْضِكُمْ وَعَدَكُمْ الَّذِي سَتَقُولُونَ فِيهِ: إِنَّا مُؤْمِنُونَ إِذَا كَشَفْتَ عَنَّا الْعَذَابَ يَا رَبَّنَا، يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى.

قُدِّمَ الظَّرْفُ: «يَوْمٌ» عَلَى عَامِلِهِ «مُتَّقِمُونَ» لِلْبَدْءِ بَيَانٍ مَا سَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ بَطْشَةٍ كُبْرَى مُخِيفَةٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، وَهَذَا مِنْ دَوَاعِي تَقْدِيمِ الْمَعْمُولِ عَلَى عَامِلِهِ، وَيُسَامَحُ فِي الظَّرْفِ مَا لَا يُسَامَحُ فِي غَيْرِهِ، كَتَقْدِيمِهِ عَلَى إِنْ وَاسْمِهَا وَخَبَرَهَا.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثَّانِي مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الدُّخَانِ).  
والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتَّتِهِ، وَفَتَحِهِ.



(٧)

### التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الدخان) الآيات من (١٧ - ٣٣)

قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَنزِلْ بِعَذَابِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرِفُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ بَجْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْمِهِنِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَلَيْنَاهُمْ مِنَ الْأَلْبَتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾.

القراءات:

(١٩) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [إِنِّي آتِيكُمْ] بفتح ياء المتكلم.



وقراها باقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ بِإِسْكَانِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

(٢٠ و ٢١) • قرأ يَعْقُوبُ بِإِثْبَاتِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ فِي: [أَنْ تَرْجُمُونِي]

وَفِي: [فَاعْتَرِلُونِي] فِي الْوَضَلِ وَالْوَقْفِ، وَكَذَلِكَ وَرَشٌ فِي الْوَقْفِ فَقَطْ.

وَقَرَأَهُمَا بَاقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ بِحَذْفِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ وَضِلاً وَوَقْفاً.

(٢١) • فَتَحَ وَرَشَ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ فِي: [لِي فَاغْتَرِلُون]. وَأُسْكَنَهَا بَاقِي

الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ.

(٢٣) • قرأ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو جَعْفَرٍ: [فَاسْرٍ] مِنْ فِعْلٍ

«سَرَى».

وقراها باقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ [فَاسْرٍ] مِنْ فِعْلٍ «أَسْرَى».

(٢٥) • قرأ ابْنُ كَثِيرٍ، وَابْنُ ذَكْوَانَ، وَشُعْبَةُ، وَحَمْزَةُ، وَالْكَسَائِيُّ:

[وَعِيُونٍ] بِكَسْرِ الْعَيْنِ.

وقراها باقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ: [وَعِيُونٍ] بِضَمِّ الْعَيْنِ. وَالْقَرَاءَتَانِ لُعْنَتَانِ

عَرِيَّتَانِ.

(٢٧) • قرأ أَبُو جَعْفَرٍ: [فَكِهَيْنَ] أَي: مُسْتَمْتِعِينَ بِطَرِينِ.

وقراها باقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ: [فَاكِهَيْنَ]: أَي: مُسْتَمْتِعِينَ.

وَبَيْنَ الْقَرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ، إِذْ كَانَ بَعْضُهُمْ بِطِراً مُسْتَكْبِراً، وَكَانَ بَعْضُهُمْ

مُسْتَمْتِعاً غَيْرَ بِطَرٍ.

(٢٩) • قرأ أَبُو عَمْرٍو: [عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ] بِكَسْرِ هَاءِ الضَّمِيرِ وَالْمِيمِ

بَعْدَهَا.

وقراها باقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ: [عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ] بِكَسْرِ هَاءِ الضَّمِيرِ وَضَمِّ

الْمِيمِ بَعْدَهَا.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ جَانِبٍ مِنْ قِصَّةِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَعَدَمُ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَرَضُ النِّهَايَةِ التَّعْيِيسَةِ الَّتِي عَاقَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا فِرْعَوْنَ وَكُلَّ جُنُودِهِ، إغْرَاقًا بِخَارِقٍ عَظِيمٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعِقَابِيَّةِ الْإِنْتِقَامِيَّةِ.

وَفِيهَا بَيَانٌ مُوجِزٌ جَدًّا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعْدَ أَنْ أَنْجَاهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ الَّذِي كَانُوا يُعَانُونَهُ فِي مِصْرَ مُسْتَعْبِدِينَ.

التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى:

• ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾ أَنْ أَذْأًا إِلَىٰ عِبَادَةِ اللَّهِ إِنَّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ ثَمِينٍ ﴿٩﴾﴾.

الفتنة: الامْتِحَانُ والابْتِلَاءُ، وَهُوَ حَالُ كُلِّ الَّذِينَ وَضَعَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ، بَدَأَ مِنْ آدَمَ وَأَبِي الْحِجْنِ، حَتَّى آخِرِ مُمْتَحِنٍ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

أي: وَلَقَدْ وَضَعْنَا قَبْلَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا بَعْدَ لِدَعْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ مَوْضِعَ الْإِمْتِحَانِ، كَمَا وَضَعْنَا سَائِرَ الْأَقْوَامِ.

وَقَوْمُ فِرْعَوْنَ هُمُ الْمِضْرِيُّونَ وَالْأَقْبَاطُ وَسَائِرُ الْخَاضِعِينَ لِسُلْطَانِ فِرْعَوْنَ فِي مِصْرَ، مَعَ آلِهِ وَمَلِئِهِ وَسَائِرِ جُنُودِهِ مِنْ مِصْرِيِّينَ وَغَيْرِ مِصْرِيِّينَ.

وَجَاءَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ رَسُولٌ كَرِيمٌ هُوَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَوَزِيرُهُ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَابِعًا لَهُ فِي رِسَالَتِهِ، وَخَاضِعًا لَهُ فِي قِيَادَتِهِ، فَذَكَرُ مُوسَى يُغْنِي عَنْ ذِكْرِ هَارُونِ.

وَوَصَفَ اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ كَرِيمٌ، لِلثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ جَامِعٌ  
لِأَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَالشَّرَفِ وَالْفَضَائِلِ، وَلِلصِّفَاتِ الرَّفِيعَةِ النَّفِيسَةِ.

الكريم: هو الَّذِي يَتَرَفَّعُ عَنِ النَّقَائِصِ وَالذَّنَائَا، وَالْمَحْمُودُ بِالصِّفَاتِ  
الرَّفِيعَاتِ النَّفِيسَاتِ، وَالْجَامِعُ لِأَنْوَاعِ الْخَيْرِ وَالشَّرَفِ وَالْفَضَائِلِ.

فَدَعَاهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُونَ بِعِبَادَتِهِ  
أَحَدًا، وَدَعَاهُمْ إِلَى نَبْذِ شُرَكِيَائِهِمْ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنْ ظُلْمٍ وَعُدْوَانٍ، وَفُجُورٍ  
وَطُغْيَانٍ، بَعْدَ أَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِهِ فِرْعَوْنُ وَمَلَأُوهُ وَالَّهُ، بِاسْتِثْنَاءِ مُؤْمِنِ آلِ  
فِرْعَوْنَ، وَزَوْجَتِهِ آسِيَةَ، وَرُبَّمَا عَدَدٌ قَلِيلٌ كَانَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ خَوْفًا مِنْ جَبْرُوتِ  
فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ وَجُنُودِهِمْ، وَخَوْفًا مِنْ طُغْيَانِهِمْ، وَمِنْ تَغْرِيسِ أَنْفُسِهِمْ  
لِتَعْذِيبِهِمْ.

وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَذُوا إِلَيَّ وَاجِبَ الطَّاعَةِ وَالْإِنْقِيَادِ يَا  
عِبَادَ اللَّهِ، فَأَنَا رَسُولُ رَبِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَيْكُمْ، لِأُبَلِّغَكُمْ بِأَمَانَةِ الدِّينِ  
الَّذِي يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِأَحْكَامِهِ، فَقَدْ  
اضْطَلَقَى رَبُّكُمْ لَكُمْ الدِّينَ، وَأَمَرَكُمْ بِاتِّبَاعِهِ، وَيَحْذَرُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
خَالِدِينَ فِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ، إِذَا لَمْ تَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ، فَلَمْ تُؤْمِنُوا وَلَمْ  
تُسَلِّمُوا، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّكُمْ إِلَيْكُمْ.

وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي انْطِلَاقَتِهِ بِمِصْرَ دَاعِيًا إِلَى دِينِ اللَّهِ  
الْحَقِّ: لَا تَغْلُوا بِنُفُوسِكُمْ عَلَى اللَّهِ بَارِئِكُمْ، وَالْمُهَيِّمِينَ عَلَيْكُمْ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ  
دَوَامًا، مُسْتَكْبِرِينَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ رَبًّا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَمُسْتَكْبِرِينَ  
عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ إِلَهًا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَإِذَا طَلَبْتُمْ مِنِّي  
سُلْطَانًا مُبِينًا، أَيُّ: بَرَهَانًا عَلَى صِدْقِ رِسَالَتِي، وَبُرْهَانًا عَلَى أَنَّ مَا أَدْعُوكُمْ  
إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ، فَإِنِّي آتِيكُمْ بِالسُّلْطَانِ الْمُبِينِ الَّذِي يُوَصِّلُكُمْ إِلَيَّ  
الْيَقِينِ الْعِلْمِيِّ بِأَنِّي رَسُولُ رَبِّكُمْ، وَبِأَنَّ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا  
شَكَّ فِيهِ.

هَذِهِ الدَّعْوَةُ الَّتِي انْطَلَقَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَدْعُو إِلَيْهَا جَمَاهِيرَ الْمِصْرِيِّينَ وَالْقِبْطِ، وَسَائِرِ الْخَاضِعِينَ لِسُلْطَانِ فِرْعَوْنَ، هِيَ الَّتِي جَعَلَتْ فِرْعَوْنَ يَقُولُ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (غَافِرٍ / ٦٠ نَزُول) بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرَعَ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرَكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَٰلِكَ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ مُخْتَارَاتٍ مِمَّا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَنْ دَعَاهُمْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ فِي مِصْرَ:

• ﴿وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ (٢٠) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴿٢١﴾:

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ فِرْعَوْنَ حَرَضَ سِرًّا جَمَاهِيرَ قَوْمِهِ عَلَى قَتْلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يُبَاشِرَ قَتْلَهُ عَنْ طَرِيقِ أَمْرِ جُنُودِهِ بِقَتْلِهِ بِوَسِيلَةِ الْقَتْلِ الْمَعْرُوفَةِ الَّتِي يَأْمُرُ بِهَا الْمَلِكُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَخَافُ مِنْ آيَةِ الْعَصَا الَّتِي تَنْقَلِبُ نُعْبَانًا، أَنْ يَسْتَخْدِمَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَبْلَعَ جُنْدَهُ ثُمَّ تَبْلَعَهُ وَمَلَأَهُ.

وَكَانَتْ وَسِيلَةُ الْقَتْلِ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ، هِيَ الْوَسِيلَةُ الَّتِي يُشَارِكُ فِيهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، يَتَوَرَّعُ بَيْنَهُمْ جُرْمُ قَتْلِهِ.

وَأَدْرَكَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ قَدْ سَرَتْ فِيهِمْ دِعَايَةُ قَتْلِهِ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ، وَالاجْتِمَاعُ عَلَى هَذَا إِرْضَاءٌ لِسَيِّدِهِمْ فِرْعَوْنَ، وَإِرْضَاءٌ لِمَلِكِهِ، فَقَالَ لَجُمْهُورِ الْمِصْرِيِّينَ مَا جَاءَ فِي هَذَا الْبَيَانِ.

• ﴿وَإِنِّي عُدْتُ﴾: أَي: وَإِنِّي لَذْتُ وَاعْتَصَمْتُ مُلْتَجِئًا طَالِبًا الْحِمَايَةَ وَالْوَقَايَةَ.

• ﴿بَرِّىْ وَرَبِّكُمْ﴾: أي: بالله الَّذِي هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ الْمُهِمِّينُ عَلَيْنَا جَمِيعاً بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَهُوَ عَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ.

• ﴿أَنْ تَرْجُمُون﴾: أي: مِنْ أَنْ تَجْتَمِعُوا عَلَيَّ وَتَرْجُمُونِي.

• ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾: أي: وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي وَتُسَلِّمُوا لِي مُنْقَادِينَ.

• ﴿فَاعْتَرِلُوا مَجْلِسِي﴾: أي: فَاغْتَرِلُوا مَجْلِسِي، وَلَا تَسْتَمِعُوا لِدَعْوَتِي، فَأَنَا لَا أُجْبِرُ أَحَدًا، وَلَا أُكْرِهُ أَحَدًا عَلَى الْإِيمَانِ بِمَا أَدْعُوا إِلَيْهِ، وَالْإِنْقِيَادِ لِي مُسْلِمًا لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِنَّمَا أُبَلِّغُ عَنْ رَبِّي مَا أَمَرَنِي بِأَنْ أُبَلِّغَكُمْ إِيَّاهُ، وَأَنْتُمْ لَكُمْ كَامِلُ الْحُرِّيَّةِ فِي الْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَتِي، وَعَدَمِ الْاسْتِجَابَةِ لَهَا، إِنَّهُ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ.

وَرَأَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ مُطِيعُونَ لِفِرْعَوْنَ خَاضِعُونَ لِسُلْطَانِهِ، لَا يَرَوْنَ إِلَّا مَا يُرِيدُهُمْ، دُونَ مَا يُفْعَلُهُمْ بِهِ رَسُولُ رَبِّهِمْ، فَدَعَا رَبَّهُ ذَاكِرًا فِي دُعَائِهِ أَنَّ قَوْمَ فِرْعَوْنَ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا مَا دَعَا بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

• ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾: أي: لَا خَيْرَ يُرْجَى فِيهِمْ، فَقَدْ بَلَغُوا دَرَكَةَ الْكُفْرِ الْإِجْرَامِيِّ الْعِنَادِيِّ، وَلَعَلَّ خَيْرَ الْعِلَاجِ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِمْ أَنْ يُبْتَرُوا مِنَ الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ.

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِدُعَائِهِ، فَأَمَرَهُ بِأَنْ يَخْرُجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ لَيْلًا، وَأَعْلَمَهُ بِأَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَيَتَّبِعُونَ بِجَيْشِ فِرْعَوْنِي، وَأَشْعَرَهُ بِأَنَّهُ سَيَنْجِيهِمْ مِنْهُمْ، وَسَيَغْرِقُ الْجَيْشَ الْفِرْعَوْنِيَّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بَيَّانٍ مُسْتَقْطَعٍ مِنَ الْحَدِيثِ الْمَاضِي:

• ﴿فَآتَرَ عِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ (٢٣) وَاتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّعْرَفُونَ (٢٤).

• ﴿فَأَنزِلْ بِعَادِي لَيْلًا﴾ : فَأَخْرِجْ مِنْ مِصْرَ عِبَادِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَيْلًا،  
دُونَ أَنْ يُحِصَّ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّكُمْ تَخْرُجُونَ مَهَاجِرِينَ .

يُقَالُ لُغَةً : «أَسْرَى بِفُلَانٍ» أَي : جَعَلَهُ يَسِيرُ فِي اللَّيْلِ .

لَيْلًا: أَي : فِي اللَّيْلِ، وَجِيءَ بِهَذَا الْقَيْدِ لِتَوْكِيدِ إِخْفَاءِ حَرَكَةِ  
الْخُرُوجِ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَكُونَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَالْمِصْرِيُّونَ يَعْطُونَ فِي نَوْمِ  
عَمِيقٍ .

• ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ (٣٢) : أَي : إِنَّ جَيْشَ فِرْعَوْنَ سَيَتَّبِعُونَكُمْ  
لِقَهْرِكُمْ . وَسَأَكُونُ مَعَكُمْ هَادِيًا وَمُنْجِيًا .

وَهُنَا يَأْتِي مَوْقِعُ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الشُّعْرَاءُ/ ٤٧ نزول) وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا :

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَلَأَيْنِ خَشِيرَيْنِ (٥٣) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٤) وَإِنَّهُمْ لَنَا  
لَغَائِطُونَ (٥٥) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاقِدُونَ (٥٦) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامِرٍ  
كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ (٥٩) فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦٠) فَلَمَّا تَرَاءَا  
الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢)  
فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ  
(٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥)﴾ .

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي مَوْقِعِهَا مِنْ سُورَةِ (الشُّعْرَاءُ/ ٤٧  
نزول) .

وَبَعْدَ خُرُوجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مَكَانِ الْفَلْقِ فِي الْبَحْرِ، يَأْتِي مَوْقِعُ  
قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الدُّخَانِ/ ٦٤ نزول) خِطَابًا لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

• ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ (٦٤) : أَي : وَاتْرَكَ الْبَحْرَ  
مُنْفَلِقًا سَاكِنًا إِغْرَاءً لِفِرْعَوْنَ وَجَيْشِهِ أَنْ يَدْخُلُوا مِنْ مَكَانِ الْفَلْقِ يُلَاحِظُونَكُمْ،

مِنْ أَجْلِ أَنْ تُنَـرِقَهُمْ جَمِيعاً قَبْلَ أَنْ يَصِلَ أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَى الشَّاطِئِ الْآخِرِ .

الرَّهْوُ: مَصْدَرُ «رَهَا» أَي: سَكَنَ . وَيُوصَفُ بِهِ عَلَى مَعْنَى: «رَاهُ»  
أَي: سَاكِنٌ . جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ: «رَهَا الشَّيْءُ، رَهَوًّا سَكَنَ - وَكُلُّ  
سَاكِنٍ لَا يَتَحَرَّكُ رَاهٍ، وَرَهْوٌ - وَالْإِزْهَاءُ: الْإِسْكَانُ . وَالرَّهْوُ مَا أَظْمَأَنَّ مِنَ  
الْأَرْضِ وَارْتَفَعَ مَا حَوْلَهُ - وَرَهَا مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ رَهَوًّا، فَتَحَ . الْأَصْمَعِيُّ:  
وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى بَعِيرٍ فَالَجَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، رَهْوٌ بَيْنَ سَنَامَيْنِ، أَي:  
فَجْوَةٌ بَيْنَ سَنَامَيْنِ، وَهَذَا مِنَ الْإِنْهَابِ» .

أقول: مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي ذَكَرَهَا عُلَمَاءُ اللُّغَةِ لِكَلِمَةِ «رَهْوٍ» أَرَى  
أَنَّهَا اخْتِيرَتْ اخْتِياراً ذَالاً عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ مَعَ غَايَةِ الْإِيجَازِ، فَالْمَاءُ  
الْمُرْتَفِعُ السَّاكِنُ عَلَى صُورَةِ جَبَلَيْنِ مِنَ الْجَلِيدِ، وَالْإِنْفِرَاجُ فِي الْبَحْرِ حَتَّى  
الْقَاعِ الْيَابِسِ الَّذِي سَلَكَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ، كُلُّ ذَلِكَ ذَلِكَ  
عَلَيْهِ كَلِمَةُ «رَهْوٍ» إِذْ مِنْ مَعَانِيهَا الشُّكُونُ، وَمِنْ مَعَانِيهَا الْإِنْفِرَاجُ، وَمِنْ  
مَعَانِيهَا الْإِنْخِفَاضُ بَيْنَ مُرْتَفِعَيْنِ .

• ﴿... إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ (٢٤): أَي: وَحِينَ يَكُونُ فِرْعَوْنُ وَجُنْدُهُ  
بَيْنَ الْمَاءَيْنِ الْمُرْتَفِعَيْنِ كَأَنَّهُمَا جَبَلَانِ عَظِيمَانِ، وَقَبْلَ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى  
الشَّاطِئِ الْآخِرِ، سَنَضُمُّ عَلَيْهِمُ الْمَاءَيْنِ الْمُرْتَفِعَيْنِ، وَسَنُغْرِقُهُمُ أَجْمَعِينَ  
بِخَارِقَةٍ لَمْ يَشْهَدْ الْبَشَرُ مِثْلَهَا .

الجُنْدُ: الْعَسْكَرُ، وَالْأَنْصَارُ وَالْأَعْوَانُ، وَيَجْمَعُ عَلَى: أَجْنَادٍ،  
وَجُنُودٍ .

وَتَحَقَّقَتِ الْخَارِقَةُ الْعَجِيبَةُ، وَدَخَلَ فِرْعَوْنُ وَكُلُّ جَيْشِهِ الَّذِي سَاقَهُ  
وَقَادَهُ لِقَاتِلَ مُوسَى وَهَارُونَ وَمَنْ مَعَهُمَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنْ مَكَانِ الْفَرْقِ،  
حَتَّى إِذَا كَانُوا جَمِيعاً بَيْنَ الْمَاءَيْنِ اللَّذَيْنِ كَالطَّوْدَيْنِ أَذِنَ اللَّهُ لِمُوسَى بِأَنْ  
يَضْرِبَ الْبَحْرَ بَعْصَاهُ، لِيَعُودَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ الْفَرْقِ، فَأَجْرَى اللَّهُ آيَتَهُ،

فَانْضَمَّ الْمَاءُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ، وَأَغْرَقَ بِهِ فِرْعَوْنَ وَجَيْشَهُ جَمِيعاً.  
وَتَحَدَّثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ، مُعَقِّباً عَلَى انْتِقَامِهِ مِنْهُمْ بِالْإِهْلَاكِ  
إِغْرَاقاً، فَجَاءَ فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:  
■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمٍ كَانُوا فِيهَا فُكْهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ أَسْمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾:

• ﴿كَمْ﴾ هُنَا خَبَرِيَّةٌ، وَمَعْنَاهَا: عَدَدٌ كَثِيرٌ غَيْرُ مُبَيَّنٍ الْجِنْسِ أَوْ  
النَّوْعِ، وَغَيْرُ مُبَيَّنٍ الْمَقْدَارِ.

• ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾: أَي: فِي أَرْضٍ مِصْرَ الَّتِي خَرَجُوا مِنْهَا طُغَاءَ بُغَاةٍ  
ظَالِمِينَ، يُلَاحِظُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِقِتَالِهِمْ وَإِعَادَتِهِمْ إِلَى الدُّلِّ وَالْإِسْتِعْبَادِ.

• ... مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمٍ كَانُوا فِيهَا  
فُكْهِينَ ﴿٢٧﴾ وَفِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى: [فُكْهِينَ] وَقَدْ سَبَقَ تَوْجِيهُهُمَا.

• ﴿كَمْ﴾ لِبَيَانِ جِنْسِ الْعَدَدِ الْكَثِيرِ الَّذِي تَرَكُوهُ، وَالَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ  
«كَمْ» الْخَبَرِيَّةُ.

• [وَجَنَّاتٍ] جَمْعُ «جَنَّةٍ» وَهِيَ مَا يَحْتَوِي عَلَى أَشْجَارٍ وَثَمَارٍ وَزُرُوعٍ  
وَأَنْهَارٍ وَقُصُورٍ.

• مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ هِيَ عُيُونُ الْمَاءِ الْجَارِي، وَرُبَّمَا كَانَتْ فُرُوعاً  
مُسْتَقَّةً مِنَ النَّيْلِ.

• ﴿وَزُرُوعٍ﴾ أَي: وَمَزْرُوعَاتٍ مُخْتَلِفَاتِ الْأَصْنَافِ وَالْأَنْوَاعِ  
وَالْأَجْنَاسِ، مَفْرُودُهَا «زَرْعٌ».

• ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: أَي: وَمَكَانٍ نَفِيسٍ بَالِغٍ أَحْسَنَ مَا يَطْلُبُونَ أَنْ



يَكُونُ لِقِيَامِهِمْ وَجُلُوسِهِمْ وَحَرَكَتِهِمْ وَاسْتِقْرَارِهِمْ، مَادِّي لِمَتَاعَاتِ أَجْسَادِهِمْ، وَمَعْنَوِي لِمَتَاعَاتِ نَفُوسِهِمْ.

• ﴿وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فَكَهِينَ﴾ (١٧): النِّعْمَةُ: الرَّفَاهِيَّةُ وَطِيبُ الْعَيْشِ، وَحُسْنُهُ وَغَضَارَتُهُ، وَالْمَسْرَةُ، وَالْفَرَحُ، وَالتَّرَفُّةُ.

فَاكِهِينَ: أي: مُسْتَمْتِعِينَ فِيهَا مُرَفَّهِينَ مَسْرُورِينَ.

فَكَهِينَ: في قراءة أبي جعفر، أي: مُسْتَمْتِعِينَ بِطَرِيقِ مُسْتَكْبِرِينَ، وَهَذِهِ تُنَاسِبُ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ، وَآلَهُ، وَالْمُقَرَّبِينَ مِنْهُمْ.

وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَرَكَهَا فِرْعَوْنُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ، فَأَعْرِفْنَاهُمْ، قَدْ أَوْرَثْنَاهَا مَنْ كَانَ الْوَارِثَ لَهَا فِي مِصْرَ مِنْ أَهْلِيهِمْ وَغَيْرِهِمْ.

• ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١٨): أي: كَذَلِكَ الَّذِي حَصَلَ لِفِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مُعْرِقِينَ، حَصَلَ لِأَمْثَالِهِمْ مِنْ مُجْرِمِي الْأُمَمِ، أَهْلَكْنَاهُمْ وَأَوْرَثْنَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي كَانُوا يَمْتَلِكُونَهَا قَوْمًا آخَرِينَ امْتَلَكُوهَا مِنْ بَعْدِ إِهْلَاكِ أَسْلَافِهِمْ، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ.

• ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (١٩):

أي: فَمَا حَزَنَ لِإِهْلَاكِ فِرْعَوْنَ وَمَنْ هَلَكَ مَعَهُ، وَلَا لِإِهْلَاكِ مَنْ أَهْلَكُوا مِنْ مُجْرِمِي الْأُمَمِ الْآخَرَى الَّذِينَ ذَلَّتْ عَلَيْهِمْ عِبَارَةٌ ﴿كَذَلِكَ﴾ ذُو إِحْسَاسٍ يُحَسُّ بِتَكْوِينِهِ الْفِطْرِيِّ بِالْحُزْنِ، عِنْدَ مَوْتِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيَفْعَلُونَ الْخَيْرَ، وَتَنْتَشِرُ مِنْهُمْ أَنْوَارُ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، ذَاتِ التَّأثيرِ الْحَسَنِ فِي الْأَحْيَاءِ وَفِي الْأَشْيَاءِ.

الْبُكَاءُ عَلَامَةٌ عَلَى الْحُزْنِ، وَذِكْرُ نَفْيِ الْبُكَاءِ كِنَايَةٌ عَنْ نَفْيِ الْحُزْنِ، وَالْحُزْنُ مَشَاعِيرُ أَلَمٍ دَاخِلِيٍّ لَدَى مَنْ جَعَلَ اللَّهُ فِي فِطْرَتِهِ الْإِحْسَاسَ بِهِذِهِ الْمَشَاعِيرِ.

أَمَّا الْبَشَرُ فَقَلِمَ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ هَذِهِ الْمَشَاعِرَ، وَكَذَلِكَ الْجِنُّ، فَأَمَّا الْكَفَرَةُ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فَلَا قِيَمَةَ لِحُزْنِهِمْ عَلَى هَلَاكِ أَمْثَالِهِمْ، بَلْ حُزْنُهُمْ مِنْ عُقُوبَاتِ اللَّهِ لَهُمْ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَيَفْرَحُونَ بِهَلَاكِ الْكَفَرَةِ الْمُجْرِمِينَ، لِلْخَلَاصِ مِنْ شُرُورِهِمْ وَجَرَائِمِهِمْ، وَكُلُّ ذِي فِطْرَةٍ يَشْعُرُ بِالْحُزَنِ مِنْ غَيْرِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، كَالْمَلَائِكَةِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِالْحُزَنِ عَلَى هَلَاكِ الْكَفَرَةِ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ هُمْ أَئِمَّةُ أَعدَاءِ اللَّهِ.

وَنَفْيُ بُكَاءِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، هُوَ نَفْيُ حُزَنِ كُلِّ ذِي شُعُورٍ بِالْحُزَنِ فِيهِمَا، تُعْتَبَرُ مَشَاعِرُهُ وَتُرَاعَى فِي مَوَازِينِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَمَا هُوَ الْأَصْلَحُ وَالْأَنْفَعُ فِي الْوُجُودِ.

• ﴿... وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (٢٩): أي: وَمَا كَانَ الَّذِينَ أَهْلِكُوا مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْأُخْرَى، مُنْهَلِينَ، مَهْمَا أَلْحُوا فِي طَلَبِ الْإِمْهَالِ عِنْدَ بَوَادِرِ نُزُولِ الْعَذَابِ فِيهِمْ، لِأَنَّهُمْ قَدْ سَبَقَ أَنْ أُمْهِلُوا إِمْهَالًا طَوِيلًا، فَلَمْ يَرْتَدِعُوا عَنْ غِييِهِمْ عَلَى الرُّغْمِ مِمَّا وَجَّهَ لَهُمْ مِنْ إِنْذَارَاتٍ فِي أَرْمَانٍ قَدْ تَبَاعَدَ مَا بَيْنَهَا، وَبَلَغُوا إِلَى دَرَكِ الْإِجْرَامِ الْعِنَادِيِّ الْمَقْرُونِ بِاسْتِيقَانِهِمْ بِالْحَقِّ.

الْإِنْظَارُ: الْإِمْهَالُ. يُقَالُ لُغَةً: «أَنْظَرُهُ إِنْظَارًا» أي: أَخَّرَهُ وَأَمْهَلَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَتَحَدَّثُ بِإِيجَازٍ شَدِيدٍ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمُنَاسَبَةِ ذِكْرِ إِهْلَاكِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ إِغْرَاقًا، فِي بَحْرِ سُوفٍ (= الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ):

• ﴿وَلَقَدْ فَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْمِهِينَ﴾ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمِ عَلَيِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَيْنَاهُمْ مِنَ الْأَيِّنَاتِ مَا فِيهِ بَلَكَاؤٌ مُبِيتٌ ﴿٣٣﴾:

التوكيد بعبارة «لَقَدْ» مَرَّتَيْنِ فِي هَذَا الْبَيَانِ، وَهُوَ تَوْكِيدٌ فِيهِ مَعْنَى الْقَسَمِ، مُوجَّهٌ لِلْمَعْنِيِّينَ بِالْمَعَالَجَةِ فِي السُّورَةِ، وَهُمْ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي

مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، لِيُشْعِرَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُ سَيُنْجِي رَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مِنْ اضْطِهَادِهِمْ لَهُمْ، وَسَيَخْتَارُهُمْ وَيَرْفَعُ مَكَانَتَهُمْ فَوْقَ الْعَالَمِينَ، وَسَيَنْصُرُهُمْ وَيَفْتَحُ لَهُمُ الْبُلْدَانَ، وَتُخْضِعُ لَهُمْ شُعُوبَ الْأَرْضِ، وَسَيُسْقِطُ مِنْ أَجْلِهِمُ الدُّوَلُ الْعُظْمَى «فارس، والروم، والحبشة» ثُمَّ دَوْلًا أُخْرَى.

أي: وَلَقَدْ خَلَصْنَا بِهَذَا الْإِجْرَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ الْمُذِلِّ، الَّذِي كَانُوا يُعَانُونَهُ مُسْتَعْبِدِينَ فِي مِصْرَ، لِفِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ وَسَائِرِ الْمِصْرِيِّينَ.

وَلَقَدْ اخْتَرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ اخْتِيَارًا قَائِمًا عَلَى عِلْمٍ بِهِمْ وَبِسَائِرِ النَّاسِ فِي زَمَانِهِمْ، لِحَمْلِ الرِّسَالَةِ الَّتِي أَنْزَلْنَاهَا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ، وَتَبْلِيغِهَا لِلنَّاسِ، وَالْقِيَامِ بِوُظَائِفِهَا عِلْمًا وَعَمَلًا وَقُدُورًا حَسَنَةً، وَفَضَّلْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ عَلَى سَائِرِ الْعَالَمِينَ.

وَلَمْ يَكُنْ اخْتِيَارُهُمْ وَلَا تَفْضِيلُهُمْ عَلَى كُلِّ الْعَالَمِينَ فِي جَمِيعِ أَزْمَنَةِ النَّاسِ مِنْ بَعْدِهِمْ، بِدَلِيلٍ أَنَّ اللَّهَ سَلَبَهُمْ هَذَا التَّفْضِيلَ، لَمَّا فَسَقُوا وَفَجَرُوا وَأَدْخَلُوا الْوَثْنِيَّاتِ إِلَى مُجْتَمَعَاتِهِمْ، وَحَرَّفُوا فِي دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَبَدَّلُوا النَّصَّ فِي الْقُرْآنِ عَلَى أَنَّهُ اخْتَارَ الْأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى كُلِّ النَّاسِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَأَبَانَ أَنَّهُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

• ﴿وَعَايَنَهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْوَا مُبَيِّنٌ﴾ (٣٣):

الَّذِي أَرَاهُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي آتَاهَا اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ هِيَ آيَاتُ التَّكَالِيفِ الدِّينِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا امْتِحَانٌ ظَاهِرٌ فِيهِ شِدَّةٌ، لِبَطَاعَتِهِمْ وَامْتِثَالِ أَحْكَامِ رَبِّهِمْ، فِيمَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ، وَفِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، وَمِنْهَا التَّشْدِيدُ عَلَيْهِمْ فِي أَنْ لَا يَكُونُ لَهُمْ عَمَلٌ لِمَصَالِحِ دُنْيَاهُمْ يَوْمَ السَّبْتِ، وَمِنْهَا التَّشْدِيدُ عَلَيْهِمْ فِي أَحْكَامِ الطَّهَارَةِ، وَأَحْكَامِ الذَّبَائِحِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْإِضْرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِمْ.

فَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ امْتِحَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام بِذَبْحِ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ،  
وَمُبَاشَرَةِ تَنْفِيذِهِ مَا امْتَحَنَهُ اللَّهُ بِهِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الصَّافَّاتِ/ ٥٦  
نُزُول):

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْبَتَأُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦١﴾ وَقَدَيْنَهُ بِذَنبٍ عَظِيمٍ ﴿١٦٢﴾﴾

ووصف الله تعالى ما كان فيه بنو إسرائيل في مضر إذ كان آل  
فرعون يسومونهم سوء العذاب، بأنه بلاء من ربهم عظيم في عدة مواضع  
من القرآن المجيد.

فدلني هذا على أن البلاء المبين المراد ببعض الآيات، هو ما في  
الآيات المنزلات في التوراة، التي فيها أحكام دينية مشددة عليهم.  
وبهذا انتهت تدبر الدرس الثالث من دروس سورة (الدخان).  
والحمد لله على معاونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتح.



(٨)

التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (الدخان)  
الآيات من (٣٤ - ٤٢)

قال الله عز وجل:

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾  
فَأَنذَرْتُكَ إِن كُنْتَ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ  
إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبٍ ﴿٣٨﴾ مَا  
خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ  
أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ  
رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيان عن مُشركي مَكَّة إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، بالنُّسْبَةِ إِلَى مَوْقِفِهِمْ مِنْ إنْكَارِ الآخِرَةِ وَالبُعْثِ، مع مُعَالَجَتِهِمْ بالإِقْنَاعِ، وَبِالْإِنْدَارِ بِيَوْمِ الدِّينِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ مَقَالَةٍ يَقُولُهَا وَيُكَرِّرُ قَوْلَهَا الْمَعْنِيُّونَ بِالْعِلَاجِ فِي السُّورَةِ، مِنْ أَئِمَّةِ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ:

• ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٢٥﴾ فَأَتَوْا عِبَادِينَآ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾:

• ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

بِمُنْشَرِينَ: الْإِنْشَارُ: الْإِحْيَاءُ بَعْدَ الْمَوْتِ. «أَنْشَرَهُ إِنْشَارًا» أَي: أَحْيَاهُ بَعْدَ أَنْ أَمَاتَهُ.

يَرُدُّونَ بِهَذَا عَلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (غَافِرٍ/ ٦٠ نزول) مِنْ بَيَانِ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقُولُونَ وَهُمْ يُعَذِّبُونَ فِي النَّارِ: ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾: أَي: كُنَّا أَمْوَاتًا فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِنَا قَبْلَ أَنْ تَنْفُخَ فِيْنَا الرُّوحَ، فَأَحْيَيْتَنَا، وَشَهِدْنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، ثُمَّ أَمَتْنَا فِي آجَالِنَا، ثُمَّ أَحْيَيْتَنَا لِنَلَاقِيَ عَذَابَنَا يَوْمَ الدِّينِ، لِأَنَّنا كُنَّا قَدْ كَفَرْنَا بِمَا أَوْجَبَتْ عَلَيْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِهِ.

فَاعْلَمُوا تَكْذِيبَهُمْ بِأَنَّ الْمَوْتَ الَّتِي يَمُوتُونَهَا بَعْدَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هِيَ الْمَوْتُ الثَّانِيَّةُ، وَزَعَمُوا أَنَّهَا هِيَ الْأُولَى لَا الثَّانِيَّةُ. وَأَعْلَمُوا تَكْذِيبَهُمْ بِالْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ، أَي: فَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا حَيَاةَ إِلَّا الْحَيَاةُ الْأُولَى، وَلَا مَوْتَ إِلَّا الْمَوْتُ الَّتِي تَكُونُ بَعْدَهَا.

وَطَرَحُوا مُعَالَظَةً جَدَلِيَّةً قَالُوا فِيهَا لِلرُّسُولِ وَجَمَاهِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فِي

صِيْحَةٌ إِعْلَامِيَّةٌ: ﴿فَاتُوا يَا أَبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أي: فأخبروا آبائنا الميِّتِينَ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بِنَبَأِ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ.

هَذِهِ مُغَالِطَةٌ مَفْضُوحَةٌ سَاقِطَةٌ بِنَفْسِهَا، فَالرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَهُ، يَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَعْدَ إِنْهَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كُلِّهَا، لِكُلِّ الْخَلَائِقِ، وَلَيْسَ فِي دَعْوَتِهِمْ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُشْعِرُ بِبَعْثٍ لِلْأَمْوَاتِ ضِمْنَ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَالْمُطَالَبَةُ بِإِحْيَاءِ آبَائِهِمْ خُرُوجٌ عَنِ الْمَوْضُوعِ الَّذِي يُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَالْإِحْيَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ دَلِيلُهُ بُرْهَانٌ عَقْلِيٌّ يَعْتَمِدُ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ وَعَدْلِهِ وَضُرُورَةِ تَحْقِيقِ الْجَزَاءِ الْحَكِيمِ، وَإِلَّا كَانَ خَلْقُ النَّاسِ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَبَثًا، وَاللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - مُنْزَعٌ عَنِ الْعَبَثِ، بَلْ كُلُّ تَصَارُيفِهِ فِي كَوْنِهِ حَكِيمَةٌ، مُطَابَقَةٌ لِلْحَقِّ وَالْعَدْلِ. يُضَافُ إِلَى الدَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ بَيِّنَاتُ اللَّهِ الصَّرِيحَةِ فِي كِتَابِهِ الْمَعْجَزِ.

**مَرَا حِلُّ الْجَوَارِ فِي الْقُرْآنِ مَعَ مُنْكَرِي الْبَعْثِ وَيَوْمِ الدِّينِ:**

(١) كَانَ أُنْمَةُ مُشْرِكِي مَكَّةَ يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَالْحَيَاةَ الْآخِرَى، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ، وَالْجَزَاءَ الرَّبَّانِيَّ يَوْمَ الدِّينِ.

وَقَدْ غَرَّهُمْ أَنَّ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا مُشْرِكِينَ وَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ، لَمْ يَتَعَرَّضُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِعَذَابٍ مِنَ اللَّهِ عَلَى شِرْكِهِمْ.

وَأُنْكِرُوا الْبَعْثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحُجَّةِ الْاسْتِيعَادِ، وَعَدَمِ مُشَاهَدَةِ أَمْوَاتٍ مِنْ آبَائِهِمْ يُبْعَثُونَ، وَيُحَدِّثُونَهُمْ عَمَّا شَهِدُوا بَعْدَ الْمَوْتِ.

(٢) حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ لِلرَّسُولِ ﷺ بِشَأْنِ عَظَمِ نَخْرٍ مِنْ عِظَامِ الْمَوْتَى، مَا جَاءَ بَيِّنَاتُهُ فِي سُورَةِ (يَس/٤١ نزول):

﴿... قَالَ مَنْ يُعْجِ الْعَظْمُ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: أي: وهي بِالْيَةِ مُتَفَتِّتَةٌ.

فَعَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ الْجَوَابَ الْبُرْهَانِيَّ الْمُفْهِمَ، فَقَالَ لَهُ فِيهَا:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾. مع  
مَا جَاءَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ فِي السُّورَةِ حَتَّى آخِرِهَا.

(٣) فَرَفَضُوا قَبُولَ هَذَا الْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ، وَأَصْرُوا عَلَى مَوْقِفِهِمْ  
الْمَكْذُوبِ بِالْبَعْثِ وَبِالْجَزَاءِ يَوْمَ الدِّينِ، دُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ إِلَّا  
الاسْتِبْعَادُ وَالِاسْتِغْرَابُ.

دَلَّ عَلَى هَذَا الْمَوْقِفِ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (الإسراء/ ٥٠ نزول).  
فَقَدْ جَاءَ فِيهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُقُنَا إِيَّانَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ \* قُلْ كُونُوا  
جِبَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ  
الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ  
قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لِّئِنَّكُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾.

الرُّفَاتِ: الْحُطَامِ، وَالْفُتَاتُ مِنْ كُلِّ مَا تَكْسَرُ وَأَنْدَقُ.

• ﴿فَسَيَنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: فَسَيُحَرِّكُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ تَحْرِيكًا  
دَالًّا عَلَى الثَّبَاتِ عِنْدَ مَوْقِفِ الْمُسْتَبْعِدِ الْمَتَعَجِّبِ الْمُنْكَرِ.

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذَا النَّصِّ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ سُورَةِ (الإسراء/ ٥٠  
نزول).

(٤) وَمَعَ إِفْحَامِهِمْ بِالذَّلِيلِ الْبُرْهَانِيِّ اسْتَمَرُّوا عَلَى إِضْرَارِهِمْ عَلَى  
إِنْكَارِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ يَوْمَ الدِّينِ، مُدَّعِينَ أَنَّهُ لَا تُوجَدُ حَيَاةٌ أُخْرَى غَيْرُ هَذِهِ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

جَاءَ بَيَانُ إِضْرَارِهِمْ هَذَا فِي سُورَةِ (الأنعام/ ٥٥ نزول) فقال الله  
تَعَالَى فِيهَا:

• ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٢٩) •

(٥) وَجَاءَتِ الْأَدِلَّةُ الْكَثِيرَةُ فِي الْقُرْآنِ الَّتِي تُشَبِّهُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَى بِإِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا.

(٦) وَبَدَأَتْ فِكْرُهُ الْاِفْتِنَاعَ بِالْبُعْثِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ، تَسَرَّبُ إِلَى قُلُوبِ أَتْبَاعِ الْأَيْمَةِ الْمُعَانِدِينَ الْجَاحِدِينَ.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيَانَ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَقَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ (غَافِر/ ٦٠ نزول) يَحْكِي دُعَاءَهُمْ لِرَبِّهِمْ يَلْتَمِسُونَ الْخُرُوجَ مِنْ دَارِ الْعَذَابِ:

﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِيكَ وَلَكِنَّا كُنَّا نَكْفُرُ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (١١) •

أي: كُنَّا أَمْوَاتًا فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِنَا قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيْنَا وَنَحْنُ أَجِنَّةٌ، فَأُحْيَيْنَا، وَشَهِدْنَا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، ثُمَّ آمَنَّا، ثُمَّ أُحْيَيْنَا لِئَلَّا قِيَّ جَزَاءَنَا يَوْمَ الدِّينِ.

فَزَادَ شُعُورَ جَمَاهِيرِ أَتْبَاعِ أَيْمَةِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، بِأَنَّ الْبُعْثَ يَوْمَ الدِّينِ مِنَ الْعَقَائِدِ الَّتِي يَنْبَغِي التَّصْدِيقُ بِهَا.

(٧) عِنْدَئِذٍ خَافَ أَيْمَةُ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ مِنْ أَنْ تَفَلَّتَ جَمَاهِيرُهُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ فَيُؤْمِنُوا وَيَسْلُمُوا، وَتَسْقُطَ بِذَلِكَ زَعَامَتُهُمْ فِي مُجْتَمَعِهِمْ، فَصَارُوا يُرَدِّدُونَ مَقَالَةَ إِعْلَامِيَّةٍ يُنْكِرُونَ بِهَا وُجُودَ مَوْتَتَيْنِ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَصَوَّرُونَ أَنَّ الْجَنِينَ قَبْلَ أَنْ تُنْفَخَ فِيهِ الرُّوحُ، هُوَ إِنْسَانٌ بِخَرِيطَةٍ نَفْسِهِ، لَكِنْ لَا حَيَاةَ لَهُ فَهُوَ مَيِّتٌ، وَجَعَلُوا يُشِيعُونَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ الْإِعْلَامِيَّةَ لِتَشْوِيهِ صُورَةِ الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ الَّذِي جَاءَ فِي سُورَةِ (غَافِر/ ٦٠ نزول).

دَلَّ عَلَى هَذَا مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الدُّخَان/ ٦٤ نزول):



• ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾:

فَادْعُوا وَأَشَاعُوا أَنَّهُ لَمْ تَكُنْ مَوْتُهُ قَبْلَ الْمَوْتَةِ الَّتِي يَمُوتُهَا النَّاسُ بَعْدَ الْعَيْشِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَذَكَّرُوا أَنَّهَا هِيَ الْمَوْتَةُ الْأُولَى لَا الثَّانِيَّةَ، فَقَالُوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾: أي: لَا الثَّانِيَّةَ.

وَأَصْرُوا عَلَىٰ مَوْقِفِهِمْ فِي حَضِيضِ انْكَارِ الْبُعْثِ وَالْحَيَاةِ الْآخَرَىٰ، وَانْكَارِ الْجَزَاءِ عَلَىٰ مَا يَكْتَسِبُهُ النَّاسُ بِاخْتِيَارِهِمُ الْحَرَ فِي رَحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَقَالُوا فِي مُعَالَطَةِ سَاقِطَةِ الرُّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ، بِأَسْلُوبِ دَعَائِيٍّ إِعْلَامِيٍّ: ﴿فَأْتُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

وَقَدْ سَبَقَ آتِفاً شَرَحَ هَذَا النَّصَّ مِنْ سُورَةِ (الدخان/ ٦٤ نزول).

(٨) وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِمُ الْبَيِّنَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، فِي نُصُوصٍ مُتَعَدِّدَةٍ سَابِقَةٍ التَّنْزِيلِ لِسُورَةِ (الجمعة/ ٦٥ نزول) وَمِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حِكَايَةً لِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ لِقَوْمِهِ فِي دَعْوَتِهِ لَهُمْ أَخْذًا مِمَّا جَاءَ فِي سُورَةِ (الشعراء/ ٤٧ نزول):

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُجْزِيهِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾.

فَوَجَدُوا لِأَنْفُسِهِمْ ذَرِيعَةً يَتَعَلَّلُونَ بِهَا، زَاعِمِينَ أَنَّ الْمَوْتَ ظَاهِرَةٌ طَبِيعِيَّةٌ، لِتَوَالِي الْأَزْمَانِ فِي الدَّهْرِ، وَلَيْسَ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ الْخَلْقِ الرَّبَّانِيِّ الْقَائِمِ عَلَىٰ فَضْلِ الرُّوحِ عَنِ النَّفْسِ، فَقَالُوا مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (الجمعة/ ٦٥ نزول):

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ

مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ  
قَالُوا اقْتُلُوا بِأَبْنَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم مِّمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يَجْعَلُ لَكُمْ يَوْمَ  
الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ❖

فَأَصْرُوا بِعِنَادٍ غَيْرِ مُقْتَرِنٍ بِدَلِيلٍ فِكْرِي، عَلَى أَنَّهُ لَا تُوجَدُ لَهُمْ حَيَاةٌ  
إِلَّا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَكَذَلِكَ سَائِرُ النَّاسِ، يَمُوتُ مَوْتِي، وَيَحْيَا أَحْيَاءُ  
عَنْ طَرِيقِ التَّنَاسُلِ، وَسَبَبُ الْمَوْتِ تَوَالِي الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالسِّنِينَ، الَّذِي  
يَضْعُفُ بِهِ الْأَحْيَاءُ عَنِ الصُّمُودِ لِعَوَارِضِ الدَّهْرِ، فَيَمُوتُونَ، ضِمْنَ ظَاهِرَةِ  
طَبِيعِيَّةٍ.

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ عَنْ عِلْمٍ قَائِمٍ عَلَى  
التَّجَرُّبَةِ وَالْمُلاحَظَةِ وَالدرَاسَةِ التَّبْعِيَّةِ لِدَقَائِقِ الْأُمُورِ، بَلِ الْمَوْتُ نَتِيجَةُ فِعْلِ  
رَبَّانِي مَسْبُوقٍ بِتَقْدِيرٍ وَقَضَاءٍ، وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا  
مُؤَجَّلًا، مُحَدَّدَ الْأَجَلِ.

كَمَا أَنَّ الْحَيَاةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِاقْتِرَانِ الرُّوحِ بِالنَّفْسِ، فَالْمَوْتُ لَا يَكُونُ  
إِلَّا بِانْفِصَالِ الرُّوحِ عَنِ النَّفْسِ، وَكُلٌّ مِنَ الْاِقْتِرَانِ وَالْانْفِصَالِ مِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ.  
كَمْ مِنْ صَحِيحٍ قَوِيٍّ سَلِيمٍ لَا عِلَّةَ فِي أَعْضَائِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ،  
يَمُوتُ دُونَ مَعْرِفَةِ سَبَبِ لِمَوْتِهِ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَصَلَ رُوحَهُ عَنْ نَفْسِهِ.

وَكَمْ مِنْ عَليْلِ مَرِيضٍ يُحَدِّدُ الْأَطْبَاءُ حَيَاتَهُ بِأَيَّامٍ أَوْ شُهُورٍ، يَعِيشُ فِي  
عِلَلِهِ سِنِينَ عَدِيدَةً، حَتَّى إِذَا جَاءَ أَجَلُهُ الْمَعْلُومُ عِنْدَ رَبِّهِ، انْفَصَلَتْ رُوحُهُ  
عَنْ نَفْسِهِ، بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي كَانَ قَدْ وَهَبَهُ الْحَيَاةَ.

وَمَزَاعِمُ الَّذِينَ نَسَبُوا الْمَوْتَ إِلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ مِنَ الدَّهْرِ مَزَاعِمُ قَائِمَةٌ  
عَلَى ظَنٍّ تَوْهُمِيٍّ ضَعِيفٍ، لَا يَتَرَجَّحُ بِهِ رَأْيٌ عِلْمِيٌّ.

وَهَؤُلَاءِ الدَّهْرِيُّونَ إِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ الْبَيِّنَاتُ، الْمَشْتِمَلَاتُ  
عَلَى الْحُجَجِ الْبُرْهَانِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، لَجَّؤُوا إِلَى مُعَاظِنَتِهِمُ السَّاقِطَةِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ

وللمؤمنين بُفُجُورٍ إِعْلَامِيٍّ: اثْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ بِنَبَأِ الْبَعْثِ والحياة بعد الموت.

فَعَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ يَهُدُوهُ وَطَمَانِينَهُ وَبُرُودَهُ  
أَعْصَابَ فَقَالَ لَهُ: ﴿قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم ثُمَّ يُيَسِّرُكُمْ ثُمَّ يَجْعَلُكُمْ لِكُلِّ يَوْمٍ أَلْفَمَةً لَا رَبَّ  
فِيهِ ...﴾ ﴿٦٦﴾.

وَعَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ وَكُلَّ حَامِلٍ رِسَالَتَهُ مِنْ أُمَّتِهِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿...  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ أَي: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُحِبُّونَ أَنْ  
يَعْلَمُوا الْحَقَّ، مَهْمَا قَامَتْ لِلْإِنْفَاعِ بِهِ قَوَاطِعُ الْأَدِلَّةِ، لِأَنَّهُمْ مُتَشَبِّثُونَ  
بَاهْوَائِهِمْ وَلَذَاتِهِمْ وَمَتَاعَاتِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، الَّتِي يُطَالِبُهُمُ الْحَقُّ بِمُخَالَفَةِ  
نُفُوسِهِمْ فِيهَا، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يَنْطَلِقُوا فِيهَا فَاجِرِينَ.

(٩) وَلَمَّا لَمْ تُؤْثَرِ فِيهِمُ الْمُعَالَجَاتُ السَّابِقَاتُ ضَرَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
لَهُمْ مَثَلًا بِعَادِ قَوْمِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُمْ قَالُوا مِثْلَ قَوْلِهِمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى  
الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَكَانَتْ عَاقِبَتُهُمْ أَنْ أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ  
سُلْطَانُهُ بِالصَّيْحَةِ.

دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (المؤمنون/ ٧٤ نزول) مُبَيِّنًا  
مَا قَالَهُ مَلَأَ قَوْمِ عَادٍ لِحِمَاهِمُ صَدًّا لَهُمْ عَنْ دَعْوَةِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
لِلْإِيمَانِ بِيَوْمِ الدِّينِ:

﴿أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِثْمُ وَكُنْتُمْ تَرَابًا وَعِظْلَمًا أَنْكُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ هَبَاتِ  
هَبَاتٍ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ  
﴿٢٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبِّ  
انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْحَبَنَّ نَدِيمَيْنِ ﴿٣٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ  
بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلسَّعْيِ وَالْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾.

## متابعة تدبر سورة (الدخان):

بَعْدَ هَذِهِ الدَّرَاسَةِ الْمُعْتَرِضَةِ أَعُوذُ إِلَى اسْتِكْمَالِ تَدْبِيرِ آيَاتِ الدَّرْسِ  
الرَّابِعِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الدُّخَانِ).

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمَعَالِجِينَ فِي السُّورَةِ، وَهُمْ أَيْمَةُ الشُّرْكِ  
وَالْكُفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ.

• ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾﴾:

تُبِيعَ: لَقَبٌ كَانَ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ يَمْلِكُ جَمِيعَ بِلَادِ الْمَنِّ، وَهِيَ:  
«حِمِيرٌ، وَسَبَأٌ، وَحَضْرَمَوْتٌ».

وَذَكَرَ أَنَّ كُنْيَتَهُ: «أَبُو كَرَبٍ» وَأَنَّ اسْمَهُ: «أَسْعَدُ» وَأَنَّ سُلْطَانَهُ قَدْ  
عَظُمَ، وَغَزَا بِلَادَ الْعَرَبِ، وَدَخَلَ مَكَّةَ، وَتَثَرَبَ، وَبَلَغَ الْعِرَاقَ.

وَذَكَرَ أَنَّ دَوْلَتَهُ كَانَتْ قَبْلَ الْبِعْثَةِ الْمَحْمَدِيَّةِ بِنَحْوِ أَلْفِ سَنَةٍ، أَوْ أَقَلَّ  
مِنْ ذَلِكَ.

وَجَاءَ فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا  
تُبْعًا فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ» وَفِي رِوَايَةٍ: «كَانَ مُؤْمِنًا».

وَيُمْكِنُ أَنْ يُفْهَمَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ، أَنَّ تُبْعًا لَمْ يُهْلِكْ مَعَ قَوْمِهِ  
الْمُجْرِمِينَ.

فَالْمَعْنَى: أَمْشَرِكُو مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ بِعِنَادِهِمْ وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ،  
خَيْرٌ بِتَكْوِينِهِمُ الذَّاتِيِّ، أَوْ بِقُوَّتِهِمْ وَعِلْمِهِمْ وَحَضَارَتِهِمْ، مِنْ قَوْمٍ تُبِيعَ الَّذِينَ  
كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً، وَأَكْثَرَ عَدَدًا، وَأَحْسَنَ حَضَارَةً، وَأَوْسَعَ عِلْمًا،  
فَأَهْلَكْنَاهُمْ عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَجَرَائِمِهِمْ، وَمِثْلُهُمُ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ مِنْ  
الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِهِمْ، قَوْمُ نُوحٍ، وَقَوْمُ هُودٍ، وَقَوْمُ صَالِحٍ، وَقَوْمُ لُوطٍ، وَقَوْمُ  
شُعَيْبٍ، وَفِرْعَوْنُ وَجُودُهُ، كُلُّ هَؤُلَاءِ قَدْ أَهْلَكْنَاهُمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ،

كَفَرُوا بِرُسُلِ رَبِّهِمْ، وَكَذَّبُوا بِيَوْمِ الدِّينِ، وَكُفَّارُ مَكَّةَ الْمُجْرِمُونَ الْمُعَانِدُونَ لَيْسُوا خَيْرًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُهْلِكِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، فَإِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ أَنْ يُهْلِكَهُمْ أَهْلَكَهُمْ، فَسُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَاحِدَةٌ، كُلُّهُمْ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ وَعَبِيدٌ مِنْ عِبَادِهِ، وَكُلُّهُمْ مَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

الاستفهام في العبارة استفهام إنكاري، أي: لَيْسَ كُفَّارُ مَكَّةَ الْمُعَانِدُونَ الْمُجْرِمُونَ، خَيْرًا مِنَ الْمُهْلِكِينَ الْكَفَرَةِ الْمُجْرِمِينَ السَّابِقِينَ، فَهُمْ بِكُفْرِهِمْ وَجَرَائِمِهِمْ يُعَرِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ لِهَلَاكِ مُنَاطِرٍ لِهَلَاكِ الَّذِي أَهْلَكَ بِهِ الْمُجْرِمُونَ السَّابِقُونَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُشِيرُ إِلَى تَنْزِهِ جَلَّ جَلَالُهُ عَنِ الْعَبَثِ وَاللَّعِبِ، فِي خَلْقِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلِهَذَا فَإِنَّ الْعَقْلَ يَقْضِي بَأَنَّ يَوْمَ الدِّينِ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلَ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزَ الْجَزَاءِ، مِنَ الْأُمُورِ الْيَقِينِيَّةِ تَقْتَضِيهَا حِكْمَةُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَوْلَا وُجُودُ يَوْمِ الدِّينِ فِي حُطَّةِ الْبَارِئِ، لَكَانَ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمِمَّا بَيْنَهُمَا الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ اللَّعِبِ وَالْعَبَثِ:

• ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبٍ ۖ ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾:

إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَقْبُولِ عَقْلًا، أَنَّ يَخْلُقَ اللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ الْقَدِيرُ، مَخْلُوقَاتٍ لَهَا إِرَادَاتٌ ذَوَاتُ حُرِّيَّاتٍ، تَفْعَلُ بِهَا مَا تَشَاءُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَظُلْمٍ وَعُدْوَانٍ، وَكُفْرٍ وَعِصْيَانٍ، وَأَنْ يُسَخَّرَ لَهَا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، دُونَ أَنْ يُتَابَعَ الْمُسِيءُ بِالْعِقَابِ بِالْعَدْلِ، وَالْمُحْسَنُ بِالثَّوَابِ بِالْفَضْلِ.

وَبِمَا أَنَّ ظُرُوفَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَا يَتَحَقَّقُ فِيهَا هَذَا الْأَمْرُ الْحَكِيمُ، فَلَا

بَدْ مِنْ وُجُودِ حَيَاةٍ أُخْرَىٰ غَيْرَ هَذِهِ الْحَيَاةِ يَتَحَقَّقُ فِيهَا، وَإِلَّا كَانَ هَذَا الْخَلْقُ عَمَلًا بَاطِلًا، وَاللَّهُ الْكَامِلُ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ مُنَزَّهُ عَنِ هَذَا الْعَمَلِ الْبَاطِلِ.

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا حَالَةً كَوْنِهِ لَاعِبًا، وَأَبَانَ أَنَّهُ مَا خَلَقَهَا إِلَّا بِالْحَقِّ، إِذْ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِي كَوْنِهِ حَقًّا، مُجَازَاةُ الْمُسِيءِ بِالْعَدْلِ وَلَا سِيَمًا إِذَا كَانَ فِي إِسَاءَتِهِ ظُلْمٌ لِلْعِبَادِ، وَمُجَازَاةُ الْمُحْسِنِ بِالْمُكَافَاةِ الَّتِي تُرْضِيهِ.

• ﴿... وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٩): أي: وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يُحِبُّونَ أَنْ يَعْلَمُوا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، لِئَلَّا يَكُونَ عِلْمُهُمْ بِهَا دَافِعًا لَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِهَا، وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا عَلَى خِلَافِ مَا يُحِبُّونَ مِنْ دُنْيَاهُمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًّا أَنَّ يَوْمَ الدِّينِ هُوَ يَوْمُ الْفَضْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَنَّهُ الْمِيقَاتُ الْمُحَدَّدُ بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ، لِكُلِّ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِتِّلَاءِ:

• ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٠) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٢):

بَعْدَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ يَوْمَ الدِّينِ حَقٌّ، تَقْتَضِيهِ صِفَةُ حِكْمَةِ اللَّهِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْبَيَانِ هُنَا، تَقْدِيمُ لَمَحَهِ تَفْصِيلِيَّةٍ عَنْ يَوْمِ الدِّينِ، فِيهَا تَرْهِيْبٌ لِلْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ الْمُجْرِمِينَ.

• ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٠):

**الفصل:** الفرق والتَّمْيِيزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ أَوْ الْأَشْيَاءِ. وَيُقَالُ: «فَصَلَ الْحَاكِمُ بَيْنَ الْخَصْمَيْنِ» أي: قَضَى بَيْنَهُمَا. و«فَصَلَ فُلَانٌ الْأَمْرَ» أي: قَضَاهُ وَأَبْرَمَهُ وَبَتَّهُ. وَسَمَّى اللَّهُ هُنَا يَوْمَ الدِّينِ: «يَوْمَ الْفَضْلِ» لِأَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ

وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - يَقْضِي فِيهِ بَيْنَ الْعِبَادِ، الْمُحْسِنِينَ وَالْمُسِيئِينَ فِي رِحْلَةِ  
الامْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِيُجَازِيَهُمْ بِحَسَبِ مَا قَدَّمُوا مِنْ أَعْمَالٍ.

الْمِيقَاتُ: يُطْلَقُ عَلَى الْوَقْتِ الْمَعْيَّنِ لِفِعْلٍ مَا. وَعَلَى الْمَوْعِدِ الَّذِي  
جُعِلَ لَهُ وَقْتُ مُحَدَّدٍ... وَعَلَى الْمَكَانِ الَّذِي حُدِّدَ لِفِعْلٍ شَيْءٍ مَا.

وَيَوْمَ الدِّينِ الْمَشْتَمِلُ عَلَى مَكَانِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَعَلَى تَحْقِيقِ  
الْغَايَةِ مِنْ وَضْعِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، هُوَ يَوْمٌ يَكُونُ فِيهِ  
فَضْلُ الْقَضَاءِ بَيْنَ مُحْسِنِهِمْ وَمُسِيئِهِمْ.

أَجْمَعِينَ: تَوْكِيدٌ لِلضَّمِيرِ فِي ﴿مِيقَاتُهُ﴾ وَهَذَا الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى  
الْمَكْذِبِينَ يَوْمَ الدِّينِ، وَهُوَ يَشْمَلُ فِي الْوَاقِعِ كُلَّ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

• ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤١):

لَا يُغْنِي: أَي: لَا يَكْفِي، وَلَا يَصْرِفُ مِمَّا يَقْضِيهِ اللَّهُ شَيْئًا.

مَوْلًى: أَي: قَرِيب - حَلِيف - مُجِب - نَاصِر.

فَالْمَعْنَى: يَوْمَ يَكُونُ الْحُكْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا يَكْفِي أَحَدٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
أَمْرًا لِأَحَدٍ، وَلَا يَصْرِفُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا مِمَّا يَقْضِيهِ اللَّهُ، مَهْمَا كَانَ  
قَرِيبًا، أَوْ مُجِبًّا، أَوْ نَاصِرًا.

وَعَلَى فَرَضٍ وَجُودٍ تَنَاصَرِ بَيْنَ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ، فَإِنَّهُمْ لَا يُنصَرُونَ، إِذَا  
الْأَمْرُ أَمْرُ اللَّهِ، وَالْقَضَاءُ قَضَاؤُهُ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ.

• ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٢):

أَي: إِلَّا مَنْ شَمَلَتْهُ رَحْمَةُ اللَّهِ بِسَبَبِ إِيْمَانِهِ، وَصِحَّةِ نِيَّتِهِ بِابْتِغَاءِ طَاعَةِ  
رَبِّهِ فِي بَعْضِ أَعْمَالِهِ، فَقَدْ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنْهُ بَعْضَ مَا يَسْتَحِقُّ مِنْ عِقَابٍ عَلَى

مَعَاصِيهِ، فَيَغْفِرُ لَهُ، أَوْ يَغْفِرْ عَنْهُ، وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتٍ وَكَبَائِرَ كَانَ قَدْ ارْتَكَبَهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

أَمَّا مَنْ مَاتَ كَافِرًا وَلَوْ بِالشُّرْكِ، فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا تَشْمَلُهُ لِنَجَاتِهِ مِنَ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِي سُورَةِ (النِّسَاء/ ٩٢ نزول):

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ۝﴾:

وَبَدَهِىَ أَنَّ الشُّرْكَ أَخْفُ دَرَكَاتِ الْكُفْرِ وَأَهْوَنُهَا، وَالشُّرْكَ نَفْسُهُ دُو دَرَكَاتٍ بَعْضُهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ، وَأَخْفُ الشُّرْكِ عِبَادَةُ غَيْرِ اللَّهِ بِقَصْدِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَهَذَا كُفْرٌ بِاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِمَنْ مَاتَ عَلَيْهِ.

وَجَاءَ فِي آخِرِ الْآيَةِ وَصِفُ اللَّهِ بِأَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ بِعِزَّتِهِ الْغَالِبَةِ يَجْزِي بِالْعَدْلِ، مَنْ تَقْتَضِي حِكْمَتُهُ أَنْ يَجْزِيَهُ بِالْعَدْلِ، وَبِرَحْمَتِهِ الْعَظِيمَةِ يَجْزِي بِالْفَضْلِ وَبِالْعَطَاءِ الْجَزْلَ، مَنْ تَقْتَضِي حِكْمَتُهُ أَنْ يَجْزِيَهُ بِهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَاتَ مُؤْمِنًا مُسْلِمًا.

الْعَزِيزُ: ذُو الْقُوَّةِ الْغَالِبَةِ الَّتِي لَا تَصُدُّهَا قُوَّةٌ.

الرَّحِيمُ: ذُو الرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

وَدَلَّ عَلَى الْحَضَرِ تَغْرِيفُ طَرَفِي الْإِسْنَادِ مَعَ التَّوَكِيدِ بِضَمِيرِ الْفَضْلِ فِي: ... إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ (٤٢).

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الرَّابِعِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الدَّخَانِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.





(٩)

## التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (الدخان) الآيات من (٤٣ - ٥٧)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾

### القراءات:

(٤٥) • قرأ ابن كثير، وحفص، ورؤيس: [يَغْلِي] وَضَفًا لـ «طعام».  
وقرأها باقي القراء العشرة: [تَغْلِي] وَضَفًا لـ «شجرة».

(٤٧) • قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: [فَاعْتِلُوهُ] بِضَمٍّ

التاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَاعْتِلُوهُ] بِكَسْرِ التاء. والقراءتان لغتان  
عَرَبِيَّتَانِ.

(٤٩) • قرأ الكسائي: [ذُقْ إِنَّكَ] أَي: لِإِنَّكَ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [ذُقْ إِنَّكَ] على الابتداء، والجُمْلَةُ كُلُّهَا  
هي على مَعْنَى التعليل لِتُزُولَ العذاب به.

(٥١) • قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: [مُقَام] مِنْ فِعْلِ «أَقَام»  
وقراها باقي القراء العشرة: [مَقَام] مِنْ فِعْلِ «قَام».

(٥٢) • قرأ ابن كثير، وابنُ ذَكْوَانَ، وشُعْبَةُ، وحمزة، والكسائي:  
[وَعِيُونٍ] بِكَسْرِ الْعَيْنِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَعِيُونٍ] بِضَمِّ الْعِيُونِ. وهما لُعْتَانِ  
عَرَبِيَّتَانِ.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيانٌ عَنْ شَجَرَةِ الرَّقُومِ فِي الْجَحِيمِ، الَّتِي  
يَكُونُ مِنْهَا طَعَامُ الْأَيْمِ الْعَالِي فِي جَزَائِمِهِ وَأَثَامِهِ.

وفيها عَرَضُ مَشْهَدَيْنِ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الدِّينِ:

المشهدُ الأولُ: يَتَضَمَّنُ بَيَانَ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ عَذَابِ الْكَافِرِ الْمُجْرِمِ  
فِي الْجَحِيمِ.

المشهدُ الثاني: يَتَضَمَّنُ بَيَانَ بَعْضِ نَعِيمِ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ،  
فِي مُقَابِلِ بَيَانِ عَذَابِ الْكَافِرِينَ الْمُجْرِمِينَ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ تَرْهِيْبَ الْمَكْذِبِينَ يَوْمِ الدِّينِ، بِمَا أُعِدَّ لَهُمْ  
مِنْ طَعَامٍ يَأْكُلُونَهُ فِي الْجَحِيمِ:

• ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَيْمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي  
الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾:

سَبَقَ فِي الْمُلْحَقِ الثَّانِي لِتَدْبِيرِ سُورَةِ (الواقعة/ ٤٦ نزول) دِرَاسَةً شَامِلَةً

لِكُلِّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بِشَأْنِ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ<sup>(١)</sup>.

شَجَرَةُ الزَّقُّومِ: صِنْفُ شَجَرٍ فِي جَهَنَّمَ دَارِ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ، لَهُ ثَمَرٌ يَأْكُلُ مِنْهُ الْأَثِيمُونَ اضْطِرَاراً لِشِدَّةِ جُوعِهِمْ وَعَدَمِ وُجُودِ شَيْءٍ آخَرَ أَهْوَنَ مِنْهُ يَأْكُلُونَهُ.

• ﴿الْأَثِيمِ﴾: هُوَ الْمُسْرِفُ الْعَالِي فِي ارْتِكَابِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ، فَهُوَ يَخْتَصُّ بِالْكَافِرِ الْفَاجِرِ الَّذِي كَانَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةِ الْاِمْتِحَانِ يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَبِكُلِّ الْأَحْدَاثِ الَّتِي تَجْرِي فِيهِ.

أَي: إِنَّ طَعَامَ الْكَفَرَةِ الْمُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ الْمُسْرِفِينَ الْعُلَاةَ فِي ارْتِكَابِ الْآثَامِ، يَكُونُ مِنْ صِنْفِ شَجَرٍ يُنْبِتُهُ اللَّهُ فِي الْجَحِيمِ اسْمُهُ «الزَّقُّوم».

وَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَأْكُلُهُ هَؤُلَاءِ مِنْ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ الشَّجَرِ بِقَوْلِهِ:

• ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۖ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ۖ﴾ (٤٥):

أَي: فَالْمَأْكُولُ مِنْهُ كَالْمُهْلِ، وَإِذَا دَخَلَ فِي بُطُونِ آكِلِيهِ صَارُوا يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُ يَغْلِي فِيهَا كَغَلِيِّ الْمَاءِ الْحَارِّ.

الْمُهْلُ: يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْقَطْرَانِ السَّائِلِ، وَالْمَعْدِنِ الذَّائِبِ، وَدُرْدِي الزَّيْتِ (أَي: عَكْرِ الزَّيْتِ).

يَغْلِي: أَي: يَقُورُ مِنْ شِدَّةِ الْحَرَارَةِ، يُقَالُ لُغَةً: «غَلَتِ الْقِدْرُ، تَغْلِي، غَلِيًّا وَغَلِيَانًا» أَي: فَارَتْ، وَطَفَحَتْ بِقُوَّةِ الْحَرَارَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَصِفُ مَشْهُدًا مِنْ مَشَاهِدِ الْأَثِيمِ وَهُوَ يُجْرُ إِلَى وَسْطِ

(١) انظر هذا المَحْلُوقُ فِي الْمَجْلَدِ الثَّامِنِ فِي الصِّحَفَاتِ مِنْ (٥٢٥ - ٥٤٠).

الْجَحِيمِ، وَتُؤْمَرُ مَلَائِكَةُ التَّعْذِيبِ بِصَبِّ الْمَاءِ الَّذِي يَغْلِي فَوْقَ رَأْسِهِ:

• ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ  
الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ  
تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾:

هَذَا الْبَيَانُ مُقْتَطَعٌ افْتِطَاعاً مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي سَوْفَ يَكُونُ يَوْمَ الدِّينِ،  
وَفَقَّ الْأُسْلُوبَ الْقِرَائِيَّ فِي الْافْتِطَاعِ مِنَ الْمَاضِي أَوْ الْمُسْتَقْبَلِ، وَهُوَ مِنْ  
رَوَائِعِ الْاِخْتِيَارَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ.

سَوْفَ يُقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ الْمَكْلَفِينَ أَنْ يُوصِلُوا الْأَئِيمَ إِلَى دَرَكَةِ عَذَابِهِ فِي  
الْجَحِيمِ:

• ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾: أَي: خُذُوهُ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَنْتَظِرُ فِيهِ تَنْفِيزَ  
قَضَاءِ اللَّهِ بِشَأْنِهِ، وَهُوَ تَعْذِيبُهُ فِي دَرَكَةِ عَذَابِهِ فِي الْجَحِيمِ، فَجَرُّهُ جَرّاً  
عَنِيفاً مَسْحُوباً عَلَى مَا يُلَاقِي جِسْمَهُ مِنْ أَرْضِ الْمَحْشَرِ.

يُقَالُ لُغَةً: «عَتَلَهُ، يَعْتِلُهُ، وَيَعْتَلُهُ، عَتَلًا» أَي: جَرَّهُ جَرّاً عَنِيفاً،  
وَجَذَبَهُ، وَحَمَلَهُ كَمَا تُحْمَلُ الْأَشْيَاءُ الْمَهِينَةُ.

وَلَا بُدَّ أَنْ يُذْرَكَ الْمَتَدَبِّرُ مَا فِي هَذَا الْعَثَلِ مِنْ إِهَانَةٍ وَتَحْقِيرٍ وَإِذْلَالٍ  
وَتَعْذِيبٍ.

• ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: أَي: وَأَوْصِلُوهُ إِلَى وَسْطِ الْجَحِيمِ وَاطْرَحُوهُ،  
قَالَ الرَّجَّاجُ: سَوَاءٌ كُلُّ شَيْءٍ وَسْطُهُ.

• ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾: دَلَّ حَرْفُ الْعُظْفِ  
«ثُمَّ» عَلَى وُجُودِ فَاصِلٍ بَعِيدٍ بَيْنَ مَكَانِ انْتِظَارِهِ فِي الْمَحْشَرِ، وَمَكَانِ تَعْذِيبِهِ  
فِي وَسْطِ الْجَحِيمِ.

الْجَحِيمِ: اسْمٌ عَلِمَ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ، وَكُلُّ نَارٍ عَظِيمَةٍ فِي مَهْوَاةٍ  
تُسَمَّى جَحِيمًا.

• ﴿مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾: أي: مِنَ الْمَاءِ الْحَارِّ الَّذِي يَغْلِي، وفيه تَغْذِيبٌ لَهُ. وَلَمَّا كَانَ الْعَرَضُ مِنْ صَبِّ الْحَمِيمِ فَوْقَ رَأْسِهِ إِصْطَالَ الْعَذَابُ إِلَيْهِ، كَانَ التَّغْيِيرُ بِالصَّبِّ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ، أَوَّلَى مِنَ التَّعْبِيرِ بِالصَّبِّ مِنْ الْحَمِيمِ الَّذِي فِيهِ عَذَابٌ لَهُ، وَالْإِضَافَةُ فِي: ﴿مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ هِيَ عَلَى تَقْدِيرِ حَرْفِ «مِنْ» أَي: مِنْ عَذَابٍ مِنَ الْحَمِيمِ.

• ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾: أي: يُقَالُ لَهُ مَعَ صَبِّ الْمَاءِ الْحَمِيمِ الَّذِي يَغْلِي فَوْقَ رَأْسِهِ الَّذِي يَغْمُ بَدَنَهُ وَهُوَ قَائِمٌ: ذُقْ هَذَا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ الَّذِي سَبَبَهُ لَكَ كُفْرُكَ بِمَا جَاءَكَ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، إِذْ كُنْتَ فِي رِحْلَةٍ امْتِحَانِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَكُفْرُكَ الْعِنَادِي، وَجُحُودُكَ الْحَقَّ سَبَبَهُ لَكَ تَوَهُّمُكَ أَنْتَ وَحْدَكَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ، فَلَا يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَتَّبِعَ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ، وَأَنْ تَعْمَلَ بِكِتَابِ أَنْزَلَهُ، لِيَعْمَلَ عِبَادُهُ الْمَكْلُفُونَ بِمَا جَاءَ فِيهِ مِنْ بَيِّنَاتٍ لَهُمْ، وَأَوَامِرَ وَنَوَاهِي، وَلِيَسِيرُوا عَلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ.

الْعَزِيزُ: أَي: الْقَوِيُّ الْغَالِبُ.

الْكَرِيمُ: أَي: الْجَامِعُ لِأَحْسَنِ صِفَاتِ الرِّجَالِ.

هَكَذَا كَانَ يَتَوَهَّمُ ذَاتَهُ، مِنْ شِدَّةِ غَلَبَانِ عَوَامِلِ الْكِبَرِ بِنَفْسِهِ، وَالْإِعْجَابِ بِصِفَاتِهِ، إِذْ كَانَ فِي رِحْلَةٍ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَيُقَالُ لَهُ هَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ وَالِاسْتِهْزَاءِ، كَمَا كَانَ يَسْتَهْزِئُ بِعِبَادِ اللَّهِ، وَيَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، وَيَحْتَقِرُهُمْ.

جاءَ فِي سَبَبِ النُّزُولِ مَا أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُودِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ أَبُو جَهْلٍ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ، فَلَمَّا بَعُدَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أُولَى لَكَ فَأُولَى ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى».

فَلَمَّا سَمِعَ أَبُو جَهْلٍ قَالَ: مَنْ تُوعِدُ يَا مُحَمَّدٌ؟.

قال: إِيَّاكَ.

قال: بِمَ تُوعِدُنِي؟

قَالَ: «أُوْعِدُكَ بِالْعَزِيزِ الْكَرِيمِ».

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: أَلَيْسَ أَنَا الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ.

فَانزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْآيَاتِ مِنْ (٤٣ - ٤٩) مِنْ سُورَةِ (الدُّخَانِ/٦١

نزول).

حَصَرَ أَبُو جَهْلٍ وَصَفَى الْعَزِيزَ الْكَرِيمَ بِنَفْسِهِ بِتَعْرِيفِهِ طَرَفِي الْإِسْنَادِ،  
فَنَاسَبَ أَنْ يُقَالَ لَهُ وَلِأَمْثَالِهِ، وَهُوَ يُعَذِّبُ بِالْحَمِيمِ فِي الْجَحِيمِ: دُقْ إِنَّكَ  
أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ، إِهَانَةً وَإِذْلَالًا وَتَحْقِيرًا وَاسْتِهْزَاءً بِهِ.

• ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥١﴾﴾: بَعْدَ تَعَذِيبِ الْأَيْمِينِ أَفْرَادًا،  
وَخِطَابِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِصُورَةٍ إِفْرَادِيَّةٍ خِطَابُ إِهَانَةٍ وَإِذْلَالٍ وَتَحْقِيرٍ  
وَاسْتِهْزَاءٍ بِهِ، يُوجِبُهُ لَهُمْ خِطَابُ عَامٍّ، وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ، إِنَّ هَذَا الْعَذَابُ  
الَّذِي تَذَوَّقُونَهُ الْآنَ فِي الْجَحِيمِ، هُوَ مَا كُنْتُمْ بِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تُجَادِلُونَ مُكَذِّبِينَ بِهِ، مُتَوَهِّمِينَ أَنَّكُمْ بِجَدَالِكُمْ تُغَيِّرُونَ مِنَ  
الْوَاقِعِ الْحَقِّ شَيْئًا.

تَمْتَرُونَ: أَي: تُجَادِلُونَ عَلَى مَذْهَبِ الشَّكِّ وَالرَّيْبَةِ، لِإِبْطَالِ الْحَقِّ  
الَّذِي جَاءَكُمْ بِهِ رُسُلُ رَبِّكُمْ، مَعَ أَنَّهُ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ، أَي: لَا شَكَّ فِيهِ.

الْمِرْيَةُ: الْجَدَلُ - وَالشَّكُّ. يُقَالُ لُغَةً: «مَا رَأَهُ، مُمَارَاةً، وَمِرَاءً» أَي:  
جَادَلَهُ وَنَظَرَهُ. وَيُقَالُ: «تَمَارَى الْقَوْمُ» أَي: تَجَادَلُوا.

و«التماري، والمُمَارَاة» المَجَادَلَةُ عَلَى مَذْهَبِ الشَّكِّ وَالرَّيْبَةِ، لَا عَلَى  
مَذْهَبِ الْبَحْثِ عَنِ الْحَقِّ بُغْيَةً الْوُصُولِ إِلَيْهِ وَالاعْتِرَافِ بِهِ.

يُقَالُ لِلْمُنَاطِرَةِ: «مُمَارَاة» لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَنَاطِرِينَ يَسْتَخْرِجُ مَا عِنْدَ صَاحِبِهِ وَيَمْتَرِيهِ، كَمَا يَمْتَرِي الْحَالِبُ اللَّبَنَ مِنَ الضَّرْعِ.

وَأَضْلُ الْمَادَّةِ تَدُورُ حَوْلَ اسْتِخْرَاجِ الشَّيْءِ بِالْمَلَايِنَةِ وَالْإِينَاسِ، وَمِنْهُ الْمَسْحُ عَلَى ضَرْعِ النَّاقَةِ لِتَأْنَسَ، فَيَدَّرَ لَبَنُهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَّبِعُ التَّرْهِيْبَ لِلْكَفَرَةِ الْمُكَذِّبِينَ الْأَثِيمِينَ، بِالتَّرْغِيبِ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤَدُّونَ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَيَجْتَنِبُونَ مَا حَرَّمَ:

• ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَلَكَهَةٍ آمِينٍ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ جَنِّبٍ ﴿٥٦﴾ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾:

• ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ وفي القراءة الأخرى: [في مقامٍ].

الْمُتَّقُونَ: هُمْ أَهْلُ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى، وَهِيَ ذَاتُ دَرَجَاتٍ، أَعْلَاهَا دَرَجَةُ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ كُلَّ الْوَاجِبَاتِ وَيَتْرُكُونَ كُلَّ الْمُحَرَّمَاتِ، أَوْ يَكُونُونَ مِنْ أَهْلِهَا بِالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ وَالْعَمَلِ وَالْغُفْرَانِ. وَأَدْنَاهَا دَرَجَةُ الَّذِينَ يَقُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ بِالْإِيْمَانِ وَالْإِسْلَامِ الصَّحِيحَيْنِ الصَّادِقَيْنِ، مَعَ عَمَلٍ صَالِحٍ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِمَا.

وَفَوْقَ الْمُتَّقِينَ «الْأَبْرَارُ» وَهُمْ أَهْلُ مَرْتَبَةِ «الْبِرِّ» وَهِيَ ذَاتُ دَرَجَاتٍ مُتَفَاضِلَاتٍ، وَالْبِرُّ: هُوَ التَّوَشُّعُ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ الْمَرْضِيَّةِ لِلرَّحْمَنِ، مِنْ نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، ذَوَاتِ الثَّقَلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْمِيزَانِ.

وَفَوْقَ الْأَبْرَارِ «الْمُحْسِنُونَ» وَهُمْ أَهْلُ مَرْتَبَةِ «الْإِحْسَانِ» وَهِيَ أَيْضاً ذَاتُ دَرَجَاتٍ مُتَفَاضِلَاتٍ، وَالْإِحْسَانُ: إِتْقَانُ الْعَابِدِ عِبَادَتَهُ لِرَبِّهِ كَأَنَّهُ يَرَاهُ بِعَيْنَيْهِ، يَزِيدُ فِي تَجْوِيدِهَا وَتَحْسِينِهَا لِنَيْلِ رِضْوَانِهِ الْأَعْظَمِ.

وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَ الْمَرْتَبَةِ الدُّنْيَا: «مَرْتَبَةِ الْمُتَّقِينَ» مِمَّا جَاءَ بَيَانُهُ فِي هَذَا النَّصِّ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَبْرَارَ وَالْمُحْسِنِينَ مُتَّقُونَ وَزِيَادَةٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ مِثْلُ مَا لِلْمُتَّقِينَ وَزِيَادَةٌ.

• ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ أَوْ ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ مَقَامٌ: مَكَانٌ قِيَامٌ. وَمَقَامٌ: مَكَانٌ إِقَامَةٌ. وَكُلُّ مَنْ مَكَانِ الْقِيَامِ وَمَكَانِ الْإِقَامَةِ مَوْصُوفٌ بِأَنَّهُ أَمِينٌ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْجَنَّةَ يَوْمَ الدِّينِ دَارٌ أَمِنٌ شَامِلٌ، فَلَا خَوْفَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ، وَلَا خَوْفَ فِيهَا عَلَى شَيْءٍ، بَلْ كُلُّ مَا يَطْلُبُ أَهْلُهَا فِيهَا يَحْصُلُ لَهُمْ، لَهُمْ فِيهَا مَا يَدْعُونَ، وَهِيَ سَلَامٌ دَائِمٌ بِكَلِمَةِ التَّكْوِينِ الرَّبَّانِيَّةِ.

• ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾: أَي: يَكُونُ الْمُتَّقُونَ يَوْمَ الدِّينِ فِي مَكَانٍ قِيَامٍ أَمِينٍ، وَفِي مَكَانٍ إِقَامَةٍ دَائِمَةٍ أَمِينٍ، ضَمْنُ مُحِيطٍ بِهِمْ مِنْ جَنَّاتٍ كَثِيرَاتٍ، وَعُيُونٍ مَاءٍ وَفِرَاتٍ، تَتَحَقَّقُ بِهَا أَنْوَاعُ السَّعَادَاتِ.

إِنَّ دَارَ النَّعِيمِ الْجَنَّةَ يَوْمَ الدِّينِ ذَاتُ أَقْسَامٍ كَثِيرَاتٍ جِدًّا، كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا جَنَّةٌ تَشْتَمِلُ عَلَى كُلِّ الصِّفَاتِ الْمَطْلُوبَةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، عَلَى الرُّغْمِ مِنَ التَّفَاضُلِ فِيمَا بَيْنَهَا بِحَسَبِ اسْتِحْقَاقَاتِ نُزُلَائِهَا، الَّذِينَ تَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

جَنَّاتٍ: جَمْعُ «جَنَّةٍ» وَهِيَ مَا يَخْتَوِي عَلَى أَشْجَارٍ وَثَمَارٍ وَزُرُوعٍ وَأَنْهَارٍ وَقُصُورٍ، وَكُلُّ مَا يُمْتَعُ النَّفْسُ وَالْحَوَاسِ، وَجَنَّاتُ يَوْمِ الدِّينِ، فِيهَا النَّعِيمُ الْأَبَدِيُّ الْخَالِدُ، وَفِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ.

وعُيُونٍ: هِيَ عُيُونُ الْمَاءِ الَّتِي تَجْرِي بَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالْقُصُورِ، إِسْعَادًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ.

• ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِّبِينَ﴾ ﴿٥٣﴾:



**سُنْدُس:** نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ الرَّقِيقَةِ النَّاعِمَةِ الْمُنْسُوجَةِ مِنَ الْحَرِيرِ، وَهِيَ مِنْ أَصْنَافِ «الدِّيَبَاجِ» وَتُلْبَسُ غَالِبًا مُلَاصِقَةً لِلْبَدَنِ.

**اسْتَبْرَق:** نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ الْغَلِيظَةِ الْمُنْسُوجَةِ مِنَ الْحَرِيرِ، وَهِيَ مِنْ أَصْنَافِ «الدِّيَبَاجِ» أَيْضًا، وَتُلْبَسُ فَوْقَ ثِيَابٍ مِنْ سُنْدُسٍ.

**أَقُولُ:** ذَكَرُ ثِيَابٍ مِنْ سُنْدُسٍ، وَثِيَابٍ مِنْ اسْتَبْرَقٍ مِنْ قَبِيلِ التَّقْرِيبِ إِلَى الْأَذْهَانِ، لِأَنَّ مَا فِي الْجَنَّةِ أَنْفُسُ مِنْ كُلِّ مَا فِي الدُّنْيَا، بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَاتٍ جَدًّا.

وَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُتَّقِينَ فِي الْجَنَّةِ بِأَنَّ لَهُمْ مَجَالِسَ يَكُونُونَ فِيهَا مُتَقَابِلِينَ، وَجَاءَ فِي نَصِّ غَيْرِ هَذَا بَيَانٌ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، مُتَكَيِّئِينَ عَلَيْهَا.

فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الْجَنَّةِ لَهُمْ مَجَالِسُ أَنْسٍ وَسُرُورٍ وَأَحَادِيثُ تَزِيدُ فِي نَعِيمِهِمْ.

﴿كَذَلِكَ﴾: أَفْهَمُ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ هُنَا أَنَّ أَهْلَ مَرْتَبَةِ الْأَبْرَارِ الَّذِينَ هُمْ فَوْقَ الْمُتَّقِينَ، وَأَهْلَ مَرْتَبَةِ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ هُمْ فَوْقَ الْأَبْرَارِ لَهُمْ كَالَّذِي هُوَ لِلْمُتَّقِينَ، مَعَ زِيَادَاتٍ ثَلَاثُ دَرَجَاتِهِمْ فِي مَرَاتِبِهِمْ، لِأَنَّهُمْ مُتَّقُونَ وَزِيَادَةً، وَجَاءَتِ الْعِبَارَةُ فِي غَايَةِ الْإِيجَازِ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُفْهَمَ الْمُرَادُ بِهَا مِنَ السَّبَاقِ وَمِنَ السِّيَاقِ وَمِنَ التَّدْبِيرِ الْعَمِيقِ.

• ﴿... وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (٥٤): أَي: وَقَرَّرْنَا لَهُمْ بِزَوَّجَاتٍ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ.

**حُور:** جَمْعُ «حَوْرَاءَ» وَهِيَ مِنَ النِّسَاءِ الْبَيْضَاءِ.

**عِين:** جَمْعُ «عَيْنَاءَ» وَهِيَ ذَاتُ الْعَيْنِ الْحَسَنَةِ الْوَاسِعَةِ.

• ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ (٥٥): أَي: يَطْلُبُونَ فِي

الْجَنَّاتِ مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا، فَيَأْتِيهِمْ بِهَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ الْغُلَّامَانِ الْمُخَلَّدُونَ، دُونَ إِنْطَاءٍ، حَالَةً كَوْنِهِمْ آمِنِينَ مِنْ أَنْ يُؤْذِيَهُمُ الْأَكْلُ مِنْهَا مَهْمَا أَكَلُوا، وَحَالَةً كَوْنِهِمْ آمِنِينَ مِنْ انْقِطَاعِهَا، لِأَنَّ فَوَاكِهَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الدِّينِ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ.

يُقَالُ لُغَةً: «دَعَا بِالشَّيْءِ» أَي: طَلَبَ إِحْضَارَهُ.

• ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٥٦﴾:

حِينَ كَانَ الْإِنْسَانُ فِي رَحِمِ أُمِّهِ قَبْلَ أَنْ يَنْفَخَ الْمَلَكُ فِيهِ الرُّوحَ بِأَمْرِ اللَّهِ، كَانَ ذَا نَفْسٍ إِنْسَانِيَّةٍ غَيْرِ مُتَّصِلَةٍ بِالرُّوحِ فَهِيَ نَفْسٌ إِنْسَانِيَّةٌ مَيِّتَةٌ، وَقَبْلَ ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ نَفْسًا تُوصَفُ بِالْمَوْتِ، وَالْمَوْتُ الَّذِي تَكُونُ فِيهِ كَانَ مُصَاحِبًا لِلنَّشْأَةِ، لَمْ تَذُقْهُ النَّفْسُ.

وَبَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهَا صَارَتْ نَفْسًا إِنْسَانِيَّةً حَيَّةً.

وَحِينَ يَأْتِي أَجَلُ فَضْلِ الرُّوحِ عَنِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ تَذُوقُ هَذِهِ النَّفْسُ الْمَوْتَ، بِمُفَارَقَةِ الرُّوحِ لَهَا، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (آل عمران/ ٨٩ نزول):

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ... ٧٥﴾.

وَيَوْمَ الْبَعْثِ تَعُودُ الرُّوحُ إِلَى النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، فَتَعُودُ لِلْإِنْسَانِ الْحَيَاةِ، وَتَبْقَىٰ هَذِهِ الْحَيَاةُ خَالِدَةً لَا تَتَعَرَّضُ مَعَهَا النَّفْسُ لِأَنْ تَذُوقَ الْمَوْتَ مَرَّةً أُخْرَىٰ.

فَأَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ أَبَدًا، وَكَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ بَعْدَ الْبَعْثِ، إِنَّهُمْ لَا يَذُوقُونَ الْإِحْسَاسَ بِالْمَوْتِ إِلَّا عِنْدَ انْفِصَالِ الرُّوحِ بَعْدَ الْأَجَلِ الَّذِي عَاشُوهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، هَذِهِ هِيَ الْمَوْتَةُ الْأُولَىٰ فِي وُجُودِهِمُ الَّتِي ذَاقُوا الْمَوْتَ بِهَا.

فَلَا تَعَارُضَ فِي الْبَيِّنَاتِ الْقِرَائِيَّةِ، وَبِاسْتِطَاعَتِنَا أَنْ نَفْهَمَ الْعِبَارَةَ الْقِرَائِيَّةَ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾.

لَا يَذُوقُونَ فِي الْجَنَّةِ الْمَوْتَ، لَا يَذُوقُونَ الْمَوْتَ فِي وُجُودِهِمْ إِلَّا ذَوْقَ الْمَوْتَةِ الْأُولَى الَّتِي ذَاقُوا فِيهَا الْإِحْسَاسَ بِانْفِصَالِ أَرْوَاحِهِمْ عَنْ نُفُوسِهِمْ.

أَمَّا الْمَوْتَةُ السَّابِقَةُ لَهَا فَقَدْ كَانَتْ مُصَاحِبَةً لِنَشْأَتِهِمْ، لَمْ يَذُوقُوا فِيهَا طَعْمَ الْمَوْتِ.

إِنَّ الْمَوْتَةَ الْأُولَى الَّتِي ذَاقُوا فِيهَا طَعْمَ الْمَوْتِ وَأَحَاسِيسَهُ، هِيَ مَا كَانَ بَعْدَ الْحَيَاةِ الْأُولَى فِي الدُّنْيَا.

وَيُمْكِنُ أَنْ نُقَدِّرَ الْعِبَارَةَ كَمَا يَلِي: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ، لَا يَذُوقُونَ إِلَّا مَوْتَةَ الْحَيَاةِ الْأُولَى.

وَأَرَى أَنْ عِبَارَةَ ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ بَدَلٌ مِنْ عِبَارَةِ: ﴿فِيهَا الْمَوْتَ﴾ وهو مِنَ الْبَدَلِ الْمُبَايِنِ، مَعَ قَصْدِ كُلِّ مِنَ الْبَدَلِ وَالْمُبَدَلِ مِنْهُ، وَنَظِيرُهُ ﴿طَهُهُ﴾ ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ ﴿٢﴾ إِلَّا لَذِكْرَةٍ لِمَنْ يَخْشَى﴾ ﴿فَمَا بَعْدَ﴾ ﴿إِلَّا﴾ بَدَلٌ مِنْ عِبَارَةِ ﴿لِتَشْقَى﴾.

• ... وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾: أَي: وَوَقَّى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ عَلَى اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهِمْ عَذَابَ الْإِحْتِرَاقِ بِنَارِ الْجَحِيمِ، فَالْجَحِيمُ اسْمٌ لِلنَّارِ الْعَظِيمَةِ، لَكِنْ قَدْ يَكُونُ لَهُمْ عَذَابٌ فِي دَارِ الْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ غَيْرُ عَذَابِ الْحَرِيقِ بِالنَّارِ، وَهَذَا يَلْتَقِي مَعَ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (اللَّيْلِ/ ٩ نزول):

﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ ﴿٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٦﴾: ﴿١١﴾

أي: لَا يُعَذَّبُ بِالْحَرِيقِ فِيهَا إِلَّا الْأَشْقَى، وَهُوَ الَّذِي كَذَّبَ رَسُولَ رَبِّهِ، وَبِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ رَبِّهِ، فَكَانَ بِذَلِكَ كَافِرًا.

• ﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾: أي: يَنَالُ الْمُتَّقُونَ عَلَى تَفَاضُلٍ دَرَجَاتِهِمْ هَذَا الثَّوَابَ الْعَظِيمَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، بِفَضْلِ يَتَفَضَّلُ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ، لَا بِعَمَلِهِمْ، فَعَمَلُهُمْ لَا يَصْلُحُ لِأَنْ يَشْكُرُوا بِهِ رَبَّهُمْ عَلَى أَقَلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ شَرْطَ هَذَا التَّفَضُّلِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِرَبِّهِمْ وَيُغْلِنُوا إِسْلَامَهُمْ لَهُ مُنْقَادِينَ، غَيْرَ جَا حِدِينَ وَلَا مُشْرِكِينَ.

الْفَوْزُ: النَّحَاةُ وَالرَّبْحُ، وَوَصَفَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ، لِأَنَّهُ خَلَاصٌ مِنَ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ، وَظَفَرٌ أَبَدِيٌّ بِالْخُلُودِ السَّعِيدِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْخَامِسِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الدُّخَانِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٠)

التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لِلدَّرْسِ السَّادِسِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الدُّخَانِ)

الآيتان (٥٨) و (٥٩) آخر السورة

قال الله عَزَّ وَجَلَّ يُخَاطَبُ رَسُولُهُ مُحَمَّدًا ﷺ:

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزَنُهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

تَمْهِيد:

فِي آيَتِي هَذَا الدَّرْسِ يُخَاطَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ، بِشَأْنِ الْقُرْآنِ وَتَسْيِيرِهِ بِلِسَانِهِ الْعَرَبِيِّ، وَالْمَاحِ بِبِشَارَتِهِ بِأَنَّهُ مَنْصُورٌ بِنَصْرِ اللَّهِ لَهُ، وَبِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ الْمَعَائِدِينَ مَحْذُورِينَ، وَبِأَنَّ اللَّهَ سَيَتَقِمُ مِنْهُمْ.

## التدبر التحليلي :

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ :

● ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥٨) :

هَذِهِ الْآيَةُ مَوْضُوعَةٌ بِمَا جَاءَ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ عَنِ الْقُرْآنِ، فَتَكُونُ رَابِطَةً لِآخِرِ السُّورَةِ بِأَوَّلِهَا، وَمَوْضُوعَةٌ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْمُعَالَجِينَ فِي السُّورَةِ، وَهُمْ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، بِاعْتِبَارِ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِالْقُرْآنِ كِتَاباً مُنْزَلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، مَعَ أَنَّهُ أُنْزِلَ بِلِسَانِهِمْ، فَهُمْ أَوَّلَى النَّاسِ بِالتَّبَصُّرِ بِهِ، وَفَهُمْ دَلَالَاتِهِ، وَتَدَبُّرِ مَعَانِيهِ، وَالْإِفْتِحَارِ بِهِ.

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ: كَانَ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ نُنْزِلَ الْقُرْآنَ مُيسِّراً بِلِسَانٍ آخَرَ غَيْرِ لِسَانِكَ وَلِسَانِ قَوْمِكَ الْعَرَبِيِّ، وَلَكِنْ مَا يَسَّرْنَاهُ إِلَّا بِلِسَانِكَ الْعَرَبِيِّ وَهُوَ لِسَانُ قَوْمِكَ، وَلَا سِيَمَا قُرَيْشُ الَّذِينَ كَفَرَتْ بِهِ أَيْمَتُهُمْ وَقَادَتُهُمْ، وَقَدْ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَوَّلَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، وَيَتَدَبَّرُهُ، وَيَقْتَضِرُ بِهِ.

لِسَانُ الْقَوْمِ: كَلَامُهُمْ وَلُغَتُهُمْ الَّتِي يَنْطِقُونَ بِهَا لِلتَّعْيِيرِ عَمَّا يُرِيدُونَ التعبير عنه.

● ... لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ : أَي: خَصَصْنَا تَيْسِيرَهُ وَتَسْهِيلَ فَهْمِهِ بِلِسَانِكَ وَلِسَانِ قَوْمِكَ رَغْبَةً فِي أَنْ يَتَذَكَّرُوا بَيِّنَاتِهِ، عِنْدَ الْمُنَاسَبَاتِ الدَّاعِيَاتِ، لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا، وَالِدَّعْوَةِ إِلَيْهَا بَيْنَ النَّاسِ، لِأَنَّهُمْ أَقْدَرُ النَّاسِ عَلَى فَهْمِهَا وَتَدَبُّرِ مَعَانِيهَا، وَهَذَا شَرَفٌ عَظِيمٌ لَهُمْ.

لَعَلَّ: أَضْلُ مَعْنَاهَا التَّرَجِّي، وَحِينَمَا تَكُونُ صَادِرَةً عَنِ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَإِنَّ مَعْنَى التَّرَجِّي فِيهَا يُحْمَلُ عَلَى لَازِمِهِ، وَهِيَ الرَّغْبَةُ فِي الشَّيْءِ وَالرِّضَا عَنْهُ، فَالْمَرْجُو مِنَ الْأَشْيَاءِ الْحَسَنَةِ، مَرْغُوبٌ فِيهِ، وَيُسْتَقْبَلُ بِالرِّضَا.

وَتَأْتِي كَلِمَةُ «لَعَلَّ» لِلتَّغْلِيلِ، وَلَا زِمُ التَّرَجِّي هُنَا أَوَّلَى.

وفعل «يَتَذَكَّر» وَتَصَارِيفُهُ وَمَصْدَرُهُ اسْتَعْمِلَ فِي الْقُرْآنِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْأَثَرِ النَّفْسِيِّ وَالْقَلْبِيِّ لِحُضُورِ الْمَعْلُومَةِ فِي الذَّاكِرَةِ، اسْتِدْعَاءً مِنْ مَخَازِنِ الْمَعْرِفَةِ فِي دَاخِلِ الْإِنْسَانِ، أَوْ وُرُوداً حَدِيثاً لَهَا مِنَ الْخَارِجِ، عَنْ طَرِيقِ بَيَانٍ وَارِدٍ، أَوْ تَأَمُّلٍ فِكْرِيٍّ ذَاتِيٍّ، أَوْ بِتَأْثِيرِ حَدَثٍ، أَوْ ظَاهِرَةٍ كَوْنِيَّةٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَصَارَ هَذَا الْمَرَادُ بِمِثَابَةِ مُصْطَلَحِ قُرْآنِيٍّ كَمُصْطَلَحَاتِ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّيَامِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَعَانِيهَا الدِّينِيَّةِ. وَهَذَا الْأَثَرُ النَّفْسِيُّ وَالْقَلْبِيُّ هُوَ الْمَطْلُوبُ الدِّينِيُّ مِنَ الذِّكْرِ وَالتَّذَكُّرِ وَاجْتِسَابِ الْمَعَارِفِ الدِّينِيَّةِ، وَهُوَ دَافِعٌ لِلسُّلُوكِ الدِّينِيِّ الْمُلَائِمِ لَهُ، وَالْمَطْلُوبِ فِيهِ، مَا لَمْ يُوجَدَ مَانِعٌ نَفْسِيٍّ مِنْ ذَلِكَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ فِي آخِرِ السُّورَةِ، يُبَشِّرُهُ بِأَنَّهُ مَنصُورٌ عَلَى أَيْمَةِ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ بِصُورَةٍ إِلْمَاحِيَّةٍ غَيْرِ صَرِيحَةٍ، وَفِيهَا إِلْمَاحٌ بِأَنَّهُمْ مَخْذُولُونَ:

• ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ (٥٩): أَي: فَانْتَظِرْ يَا مُحَمَّدٌ مَا سَنَفَعَلُهُ بِشَأْنِ هَؤُلَاءِ، وَكَيْفَ نُعَاقِبُهُمْ وَنَنْصُرُكَ وَنَنْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَكَ عَلَيْهِمْ.

«رَقَبَ الشَّيْءَ» انْتَظَرَهُ، يُقَالُ لُغَةً: «رَقَبَهُ، يَرْقُبُهُ، رَقَبًا، وَرُقُوبًا، وَرَقَابَةً» أَي: انْتَظَرَهُ.

«وَارْتَقَبَ الشَّيْءَ» أَي: انْتَظَرَهُ انْتِظَاراً مَضْحُوباً بِتَكْلُفٍ وَشِدَّةٍ مُلَاحَظَةٍ، أَخْذاً مِنْ تَاءِ الْافْتِعَالِ فِي فِعْلِ: «ارْتَقَبَ».

• ﴿... إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ (٥٩): أَي: إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ بِتَدْبِيرَاتِهِمْ وَمَكَايِدِهِمْ أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنْكَ وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ. أَوْ مُرْتَقِبُونَ رَبِّبَ الْمُتُونِ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ لِيَتَخَلَّصُوا مِنْكَ وَمِنْ دَعْوَتِكَ، وَهَذَا مَا أَبَانَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ (الطُّورِ/ ٥٢ مِصْحَف/ ٧٦ نَزُول):

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّبَرَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ﴿٢٠﴾ قُلْ تَرَىٰصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمَرِصِينَ ﴿٢١﴾﴾.

رَبُّبُ الْمُنُونِ: حَوَادِثُ الدَّهْرِ الْمُمِيتَةِ. والمُنُونُ: الموت. يقال: هو المُنون، وهي المُنون.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْأَخِيرِ مِنْ دُرُوسِ سورة (الدُّخَانِ).  
والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١١)

### ملحق: مُسْتَخَرَّجَاتُ بِلَاغِيَّةٍ مِنْ سورة (الدُّخَانِ)

تَشْتَمِلُ سورة (الدُّخَانِ) عَلَى اختيارات بِلَاغِيَّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْهَا مَا يَلِي:

أَوَّلًا: الْاسْتِفْطَاعُ مِمَّا سَوَّفَ يَجْرِي يَوْمَ الدِّينِ وَتَقْدِيمُ الْبَيَانِ كَأَنَّهُ يَجْرِي عِنْدَ التَّكَلُّمِ

وَمِنْ أَمْثَلَةِ هَذَا الْفَنِّ الْقُرْآنِيِّ الْإِبْدَاعِيِّ مَا فِي الْآيَاتِ مِنْ (٤٧ - ٥٠) فِي السُّورَةِ، وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا بِشَأْنِ الْكَافِرِ الْأَيْمِ، وَتَكْلِيفِ مَلَائِكَةِ الْعَذَابِ أَنْ يَأْخُذُوهُ إِلَى وَسْطِ الْجَحِيمِ:

﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

### ثَانِيًا: الْإِيجَازُ بِالْحَذْفِ

وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ عِدَّةُ أَمْثَلَةٍ مِنْهُ:

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُعَالَجَةِ الْمُشْرِكِينَ وَإِقْنَاعِهِمْ

بِالتَّوْحِيدِ:

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾.

أي: هو ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فاعْبُدُوهُ وَخَدُّهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴿إِنَّ كُنتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾ بِهِذِهِ الْحَقِيقَةُ.

المثال الثاني: قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْمَعَالَجِينَ فِي السُّورَةِ:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾:

أي: لَكِنْ لَمْ يَتَأَثَّرُوا بِكُلِّ مَا سَبَقَ أَنْ أَقْنَعْنَاهُمْ بِهِ، وَلَا بوسائلِ التَّوْبِ وَالتَّوْبِ وَغَيْرِهَا ﴿بَلْ هُمْ﴾ مُنْغَمِسُونَ ﴿فِي شَكٍّ﴾ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَتَوْحِيدِهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ، وَهُمْ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ مُنْشَغِلِينَ بِالْأَذْنَى الْفَانِي الزَّائِلِ، تَارِكِينَ الْعَظِيمَ الْبَاقِيَ الْخَالِدَ وَالْعَمَلَ لَهُ، مُعْرِضِينَ أَنْفُسَهُمْ لِلْعَذَابِ الْخَالِدِ يَوْمَ الدِّينِ فِي الْجَحِيمِ.

المثال الثالث: قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْحَدِيثِ عَنْ عَذَابِ الْجَوْعِ الَّذِي سَيَنْزِلُهُ بِالْمُشْرِكِينَ فِي حَيَاةِ الرَّسُولِ، وَهُوَ عَذَابُ الدُّخَانِ، وَدُعَائِهِمْ أَنْ يَكْشِفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ مَعَ وَعْدِهِمْ بِأَنْ يُؤْمِنُوا:

﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾:

أي: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ عَذَابُ الدُّخَانِ بِهَذَا الدُّعَاءِ الْمَقْرُونِ بِالْوَعْدِ بِأَنْ يُؤْمِنُوا إِذَا كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.

المثال الرابع: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِهِمْ أَيْضًا خُطَابًا لَهُمْ:

﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾:

أي: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ﴾ عَنْكُمْ زَمَنًا ﴿قَلِيلًا﴾ لَكِنْ لَنْ تَقُومُوا بِوَعْدِكُمْ ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ إِلَى كُفْرِكُمْ وَشِرْكِكُمْ وَفُجُورِكُمْ.

المثال الخامس: الْآيَاتُ مِنْ (١٧ - ٢٨) فِيهَا مَطَوِيَّاتٌ كَثِيرَاتٌ دَلَّتْ عَلَيْهَا نُصُوصٌ أُخْرَى مُورَعَةً فِي سُورِ الْقُرْآنِ.



ثالثاً: توكيد الْجُمْلِ الْخَبَرِيَّةِ لِدَوَاعِ بِلَاغِيَّةٍ تَقْتَضِي التَّوَكِيدَ  
توجدُ في السُّورَةِ جُمْلٌ خَبَرِيَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ لِأَنَّ حَالَ الْمُقْصُودِينَ بِالْبَيَانِ  
تَقْتَضِي التَّوَكِيدَ، وَمِنْهَا الْأُمُثْلَةُ التَّالِيَةُ:

المثال الأول: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿حَمَّ ① وَالْكِتَابِ ② أَلْمِينِ ③﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ④ إِنَّا كُنَّا  
مُنْذِرِينَ ⑤ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ⑥ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا ⑦ إِنَّا كُنَّا  
مُرْسِلِينَ ⑧ ⑨ :

الْمُقْصُودُونَ بِالْجُمْلِ الْمَوْكَّدَةِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ هُمُ الْكُفَرَةُ الْمَكْذُوبُونَ  
بِالْحَقَائِقِ الَّتِي جَاءَتْ فِيهَا.

والتوكيدُ فيها جاء بالقسم في: ﴿وَالْكِتَابِ ② أَلْمِينِ ③﴾ وبالمؤكدات:  
«إِنَّ - وَالْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ» فِي: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ④﴾ وَفِي: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ⑤﴾ وَفِي:  
﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ⑧﴾.

المثال الثاني: قول الله عَزَّ وَجَلَّ مُوجِّهًا لِلْمُكْذِبِينَ يَوْمَ الدِّينِ:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ ④٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ④٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ⑤٠﴾ :

(١) جاء التوكيدُ في عِبَارَةٍ: ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ بِالْحَصْرِ الَّذِي  
دَلَّ عَلَيْهِ النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ.

(٢) وجاء التوكيدُ في عِبَارَةٍ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ⑤٠﴾  
بِالْمُؤَكَّدِينَ: «إِنَّ - وَالْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ».

المثال الثالث: قول الله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿... إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑤١﴾ جاء التوكيدُ هنا بـ «إِنَّ -  
وَالْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ - وَضَمِيرُ الْفَصْلِ».

المثال الرابع: قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ نَعِيمِ الْمُتَّقِينَ فِي الْجَنَّةِ يوم الدين.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٥٧): جاء التوكيد في هذه العبارة بِتَعْرِيفِ طَرَفِي الْإِسْنَادِ مع ضَمِيرِ الْفَصْلِ.

المثال الخامس: قول الله عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِرَسُولِهِ وَإِسْمَاعَاً لِلْمُشْرِكِينَ الْمَكْذِبِينَ مِنَ الْعَرَبِ:

﴿إِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥٨): جَاءَ التَّوْكِيدُ فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ بِالْحَضَرِ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ أَدَاةُ «إِنَّمَا» وَأَكْتَفَى بِهِذِهِ الْمُسْتَخْرَجَاتُ.

والحمد لله على مُعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْنَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



## سُورَةُ الْجَاثِيَةِ

٤٥ مصحف      ٦٥ نزول

وهي سورة مَكِّيَّة كُتِبَتْ

وهي السورة السادسة من «الحواميم» السَّبْعِ



(١)

## نصُّ السُّورة وما فيها مِنْ فَرْشِ القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾  
 وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ  
 مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ  
 بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾  
 يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ  
 ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ

- ١ - سَكَتَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى: (حَا) وَ(مِيم).
- ٤ و ٥ - قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِي، وَيَعْقُوبُ: [آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ] - [آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] بِنَضْبِ آيَاتٍ فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِالْكَسْرِ بَدَلِ الْفَتْحَةِ لِأَنَّهُ مُزِيدٌ بِأَلْفٍ وَتَاءٍ.
- وَقَرَأَهُمَا بَاقِيَ الْقِرَاءَةِ الْعَشْرَةَ بِالرَّفْعِ فِيهِمَا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ.
- ٥ - قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِي، وَخَلَفَ: [الرِّيْحَ] بِالْإِفْرَادِ، وَالْمُرَادُ جَنْسُ الرِّيْحِ.
- وَقَرَأَهَا بَاقِيَ الْقِرَاءَةِ الْعَشْرَةَ: [الرِّيَاحَ] نَظَرًا إِلَى أَنْوَاعِهَا.
- ٦ - قَرَأَ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَحَفْصٌ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَرَوْحٌ: [وَأَيَّاتِهِ يُؤْمِنُونَ] بِيَاءِ الْغَائِبِينَ.
- وَقَرَأَهَا بَاقِيَ الْقِرَاءَةِ الْعَشْرَةَ: [وَأَيَّاتِهِ تُؤْمِنُونَ] بِتَاءِ الْمُخَاطَبِينَ. وَبَيَّنَّ الْقِرَاءَتَيْنِ تَكَامُلًا فِي الْأَدَاءِ الْبَيَانِيِّ.
- ٩ - قَرَأَ حَفْصٌ [هُزُوًا]. وَقَرَأَهَا حَمْزَةً، وَخَلَفَ: [هُزْءًا]: وَقَرَأَهَا بَاقِيَ الْقِرَاءَةِ الْعَشْرَةَ: [هُزُوًا].

( ٩ ) مِّنْ وَرَائِهِم جَهَنَّمٌ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا  
 مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى  
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١١﴾  
 اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ  
 فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
 الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ  
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا  
 كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ  
 فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ  
 الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى  
 الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ يَتِينَ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا أَخْلَفُوا إِلَّا مِنْ  
 بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَبِغُهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ  
 الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ  
 شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

١١ - • قرأ ابن كثير، وحفص، ويعقوب: [مِنْ رَّجْزِ أَلِيمٍ] برفع «أليم» وصفاً لـ «عذاب».

وقراها باقي القراء العشرة بِجَرٍّ [أَلِيمٍ] وصفاً لـ «رَجْزٍ».

١٤ - • قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وخلف: [لِيَجْزِيَ قَوْمًا]. وقرأها أبو جعفر: [لِيُجْزِيَ قَوْمًا]. وقرأها باقي القراء العشرة: [لِيَجْزِيَ قَوْمًا].

١٥ - • قرأ يعقوب: [تُرْجَعُونَ]. وقرأها باقي القراء العشرة: [تُرْجَعُونَ].  
 وبين القراءتين تكاملٌ بياني.

﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ  
 أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى  
 وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ  
 أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيُهُمْ  
 وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾  
 أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ  
 وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا  
 تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا  
 إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا  
 نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا بُنَابِئِنَا  
 إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ  
 يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ

١٦ - • قرأ نافع: [وَالنَّبُوءَةَ]. وقرأها باقي القراء العشرة: [وَالنَّبُوءَةَ]. وَهُمَا نُظْمَانِ عَرَبِيَّانِ.

٢١ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [سَوَاءً] بالنصب. وقرأها باقي القراء العشرة [سَوَاءً] بالرفع.

٢٣ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [غِشَاوَةً]. وقرأها باقي القراء العشرة: [غِشَاوَةً].

وَمُؤَدَّى الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِدٌ.

٢٣ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ]. وقرأها باقي القراء العشرة: [تَذَكَّرُونَ]: أَصْلُهَا: «تَذَكَّرُونَ» أَذْغَمَتِ التَّاءُ بِالتَّاءِ.

مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَرَأَى كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِنِي عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا

٢٨ - • قرأ يعقوب: [كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى] بِنَضْب «كُلٌّ». وقرأها باقي القراء العشرة: [كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى] بِرَفْع «كُلٌّ» وهما وَجْهَانِ نَحْوِيَانِ.

٣٢ - • قرأ حمزة: [وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا] بِنَضْب «السَّاعَةُ» عَطْفًا عَلَى «وَعْدَ». وقرأها باقي القراء العشرة بِرَفْع [وَالسَّاعَةُ] عَلَى الْإِبْتِدَاءِ.

٣٣ - • قرأ أبو جعفر: [يَسْتَهْزِءُونَ] فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ. وَكَذَلِكَ حَمْزَةٌ فِي الْوَقْفِ. وقرأها باقي القراء العشرة: [يَسْتَهْزِءُونَ] فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ.

٣٤ - • قرأ السُّوسِي، وَأَبُو جَعْفَرٍ: [وَمَا وَاهُمْ] بِإِبْدَالِ الْهَمْزَةِ أَلْفًا. وَكَذَلِكَ حَمْزَةٌ فِي الْوَقْفِ.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَمَا وَاهُمْ] دُونَ إِبْدَالِ.

٣٥ - • قرأ حفص: [هُزُوءًا].

وقرأها حمزة، وَخَلَفَ: [هُزُوءًا].

وقرأها باقي القراء العشرة [هُزُوءًا].



وَعَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ  
 (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦)  
 وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)

٣٥ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا] بالبناء لِلْمَعْلُومِ.  
 وقراها باقي القراء العشرة: [لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا] بالبناء لِمَا لَمْ يُسَمَّ فاعله.  
 أي: فهم لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُخْرَجُوا.

(٢)

### مِمَّا وَرَدَ بِشَأْنِ سُورَةِ (الجاثية)

(الجاثية) سادسة «الحواميم» السبع، وينطبقُ عَلَيْهَا مَا وَرَدَ بِشَأْنِهِنَّ،  
 السَّابِقُ ذِكْرُهُ فِي الرَّقْمِ (٢) مِنْ تَدَبُّرِ «الحواميم» الْأَرْبَعِ السَّابِقَاتِ.

(٣)

### موضوع سورة (الجاثية)

تَكَادُ تَكُونُ «الحواميم» السَّبْعُ عَائِلَةً وَاحِدَةً مُفَصَّلَةً إِلَى سَبْعِ  
 سُورٍ، ذَوَاتِ مَلَاحِمٍ وَقَسَمَاتٍ مُتَشَابِهَاتٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا شَرِيفَاتُ أُسْرَةٍ  
 وَاحِدَةٍ.

وَمَوْضُوعُهُنَّ يَسِيرُ عَلَى خَطِّ رَئِيسٍ وَاحِدٍ، هُوَ خَطُّ الْحَدِيثِ عَنِ  
 الْقُرْآنِ، وَمَوْقِفِ الْكَافِرِينَ مِنْهُ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَمَوْقِفِهِمْ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي  
 رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَمَوْقِفِهِمْ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَنِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ،  
 وَمِنَ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ وَيَوْمِ الدِّينِ، وَمُعَالَجَتُهُمْ بِشَأْنِ مَوَاقِفِهِمُ الْمُكْفَرَةَ، وَمَا  
 يُلَاحِظُ ذَلِكَ مِنْ مُرَافَقَاتٍ.

(٤)

**دروس سورة (الجاثية)**

ظهر لي تقسيم هذه السورة إلى سبعة دروس:

الدرس الأول: الآيات من (١ - ١١).

في آيات هذا الدرس بيان أن القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم، فهو كتاب عظيم معجز.

وفيها تنبيه على بغض آيات الله في كونه الدالات على طائفة من صفات ربوبيته جلّ جلاله وعظم سلطانه.

وفيها توبيخ للمشركين الكافرين بالقرآن وبالرسل إذ لم يعبؤوا بآيات الله التي تنزل عليهم، وهي تستمل على أعظم بيان مقيم ومبشر ومنذر بأسلوب الحديث الإقناعي الذي ليس فوقه ولا مثله حديث ذو تأثير في القلوب والنفوس للإيمان بما أوجب الله الإيمان به.

وفيها إنذار للكافرين بعذاب أليم مهين، الذين يتخذون آيات الله هزواً، ثم يكون مصيرهم الخلود في جهنم.

الدرس الثاني: الآيتان: (١٢) و(١٣).

وفيها تذكير ببغض نعم الله على الناس في كونه، المشتملة على آيات تدعوهم إلى الإيمان به وشكره على ما أنعم به عليهم.

الدرس الثالث: الآيتان: (١٤) و(١٥).

وفيها تعليم للرسل ﷺ، أن يرشد الذين آمنوا إلى أن يغفروا للذين لا يؤمنون بالجزاء الرباني إيداءاتهم، ففضائل أخلاق المؤمنين ومنها المغفرة، جزء من الدعوة المجدية المؤثرة في جذب الكافرين إلى الإيمان والإسلام، وأن يبين لهم ثواب الله العظيم الذي أعدّه للدعاة الصابرين الذين يغفرون، ويتجاوزون عن إساءات من أساء إليهم.

## الدرس الرابع: الآيات من (١٦ - ٢٢).

وفي آيات هذا الدرس بيان أن الله عز وجل أتى بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة، وأنعم عليهم نعماً كثيرة، ليحملوا رسالة الله للناس، لكنهم لم يكونوا صالحين لحمل الرسالة الربانية.

فاضطفى الله عز وجل رسوله محمداً، وجعل أمته هي الأمة المختارة لحمل خاتمة رسالات الله للعالمين.

وفيها تحذير ضمني للأمة المحمدية أن تفعل مثلما فعل بنو إسرائيل من قبل.

وفيها بيانات عن قضايا متصلة بالقاعدة الإيمانية.

## الدرس الخامس: الآيات من (٢٣ - ٢٦).

وفي آيات هذا الدرس بيان عن الكفرة المشركين المعالجين في السورة، وكيف اتخذوا آلهتهم أهواءهم، فانطمست بصائرهم، وسيرت أبصارهم، وأنكروا الجزاء واليوم الآخر، وقالوا: ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا. وقالوا: ما يهلكنا إلا الدهر، وإذا تليت عليهم آيات الله البيانية بشأن الجزاء لم يكن لديهم حجة إلا أن يقولوا: اتوا بآبائنا إن كنتم صادقين.

وهذا البيان افترن به علاج الكافرين بالعلاج الملائم في هذه المرحلة التي نزل فيها.

## الدرس السادس: الآيات من (٢٧ - ٣٥).

وفي آيات هذا الدرس تقديم لقطات من أحداث يوم القيامة، وفيها إرهاب لمن تليق قلوبهم ونفوسهم للمرهبات، ومعلوم أن الترهيب أحد وسائل العلاج الكبرى.

الدَّرْس السَّابِعُ: الْآيَتَانِ: (٣٦) وَ(٣٧) آخِرُ السُّورَةِ.

وفيهما خِتَامٌ بِالثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ بِكُلِّ مَا يَسْتَحِقُّ مِنْ حَمْدٍ، وَلَا سِوَا  
صِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ.



(٥)

### التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (الجاثية) الآيات من (١ - ١١)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الْخَفِيَّ وَالْجَهْرَ﴾

﴿حَمِّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ  
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَالْحَيَا يِہِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾  
وَبَلِّ لِكُلِّ آفَاقٍ أَنبِيْرَ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلَّلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُعْرَضُ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا فَنَشْرُهُ  
عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا مِزْوًا أَوْ لَيْكًا لَّهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِنْ  
وَرَأْيِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ  
عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾.

القرءات:

(١) • سَكَتَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى: [مَا] و[مِيم].

(٤ و٥) • قَرَأَ حَمْرُزُهُ، وَالْكِسَائِيُّ، وَيَعْقُوبُ: [آيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] -  
[آيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] بِنَضْبِ «آيَاتِ» فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِالْكَسْرِ بَدَلًا عَنْ الْفَتْحَةِ  
لَأَنَّهُ جَمَعَ مُزِيدَ بَالِفٍ وَتَاءٍ، وَلِهَذَا النَّضْبُ تَحْرِيجٌ نَحْوِيٌّ مَقْبُولٌ، وَأَرَى أَنَّ

فِي الْآيَتَيْنِ حَذْفًا تَقْدِيرُهُ: «وَأَنَّ فِي خَلْقِكُمْ» و«إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ».

وَقَرَأَهُمَا بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةَ بِالرَّفْعِ فِيهِمَا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ.

(٥) • قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِي، وَخَلَفَ: [الرَّيْحَ] بِالْإِفْرَادِ، وَالْمُرَادُ جَنْسُ الرِّيحِ الشَّامِلُ لِأَنْوَاعِهَا.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةَ: [الرِّيَاحَ] بِالْجَمْعِ مُرَاعَاةً لِأَنْوَاعِهَا.

(٦) • قَرَأَ نَافِعَ، وَابْنُ كَثِيرَ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَحَفْصُ، وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَرَوْحُ: [وَأَيَّاتِهِ يُؤْمِنُونَ] بِيَاءِ الْغَائِبِينَ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْعَشْرَةَ: [وَأَيَّاتِهِ تُؤْمِنُونَ] بَتَاءِ الْمُخَاطَبِينَ. وَبَيَّنَ الْقُرَّاءُ تَيْنِ تَكَامُلٍ فِي الْأَدَاءِ الْبَيَّانِي.

(٩) • قَرَأَ حَفْصُ: [هَزُؤًا]. وَقَرَأَهَا حَمْزَةً، وَخَلَفَ: [هَزْءًا] وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةَ: [هَزُؤًا].

(١١) • قَرَأَ ابْنُ كَثِيرَ، وَحَفْصُ، وَيَعْقُوبُ: [مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ] بِرَفْعِ «أَلِيمٍ» وَضَفًا لـ «عَذَابٍ» فِي الْآيَةِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةَ بِجَرٍّ [أَلِيمٍ] وَضَفًا لـ «رِجْزٍ».

تَمْهِيدُ:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ أَنَّ الْقُرْآنَ تَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، فَهُوَ كِتَابٌ عَظِيمٌ مُعْجَزٌ.

وَفِيهَا تَنْبِيهُ عَلَى بَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ الدَّلَالِ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

وَفِيهَا تَوْبِيخٌ لِلْمُشْرِكِينَ الْكَافِرِينَ بِالْقُرْآنِ وَبِالرَّسُولِ إِذْ لَمْ يَعْبُؤُوا

بآياتِ اللهِ البيانيَّةِ الَّتِي تُتْلَى عَلَيْهِمْ، وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى أَعْظَمِ بَيَانٍ مُفْنِعٍ وَمُبَشِّرٍ وَمُنْذِرٍ، بِأَسْلُوبِ الْحَدِيثِ الْإِفْتَاعِيِّ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ وَلَا مِثْلُهُ حَدِيثٌ ذُو تَأْثِيرٍ فِي الْقُلُوبِ وَالنَّفُوسِ، لِلْإِيمَانِ بِمَا أَوْجَبَ اللهُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَلِإِعْلَانِ الْإِسْلَامِ وَالْإِنْقِيَادِ وَالطَّاعَةِ.

وَفِيهَا إِنْذَارٌ لِلْكَافِرِينَ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ مُهِينٍ، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ آيَاتِ اللهِ هُزُوءًا، ثُمَّ يَكُونُ مَصِيرُهُمُ الْخُلُودَ فِي جَهَنَّمَ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:

• ﴿حَمَّ﴾ (١): حَرْفَانِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ، الْوَارِدَةِ فِي أَوَائِلِ بَعْضِ سُورِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَقَدْ ذَكَرْتُ مَا يَكْفِي بِشَأْنِهَا لَدَى تَدْبُرِ أَوَّلِ سُورَةِ (الْقَلَمِ/ ٤ نزول).

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:

• ﴿نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢).

هَذِهِ الْآيَةُ مِثْلُ الْآيَةِ الَّتِي صَدَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا سُورَةَ (الزمر/ ٥٩ نزول) وَالتَّدْبِيرُ هُنَا مِثْلُ التَّدْبِيرِ هُنَاكَ.

• ﴿نَزِيلُ﴾ مَصْدَرُ «نَزَلَ» وَهُوَ مُكَافِئٌ لِفِعْلِ «أَنْزَلَ إِنْزَالًا» لِأَنَّ الْمُضْعَفَ وَالْمَهْمُوزَ فِي الْمَعْنَى وَالذَّلَالَةِ أَحْوَانِ، وَلَمْ أَجِدْ فِي النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْفَرْقِ بَيْنَ «التَّنْزِيلِ» وَ«الْإِنْزَالِ» وَقَدْ جَاءَ فِيهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِعْلُ «نَزَلَ» وَفِعْلُ «أَنْزَلَ».

إِنَّهُ لَمَّا كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى، كَانَ كُلُّ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - تَنْزِيلًا وَإِنْزَالًا مِنْ عُلُوِّهِ إِلَى مَا هُوَ دُونَهُ، وَإِلَى مَنْ هُمْ دُونَهُ، وَكُلُّ أَكْوَانِهِ كَذَلِكَ سِوَاءَ أَكَانَتْ أَحْيَاءَ أَمْ غَيْرَ أَحْيَاءَ، وَمِنْهُ:

﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ - ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾.

• ﴿الْكِتَابُ﴾: سَمَّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا يُنْزَلُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ بَيَانٍ كَلَامِيٍّ فِي الْآيَاتِ وَالسُّورِ كِتَابًا، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ عَلَى الرَّسُولِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُدَوِّنُوهُ فِي كِتَابٍ مَصُونٍ، مَحْفُوظٍ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ فِي كَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهِ وَآيَاتِهِ وَسُورِهِ.

وَتَابَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ تَعْرِيفَهُ بِـ «ال» الْعَهْدِيَّةِ، فَصَارَ يُعْرَفُ بِلَفْظِ «الْكِتَابِ» وَهَذَا اللَّفْظُ أَحَدُ الْعُنَوَانَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الْبَيَانُ الْقَوْلِيُّ، الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ قَبْلَ إِكْمَالِ أَنْزَالِهِ، وَبَعْدَ إِكْمَالِ أَنْزَالِهِ، إِذْ هُوَ فِي الْحُطَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ مُهَيَّأً أَنْزَالُهُ كُلَّهُ، بِأُسْلُوبِ التَّنْجِيمِ وَالتَّفْرِيقِ، مُنْذُ أَنْزَالِ «اقْرَأْ» حَتَّى آخِرِ حَرْفِ أَنْزَلَ مِنْهُ.

لفظ «كِتَاب» فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ «كَتَبَ» يُقَالُ لُغَةً: «كَتَبَ، يَكْتُبُ، كِتَابًا، وَكِتَابًا». وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى «الْمَكْتُوبِ» مِنْ إِطْلَاقِ الْمَصْدَرِ عَلَى اسْمِ الْمَفْعُولِ.

لفظ «تَنْزِيلٍ» مُضَافٌ. وَهُوَ مُبْتَدَأٌ. وَلَفْظُ «الْكِتَابِ» مُضَافٌ إِلَيْهِ، وَخَبَرُ الْمُبْتَدَأِ مَا يَلِي:

• ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾.

فِي هَذَا الْبَيَانِ رَدٌّ عَلَى الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ صِنَاعَةِ مُحَمَّدٍ وَتَأْلِيفِهِ، أَوْ أَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ، أَوْ هُوَ أَسَاطِيرُ مِنْ أَصَاطِيرِ الْأَوَّلِينَ، أَوْ تَنْزِيلٌ بِهِ الشَّيَاطِينُ، أَوْ غَيْرَ هَذِهِ مِنْ أَقْوَالِ الْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ الْجَا حِدِينَ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ظُهُورِ أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِذْ تَحَدَّى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ بِأَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ عَشْرِ سُورٍ مِنْهُ مُفْتَرِيَاتٍ.

وَقَدْ جَاءَ تَمْجِيدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ هُنَا بِذِكْرِ اسْمَيْنِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، هُمَا «الْعَزِيزُ» وَ«الْحَكِيمُ».

العَزِيزُ: أي: القَوِيُّ الغَالِبُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ، وَلَا تُكَافِي قُوَّتُهُ قُوَّةُ مَا، وَلَا قُدْرَتُهُ قُدْرَةُ مَا، فِي أَيِّ شَيْءٍ.

فَإِذَا أُنْزِلَ كِتَابًا مُعْجِزًا، فَإِنَّهُ لَوْ اجْتَمَعَتِ الْخَلَائِقُ جَمِيعًا عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا، إِذْ هُوَ الْعَزِيزُ الْغَلَابُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

الحكيم: أي: ذُو الْحِكْمَةِ الْجَلِيلَةِ فِي كُلِّ اخْتِيَارَاتِهِ، فَهُوَ يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا الْمُلَائِمَةِ لَهَا تَمَامًا، وَيَخْتَارُ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ وَأَتْقَنَهَا وَأَحْسَنَهَا فِي الْأُمُورِ الْمُخْتَلِفَةِ لِمَا يُعْطِي أَحْسَنَ النَّاتِجِ.

وهذا الاسم بالنسبة إلى الله، يَدُلُّ عَلَى اتِّصَافِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - بِالْكَمَالِ الْأَقْصَى لِلْحِكْمَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ اخْتِيَارَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَتَصَارِيفِهِ كُلِّهَا.

وَذَكَرُ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، بَعْدَ بَيَانِ أَنْ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنْهُ، فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - بِعِزَّتِهِ وَحُكْمَتِهِ يَجْزِي عِبَادَهُ الَّذِينَ وَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَيَبْعَثُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لِلْآخِرَةِ، بِأَتْقَنِ مَا تَقْضِي بِهِ حُكْمَتُهُ، لِذَا رِ نَعِيمِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِلذَا عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ ؕ ؕ ؕ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَخَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ نُفُوسٍ حَالِيَةٍ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَالْحَاجَّ بِهِ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ؕ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾:

كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ هُوَ مِنْ آثَارِ صِفَاتِ رَبُّوبِيَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى عَلَامَاتٍ دَالَّاتٍ عَلَى الْخَالِقِ الْمُتَصَرِّفِ فِيهِ، الْمُتَابِعِ مَعَ أَصْغَرِ الْوَحْدَاتِ الزَّمَنِيَّةِ كُلِّ تَطْوِيرٍ وَتَغْيِيرٍ يُخْدِتُهُ فِيهِ، زِيَادَةً أَوْ نَقْصًا فِي الذَّاتِ أَوْ فِي الصِّفَاتِ، إِذْ لَا تَغْيِيرَ فِي شَيْءٍ مَا



يَحْدُثُ مِنْ ذَاتِهِ، بَلِ اللَّهُ الرَّبُّ هُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِيهِ بِصِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ، وَهُوَ الْمُهَيِّمُنُ عَلَيْهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ.

وَمِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْبَيَانِ الرَّبَّانِيِّ لِلْكَافِرِينَ، بَأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْإِلَهَ الَّذِي لَا إِلَهَ بِحَقِّ سِوَاهُ، التَّنْبِيهُ الْمَتَّبِعُ عَلَى آيَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ لِكَوْنِهِ، الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا رَبٌّ سِوَاهُ.

الآيَاتُ: هِيَ الْعَلَامَاتُ الدَّالَّاتُ عَلَى مَذْلُولٍ مَا.

وَمِنَ آيَاتِ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ الدَّالَّاتِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ فِي رَبُّوبِيَّتِهِ مَا

يلي:

(١) السَّمَاوَاتُ: بِمَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبَ، وَبِمَا لَهَا مِنْ أَعْبَادٍ لَا تَسْتَطِيعُ أَذْهَانُ النَّاسِ تَصَوُّرَهَا مَعَ أَنَّهَا حَقَائِقُ.

(٢) الْأَرْضُ: بِمَا فِيهَا مِنْ عَجَائِبَ بِحَارٍ وَجِبَالٍ، وَأَنْهَارٍ، وَنَبَاتَاتٍ مُخْتَلِفَاتِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَنْوَاعِ وَالْأَصْنَافِ. وَبِمَا فِيهَا مِنْ كُنُوزٍ وَفِرَاتٍ وَنَافِعَاتٍ، وَخَصَائِصٍ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا الَّذِي خَلَقَهَا وَأَتَقَنَ صُنْعَ كُلِّ شَيْءٍ فِيهَا.

(٣) النَّاسُ فِي الْأَرْضِ: وَخَلَقَهُمْ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.

(٤) مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ أَنْوَاعٍ وَأَصْنَافٍ الدَّوَابِّ الْعَجِيبَةِ: وَمَا لَهَا مِنْ صِفَاتٍ وَخَصَائِصٍ. وَهِيَ مُبْنَتَةٌ فِي الْأَرْضِ بِإِتْقَانٍ عَجِيبٍ.

(٥) اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ: وَتَدَاوُلُهُمَا بِنِظَامٍ مُنْضَبِطٍ بَدِيعٍ، لَا يَسْتَطِيعُ تَحْقِيقُهُ إِلَّا خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ، وَالْمُهَيِّمُنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِصِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ.

(٦) مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ: غَيْثًا، وَضِيَاءً، وَحَرَارَةً، وَمِدَادًا لِلْأَرْضِ، تَنْبُتُ بِهَا الزَّرُوعُ وَالثَّمَارُ وَسَائِرُ الْأَرْزَاقِ النَّافِعَةِ، الشَّامِلَةِ لِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

(٧) تَصْرِيفُ الرِّيَّاحِ: عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا وَوِظَائِفِهَا الْمَسْخَرَةِ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَتَذْيِيرَاتِهِ.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ فِي الْكَوْنِ مُوجَّهَاتٌ لِأَهْلِ ثَلَاثِ مَرَاتِبَ مِنَ النَّاسِ.

المرتبة الدنيا: مَنْ لَدَيْهِمُ الْاسْتِعْدَادُ لِأَنْ يُؤْمِنُوا إِيْمَانًا مَقْبُولًا، دَلَّتْ عَلَيْهِمْ عِبَارَةٌ: ﴿لَا يَنْتَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

المرتبة الوسطى: مَنْ لَدَيْهِمُ الْاسْتِعْدَادُ لِأَنْ يَصِلُوا إِلَى دَرَجَةِ الْيَقِينِ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، دَلَّتْ عَلَيْهِمْ عِبَارَةٌ: ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾: الْيَقِينُ: الْعِلْمُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَهَذَا أَعْلَى مِنْ مُجَرَّدِ الْإِيْمَانِ.

المرتبة العليا: مَنْ لَدَيْهِمُ الْاسْتِعْدَادُ لِأَنْ يَعْقِلُوا حَقَائِقَ الْأُمُورِ عَقْلًا دَقِيقًا، وَلِأَنْ يَعْقِلُوا أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ بِإِرَادَاتٍ جَازِمَاتٍ، تَجْعَلُهُمْ لَا يَخْرُجُونَ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، دَلَّتْ عَلَى هَؤُلَاءِ عِبَارَةٌ: ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وَجَاءَ تَوْزِيعُ أَصْحَابِ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ مُلَائِمًا لِمَا ذُكِرَ قَبْلَ كُلِّ مِنْهُمْ مِنْ آيَاتٍ.

• فَالَّذِينَ لَدَيْهِمُ الْاسْتِعْدَادُ لِأَنْ يُؤْمِنُوا إِيْمَانًا مَقْبُولًا عِنْدَ رَبِّهِمْ، يَكْفِيهِمُ النَّظَرُ إِلَى ظَوَاهِرِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. الْآيَةُ (٣).

• وَالَّذِينَ لَدَيْهِمُ الْاسْتِعْدَادُ لِأَنْ يُوقِنُوا يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ النَّاسِ، وَفِي خَلْقِ الْأَحْيَاءِ الْأُخْرَى، الْآيَةُ (٤).

• وَالَّذِينَ لَدَيْهِمُ الْاسْتِعْدَادُ لِأَنْ يَعْقِلُوا عَقْلًا عِلْمِيًّا وَعَقْلًا إِرَادِيًّا، يَتَفَكَّرُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي جَاءَ بَيَانُهَا فِي الْآيَةِ (٥).

وَقَدْ سَبَقَ فِي نُصُوصٍ مُتَعَدِّدَةٍ شَرْحُ هَذِهِ الْآيَاتِ الَّتِي جَاءَ بَيَانُهَا فِي هَذَا النَّصِّ (الآيَاتُ مِنْ ٣ - ٥).

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِرَسُولِهِ ﷺ بِشَأْنِ الْكَافِرِينَ بَعْدًا.

● ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾  
 ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتُ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ  
 يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ  
 مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن رَّأْيِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ  
 اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ :

هَذِهِ الْآيَاتُ تَصِفُ حَالَ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ،  
 بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْقُرْآنِ الَّذِي تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتٌ مِنْهُ، إِذْ يُقَابِلُونَهُ بِالْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ  
 بَأَنَّهُ كِتَابٌ مُّنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَزْعُمُونَ بِشَأْنِهِ مَزَاعِمَ كَوَازِبٍ يَفْتَرُونَهَا  
 اخْتِلَافًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، وَمِنْهَا قَوْلُهُمْ: «هُوَ شَعْرٌ - هُوَ سِحْرٌ - هُوَ مِنْ  
 تَأْلِيفِ مُحَمَّدٍ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ - هُوَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - هُوَ كَلَامٌ  
 تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ» إِلَى غَيْرِ هَذِهِ مِنْ أَكَاذِيبَ إِفْكِيَّةٍ يَخْتَلِقُونَهَا اخْتِلَافًا.

إِنَّهُمْ يَسْمَعُونَ آيَاتِ كِتَابِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِمْ، وَيَفْهَمُونَ دَلَالَاتِهَا،  
 وَيَسْتَقِينُونَ أَنَّهَا حَقٌّ مُّنْزَلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ثُمَّ يُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ بِهَا،  
 مُسْتَكْبِرِينَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالرُّسُولِ وَاتِّبَاعِهِ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهَا، وَحِينَ  
 يَعْلَمُونَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَا فِيهِ وَعِيدٌ لَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، أَوْ مَا فِيهِ بَيَانٌ فَسَادِ  
 شُرُكِهِمْ، وَأَنَّهُمْ ضَالُّونَ فِي عَقَائِدِهِمْ، وَأَنْوَاعِ سُلُوكِهِمُ الَّتِي هُمْ فِيهَا طُغَاةٌ  
 بُعَاةٌ أَثِيمُونَ، اسْتَهْزَؤُوا بِهَا وَسَخَرُوا مِنْهَا، لِتَغْطِيَةِ بَصَائِرِ اتِّبَاعِهِمْ عَنْ إِدْرَاكِ  
 الْحَقِّ الْمُنَزَّلِ مِنْ لَدُنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَاسْتَحَقُّوا تَكْرِيرَ إِنذَارِهِمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ مُّهِينٍ عَظِيمٍ، قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ، فَمِنْهُ  
 مَا يَنْزِلُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْهُ مَا يَنْغَمِسُونَ فِيهِ فِي الْآخِرَةِ يَوْمَ الدِّينِ.

● ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ :

يُخَاطَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولُهُ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ، وَالْمَقْصُودُ بِهَا إِسْمَاعُ

أُيْمَّةُ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، فَهُمْ الْمَعَانِدُونَ الْمُصِرُّونَ عَلَى بَاطِلِهِمْ، وَالِدَّاعُونَ لَهُ بَيْنَ أَتْبَاعِهِمْ.

نُزِّلَتِ الْآيَاتُ الْقَرِيبَةُ الْمُثْلَوَةُ مَنْزِلَةَ الْبَعِيدَةِ، فَجَاءَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا بِعِبَارَةٍ: ﴿تِلْكَ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى سُمُوحِهَا وَارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهَا بَيَانًا، وَمَعَانِي، وَبَلَاغَةً، وَإِعْجَازًا.

• ﴿إِنْتُ اللَّهُ﴾: أَيُّ: آيَاتُ كِتَابِ اللَّهِ الْمَنْزَلِ مِنْ لَدُنْهُ مَعَ مُلَاحَظَةِ أَنَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (٢).

• ﴿تَتْلُوهَا﴾: أَيُّ: نَجْعَلُ بِأَمْرِنَا جِبْرِيلَ أَمِينَ الْوَحْيِ يُتَابِعُ تَلْقِينَكَ إِيَّاهَا، كَمَا أَنْزَلْنَاهَا، حَرْفًا فَحَرْفًا، وَكَلِمَةً فَكَلِمَةً، وَجُمْلَةً فَجُمْلَةً، وَآيَةً فَآيَةً.

التَّلَاوَةُ: تَتَّبِعُ الْمُنْطَوِقِ مِنَ الْقَوْلِ الْمُعَيَّنِ دُونَ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصٍ وَلَا تَغْيِيرٍ، فَإِذَا كَانَ هَذَا التَّتَبُّعُ مِنْ مَكْتُوبٍ فَهِيَ قِرَاءَةٌ.

• ﴿عَلَيْكَ﴾ أَيُّ: تَتْلُوهَا عَلَى سَمْعِكَ لِتَحْفَظَهَا فَلَا تَنْسَاهَا، وَلِتُبَلِّغَهَا لِلنَّاسِ كَمَا تَلْقَيْتَهَا عَنْ طَرِيقِ أَمِينِ الْوَحْيِ جِبْرِيلَ، فَأَنْتَ تَتْلُوهَا عَلَى النَّاسِ تَبْلِيغًا عَنْ رَبِّكَ، وَلَيْسَ لَكَ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا التَّبْلِيغُ كَمَا أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ.

• ﴿بِالْحَقِّ﴾: أَيُّ: تَتْلُوهَا عَلَيْكَ حَالَةَ كَوْنِهَا مُتَّصِفَةً بِالْحَقِّ.

الْحَقُّ: هُوَ الشَّيْءُ الثَّابِتُ، فَالْعِلْمُ الْحَقُّ هُوَ الْمُطَابِقُ لِلْوَاقِعِ، وَالْخَبَرُ الْحَقُّ هُوَ الْمُطَابِقُ لِوَاقِعِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ، وَالتَّكْلِيفُ الْحَقُّ هُوَ الْمُطَابِقُ لِمُرَادِ اللَّهِ فِيهِ، وَهُوَ أَحْسَنُ اخْتِيَارٍ يُكَلِّفُهُ اللَّهُ عِبَادَهُ بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَالْحُكْمُ الْحَقُّ هُوَ الْمُطَابِقُ لِحَقِّ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ أَوْ لَهُ، وَالنُّصْحُ الْحَقُّ هُوَ الْمُطَابِقُ لِحَقِّ الْمَنْصُوحِ عَلَى النَّاصِحِ، أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى أَفْضَلِ مَا يَجْلِبُ لَهُ نَفْعًا وَيَدْفَعُ ضَرًّا.

• ﴿... فَإِنِّي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَتُهُ يُؤْمِنُونَ﴾:

إِنَّ أَفْضَلَ بَيَانٍ مُؤَثِّرٍ فِي مَدْعُوٍّ إِلَى شَيْءٍ مَا كَانَ حَدِيثًا، وَلِهَذَا اخْتَارَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ بَيَانُهُ فِي كِتَابِهِ لِلنَّاسِ عَلَى مِنْهَاجِ الْحَدِيثِ الْهَادِي، إِفْنَاعًا، وَتَرْغِييًّا، وَتَرْهِييًّا، وَجَدَالًا بِآيَتِي هِيَ أَحْسَنُ.

وَلَمَّا كَانَ كِتَابُ اللَّهِ الْقُرْآنُ أَسْمَى حَدِيثٍ مُعْجَزٍ يُؤَثِّرُ فِي الْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ مِنْ كُلِّ جَوَانِبِهَا، وَكَانَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْمَدْعُوعِينَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْغَيْبِ بِالْبَرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْبَيَانِ طَرْحُ السُّؤَالِ التَّالِي:

إِذَا لَمْ يُؤْمِنْ أَيْمَةُ الْكُفْرِ، بِحَدِيثٍ صَادِرٍ عَنِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِي آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ مُعْجَزَاتٍ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ يَصُدُّ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ فِي أَقْوَالٍ لَا إِعْجَازَ فِيهَا يُؤْمِنُونَ بِالْحَقِّ الَّذِي يُدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ؟!!!

سُؤَالٌ لَيْسَ لَهُ إِلَّا جَوَابٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ: إِنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مُتَأَثِّرِينَ بِأَيِّ حَدِيثٍ، لِأَنَّهُمْ مُكَابِرُونَ مُعَانِدُونَ، يَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَيَرْفُضُونَ الْإِيمَانَ بِهِ، وَاتِّبَاعَ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ هَذَا الْإِيمَانِ، إِذْ هُمْ عَبَادُ أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَرَغَبَاتِ نَفْسِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾:

«وَيْلٌ» كَلِمَةُ عَذَابٍ، وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ لَمْ يَصِلْ إِلَى دَرَجَةِ الصَّحِيحِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ.

• «أَفَّاكٌ»: أَي: كَثِيرُ الْإِفْكِ، وَهُوَ الْكَذِبُ، وَكَثِيرُ التَّأْفِيكِ، وَهُوَ التَّكْذِيبُ بِالْحَقِّ، وَكَثِيرُ الضَّلَالِ وَالْإِضْلَالِ، وَلَفْظُ «أَفَّاكٌ» صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ لِاسْمِ الْفَاعِلِ «أَفَكَ».

• «أَثِيمٌ»: أَي: مُسْرِفٌ غَالٍ فِي ارْتِكَابِ الذُّنُوبِ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَيَخْتَصُّ بِالْكَافِرِ الْفَاجِرِ.

إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ لَا تُؤْتَرُ فِي جَذْبِهِ إِلَى الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ، آيَاتُ اللَّهِ الَّتِي تُثَلِّى عَلَيْهِ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ كَوْنِهَا حَدِيثًا مُعْجَزًا، لِأَنَّهُ مُكَابِّرٌ مُعَانِدٌ جَاحِدٌ، لَا يَلِيقُ بِهِ إِلَّا أَنْ يُقَالَ بِشَأْنِهِ: ﴿وَلِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ ٧ أي: عَذَابٌ شَدِيدٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ مِثْلُهُ.

جَاءَتِ الْعِبَارَةُ عَامَّةً، وَالْمُعَالَجُونَ فِي السُّورَةِ يَدْخُلُونَ فِي عُمُومِ النَّصِّ حَتْمًا.

وَجَاءَ وَصَفُ الْأَفَّاكِ الْأَثِيمِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ بِمَا يَلِي:

• ﴿يَسْمَعُ مَا كَتَبَ اللَّهُ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٨ :

أَي: يَسْمَعُ بَعْضَ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ كِتَابِهِ تُثَلَّى عَلَيْهِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ مِنْ أَحَدِ حَمَلَةِ رِسَالَةِ دَعْوَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ، فَيَتَفَهَّمُهَا وَيَعْلَمُ أَنَّ مَا جَاءَ فِيهَا حَقٌّ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ يَتَصَارَعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْوَائِهِ وَمَطَالِبِ نَفْسِهِ مِنْ دُنْيَاهُ، فَيُؤْثِرُ الْعَاجِلَةَ عَلَى الْآجِلَةِ، فَيُصِرُّ عَلَى بَاطِلِهِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، وَعَلَى الْبَغْيِ وَالظُّلْمِ وَالْفُجُورِ وَسَائِرِ الْآثَامِ الَّتِي يَرْتَكِبُهَا مُتَلَذِّذًا بِهَا، حَالَةً كَوْنِهِ مُسْتَكْبِرًا عَنِ الْإِيمَانِ بِالرَّسُولِ وَاتِّبَاعِهِ، وَمُتَعَالِيًا بِمَرْكَزِهِ الْاجْتِمَاعِيِّ الَّذِي يَحْتَلُّهُ وَيَتَفَاخَرُ فِيهِ، بَيْنَ جَمَاهِيرِ قَوْمِهِ، وَيُذَبِّرُ عَنِ الْحَقِّ وَعَنْ دَاعِي الْحَقِّ، وَيَنَأَى مُبْتَعِدًا كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْهَا.

فَبَشِّرْهُ أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، تَبْلِيغًا عَنْ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بِعَذَابٍ أَلِيمٍ سَوْفَ يَلْقَاهُ يَوْمَ الدِّينِ، مَعَ مَا قَدْ يَنْزِلُ بِهِ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ فِي الدُّنْيَا.

الإِصْرَارُ عَلَى الْأَمْرِ: الثَّبَاتُ عَلَيْهِ وَلُزُومُهُ، وَكَثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي لُزُومِ الْقَبَائِحِ وَالْآثَامِ وَالثَّبَاتِ عَلَى مُمَارَسَتِهَا، وَاعْتِقَادِ الْبَاطِلِ وَالْمُعَانَدَةِ فِي اعْتِنَاقِهِ وَالدَّفَاعِ عَنْهُ وَرَغْمِ أَنَّهُ حَقٌّ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ بَاطِلٌ وَقَاسِدٌ وَشَرٌّ.

أَصْلُ التَّبَشِيرِ: الإِخْبَارُ بِمَا يَسُرُّ وَيُفْرَحُ، وَيُسْتَعْمَلُ عَلَى سَبِيلِ التَّهْكُمِ فِي الإِخْبَارِ بِمَا يَسُوءُ مِنْ مَكْرُوهِ مَعَ قَرِينَةٍ صَارِفَةٍ، كَالْتَّبَشِيرِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

الْأَلِيمُ: أي: المؤلِم «فَعِيلٌ» بِمَعْنَى «مُفْعَلٌ».

وَجَاءَ وَصْفُ الْأَفَّاكِ الْأَيْمِ بِالنُّسْبَةِ إِلَى حَالٍ أُخْرَى مِنْ أَحْوَالِهِ بِمَا

يَلِي:

• ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ... ﴾ ٩١ ﴿﴾:

أي: وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الرَّبِّ الْجَلِيلِ الْعَظِيمِ شَيْئًا يَسُوءُهُ، مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِذِمِّ شُرَكِيَائِهِ، وَتَقْيِيحِ مَا يُمَارِسُهُ مِنْ فُجُورٍ وَقَبَائِحٍ وَشُرُورٍ اتَّخَذَهَا هُزُوًا.

«الْهُزْءُ»: السُّخْرِيَّةُ. وَهُوَ مَصْدَرُ فِعْلِ «هَزَأَ» يُقَالُ لُغَةً: «هَزَأَ بِهِ، وَهَزَأَ مِنْهُ، هُزْأً، وَهُزُوًا، وَمَهْزَاةً» أَي: سَخِرَ مِنْهُ، وَسَخِرَ بِهِ.

أُطْلِقَ الْمَصْدَرُ عَلَى مَعْنَى الْمَهْزُوءِ بِهِ مِمَّا اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ بَعْضُ آيَاتِ اللَّهِ الْحَقِّ، عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، أَي: بَالَعَ فِي هُزْئِهِ حَتَّى جَعَلَ مَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِمَّا يُخَالِفُ هَوَاهُ، وَيُخَالِفُ تَحْقِيقَ شَهَوَاتِهِ عَيْنَ الْهُزْءِ، وَمِثْلُ هَذَا الْإِطْلَاقِ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ، وَمِنْهُ رَجُلٌ عَدْلٌ، وَامْرَأَةٌ عَاطِفَةٌ.

وَنَفْهَمُ أَنَّهُ يَلْجَأُ إِلَى الاسْتِهْزَاءِ بِمَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، مِمَّا يَخَالِفُ أَهْوَاءَهُ وَرَغَبَاتِهِ مِنْ دُنْيَاهُ، لِأَنَّهُ وَجَدَهَا حَقًّا، وَلَا يَمْلِكُ حُجَّةً يَخْدَعُ أَتْبَاعَهُ وَأَنْصَارَهُ بِهَا، لِيُوْهِمَهُمْ أَنَّ مَا جَاءَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بَاطِلٌ، فَيُعْطِي هَزِيمَتَهُ الْفِكْرِيَّةَ بِوَسِيلَةِ الاسْتِهْزَاءِ الْمُبَالَغِ بِهَا، وَيُعْشِي عَلَى بَصَائِرِ أَتْبَاعِهِ وَأَنْصَارِهِ بِحَرَكَاتِ الاسْتِهْزَاءِ، حَتَّى لَا يُفَكِّرُوا بِمَا جَاءَ فِي آيَاتِ كِتَابِ، ثِقَّةً بِرَأْيِ قَائِدِهِمْ وَرَعِيمِهِمْ فِيهَا، وَأَنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ إِلَّا أَنْ يُهْزَأَ بِهَا.

بَعْدَ هَذَا كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ تَوْجِيهَ الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ  
لِهَذَا الْفَرِيقِ مِنَ النَّاسِ، وَهَذَا الْوَعِيدُ مُوجَّهٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُبَاشَرَةً،  
دُونَ تَكْلِيفِ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُخْبِرَهُ بِهِ بَلَاغًا عَنِ اللَّهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ التَّوْجِيهَ  
الْمُبَاشِرَ مِنَ اللَّهِ أَشَدُّ وَأَكْثَرُ تَرْهِيبًا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

• ﴿... أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا  
كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾:

أي: أُولَئِكَ الْأَفَّاكُونَ الْأَثِيمُونَ الْبُعْدَاءُ الْمَتَسَفِّلُونَ إِلَى جِهَةِ الدَّرَكِ  
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، أُعِدَّ وَدُبِّرَ لَهُمْ، بِتَقْدِيرِنَا وَقَضَائِنَا وَحُكْمِنَا عَلَيْهِمْ،  
عَذَابَانِ، أَحَدُهُمَا مُعَجَّلٌ فِي الدُّنْيَا وَعِنْدَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَى حِينِ  
الْبَعْثِ، وَالْآخَرُ مِنْهُمَا مُؤَجَّلٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمِ الدِّينِ، يَوْمِ الْجَزَاءِ  
الْأَكْبَرِ.

أَمَّا الْعَذَابُ الْأَوَّلُ: فَهُوَ عَذَابٌ مُهِينٌ فِي الدُّنْيَا، وَيُلْحَقُ بِهِ مَا يُلَاقُونَ  
مِنْ عَذَابٍ عِنْدَ الْمَوْتِ وَبَعْدَ الْمَوْتِ لِنَفْسِهِمْ، دَلَّ عَلَى هَذَا: ﴿...  
أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾﴾ أي: عَذَابٌ مُذِلٌّ مُخْزٍ لَهُمْ فِيهِ إِهَانَةٌ، وَهَذَا  
يَنْطَبِقُ عَلَى مَا سَيَنْزِلُ بِهِمْ مِنْ هَزَائِمٍ وَجَرَّاحَاتٍ وَقَتْلِ، بِأَيْدِي فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ مِمَّنْ  
كَانُوا يَسْتَكْبِرُونَ أَنْ يَجْلِسُوا مَعَهُمْ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، مِنْ ضَعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ،  
وَيَنْطَبِقُ عَلَى الْعَذَابِ الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ الْمَوْتِ، إِذْ تَضْرِبُ مَلَائِكَةُ التَّغْذِيبِ  
وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، مَعَ مَا يَكُونُ لَهُمْ مِنْ عَذَابٍ لِنَفْسِهِمْ مُدَّةَ الْبَرْزَخِ.

وَأَمَّا الْعَذَابُ الْآخَرُ: فَهُوَ مَا سَوْفَ يَكُونُ لَهُمْ مِنْ عَذَابِ الْحَرِيقِ فِي  
نَارِ جَهَنَّمَ وَأَنْوَاعِ عَذَابٍ أُخْرَى فِيهَا، دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ  
وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مِنْ وَرَائِهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ، الشَّامِلُ لِكُلِّ مَا فِيهَا مِنْ  
أَنْوَاعِ تَغْذِيبٍ غَيْرِ الْحَرِيقِ.

عِبَارَةٌ «مِنْ وَرَائِهِمْ» وَنَحْوَهَا اسْتُعْمِلَتْ فِي الْقُرْآنِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى



الْمُسْتَقْبَلِ، لِأَنَّ الْمُسْتَقْبَلَ غَيْبٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّاسِ وَغَيْرُ مَشْهُودٍ لَهُمْ، فَهُوَ وَرَاءَهُمْ، إِذْ هُمْ يَجْلِسُونَ فِي عَرَبَةِ حَيَاتِهِمْ وَوُجُوهُهُمْ مُتَّجِهَةٌ إِلَى مَا مَضَى مِنَ الطَّرِيقِ لَا إِلَى مَا سَيَقْطَعُونَهُ مِنْهُ.

وَبَعْدَ هَذَا الْوَعِيدِ الْمَشْتَمِلِ عَلَى الْعَذَابَيْنِ اللَّذَيْنِ سَبَقَ شَرْحُهُمَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى بِشَأْنِهِمْ تَيْنِسًا لَهُمْ مِنَ الْخَلَاصِ مِنَ الْعَذَابِ الْعَظِيمِ، الَّذِي سَوْفَ يُلَاقُونَهُ يَوْمَ الدِّينِ، جَزَاءَ كُفْرِهِمْ، وَجُحُودِهِمْ، وَمُكَابَرَتِهِمْ، وَاسْتَهْزَائِهِمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ:

• ﴿... وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠):

• ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ﴾: أَي: وَلَا يَكْفُ وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُمْ.

• ﴿مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾: أَي: مَا كَسَبُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ أَمْوَالٍ وَأَنْصَارٍ وَجَاهٍ وَسُلْطَانٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَالْمَعْنَى: وَلَا يَكْفُ وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْمُعَدِّ لَهُمْ، وَالْمُقْضِي عَلَيْهِمْ بِهِ شَيْئًا.

• ﴿... وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾: أَي: وَلَا يَكْفُ وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُمْ أَيْضًا شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ الْمُعَدِّ لَهُمْ، وَالْمُقْضِي بِهِ عَلَيْهِمْ، أَوْلِيَاؤُهُمُ الَّذِينَ عَبَدُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ أَطَاعُوهُمْ وَاتَّبَعُوهُمْ وَنَصَرُوهُمْ وَاسْتَنْصَرُوا بِهِمْ، وَاتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابًا وَالْهَةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا لِغَيْرِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ شَيْئًا، إِذِ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَقَدْ انْتَهَتْ حَيَاةُ الْإِبْتِلَاءِ وَالتَّمَكُّينِ، وَجَاءَتْ حَيَاةُ الْحِسَابِ، وَفَضَلَ الْقَضَاءُ، وَتَنْفِيزُ الْجَزَاءِ، وَسَلَبُ التَّمَكُّينِ مِنْ أَيِّ تَصَرُّفٍ إِلَّا بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ لَا يَفْعَلُونَ شَيْئًا إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ وَتَمَكُّينِهِ، حَتَّى الشَّفَاعَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَهِيَ مُجَرَّدُ دُعَاءٍ لَا يَمْلِكُ مَعَهَا الشَّافِعُ الْمَادُونُ لَهُ بَأَنَ يَشْفَعَ إِلَّا أَنْ يَدْعُو اللَّهَ مُتَضَرِّعًا.

• ﴿... وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١): أي: وَلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ فِي جَهَنَّمَ عَذَابٌ عَظِيمٌ، لِأَنَّهُمْ جَحَدُوا الْحَقَّ وَمَاتُوا وَهُمْ جَا حِدُنَ لَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِكُلِّ صَالِحٍ لِلْخُطَابِ:

• ﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ﴾ (١١):

• ﴿هَذَا هُدًى...﴾: الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ «هَذَا» الْقُرْآنُ الَّذِي جَاءَ فِي صَدْرِ السُّورَةِ بِعُنْوَانٍ: «الْكِتَابِ» فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢).

«هُدًى» مَصْدَرٌ لِفِعْلٍ: «هَدَاهُ»، يَهْدِيهِ، هُدًى، وَهَدِيًّا، وَهِدَايَةً، وَهِدْيَةً. أي: يَبَيِّنُ لَهُ وَأَرْشَدَهُ.

جَاءَ وَصَفُ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ هُدًى عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَعَةِ بِالْوَصْفِ بِالْمَصْدَرِ، إِذْ كُلُّ مَا فِيهِ يَشْتَمِلُ عَلَى هِدَايَةٍ، فَهُوَ بِمَثَابَةِ عَيْنِ الْهُدًى.

وَحَسَبُ الْقُرْآنِ هَذَا الْوَصْفُ الْعَظِيمُ، بَعْدَ بَيَانِ أَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، وَبَيَانِ أَنَّ جَمِيعَ مَا فِيهِ حَقٌّ.

• ﴿... وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ...﴾ بَعْدَ عَلَمِهِمْ بِأَنَّهَا آيَاتُ رَبِّهِمْ، وَآيَاتُ اللَّهِ لَا تَكُونُ إِلَّا حَقًّا وَصِدْقًا وَهُدًى ﴿... لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ﴾ (١١): أي: لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مِنْ صِنْفِ الرَّجْزِ.

الرَّجْزُ: كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ أَسْبَابُ تَغْذِيبِ الْمُعْذِبِينَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ التَّكْوِينِي، فَالطَّاعُونَ قَدْ ثَبَّتَ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، أَنَّهُ رَجَزٌ عَذَّبَ اللَّهُ بِهِ أَمَمًا كَافِرَةً قَبْلَ بَعْثَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْوَبَائِثُ الْكُبْرَى الشَّامِلَةُ رَجْزًا، وَالْإِنْدُرُ فِي عَصْرِنَا رَجْزٌ. وَالْهَيْضَةُ رَجْزٌ، وَمَا سَبَبَ لِلْمُضْطَرِّينَ عَذَابًا كَبِيرًا فِي عَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَدَعْوَتِهِ إِلَى دِينِ اللَّهِ رَجْزٌ، وَهَكَذَا.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الجاثية).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْتِهِ، وَفَتْحِهِ.

(٦)

## التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الجاثية) الآيتان (١٢ و ١٣)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْلَغُوا مِن فَضْلِهِ  
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

تمهيد:

في آيتي هذا الدرس تذكيرٌ ببعض نعم الله على الناس في كونه، وهي تشتمل على آيات تدعوهم إلى الإيمان بالله، وشكره على ما أنعم به عليهم.

التدبر التحليلي:

إنَّ مِنَّةَ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ بِتَسْخِيرِ الْبَحْرِ لَهُمْ، جَاءَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهَا لِأَوَّلِ  
مَرَّةٍ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ، هُنَا فِي الْآيَةِ (١٢) مِنْ هَذَا الدَّرْسِ.

أَمَّا مِنَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النَّاسِ بِتَسْخِيرِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ، فَقَدْ سَبَقَ أَنْ جَاءَ فِي الْآيَةِ (٢٠) مِنْ سُورَةِ (لقمان/ ٣١ مصحف/  
٥٧ نزول) وَلَكِنْ جَاءَ هُنَا فِي الْآيَةِ (١٣) إِضَافَةً: ﴿... جَمِيعًا مِّنْهُ ...﴾.

التَّسْخِيرُ: التَّذْلِيلُ لِعَمَلِ مَا، أَوْ أَمْرِ مَا، وَجَعَلَ الْمَسْخَرِ مُطَاوِعًا لِّمَا  
يُرَادُ بِهِ ضِمْنِ قَانُونِ تَسْخِيرِهِ، وَالْمُطَاوَعَةُ هَذِهِ قَدْ تَكُونُ بِالطَّبْعِ، كَتَسْخِيرِ  
الْأَشْيَاءِ غَيْرِ ذَاتِ الْحَيَاةِ، وَقَدْ تَكُونُ بِالْقُوَّةِ مَعَ التَّذْلِيلِ، كَتَسْخِيرِ  
الْعُجَمَاوَاتِ، وَقَدْ تَكُونُ بِالِاخْتِيَارِ الْحُرِّ لِمَا فِي الْمُطَاوَعَةِ مِنْ مَضْلَحَةٍ  
لِّلْمُطَاوِعِ، كَتَسْخِيرِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي الْأَعْمَالِ وَالصَّنَاعَاتِ.

وَتَسْخِرُ الْبَحْرَ جَعْلَهُ بِالطَّبِيعَةِ الَّتِي فَطَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، سَائِلًا صَالِحًا لَطْفُو الْفُلْكِ وَالسُّفُنِ عَلَيْهِ، وَجَرِيهَا فِيهِ، مُنْتَقِلَةً مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، حَتَّى تَجْتَازَ عَلَى ظَهْرِهِ مَسَافَاتٍ شَاسِعَاتٍ، عَلَى مِقْدَارِ عِظَمِ الْبَحْرِ مِنْ شَاطِئِ إِلَى شَاطِئِ آخَرَ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، وَالشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ.

وَجَرَيَانُ الْفُلْكِ فِي الْبَحْرِ يَكُونُ بِأَمْرِ اللَّهِ التَّكْوِينِيِّ الَّذِي يُسَيِّرُهَا، كَمَا يُسَيِّرُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - كُلَّ شَيْءٍ يَسِيرُ فِي كَوْنِ اللَّهِ الْكَبِيرِ، وَمِنْ تَسْيِيرِهِ تَسْيِيرُ النَّاسِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَهُوَ مَا أَمَتَّنَ اللَّهُ بِهِ عَلَى النَّاسِ فِي سُورَةِ (يُونُس/ ١٠ مصحف/ ٥١ نزول) بِقَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ (٢٢).

وجاء في الآية (١٢) من هذا الدُّرْسِ بَيَانُ ثَلَاثِ حِكَمٍ مِنْ حِكَمِ اللَّهِ الْجَلِيلَةِ فِي تَصَارِيفِهِ لِكَوْنِهِ، وَتَسْخِيرِهِ الْبَحْرَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ وَاجَهُهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْخُطَابِ:

الْحِكْمَةُ الْأُولَى: [لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ] إِنْْعَامًا مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النَّاسِ، إِذْ يُرِيدُونَ الْإِنْتِقَالَ عَلَى مَرَائِبِ الْبَحْرِ لِقَضَاءِ مَصَالِحَ لَهُمْ، وَلِرَفَاهِيَّتِهِمْ وَمَتَاعَاتِهِمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ.

الْفُلْكِ: مَرْكَبُ الْبَحْرِ، يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ، وَالْإِثْنَيْنِ، وَالْجَمْعِ، وَيُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، فَيَقَالُ: هُوَ الْفُلْكِ، وَهِيَ الْفُلُكُ.

وَعِبَارَةٌ: ﴿بِأَمْرِهِ﴾ يُنْهَمُ مِنْهَا أَمْرُهُ التَّكْوِينِيُّ الْمَتَابِعُ لِكُلِّ تَغْيِيرٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ مَعَ أَضْعَرِ الْوَحْدَاتِ الزَّمَنِيَّةِ.

الْحِكْمَةُ الثَّانِيَّةُ: ﴿وَلِتَسْتَوُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾: أَي: وَلِتَطْلُبُوا أَرْزَاقَكُمْ، وَمَصَالِحَ حَيَاتِكُمْ الْمُخْتَلِفَةَ، مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، بِاسْتِخْدَامِ أَسْبَابِهَا الْمَتَابِعِ لَكُمْ ضِمْنَ أَنْظَمَةِ اللَّهِ السَّبَبِيَّةِ فِي كَوْنِهِ.

يُقَالُ لُغَةً: «ابْتَغَى فُلَانٌ الشَّيْءَ» أَي: طَلَبَهُ.

الْفَضْلُ: الْإِحْسَانُ ابْتِدَاءً، دُونَ مُقَابِلٍ، وَدُونَ رَجَاءٍ مُكَافَأَةٍ أَوْ شُكْرِ.

الْحِكْمَةُ الثَّالِثَةُ: ﴿وَلَمَّا كُمُتُمْ تَشْكُرُونَ﴾: أَي: وَلِتَغْرِيفَكُمْ بِبَعْضِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، رَغْبَةً فِي أَنْ تَشْكُرُوا اللَّهَ بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ بِمَرَاضِيهِ، وَحَمْدِهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، لِيَجْزِيَكُمْ جَزَاءً خَالِداً أَبَدِيّاً فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ، تَكُونُونَ بِهِ مُنْعَمِينَ سَعْدَاءً.

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِلنَّاسِ:

● ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ...﴾ (١٣):

فِي هَذَا الْبَيَانِ امْتِنَانٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النَّاسِ، وَتَوْجِيهٌ لَهُمْ:

- أَمَّا الْاِمْتِنَانُ: فَوَاضِحٌ مِنْ ظَاهِرِ الْعِبَارَةِ، إِذْ جَعَلَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ السَّمَاوَاتِ بِتَرْكِيبِهَا الْعَامِّ، وَنِظَامِ تَكْوِينِهَا مَعَ الْأَرْضِ، مُسَخَّرَاتٍ تَسْخِيرَا مُتَرَابِطِ الْوَحْدَاتِ، مِنْ أَصْغَرِ الذَّرَّاتِ حَتَّى أَكْبَرَ الْمَجَرَّاتِ، لِيَقْضِيَ الْمَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْاِمْتِحَانِ رِحْلَةً اِمْتِحَانِيَهُمْ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ يَتَحَقَّقُ بِهِ الْاِمْتِحَانُ الْأَمَثَلُ.

- وَأَمَّا التَّوْجِيهُ: فَتَدُلُّ عَلَيْهِ فِكْرَةُ التَّسْخِيرِ، إِذْ مُعْظَمُ الْمَسَخَّرَاتِ أَوْ جَمِيعُهَا لَا بُدَّ مِنَ التَّقْيِيدِ بِقَوَانِينِ تَسْخِيرِهَا، وَاسْتِخْدَامِ الْأَسْبَابِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَنْظِمَةٍ كَوْنِيَةٍ أَسْبَاباً يُحَقِّقُ مِنْ قَنَوَاتِهَا مَا هِيَ مُسَخَّرَةٌ لَهُ.

أَي: فَابْحَثُوا فِي الْكَوْنِ لِتَعْرِفُوا أَسْبَابَ انْتِفَاعِكُمْ مِنْ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَلِتَسْتَخْدِمُوهَا فِي تَحْقِيقِ مَطَالِبِكُمْ، وَهِيَ مِنَ الْمُفْرَدَاتِ الْكَثِيرَاتِ جِدًّا لَامْتِحَانِكُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَالْمَعْنَى: أَنْتُمْ مُمَكَّنُونَ مِنَ التَّوَصُّلِ إِلَى الْأَسْبَابِ الَّتِي إِذَا اسْتِخْدَمْتُمُوهَا حَقَّقْتُمْ مَا سَخَّرَ اللَّهُ لَكُمْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَجَاءَتْ كَلِمَةٌ ﴿جَمِيعًا﴾ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، خَاضِعٌ لِقَانُونِ التَّسْخِيرِ الرَّبَّانِيِّ لِلنَّاسِ، ضِمْنَ أَنْظِمَةِ اللَّهِ السَّبَبِيَّةِ، الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَتَوَصَّلُوا إِلَيْهَا بِالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وبالتجارب المتكررة.

وَجَاءَتْ عِبَارَةٌ: ﴿وَمِنْهُ﴾ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ هَذَا التَّسْخِيرَ تَكْرِيمٌ مِنَ اللَّهِ لِلنَّاسِ، بَنَى آدَمَ الَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ وَذُرِّيَّتَهُ بِعِلْمٍ لَمْ يُعْطِهِ لِغَيْرِهِمْ مِمَّنْ خَلَقَ مِنْ كَائِنَاتٍ ذَوَاتِ إمْكَانَاتٍ عِلْمِيَّةٍ.

■ وَخَتَمَ اللَّهُ هَذَا الدَّرْسَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٣):

أي: إِنَّ فِي تَسْخِيرِ الْبَحْرِ، وَتَسْخِيرِ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مِنَ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - لِلنَّاسِ، لَعَلَّامَاتٍ دَالَّاتٍ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْجَلِيلَاتِ، وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَعَلَى نِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ عَلَى عِبَادِهِ، وَعَلَى أَنَّهُمْ مَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ.

وَلَكِنَّ الَّذِينَ يُذَرِّكُونَ دَلَالَاتِ هَذِهِ الْآيَاتِ، هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ يَسْتَخْدِمُونَ مَا وَهَبَهُم رَبُّهُمْ مِنْ قُدْرَاتٍ تَفْكِيرٍ فِي التَّفَكُّرِ فِيمَا خَلَقَ فِي كَوْنِهِ، وَوَاقِعِ أَحْوَالِ النَّاسِ يَكْشِفُ أَنَّهَا مُخْتَصَّةٌ بِهِمْ، فَالْأَمُّ فِي ﴿لِقَوْمٍ﴾ هِيَ لَأَمُ الْإِخْتِصَاصِ بِالنَّظَرِ إِلَى الْوَاقِعِ الْبَشَرِيِّ.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثَّانِي مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الجاثية).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٧)

## التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الجاثية) الآيتان (١٤ و ١٥)

قال الله عزَّ وجلَّ خطاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾.

### القراءات:

(١٤) • قرأ ابنُ عامِرٍ، وحمزة، والكسائي، وخلف: [لِنَجْزِي قَوْمًا] بنونِ المتكلمِ العظيم.

وقراها أبو جعفر: [لِيُجْزِيَ قَوْمًا] بالبناء لما لم يُسمَّ فاعله، مع نصب «قوماً» أي: لِيُجْزِيَ جَزَاءُ اللَّهِ قَوْمًا. يقال لغة: «جَزَى فُلَانًا حَقَّهُ» أي: قضاها.

وقراها باقي القراء العشرة: [لِيَجْزِيَ قَوْمًا] أي: لِيَجْزِيَ اللَّهُ قوماً.

(١٥) • قرأ يعقوبُ: [تُرْجَعُونَ] بالبناء للمعلوم.

وقراها باقي القراء العشرة [تُرْجَعُونَ] بالبناء لما لم يُسمَّ فاعله.

وبينَ القراءتين تكاملٌ بياني، أي: يُرْجِعُهُمُ اللَّهُ فَهُمْ يَرْجَعُونَ بِالْجَبْرِ.

### تمهيد:

في آيتي هذا الدرس تعلیمٌ من الله عزَّ وجلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ، أَنْ يُرْشِدَ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ فَضِيلَةٍ أَنْ يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالجزاء الربَّاني إِيذَاءِ اتِّبَاعِهِمْ، فَفَضَائِلُ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْهَا الْمَغْفِرَةُ، جُزْءٌ مِنَ الدَّعْوَةِ الْمُجْدِيَةِ

المؤثرة، في جذب الكافرين إلى الإيمان والإسلام، وأن يبين لهم ثواب الله العظيم الذي أعدّه للدعاة الصابرين الذين يغفرون ويتجاوزون عن إساءة من أساء إليهم.

رُوِيَ أَخْبَارٌ فِي أَسْبَابِ نَزُولِ الْآيَةِ (١٤) وَهِيَ أَخْبَارٌ ضَعِيفَةٌ الْأَسَانِيدُ، لَمْ أَرِ مِنْ الْحِكْمَةِ ذِكْرَهَا، لِأَنَّ فِي الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى وَجُودِ حَدِيثٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَانْدِفَاعَاتِ انْتِقَامٍ فِي صُدُورِ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ، فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا السُّورَةُ، مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْذُونَهُمْ أَذًى شَدِيداً أَوْ يَضْطَهُدُونَهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يَقُولَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِأَمْرِ إِرْشَادِيٍّ أَنْ يَغْفِرُوا لِلْكَافِرِينَ إِسَاءَاتِهِمْ وَيَسْتُرُوهَا، وَلَا يُقَابِلُوهُمْ عَلَيْهَا بِانْتِقَامٍ أَوْ شَتَائِمٍ أَوْ تَشْهِيرٍ إِعْلَامِيٍّ، لِأَنَّ الْمَرْحَلَةَ مَرْحَلَةُ كَفِّ لِلْأَيْدِي، وَكَفِّ لِلْأَلْسِنَةِ عَنِ الشَّتَائِمِ الشَّخْصِيَّةِ، وَاهْتِمَامٍ بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَصِرَاعٍ فِكْرِيٍّ حَوْلَ قَضَايَا الْإِيمَانِ وَقَضَايَا الْكُفْرِ، بُغْيَةً تَهْيِئَةً لِنُفُوسِ جَمَاهِيرِ الْمُشْرِكِينَ لِحُبِّ الْإِسْلَامِ، وَالْعَظْفِ عَلَى ضَعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، لِتَسْهُلَ عَلَيْهِمُ الْاسْتِجَابَةُ لِدَّعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَالدَّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤):

لَمْ يُخَاطَبِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَعَرَّضُونَ لِأَذَى الْمُشْرِكِينَ وَإِسَاءَاتِهِمْ، خُطَاباً مُبَاشِراً، لِئَلَّا يَكُونَ التَّكْلِيفُ شَدِيداً عَلَيْهِمْ، وَلِأَنَّ الْمَوْضُوعَ مِمَّا تَقْتَضِيهِ الْإِدَارَةُ الْحَكِيمَةُ الرَّشِيدَةُ، وَالسِّيَاسَةُ النَّافِعَةُ لِمَسِيرَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا السُّورَةُ، وَبَدَأَتْ قُلُوبُ جَمَاهِيرِ أَتْبَاعِ قَادَةِ الْمُشْرِكِينَ وَأَيْمَتِهِمْ تَنْجَذِبُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَتَعْظِفُ عَلَى الْمَظْلُومِينَ مِنَ ضَعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذِهِ السِّيَاسَةُ هِيَ مِنْ أَعْمَالِ الرَّسُولِ ﷺ



قَائِدِ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُوجِّهُهُ لَاتِّخَاذِ هَذِهِ السِّيَاسَةِ النَّافِعَةِ،  
الْمَسَايِرَةِ لِلطُّورِ الَّذِي وَصَلْتَ إِلَيْهِ مَسِيرَةَ الدَّعْوَةِ.

فعل: ﴿يَغْفِرُوا﴾ مَجْزُومٌ بِلامِ أَمْرِ مَحذُوفٍ، أَوْ بِجَوَابِ الطَّلَبِ فِي  
﴿قُلْ﴾ عَلَى تَقْدِيرٍ: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا: اغْفِرُوا يَغْفِرُوا.

وَالأَوَّلَى فِيمَا أَرَى أَنْ يَكُونَ مَنْصُوباً بِأَنْ مُضْمَرَةً، أَيِ: قُلْ لَهُمْ أَنْ  
يَغْفِرُوا، فَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّضْبَ بِـ «أَنْ» وَهِيَ مُضْمَرَةٌ مُتَعَدِّدُ الْوُجُوهِ فِي  
الْعَرَبِيَّةِ، فَهِيَ أَمْكَنُ أَدَوَاتِ النَّضْبِ لِلْفِعْلِ الْمَضَارِعِ، تَنْصِبُهُ ظَاهِرَةٌ  
وَمُضْمَرَةٌ.

الْغَفْرُ: مَعْنَاهُ السَّتْرُ، وَيَلْزَمُ مِنْ مَعْنَى السَّتْرِ عَدَمُ الْمُواخَذَةِ عَلَى  
الذَّنْبِ، أَوْ الْإِسَاءَةِ.

• ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾: أَيِ: لِلَّذِينَ لَا يَتَوَقَّعُونَ مَجِيءَ أَيَّامِ  
اللهِ الْجَزَائِيَّةِ، الَّتِي يَجْزِي فِيهَا بِالثَّوَابِ أَوْ بِالْعِقَابِ عَلَى حَسَبِ حَالِ  
الْمُجَازَى وَمَا سَبَقَ أَنْ كَسَبَ.

الرَّجَاءُ: هُوَ التَّوَقُّعُ لِلْمَرْغُوبِ فِيهِ، أَوْ الْمَخَوْفُ مِنْهُ، وَيُفْهَمُ مِنْهُ فِي  
كُلِّ نَصٍّ بِحَسَبِهِ، فَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ لَا يَتَوَقَّعُونَ ثَوَابَ اللَّهِ  
وَلَا عِقَابَهُ، وَأَيَّامُ اللَّهِ هِيَ الْأَيَّامُ الَّتِي قَدَّرَهَا وَقَضَاهَا فِي خُطَّةِ الْإِبْتِلَاءِ.

• ﴿... لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: أَيِ: لِيَجْزِيَ قَوْمًا  
مُتَّقِينَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ مِنْ خَيْرَاتٍ وَصَالِحَاتٍ، وَلِيَجْزِيَ قَوْمًا عُصَاةً بِمَا  
كَانُوا يَكْسِبُونَ مِنْ آثَامٍ وَظُلْمٍ وَسَيِّئَاتٍ.

وَجَزَاءُ الْمُتَّقِينَ عَلَى صَالِحَاتِهِمْ يَكُونُ بِفَضْلِ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وَجَزَاءُ الْعُصَاةِ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ يَكُونُ بِعَذَابٍ مِنَ اللَّهِ، وَيَغْفُو عَنْ كَثِيرٍ.

الجزاء: مُقَابَلَةُ الْعَمَلِ بِمَا يُلَايِمُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

يَكْسِبُونَ: أي: يَفْعَلُونَ باختيارِهِمُ الحرّ، من أفعالٍ إِرَادِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ أو نَفْسِيَّةٍ، ومن الأفعال النفسِيَّةِ النِّيَّاتِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَشِّرًا وَمُنْذِرًا:

• ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾:

قانونُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ في الجزاء، لِلْمَوْضُوعَيْنِ مَوْضِعَ الابتلاء، يَتَلَخَّصُ بِكُلَيْتَيْنِ:

الْكُلْيَةُ الْأُولَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾: أي: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا إِرَادِيًّا صَالِحًا فِي مَقَايِيسِ دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، فَلِنَفْسِهِ جَلَبَ ثَوَابًا عَظِيمًا يَجْزِيهِ اللَّهُ بِهِ، تَفْضُلًا مِنْهُ عَلَيْهِ.

الْكُلْيَةُ الثَّانِيَّةُ: ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾: أي: وَمَنْ أَسَاءَ بِعَمَلِهِ الْاِخْتِيَارِيِّ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ، فَعَلَىٰ نَفْسِهِ جَنَى، إِذِ اسْتَحَقَّ بِهِ عِقَابًا رَبَّانِيًّا قَدْ يَجْزِيهِ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْعَدْلِ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ أَحَدًا، وَقَدْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ إِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، لَكِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.

• ﴿... ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾: أي: ثُمَّ بَعْدَ انْتِهَاءِ زَمَنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةِ الْاِبْتِلَاءِ، تُبْعَثُونَ إِلَى الْحَيَاةِ الْآخِرَى وَيَكُونُ رُجُوعُكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ الْمُهِمِّينَ عَلَيْكُمْ دَوَامًا بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، لِمَحَاسِنَتِكُمْ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ بِاِخْتِيَارِكُمْ الْحُرِّ فِي حَيَاةِ اِبْتِلَائِكُمْ، وَفَضْلَ قَضَائِهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، كَانَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعًا مَوْضِعَ الْاِبْتِلَاءِ، وَتَنْفِيزَ جَزَائِهِ بِالْفَضْلِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، أَوْ بِالْعَدْلِ فِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْجَاثِيَةِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتِّعِهِ، وَفَتَحِهِ.



(٨)

## التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (الجاثية) الآيات من (١٦ - ٢٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيْنَتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا يَنْهَاهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتِي لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْلَتُهُمْ وَمَمَّاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَاشْجَرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

القراءات:

(١٦) • قرأ نافع: [وَالنُّبُوَّةَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [وَالنُّبُوَّةَ]. وهما نطقان عربيَّان.

(٢١) • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [سَوَاءً] بالنَّضْبِ

على أنها مفعول به ثانٍ لـ [نَجْعَلُهُمْ] يقال لغة: «جَعَلَ الشَّيْءَ كَذَا» أي: صَيَّرَهُ.

وقراها باقي القراء العشرة: [سَوَاءً] بالرَّفْعِ عَلَى أنها خبرٌ مُقَدَّمٌ

و«مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ» مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ.

تَمْهِيد:

في آيات هذا الدرس بيان أن الله عزَّ وجلَّ أتى بني إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ

وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِنِعَمٍ كَثِيرَةٍ، لِيَحْمِلُوا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا صَالِحِينَ لِحَمْلِ الرِّسَالَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، إِذْ أَسْرَعَ فِيهِمْ انْتِشَارُ الْفُسَادِ، وَالْوَثْنِيَّاتِ، وَأَنْوَاعِ الْفُجُورِ.

فاضْطَمَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ، وَجَعَلَ أُمَّتَهُ هِيَ الْأُمَّةَ الْمُخْتَارَةَ لِحَمْلِ خَاتِمَةِ رَسُولَاتِ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ.

وفيهما تَحْذِيرٌ ضَمْنِي لِلأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْلُ.

وفيهما بَيِّنَاتٌ عَنْ قَضَايَا مُتَّصِلَةٍ بِالْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ:

• ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ تَنَّبَهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾:

فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا آتَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِمَّا يُوجِبُ عَلَيْهِمْ حَمْلَ رَسُولِ اللَّهِ لِلنَّاسِ، وَأَنْ يُحَافِظُوا عَلَيْهَا وَيُبَلِّغُوهَا جِيلًا فَجِيلًا، لَكِنَّهُمْ اخْتَلَفُوا وَلَمْ يُحَافِظُوا عَلَى دِينِ اللَّهِ، بَلْ غَيَّرُوا فِيهِ وَحَرَّفُوا وَبَدَّلُوا وَأَدْخَلُوا فِي عَقَائِدِهِمْ كُفْرِيَّاتٍ وَوَثْنِيَّاتٍ، بَغْيًا بَيْنَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ الرَّبَّانِيُّ، وَتَبَلَّغُوهُ عَنْ رُسُلِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ، وَفَهَمُوهُ وَوَعَوْهُ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَعِبَتْ بِهِمُ الْأَهْوَاءُ وَتَحَاسَدُوا وَاتَّارُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَتَشَبَّهُوا بِمَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا، وَمُغْرِبَاتِهَا مِنَ التَّفَاخُرِ وَالتَّكَاثُرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وفيهما بَيَانٌ أَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ، فَيُضِدُّرُ أَحْكَامَهُ بِشَأْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَأَحْكَامُهُ جَلٌّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ تَسْتَشِعُّ تَنْفِيذَ الْجَزَاءِ، وَفِي هَذَا تَلْوِيحٌ لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ أَنْ لَا يَعْمَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ مِثْلَمَا عَمَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ قَبْلُ، لِنَلَّا يُعَرِّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِعُقُوبَاتِ اللَّهِ الْمُعَجَّلَةِ وَالْمُؤَجَّلَةِ، الَّتِي عَاقَبَ وَسَوْفَ يُعَاقَبُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

جَاءَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَيَانُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِعَظَمَةِ رُبُوبِيَّتِهِ أَتَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ إِلَى رُسُلِهِمْ وَأَنْبِيَائِهِمْ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ عَظُمَى هِيَ أَسُسُ جَمِيعِ رِسَالَاتِ رُسُلِ اللَّهِ لِلنَّاسِ:

**الْأَسَاسُ الْأَوَّلُ:** الْكِتَابُ الرَّبَّانِيُّ الْمَنْزَلُ.

**الْأَسَاسُ الثَّانِي:** الْحُكْمُ، وَهُوَ فَقَهُ الْأُمُورِ الْقَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

**الْأَسَاسُ الثَّلَاثُ:** الْبَيِّنَاتُ الْوَاضِحَاتُ مِنَ الْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ الصَّادِرِ عَنِ اللَّهِ لِلْمَوْضُوعَيْنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ، وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَوَادِّ امْتِحَانِهِمْ.

وَجَاءَ فِيهِمَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ امْتَنَّنَ عَلَيْهِمْ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْمِلُوا رِسَالَاتَ رَبِّهِمْ لِلنَّاسِ بِمَنْتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ:

**الْمِنَّةُ الْأُولَى:** أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، بَعْدَ أَنْ نَصَرَهُمْ عَلَى جَبَابِرَةِ أَرْضِ كَنْعَانَ وَمَا حَوْلَهَا، فَاثْمَلَكُوا خَيْرَاتِهَا، وَهِيَ تَفِيضُ لَبَنٍ وَعَسَلٍ وَكُمَرَاتٍ كَثِيرَاتٍ وَخَيْرَاتٍ وَفِيرَاتٍ.

**الْمِنَّةُ الثَّانِيَّةُ:** أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَّلَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فِي أَزْمَانِهِمْ، فَاصْطَفَى مِنْهُمْ أَنْبِيَاءَ وَرُسُلًا مُتَعَدِّدِينَ، وَأَمَدَّهُمْ بِنَصْرِهِ الْمُبِينِ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ مُلُوكًا وَذَوِي سُلْطَانٍ مَكِينٍ.

فَلَمَّا لَمْ يَلْتَزِمُوا بِحَمْلِ رِسَالَةِ اللَّهِ وَأَدَائِهَا، وَانْحَرَفُوا عَنْهَا سَلَبَهُمُ اللَّهُ مَا كَانَ قَدْ تَفَضَّلَ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَقَطَّعَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا، وَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَالْمُسْكَنَةَ.

وَجَعَلَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ هِيَ الْأُمَّةُ الْمُخْتَارَةُ الْوَارِثَةُ لِحَمْلِ رِسَالَةِ اللَّهِ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ.

فَدَلَّ عَلَى الْأُسُسِ الثَّلَاثَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ...﴾ (١٦) وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَهُم بِبَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾.

فَالكِتَابُ: هُوَ التَّوْرَةُ وَالزَّبُورُ وَسَائِرُ الصَّحِيحِ مِنْ كُتُبِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ عِنْدَهُمْ. ثُمَّ الْإِنْجِيلُ، فَقَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى «عِيسَى» عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ.

وَالْحُكْمُ: وَهُوَ فِقْهُ الْأُمُورِ، فَكَانَ مِنْهُمْ الْقُضَاةُ الَّذِينَ يَفْصِلُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ، وَكَانُوا يُطَبِّقُونَ أَحْكَامَ الْعَدْلِ بِالِاسْتِنَادِ إِلَى مَقَاسِيسِ الْحَقِّ.

وَالْبَيِّنَاتُ مِنَ الْأَمْرِ: هِيَ الْآيَاتُ الْوَاضِحَاتُ الْمُشْتَمِلَاتُ عَلَى أَحْكَامِ الدِّينِ، مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ، وَالْمَنْدُوبَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَالْمُبَاحَاتِ.

وَالْمَرَادُ بِكَلِمَةِ: «الْأَمْرِ» مِنْ عِبَارَةٍ: ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾ أَمْرُ اللَّهِ الصَّادِرُ بِتَحْدِيدِ أَحْكَامِ الدِّينِ، لِأَنَّ أَحْكَامَ الدِّينِ تَصُدِّرُ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمْرُ اللَّهِ التَّشْرِيعِيُّ لَهُ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: أَمْرٌ بِفِعْلِ الشَّيْءِ عَلَى سَبِيلِ الْإِزْوَاجِ، وَهُوَ الْوَاجِبُ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: أَمْرٌ بِتَرْكِ الشَّيْءِ عَلَى سَبِيلِ الْإِزْوَاجِ، وَهُوَ الْحَرَامُ، وَتُسْتَعْمَلُ غَالِبًا لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ عِبَارَةُ: «لَا تَفْعَلْ» وَهَذِهِ تُسَمَّى نَهْيًا، وَالنَّهْيُ فِي حَقِيقَتِهِ أَمْرٌ بِعَدَمِ الْفِعْلِ.

القِسْمُ الثالث: أَمْرٌ بِفِعْلِ الشَّيْءِ عَلَى سَبِيلِ التَّرْغِيبِ لَا عَلَى سَبِيلِ الإِلْزَامِ، وهو المندوبُ.

القِسْمُ الرابع: أَمْرٌ بِتَرْكِ الشَّيْءِ عَلَى سَبِيلِ التَّرْغِيبِ لَا عَلَى سَبِيلِ الإِلْزَامِ، وهو المكروهُ.

القِسْمُ الخامس: أَمْرٌ بِالتَّخْيِيرِ بَيْنَ فِعْلِ الشَّيْءِ وَتَرْكِهِ، وهو المباح، الذي يَسْتَوِي فِيهِ الْفِعْلُ وَالتَّارِكُ بِحُكْمِ الشَّرْعِ الرَّبَّانِيِّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾:

أي: ثُمَّ بَعْدَ أَنْ فَسَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَصَارُوا غَيْرَ صَالِحِينَ لِحِمْلِ رِسَالَتِنَا لِلنَّاسِ، اضْطَفَيْنَاكَ وَاضْطَفَيْنَا أُمَّتَكَ يَا مُحَمَّدُ لِحِمْلِ رِسَالَتِنَا، وَوَرَاثَةِ كِتَابِنَا، فَنَبَأْنَاكَ، وَبَعَثْنَاكَ رَسُولًا لِلْعَالَمِينَ، وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابَنَا تِبَاعًا، وَآتَيْنَاكَ الْحُكْمَ، وَجَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ وَاضِحَةٍ جَلِيلَةٍ ذَاتِ فَيْضٍ لِلوَارِدِينَ، الْقَاصِدِينَ سَعَادَةَ دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ بِمَرْضَاةِ رَبِّهِمْ، إِذْ يَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ الَّذِي فِيهِ بَيَانٌ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فِعْلُهُ، وَمَا يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ فِعْلُهُ، وَمَا يُثَابُونَ عَلَىٰ فِعْلِهِ وَلَا يُعَاقَبُونَ عَلَىٰ تَرْكِهِ وَهُوَ المندوبُ، وَمَا يُثَابُونَ عَلَىٰ تَرْكِهِ وَلَا يُعَاقَبُونَ عَلَىٰ فِعْلِهِ وَهُوَ المكروهُ، وَمَا هُوَ مُبَاحٌ لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ وَأَنْ يَتْرُكُوهُ.

• ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ...﴾: أي: ثُمَّ بَعْدَ انْقِضَاءِ دَوْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي حِمْلِ رِسَالَتِنَا لِلنَّاسِ، وَاضْطَفَيْنَا لَكَ يَا مُحَمَّدُ بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَنَزَّلْنَا نُجُومَ كِتَابِنَا عَلَيْكَ، وَإِيتَانَاكَ الْحُكْمَ الَّذِي بِهِ تَفْقَهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ، وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ، وَالصَّالِحُ وَالْفَاسِدُ، وَالْحَسَنُ وَالْقَبِيحُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ ﴿جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾.

الشريعة في اللغة: هي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها، ورَبَّمَا شرعوها دوابهم حتى تشرب منها، والعرب لا تسمى مورد الماء شريعة حتى يكون الماء فيضاً لا انقطاع له، ويكون ظاهراً معيناً لا يحتاج أن ينضح بالدلاء، ويقال لغة: «شرع الوارد، يشرع، شرعاً» أي: تناول الماء فيه. ويقال: «شرع الأمر» أي: أبانه وأظهره وجعله قريب التناول للقاصدين.

واختير في البيان القرآني إطلاق لفظ «الشريعة» اصطلاحاً على ما يستعمل على أحكام الله لعباده، في الدين الذي اضطفاه لهم، في رحلة امتحانهم، المشتغل على الواجب، والحرام، والمنذوب، والمكروه، والمباح.

وهذا اختيار للفظ «الشريعة» حكيم، لما في هذا اللفظ من دلالة على أنه مورد ماء يحتاج إليه الأحياء في الأرض، وعلى أنه فيض لا انقطاع له، وعلى أنه ظاهر واضح جلي قريب التناول للقاصدين بأفواههم لا بالدلاء والأواني، ودين الله الخاتم للناس فيه كل هذه الصفات بمعقولاته، وبخصوصه الدالات على مفهوماته، وتطبيقاته الظاهرة الواضحة التي ليس فيها اختفاء ولا تسر.

• ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾: أي: من الأمر الرباني الذي فيه تحديد أحكام الله: الواجبات، والمحرمات، والمنذوبات، والمكروهات، والمباحات.

• ﴿فَاتَّبَعَهَا﴾: أي: أطع ما جاء في الشريعة التي جعلناك عليها، إذ ألزمنك أن تكون عليها متمكناً منها، ومبلغاً لها، وداعياً إليها الناس، واعلم أنك أول المأمورين بطاعتها في هذه الرسالة الخاتمة للناس أجمعين من بعد بعثتك، دلني على هذا وجود الفاء الدالة على الترتيب والتعقيب في: ﴿فَاتَّبَعَهَا﴾، ومن طاعتها الحكم بأحكامها.



**الِاتِّبَاعُ:** سِيرُ التَّابِعِ فِي أَثَرِ الْمَتَّبُوعِ وَطَاعَتُهُ، وَاتِّبَاعُ الْبَيَانِ الرَّبَّانِيِّ يَكُونُ بِالْعَمَلِ بِمَا جَاءَ فِيهِ وَالتَّزَامِ أَحْكَامِهِ.

• ﴿... وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨): أي: وَلَا تَسْتَجِبْ لِدَعَوَاتِ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ، الَّذِينَ تَتَحَكَّمُ بِمَفْهُومَاتِهِمْ فِي الدِّينِ وَغَيْرِهِ أَهْوَاؤُهُمْ، فَيَدْعُونَكَ لِاتِّبَاعِهَا، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ وَالْخَيْرَ وَفَضَائِلَ الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكِ، وَلَا يُرِيدُونَ أَنْ يَعْلَمُوهَا مُسْتَقْبَلًا.

وهذا الْبَيَانُ مُوجَّهٌ أَيْضًا لِأُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ أَيْمَّتِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، فَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَأَحْكَامِهِمْ، وَفَضَائِلِهِمْ، وَأَنْظِمَتِهِمْ، وَقَوَانِينِهِمْ، أَهْوَاءَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ مِنْ دَوِي السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِمْ، مِمَّا يُخَالِفُ أَحْكَامَ اللَّهِ وَشَرَائِعَهُ هُمْ عُصَاةُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَخَارِجُونَ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

• ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا...﴾ (١٩): أي: إِنَّهُمْ لَنْ يَصْرِفُوا عَنْكَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا عَلَى اتِّبَاعِكَ أَهْوَاءَهُمْ لَوْ اتَّبَعْتَهَا، مَهْمَا كَانُوا دَوِي سُلْطَانٍ وَمُلْكٍ، أَوْ جَاهٍ وَمَالٍ، وَأَعْوَانٍ وَأَنْصَارٍ.

• ﴿... وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ...﴾ (٢٠): أي: وَلَا تَتَّخِذْ أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ ظَالِمُونَ فِي مَفْهُومِ الدِّينِ، أَوْلِيَاءَ لَكَ تَنْصُرُهُمْ وَيَنْصُرُونَكَ، إِنَّ الظَّالِمِينَ فِتْنَةٌ مُنْعَزِلَةٌ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، فَيَنْصُرُ بَعْضُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَعْضًا، وَلَا أَحَدَ مِنْهُمْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْرِفَ عَنْ آخَرٍ مِنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا إِذَا قَضَى اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُ.

• ﴿... وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢١): أي: وَاللَّهُ هُوَ رَبُّ الْمُتَّقِينَ، وَنَصِيرُهُمْ وَمُتَوَلَّى جَمِيعِ أُمُورِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ دِينِهِ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأُمْرِ، وَبِشَأْنِ الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ تَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ:

• ﴿هَذَا بَصِيرٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢٠) :

• ﴿بَصَائِرُ﴾: جَمْعُ «بَصِيرَةٍ» وهي قُوَّةُ الإدْرَاكِ وَالْفِطْنَةِ، وَالْعِلْمُ، والخبرة، والحِجَّةُ، وَالْعِبْرَةُ، وَالْبَصِيرَةُ فِي النَّفْسِ كَالْبَصَرِ بِالْعَيْنِ.

وَمِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي لِلْبَصَائِرِ نَسْتَفِيدُ أَنَّ الدِّينَ وَالْكِتَابَ الَّذِي هُوَ تَنْزِيلٌ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ، عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، يَشْتَمِلُ عَلَى عِلْمٍ حَقٍّ، وَعَلَى خَبَرَاتٍ ذَوَاتِ عِبْرَةٍ، وَعَلَى حُجَجٍ وَبَرَاهِينٍ تَكْشِفُ الْحَقَّ، وَتُثَبِّتُهُ، وَتَكْشِفُ الْبَاطِلَ وَتُزْهِقُهُ.

• ﴿وَهُدًى﴾: هُدًى: مَصْدَرٌ لِفِعْلٍ: «هَدَاهُ، يَهْدِيهِ، هُدًى، وَهْدًى، وَهْدَايَةً، وَهْدِيَّةً» أَي: بَيَّنَّ لَهُ وَأَرْشَدَهُ.

وَجَاءَ وَضَفُ الدِّينِ وَالْكِتَابِ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ هُدًى عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ بِالْوَضْفِ بِالْمَصْدَرِ، إِذْ كُلُّ مَا فِيهِ يَشْتَمِلُ عَلَى هِدَايَةٍ، فَهُوَ بِمَثَابَةِ عَيْنِ الْهِدَايَةِ، كَمَا يُقَالُ: «رَجُلٌ عَدْلٌ» و«رَجُلٌ حِلْمٌ».

• ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: أَي: وَهَذَا الدِّينُ، الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَّانُهُ، هُوَ أَثَرٌ عَظِيمٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، الَّذِينَ وَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، لِيَبْلُوَهُمْ فِيَمَا آتَاهُمْ، ثُمَّ لِيَجْزِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَبِ اخْتِيَارَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ إِيْمَانٍ وَعَمَلٍ ظَاهِرٍ وَبَاطِنٍ.

الرَّحْمَةُ: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْجَلِيلَةِ، وَهِيَ صِفَةٌ نَفْسِيَّةٌ نُثَبِّتُهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ، وَمِنْ آثَارِهَا الْعَطَاءُ، وَالْمَعُونَةُ، وَالتَّوْفِيقُ، وَالْإِرْشَادُ، وَالْهِدَايَةُ إِلَى الْحَقِّ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَإِزَالَةُ الْبُؤْسِ، وَالْإِمْدَادُ بِمَا يَسْرُ، وَيُسْكِنُ النَّفْسَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَضَعُوبُ حَضْرُهُ.

• ﴿... لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢١) : أَي: لِقَوْمٍ لَدَيْهِمْ الْاسْتِعْدَادُ لِأَن يَسْتَبْصِرُوا بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْقُرْآنِ، وَيُوقِنُوا بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَ فِيهِ.

الْيَقِينُ: الْعِلْمُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَأَذْنَى مَرَاتِبِهِ مَا اعْتَمَدَ عَلَى أدَلَّةٍ نَظَرِيَّةٍ، أَوْ خَبَرِيَّةٍ، يُقَالُ لُغَةً: «أَيَقَنَ الشَّيْءَ»، وَأَيَقَنَ بِهِ: أَي: عَلِمَهُ عِلْمًا لَا شَكَّ فِيهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى دَالًّا عَلَى قَانُونِ الْجَزَاءِ لِلْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ، بِمُنَاسَبَةِ سَوَابِقِ مَا جَاءَ مِنْ بَيَانٍ فِي الْآيَاتِ مِنْ (١٨ - ٢٠).

• ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾:

• ﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾: أَي: اكْتَسَبُوا الْمُكْتَسَبَاتِ السَّيِّئَاتِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَمِنْهَا النِّيَّاتُ وَسَائِرُ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَالنُّفُوسِ الْإِرَادِيَّةِ.

أَي: بَلْ. أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، قَانُونُ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ بِالْفَضْلِ أَوْ بِالْعَدْلِ، فَحَسِبُوا مُتَوَهِّمِينَ أَنَّهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ وَمُرْتَكِبُونَ السَّيِّئَاتِ، الَّتِي حَرَّمَهَا عَلَى الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِمْتِحَانِ، الْمُسْتَتَبِعِ لِلْجَزَاءِ عَقْلًا وَبَيَانًا مِنْ لَدُنَّا، أَنْ نَجْعَلَهُمْ مِثْلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طَاعَةً لِأَوَامِرِنَا، وَطَلَبًا لِرِضْوَانِنَا وَثَوَابِنَا الْعَظِيمِ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ بِهِ، فَيَكُونُونَ بِذَلِكَ سَوَاءً مُتَسَاوِينَ، فَلَا نَجْزِيهِمْ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَلَا نَجْزِيهِمْ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ بَعْدَ بَعْثِهِمْ.

طَوِي فِي النَّصِّ ذِكْرُ الْبَعْثِ لِلْحَيَاةِ الْآخِرَى، لِأَنَّ أَصْحَابَ هَذَا الظَّنِّ التَّوَهِّمِيِّ الضَّعِيفِ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَلَا بِيَوْمِ الدِّينِ، وَذُكِرَ مَمَاتُهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِنكَارَهُ، وَهُمْ عَلَى يَقِينٍ بِأَنَّهُمْ إِلَيْهِ صَائِرُونَ حَتْمًا.

إِنَّ الْكَافِرِينَ يُشَاهِدُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِحَسَبِ مَا يَظْهَرُ لَهُمْ مِنْ أَحْوَالِ النَّاسِ، أَنَّ كُلًّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَالْمُطِيعِينَ وَالْعَاصِينَ،

وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُسِيئِينَ، يَتَعَرَّضُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِمَا يُحِبُّونَ وَلِمَا يَكْرَهُونَ، وَلِمَا يَسْرُهُمْ وَلِمَا يَسُوؤُهُمْ، وَلِمَا يَنْفَعُهُمْ وَلِمَا يَضُرُّهُمْ، فَلَا يُرِيدُونَ إِذْرَاكَ أَنَّ هَذِهِ الْمَتَضَادَّاتِ وَالْمَتَنَاقِضَاتِ وَالْمَتَخَالِفَاتِ هِيَ مَوَادُّ امْتِحَانٍ كُلِّ إِنْسَانٍ بِمَا يُلَائِمُّهُ، مِنْ صُرُوفٍ وَمُتَغَيِّرَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، وَلَا يُرِيدُونَ إِذْرَاكَ أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، بِكُلِّ ظُرُوفِهَا وَصُرُوفِهَا دَارُ امْتِحَانٍ، وَأَنَّ مَا بَعْدَهَا يَكُونُ الْجَزَاءُ، إِذْ يَأْتِي قِسْمٌ مِنْهُ غَيْرُ مُشَدَّدٍ عِنْدَ الْمَوْتِ وَبَعْدَ الْمَوْتِ، فِي مُدَّةِ الْبَرَزْخِ الْفَاصِلِ بَيْنَ نَهَايَةِ الْحَيَاةِ الْأُولَى وَبِدَايَةِ الْحَيَاةِ الْآخِرَى، ثُمَّ يَكُونُ الْجَزَاءُ الْأَشَدُّ وَالْأَكْبَرُ وَالْأَعْظَمُ يَوْمَ الدِّينِ، بَعْدَ بَغْثِ الْمَوْتَى مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يُسْرِعُونَ.

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِهِمْ: أَحَسِبَ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةُ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، أَنَّ حِكْمَتَنَا تَسْمَحُ وَقَدْ خَلَقْنَاهُمْ ذَوِي إِرَادَاتٍ ذَوَاتِ حُرِّيَّةٍ، بِأَنْ نَجْعَلَ ظُرُوفَ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ لِكُلِّ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ مُسَاوِيَةً لظُرُوفِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، هَلْ يَلِيقُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ وَعَدْلِهِ وَفَضْلِهِ، أَنْ يَكُونَ الْمُحْسِنُونَ وَالْمُسِيئُونَ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ، وَقَدْ أَتَقَنَ اللَّهُ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعًا.

إِنَّ هَذَا لَا يَقْبَلُهُ عَقْلٌ عَاقِلٌ رَشِيدٌ، وَإِنَّ حُكْمَهُمْ هَذَا عَلَى الرَّبِّ الْخَالِقِ الْقَدِيرِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ حُكْمٌ بِالْغُ السُّوءِ وَالْقَبَاحَةِ.

• ﴿... سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (١٦): أَي: سَاءَ سُوءاً شَدِيداً مَا يَحْكُمُونَ بِهِ عَلَى رَبِّهِمْ، إِذْ يَحْكُمُونَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَيَجْعَلُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ مُتَسَاوِينَ مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.

سَاءَ، فِعْلٌ يُقَالُ فِي إِنْشَاءِ الذَّمِّ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، مِثْلُ: «بِئْسَ» وَالْمَعْنَى عَلَى التَّعَجُّبِ: مَا أَشَدَّ سُوءَ مَا يَحْكُمُونَ بِهِ مِنْ حُكْمٍ عَلَى رَبِّهِمْ.

• ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَيُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٧):

أي: سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ وَالْحَالُ أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ خَلْقًا مُتَّصِفًا بِالْحَقِّ الْمُنَاقِضِ لِلْبَاطِلِ، الَّذِي مِنْ مَظَاهِرِهِ الْعَبَثُ وَاللَّعِبُ، وَخَلَقَ ذَوِي الْإِرَادَاتِ ذَوَاتِ الْحُرِّيَّةِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الصِّفَاتِ مَا يُؤْهِلُهُمْ لِأَنْ يَكُونُوا مُمْتَحَنِينَ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَوَضَعَهُمْ مَوْضِعَ الْإِتِّلَاءِ فِيهَا، لِيَجْزِيَ يَوْمَ الدِّينِ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ فِي حَيَاةِ امْتِحَانِهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍ.

«لا يشترط الكوفيون والأخفش من البصريين اقتران الفعل الماضي بقَدْ إذا وقع في صدر جملة خالية وهو الأرجح فيما أرى».

• ﴿... وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦): أي: وَالْحَالُ أَنَّهُمْ فِي مُجَازَاتِهِمْ لَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا، مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فَمَا دُونَهَا.

- أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَأَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُضَاعَفُ إِلَى عَشْرَةِ أَضْعَافٍ إِلَى سَبْعِينَ ضِعْفًا، إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَيَعْفُو اللَّهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَكَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يُظْلَمُوا؟!

- وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَاجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ، فَاللَّهُ يَجْزِيهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَبَعْضِ كِبَائِرِ سَيِّئَاتِهِمْ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ مِنْ سَيِّئَاتِهِمُ الَّتِي هِيَ مِنْ لَوَازِمِ كُفْرِهِمْ، فَلَا يُتَصَوَّرُ عَقْلًا أَنْ يُظْلَمُوا وَقَدْ عَفَى الرَّبُّ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي السُّلُوكِ.

وَسَبَقَ تَفْصِيلٌ وَافٍ لِكَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، لَدَى تَدْبِيرِ الْآيَةِ (٧٣) مِنْ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ/ ٥٥) نَزُولٍ فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الرَّابِعِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْجَاثِيَةِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٩)

## التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (الجاثية) الآيات من (٢٣ - ٢٦)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّتُوا بِبَابِئِنَّا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

القراءات:

(٢٣) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [غَشَاوَةً].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءُ الْعَشْرَةَ: [غِشَاوَةً].

وَمُؤَدَّى الْقُرَّاءَتَيْنِ وَاحِدٌ، فَالْفُظَّانِ لُغَتَانِ لِمَعْنَى وَاحِدٍ.

(٢٣) • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةَ: [تَذَكَّرُونَ] أَصْلُهَا «تَتَذَكَّرُونَ» أَدْغَمَتِ التَّاءُ

بِالتَّاءِ.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ عَنِ الْكُفْرَةِ الْمَشْرُكِينَ الْمَعَالَجِينَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ، وَكَيْفَ اتَّخَذُوا آلِهَتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ، فَانْطَمَسَتْ بَصَائِرُهُمْ، وَسُتِرَتْ أَبْصَارُهُمْ، وَأَنْكَرُوا الْجَزَاءَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَقَالُوا: مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا، وَقَالُوا: مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ، وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ الْبَيِّنَاتِ بِشَأْنِ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ وَالْبَعْثِ، لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِمْ حُجَّةٌ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا: اتُّتُوا بِبَابِئِنَّا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

وهَذَا الْبَيَانُ افْتَرَنَ بِهِ عِلَاجُ الْكَافِرِينَ بِالْعِلَاجِ الْمُلَائِمِ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الَّتِي نَزَلَ فِيهَا.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُخَاطَبُ كُلَّ ذِي إِذْرَاكِ صَالِحٍ لِلْخُطَابِ بِأَسْلُوبِ

الخطاب الإفرادي:

● ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عَمْرٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾:

● ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ...﴾؟! يُرَادُ بِالْاِسْتِفْهَامِ هُنَا التَّعْجِيبُ لِلرَّائِي، وَتَوَجُّيْهِ نَظْرٍ غَيْرِ الرَّائِي حَتَّى يَرَى وَيَعْجَبُ، إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْفِكْرِ وَالرُّشْدِ، أَي: انْظُرْ بِتَفْكِيرٍ وَإِمْعَانٍ نَظْرٍ لِّتَرَى.

والمطلوب النَّظَرُ إِلَيْهِ وَالتَّفَكُّيرُ فِي شَأْنِهِ، هُوَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ، أَي: اتَّخَذَ مَعْبُودَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هَوَاهُ، فَهُوَ يُطِيعُ أَوَامِرَ هَوَاهُ وَنَوَاهِيَهُ، أَوْ هُوَ يُوجِّهُ كُلَّ حَرَكَاتِ حَيَاتِهِ لِمَا يَهْوَى مِنْ دُنْيَاهُ، تَعَلُّقًا بِهِ، وَانْدِفَاعًا نَحْوَهُ، كَتَوَجُّهِ الْعَابِدِ لِمَعْبُودِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يُقَرِّبُهُ إِلَيْهِ، وَيُرْضِيهِ مِنْهُ.

إِنَّ قِسْمًا مِنَ النَّاسِ يَأْمُرُهُ هَوَاهُ بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ الْوَفِيرَةِ، فَيُطِيعُ أَوَامِرَهُ فَيَسْعَى فِي جَمْعِ مَا يَهْوَى وَلَوْ بِالظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَالْبَغْيِ وَالْإِثْمِ وَالطُّغْيَانِ.

وإنَّ قِسْمًا مِنَ النَّاسِ يَأْمُرُهُ هَوَاهُ بِمُمَارَسَةِ شَهَوَاتِ الْفَرْجِ، فَيَسْعَى جَهْدَهُ لِتَحْقِيقِ شَهَوَاتِهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ مُحَرَّمَةٍ، وَضَارَّةٍ، وَنَاشِرَةٍ لِلْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ.

وإنَّ قِسْمًا مِنَ النَّاسِ يَأْمُرُهُ هَوَاهُ بِطَاعَةِ زَعِيمٍ أَوْ قَائِدٍ أَوْ رَجُلٍ عَظِيمٍ، مِنْ عُظَمَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُطِيعُهُ فِي كُلِّ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ وَمُخَالَفَةِ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهَذَا يَجْعَلُ بَعْضَ النَّاسِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَأْمُرُهُ هَوَاهُ بِاتِّبَاعِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ فِي عَقَائِدِهِمْ، وَعِبَادَاتِهِمْ، وَعَادَاتِهِمْ بِالتَّقْلِيدِ الْأَعْمَى، أَنْتِصَاراً لَهُمْ، وَاعْتِزَالاً وَافْتِحَاراً بِهِمْ، فَهُوَ بِاتِّبَاعِهِمْ يَتَّخِذُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَهَهُ هَوَاهُ، فَهُوَ يَعْبُدُ هَوَاهُ، وَلَا يَعْبُدُ شَيْئاً يُظُنُّ أَنَّ لَهُ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ فِي الْكَوْنِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.

والأمثلة عَلَى اتِّخَاذِ الْهَوَىٰ إِلَهاً يُطَاعُ وَيُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَثِيرَةٌ. ومِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، مُنْتَحَنٌ ضَالٌّ ضَلالاً جَلِيًّا وَاضِحًا، وَلَا بُدَّ أَنْ يَحْكُمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ ضَالٌّ، فَهُوَ جَلَّ جَلالُهُ يُضِلُّهُ (أي: يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالضَّلَالِ) عَلَى عِلْمِ بِحَالِهِ إِذِ اخْتَارَ لِنَفْسِهِ الضَّلَالَ عَلَى الْهُدَى، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ضَالٌّ، دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿... وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...﴾ وَهَذَا حُكْمٌ عَلَيْهِ بِالضَّلَالِ وَهُوَ مَا زَالَ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِأَنَّ حُكْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالضَّلَالِ مَبْنِيٌّ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ ضَلَّ ضَلالاً مَيُوسِئاً مِنْ هِدَايَتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَتِهِ الْحَرَّةِ، وَلِهَذَا يَحْكُمُ اللَّهُ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ، وَيَجْعَلُ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿... وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً...﴾ (١٣):

الْخَتْمُ: يُرَادُ بِهِ شِدَّةُ الْإِقْفَالِ، وَمَنْعُ الدُّخُولِ إِلَى الْمُقْفَلِ مِنْ خَارِجِهِ، وَمَنْعُ الْخُرُوجِ مِنْهُ إِلَى خَارِجِهِ، عَلَى سَبِيلِ التَّشْبِيهِ.

أَصْلُ الْخَتْمِ عَلَى الشَّيْءِ: سَدُّ مَا يُنْفَذُ مِنْهُ إِلَيْهِ سَدًّا مَانِعًا. يُقَالُ لُغَةً: «خَتَمَ عَلَى الْإِنَاءِ، أَوْ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ، يَخْتِمُ، خَتْمًا» بِطِينٍ، أَوْ بِشَمْعٍ، أَوْ نَحْوِهِمَا، حَتَّى لَا يَدْخُلَ شَيْءٌ إِلَى الْمُخْتَمِ عَلَيْهِ، وَلَا يَخْرُجَ مِنْهُ شَيْءٌ.

وَكَانَ إِذَا أَرَادَ السُّلْطَانُ أَوْ الْقَاضِي مَنْعَ الدُّخُولِ إِلَى بَيْتٍ، أَوْ مَحَلٍّ تِجَارِيٍّ، أَغْلَقَ بَابَهُ، وَضَرَبَ عَلَيْهِ الْقُفْلَ، وَجَعَلَ عَلَى الْقُفْلِ طِينًا خَاصًّا، أَوْ شَمْعًا، وَخَتَمَ عَلَيْهِ بِخَاتَمٍ خَاصٍّ مَنقُوشٍ، وَرَتَّبَ عِقَابًا مُشَدَّدًا عَلَى فَضِّ الْخَاتَمِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ أَوْ أَمْرِهِ.



فجاء التَّعْيِيرُ بِالْخْتَمِ عَلَى السَّمْعِ وَالْقَلْبِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى سَدِّ مَنَافِذِهِمَا سَدًّا مَانِعًا مِنْ دُخُولِ الْهِدَايَةِ إِلَيْهِمَا، وَهَذَا نَتِيجَةُ قَدْرِيَّةٍ فِي نِظَامِ اللَّهِ التَّكْوِينِيِّ لِنَفْسٍ مَنْ يَتَّخِذُ إِلَهَهُ هَوَاهُ، فَهُوَ أَثَرٌ مِنْ أَثَارِ اخْتِيَارِ الْإِنْسَانِ الْحُرِّ، كَمَنْ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي النَّارِ بِاخْتِيَارِهِ الْحُرِّ أَحْرَقَ اللَّهُ يَدَهُ ضِمْنَ نِظَامِهِ التَّكْوِينِيِّ الْعَامِّ، وَكَمَنْ شَرِبَ سُمًّا قَاتِلًا بِاخْتِيَارِهِ الْحُرِّ، قَتَلَهُ اللَّهُ ضِمْنَ نِظَامِهِ التَّكْوِينِيِّ الْعَامِّ.

● ... ﴿٢٣﴾ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ... ﴿٢٤﴾: أَي: وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِطَاءً مَانِعًا مِنْ إِدْرَاكِ أَثَرِ رُؤْيَا آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، الدَّلَالَاتِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ صِفَاتِهِ الْجَلِيلَةِ، وَهَذَا أَيْضًا نَتِيجَةُ لاختِيَارِهِ الْحُرِّ، إِذْ جَعَلَ إِلَهَهُ هَوَاهُ، كَالْخْتَمِ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ.

الْغِشَاوَةُ: الْغِطَاءُ الْحَاجِبُ. وَفِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى: «الْغِشَاوَةُ» وَهِيَ بِمَعْنَى الْغِشَاوَةِ لُغَةً.

● ... ﴿٢٥﴾ فَمَنْ يَهْدِهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ ... ﴿٢٦﴾: اسْتَفْهَامٌ يُرَادُّ بِهِ النَّفْيُ، أَي: لَا يُوجَدُ أَحَدٌ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ يَحْكُمُ لَهُ بِالْهِدَايَةِ، مِنْ بَعْدِ حُكْمِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ ضَالٌّ بِإِرَادَتِهِ الْحُرَّةِ إِذْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ.

● ... ﴿٢٧﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾: خَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي صَدْرِ الْآيَةِ كُلِّ ذِي إِدْرَاكِ صَالِحٍ لِلخُطَابِ بِأَسْلُوبِ الْخُطَابِ الْإِفْرَادِيِّ، وَخَاطَبَهُمْ فِي آخِرِ الْآيَةِ بِأَسْلُوبِ خُطَابِهِ لَجَمَاعَةٍ كُلِّ الصَّالِحِينَ لِلخُطَابِ مِنْ دَوَى الْإِدْرَاكِ وَالْفَهْمِ الْعِلْمِيِّ:

أَي: أَفَلَا تَعْلَمُونَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ الَّتِي عَرْضْنَاهَا لَكُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَتَضَعُونَهَا فِي خَزَائِنِ مَعَارِفِكُمُ الصَّحِيحَةِ الَّتِي لَا شَكَّ فِيهَا، وَتَسْتَدْعُونَهَا إِلَى ذَاكِرَتِكُمُ الْحَاضِرَةِ، عِنْدَ كُلِّ مُنَاسَبَةٍ تَدْعُو إِلَى تَذَكُّرِهَا، لِإِقَاطِ الْإِيمَانِ بِهَا وَالْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ مَقُولَةٍ بَاطِلَةٍ قَالَهَا مُنْكَرُوا الْحَيَاةَ الْآخِرَى، يُعْبَرُونَ بِهَا عَنْ اعْتِقَادِهِمْ فِي الْمَوْتِ، وَأَنَّهُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ مُرُورِ الزَّمَانِ الَّذِي تَتَنَاقَصُ مَعَهُ قُدْرَاتُ الْحَيِّ عَلَى مُتَابَعَةِ الْحَيَاةِ:

● ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا نُفِثْنَا عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيْنَتْ مَا كَانُوا حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتُمْ بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾:

عُرِفَ أَصْحَابُ هَذِهِ الْمَقُولَةِ بِالذَّهْرِيِّينَ، الَّذِينَ يَرِبُطُونَ التَّغْيِيرَاتِ فِي الْكَوْنِ بِمُرُورِ الْأَزْمَانِ، وَتَحَرُّكِ عَنَاصِرِ الْكَوْنِ وَأَجْزَائِهِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مُرُورَ الزَّمَنِ الْمَدِيدِ مَعَ حَرَكَةِ أَجْزَاءِ الْكَوْنِ، هُمَا الْأَمْرَانِ اللَّذَانِ تَحْدُثُ بِهِمَا الْمُخْلُوقَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ غَيْرَ ذَوَاتِ حَيَاةٍ، أَمْ كَانَتْ ذَوَاتِ حَيَاةٍ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ الْمَوْتُ بِتَنَاقُصٍ أَوْ فَقْدِ شُرُوطِ الْحَيَاةِ فِي الْكَائِنِ الْحَيِّ، فَلَا بَعْثَ وَلَا حَيَاةَ أُخْرَى.

● ﴿... وَمَا يُهْلِكُ إِلَّا الدَّهْرُ...﴾: أَيُّ: وَمَا يَمِيتُنَا إِلَّا الدَّهْرُ. الْإِهْلَاكُ: الْإِمَاتَةُ. وَالذَّهْرُ: الزَّمَانُ الْمَتَابِعُ الَّذِي لَا يُدْرِكُ مِنْهُ إِلَّا الْجُزْءُ الْحَاضِرُ.

إِنَّ فِكْرَةَ إِهْلَاكِ الدَّهْرِ لِلْأَحْيَاءِ مُرْتَبِطَةٌ عَقْلًا بِفِكْرَةِ نُشُوءِ الْأَحْدَاثِ فِي الْكَوْنِ، هُمَا فِكْرَتَانِ لَا تَنْفَكُ إِحْدَاهُمَا عَنِ الْآخَرَى، فَمَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ مُرُورَ الزَّمَنِ مَعَ حَرَكَةِ أَجْزَاءِ الْكَوْنِ، هُمَا الْمُسَبِّبَانِ فِي الدَّهْرِ لِإِهْلَاكِ الْأَحْيَاءِ، لَا بُدَّ أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الدَّهْرَ هُوَ الَّذِي بِهِ تَكُونُ كُلُّ أَحْدَاثِ الْكَوْنِ، وَمِنْهَا وُجُودُ الْحَيَاةِ فِي الْأَحْيَاءِ.

وَهَذَا يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ فِي الْبَيَانِ الْقِرَائِيَّ إِيجَازًا بِالْحَذْفِ، تَقْدِيرُهُ:

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا...﴾ فِيهَا، وَمَا يُحْيِينَا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا﴾ فِيهَا ﴿إِلَّا الدَّهْرُ﴾ بِتَوَالِي الْأَزْمَانِ وَتَحَرُّكِ أَجْزَاءِ الْكَوْنِ الصُّغَرَى، وَحُدُوثِ مُصَادَفَاتِ التَّلَاوُمِ وَمُصَادَفَاتِ التَّنَافُرِ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ.

هَذِهِ الْفِكْرَةُ هِيَ الَّتِي قَامَتْ فِي أَذْهَانِ الدَّهْرِيِّينَ، بِصُورَتِهَا الَّتِي تُوَهِّمُ بِأَنَّهَا فِكْرَةٌ مَقْبُولَةٌ فِي الْأَذْهَانِ.

فَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْفِكْرَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿... وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾:

أَي: لَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ عِلْمِيٌّ مَهْمَا كَانَ ضَعِيفًا، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَحْدَاثَ الْكَوْنِ، وَمِنْهَا الْإِحْيَاءُ وَالْإِمَاتَةُ، مِنْ آثَارِ مُرُورِ الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَحَرَكَةِ أَجْزَاءِ الْكَوْنِ الصُّغْرَى.

إِنَّ الْحَيَاةَ ظَاهِرَةً خَارِجَةً عَنْ نِظَامِ أَجْزَاءِ الْكَوْنِ الْمَادِيَّةِ كُلِّهَا، فَهِيَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ أَثَرًا مِنْ آثَارِ حَرَكَةِ أَجْزَاءِ الْكَوْنِ الصُّغْرَى مَهْمَا امْتَدَّ الزَّمَنُ، بِدَلِيلِ سَلْبِهَا مَعَ وُجُودِ كَامِلِ أَجْزَاءِ الْحَيِّ دُونَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْهَا شَيْءٌ، وَمَعَ سَلَامَةِ كُلِّ أَعْضَائِهِ مِنْ خَلَلٍ مَا مَهْمَا كَانَ ضَيِّلاً.

وَقَدْ أَجْرَى عُلَمَاءُ الْكَوْنِيَّاتِ كُلِّ مَا فِي وَسْعِهِمْ مِنْ تَجَارِبٍ فِي الْمُخْتَبَرَاتِ، فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُوَجِّدُوا خَلِيَّةً وَاحِدَةً ذَاتَ حَيَاةٍ، مِنْ مَادَّةٍ فِي الْكَوْنِ لَا حَيَاةَ لَهَا.

إِنَّ مَقُولَةَ الدَّهْرِيِّينَ طَرَحُ احْتِمَالِيٍّ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ مُطْلَقًا، لَا مِنَ الْعَقْلِ، وَلَا مِنَ الْمَشْهُودِ فِي الْكَوْنِ الْمُدْرَكِ بِالْحَوَاسِّ، وَلَا مِنَ الْمُخْتَبَرَاتِ وَالتَّجَرِبَاتِ الْمُعْمَلِيَّةِ، وَلَا مِنْ خَبَرٍ صَحِيحٍ يَجِبُ عَقْلًا التَّسْلِيمُ بِهِ، فَلَمْ يَنْقُ لَهُمْ إِلَّا الظَّنُّ التَّوَهُّمِيُّ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ دُوْرَ رَأْيٍ سَدِيدٍ، وَفَهُمْ رَشِيدٌ.

أَمَّا الْإِيمَانُ بِالرَّبِّ الْخَالِقِ الْحَيِّ الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ الْقَدِيرِ، فَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي اقْتَرَنَ بِالْأَدَلَّةِ الْقَاطِعَةِ مِنَ الْعَقْلِ، وَشَوَاهِدِ الْحِسِّ، وَالْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ الَّتِي يَجِبُ عَقْلًا التَّسْلِيمُ بِهَا، وَقَدْ تَوَاطَأَتْ عَلَى بَيَانِهَا أَنْبِيَاءُ اللَّهِ وَرُسُلُهُ وَكُتُبُهُ الْمُنَزَّلَةُ عَبْرَ التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ.

فَالْإِحْيَاءُ وَالْإِهْلَاكُ وَسَائِرُ أَحْدَاثِ الْكَوْنِ وَمُتَغَيَّرَاتِهِ مَظَاهِرُ لإِرَادَتِهِ وَتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ وَخَلْقِهِ، وَقَدْ خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ أَئْيُهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَتَحَدَّثُ عَنْ مُنْكَرٍ الْبُعْثِ وَيَوْمَ الدِّينِ:

• ﴿وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِيَنْبَأٍ مِمَّا كَانُوا حُجِّجَتْ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتُنَبِّئُنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾:

إِنَّ مِنْ صِفَاتِ مُنْكَرِ الْحَيَاةِ الْآخِرَى بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ، أَنَّهُمْ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ بَيِّنَاتٍ مُثَبِّتَاتٍ أَنَّ الْجَزَاءَ حَقٌّ، تَشْهَدُ لَهُ بَرَاهِينُ الْعَقْلِ، وَأَنَّ الْبُعْثَ حَقٌّ، وَأَنَّ الْيَوْمَ الْآخِرَ حَقٌّ، فَالْخَالِقُ وَاضِعُ خُطَّةِ الْوُجُودِ وَمُنْقِذُهَا تَبَاعًا كَمَا قَدَّرَهَا وَقَضَاهَا، قَدْ أَعْلَمَ الْجِنَّ ثُمَّ الْإِنْسَ بِأَنَّهُ سَيَجْزِي عِبَادَهُ الَّذِينَ قَضَى أَنْ يَضَعَهُمْ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ فِي طُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ الْجَزَاءَ الْأَمَثَلَ لَهُمْ جَمِيعًا سَوْفَ يَكُونُ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَى، بَعْدَ أَنْ يَبْعَثَهُمْ مِنْ مَوَاضِعِهِمْ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُذَا الْجَزَاءَ الْأَمَثَلَ دَارَيْنِ: إِحْدَاهُمَا لِنَعِيمِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، وَأُخْرَاهُمَا لِعَذَابِ الْكَافِرِينَ الْمُجْرِمِينَ، وَالْعُصَاةِ الْفُجَّارِ، وَالظَّالِمِينَ لِأَنفُسِهِمْ.

إِنَّ مُنْكَرِ الْبُعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَمُنْكَرِ الْجَزَاءِ يَوْمَ الدِّينِ، إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ الَّتِي سَبَقَ شَرْحُ مَضْمُونِهَا، لَمْ يَجِدُوا حُجَّةَ فِكْرِيَّةَ يَحْتَجُّونَ بِهَا، تُسَوِّغُ فِي مَقَائِيسِ الْعُقُولِ إِنْكَارَهُمْ، إِذْ هُمْ مُحَاصِرُونَ فِكْرِيًّا بِمَا يُثْبِتُ قَانُونَ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ يَوْمَ الدِّينِ، فَيَلْجَأُونَ إِلَى الْمُطَالَبَةِ بِإِحْيَاءِ مَنْ مَاتَ مِنْ آبَائِهِمْ، مَعَ أَنَّ الْبَيِّنَاتِ الدِّينِيَّةَ فِي كُلِّ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ رِسَالَاتٍ عَلَى رُسُلِهِ، لَيْسَ فِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْبُعْثَ وَالْجَزَاءَ الْأَمَثَلَ سَيَكُونُ فِي طُرُوفِ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بَلْ سَوْفَ يُكُونُ فِي حَيَاةٍ أُخْرَى بَعْدَ انْتِهَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كُلِّهَا، فَلَيْسَ مِنَ الْمَقْبُولِ عَقْلًا الْمُطَالَبَةُ بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِذْ قَضِيَّةُ الْجَزَاءِ وَإِمْكَانِ الْبَعْثِ مِنَ الْقَضَايَا الْعَقْلِيَّةِ، وَكُشِفَ عَنَّا صِرَاطُ الْخُطَّةِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ مِنَ الْقَضَايَا الْخَبَرِيَّةِ الصَّادِقَةِ، الَّتِي يَشْهَدُ بِصِدْقِهَا بُرْهَانُ الْعَقْلِ.

• ﴿... مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعُوا آبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥):

أي: مَا كَانَ رَدُّهُمْ الدَّعَائِيَّ، الَّذِي وَاجَهُوا بِهِ جُمْهُورَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، بِطَرِيقَةِ دَعَائِيَّةِ غَوَايَةِ، إِلَّا أَنْ قَالُوا هَذَا الْقَوْلُ، مَعَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَيْسَ حُجَّةً أَصْلًا، وَلَا يَدْخُلُ فِي سُلْمِ الْحُجَجِ بِشَأْنِ هَذَا الْمَوْضُوعِ، وَلَكِنْ سَمَّاهُ اللَّهُ حُجَّةً مُرَاعَاةً لِحَالِهِمْ وَنَقْصِ عُقُولِهِمْ، إِذْ أَوْهَمُوا بِغَوَايَةِ أَنَّهُمْ يَأْتُونَ بِحُجَّةٍ.

فجاء التَّعْلِيمُ الرَّبَّانِيُّ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، أَنْ يَقُولَ لَهُمْ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ التَّالِي:

• ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦):

إِنَّهُمْ إِذْ لَمْ يَأْتُوا بِحُجَّةٍ فِي مَقَاسِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْبَيَانِ التَّعْلِيمِيِّ، أَنْ يُخْبَرُوا بِالْحَقِيقَةِ الَّتِي سَوْفَ تَكُونُ وَاقِعَةً حَتْمًا، رَدًّا عَلَى مُطَالَبَتِهِمْ بِإِحْيَاءِ آبَائِهِمْ.

• ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ...﴾: أي: قُلِ اللَّهُ يُتَابِعُ إِحْيَاءَكُمْ إِلَى آجَالِكُمْ

الْمُقَدَّرَةِ لِمَوْتِكُمْ.

• ﴿... ثُمَّ يُمِيتُكُمْ...﴾: أي: ثُمَّ بَعْدَ أَنْ تَنْتَهِيَ آجَالُ حَيَاتِكُمْ

فِي الدُّنْيَا الْمُقَدَّرَةِ الْمَقْضِيَّةِ لَكُمْ يُمِيتُكُمْ، فَلَا أَحَدَ مِنْكُمْ يَسْتَطِيعُ تَأْجِيلَ مَوْتِهِ.

ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ بَعْدَ انْتِهَاءِ طُرُوفِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبَدْءِ طُرُوفِ الْحَيَاةِ الْآخَرَى.

• ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ مَسُوقِينَ مَحْشُورِينَ.

• ﴿إِلَى يَوْمِ الْفَيْكَةِ﴾ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّكُمْ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، تَمْهِيداً لِتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ الْأَكْبَرِ.

• ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: أَي: وَيَوْمُ الْقِيَامَةِ هَذَا لَا شَكَّ فِي أَنَّهُ سَوْفَ يَكُونُ وَاقِعًا حَقًّا.

• ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أَي: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَعْلَمُوا هَذِهِ الْحَقَائِقَ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لِأَنَّ عِلْمَهُمْ بِهَا قَدْ يُلْجِمُهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ أَهْوَائِهِمْ، وَشَهَوَاتِهِمْ، وَكَثِيرٍ مِنْ رَعْبَاتِهِمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لَمَا فِيهَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ الَّتِي تَسْتَتِيعُ الْجَزَاءَ يَوْمَ الدِّينِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْخَامِسِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الجاثية).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٠)

التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (الجاثية)

الآيات من (٢٧ - ٣٥)

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٢٧)  
وَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨) هَذَا  
كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِجُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (٣٥) وَأَمَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا أَفَأَمَرَ تَتَلَّى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ ﴿٣٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَنْصِينٍ ﴿٣٩﴾ ذَلِكَ بِأَنكُم أَتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُمْخِرُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْمَعُونَ ﴿٤٠﴾

### القراءات:

(٢٨) • قرأ يعقوب: [كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى] بِنَضْبِ «كُلِّ» وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى] بِرَفْعِ «كُلِّ». والقراءتانِ وَجْهَانِ نَحْوِيَّانِ.

(٣٢) • قرأ حمزة: [وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا] بِنَضْبِ «السَّاعَةُ، عَظْفًا عَلَى «وَعْدَ».

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا] بِرَفْعِ «السَّاعَةُ» عَلَى أَنَّهَا مُبْتَدَأٌ.

(٣٣) • قرأ أبو جعفر: [يَسْتَهْزِئُونَ] فِي الْوَضَلِ وَالْوَقْفِ، وَكَذَلِكَ حَمْزَةً فِي الْوَقْفِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةَ: [يَسْتَهْزِئُونَ] فِي الْوَضَلِ وَالْوَقْفِ.

(٣٤) • قرأ السُّوسِي، وَأَبُو جَعْفَرٍ: [وَمَا وَاهُمْ] بِإِبْدَالِ الْهَمْزَةِ أَلِفًا، وَكَذَلِكَ حَمْزَةً فِي الْوَقْفِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةَ: [وَمَا وَاهُمْ] دُونِ إِبْدَالِ.

(٣٥) • قرأ حَفْصٌ: [هُزُوعًا].

وَقَرَأَهَا حَمْزَةً، وَخَلَفَ: [هُزُوعًا].

وقرأها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ: [هَؤُلاءِ].

وَهِيَ وَجُوهٌ عَرَبِيَّةٌ لِنُطْقِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ.

(٣٥) • قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِي، وَخَلَفَ: [لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا] بِالْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ.

وقرأها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ: [لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا] بِالْبِنَاءِ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

أَي: فَهُمْ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا، فَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُخْرِجُوا.

تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَقْدِيمُ لَقَطَاتٍ مِنْ أَحْدَاثِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَفِيهَا تَرْهيبٌ لِمَنْ تَلَيْنُ قُلُوبُهُمْ وَنَفُوسُهُمْ لِلْمُرْهَبَاتِ، إِذْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ التَّرْهيبَ أَحَدُ وَسَائِلِ الْعِلَاجِ الْكُبْرَى.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (٧) : أَي: وَلِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهَذَا تَعْبِيرٌ عَنْ مِلْكِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، فَالسَّمَاوَاتُ تَشْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ حَوْلَ الْأَرْضِ، لِأَنَّهُ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهَا سَمَاوَاتٌ.

اسْتَفِيدَ الْقَصْرُ مِنْ تَقْدِيمِ الْخَبَرِ: ﴿لِلَّهِ﴾ عَلَى الْمَبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ مَعْرِفَةٌ: ﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وَجِيءَ بِهَذَا الْبَيَانِ مِنَ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ تَمْهِيداً لِلْحَدِيثِ عَنْ قِيَامِ السَّاعَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ مُرْهَبَاتٍ، تَهْدِي أُولِي الْأَلْبَابِ إِلَى الْحَقِّ وَالرُّشْدِ خَوْفاً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ.



■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿... وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ .

الْمُرَادُ بِقِيَامَةِ السَّاعَةِ هُنَا قِيَامُ سَاعَةِ بَعْثِ الْمَوْتَى لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، ثُمَّ يَكُونُ تَنْفِيذُ الْجَزَاءِ، عَلَى وَفْقِ الْقَضَاءِ الرَّبَّانِيِّ بَيْنَ الْعِبَادِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُمْتَحِنِينَ .

الْمُبْطِلُونَ: هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَاتَّبَعُوهُ، وَاخْتَارُوا أَنْ يَسْلُكُوا سُبُلَهُ، وَكَفَرُوا بِالْحَقِّ وَلَمْ يَتَّبِعُوا سَبِيلَهُ، وَهُوَ صِرَاطُ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمُ .

الْبَاطِلُ: ضِدُّ الْحَقِّ، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي لَا ثَبَاتَ لَهُ، لِمُخَالَفَتِهِ لِلْوَاقِعِ . وَهُوَ فِي قَضَايَا الدِّينِ كُلُّ مَا كَانَ ضِدًّا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَكُلُّ مَا خَرَجَ فِي السُّلُوكِ عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ .

الْخَاسِرُ: هُوَ الْمَغْبُوتُ فِي تِجَارَتِهِ، الَّذِي خَسِرَ رَأْسَ مَالِهِ، كُلَّهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَلَمَّا كَانَ رَأْسُ مَالِ الْإِنْسَانِ فِي وُجُودِهِ ذَاتُهُ، كَانَ بِتَغْرِيبِهِ ذَاتُهُ لِعَذَابِ اللَّهِ ذَا خَسَارَةٍ عَظُمَى، فَإِذَا عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ الْأَلِيمِ، كَانَ مِنْ زُمْرَةِ الْخَاسِرِينَ .

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَعْزِضُ مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الدِّينِ لِكُلِّ مُؤَهَّلٍ

لِلخُطَابِ .

• ﴿وَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ :

الْجُثُوثُ: الْجُلُوسُ عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْقِيَامِ عَلَى أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ، يُقَالُ لَعَةً «جَثًا»، يَجْثُو، جَثْوًا، وَجُثْوًا، فَهُوَ جَاثٍ، وَهُمْ جُثِيٌّ، وَجُثِيٌّ أَي: جَلَسَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، أَوْ قَامَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ .

وَلَعَلَّ الْمَعْنَيْنِ مُرَادَانِ، عَلَى التَّوْزِيعِ بَيْنَ النَّاسِ، فَمِنْهُمْ جَالِسٌ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ قَائِمٌ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِ قَدَمَيْهِ .

والمَقْصِدُ مِنْ هَذَا الْجُثُوِّ الْحُضُورُ فِي مَحْكَمَةِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ الرَّبَّانِيَّةِ يَوْمَ الدِّينِ.

وَالْمُرَادُ بِكُلِّ أُمَّةٍ كُلُّ أُمَّةٍ كَانَتْ مَوْضُوعَةً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِتِّلَاءِ.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ كَانَتْ لَهَا نَذِيرٌ، وَدَلَّ هَذَا النَّصُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ كَانَتْ لَهَا كِتَابٌ رَبَّانِيٌّ، فَهِيَ تُدْعَى أَفْرَادًا لِلْحُكْمِ عَلَيْهَا بِمَا جَاءَ فِي كِتَابِهَا الرَّبَّانِيِّ، الَّذِي تَبَلَّغَتْهُ عَنْ طَرِيقِ رَسُولِهَا أَوْ الدُّعَاةِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ.

وَيُقَالُ لَهَا: ﴿... الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٨): أَي: تُجْزَوْنَ جَزَاءً مُطَابِقًا لِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ سَيِّئَاتٍ وَمُخَالَفَاتٍ لِمَا أُمِرْتُمْ بِهِ فِي كِتَابِ رَبِّكُمْ.

أَمَّا الْحَسَنَاتُ فَتُثَابُونَ عَلَيْهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ كَمَا جَاءَ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى، وَهَذَا مِنْ قِيَصِ فَضْلِ اللَّهِ عَلَى الْمُحْسِنِينَ.

وَيُقَالُ لَهَا: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ وَهُوَ كِتَابٌ جَامِعٌ لِكُلِّ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَيُصَوِّرُ مِنْهُ لِكُلِّ فَرْدٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِحَيَاتِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيُسَلِّمُ نُسخَةً عَمَّا أَسْلَفَ أَيَّامَ كَانَ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ.

• ﴿... إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٩): أَي: كُنَّا نُسَجِّلُ بِالتَّصْوِيرِ الْكَامِلِ لِلظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَلِحَرَكَاتِ الْأَفْكَارِ وَالْقُلُوبِ وَالنُّفُوسِ، كُلَّ عَمَلٍ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ، وَتُحَاسِبُونَ الْيَوْمَ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَهُ بِإِرَادَاتِكُمْ الْحُرَّةِ الْمُخْتَارَةِ، الَّتِي لَا جَبْرَ فِيهَا وَلَا إِكْرَاهَ، مِمَّا هُوَ دَاخِلٌ فِي امْتِحَانِكُمْ.

الاسْتِنْسَاخُ: طَلَبُ نُسخَةٍ عَنِ الشَّيْءِ كَامِلَةِ الدَّقَّةِ، فَلَا زِيَادَةَ فِيهَا عَنِ الْأَصْلِ وَلَا نُقْصَانَ، وَمِنْهُ اسْتِنْسَاخُ الْكِتَابِ، وَاسْتِنْسَاخُ صُورَةٍ عَنْ عَمَلٍ مَا، وَمِنْ الْاسْتِنْسَاخِ تَصْوِيرُ الْكِتَابِ بِآلَةٍ تُعْطِي صُورَةً دَقِيقَةً عَنْهُ، وَتَصْوِيرُ

الْمَجَامِعِ وَالْحَفَلَاتِ بِآلَاتِ التَّصْوِيرِ، وَأَعْظَمَ مِنْ كُلِّ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَيَتَوَصَّلُونَ مِنْ آلَاتِ اسْتِنْسَاخِ صُورِ الْأَشْيَاءِ، مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِي كَوْنِهِ مِنْ مُصَوِّرَاتٍ تَسْتَنْسِخُ كُلَّ ظَاهِرٍ وَكُلَّ بَاطِنٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، حَتَّى خَوَاطِرَ الْأَفْكَارِ، وَحَرَكَاتِ الْقُلُوبِ، وَلَوَاعِجِ النُّفُوسِ، وَانْدِفَاعَاتِ الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًّا نَتِيجَةَ مَوْقِفِ الْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ يَوْمَ الدِّينِ، وَطَاوِيًّا ذَكَرَ أَحْدَاثٍ كَثِيرَةً:

• ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُولًا وَعَرَفُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَالِیَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ (٣٥)﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بَيَانُ نَتِيجَةِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ. وَبَيَانُ نَتِيجَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ مُّجْرِمِينَ.

• أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا مِنَ الصَّالِحَاتِ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ صِحَّةِ إِيْمَانِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ، فَقَدْ دَلَّتِ الْآيَةُ (٣٠) عَلَىٰ أَنَّ اللَّهَ يُدْخِلُهُمْ فِي بَاطِنِ رَحْمَتِهِ، الَّتِي مِنْ آثَارِهَا يَوْمَ الدِّينِ جَنَّتُهُ الْعَظِيمَةُ، الَّتِي فِيهَا النَّعِيمُ الْمُقِيمُ، وَالَّتِي فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ.

• ﴿... فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ...﴾: أَي: فَيُدْخِلُهُمْ فِي آثَارِ صِفَةِ رَحْمَتِهِ، وَمِمَّا هُوَ مُدْرِكٌ بَدَاهَةً، أَنَّ الدَّخَلَ فِي آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمِنْهَا جَنَّتُهُ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُحَاطٌ كُلُّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ مَهْمَا صَغَرَ بِالسَّعَادَةِ

الْعَامِرَةِ، فَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِكَدَرٍ مَا، وَلَا بِمُنْعَصٍ مَا، وَلَا بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا دَقِيقًا، لَا فِي جَسَدِهِ، وَلَا فِي نَفْسِهِ، وَلَا فِي تَصَوُّرَاتِهِ وَأَوْهَامِهِ، وَلَا فِي أَمَانِيهِ الَّتِي تَمْتَدُّ إِلَى أَبْعَادِهَا خَيَالَاتِهِ.

• ﴿... ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾: الْفَوْزُ: النِّجَاةُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَمَكْرُوهٍ - وَالظَّفَرُ بِالْمَطْلُوبِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ - وَالرَّبْحُ.

وَالْمُشَارُ إِلَيْهِ بِعِبَارَةٍ: ﴿ذَلِكَ﴾ هُوَ الدُّخُولُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ عَلَى مَا سَبَقَ إِضَاحُهُ.

الْمُبِينُ: أَي: الْجَلِيُّ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى ذِي فِكْرٍ.

فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ قَصْرٌ مُسْتَفَادٌ مِنْ تَعْرِيفِ طَرَفِي الْإِسْنَادِ، مَعَ ضَمِيرِ الْفَضْلِ.

أَي: ذَلِكَ الدُّخُولُ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ، هُوَ وَحْدَهُ الْفَوْزُ الْجَلِيُّ الْوَاضِحُ الَّذِي يُدْرِكُهُ كُلُّ ذِي فِكْرٍ.

• وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَانُوا فِي رِحْلَةٍ امْتِحَانِهِمْ مُجْرِمِينَ: فَقَدْ عَرَضَ النَّصُّ لَقِطَةً مِنْ مُحَاسَبَةِ اللَّهِ لَهُمْ، وَلَقِطَةً مِنْ ظُهُورِ سَبَبِ كَوْنِهِمْ مُجْرِمِينَ بِمَا قَدَّمُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ مِنْ سَيِّئَاتٍ كُبْرِيَّاتٍ، وَلَقِطَةً مِنْ مَصِيرِهِمُ الَّذِي صَارُوا إِلَيْهِ فِي جَهَنَّمَ دَارِ عَذَابِهِمْ، وَلَقِطَةً مِمَّا يُقَالُ لَهُمْ بَعْدَ اسْتِفْرَازِهِمْ فِي مَوَاضِعِهِمْ مِنَ الْجَحِيمِ، وَخِتَامًا مُوجَّهًا لِكُلِّ صَالِحٍ لِلخِطَابِ بِشَأْنِ الْكَافِرِينَ الْمُجْرِمِينَ.

فَهِیَ لَقَطَاتٌ أَرْبَعٌ، وَبَعْدَهَا خِطَابٌ عَامٌّ بِشَأْنِهِمْ، مُوجَّهٌ لِكُلِّ صَالِحٍ لِلخِطَابِ:

الْلَقِطَةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ فِي بَدْءِ مُحَاسَبَتِهِمْ:

• ﴿... أَفَلَمْ تَكُنْ مَعَنَا نَتَلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ وَإِذَا قِيلَ

إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا فَلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ ﴿٣٢﴾ :

• ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ : الفاء في ﴿أَفَلَمْ﴾ تَعْطِفُ عَلَىٰ مَطْوِيٍّ مَحْذُوفٍ مِنَ اللَّفْظِ يُمكنُ إدْرَاكُهُ ذَهْنًا، وَالتَّقْدِيرُ: أَكُنْتُمْ مُهْمِلِينَ مَثْرُوكِينَ لِأَنفُسِكُمْ، لَا تُبَلِّغُونَ مَطْلُوبَ رَبِّكُمْ مِنْكُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ، فَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي الَّتِي أَنزَلْتُهَا فِي كِتَابِي إِلَيْكُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ يَتْلُوهَا رَسُولِي إِلَيْكُمْ، أَوْ أَحَدُ الدُّعَاةِ الْمُبَلِّغِينَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ.

فَإِذَا أَنْ يَقْرَءُوا فَتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، وَإِذَا أَنْ يُنْكِرُوا وَحِينَئِذٍ يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ مِنْ شَرِيطَ حَيَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا مَا يُثَبِّتُ أَنَّهُمْ كَانَتْ تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ رَبِّهِمْ، فَيُعْرَضُونَ عَنْهَا، وَلَا يُبَالُونَ بِهَا، وَلَا يَكْتَرُونَ لَهَا، وَيَسْتَكْبِرُونَ عَنْ اتِّبَاعِ رَسُولِ رَبِّهِمْ، أَوْ الِاسْتِجَابَةِ لِذَعْوَةِ الدَّاعِي مِنْ أُمَّتِهِ، وَيُؤْتَىٰ بِالشُّهُودِ فَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِمْ، فَتَدْمَغُهُمُ الْحُجَّةُ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَهَا وَلَا إنْكَارَهَا، وَهَذَا يَأْتِي مَوْقِعَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ لَهُمْ:

• ﴿فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ : أَي: فَاسْتَكْبَرْتُمْ عَنْ اتِّبَاعِ حَمَلَةِ رِسَالَتِي إِلَيْكُمْ، رُسُلًا أَوْ مُبَلِّغِينَ عَنْهُمْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ وَاتَّبَعُوهُمْ، وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ بِالْكَفْرِ، وَبَارْتِكَابِ الْكَبَائِرِ مِنَ الْآثَامِ الَّتِي زَيَّنَ لَكُمْ الِاسْتِمْتَاعُ بِهَا، مِنْ قِبَلِ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

المُجْرِمُ: هُوَ فِي اللُّغَةِ الْمُتَعَدِّي بِذَنْبٍ كَبِيرٍ.

وَقَدْ يَكْذِبُ بَعْضُهُمْ فَيَزْعُمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ عِلْمٌ بِالْآخِرَةِ وَيَوْمِ الدِّينِ، وَهَذَا يَأْتِي مَوْقِعَ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ:

• ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا فَلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ :

أَي: وَكُنتُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَ بِالْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَإِنَّهُ

يَكُونُ بَعْدَ الْبُعْثِ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى، وَإِنَّهُ يَكُونُ يَوْمَ الدِّينِ، وَإِنَّكُمْ سَوْفَ تَقْفُونَ هَذَا الْمَوْقِفَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّكُمْ لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، ثُمَّ يَكُونُ الْجَزَاءُ تَنْفِيذًا لِقَضَائِهِ لَكُمْ أَوْ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، فَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَإِنَّ السَّاعَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا بَعْثُ الْمَوْتَى، لَا رَبِّبَ فِي قِيَامِهَا وَوُقُوعِ أَحْدَاثِهَا كَمَا جَاءَ فِي بَيِّنَاتِ كِتَابِ اللَّهِ، وَبَيِّنَاتِ رَسُولِهِ، قُلْتُمْ:

مَا نَذِرِي مَا السَّاعَةُ، إِذْ لَمْ يَسْبِقْ أَنْ شَاهَدْنَا فِي الْكَوْنِ أَحْدَاثًا مُشَابِهَةً لِهَذِهِ التَّفْصِيلَاتِ، وَقُلْتُمْ إِنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ عَنِ السَّاعَةِ لَا تُفِيدُنَا إِلَّا ظَنًّا اخْتِمَالِيًّا لَا يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الْعِلْمِ، الَّذِي يَجِبُ الْاِعْتِمَادُ عَلَيْهِ، وَاعْتِقَادُهُ، وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ، وَقُلْتُمْ مَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ، وَكُنْتُمْ لَا تَعْبُونَ بِبِرَاهِينِ الْعَقْلِ وَتَتَجَاهَلُونَهَا، وَكُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ رُسُلَ اللَّهِ فِيمَا يُخْبِرُونَكُمْ بِهِ، مَعَ أَنَّهُمْ مُؤَيَّدُونَ مِنَ اللَّهِ بِالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، وَالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ.

فَلَا تَنْفَعُكُمُ الْيَوْمَ مَعذِرَتُكُمْ، إِذْ كُنْتُمْ تَرْفُضُونَ الْحَقَّ مَعَ إِدْرَاكِكُمْ لَهُ، وَاسْتِيقَانِكُمْ الدَّاخِلِيَّ بِأَنَّهُ حَقٌّ، وَلَكِنْ غَلَبَتْ أَهْوَاؤُكُمْ وَشَهَوَاتُكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِرَادَاتِكُمْ الْعَاقِلَةَ بِاخْتِيَارِكُمْ الْحُرِّ، فَلَا عُدْرَ لَكُمْ تَعْتَذِرُونَ بِهِ الْيَوْمَ فِي مُحْكَمَةِ رَبِّكُمْ.

اللَّقْطَةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّصِّ: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا...﴾ (٣٣): أَي: وَعَلِمُوا قَضَاءَ اللَّهِ بِشَأْنِهِمْ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِمْ مَنَزِلُهُمْ فِي جَهَنَّمَ دَارِ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ، وَبَدَأَ لَهُمْ تَحَقُّقُ جَزَاءِ سَيِّئَاتِ الْأَعْمَالِ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، فَأَصَابَهُم الدُّعْرُ وَالسُّكُوتُ وَالْيَأْسُ وَالتَّدَمُّ وَالْانْهِيَارُ.

اللَّقْطَةُ الثَّالِثَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّصِّ: ﴿... وَحَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَسْكَزُ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣٤):

• ﴿وَمَكَرَ بِهِمْ﴾: أي: وَلَزِمَهُمْ وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ، وَأَصَابَهُمْ إصَابَةٌ مُّحِيطَةٌ بِكُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذَرَائِهِمْ.

• ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: الْعَذَابُ الَّذِي كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، حِينَ كَانَ يُوجَّهُ لَهُمُ الْوَعِيدُ بِهِ وَالتَّرْهيبُ مِنْهُ.

• ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾: وَقِيلَ بِتَكْلِيفِ مِنَ اللَّهِ لِلْمَسْئُولِينَ عَنْ شُؤْنِهِمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يُبَلِّغُوهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ.

الْيَوْمَ نَتْرُكُكُمْ تَتَقَلَّبُونَ فِي الْعَذَابِ الَّذِي قُضِيَ بِهِ عَلَيْكُمْ، مَثَلًا كُنْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَدْ تَرَكْتُمْ التَّصْدِيقَ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَذَّبْتُمْ بِهِ، وَاتَّبَعْتُمْ مَا زُوِّنَ لَكُمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

أَضَلُّ النَّسْيَانِ فِي اللُّغَةِ: التَّرُكُ وَالْإِهْمَالُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَرَكَ شَيْئًا مُهْمَلًا لَهُ، مُسِحَ هَذَا الشَّيْءُ مِنْ ذَاكِرَتِهِ، فَلَمْ يَعُدْ يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ، فَغَلَبَ فِي اسْتِعْمَالَاتِ النَّاسِ الْمَسْحُ مِنَ الذَّاكِرَةِ لِمَادَّةِ «النَّسْيَانِ».

• ﴿وَمَا وَكَّكُمُ النَّارُ﴾: أي: وَمَنْزِلُكُمْ الَّذِي تَسْتَقِرُّونَ فِيهِ دَوَامًا دَارُ الْعَذَابِ النَّارِ.

• ﴿... وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ (٢٤): أي: وَمَا لَكُمْ مِنْ مُنْقِذِينَ لَكُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّكُمْ، أَوْ يُنْصِرُونَكُمْ بِوَسَاطَةِ أَوْ شَفَاعَةِ.

«مِنْ» فِي عِبَارَةِ ﴿مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ زِيدَتْ لِتَوْكِيدِ عُمُومِ النَّفْيِ فِي ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ وَلِلتَّنْصِيسِ عَلَيْهِ كَمَا يَقُولُ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ.

اللَّقْطَةُ الرَّابِعَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي النَّصِّ: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ مِنْ آلِهَتِكُمْ هُزُومًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ...﴾ (٢٥):

يُظْهِرُ أَنَّ هَذِهِ اللَّقْطَةُ الْبَيَانِيَّةُ، تُوجَّهُ لَهُمْ وَهُمْ يَتَقَلَّبُونَ فِي عَذَابِ النَّارِ، بَعْدَ أَنْ يَضْحَجُوا مُتَذَمِّرِينَ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ

يَخْطَابُ مُوجَّهٍ لِحِمَاةِهِمْ: ذَلِكُمْ الْعَذَابُ الشَّدِيدُ الَّهِابُ إِلَى جِهَةِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ الَّذِي حَاقَ بِكُمْ، هُوَ بِسَبَبِ أَنْكُمْ اتَّخَذْتُمْ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةَ الْاِمْتِحَانِ، آيَاتِ اللَّهِ الْمُنْزَلَاتِ لِهِدَايَتِكُمْ، وَبَيَانِ صِرَاطِ رَبِّكُمْ الْمُسْتَقِيمِ، هُزُوا، أَي: شَيْئًا يُسْتَهْزَأُ بِهِ وَيُسَخَّرُ مِنْهُ.

الْهَزْءُ وَالْهُزْءُ: السُّخْرِيَّةُ، وَهُمَا مَصْدَرَانِ لِفِعْلِ «هَزَأَ بِهِ، وَهَزَأَ مِنْهُ». أَطْلَقَ الْمَصْدَرُ بِمَعْنَى اسْمِ «الْمَفْعُولِ» أَي: شَيْئًا يُسْتَهْزَأُ بِهِ، وَيُسَخَّرُ مِنْهُ.

• ﴿وَعَرَّكُوا الدُّنْيَا﴾: أَي: وَخَدَعْتَكُمْ زِينَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَطْمَعَتْكُمْ بِالْبَاطِلِ، فَصَرَفَتْكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ، وَعَنِ الْعَمَلِ بِمَا يُحَقِّقُ لَكُمْ السَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، مُكَذِّبِينَ رَسُولَ رَبِّكُمْ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ عَنْهُ.

الْخِطَابُ الْعَامُّ بِشَأْنِهِمُ الْمَوْجَّهُ لِكُلِّ صَالِحٍ لِلْخِطَابِ: دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي النَّصِّ: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ﴾ (٢٥):

أَي: فَالْيَوْمَ وَهُوَ يَوْمُ الدِّينِ، لَا يُخْرَجُونَ مِنْ دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ مُجْرِمِينَ فِي رِحْلَةِ اِمْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ﴾: أَي: وَلَا يُرْفَعُ عَنْهُمْ الْعَتَبُ وَالْمَلَامُ مَهْمَا دَعَوْا وَتَضَرَّعُوا، وَمَهْمَا صَاحُوا وَأَضْجَعُوا مُطَالِبِينَ بِالْخُلَاصِ وَالْخُرُوجِ مِنْ دَارِ الْعَذَابِ، إِذْ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، بِقَضَاءِ مُبَرِّمٍ مِنَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

وبهذا تمَّ تدبرُ الدرس السادس من دُرُوس سورة (الجاثية).

والحمد لله على معونته، ومدِّه، وتوفيقه، وممِّته، وفتحِهِ.





(١١)

## التدبر التخليلي للدرس السابع من دروس سورة (الجاثية) الآيتان (٣٦) و (٣٧) آخر السورة

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾

تمهيد:

خَتَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سُورَةَ (الجاثية) بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْمُشْتَمِلَتَيْنِ عَلَى ثَنَاءٍ عَلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ، بِطَائِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، تَذْكِيراً بِعَنَاصِرٍ مِنَ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، الَّتِي هِيَ أَسَاسُ الدِّينِ.

التدبر التحليلي:

• ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾: أي: فَتَفَرِّعاً عَلَى كُلِّ مَا جَاءَ فِي السُّورَةِ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ.

استفيد الْقَصْرُ مِنْ تَقْدِيمِ الْمُسْنَدِ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فِي جُمْلَةِ اسْمِيَّةِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ يَتَنَاوَلُ تَمَجِيداً لِلَّهِ بِصِفَاتِهِ الْوُجُودِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ ذَاتِهِ، وَبِصِفَاتِ أَعْمَالِهِ، وَيَتَنَاوَلُ تَنْزِيْهُهُ عَنْ كُلِّ الصِّفَاتِ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِجَلَالِهِ، فَهُوَ يَشْمَلُ الثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِكُلِّ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَالثَّنَاءَ عَلَى اللَّهِ بِتَنْزِيْهِهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، مَا عَلِمْنَا مِنْ كُلِّ ذَلِكَ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ.

اللَّامُ الْجَارَةُ فِي ﴿لِلَّهِ﴾ هِيَ بِمَعْنَى الْمِلْكِ أَوْ الْاِخْتِصَاصِ.

• ﴿... رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾:

كَلِمَةُ «رَبِّ» هِيَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ فِعْلِ «رَبَّ» وَمَعْنَاهُ الْإِنْشَاءُ الْمَتَدَرِّجُ لِلشَّيْءِ حَيًّا كَانَ أَمْ غَيْرَ ذِي حَيَاةٍ، وَتَعَهُدُهُ خَالًا فَخَالًا، وَطَوْرًا فَطَوْرًا بِحَسَبِ فِطْرَتِهِ وَاسْتِعْدَادَاتِهِ.

ثُمَّ اسْتُعِيرَتْ كَلِمَةُ «الرَّبِّ» مِنَ الْمَصْدَرِيَّةِ إِلَى اسْمِ الْفَاعِلِ، فَصَارَتْ تُطْلَقُ كَلِمَةُ «الرَّبِّ» بِمَعْنَى «الْمُرَبِّي».

فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَهُوَ رَبُّ الْأَرْضِ، وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، أَي: هُوَ رَبُّ كُلِّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

• ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾.

الْكِبْرِيَاءُ: الْمُلْكُ، وَالْعِظَمَةُ، وَالِاسْتِقْلَالُ بِأَنَّ لَهُ الْحُكْمَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَاضِعٌ لِسُلْطَانِهِ.

أَي: وَلِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا لَفْظَةُ الْكِبْرِيَاءِ.

• ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: أَي: وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي لَهُ الْقُوَّةُ الْعَالِيَةُ لِكُلِّ الْقُوَى، وَالَّتِي لَا تُقَاوِمُهَا قُوَّةٌ، إِذْ كُلُّ الْقُوَى فِي الْكَوْنِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِمْدَادِهِ لَهَا بِالْبَقَاءِ.

الْحَكِيمُ: أَي: الَّذِي يُقَدِّرُ تَقْدِيرَاتِهِ، وَيَقْضِي أَقْضِيَّتَهُ، وَيُجْرِي تَصَارِيفَهُ فِي كَوْنِهِ، بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ، فَيَخْتَارُ أَحْكَمَ الْأَشْيَاءِ لِكُلِّ شَيْءٍ.

وبهذا انتهت تدبر سورة (الجاثية) على ما فتح الله به عليّ.

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(١٢)

**ملحق: مستخرجات بلاغية من سورة (الجاثية)**

تَشْمَلُ سورة (الجاثية) على اختيارات بلاغية نفيسة. منها ما يلي:

**أولاً: الاستقطاع مما سَوْفَ يجري يَوْمَ الدِّينِ وتقديم البيان كأنه يجري عند التكلّم**

ومن أمثلة هذا الفن الإبداعي في السورة ما جاء في الآيات (٢٨ و ٢٩ و ٣١ و ٣٢ و ٣٤ و ٣٥).

**ثانياً:**

**القصر:** وهو تخصيص شيء بِشيءٍ بِعَبَارَةٍ كَلَامِيَّةٍ تَدُلُّ عليه.

ومن أمثلته في السورة ما يلي:

**المثال الأول:** قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ ...﴾ (٧)

استُفِيدَ الْقَصْرُ مِنْ تَعْرِيفِ طَرْفِي الْإِسْنَادِ.

**المثال الثاني:** قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...﴾ (٧٧)

استُفِيدَ الْقَصْرُ مِنْ تَقْدِيمِ الْمُسْنَدِ وَهُوَ الْخَبَرُ، عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ وَهُوَ الْمَبْتَدَأُ، فِي جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ.

**المثال الثالث:** قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦)

كسابقه.

المثال الرابع: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٧﴾.

في هذه الآية قصران:

الأول: ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ﴾ وهو كسابقه.

الثاني: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ دَلَّ عَلَى الْقُصْرِ تَعْرِيفَ طَرَفِي الإِسْنَادِ، فِي جُمْلَةٍ اسْمِيَّةٍ.

ثالثاً: إطلاق المصدر بدل اسم الفاعل، أو اسم المفعول للمبالغة، حَتَّى كَأَنَّ الْمَوْصُوفَ عَيْنُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْمَصْدَرُ وَمِنْ أَمْثَلِهِ فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

المثال الأول: قول الله تَعَالَى بِشَأْنِ مُنْكَرِ الْجَزَاءِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ بِإِصْرَارٍ وَعِنَادٍ.

﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝٩﴾.

هُزُوًا مَصْدَرٌ «هَزَأَ بِهِ» أُطْلِقَ بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَي: مَهْزُوءاً بِهَا، لِلدَّلَالَةِ عَلَى شِدَّةِ اسْتِهْزَائِهِ حَتَّى كَأَنَّ الْمَهْزُوءَ بِهِ عَيْنُ الْهُزْءِ.

المثال الثاني: قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:

﴿هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾.

أُطْلِقَ عَلَى الْقُرْآنِ أَنَّهُ «بَصَائِرُ» وَأَنَّهُ «هُدًى» وَأَنَّهُ «رَحْمَةٌ» وَهِيَ ذَاتُ مَعَانٍ مَصْدَرِيَّةٍ، بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ، عَلَى سَبِيلِ الْمَبَالِغَةِ حَتَّى كَأَنَّ الْقُرْآنَ عَيْنُ الْبَصِيرَةِ، وَعَيْنُ الْهُدَى، وَعَيْنُ الرَّحْمَةِ.

رابعاً: اسْتِخْدَامُ الْكَلِمَةِ بِضِدِّ مَعْنَاهَا لِلتَّهْكُمِ

وَمِنْ أَمْثَلِهِ هَٰذَا الْقَرْءُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْكَافِرِ الْمُسْتَكْبِرِ:

﴿... فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٨):

جاء استعمال: ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ بَدَلًا: «فَأَنْذِرْهُ» تَهَكُّمًا بِهِ.

خامساً: تشبيه حال مُمارِسِ الشيء بحاله إذا لم يُمارِسْهُ  
ومن أمثلة هذا التشبيه قول الله عزَّ وجلَّ بِشَانِ الْكَافِرِ الْمَصِرُّ عَلَى  
كُفْرِهِ مُسْتَكْبِرًا:

﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَادِي عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٨).

سادساً: خروج الاستفهام عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ الَّتِي هِيَ طَلَبُ الْإِنْفَهَامِ  
ومن أمثلته في السَّوْرَةِ ما يلي:

المثال الأول: قول الله عزَّ وجلَّ بِشَانِ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ لَمْ تُؤْثَرِ فِي  
إِقْنَاعِهِمْ حَتَّى يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ آيَاتُ اللَّهِ الْجَلِيلَةِ:

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦).

المراد بالاستفهام هُنَا النَّفْيُ، أي: لَا يُوجَدُ حَدِيثٌ يُؤْمِنُونَ بِهِ بَعْدَ  
رَفْضِهِمُ الْإِيمَانَ بِالْحَدِيثِ الرَّبَّانِيِّ الْمُعْجَزِ.

المثال الثاني: قول الله عزَّ وجلَّ بِشَانِ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ:

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ  
عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً...﴾ (٢٣).

المراد بالاستفهام هُنَا التَّعْجِيبُ، وَالْحَثُّ عَلَى الرُّؤْيَةِ لِيَعْجَبَ الرَّائِي  
الْمُتَفَكِّرُ.

سابعاً:

تَنْزِيلُ الْقَرِيبِ مَنْزِلَةً الْبَعِيدَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى سُمْوِهِ وَارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ،  
أَوْ لِلدَّلَالَةِ عَلَى بُعْدِ مَنْزِلَتِهِ تَسْفُلًا إِلَى جِهَةِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

• فَمِنَ الْأَمْثِلَةِ الَّتِي يُرَادُ بِهَا الدَّلَالَةُ عَلَى ارْتِفَاعِ مَنْزِلَةِ الْقَرِيبِ  
الْمَعْنَوِيَّةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ آيَاتِهِ الَّتِي تُتْلَى عَلَى الرَّسُولِ ﷺ:  
﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزِّلُهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ...﴾ (٦٥)

جَاءَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْآيَاتِ الْقَرِيبَةِ الْمَثْلُوءَةِ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ الْمَوْضُوعِ  
لِلْبَعِيدِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى ارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهَا الْمَعْنَوِيَّةِ.

• وَمِنَ الْأَمْثِلَةِ الَّتِي يَرَادُ بِهَا الدَّلَالَةُ عَلَى بُعْدِ مَنْزِلَةِ الْقَرِيبِ تَسْفُلًا  
إِلَى جِهَةِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ  
آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا، وَهُمْ الْمُعَالِجُونَ فِي السُّورَةِ.  
﴿... أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٦٦)

أَي: أُولَئِكَ الْبُعْدَاءُ الْمَتَسَفِّلُونَ إِلَى جِهَةِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ لَهُمْ  
عَذَابٌ مُهِينٌ لَهُمْ.

ثامناً: توكيد الجملة الخبرية بالمؤكدات لداع بلاغي

فَمِنَ أَمْثِلَةِ تَوَكِيدِ الْجُمْلَةِ الْخَبَرِيَّةِ فِي السُّورَةِ لِدَاعِ بَلَاغِي الْأَمْثِلَةِ  
التالية:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٧)

التوكيد بـ «إِنَّ» - والجملة الاسمية - وَالْأَرْضِ الْمَرْحَلَةُ «مُوجَّهٌ لِلْمَدْعُوبِينَ  
إِلَى الْإِيمَانِ، فَحَالُهُمْ يَسْتَدْعِي التَّوَكِيدَ.

المثال الثاني: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٦٨)

التوكيد بـ «إِنَّ» - والجملة الاسمية - واللام المزحلقة «مُوجَّهٌ لِغَيْرِ المؤمنين، لِأَنَّ حَالَهُمْ يَسْتَدْعِي التوكيد.

المثال الثالث: قول الله عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِرَسُولِهِ بِشَأْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ:

﴿... إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٧):

جاء التوكيد بـ «إِنَّ» - والجملة الاسمية «لِإِسْمَاعِ بْنِ إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ خَالَفُوا دِينَ اللَّهِ، فَحَالُهُمْ يَسْتَدْعِي التوكيد.

ولهذا التوكيد نظيرٌ في السُّورَةِ وَالْمَقْصُودُ بِهِ غَيْرُ الرَّسُولِ، بَلْ الدُّعَاةُ مِنْ أُمَّتِهِ (انظر الآية ١٩).

تاسعاً:

مِنَ الفنون البلاغية الَّتِي ظَهَرَتْ لِي، مَا جَاءَ فِي السُّورَةِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَسُولَهُ أَنْ يَأْمُرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَغْفِرُوا لِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ إِسَاءَاتِهِمْ وَأَذَاهُمْ، لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ خَصَائِصِ سِيَاسَةِ الْقَائِدِ الْإِنْسَانِي فِي الْأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ. (انظر الآية ١٤).

وبهذا انتهى ملحق المستخرجات البلاغية من سورة (الجاثية).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.







## سُورَةُ الْأَحْقَافِ

٤٦ مصحف ٦٦ نزول

وهي سورة مَكِّيَّة كُلُّهَا

واستثنى بَعْضُهُمْ آيَاتٍ مِنْهَا وذكر أَنَّهَا مَدَنِيَّة

وهي السورة السابعةُ من «الْحَوَامِيْمِ» السَّبْع



(١)

## نصّ السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ  
 كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَادِي  
 بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا  
 يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا  
 حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا لُتَّى  
 عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ  
 مُبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ  
 اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا نُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ  
 وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا  
 أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا

١ - سكت أبو جعفر على (خا) و(ميم) سكتة لطيفة.

٩ - قرأ قالون: [وَمَا أَنَا إِلَّا] بإثبات ألف «أنا» في الوصل والوقف وله وجه الحذف في الوصل.

وقراها باقي القراء العشرة بحذف ألف «أنا».

نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ  
 وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ  
 اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ  
 ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ  
 فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا  
 وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنُذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
 وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا  
 فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ  
 خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ  
 إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ

١٢ - • قرأ نافع، والبرقي، وابنُ عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: [لِتُنْذِرًا] بقاء  
 الخطاب خطاباً للرسول.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [لِتُنْذِرًا] بقاء الغائب، والضمير عائد على: «كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ».

١٣ - • قرأ يعقوب [فَلَا خَوْفٌ] بفتح الفاء.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [فَلَا خَوْفٌ] بالرَّفْع مع التَّنوين. وهما وَجْهَانِ عَرَبِيَّانِ.

١٥ - • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب:  
 [حُسْنًا]. وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [إِحْسَانًا].

وبين القراءتين تكاملٌ في أداء المعنى المراد.

١٥ - • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وهشام، وأبو جعفر: [كُرْهًا] بفتح الكاف.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [كُرْهًا] بضم الكاف، وهما بمعنى واحد لغة.

١٥ - • قرأ يعقوب: [وَفِصَالُهُ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [وَفِصَالُهُ]. والمؤدَّى واحد.

١٥ - • قرأ ورش، والبرقي: [أَوْزَعْنِي أَنْ] بفتح ياء المتكلم.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ بإسكان ياء المتكلم.

شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ  
 أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا  
 تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
 ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ  
 سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾  
 وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِ لَكُمْ أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ  
 الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبِكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ  
 حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ  
 حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمْرِ قَدْ خَلَتِ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ  
 إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ  
 أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يُظَامُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ  
 أَذْهَبْتُمْ طِبْعَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ

١٦ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ] بضمير المتكلم العظيم.

وقراها باقي القراء العشرة: [يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَتَجَاوَزُ] بالمبتدأ لما لم يُسَمَّ فاعله.

١٧ - • قرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر: [أَف]. وقرأها ابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: [أَف]. وقرأها باقي القراء العشرة: [أَف].

وهي لغات لهذه الكلمة.

١٧ - • قرأ هشام: [أَتَعْدَانِي أَنْ] مع المد المشبع.

وقراها نافع، وابن كثير، وأبو جعفر: [أَتَعْدَانِي أَنْ] بفتح ياء المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة: [أَتَعْدَانِي أَنْ] بإسكان ياء المتكلم.

١٩ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وهشام، وعاصم، ويعقوب: [وَلِيُوفيَهُمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [وَلِيُوفيَهُمْ] بنون المتكلم العظيم.

أَلْهُونَ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ  
 تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ وَاذْكُرْ أَنَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ  
 خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي  
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَمَّا عَنْ  
 ءَالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا  
 أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا  
 يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا  
 عَارِضٌ مُّطْرِنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ  
 ﴿٢٤﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ  
 كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنْتُهُمْ فِيمَا إِنْ  
 مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَابْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ  
 سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ  
 بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ

٢١ - قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [إِنِّي أَخَافُ] بفتح ياء المتكلم. وقرأها باقي القراء العشرة بالإسكان.

٢٣ - قرأ أبو عمرو: [وَأُبَلِّغُكُمْ] من فعل: «أَبْلَغَ» المهموز.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَأُبَلِّغُكُمْ] من فعل: «بَلَّغَ» المضعّف.

٢٣ - قرأ نافع، والبزّي، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا] بفتح ياء المتكلم. وقرأها باقي القراء العشرة بإسكان ياء المتكلم.

٢٥ - قرأ عاصم، وحزمة، ويعقوب، وخلف: [لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ].

٢٦ - قرأ أبو جعفر: [يَسْتَهْزِءُونَ] وضلاً ووقفاً، وكذلك حمزة في الوقف، وله تسهيل الهمزة بينها وبين الواو، وإبدالها ياء خالصة.

أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾  
 فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ؕ إِلَهًا ۖ بَلْ صَلَّوْا  
 عَنْهُمْ وَذَلِكِ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٦٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ  
 نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا  
 قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا يَبْقَوْنَآ إِنَّا سَمِعْنَا  
 كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى  
 الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٠﴾ يَبْقَوْنَآ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا  
 بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِمَنَّ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٧١﴾ وَمَنْ  
 لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ  
 أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ  
 بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى  
 النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا  
 كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٧٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ  
 وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۚ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً  
 مِّن نَّهَارٍ بَلَغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧٥﴾

= وقرأها باقي القراء العشرة: [يَسْتَهْزِئُونَ].

٣٣ - وقف يعقوب بهاء السكت على: [يَخْلُقْهُنَّ].

٣٣ - قرأ يعقوب: [يَقْدِرُ] وقرأها باقي القراء العشرة: [يَقَادِرُ].

(٢)

**مِمَّا وَرَدَ بِشَأْنِ سُورَةِ (الأحقاف)**

(١) سورة (الأحقاف) سابعة الحواميم السبع، وَيَنْطَبِقُ عَلَيْهَا مَا وَرَدَ بِشَأْنِ هَذِهِ الْحَوَامِيمِ، فَلْيُرْجَعْ إِلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ بِشَأْنِهَا فِي سُورَةِ (غافر) وَ(فُصِّلَتْ) وَ(الشورى) وَمَا بَعْدَهَا.

(٢) رَوَى الْحَاكِمُ بِإِسْنَادٍ صَحَّحَهُ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ (الأحقاف) وَأَقْرَأَهَا آخَرَ فَخَالَفَ قِرَاءَتَهُ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَهَا؟

قال: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَقْرَأَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَيْرَ ذَا.

فَأْتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَمْ تُقْرِئْنِي كَذَا وَكَذَا؟ قال: «بَلَى».

وقال الآخر: أَلَمْ تُقْرِئْنِي كَذَا وَكَذَا؟

قال: «بَلَى» فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «لِيَفْرَأْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا سَمِعَ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْاِخْتِلَافِ».

(٣)

**مَوْضُوعُ سُورَةِ (الأحقاف)**

تَكَادُ تَكُونُ «الحواميم» السَّبْعُ عَائِلَةً وَاحِدَةً مُفَصَّلَةً إِلَى سَبْعِ سُورٍ، ذَوَاتِ مَلَاحِمٍ وَقَسَمَاتٍ مُتَشَابِهَاتٍ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا شَرِيفَاتُ أُسْرَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَمَوْضُوعُهَا يَسِيرُ عَلَى خَطِّ رَئِيسٍ وَاحِدٍ، هُوَ خَطُّ الْحَدِيثِ عَنِ الْقُرْآنِ، وَمَوْقِفِ الْكَافِرِينَ مِنْهُ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَمَوْقِفِهِمْ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَمَوْقِفِهِمْ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَاتَّبَعُوهُ، وَمِنَ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ وَيَوْمِ الدِّينِ.



وَجَاءَتْ مُعَالَجَتُهُمْ فِي السُّورَةِ مُلَائِمَةٌ بِحِكْمَةٍ لِمَوَاقِفِهِمْ، وَمَكْمَلَةٌ لِمَا سَبَقَ فِي الْحَوَامِيمِ السَّتِّ السَّابِقَةِ.

(٤)

### دُروس سورة (الأحقاف)

بَدَأَ لِي تَقْسِيمَ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى (١٤) دَرَسًا:

الدرس الأول: الآيات من (١ - ٣).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَدْءٌ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْقُرْآنِ مُطَابِقٌ لِمَا جَاءَ فِي صَدْرِ سُورَةِ (الْجَاثِيَةِ) السُّورَةِ السَّادِسَةِ مِنَ (الْحَوَامِيمِ السَّبْعِ).

وَبَعْدَهُ إِعَادَةُ بَيَانِ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (٢٢) مِنْ سُورَةِ (الْجَاثِيَةِ/ ٦٥ نزول) مِنْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، وَلَكِنْ جَاءَ فِي (الأحقاف/ ٦٦ نزول) بِصِيغَةِ الْحَضَرِ، مَعَ إِضَافَةِ بَيَانٍ أَنَّ اسْتِمْرَارَ نِظَامِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِلْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُحَدَّدٌ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، وَإِضَافَةِ بَيَانٍ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْرِضُونَ غَيْرُ عَابِثِينَ بِمَا أُنذِرُوا بِهِ مِنْ إِنْذَارَاتٍ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَكُونُونَ فِيهِ خَالِدِينَ.

الدَّرْسُ الثَّانِي: الْآيَةُ (٤).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَعْلِيمٌ حِوَارٍ جَدَلِيٍّ يُحَاوِرُ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَكُلُّ حَامِلٍ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ الْمُشْرِكِينَ حَوْلَ شُرَكَائِهِمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

الدرس الثالث: الآيتان (٥ و ٦).

وَفِيهِمَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَضَلُّ مِنَ الْمُشْرِكِ الَّذِي يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، وَسَوْفَ يَكُونُ لَهُ عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ: الْآيَاتُ مِنْ (٧ - ١٠).

وفي آيات هذا الدرس عرضُ مواقفٍ من مواقف أئمة الكفر والشرك في مكة إبان التنزيل، من القرآن المجيد، ومُبلَّغُه عن ربِّه مُحَمَّدٍ ﷺ، مع تعليم الله رسوله أسلوباً حوارياً لهم حول مواقفهم هذا.

الدرس الخامس: الآيتان (١١ و ١٢).

وفيهما بيانُ الموقفِ الاستكباري الذي وقفه أئمة الشرك والكفر في مكة إبان التنزيل، من ضعفاء المؤمنين، إذ قالوا: لو كان القرآن الذي يتلوه مُحَمَّدٌ خيراً ما سبقنا هؤلاء الضعفاء الذين ليسوا من عليّة قومنا إلى الإيمان به.

وفيهما تعلّيقُ ربّانيّ على هذا الموقف من مواقفهم من القرآن.

الدرس السادس: الآيتان (١٣ و ١٤).

وفيهما وعدُ ربّانيّ مُجملٌ بالثواب العظيم للذين قالوا: ربّنا الله ثم استقاموا.

الدرس السابع: الآيتان (١٥ و ١٦).

وفيهما بيانُ وصيّة الله عزّ وجلّ للإنسان بوالديه، ووعد الولد البار بوالديه بثوابٍ عظيمٍ جزيلٍ ادّخره الله له.

الدرس الثامن: الآيات من (١٧ - ١٩).

وفيها بيانُ حالِ الولد المكذب بيوم الدين العاق لوالديه المستغيثين اللذين يقولان له: ويلك آمِن إنَّ وعد الله حق. فيقول لهما: ما هذا إلا أساطيرُ الأولين.

وفيها بيانُ جزاء الله للكافرين المكذبين.

الدرس التاسع: الآية (٢٠).

وَفِيَا عَرَضُ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَاصٌّ بِالَّذِينَ كَفَرُوا .

الدرس العاشر: الآيات من (٢١ - ٢٦).

وفيها بيانٌ مُوجِزٌ عَنْ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ عَادَ، مُتَكَاِمِلٌ مَعَ مَا جَاءَ فِي سُورِ الْقُرْآنِ مِنْ قِصَّةِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ .

الدرس الحادي عشر: الآيتان (٢٧ و ٢٨).

وفيها إِنْذَارٌ لِلْمُصْرِئِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ بِأَنَّهُمْ إِذَا تَمَادَوْا فِي غَيْبِهِمْ أَهْلَكَهُمْ رَبُّهُمْ كَمَا أَهْلَكَ كُفَّارَ أَهْلِ الْقُرَى مِنْ حَوْلِهِمْ، فَمَا نَصَرْتَهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي كَانُوا قَدْ اتَّخَذُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ .

الدرس الثاني عشر: الآيات من (٢٩ - ٣٢).

وَفِيهَا بَيَانٌ حَادِثَةٍ اسْتِمَاعِ نَفَرٍ مِنَ الْجِنِّ الْقُرْآنَ مِنَ الرُّسُولِ ﷺ، وَرُجُوعِهِمْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُؤْمِنِينَ مُسْلِمِينَ، دُعَاةً إِلَى اللَّهِ فِي قَوْمِهِمْ مِنَ الْجِنِّ .

الدرس الثالث عشر: الآيتان: (٣٣ و ٣٤).

وفيها بيانٌ إِقْنَاعِيٌّ مُوجَّهٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمُنْكَرِي الْبُعْثِ، مَصْحُوبٌ بِإِنْذَارِ بَعْدَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ .

الدرس الرابع عشر: الآية (٣٥) آخر السورة.

وفيها تَوْجِيهٌُ لِلرُّسُولِ ﷺ بِأَنْ يَصْبِرَ كَمَا صَبَرَ أَوْلُوا الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ، وَبِأَنْ لَا يَسْتَعْجِلَ لِلْمَعَالَجِينَ الْإِهْلَاكَ الَّذِي يَطْلُبُونَ تَعْجِيلَهُ، تَغْيِيرًا عَنْ إِنْكَارِهِمْ رِسَالَاتِ الرُّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مَعَ تَهْدِيدِ اللَّهِ لَهُمْ، وَإِشْعَارِهِمْ بِأَنَّهُ لَا يُهْلِكُ إِهْلَاكَ جَمَاعِيًّا شَامِلًا إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ، الْمُتَوَاطُّونَ عَلَى الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ .



(٥)

## التدبر التحليلي للدرس الأول من سورة (الأحقاف) الآيات من (١ - ٣)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حَمِّ ۝ تَزِيلُ الْكَتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ ۝﴾

القراءات :

- (١) • سَكَتَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَى : (حَا) و(مِيم) سَكَنَتْهُ لَطِيفَةٌ.
  - (٢) • قَرَأَ قَالُونَ : [وَمَا أَنَا إِلَّا] بِإِثْبَاتِ أَلِفٍ «أَنَا» فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ، وَلَهُ وَجْهُ الْحَذْفِ فِي الْوَصْلِ.
- وقرأها باقي القراء العشرة بِحَذْفِ أَلِفٍ «أَنَا» وَضَلًّا وَوَقْفًا.

تَمْهِيد :

في آيات هذا الدرس بدءٌ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْقُرْآنِ مُطَابِقٌ لِمَا جَاءَ فِي صَدْرِ سُورَةِ (الجاثية/ ٦٥ نزول) السُّورَةِ السَّادِسَةِ مِنْ (الْحَوَامِيمِ السَّبْعِ).  
وَبَعْدَهُ إِعَادَةُ بَيَانِ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (٢٢) مِنْ سُورَةِ (الجاثية) مِنْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، وَلَكِنْ جَاءَ فِي سُورَةِ (الأحقاف) بِصِيغَةِ الْحَضَرِ : ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ مَعَ إِضَافَةِ ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ وَإِضَافَةِ بَيَانِ أَنَّ نِظَامَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِلْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُحَدَّدٌ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، وَإِضَافَةِ بَيَانِ أَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْرِضُونَ غَيْرُ عَابِثِينَ بِمَا أُنذِرُوا بِهِ مِنْ إِنْذَارَاتٍ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَكُونُونَ فِيهِ خَالِدِينَ.

التدبر التحليلي :

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

• ﴿حَمِّ ۝ تَزِيلُ الْكَتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾ :

هَذَا الْاِفْتِتَاحُ مُطَابِقٌ لِبِدَايَةِ سُورَةِ (الْجَاثِيَةِ/ ٦٥ نَزُول) فَمَا جَاءَ مِنْ تَدْبِيرٍ هُنَاكَ يُغْنِي عَنِ الْإِعَادَةِ هُنَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

● ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٢﴾﴾:

سَبَقَ تَفْصِيلٌ وَافٍ لِكَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ لَدَى تَدْبِيرِ الْآيَةِ (٧٣) مِنْ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ/ ٥٥ نَزُول) فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ.

وَجَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِضَافَةٌ ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أَي: وَمَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ كَائِنَاتٍ حَيَّةٍ وَغَيْرِ حَيَّةٍ، فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي عُمُومِ كَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهَا بِالْحَقِّ عَلَى مَا جَاءَ تَفْصِيلُهُ لَدَى تَدْبِيرِ آيَةِ (الْأَنْعَامِ).

وَجَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِضَافَةٌ بَيَّانٍ:

● ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: أَي: وَجَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَقَاءَ نِظَامِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُحَدَّدًا بِأَجَلٍ مُّسَمًّى، فَإِذَا انْتَهَى أَجَلُ الْبَقَاءِ وَجَاءَ أَجَلُ الْإِنْتِهَاءِ، هَدَمَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - نِظَامَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا بِقِيَامِ السَّاعَةِ الْمُحَدَّدَةِ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ لِلْإِنْتِهَاءِ.

ثُمَّ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ لِيَوْمِ الْبَعْثِ، وَبَدَأَ الْحَيَاةَ الْآخَرَى، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (إِبْرَاهِيمَ/ ١٤ مَصْحَف/ ٧٢ نَزُول):  
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾.

أَي: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ أَرْضًا أُخْرَى غَيْرَ هَذِهِ الْأَرْضِ بِصِفَاتِهَا وَشَكْلِهَا، وَقَدْ يَكُونُ التَّبْدِيلُ مَعَ الْمَحَافَظَةِ عَلَى ذَرَاتِهَا وَعَنَاصِرِهَا. وَتُبَدَّلُ السَّمَاوَاتُ سَمَاوَاتٍ أُخْرَى غَيْرَ هَذِهِ السَّمَاوَاتِ بِصِفَاتِهَا وَأَشْكَالِهَا كَذَلِكَ مَعَ الْمَحَافَظَةِ عَلَى عَنَاصِرِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، فَتَبْدِيلُ الْعِمَارَةِ قَدْ يَكُونُ بِهِدْمِهَا وَإِعَادَةُ بِنَائِهَا بِنِظَامٍ هِنْدَسِيٍّ مُغَايِرٍ مَعَ اسْتِخْدَامِ الْعَنَاصِرِ الْمَهْدُومَةِ مِنْهَا، فِي الْبِنَاءِ الْجَدِيدِ.

• ﴿... وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٣﴾ :

أي: وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ كَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِسَامِي حِكْمَتِهِ وَعَظِيم قُدْرَتِهِ، خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ، وَهَذَا الْحَقُّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا حَيَاةٌ امْتِحَانٍ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حَيَاةٍ أُخْرَى يَكُونُ فِيهَا الْحِسَابُ وَفَضْلُ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيذُ الْجَزَاءِ، وَعَلَى الرُّغْمِ مِنْ تَوْجِيهِ الرَّبِّ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ إِنْذَارَاتِهِ الْمُرْهَبَةِ، لِمَنْ يَكْفُرُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ بِهِ، عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ الْمُؤَيَّدِينَ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، فَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، يُعْرِضُونَ عَنِ الْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، غَيْرَ مُبَالِينَ بِإِنْذَارَاتِ اللَّهِ الْمُرْعَبَةِ لِأُولِي الْأَلْبَابِ.

وَفِي هَذَا الْبَيَانِ إِشْعَارٌ بِسَفَاهَتِهِمْ وَقِلَّةِ عُقُولِهِمْ وَحِمَاقَتِهِمْ، إِذْ لَمْ تُؤَثِّرْ فِيهِمْ أَدْلَةُ الْعَقْلِ، وَلَا الْأَخْبَارُ الَّتِي تَشْهَدُ الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ، وَالْمُعْجَزَاتُ الْبَاهِرَاتُ بِصِدْقِ الرُّسُلِ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَهَا عَنِ اللَّهِ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

وبهذا انتهى تدبُّر الدُّرس الأول مِنْ دُرُوس سورة (الأحقاف).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الأحقاف)

الآية (٤)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَتَوَكَّلُونَ عَلَى بَقْلِ هَذَا أَوْ أَشْرَفُوا مِنْ عِلْمِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤﴾ .

تمهيد:

في هذه الآية تعلیم حِوَارِ جَدَلِيٍّ يُحَاوِرُ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَكُلُّ حَامِلٍ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ، الْمُشْرِكِينَ حَوْلَ شُرَكَائِهِمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

التدبر التحليلي:

أي: ﴿قُلْ﴾ أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى الْإِيمَانِ بِأَنَّ لَهُ وَحْدَهُ الرُّبُوبِيَّةَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، فَلَهُ وَحْدَهُ الْإِلَهِيَّةَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، لِلْمُشْرِكِينَ.

• ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾: أي: أَتَفَكَّرْتُمْ تَفَكِيرًا سَدِيدًا بِأَنَّا وَتَعَمَّقِي، حَتَّى أَذْرَكْتُمْ إِذْرَاكَ عِلْمِيًّا يُشَبِّهُ الرُّؤْيَا الْبَصَرِيَّةَ.

• ﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِعِبَادَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا الدُّعَاءُ لِتَحْقِيقِ الْمَطَالِبِ وَالرَّغَبَاتِ، فَإِنْ تَوَصَّلْتُمْ إِلَى أَنَّ لَهُمْ رُبُوبِيَّةَ مَا فِي الْكَوْنِ فَأَخْبِرُونِي.

• ﴿أُرُونِي﴾ بِمُشَاهَدَةِ حِسِّيَّةٍ، أَوْ بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ فِي رُؤْيَا ذَهْنِيَّةٍ فِكْرِيَّةٍ.

• ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ؟﴾: أي: مَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي خَلَقُوهُ مِنَ الْأَرْضِ. «ذَا» هُنَا بِمَعْنَى «الَّذِي» و«مَا» قَبْلَهَا اسْمُ اسْتِفْهَامٍ.

فالمعنى: مَا هُوَ الشَّيْءُ الَّذِي خَلَقُوهُ مِنَ الْأَرْضِ فَكَانُوا بِهِ شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ لِلْأَرْضِ، حَتَّى يَسْتَحِقُّوا أَنْ يَكُونُوا شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ فِي الْأَرْضِ.

• ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ؟﴾: أي: بَلْ. أُرُونِي بِمُشَاهَدَةِ حِسِّيَّةٍ أَوْ بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ السَّمَاوَاتِ، فَلَهُمْ بِهَذَا الْخَلْقِ مُشَارَكَةُ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ لِلسَّمَاءِ، حَتَّى يَسْتَحِقُّوا أَنْ يَكُونُوا شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي الْإِلَهِيَّةِ.

إِنَّهُمْ لَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُشْبِتُوا مُشَارَكَةَ مَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ لِلْأَرْضِ وَلَا لِلسَّمَاءِ، فَاتَّخَذُوهُمْ شُرَكَاءَ اللَّهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ قَضِيَّةً بَاطِلَةً سَاقِطَةً مَرْفُوضَةً، لَا يَسْتَمْسِكُ بِهَا ذُو عَقْلٍ رَشِيدٍ. وَرَأْيِي سَدِيدٌ.

بَقِيَ أَنْ يَدْعُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَلَهُ الْإِلَهِيَّةُ وَحْدَهُ، قَدْ أَمَرَ بِعِبَادَةِ آلِهَتِهِمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلِدْفَعِ هَذَا الْادِّعَاءِ الْبَاطِلِ جَاءَ فِي التَّعْلِيمِ الْجَدَلِيُّ الرَّبَّانِيُّ مَا يَلِي:

• ﴿... أَتُؤْنِسُ يَكْتَبُ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُخَوِّفُ مَنْ عَلِمَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١﴾:

أي: أَحْضَرُوا كِتَابًا رَبَّانِيًّا صَحِيحًا أَنْزَلَهُ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَفِيهِ مَا يُثَبِّتُ ادِّعَاءَكُمْ الْكَاذِبَ، أَوْ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ أَذِنَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

فَإِنْ لَمْ تَأْتُوا بِنَصٍّ مِنْ كِتَابِ رَبَّانِيٍّ صَحِيحٍ يُثَبِّتُ ادِّعَاءَكُمْ، فَأَتُوا بِبَقِيَّةٍ مِنْ عِلْمٍ صَحِيحٍ مَوْرُوثٍ عَنْ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ.

أَثَارَةٌ: أي: بَقِيَّةٌ. فَالْأَثَارَةُ مِنْ عِلْمٍ هِيَ الْبَقِيَّةُ الْمَحْفُوظَةُ مِنْ عِلْمٍ صَحِيحٍ مَوْرُوثٍ عَنْ رَسُولٍ مِنْ رُسُلِ اللَّهِ.

وَلَنْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْتُوا بِكِتَابٍ صَحِيحٍ وَلَا بِأَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ صَحِيحٍ.

• ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾: أي: إِنْ ادَّعَيْتُمْ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِعِبَادَةِ آلِهَتِكُمْ أَوْ أَذِنَ بِهَا، فَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ لَا تَسْتَطِيعُونَ إِثْبَاتَ ادِّعَائِكُمْ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الثاني من دروس سورة (الأحقاف).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتْنِهِ، وَفَتْحِهِ.





(٧)

## التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الأحقاف)

الأيتان: (٥ و ٦)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾.

تمهيد:

في آيتي هذا الدرس بيان من الله عزَّ وجلَّ أنه لا يوجد أضل من المشرك، الذي يعبد من دُونِ الله مَنْ لا ينفعه بشيء، ولا يدفع عنه من الضر شيئاً، وسوف يكون له عدواً يوم القيامة.

## التدبر التحليلي:

الاستفهام في: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾؟ يراد به نفى وجود من هو أضل، لكن يوجد من يشاركه في دركة الضلال.

والمعنى: لا يوجد أكثر ضللاً من الذي يعبد معبوداً أو أكثر من دُونِ الله، بأي لون من ألوان العبادة، وفي مقدمتها الدعاء لتحقيق مرغوب فيه، أو دفع مكروه، والمعبود لا يستجيب لعباده بشيء طوال وجوده في الحياة الدنيا، وعند الموت وبعده إلى يوم القيامة، ولو كان المعبود ذا حياة من الإنس أو الجن أو الملائكة، إذ هو غافل عن عبادة من يعبده، فالذين يعبدون عيسى عليه السلام لا يستجيب لهم عيسى بشيء، لأنه لا يستطيع أن يجلب لعباده نفعاً، أو يدفع عنهم ضرراً، وهو غافل عما يعبده لا يدري عنه شيئاً، حين يعلم أن أناساً يعبدونه كان منهم متبرئاً، وعليهم سخطاً، ومنهم ناقماً، إذ لا يرضى بما يسخط الله ربّه جلّ جلاله.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَانُوا جُثِيًّا فِي مَحْكَمَةِ اللَّهِ لِلْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَجُمِعَ بَيْنَ الْعَابِدِينَ وَالْمَعْبُودِينَ، مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ، أَمَّا الْأَوْثَانُ فَكَانَتْ رُمُوزاً لِمَعْبُودِينَ كَانُوا أَحْيَاءَ، وَكَانَ الْمَشْرِكُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُمْ أَرْوَاحاً ذَاتَ نَفْعٍ وَدَفْعٍ ضَرُّ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، فَإِنَّ الْمَعْبُودِينَ يَتَبَرَّؤُونَ مِنْ عَابِدِيهِمْ وَيَكُونُونَ لَهُمْ أَعْدَاءَ خَوْفاً مِنْ عِقَابِ اللَّهِ لَهُمْ، وَإِنَّ الْعَابِدِينَ يَكُونُونَ أَعْدَاءَ لِمَعْبُودِيهِمْ، إِذْ لَا يَجِدُونَ عِنْدَهُمْ مَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ، وَيَسُوُّهُمْ تَبَرُّؤُهُمْ مِنْهُمْ، وَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ لَهُمْ، وَكَذَلِكَ يَكْفُرُ الْمَعْبُودُونَ بِعِبَادَةِ عَابِدِيهِمْ لَهُمْ، فَإِنْ كَانُوا صَالِحِينَ قَالُوا لَهُمْ: إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَكُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَهْوَاءَكُمْ، وَلَمْ تَكُونُوا تَعْبُدُونَنَا حَقًّا، وَلَمْ نَكُنْ عَلَى عِلْمٍ بِعِبَادَتِكُمْ لَنَا.

الحشر: الْجَمْعُ وَالسُّوق.

يُلاحَظُ فِي الْآيَةِ (٦) أَنَّهَا تَعْرِضُ مَشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ لِقَاطَةُ مَنْ لَقَطَاتِ مَوْقِفِ الْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثالث من دروس سورة (الأحقاف).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٨)

التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (الأحقاف)  
الآيات من (٧ - ١٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِنَنَادٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِّي افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا



فُيْضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا  
مَنِ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكْمُرُ إِنِّي أُنِيعُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا  
نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي  
إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ مَوْقِفٍ مِنْ مَوَاقِفِ أَيْمَةِ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ  
فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَمُبْلَغُهُ عَنْ رَبِّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، مَعَ  
تَعْلِيمِ اللَّهِ رَسُولَهُ أُسْلُوبًا حَوَارِيًّا لَهُمْ حَوْلَ مَوْقِفِهِمْ هَذَا.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ أَيْمَةِ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالْعِنَادِ الْمَعَالَجِينَ فِي  
هَذِهِ السُّورَةِ وَفِي سَائِرِ الْحَوَامِيمِ السَّابِقَةِ، مُتَحِدِيًا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

● ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَالِيَهُمْ أَيُّنَّا يَبْتَنِي قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ

مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾

أي: وَحِينَ تُثَلِّى عَلَى الْمَدْعُوبِينَ إِلَى دِينِ اللَّهِ فِي مَكَّةَ، آيَاتُنَا  
الْمَنْزَلَاتُ مِنْ كِتَابِنَا، حَالَةَ كَوْنِهَا بَيِّنَاتٍ وَاضِحَاتٍ الدَّلَالَاتِ، وَاضِحَاتٍ  
فِي كَوْنِهَا حَقًّا وَمَنْزَلَةً مِنْ لَدُنَّا قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ كُفْرًا جُحُودِيًّا عِنَادِيًّا  
مُوجِهِينَ قَوْلَهُمْ لِلْحَقِّ الَّذِي فَهِمُوهُ مِنْ آيَاتِنَا وَلِتَأْثِيرَاتِهِ فِي الْعُقُولِ وَالنُّفُوسِ  
وَالضَّمَائِرِ، وَلِسَائِرِ الْمَشَاعِرِ الَّتِي تَتَأَثَّرُ بِالْقَوْلِ الْحَقِّ الْبَلِيغِ، فَوَرَ سَمَاعِهِمْ  
لَهُ، هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ، لِيَصُدُّوا أَتْبَاعَهُمْ عَنِ التَّأْثِيرِ بِهِ، وَالِاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ  
الْحَقِّ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا آيَاتُنَا.

هَذِهِ الْحَرَكَةُ التَّمْوِيهِيَّةُ الَّتِي يُرَادُ بِهَا الصَّرْفُ وَالصَّدُّ عَنِ الْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ  
الدَّاعِي إِلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى، مِنَ الْمَكْرِ الَّذِي يَمْكُرُهُ أَيْمَةُ الضَّلَالِ فِي الْأَرْضِ.

«لَمَّا» الحِينِيَّة مِنْ وُجُوْهَهَا أَنْ تَخْتَصَّ بِالْمَاضِي فَتَقْتَضِي جُمْلَتَيْنِ وَجَدْتَ ثَانِيَّتَهُمَا عِنْدَ وُجُودِ أَوْلَاهُمَا .

دَلَّ اتِّهَامُهُمْ لآيَاتِ الْقُرْآنِ الْبَيِّنَاتِ بِأَنَّهُ سِحْرٌ، عَلَى انْبِهَارِهِمْ بِمَا فِيهَا مِنْ حَقٍّ وَإِعْجَازٍ، وَدَهْشَتِهِمْ مِنْ تَأْثِيرَاتِهَا، لَكِنَّهُمْ وَجَدُوا أَنَّ حِيلَةَ اتِّهَامِهَا بِأَنَّهَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ، حِيلَةٌ مُنَاسِبَةٌ تَصْرِفُ أَتْبَاعَهُمْ مِنْ جَمَاهِيرِ قَوْمِهِمْ عَنِ التَّأَثُّرِ بِمَا فِيهَا مِنْ حَقٍّ وَإِعْجَازٍ .

وَزَادُوا فِي الْإِدْعَاءِ التَّمْوِيهِِّي وَضَفَهُمْ هَذَا السِّحْرَ بِأَنَّهُ سِحْرٌ مُبِينٌ، أَي: سِحْرٌ وَاضِحٌ لِكُلِّ ذِي نَظَرٍ فِكْرِيٌّ أَنَّهُ سِحْرٌ، وَلَيْسَ حَقِيقَةً ذَاتَ تَأْثِيرٍ بِمَا فِيهَا مِنْ حَقٍّ فِكْرِيٍّ وَإِعْجَازٍ بَيَانِيٍّ .

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا الْحَدِيثِ عَنْهُمْ، مَعَ تَعْلِيمِ الرَّسُولِ مَا يَرُدُّ بِهِ عَلَيْهِمْ :

• ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٨) .

• ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ؟﴾ : أَي: بَلْ أَيْقُولُونَ مُحَمَّدٌ افْتَرَى الْقُرْآنَ الَّذِي زَعَمُوا فِي الْقَوْلِ السَّابِقِ أَنَّهُ سِحْرٌ مُبِينٌ؟! .

اسْتَفْهَامٌ فِيهِ غَايَةُ التَّعْجِيبِ مِنْ أَمْرِهِمْ وَالْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ .

إِنَّهُمْ مُضْطَرِبُونَ فِي أَمْرِهِمْ، فَبَعْدَ انْدِهَاشِهِمْ مِنْ عَظَمَةِ الْقُرْآنِ وَاتِّهَامِهِمْ لَهُ بِأَنَّهُ سِحْرٌ مُبِينٌ، وَبَعْدَ أَنْ تَمَرَّ عَارِضَةً تَأَثَّرَ جَمَاهِيرُهُمْ بِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ حَقٍّ، وَمَا فِي آيَاتِهِ مِنْ بَيَانٍ بَلِيجٍ مُعْجَزٍ، يَتَحَوَّلُونَ إِلَى إِقْنَاعِ جَمَاهِيرِهِمْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا افْتَرَى الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِهِ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ يَنْزَلُ عَلَيْهِ مِنْ لَدُنْهُ، وَيُبْلَغُهُ إِيَّاهُ رَسُولُ الْوَحْيِ جِبْرِيلُ .

الْإِفْتِرَاءُ: اخْتِلَافُ الْكُذِبِ وَاضْطِنَاعُهُ عَنْ عَمْدٍ .

• ﴿... قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا...﴾: أي: إِنْ أَفْتَرَيْتُمْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَلَمْ يُمَكِّنِي مِنْ أَنْ أُبْلَغَكُمْ كَلِمَةً مِنْهُ، لِأَنِّي مُؤَيَّدٌ مِنَ اللَّهِ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، وَاللَّهُ لَا يُؤَيِّدُ بآيَاتِهِ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ، فَإِنْ تَوَجَّهَتْ نَفْسُهُ لِأَنْ يَكْذِبَ عَلَيْهِ سَلَبَ حَيَاتِهِ حَتَّى لَا يَنْبَسَ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ كَذِبًا عَلَيْهِ، أَتَحْسِبُونَ أَنَّ مِنَ الْهَيْنِ أَنْ يَكْذِبَ رَسُولٌ أَوْ نَبِيٌّ عَلَى رَبِّهِ، وَقَدْ أَيْدَهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ صَادِقٌ فِيمَا يُبْلَغُ عَنْهُ.

وإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اسْتِدْرَاجِي كَمَا سَبَقَ أَنْ طَلَبْتُمْ مِنِّي أَنْ أَفْتَرِيَ عَلَى رَبِّي شَيْئًا، فَاتِيَكُمْ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا الْقُرْآنِ، فِيهِ مَا يُرْضِيكُمْ مِمَّا يُوَافِقُ مُعْتَقَدَاتِكُمْ وَقَبَائِحَ أَعْمَالِكُمْ، فَإِنْ أَرَدْتُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَهْلَكْنِي اللَّهُ، فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنْ رَدِّ مَا يَقْضِي بِهِ اللَّهُ بِي مِنْ شَيْءٍ مَهْمَا كَانَ شَيْئًا قَلِيلًا.

جاء اسْتِعْمَالُ حَرْفِ الشَّرْطِ «إِنْ» لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ افْتِرَاءَهُ عَلَى رَبِّهِ أَمْرٌ مَيُوسَّرٌ مِنْهُ، فَلَا يَظْمَعُوا بِاسْتِدْرَاجِهِ لِأَنْ يَفْتَرِيَ عَلَى اللَّهِ شَيْئًا.

وَقَدْ ظَهَرَ لِي أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعِبَارَةِ: فَإِنْ أَفْتَرَيْتُمْ قُرْآنًا كَمَا تُحِبُّونَ لِأَرْضِيكُمْ، كَمَا سَبَقَ أَنْ طَلَبْتُمْ مِنِّي، إِبَّانَ نَزُولِ سُورَةِ (يُونُسَ/ ١٠ مُصْحَف/ ٥١ نَزُول) فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا الْآيَاتِ مِنْ (١٥ - ١٧) عَاقِبِي اللَّهُ عِقَابًا شَدِيدًا أَذْنَاهُ أَنْ يُمَتِّنِي وَيَمْنَعَنِي مِنْ أَنْ أَنْطِقَ بِمَا أَفْتَرَيْتُهُ. وَلَوْ كَانَ مَا أُبْلَغُكُمْ عَنْ رَبِّي مِنْ افْتِرَائِي لِأَفْتَرَيْتُمْ لَكُمْ مَا يُرْضِيكُمْ مِنِّي لِتَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِي.

• ﴿... هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ...﴾ (٨):

تُفِيضُونَ فِيهِ: أَي: تَتَنَدَفَعُونَ فِيهِ بِهَمَّةٍ وَقُوَّةٍ وَحَرَكَةٍ فِيهَا نَشَاطٌ فَوْقَ الْعَادَةِ.

وَالْمَعْنَى: أَنْتُمْ الْآنَ فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ مِنْ مَسِيرَةِ دَعْوَتِي بَيْنَكُمْ، تَدَبَّرُونَ وَتَمْكُرُونَ وَتَكِيدُونَ، وَتَتَنَدَفَعُونَ بِهَمَّةٍ وَقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، لِإِيقَافِ دَعْوَتِي

إِلَىٰ رَبِّي وَاضْطَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا بِبِي، وَإِسْكَاتِ كَلِمَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ وَلَوْ بِقُوَّةِ  
السَّلَاحِ وَالْقِتَالِ وَالْحَرْبِ.

وَاعْلَمُوا أَنِّي مُتَوَكِّلٌ عَلَىٰ رَبِّي الَّذِي نَبَّأَنِي وَبَعَثَنِي لِلنَّاسِ رَسُولًا، وَلَنْ  
يَتَخَلَّىٰ عَن حِمَايَتِي وَحِمَايَةِ مَسِيرَتِي الدَّعَوِيَّةِ، وَحِمَايَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ  
الَّذِينَ آمَنُوا بِبِي وَاتَّبَعُونِي، فَهُمْ أَوْلِيَائِهِ وَأَنْصَارُ دِينِهِ، وَهُوَ نَاصِرُهُمْ  
وَمُؤَيِّدُهُمْ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ رَبِّي أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ عَلِيمٍ فِيكُمْ، بِمَا تُدَبِّرُونَ،  
وَتَمْكُرُونَ، وَتَكِيدُونَ، وَتَنْدَفِعُونَ فِيهِ بِهِمَّةٍ وَقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، لِمُقَاوَمَةِ دَعْوَتِهِ  
وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَمُقَاتَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ  
سُلْطَانُهُ - قَدِيرٌ عَلَىٰ إِخْبَاطِ كُلِّ مَا تُفِيضُونَ فِيهِ، وَرَدِّ كَيْدِكُمْ إِلَىٰ صُدُورِكُمْ،  
وَجَعْلِكُمُ الْمَخْذُولِينَ الْمَغْلُوبِينَ النَّادِمِينَ.

• ﴿... كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ...﴾ ﴿٨﴾

الباء في [به] زائدة للتوكيد، أي: كفى الله.

شَهِيدًا: الشَّهِيدُ: الحَاضِرُ الْمُعَايَن.

والمعنى: أَوْكَّدْ لَكُمْ أَنَّهُ كَفَىٰ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَهِيدًا حَاضِرًا مُعَايَنًا بَيْنِي  
وَبَيْنَكُمْ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِنَا خَافِيَّةٍ، وَمِنْهَا أَعْمَالُنَا  
الَّتِي نَنْصُرُ بِهَا دِينَهُ وَنَدْعُو إِلَيْهِ، وَلَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ خَافِيَّةٍ، وَمِنْهَا  
أَعْمَالُكُمُ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا لِمُقَاوَمَةِ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَاضْطَهَادِ الْمُؤْمِنِينَ  
الْمُسْلِمِينَ، وَلَا سِيَّمَا الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنْهُمْ.

فَهَلْ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَتَخَلَّىٰ عَن دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ  
الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الشَّهِيدُ الْحَكِيمُ الْقَدِيرُ؟

إِذَا كُنْتُمْ أَهْلَ عَقْلِ وَرُشْدٍ لَمْ تَتَمَادَوْا فِي عَيْبِكُمْ.

وفي هذه العبارة إلماح خفي إلى عُقُوبَةٍ شَدِيدَةٍ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

• ﴿... وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾: بَعْدَ الْإِلْمَاحِ إِلَى الْعُقُوبَةِ الشَّدِيدَةِ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْإِظْمَاعُ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، لِمَنْ فِي قَلْبِهِ خَيْرٌ مَّا، قَابِلٌ لِأَن يَسْتَجِيبَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، وَيَتَخَلَّصَ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ كُفْرٍ وَعِنَادٍ وَجُحُودٍ، طَمَعًا فِي أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ سَوَابِقَ كُفْرِهِ وَأَثَامِهِ، وَأَنْ يَشْمَلَهُ بِرَحْمَتِهِ.

الْغُفُورُ: أي: ذو المغفرة العظيمة الْجَلِيلَةُ، والمغفرة: سَتْرُ الذُّنُوبِ الْمُسْتَلْزِمُ عَدَمَ الْمَوَازَنَةِ عَلَيْهَا - وَاللَّفْظُ صِيغَةُ مَبَالِغَةٍ لِاسْمِ الْفَاعِلِ «غَافِرٌ» وَهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى.

الرَّحِيمُ: اسم من أسماء الله الْحُسْنَى، أي: ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فِينَالُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَنْ يَتَعَرَّضُ لِنَفَحَاتِهَا وَتَنْزِلَاتِهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا تَعْلِيمَ رَسُولِهِ مَا يُحَاوِرُ بِهِ الْمُقْصُودِينَ بِالْعِلَاجِ فِي السُّورَةِ:

• ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا آدَرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا يَكُرُّ إِنْ أُنِيعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾:

الْبِدْعُ: الشَّيْءُ الْمُبْتَدَعُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ أَنْ وَجِدَ نَظِيرٌ لَهُ.

فِي هَذِهِ الْآيَةِ يُعَلِّمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولُهُ أَنْ يَقُولَ لِلْمُعَالَجِينَ فِي السُّورَةِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ مُنْكَرِي رِسَالَتِهِ أَرْبَعَ قَضَايَا:

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾: أَي: مَا أَنَا الرُّسُولُ الْأَوَّلُ فِي تَارِيخِ النَّاسِ، الْمُبْتَدَعُ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ أَنْ وَجِدَ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِ نَظِيرٌ لَهُ، بَلْ جَاءَ مِنْ قَبْلِي رُسُلٌ كَثِيرُونَ كُنْتُمْ تَتَحَدَّثُونَ عَنْهُمْ فِي مَجَالِسِكُمْ، مِنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ وَمُوسَىٰ وَهَارُونُ وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَغَيْرُهُمْ: فَمَا الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَكُمْ تُنْكِرُونَ

رِسَالَتِي، وادَّعَيْتُمْ أَنِّي افْتَرَيْتُ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى رَبِّي، وَقَدْ آتَانِي مِنَ الْآيَاتِ مَا يَبْثُ أَنِّي نَبِيُّ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَرَسُولُهُ حَقًّا وَصِدْقًا؟!

فَكَيْفَ صَحَّ فِي أَذْهَانِكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِرُسُلٍ سَابِقِينَ، وَتَجْحَدُوا رَسُولًا أَجْرَى اللَّهُ لَهُ آيَاتٍ وَهُوَ فِيكُمْ، وَهَذِهِ الْآيَاتُ تَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقًّا وَصِدْقًا؟!

القَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ: ﴿وَمَا أَدرِي مَا يُفَعْلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾: أي: أَنَا أَبْلَغُكُمْ مَا أَمَرَنِي رَبِّي أَنْ أَبْلَغُكُمْ إِيَّاهُ، وَيَتَوَقَّفُ عِلْمِي عِنْدَ حُدُودِ مَا يُعَلِّمُنِي رَبِّي، وَلَمْ يُعْطِنِي رَبِّي عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ، فَلَسْتُ أَعْلَمُ أَحْدَاثَ مُسْتَقْبَلِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِلَّا إِذَا أَنْبَأَنِي اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنَ الْأَحْدَاثِ مَا سَأَكْسِبُهُ مُسْتَقْبَلًا، وَمَا يَبْتَلِيَنِي اللَّهُ بِهِ، فِي جَسَدِي أَوْ فِي نَفْسِي، وَحَيَاتِي وَمَوْتِي، وَهَذَا يَدْخُلُ فِي عُمُومِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْقَمَانِ/ ٥٧ نَزول)

﴿... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وَكَذَلِكَ مَا أَدرِي مَا يُفَعْلُ بِكُمْ فِي أَحْدَاثِ مُسْتَقْبَلِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِلَّا مَا يُعَلِّمُنِي اللَّهُ بِهِ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، وَأَمَّا مَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ جَزَاءِ رَبِّكُمْ يَوْمَ الدِّينِ، فَعِلْمِي بِهِ مَحْدُودٌ بِحُدُودِ مَا أَنْزَلَ وَيُنْزِلُ عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، وَتُوجَدُ تَفَاصِيلُ كَثِيرَةٌ لَا أَعْلَمُهَا مَا لَمْ يُعَلِّمْنِي اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - بِشَيْءٍ مِنْهَا.

فَلَا تُطَالِبُونِي بِأَنْ أَخْبِرَكُمْ بِمَا لَمْ يُعْطِنِي اللَّهُ بِهِ عِلْمًا، مَا أَنَا إِلَّا عَبْدٌ لِلَّهِ مِثْلَكُمْ، اضْطَفَانِي بِالنُّبُوَّةِ، وَأَمَرَنِي بِأَنْ أَبْلَغُكُمْ رِسَالَتَهُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ عَنْ طَرِيقِ الْمُبْلَغِينَ مِنْ أُمَّتِي.

القَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ: [إِنْ أَتَبِعَ إِلَّا مَا



يُوحَى إِلَيَّ: «إِنْ» حرف نفى بمعنى «ما» أي: مَا أَتَّبِعُ فِي مَسَائِلِ الدِّينِ وَقَضَايَاهُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَلَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَ نَفْسِي، وَلَا مَا يَتَوَصَّلُ إِلَى إِدْرَاكِهِ فِكْرِي وَعَقْلِي، وَلَا أَتَّبِعُ أَحَدًا مِنَ الْإِنْسِ أَوْ الْجِنِّ. فَلَا تَطْمَعُوا فِي أَنْ أَتَّبِعَ أَهْوَاءَكُمْ أَوْ أَسْتَجِيبَ لِسَيِّءٍ مِنْ مَطَالِبِكُمْ، فَالَّذِينَ دِينُ اللَّهِ، وَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخْرُجَ عَنْ حُدُودِ رِسَالَتِهِ الَّتِي بَعَنِي بِهَا أَقَلَّ مِقْدَارٍ، فَلَا تُحَاوِلُوا اسْتِدْرَاجِي وَلَا اسْتِنْزَالِي وَكُفُّوا عَنِ إِغْرَاءِ اتِّكُمَ لِي.

**القضية الرابعة:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ: ﴿... وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٩): أي: وَمَا أَنَا بِالنَّسْبَةِ إِلَيْكُمْ إِلَّا مُنْذِرٌ لَكُمْ بِعَذَابِ رَبِّكُمْ، بَعْدَ أَنْ دَعَوْتُكُمْ وَتَلَوْتُ عَلَيْكُمْ مِقْدَارًا كَبِيرًا مِنْ آيَاتِ رَبِّكُمْ، وَبَيَّنْتُ لَكُمْ أَرْكَانَ الْإِيمَانِ، وَكَثِيرًا مِنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ، وَشَرَحْتُ لَكُمْ بِمُخْتَلَفِ الْوَسَائِلِ، أَنَّ الشُّرْكَ الَّذِي تَسْتَمْسِكُونَ بِهِ بَاطِلٌ، مُخَالِفٌ لِلْحَقِّ، وَلَمَّا تَقْتَضِيهِ دَلَائِلُ الْعَقْلِ وَبَرَاهِينُهُ، وَبَشَّرْتُكُمْ بِجَنَاتِ النِّعَمِ يَوْمَ الدِّينِ إِنْ آمَنْتُمْ، وَأَطْمَعْتُكُمْ بِمَغْفِرَةِ اللَّهِ لِكُلِّ خَطَايَاكُمْ السَّابِقَةِ إِنْ أَسْلَمْتُمْ، وَقَدْ أَذَيْتُ لَكُمْ كُلَّ حَلَقَاتِ سِلْسَلَةِ وَظَائِفِ رِسَالَتِي، فَاعْلَمُوا أَنَّ الْحَلَقَةَ الْأَخِيرَةَ مِنْهَا، هِيَ إِنْذَارُكُمْ بِعَذَابِ رَبِّكُمْ الْآجِلِ الَّذِي سَوْفَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَعَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَةُ اللَّهِ مِنْ انتِقَامٍ مُعَجَّلٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بَعْدَ أَنْ وَصَلْتُمْ إِلَى حَالَةِ مَيُؤُوسٍ مِنْهَا.

**فَالْقَصْرُ فِي عِبَارَةٍ:** ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ هُوَ مِنْ قَبِيلِ الْقَصْرِ الْإِضَافِيِّ، أي: بِالنَّسْبَةِ إِلَيْكُمْ يَا مَنْ وَصَلْتُمْ إِلَى حَالَةِ مَيُؤُوسٍ مِنْهَا، بَعْدَ مُعَالَجَتِكُمْ بِمُخْتَلَفِ أَنْوَاعِ وَصُفُوفِ الْعِلَاجِ، مُنْذُ بَدَأَ بِعِثِّي حَتَّى تَارِيخِ نُزُولِ سُورَةِ (الْأَحْقَافِ).

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ تَعْلِيمَ رَسُولِهِ مَا يُحَاوِرُ بِهِ الْمُقْصُودِينَ بِالْعِلَاجِ

في السورة:

• ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ، فَنَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾﴾ :

أي: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَفْكَرْتُمْ تَفْكِيراً سَدِيداً بِعُمُقٍ وَإِمْعَانٍ نَظَرٍ، حَتَّى رَأَيْتُمْ بِفِكْرِكُمْ رُؤْيَا مُّشَابِهَةً لِلرُّؤْيَا الْبَصَرِيَّةِ، إِنْ كَانَ الْقُرْآنُ الَّذِي زَعَمْتُمْ أَنَّنِي افْتَرَيْتُهُ عَلَى رَبِّي هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَالْحَالُ أَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ بِهِ، وَهُوَ لَيْسَ بِذَعَا فِي الْكُتُبِ الرَّبَّانِيَّةِ فَقَدْ شَهِدَ شَاهِدٌ فَأَكْثَرُ بِلَا حَضَرٍ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ كِتَابَ التَّوْرَةِ عَلَى مُوسَى، وَأَنْزَلَ كُتُبًا عَلَى الرُّسُلِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ، وَهَذَا الشَّاهِدُ فَأَكْثَرُ قَدْ آمَنُوا بِالْكِتَابِ الرَّبَّانِيَّةِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رُسُلِ اللَّهِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ، وَقَدْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِكُمْ اسْتِكْبَاراً وَجُحُوداً وَمُعَانَدَةً لِلْحَقِّ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى هُمُ أَهْلُ كِتَابِ رَبَّانِي، كَيْفَ تَكُونُ مُوَاجَهَتُكُمْ لِرَبِّكُمْ لَدَى حِسَابِكُمْ عَلَى الْكُفْرِ بِكِتَابِهِ؟! وَمَا هُوَ الْعُذْرُ الَّذِي تَعْتَذِرُونَ بِهِ، إِذْ رَفَضْتُمْ الْإِيمَانَ بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ بِلسَانِكُمْ، وَهُوَ هُدًى وَنُورٌ وَرَحْمَةٌ لِلْعَالَمِينَ جَمِيعاً؟!

أَفَلَا تَقُومُ عَلَيْكُمْ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، وَيَحْكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ ضَالِّينَ ضَلَالاً إِرَادِيًّا بِاخْتِيَارِكُمْ الْحَرَّ، وَبِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ جُحُوداً وَاسْتِكْبَاراً، وَتَسْتَحِقُّونَ الْخُلُودَ فِي عَذَابِ النَّارِ؟؟!

• ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ :

أي: إِنَّ اللَّهَ الْحَقَّ، الْحَكَمَ الْعَدْلَ، مُنَزَّهٌ عَنِ أَنْ يَحْكُمَ بِهِدَايَةِ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ظُلْماً مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ وَاسْتِحْقَاقِ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ.

نَفْيُ الْهِدَايَةِ هُنَا يَرَادُ بِهِ نَفْيُ الْحُكْمِ بِهِدَايَةِ مَنْ ثَبَتَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ ظَالِمُونَ بِالْكَفْرِ، وَبِجُحُودِ الْحَقِّ عِنَاداً وَاسْتِكْبَاراً، وَاتِّبَاعاً لِلْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ، وَمَطَالِبِ النَّفْسِ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَاتِهَا.

وبهذا انتهَى تدبُّر الدرس الرابع من دروس سورة (الأحقاف).

والحمد لله على معاونته، ومدِّده، وتوفيقه، وممّته، وفتحِهِ.

(٩)

## التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (الأحقاف) الآيتان (١١ و ١٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانَا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾.

القراءات:

(١٢) • قرأ نافع، والْبَزِّي، وابنُ عامر، وأبو جعفر، ويعقوبُ:  
[لِتُنذِرَ] بقاء المخاطب، خطاباً للرَّسُول ﷺ.

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَة: [لِيُنذِرَ] بَيَاء الغائب، والضمير عائِدُ على: [كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ].

وبَيِّنَ القراءَتَيْنِ تكاملُ في أداء المعنى المراد.

تمهيد:

في آيتي هذا الدرس بَيَانُ المَوْقِفِ الاستِغْبَارِيِّ الَّذِي وَقَفَهُ أئِمَّةُ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، مِنْ ضُعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَفُقَرَائِهِمْ، إِذْ قَالُوا: لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ الَّذِي يَتْلُوهُ مُحَمَّدٌ خَيْرًا، مَا سَبَقْنَا هَؤُلَاءِ الضُّعْفَاءِ الْفُقَرَاءَ الَّذِينَ لَيْسُوا هُمْ مِنْ عِلْيَةِ قَوْمِنَا إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ.

وفيهما بَيَانُ رَبَّانِيٍّ بِشَأْنِ هَذَا المَوْقِفِ مِنْ مَوَاقِفِهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ  
المجيد.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾ ﴿١١﴾:

أي: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْقُرْآنِ وَبِرِسَالَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مُوجِّهِينَ قَوْلَهُمْ لِمَوَاقِعِ حَالِ ضَعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ وَفُقَرَائِهِمْ: لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ خَيْرًا، حَقًّا وَصِدْقًا، مَا سَبَقْنَا هَؤُلَاءِ الضُّعَفَاءِ وَالْفُقَرَاءِ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَالاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالُوا هَذَا الْقَوْلُ بِدَافِعِ الْاسْتِكْبَارِ وَالتَّعَالِي وَالتَّرَفُّعِ عَنْ مُشَارَكَةِ ضَعْفَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَفُقَرَائِهِمْ فِي مِلَّةٍ جَدِيدَةٍ سَبَقُوا إِلَى الدُّخُولِ فِيهَا وَالاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ دَاعِيهَا.

ويخطر لي أن أصل العبارة: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقْتُمونا إِلَيْهِ، وَإِذْ أَشَاعُوا مَقُولَتَهُمْ كَانَ مِنَ الْإِيجَازِ الْحَكِيمِ أَنْ تَأْتِيَ الْعِبَارَةُ الْقُرْآنِيَّةُ: مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ.

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُمْ إِذْ اسْتَكْبَرُوا وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا وَلَمْ يَهْتَدُوا بِمَا فِيهِ مِنْ هُدًى إِلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ فَضَائِلَ عَظِيمَةٍ، فَسَيَقُولُونَ بِشَأْنِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنْ تَوْحِيدٍ وَحَقٍّ يَتَعَلَّقُ بِكَمَالَاتِ اللَّهِ، وَتَنْزِهِهِ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْبَاءِ الْآخِرَةِ وَيَوْمِ الدِّينِ، وَالْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَالْجَزَاءِ، وَالْجَنَّةِ دَارِ الْمُتَّقِينَ، وَالنَّارِ دَارِ الْمُجْرِمِينَ: هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ جَاءَ فِيمَا سَمِعْنَا مِنْ أَخْبَارِ أَذْيَانٍ سَابِقَةٍ.

الْإِنْكَ: افْتِرَاءُ الْكَذِبِ عَنْ عَمْدٍ.

وَوَصَفُوهُ بِأَنَّهُ قَدِيمٌ، كَمَا قَالُوا بِشَأْنِهِ فِي مَرَاجِلَ سَابِقَةٍ: أَسَاطِيرُ

الْأَوَّلِينَ، أَي: مَكْتُوبَاتٌ مِنْ مَكْتُوبَاتِ الْأَوَّلِينَ نَقَلَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَادَّعَى أَنَّ اللَّهَ يُوحِي بِهَا إِلَيْهِ، تَكْذِيبًا لِنُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ.

تَضَمَّنَتْ عِبَارَةً: ﴿... وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَارٌ قَدِيرٌ﴾ (١١) الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّهُمْ ضَالُّونَ بِعَدَمِ الْاهْتِدَاءِ بِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ هُدًى، وَأَنَّ مَقَالَتَهُمْ حِيلَةً جَدَلِيَّةً يُرِيدُونَ بِهَا سَتْرَ مَوْفِقِهِمُ الْجَاوِدِ الظَّالِمِ أَمَامَ جَمَاهِيرِ أَتْبَاعِهِمْ، وَإِيْهَامُهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي يَتْلُوهُ مُحَمَّدٌ لَا حَقَّ فِيهِ وَلَا هُدًى، هَذِهِ حَرَكَةٌ إِعْلَامِيَّةٌ يُرَادُ بِهَا الصَّدُّ وَالصَّرْفُ عَنْ دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًّا أَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِدَعَا بَيْنَ الْكُتُبِ الرَّبَّانِيَّةِ، فَقَدْ جَاءَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى التَّوْرَةِ الَّذِي لَا يَجْحَدُهُ الْمُعَالِجُونَ فِي السُّورَةِ مِنْ أَيْمَةِ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ فِي مَكَّةَ:

● ﴿وَمَنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (١٧):

أي: هُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّا أَنْزَلْنَا كُتُبًا لِهِدَايَةِ النَّاسِ عَلَى عَدَدٍ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، مِنْ قَبْلِ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي نُنْزِلُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّنَا وَرَسُولِنَا، وَمِنْهَا كِتَابُ مُوسَى وَهُوَ التَّوْرَةُ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ إِمَامًا وَرَحْمَةً.

﴿إِمَامًا﴾: الْإِمَامُ: هُوَ فِي اللُّغَةِ مَا يُؤْتَمُّ بِهِ، وَمَنْ يُؤْتَمُّ بِهِ، أَي: يُتَّبَعُ. فَكَوْنُ التَّوْرَةِ إِمَامًا يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ اتِّبَاعِهِ فِي مُدَّةِ وَجُوبِ الْعَمَلِ بِهِ فِي قَضَايَا الْعَقَائِدِ وَأُصُولِ الْإِيمَانِ، وَفِي قَضَايَا الْأَخْلَاقِ وَالْمَعَامَلَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَفِي أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْوَاجِبِ وَالْمُنْدُوبِ وَالْمَكْرُوهِ، وَفِي كُلِّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ وَصَايَا.

﴿وَرَحْمَةً﴾: أَي: وَأَثَرًا مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، إِذْ يَهْدِيهِمْ إِلَى مَا فِيهِ سَعَادَتُهُمْ وَنَجَاتُهُمْ وَفَلَاحُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.

• ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾: أي: وَهَذَا الْقُرْآنُ كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، كَمَا سَبَقَ أَنْ جَاءَ فِي الْآيَةِ (٩٢) مِنْ سُورَةِ (الْأَنْعَام/ ٥٥ نزول) وَفِي الْآيَةِ (٣١) مِنْ سُورَةِ (فَاطِر/ ٤٣ نزول).

وَالْمُرَادُ بِتَصْدِيقِ الْقُرْآنِ الْكُتُبَ الَّتِي سَبَقَ أَنْ أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ، تَصْدِيقٌ أَنْ أَصُولَهَا الصَّحِيحَةَ قَبْلَ التَّحْرِيفِ هِيَ مُنْزَلَةٌ مِنَ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ تَصْدِيقُ كُلِّ مَا فِيهَا بَعْدَ التَّحْرِيفِ وَالتَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ الَّتِي دَخَلَ إِلَيْهَا، بِدَلِيلِ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ بَيَانِ تَحْرِيفِ أَهْلِ الْكِتَابِ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي الْآيَةِ (٧٥) مِنْ سُورَةِ (البقرة/ ٨٧ نزول) وَفِي الْآيَةِ (٤٦) مِنْ سُورَةِ (النساء/ ٩٢ نزول) وَفِي الْآيَتَيْنِ (١٣) وَ(٤١) مِنْ سُورَةِ (المائدة/ ١١٢ نزول).

فَلَا يَكُونُ التَّصْدِيقُ لِأَيِّ تَحْرِيفٍ دَخَلَ فِيهَا.

• ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾: أي: حَالَةٌ كَوْنِ هَذَا الْقُرْآنِ مُنْزَلًا بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، الَّذِي اخْتَارَهُ اللَّهُ لِخَاتِمَةِ كُتُبِهِ لِلنَّاسِ.

وَيَلَاخِظُ فِي هَذَا الْبَيَانِ اسْتِثَارَةٌ لَاعْتِزَالِ جَا حِدِي كَوْنِ الْقُرْآنِ مُنْزَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُمْ يُفَاحِرُونَ بِعُرُوبَتِهِمْ وَبِلِسَانِهِمْ أَلَيْسَ مِنْ مَنَازِعِ نَفُوسِهِمْ الَّتِي تَفْخَرُ بِلِسَانِهِمْ أَنْ يُسَارِعُوا إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، وَالِدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّفَاخُرِ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ؟!

• ﴿لِنُنذِرَ﴾: أي: الْقُرْآنُ بِمَا فِيهِ مِنْ إِنْذَارَاتٍ، وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: [لِنُنذِرَ] خِطَابًا لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَبَيَّنَ الْقِرَاءَتَيْنِ تَكَامُلٌ فِي آدَاءِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، إِذِ الْقُرْآنُ بِنُصُوصِهِ مُنْذِرٌ، وَالرَّسُولُ بِبَيَانَاتِهِ الْمُقْتَبَسَةِ مِنَ الْقُرْآنِ مُنْذِرٌ.

• ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: أي: الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ.

وإِنذَارُهُمْ يَكُونُ بِإِعْلَامِهِمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَمَاتُوا عَلَيْهِ  
كَانُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي عَذَابِ النَّارِ، مَعَ مَا قَدْ يَنْزِلُ بِهِمْ مِنْ  
عِقَابٍ مُّعَجَّلٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِذَا افْتَضَّتْ حُكْمَةُ اللَّهِ ذَلِكَ.

أَوْ لِيُنْذِرَ كُلَّ الظَّالِمِينَ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ فَمَا دُونَهَا، وَهُمْ مُرْتَكِبُو  
الْكَبَائِرِ بِعِقَابٍ مِنَ اللَّهِ يُلَايِمُ ظُلْمَ كُلِّ ظَالِمٍ مِنْهُمْ.

• ﴿... وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٢﴾ :

البُشْرَى: اسْمٌ لِلتَّبَشِيرِ، وَهُوَ الْإِخْبَارُ بِمَا يَسُرُّ وَيُفْرَحُ.

أُطْلِقَتْ «البُشْرَى» الَّتِي هِيَ بِمَعْنَى «التَّبَشِيرِ» عَلَى سَبِيلِ التَّنَوُّعِ فِي  
الْبَيَانِ الرَّفِيعِ، أَيِ: وَلِيُبَشِّرَ الْقُرْآنُ وَلِتُبَشِّرَ يَا مُحَمَّدُ الْمُحْسِنِينَ بِالْأَجْرِ  
الْعَظِيمِ، وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ فِي الْمَرَاتِبِ الْعَلِيَّةِ مِنْ جَنَّاتِ النِّعَمِ يَوْمَ الدِّينِ.

أَقِيمِ اسْمُ الْمُضَدَّرِ مَقَامَ الْفِعْلِ، كَمَا يَقُولُ الْجَوَادُ: أَذْبَحَ عَشْرَةَ كَبُوشٍ  
لِضُيُوفِي لِأُطْعِمَهُمْ وَتَكْرِيماً لَهُمْ، أَيِ: وَلَا أَكْرَمَهُمْ.

• ﴿... لِلْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣﴾ : وَهُمْ أَهْلُ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، أَعْلَى مَرَاتِبِ  
الْمُؤْمِنِينَ، وَدُونَهُمْ أَهْلُ مَرْتَبَةِ الْبِرِّ، أَمَّا الْمَرْتَبَةُ الدُّنْيَا فَهِيَ مَرْتَبَةُ الْمُتَّقِينَ،  
وَلِكُلٍّ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ دَرَجَاتٌ لَا تُحْصَرُ، لِلتَّقَاضُلِ بَيْنَ الْأَفْرَادِ.

وَفِي أَهْلِ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى ظَالِمُونَ لِأَنفُسِهِمْ بَارِتْكَابِ الْكَبَائِرِ، وَهَؤُلَاءِ  
مُعَرَّضُونَ لِعِقَابِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ بِحَسَبِ مَعَاصِيهِمْ، وَيَعْفُو اللَّهُ عَنْ كَثِيرٍ.

وَبِاسْتِطَاعَةِ الْمُتَدَبِّرِ أَنْ يَسْتَخْرِجَ الْمُطَوِّبَاتِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا اللَّوَاظِمُ  
الْفِكْرِيَّةُ.

أَيِ: وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ، وَلِلْأَبْرَارِ، وَلِلْمُتَّقِينَ، بِحَسَبِ دَرَجَاتِ كُلِّ  
مِنْهُمْ.

أَمَّا مُسْتَحِقُّو الْعِقَابِ مِنْ ظَالِمِي الْمُؤْمِنِينَ فَيُنَالُونَ عِقَابَهُمْ عَلَى مَا يَقْضِي بِهِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْبُشْرَى بِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَالْخُلُودِ فِي نَعِيمِهَا.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الخامس من دروس سورة (الأحقاف)  
والحمد لله على معاونتي، ومددته، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(١٠)

### التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (الأحقاف) الآيتان (١٣ و ١٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ  
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤)

القراءات:

(١٣) • قرأ يعقوب: [فَلَا خَوْفٌ] بِفَتْحِ الْفَاءِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَلَا خَوْفٌ] بِالرَّفْعِ مَعَ التَّنْوِينِ. وهما  
وجهان عربيان لما بعدَ كَلِمَةِ «لا» النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ.

تمهيد:

في آيتي هَذَا الدَّرْسِ وَعَدَّ رَبَّانِيٌّ مُجْمَلٌ بِالثَّوَابِ الْعَظِيمِ لِلَّذِينَ قَالُوا:  
رَبُّنَا اللَّهُ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا.

التدبر التحليلي:

مَا جَاءَ مُجْمَلًا فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، جَاءَ مُفَصَّلًا فِي نُصُوصِ قَرَآئَةِ



كثيرة، فَمِنْهَا مَا سَبَقَ تَدَبُّرُهُ مِنْ نُجُومِ التَّنْزِيلِ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَ سُورَةِ (الأَحْقَافِ) وَمِنْهَا مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بَعْدَ هَذِهِ السُّورَةِ.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: أي: إِنَّ الَّذِينَ أَعْلَنُوا بِصِدْقِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ وَحْدَهُ رَبُّهُمْ، فَلَا رَبَّ لَهُمْ فِي الوجودِ غَيْرُهُ، وَمِنْ لَازِمِ إِيْمَانِهِمْ بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ لِلَّهِ إِيْمَانُهُمْ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ فِي الوجودِ غَيْرُهُ، لِأَنَّ الْعِبَادَةَ حَقُّ الرَّبِّ، وَمَنْ لَا رُبُوبِيَّةَ لَهُ فَلَا إِلَهِيَّةَ لَهُ.

استفيد القصر من تعريف طرفي الإسناد: «رَبُّنَا اللَّهُ».

• ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾: أي: ثُمَّ بَعْدَ إِعْلَانِهِمُ الْإِيْمَانَ وَالْإِسْلَامَ بِصِدْقِ اسْتَقَامُوا فِي مَسِيرَتِهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ، سَالِكِينَ صِرَاطَ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، الْمُسْتَمِلِ عَلَى أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْوَاجِبِ وَالْمَنْدُوبِ وَالْمَكْرُوهِ.

إِنَّ الْاسْتِقَامَةَ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ فِي مَسِيرَةِ الْحَيَاةِ، أَشَقُّ عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْإِنْدِفَاعِ لِلْقِيَامِ بِعَمَلٍ كَبِيرٍ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ فِي يَوْمٍ أَوْ عِدَّةِ أَيَّامٍ.

إِنَّ النَّفْسَ تُصَابُ بِالسَّأَمِ وَالْمَلَلِ مِنْ طُولِ الْإِلتِزَامِ بِالْإِسْتِقَامَةِ، فَتَمِيلُ إِلَى الْإِنْحِرَافِ ذَاتَ الْيَمِينِ أَوْ ذَاتَ الشِّمَالِ، وَيَشَقُّ عَلَيْهَا أَنْ تَصْبِرَ مَعَ تَتَابُعِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي عَلَى الْإِلتِزَامِ بِالْإِسْتِقَامَةِ.

وَكَلِمَةُ ﴿ثُمَّ﴾ دَلَّتْ عَلَى طُولِ مُدَّةِ الْإِسْتِقَامَةِ فِي مَسِيرَةِ حَيَاةِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ.

• ﴿... فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣):

أَشْرَبَ اسْمُ الْمَوْصُولِ فِي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ مَعْنَى الشَّرْطِ فَجَاءَتْ الْفَاءُ فِي ﴿فَلَا خَوْفٌ﴾ فِي جَوَابِهِ.

أي: كُلُّ مَنْ آمَنَ إِيْمَانًا صَحِيحًا، وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ صَادِقًا، وَاسْتَقَامَ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ فِي مَسِيرَةِ حَيَاتِهِ، فَلَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِمْ خَوْفٌ مِنْ مُرْهَبَاتٍ

قَادِمَاتٍ مُسْتَقْبَلَاتٍ، لِأَنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - جَعَلَ لَهُمُ الْأَمْنَ مِنْذُ لَحْظَةِ مَوْتِهِمْ، فَلَا يَخَافُونَ مِنْ عَذَابٍ وَلَا عِقَابٍ سَيَنْزِلُ بِهِمْ، لِأَنَّ اسْتِقَامَتَهُمْ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ جَعَلَتْهُمْ مِنْ أَهْلِ الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنْ دَرَجَاتِ الْمُتَّقِينَ، فَلَمْ يَرْتَكِبُوا كِبَائِرَ الذُّنُوبِ الَّتِي رَتَّبَ اللَّهُ عَلَيْهَا عِقَابًا، حَتَّى يَخَافُوا مِنْ عِقَابِ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَأَمَّا صَغَائِرُ الذُّنُوبِ فَيَعْفُو اللَّهُ عَنْهَا، وَيُكَفِّرُهَا بِرَحْمَتِهِ.

• ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: أي: وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَى شَيْءٍ فَاتَهُمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي آخِرَتِهِمْ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ مَا فِي الدُّنْيَا، مِنْ مَتَاعٍ وَزِينَةٍ وَمَحَابِّ نَفْسِهِمْ.

• ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣):

أَشِيرَ إِلَيْهِمْ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ فِي: ﴿أُولَئِكَ﴾ الموضوع للمشارِ إِلَيْهِمُ الْبَعِيدِينَ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى ارْتِفَاعِ مَنْزِلَتِهِمْ، وَعُلُوِّ مَقَامِهِمْ.

أي: أُولَئِكَ الْفُضَّلَاءُ ذُووِ الْمَنْزِلَةِ وَالْمَكَانَةِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ، أَصْحَابُ الْجَنَّةِ الْمُلَازِمُونَ لَهَا بِفَضْلِ رَبِّهِمْ، حَالَةً كَوْنِهِمْ خَالِدِينَ فِيهَا خُلُودًا أَبَدِيًّا لَا نِهَآيَةَ لَهُ، وَهُمْ يَنَالُونَ هَذَا الْفَضْلَ الرَّبَّانِيَّ عَلَيْهِمْ جَزَاءً بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ صَالِحَاتٍ بَاطِنَاتٍ وَظَاهِرَاتٍ، وَعَدَّ اللَّهُ أَنْ يَجْزِيَ عِبَادَهُ عَلَيْهَا بِفَضْلِهِ وَمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

وَمِنَ الْبَاطِنَاتِ الْإِيمَانُ وَالنِّيَّاتُ وَأَعْمَالُ الْقُلُوبِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي فِيهَا رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا الظَّاهِرَاتُ فَمِنْهَا الْعِبَادَاتُ، وَالِدَّعْوَةُ إِلَى دِينِ اللَّهِ، وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ، وَأَفْعَالُ الْخَيْرِ الَّتِي دَعَا الْإِسْلَامُ إِلَيْهَا.

أَرَى أَنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ خَاصَّتَانِ بِمُسْتَوْفِي حُقُوقِ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى، فِي مَسِيرَتِهِمْ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ، وَيُلْحَقُ بِهِمْ مَنْ تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْ تَقْصِيرَاتِهِمْ

وَسَيِّئَاتِهِمْ وَعَفَّرَ لَهُمْ، فَجَعَلَهُمْ بِمَثَابَةِ مُسْتَوْفِي حُقُوقِ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى، وَهِيَ  
أَدَاءُ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ.

وبهذا تَمَّ تدبُّر الدرس السادس من دُرُوس سورة (الأحقاف).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتْنِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١١)

### التدبر التحليلي للدرس السابع من دُرُوس سورة (الأحقاف) الآيتان (١٥ و ١٦)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِإِحْسَانٍ ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ  
وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ  
نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي  
إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا  
وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَحْسَنِ الْجَنَّةِ ۚ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

القراءات:

(١٥) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر،  
ويعقوب: [حُسْنًا].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [إِحْسَانًا].

وَبَيَّنَ الْقُرَّاءُ تَكَامُلٌ فِي أَدَاءِ الْمَعْنَى الْمَرَادِ.

(١٥) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وهشام، وأبو جعفر:  
[كُرْهًا] بفتح الكاف في الموضعين.

وقرأها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ: [كُزْهًا] بضم الكاف في الموضعين.  
وهما بمَعْنَى وَاحِدٍ لَعَةً.

(١٥) • قَرَأَ يَعْقُوبُ: [وَفَصَلُهُ].

وقرأها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ: [وَفَصَلَهُ].

وَمُؤَدَّى الْقُرَاءَتَيْنِ واحد.

(١٥) • قَرَأَ وَرَش، وَالْبَزْي: [أَوْزَعْنِي أَنْ] بفتح ياء المتكلم.

وقرأها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ بِاسْكَانِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

(١٦) • قَرَأَ حَفْص، وَحَمْزَة، وَالْكَسَائِي، وَخَلَفٌ: [نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ  
أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَجَاوَزُ].

وقرأها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ: [يَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ مَا عَمِلُوا وَيَتَجَاوَزُ]  
بِالْمَبْنِيِّ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ.

وَمُؤَدَّى الْقُرَاءَتَيْنِ واحد، وَهُمَا مِنَ التَّفْنُنِ فِي التَّعْبِيرِ فِي قِرَاءَةِ  
الْجُمْهُورِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ بِالْمَبْنِيِّ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ  
فَالْفَاعِلُ فِيهِ هُوَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ إِذَا كَانَ مِمَّا يَلِيْقُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

تَمْهيد:

فِي آيَتِي هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ وَصِيَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْإِنْسَانِ بِوَالِدَيْهِ.

وَفِيهِمَا وَعْدٌ لِلْوَلَدِ الْبَارِّ بِوَالِدَيْهِ بِثَوَابٍ عَظِيمٍ جَزِيلٍ أَدَّخَرَهُ اللَّهُ - جَلَّ  
جَلَالُهُ - لَهُ يَنَالُهُ يَوْمَ الدِّينِ.

التدبر التحليلي:

جاء بشأن وصية الله عز وجل الإنسان بوالديه في القرآن المجيد

ثلاثة نصوص:

**النص الأول:** الآيتان (١٤ و ١٥) من سورة (لقمان/ ٥٧ نزول). وقد سبق تدبره في موضعه من سورة (لقمان).

**النص الثاني:** الآيتان (١٥ و ١٦) من سورة (الأحقاف/ ٦٦) الجاري بمعونة الله وتوفيقه تدبرها.

**النص الثالث:** الآية (٨) من سورة (العنكبوت/ ٨٥ نزول) وهي قول الله تعالى فيها:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

جاء في آية سورة (العنكبوت/ ٨٥ نزول): ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾.

وجاء في نص سورة (الأحقاف/ ٦٦ نزول): ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾. وفي القراءة الثانية: [حسناً].

وجاء نص سورة (لقمان/ ٥٧ نزول) مطلقاً: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ لم يذكر فيه أي لفظ من اللفظتين.

وقد تأملت تأملاً تدبرياً في هذا الاختيار القرآني، فظهر لي أن كلمة «حسناً» راعت حال الوالدين الكافرين، فمعنى «الحسن» هو مطلق الجمال، يقال لغة «حسن الشيء»، يحسن، حسناً أي: جمل.

أمّا كلمة «إحساناً» فتدل على إرادة فعل ما هو الأتقن والأجود والأفضل، وهذه ثلاث حال الوالدين المؤمنين، فالله تعالى يوصي بزيادة برهما والإحسان إليهما بما يرضيهما حقاً.

• ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ وفي القراءة الأخرى؛ [حسناً].

يقال لغة: «وصى، وأوصى فلاناً بالشيء» أي: أمره به وفرضه

عَلَيْهِ، إِذَا كَانَ مِمَّا يُطْلَبُ فِعْلُهُ، وَنَهَاةُ عَنْهُ وَحَرَمُهُ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ مِمَّا يُطْلَبُ تَرْكُهُ.

والمعنى: وَأَمَرْنَا الْإِنْسَانَ مِنْذُ عَهْدِ آدَمَ، وَبَدَأَ التَّكَائُرِ الْبَشَرِيِّ بِأَنْ يُعَامَلَ وَالِدَيْهِ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، وَزِيَادَةِ بِرِّهِمَا بِمَا يُرْضِيهِمَا إِذَا كَانَا مُؤْمِنِينَ، وَبِأَنْ يُعَامِلَهُمَا بِحُسْنٍ وَيُصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا بِالْمَعْرُوفِ إِذَا لَمْ يَكُونَا مُؤْمِنِينَ.

• حملته أمه كرها ووضعته كرهاً وفي القراءة الأخرى [كَرْهًا] الْكَرْهُ وَالْكَرْهُ: الْمَشَقَّةُ - أَي: حَمَلَتْهُ أُمُّهُ مُعْظَمَ مُدَّةِ حَمْلِهِ لَهُ حَمْلٌ مَشَقَّةٌ وَتَعَبٌ، وَهِيَ رَاضِيَةٌ صَابِرَةٌ حَرِيصَةٌ عَلَى سَلَامَتِهِ، وَوَضَعَتْهُ حِينَ وَلَادَتِهِ وَضَعَ مَشَقَّةً وَتَعَبٌ، وَهِيَ رَاضِيَةٌ صَابِرَةٌ حَرِيصَةٌ عَلَى سَلَامَتِهِ فَرِحَتْ بِهِ وَلِيداً لَهَا.

• ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ وفي قراءة يعقوب: [وَفَصْلُهُ].

الْفِصَالُ: فِطَامُ الرَّضِيعِ عَنِ الرِّضَاعِ. وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: [وَفَصْلُهُ] أَي: إِبْعَادُهُ عَنْ أَنْ يَرْضَعَ مِنْ ثَدْيِي أُمِّهِ، وَهَذَا الْفَصْلُ فِطَامٌ لَهُ.

جَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ أَذْنَى مُدَّةِ الْحَمْلِ وَأَقْصَى مُدَّةِ الرِّضَاعِ بِثَلَاثِينَ شَهْرًا، فَقَدْ جَاءَ فِي سُورَةِ (البقرة/ ٨٧ نزول) قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ...

﴿٣٣٣﴾: أَي: (٢٤) شَهْرًا، فَبَقِيَ لِأَقَلِّ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ.

وكان هذا مِمَّا تَنَبَّهَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِاسْتِنْبَاطِهِ الرَّائِعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَرَوَى مِثْلُ هَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

• ﴿حَتَّى﴾:

يُقَدِّمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذَا الْبَيَانِ صُورَةَ عَنِ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ، الشَّاكِرِ لِرَبِّهِ، الْبَارِّ بِوَالِدَيْهِ.

أَشَدُّ كُلِّ شَيْءٍ: اكْتِمَالُ تَنَامِيهِ بِحَسَبِ صِفَاتِهِ الْقَابِلَةِ لِلَاكْتِمَالِ، ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: هَذَا الْعُمُرُ هُوَ ذِرْوَةُ اكْتِمَالِ الْأَشَدِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَغْلَبِ النَّاسِ.

وَالْمَعْنَى: وَعَمِلَ الْوَلَدُ الْمُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ الشَّاكِرُ لِرَبِّهِ الْبَارُّ بِوَالِدَيْهِ الْمُحْسِنِ إِلَيْهِمَا، بِوَصِيَّةِ اللَّهِ لَهُ، وَاسْتَمَرَ شَاكِرًا بَارًّا، حَتَّى إِذَا بَلَغَ اكْتِمَالَهُ بِحَسَبِ تَكْوِينِهِ الْفِطْرِيِّ، وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَنَضَحَ عَقْلُهُ، وَقَوِيَ إِيْمَانُهُ، وَشَعَرَ بِأَنَّ خَطَّ حَيَاتِهِ الصَّاعِدَ بَدَأَ يَنْحِنِي قَلِيلًا قَلِيلًا، تَوَجَّهَ دَاعِيًا رَبَّهُ مُسْتَعِينًا بِهِ قَائِلًا:

• ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾: أَي: رَبِّ أَلْهِمْنِي وَاجْعَلْنِي مُوَلَعًا مُتَعَلِّقًا تَعَلَّقَ حُبِّ وَرَغْبَةٍ.

• ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيْكَ﴾: بِالْقِيَامِ بِأَعْمَالِ التَّقْوَى وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، تَقَرُّبًا إِلَيْكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ.

فَدَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ مِنَ الْبِرِّ بِالْوَالِدَيْنِ، أَنْ يَشْكُرَ الْوَلَدُ اللَّهَ رَبَّهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَالِدَيْهِ.

• ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾: أَي: وَأَنْ أَعْمَلَ فَوْقَ وَاجِبِ الشُّكْرِ لَكَ مَكْسَبًا مِنَ الْعَمَلِ صَالِحًا تَرْضَاهُ حَتَّى أَنَالَ قُرْبًا مِنْكَ يَا رَبِّ.

• ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾: أَي: وَأَكْرِمْ لِي بِأَنْ تَجْعَلَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي مُؤْمِنِينَ مُسْلِمِينَ صَالِحِينَ.

وَالْمُرَادُ: فَمَنْ اخْتَارَ مِنْ ذُرِّيَّتِي أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا مُسْلِمًا، فَأَعِنُّهُ، وَوَفِّقْهُ حَتَّى يَكُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ.

• ﴿إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ﴾: أَي: إِنِّي رَجَعْتُ إِلَى طَاعَتِكَ، رَاجِيًا أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبِي، وَتَكْفِّرَ عَنِّي سَيِّئَاتِي، وَتَعْفُو عَنِّي.

• ﴿وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: أَي: وَإِنِّي مُسْلِمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ

أَعْلَنُوا اسْتِسْلَامَهُمْ لَكَ فِي أَوَامِرِكَ وَنَوَاهِيكَ وَكُلِّ وَصَايَاكَ.

هَٰذَا اقْتَضَتْ الْحُكْمَةُ فِي الْبَيَانِ، أَنْ يَذْكُرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ الَّذِي رَتَّبَهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - لِلْأَوْلَادِ الشَّاكِرِينَ لِرَبِّهِمْ، الْبَارِينَ الْمُحْسِنِينَ إِلَى وَالِدَيْهِمْ، الْحَرِصِينَ عَلَى صَلَاحِ ذُرَارِيهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ ذِي الْفَضْلِ الْجَسِيمِ:

• ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾:

يقال لغة: «قَبِلَ الشَّيْءُ» أي: أَخَذَهُ عَنْ رِضَى، ويقال: «قَبِلَ اللَّهُ الدُّعَاءَ» أي: اسْتَجَابَهُ. ويقال: «قَبِلَ اللَّهُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ» أي: رَضِيَهُ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ الثَّوَابَ الْحَسَنَ.

ويقال: «نَقَبَلَ اللَّهُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ» أي: قَبِلَهُ بِعِنَايَةٍ وَتَكْرِيمٍ وَثَوَابٍ جَزِيلٍ، أَخَذًا مِنْ صِيعَةِ «تَفَعَّلَ» وَقَدْ يُقَالُ: «نَقَبَلَ مِنْهُ» عَلَى مَعْنَى تَقَبَّلَ الْعَمَلُ الْمُنْطَلِقُ مِنْهُ. وَقَدْ يُقَالُ: «نَقَبَلَ عَنْهُ» عَلَى مَعْنَى تَقَبَّلَ الْعَمَلُ الصَّادِرَ عَنْهُ.

أي: أُولَٰئِكَ رَفِيعُو الْمَكَانَةِ، الْأَوْلَادُ الشَّاكِرُونَ الْبَرَّةُ بِوَالِدَيْهِمْ، نَتَقَبَّلُ مِنَ الصَّادِرِ عَنْهُمْ مِنْ كَسْبٍ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا، وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، وَنَجْعَلُهُمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ، حَالَةً كَوْنٍ ذَلِكَ تَحْقِيقًا لَوَعْدِ الصَّادِقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَأَحْسَنُ مَا عَمِلُوا هُوَ فِعْلُ الْوَاجِبَاتِ وَالْمَنْدُوبَاتِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ وَمَا هُوَ خِلَافُ الْأُولَى.

أَمَّا الْمُبَاحَاتُ بِدُونِ نِيَّةٍ تَرْفَعُ قِيَمَتَهَا، فَلَيْسَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا رِضْوَانُ اللَّهِ حَتَّى يَتَقَبَّلَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.



وَيَزِيدُ اللَّهُ مِنْ فَيْضِ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، فَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَلَا يُؤَاخِذُهُمْ عَلَيْهَا.

وبهذا انتهى تدبر الدرس السابع من دروس سورة (الأحقاف).  
والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، ومنّته، وفتحِهِ.



(١٢)

### التدبر التحليلي للدرس الثامن من دروس سورة (الأحقاف) الآيات من (١٧ - ١٩)

قال الله عزّ وجلّ:

﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَدِيهِ أَفِي لَكُمْ أَن أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي  
وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَبِكَ ءَامِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ  
(١٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمْرِ قَدْ خَلَتِ مِنْ قَبْلِهِمِ مِنَ الْخَلْقِ وَالْإِنْسِ  
إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ (١٨) وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا  
يُظْلَمُونَ (١٩)﴾.

#### القراءات:

(١٧) • قرأ نافع، وحفص، وأبو جعفر: [أَف].

وقراها ابنُ كثير، وابنُ عامر، ويعقوب: [أَف].

وقراها باقي القراء العشرة: [أَف].

وهي لغات لهذه الكلمة، وتُنطق أيضاً بوجوه أخرى كثيرة، بضمة  
الهمزة، وبكسرها، ويفتح الفاء وضمتها وكسرها مُنَوَّنةً وغير مُنَوَّنة،  
وبإسكانها.

وهي كَلِمَةٌ تَضْجُرُ وَتَكْثُرُ.

(١٧) • قرأ هِشَام: [أَتَعِدَانِي أَنْ] مَعَ الْمَدِّ الْمَشْبَعِ.

وقراها نافع، وابنُ كثير، وأبو جعفر: [أَتَعِدَانِي أَنْ] بِفَتْحِ يَاءِ المتكلم.

وقراها باقي القُرَاءِ العَشْرَةِ: [أَتَعِدَانِي أَنْ] بِاسْكَانِ يَاءِ المتكلم.

(١٩) • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وهِشَام، وعاصم، ويعقوب: [وَلْيُؤْفِقِيهِمْ].

وقراها باقي القُرَاءِ العَشْرَةِ: [وَلْيُؤْفِقِيهِمْ] بِنُونِ المتكلم العظيم.

تَمْهيد:

في آيات هذا الدرس بيان حال الْوَلَدِ الْمَكْذُوبِ يَوْمَ الدِّينِ، الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ الَّذِينَ يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ خَوْفًا عَلَى وَلَدَيْهِمَا مِنَ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، وَيَقُولَانِ لَهُ: وَيَلَكَ آمِنْ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ. فيقول الْوَلَدُ الْكَافِرُ الْعَاقُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.

وفيها بيانُ جَزَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ.

التدبر التحليلي:

في مُقَابِلِ الْمَثَلِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ الشَّاكِرِ لِرَبِّهِ الْبَارِ بِوَالِدَيْهِ، الْمُلْتَجِيءِ إِلَيْهِ بِالْدُّعَاءِ، الْمَوْعُودِ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي الدَّرْسِ السَّابِعِ، ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا آخَرَ لِلْوَلَدِ الْكَافِرِ الْعَاقِ لِوَالِدَيْهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَرِيصِينَ عَلَى إِيْمَانِ وَلَدَيْهِمَا، وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ أَنْ يُؤْمِنَ، وَيَقُولَانِ لِوَلَدَيْهِمَا: وَيَلَكَ آمِنْ لِنَتَجُودَ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَهُوَ يُصِرُّ عَلَى تَكْذِيبِهِ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيَزْعُمُ أَنَّ أَخْبَارَ السَّاعَةِ وَيَوْمِ

الْقِيَامَةِ أَكَاذِبُ الْأَوَّلِينَ، الَّتِي لَيْسَ لَهَا أَسَاسٌ صَحِيحٌ يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ وَيُوثَقُ بِهِ.  
وَقَدْ جَاءَ ضَرْبُ الْمَثَلِ بِأَسْلُوبٍ عَرَضٍ قِصَّةِ إِنْسَانٍ مَا، عَظْفًا عَلَى  
قِصَّةِ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ التَّقِيِّ الشَّاكِرِ لِرَبِّهِ، الْبَارِّ بِالِدِينِ.  
■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِي لَكُمْ أَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ  
قَبْلِي ... ﴿٧﴾﴾:

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ وَالِدِي هَذَا الْإِنْسَانَ الْكَافِرِ يَوْمَ الدِّينِ، قَدْ  
جَاهَدَا وَلَدَهُمَا جِهَادًا طَوِيلًا رَجَاءً أَنْ يُؤْمِنَ بِالْبُعْثِ، وَالْحِسَابِ، وَفُضِّلَ  
الْقَضَاءُ، وَالْجَزَاءُ عَلَى مَا يُقَدَّمُ الْإِنْسَانُ مِنْ عَمَلٍ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حَتَّى أَضْجَرَاهُ فَقَالَ لَهُمَا: أَفْ لَكُمْ. لَقَدْ أَضْجَرْتُمَانِي.

«أَفْ» اسْمُ فِعْلٍ بِمَعْنَى «اتَّضَجَرَ». وَزَادَ هَذَا الْإِبْنُ الْكَافِرُ الْعَاقُ فِي  
وَقَاحَتِهِ قَابَانَ أَنْ تَضْجُرَهُ مُوجَّهُ لَهُمَا، فَهُوَ يَقْصِدُهُمَا بِهِ، وَلَيْسَ مُجَرَّدَ  
تَضْجُرٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ.

وبأسلوب الاستفهام الإنكاري قال لهما:

• ﴿... أَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي ...﴾:

أي: اتَّصَدَّقَانِ نَبَأَ الْبُعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْحِسَابِ، وَفُضِّلَ الْقَضَاءُ،  
وَالْجَزَاءُ، وَتُؤْمِنَانِ بِهِ، فَأَنْتُمَا تُحَذِّرَانِ مِنْهُ كَأَنَّكُمْ أَصْحَابُ الْوَعْدِ نَفْسِهِ،  
فَتَقُولَانِ لِي: إِنَّكَ سَتُخْرَجُ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى، وَسَوْفَ  
تُحَاسَبُ عَلَى كُفْرِكَ وَكُلِّ سَيِّئَاتِكَ الَّتِي تَقْتَرِفُهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عِنْدَ رَبِّكَ  
يَوْمَ الدِّينِ، وَالْحَالُ أَنَّ قُرُونًا كَثِيرَةً قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِي، دُونَ أَنْ يُبْعَثَ مِنْ  
مَوْتَاهَا أَحَدٌ عَلَى مَا تَذْكُرَانِ فِي أَقْوَالِكُمَا وَنَصَائِحِكُمَا الَّتِي أَضْجَرْتُمَانِي  
بِهَا.

الْقُرُونُ مِنَ النَّاسِ: أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ، وَجَمْعُهُ «قُرُونٌ».

• ﴿... وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ...﴾ (١٧)

﴿يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾: أَي: يَطْلُبَانِ مِنَ اللَّهِ الْعَوْنَ وَالنُّصْرَةَ عَلَى إِصْلَاحِ وَلَدَيْهِمَا، رَجَاءً أَنْ يُؤْمِنَ، لَكِنَّ اللَّهَ لَا يَجْبُرُ أَحَدًا عَلَى الْإِيمَانِ أَوْ الْكُفْرِ، وَهُوَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانٍ. فَإِذَا آمَنَ أَمَدَّهُ اللَّهُ بِمَعُونَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ.

• ﴿وَيْلَكَ آمِنْ﴾: وَيْلٌ: كَلِمَةُ عَذَابٍ، وَفِيهَا مَعْنَى الْوَعِيدِ بِخُلُودِ عِقَابِ اللَّهِ.

أَي: إِذَا لَمْ تُؤْمِنْ حَلَّ بِكَ عِقَابُ اللَّهِ الشَّدِيدِ.

• ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: أَي: إِنَّ الْبَعْثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْحِسَابَ، وَفَضْلَ الْقَضَاءِ، وَتَحْقِيقَ الْجَزَاءِ، وَعَدُّ مِنَ اللَّهِ، وَهُوَ حَقٌّ، فَاللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.

• ﴿... فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٨): أَي: فَيَقُولُ الْوَلَدُ الْكَافِرُ الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ: مَا هَذَا الَّذِي تَذْكُرَانِ عَنِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ، إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ وَأَكَاذِيبُهُمْ وَأَبَاطِيلُهُمْ.

الْأَسَاطِيرُ: الْأَبَاطِيلُ، وَالْأَحَادِيثُ الَّتِي لَا نِظَامَ لَهَا، وَهِيَ جَمْعُ «إِسْطَارٍ، وَإِسْطَارَةٍ، وَأَسْطُورٍ، وَأَسْطُورَةٍ».

وَإِذْ كَانَ هَذَا الْكَافِرُ الْعَاقُ لِوَالِدَيْهِ مَثَلًا لَهُ أَشْبَاهُ وَنُظَرَاءُ كَثِيرُونَ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الْبَيَانِ اعْتِبَارُ هَؤُلَاءِ زُمْرَةً مُنْفَصِلَةً مُتَمَيِّزَةً مِنْ زُمْرِ أَهْلِ الْكُفْرِ، وَالْحَدِيثُ عَنْ جَزَائِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ بِاعْتِبَارِهِمْ جَمَاعَةً مُتَمَيِّزَةً:

■ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى بِشَأْنِهِمْ:

• ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ﴾ (١٩):

• ﴿أُولَٰئِكَ﴾: أي: البُعْدَاءُ الْمُنْحَطُّونَ إِلَىٰ جِهَةِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النار.

• ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: هَذِهِ الْعِبَارَةُ وَأَشْبَاهُهَا، قَدْ جَاءَتْ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بِمَعْنَى تَحَقُّقِ كَلِمَةِ اللَّهِ بِالْعِقَابِ، الْعَاجِلِ مِنْهُ وَالْآجِلِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أي: ثَبَّتَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ بِالْعِقَابِ. وجاء استعمَالُ حرف «على» مُنَاسِباً لِقَرَارِ الْعِقَابِ الَّذِي يَسْقُطُ عَلَيْهِمْ، كَمَا يَسْقُطُ الْعِقَابُ نَفْسُهُ عَلَى الْمَعَاقِبِينَ.

• ﴿... فِي أَمْرٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ...﴾ (١٧):

أي: وَهُمْ يَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَارَ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَ الدِّينِ، ضَمَّنَ أَمَمَ كَافِرَةٍ أَمْثَالِهِمْ قَدْ مَضَتْ فِي تَارِيخِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ مِنْ قَبْلِهِمْ، مُنْذُ بَدْءِ رِحْلَةِ الْاِمْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَسْتَمِرُّ هَذَا حَتَّى آخِرِ حَيَاةِ الْاِبْتِلَاءِ.

هَذَا الْبَيَانُ مِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى أَنَّ الْجِنَّ مَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْاِبْتِلَاءِ قَبْلَ الْإِنْسِ، ثُمَّ بَعْدَ خَلْقِ آدَمَ وَتَكَاثُرِ سُلَالَتِهِ.

• ﴿... إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (١٨): أي: إِنَّهُمْ جَمِيعاً بَعْدَ غُبُورِهِمْ رِحْلَةَ الْاِمْتِحَانِ كَانُوا خَاسِرِينَ أَعْظَمَ خَسَارَةً، إِذِ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَهُمْ أَحْرَارُ الْإِيمَانَ عَلَى الْكُفْرِ، وَالضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى، فَكَانَ عِقَابُهُمْ خَسَارَةً كُلُّ شَيْءٍ حَتَّى نَفُوسِهِمْ، بَأْنَ صَارُوا فِي الْعَذَابِ خَالِدِينَ.

وبياناً لِقَاعِدَةٍ عَامَّةٍ مِنْ قَانُونِ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ جَاءَتْ الْآيَةُ التَّالِيَةُ:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْمُونَ﴾ (١٩):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثَلَاثُ فِقَرَاتٍ:

الفقرة الأولى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾: أي: وَلِكُلِّ مَنْ عَبَرَ

رِحْلَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُتَّحِنًا، وَوَقَفَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَوْفَقَ الْحِسَابِ وَفُضِّلَ الْقَضَاءُ، دَرَجَةً مِنَ الدَّرَجَاتِ الصَّاعِدَاتِ إِلَى الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى بِفَضْلِ اللَّهِ، أَوْ النَّازِلَاتِ الْهَابِطَاتِ إِلَى الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ بِعَذْلِ اللَّهِ، وَهَذِهِ الدَّرَجَاتُ مَأْخُودَاتٌ مِنْ بَعْضِ مَا عَمِلُوا، إِذْ يَغْفُو اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ فَلَا يُحَاسِبُ عَلَيْهَا، لِصَاعِدِي الدَّرَجَاتِ أَوْ هَابِطِهَا.

الفقرة الثانية: ﴿وَلِيُؤْيِيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ﴾: أي: وَلِيُعْطِيَ كُلًّا مِنْهُمْ جَزَاءَ عَمَلِهِ وَافِيًا تَامًا غَيْرَ مَقْصُوصٍ.

أَمَّا إِنْتِمَامُ جَزَاءِ الصَّالِحَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ فَيَكُونُ بِحَسَبِ الْوَعْدِ بِمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ.

وَأَمَّا إِنْتِمَامُ جَزَاءِ السَّيِّئَاتِ مِنَ الْأَعْمَالِ فَأَقْصَاهُ جَزَاءُ كُلِّ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا. وَجَاءَ فِي عِدَّةِ نُصُوصٍ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَغْفُو عَنْ كَثِيرٍ بِفَضْلِهِ، فَمِنْ التَّوْفِيقِ الْعَفْوُ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ.

الفقرة الثالثة: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: أي: وَهُمْ جَمِيعًا لَا يُظْلَمُونَ، أَمَّا الْمَجْزِيُّونَ بِالثَّوَابِ فَاللَّهُ يُضَاعِفُ ثَوَابَهُمْ عَلَى كُلِّ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ عَمِلُوهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ. وَأَمَّا الْمَجْزِيُّونَ بِالْعِقَابِ فَهُمْ مَهْمَا اشْتَدَّ عِقَابُهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يُعَاقَبُونَ إِلَّا بِالْعَدْلِ التَّامِّ، فَإِذَا أُضِيفَ إِلَى هَذَا التَّجَاوُزُ عَنْ سَيِّئَاتٍ كَثِيرَاتٍ، كَانَ مِنَ الْبَدْهِيِّ أَنَّ الْمُعَاقَبِينَ لَا يُظْلَمُونَ مُطْلَقًا، بَلْ هُمْ يَكُونُونَ مَحْظُوظِينَ بِتَجَاوُزٍ كَثِيرٍ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَعَدَمِ مُوَاخَذَتِهِمْ عَلَيْهَا.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثامن من دروس سورة (الأحقاف).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(١٣)

## التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (الأحقاف)

الآية (٢٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذَهَبْتُمْ طِبْيَئَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (٢٠)

تمهيد:

في آية هذا الدرس عَرَضُ مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ خَاصٌّ بِالَّذِينَ كَفَرُوا.

التدبر التحليلي:

أي: يُقَالُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ وَيَرُونَ مَوَاقِعَ دَرَكَاتِهِمْ فيها:

• [أذهبتهم طيباتكم في الحياة الدنيا]: أي: بَذَلْتُمْ كُلَّ طَاقَاتِكُمْ الْمَادِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَكُلَّ جِهَادِكُمْ وَمُجَاهَدَاتِكُمْ، لِلْحُصُولِ عَلَى لَذَاتِكُمُ الطَّيِّبَاتِ فِيمَا كُنْتُمْ تَتَصَوَّرُونَ، مِنْ لَذَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مَا كُلُّهَا وَمَشَارِبِهَا وَمَنَاحِكِهَا، وَقُصُورِهَا وَجَنَاتِهَا وَمُتَرَفَاتِهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ لَهْوٍ وَلَعِبٍ وَزِينَةٍ وَتَفَاخُرٍ وَتَكَاثُرٍ.

وَلَمْ تُوجِّهُوا عَمَلًا مَا لِآخِرَتِكُمْ، وَلَمَّا فِي الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا مِنْ طَيِّبَاتٍ، حَتَّى الْإِيمَانَ الَّذِي يُنْجِيكُمْ مِنَ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ، بَلْ كَفَرْتُمْ وَكَذَّبْتُمْ رُسُلَ رَبِّكُمْ فِيمَا بَلَّغُوكُمْ عَنْهُ.

• ﴿وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا﴾: أي: وَحَصَلَتْ لَكُمْ لَذَاتُ مَا، طَلَبْتُمُوهَا مِنْ

مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهِيَ لَذَاتُ ضَيِّلَاتٍ الْقِيَمَةِ سَرِيعَاتِ الرِّوَالِ، وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ مَتَاعٍ، بِخِلَافِ النَّعِيمِ.

• ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾:

الهُونُ: الْخِزْيُ، وَالذَّلَّةُ. وَ«عَذَابُ الْهُونِ» هُوَ الْعَذَابُ الْخَاصُّ الْمَصْحُوبُ بِمَا يُخْزِي الْمُعَذَّبَ وَيُصْغِرُهُ وَيُحَقِّرُهُ، جَزَاءُ اسْتِكْبَارِهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ.

أَي: وَيُقَالُ لَهُمْ أَيْضاً تَفْرِيعاً عَلَى مَا سَبَقَ، ﴿فَالْيَوْمَ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿تُجْزَوْنَ﴾ أَي: تُقَابِلُ أَعْمَالُكُمْ بِمَا يُلَايِمُهَا ﴿عَذَابَ الْهُونِ﴾ أَي: عَذَابُ الْإِخْرَاءِ وَالْإِذْلَالِ وَالتَّحْقِيرِ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: أَي: بِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِذْ كَانَتْ الْأَرْضُ دَارَ امْتِحَانِكُمْ، تُبَالِغُونَ فِي تَكْبِيرِكُمْ عَلَى النَّاسِ، وَتَكْبِيرِكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بِرُسُلِ رَبِّكُمْ وَاتِّبَاعِهِمْ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِغَيْرِ حَقٍّ تَعْتَذِرُونَ بِهِ، بَلْ كُنْتُمْ بِاسْتِكْبَارِكُمْ مُبْطِلِينَ ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ (٢٠): أَي: وَبِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ تَزْتَكِبُونَ مِنْ كَبَائِرِ الْآثَامِ وَالذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي مِنْ دَرَكَاتِ الْجَرَائِمِ وَالْكَفْرِ.

الْفِسْقُ: مُضْطَلَحٌ إِسْلَامِيٌّ لَارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ، أَي: خَرَجَتْ مِنْ قَشَرَتِهَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ مِنْ قَشَرَتِهَا فَسَدَتْ، وَسُمِّيَتِ الْفَارَةُ فُوسِقَةً، لِأَنَّهَا مُفْسِدَةٌ.

وَيُطْلَقُ فِي الْمَضْطَلَحِ الْإِسْلَامِيِّ عَلَى كُلِّ الْمَعَاصِي مِنْ أَخَفِّ الْمَحْرَمَاتِ إِلَى أَشَدِّهَا، حَتَّى الْكُفْرِ بِمَا جَاءَ عَنْ اللَّهِ جُحُوداً وَعِنَاداً وَإِصْرَاراً عَلَى الْبَاطِلِ وَاتِّبَاعاً لِلْهَوَى. وَأَكْثَرُ مَا اسْتَعْمِلْتُ هَذِهِ الْمَادَّةُ فِي الْقُرْآنِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعُضْيَانِ مِنْ دَرَكَةِ الْكَفْرِ.

وبهذا انتهت تدبر هذا الدرس من دروس سورة (الأحقاف).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتْنِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٤)

## التدبر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (الأحقاف) الآيات من (٢١ - ٢٦)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَأَذْكُرْ لَنَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١) قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأْوِكَ عَنْ عَالِمِنَا قَالِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِنُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقِيلًا أَوْدِيْنِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُطْرًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيْمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ .

القراءات:

(٢١) • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [إِنِّي أَخَافُ] بفتح ياء المتكلم.

وقرأها باقي القراء العشرة بالإسكان.

(٢٣) • قرأ أبو عمرو: [وَأُبَلِّغُكُمْ] مِنْ فعل: «أَبْلَغَ» المهموز.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَأُبَلِّغُكُمْ] من فعل: «بَلَّغَ» المضعف.

وهما متكافئان في المعنى.

(٢٣) • قرأ نافع، والبرقي، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [وَلَكِنِّي

أَرَاكُمْ] بفتح ياء المتكلم.

وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ بِإِسْكَانِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

(٢٥) • قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب، وخلف: [لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ] بالبناء لما لَمْ يُسَمَّ فاعله.

وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ] بالبناء لِلْمَعْلُومِ الْمُخَاطَبِ، أي: لَا تَرَى أَيُّهَا الرَّائِي إِذَا شَهِدْتَ أَرْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ.

(٢٦) • قرأ أبو جعفر: [يَسْتَهْزُونَ] وَضَلًّا وَوَقْفًا، وكذلك حمزة في الوقف، وَلَهُ تَسْهِيلُ الْهَمْزَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْوَاوِ، وَلَهُ إِدْأَالُهَا يَاءَ خَالِصَةً.

وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [يَسْتَهْزِئُونَ].

والقراءتان من اللَّهْجَاتِ الْعَرَبِيَّةِ فِي النُّطْقِ.

تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ مُوجِزٌ عَنْ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ عَادَ، وَهُوَ مُتَكَامِلٌ مَعَ مَا جَاءَ فِي سُورِ الْقُرْآنِ مِنْ قِصَّةِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ.

التدبر التحليلي:

سَبَقَ تَدَبُّرُ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ بِشَأْنِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ عَادَ تَدَبُّرًا تَكَامُلِيًّا، فِي الْمُلْحَقِ الثَّانِي مِنْ مَلَا حِقِ تَدَبُّرِ سُورَةِ (هُود/ ٥٢) لِذَا اقْتَصَرُ هُنَا عَلَى تَدَبُّرِ فِقَرَاتِ هَذَا النَّصِّ، وَهُوَ نَصٌّ يَصِفُ آخِرَ مَسِيرَةِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّعْوِيَّةِ فِي قَوْمِهِ:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِكُلِّ صَالِحٍ لِلْخِطَابِ:

• ﴿وَإِذْ أَتَا عَادَ إِذْ أُنْذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١١):

النُّذْرُ: جَمْعُ «الْمُنْذِرِ» وهو المخبرُ بعواقب غير سارة.

أي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِهَذَا الْبَيَانِ أَيَّا كُنْتَ هُوْدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، أَخَا قَبِيلَةِ عَادِ الْعَرَبِيَّةِ نَسَبًا وَلُغَةً، أَحْدَاثًا جَرَتْ وَقْتُ أَنْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ الَّذِينَ كَانُوا مُقِيمِينَ بِأَرْضِ الْأَحْقَافِ.

الأَحْقَافُ: أَرْضٌ تَقَعُ فِي شَمَالِ «حَضْرَمَوْت» وَيَقَعُ فِي شَمَالِ «الأَحْقَافِ» مَا يُسَمَّى «الرُّبْعَ الْخَالِي» وَفِي شَرْقِهَا «عُمَان» وَمَوْضِعُ بِلَادِهِمْ الْيَوْمَ رَمَالٌ قَاحِلَةٌ، لَا أُنَيْسَ فِيهَا وَلَا دِيَارٌ، وَقَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ هُوَ «هُودٌ» عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالْحَالُ أَنَّ هُوْدًا قَدْ مَضَتْ الرُّسُلُ الْمُنْذِرُونَ مِنْ قَبْلِ بَعْثِهِ، وَكَذَلِكَ مَضَتْ النُّذُرُ فِي الْقُرُونِ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْأَزْمَانِ بَعْدَهُ.

وَقَالَ هُوْدٌ لِقَوْمِهِ مِثْلَمَا قَالَ الَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ قَبْلِهِ، وَمِثْلَمَا قَالَ الَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِ: لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ.

وَقَالَ هُوْدٌ لِقَوْمِهِ: فَإِذَا لَمْ تَسْتَجِيبُوا لِي، وَقَدْ أَقَمْتُ فِيكُمْ زَمَنًا مَدِيدًا أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي، فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ يَكُونُ فِيهِ هَلَاكُكُمْ هَلَاكًا جَمَاعِيًّا سَاحِقًا مَاحِقًا.

• ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفِكَ عَنْ ءَالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٢):

أي: قَالَ الْمُتَحَدِّثُونَ عَنْ قَوْمِ «عَادٍ» لِرَسُولِهِمْ «هُودٍ» عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَجِئْنَا بِدِينِكَ الْجَدِيدِ لِنَتَصَرَّفَنَا عَنْ عِبَادَةِ ءَالِهَتِنَا الَّتِي وَرِثْنَا عِبَادَتَهَا عَنْ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا، وَتُنْذِرُنَا بِعَذَابٍ يُبِيدُنَا فِي يَوْمٍ عَظِيمٍ، فَأَتَيْنَا بِهَذَا الْعَذَابِ الْمُهِلِكَ لَنَا إِهْلَاكًا جَمَاعِيًّا سَاحِقًا مَاحِقًا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ بِوَعْدِكَ الَّذِي تُنْذِرُنَا بِهِ.

الْوَعْدُ: يَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَيَكُونُ فِي الشَّرِّ.

وَأِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فِي كَوْنِكَ نَبِيًّا وَرَسُولًا مَبْعُوثًا مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. إِنَّهُمْ كَانُوا يَحْسُبُونَ أَنَّهُ كَاذِبٌ فِي نُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ، فَتَحَدَّوْهُ بِأَنْ يَأْتِيَهُمْ بِمَا يَعِدُهُمْ بِهِ مِنْ إِهْلَاكِ مُكْرَرًا حِينًا فَحِينًا أَوْ ثُمَّ حِينًا.

لَقَدْ أَغْمَتْهُمْ أَهْوَاؤُهُمْ وَشَهَوَاتُهُمْ وَتَقَالِيدُهُمُ الْعَمِيَاءُ، عَنْ رُؤْيَةِ الْحَقِيقَةِ، فَدَفَعَتْ بِهِمْ ظُنُونُهُمُ الْبَاطِلَةَ إِلَى هَاوِيَةِ الْكُفْرِ وَالْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

• ﴿قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ. وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ (١٣):

أي: قال «هُودٌ» عَلَيْهِ السَّلَامُ مُجِيبًا قَوْمَهُ عَلَى تَحْدِيثِهِمْ لَهُ بِأَنْ يَأْتِيَهُمْ بِمَا يَعِدُهُمْ بِهِ مِنْ إِهْلَاكِ وَعَذَابٍ، بِثَلَاثِ فَرَاقَاتٍ:

الفقرة الأولى: ﴿إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي: مَا أَلِمْ كُلَّهُ إِلَّا عِنْدَ اللَّهِ، وَأَنَا لَا أَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا يُعَلِّمُنِي اللَّهُ بِهِ، وَمِنْهُ عِلْمٌ مَتَى يُنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِكُمْ انْتِقَامَهُ، فَهُوَ الْمَنْزِلُ، وَهُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ وَقْتُ الْإِنْزَالِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِهِ.

الفقرة الثانية: ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: أي: وَأَعْلِمُكُمْ أَنَّ حُدُودَ رِسَالَتِي قَاصِرَةٌ عَلَى أَنْ أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، وَأُمِرْتُ أَنْ أُبَلِّغُكُمْ إِيَّاهُ، فَلِلَّهِ الرُّبُوبِيَّةُ الشَّامِلَةُ، وَالْإِلَهِيَّةُ الَّتِي لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا شَرِيكَ.

الفقرة الثالثة: ﴿وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾: أي: وَظَهَرَ لِي بِالتَّجَرُّبَةِ الطَّوِيلَةِ لَكُمْ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ أُولِي الْأَبَابِ تُعَالِجُونَ قَضَايَا مَصِيرِكُمْ بِعَقْلِ وَرُشْدٍ، وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَسْتَجِيبُونَ لَانْفِعَالَاتٍ غَضَبِكُمْ أَنَا فَنَاءً، وَقَدْ عَظَلْتُمْ مَوَازِينَ عُقُولِكُمْ الَّتِي فَطَرَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

﴿تَجْهَلُونَ﴾: أَضْلُ الْجَهْلِ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ: «جَهَلْتُ الْقِدْرُ، تَجْهَلُ جَهْلًا» أَي: اسْتَدَّ غَلْيَانُهَا، ضِدَّ تَحَلَّمْتُ. فَالْجَهْلُ تَغْيِيرٌ عَنْ ثَوْرَانِ الْغَضَبِ فِي النَّفْسِ وَهَيْجَانِهِ، وَالْعَاقِلُ الرَّصِينُ لَا يَجْهَلُ.  
■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُثْمِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٥﴾﴾:  
عَارِضًا أَي: سَحَابًا قَادِمًا.

لَمْ يَطُلْ بِهِمُ الزَّمَانُ بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثُوا رَسُولَهُمْ هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِأَنْ يَأْتِيَهُمْ بِمَا كَانَ يَعِدُهُمْ بِهِ، حَتَّى رَأَوْا مُقَدِّمَاتِ عَذَابِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ سَحَابًا مُسْتَقْبَلًا أَوْدِيَّتَهُمْ وَمُتَّجِهًا لَهَا، فَحَسِبُوهُ سَحَابًا قَادِمًا بَغِيْثٍ، فَقَالُوا: هَذَا سَحَابٌ سَيَمْطِرُنَا مَطَرًا نَافِعًا.

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ لَمْ يَجِدُوهُ سَحَابًا مُمَطِّرًا مَطَرًا نَافِعًا، بَلْ وَجَدُوا أَنَّ مَقَادِيرَ اللَّهِ تَقُولُ لَهُمْ: لَيْسَ هَذَا كَمَا حَسِبْتُمْ، بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رَسُولَ رَبِّكُمْ، إِنَّهُ وَسَائِلُ تَعْذِيبِكُمْ وَإِهْلَاكِكُمْ. إِنَّهُ رِيحٌ عَاتِيَةٌ شَدِيدَةٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ لِأَحْيَائِكُمْ، وَهِيَ بِشَدَّتِهَا وَقُوَّةِ سُرْعَتِهَا تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ يَأْمُرُهَا رَبُّهَا أَنْ تُدْمِرَهُ، هَذَا مَا كُنْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَهُ وَكُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ بِهِ.

فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الرِّيحِ الْعَاتِيَةِ، فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى قَائِمًا فِي أَرْضِهِمْ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ، أَمَّا الْأَحْيَاءُ فَأَصْبَحُوا صَرَغَى هَلَكَى، بِاسْتِثْنَاءِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَنْجَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ رَسُولِهِمْ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَعَلَهُمْ خَارِجَ مَنَازِلِ الْعَذَابِ وَالْإِهْلَاكِ.

• ﴿... كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾: أَي: كَذَلِكَ الْجَزَاءُ الْعِقَابِيُّ الْوَحِيمُ، نَجْزِي كُلَّ الْمُجْرِمِينَ الْكَفَرَةَ، ضِمْنَ قَانُونِ الْعَدْلِ الَّذِي نَجْزِي بِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُخَاطَباً الْمُعَالَجِينَ فِي السُّورَةِ، وَهُمْ أَيْمَةُ الشُّرِكِ وَالْكُفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ مُحَدِّراً وَمُنْذِراً:

● ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾﴾:

أي: وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَاداً مِنْ قَبْلِكُمْ فِي الَّذِي مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ يَا مُعَانِدِي مَكَّةَ.

التَّمْكِينُ: الإِقْدَارُ عَلَى التَّصَرُّفِ الْمَوْصِلِ إِلَى تَحْقِيقِ الْمَطْلُوبِ مَعَ التَّيَسُّتِ فِي الْمَكَانِ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى التَّحَرُّكِ فِيهِ.

والمعنى: لَقَدْ كَانَتْ عَادٌ أَكْثَرُ مِنْكُمْ قُدْرَةً وَامْتِلَاكاً لِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ تَذْفَعُ عَنْهُمْ الْمَخَاطِرَ وَالْمَهْلَكَاتِ، وَأَكْثَرُ مِنْكُمْ قُدْرَةً عَلَى الْحَرْبِ، وَحِيَازَةِ لِأَمْوَالٍ وَمُمْتَلَكَاتٍ، بِتَقْدِيرِنَا وَقَضَائِنَا.

وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا يَسْمَعُونَ بِهِ مَا يَدُلُّهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالضَّلَالِ وَالْهُدَى، وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَبْصَاراً يُبْصِرُونَ بِهَا آيَاتِنَا فِي كَوْنِنَا، وَآيَاتٍ مُعْجَزَاتِنَا، وَآيَاتٍ جَزَاءَاتِنَا، وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَفْئِدَةً يُذَرِّكُونَ بِهَا مَا يُوَصِّلُ إِلَيْهَا سَمْعُهُمْ مِنْ آيَاتِنَا الْبَيِّنَاتِ، وَمَا تُوَصِّلُ إِلَيْهِمْ أَبْصَارُهُمْ مِنْ دَلَائِلِ آيَاتِنَا، لِكَيْ يَتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَتَقَالِيدَهُمْ الْعَمِيَاءَ، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا جَعَلْنَا لَهُمْ مِنْ أَدَوَاتٍ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ وَإِذْرَاكِ، فَلَمْ تَصْرِفْ عَنْهُمْ شَيْئاً مِنْ عَذَابِنَا، إِذْ لَمْ يَسْتَعْمِلُوهَا فِيمَا خُلِقَتْ مِنْ أَجْلِهِ، بَلِ اسْتَعْمَلُوا نَوَازِعَ نَفُوسِهِمْ، فِي الْجُحُودِ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَدَمِ الْاعْتِرَافِ بِهَا مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنَّهَا حَقٌّ.

وَنَزَلَ بِهِمْ وَأَحَاطَ بِهِمُ الْعَذَابُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، حِينَ كَانَ يُنْذِرُهُمْ بِهِ رَسُولُ رَبِّهِمْ، فَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْعَاشِرِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأحقاف).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.

(١٥)

## التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من دروس سورة (الأحقاف) الآيتان (٢٧ و ٢٨)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آيَاتِنَا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

تمهيد:

في آيتي هذا الدرس خطابٌ مُبَاشِرٌ مِنَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ لِلْمُعَالَجِينَ فِي السُّورَةِ، وَهُمْ أُمَّةُ الْكُفْرِ الْجُحُودِيِّ الْعِنَادِيِّ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَإِنذَارٌ لَهُمْ بِأَتَتْهُمْ إِذَا أَصْرُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَتَمَادَوْا فِي غِيهِمْ، أَهْلَكُهُمْ كَمَا أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِمْ كُفَّارَ أَهْلِ الْقُرَىٰ مِنْ حَوْلِهِمْ، فَمَا نَصَرْتُهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي كَانُوا قَدْ اتَّخَذُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِلْمُعَالَجِينَ فِي السُّورَةِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آيَاتِنَا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾:

هَذَا الْبَيَانُ مَعْطُوفٌ عَلَى الْبَيَانِ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَى ذِكْرِ عَادٍ قَوْمِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِهْلَاكِ اللَّهِ لَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمُ الْجُحُودِي.

• ﴿وَلَقَدْ﴾ تَأْكِيدٌ بِالْقَسَمِ الْمَنُوي، وَبِحَرْفِ قَدْ الَّذِي هُوَ لِلتَّحْقِيقِ.

• ﴿أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى﴾: أَنْزَلْنَا بِمَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ عَذَاباً

نُعَذِّبُ بِهِ كُفَّارَ أَهْلِهَا الْمُجْرِمِينَ، وَيَكُونُ بِهِ إِهْلَاكُهُمْ إِهْلَاكاً جَمَاعِيّاً شَامِلاً يَكُونُونَ بِهِ صَرَغَى.

وَنَعْرِفُ مِنَ الْقُرَى الْمُهْلَكَةِ حَوْلَ أَهْلِ مَكَّةَ قُرَى عَادٍ، وَثَمُودَ، وَأَصْحَابِ الرَّسِّ، وَقُرَى قَوْمِ لُوطٍ، وَقَوْمِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

أُطْلِقَ لَفْظُ الْقُرَى وَالْمَرَادُ أَهْلُهَا عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، أَي: لَوْ كَانَتْ الْقُرَى وَهِيَ الْمَبَانِي وَالْمَسَاكِينُ ذَوَاتِ حَيَاةٍ، لَكَانَتْ هَالِكَةً مَعَ الْكُفْرَةِ الْمُجْرِمِينَ الْهَالِكِينَ الصَّرْعَى.

• ﴿... وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٧): أَي: وَقَبْلَ أَنْ نُهْلِكَهُمْ نَوَعْنَا عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَالْإِعْجَازِيَّةِ، وَالتَّذْكِيرِيَّةِ بِإِنْزَالِ الضَّرَاءِ بِهِمْ، رَغْبَةً مِّنَّا فِي أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى أَصْلِ فِطْرَتِهِمُ الْإِيمَانِيَّةِ، وَيَنْذُوا مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شُرْكَ وَضَلَالٍ وَجَرَائِمٍ فِي السُّلُوكِ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الَّتِي كَانَ رُسُلُنَا يُبَلِّغُونَهُمْ إِيَّاهَا، وَكَذَّبُوهُمْ فِيمَا أَنْذَرُوهُمْ بِهِ، فَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ نُهْلِكَهُمْ إِهْلَاكَاً جَمَاعِيّاً مُسْتَأْصِلاً، وَأَنْ نُنَجِّي أَتْبَاعَ الرُّسُلِ الْمُؤْمِنِينَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانُهُ بِشَأْنِ الْقُرَى الَّتِي أَهْلَكَهَا:

• ﴿فَلَوْلَا نَصَرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٢٨):

• ﴿فَلَوْلَا﴾: أَي: فَهَلَا. «لَوْلَا» حَرْفُ تَحْضِيضٍ بِمَعْنَى «هَلَا».

• ﴿قُرْبَانًا﴾: قَالَ الْكِسَائِيُّ: الْقُرْبَانُ: كُلُّ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ طَاعَةٍ وَنَسِيكَةٍ، وَجَمْعُهُ «الْقَرَابِين».

وَقَدْ سَبَقَ أَنْ عَلِمْنَا أَنَّ بَعْضَ الْمُشْرِكِينَ حِينَمَا سَقَطَتْ ذَرَائِعُهُمْ بِشَأْنِ عِبَادَاتِهِمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، قَالُوا: مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى، وَيَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ الذَّرِيعَةَ هِيَ مِنَ الذَّرَائِعِ الَّتِي تَمَسَّكَ بِهَا مُشْرِكُو الْقُرَى الْمُهْلَكَةِ حِينَ أُقِيمَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِأَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا تَجْلُبُ لَهُمْ نَفْعاً وَلَا تَدْفَعُ عَنْهُمْ ضَرّاً.



• ﴿إِنكُھُمْ﴾: الإِنكُ: الْحَدِيثُ وَالْكَلَامُ الْكَذِبُ، وَلَوْ لَمْ يَتَّعَمَدْ قَائِلُهُ أَنْ يَكُونَ كَاذِبًا.

• ﴿يَفْتَرُونَ﴾: الْاِفْتِرَاءُ: اخْتِلَاقُ الْكَذِبِ وَاضْطِنَاعُهُ عَنْ عَمْدٍ.

المعنى: فَإِنْ كَانَ مُشْرِكُو الْقُرَى الْمُهْلَكَةِ صَادِقِينَ فِي ادْعَائِهِمْ أَنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً، يَعْبُدُونَهُمْ لِيَتَقَرَّبُوا بِعِبَادَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ، فَجَعَلُوهُمْ قُرْبَانًا آلِهَةً، وَهَذَا جَمْعٌ تَنَاقُضِيٌّ بَيْنَ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ، وَبَيْنَ كَوْنِ الْمُعْمُولِ لَهُ إِلَهًا يُعْبَدُ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فِي ادْعَاءِ أَنَّ آلِهَتَهُمْ تَنْفَعُهُمْ فِي مَطَالِبِهِمْ، وَمِنْهَا النَّصْرُ، فَهَلَّا اسْتَجَابَتْ لَهُمْ آلِهَتُهُمْ فَنَصَرَتْهُمْ وَدَفَعَتْ عَنْهُمْ عَذَابَ اللَّهِ، وَإِهْلَاكَهُ لَهُمْ، وَتَدْمِيرَهُ قُرَاهُمْ.

إِنَّ آلِهَتَهُمْ لَمْ تَنْفَعْهُمْ بِشَيْءٍ، وَلَمْ تَرْدِّ عَنْهُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ شَيْئًا.

• ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ﴾: أَي: بَلْ غَابُوا عَنْهُمْ، وَضَاعُوا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ أَثَرًا، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ شَيْءٌ، وَلَا مِنَ الْإِلَهِيَّةِ شَيْءٌ.

• ﴿... وَذَلِكَ إِنكُھُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (٢٨): أَي: وَذَلِكَ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ هُوَ عَاقِبَةُ إِفْكِهِمُ الَّذِي كَانُوا يُرَدُّونَهُ مُتَوَهِّمِينَ أَنَّ آلِهَتَهُمْ تَنْفَعُهُمْ، وَعَاقِبَةُ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَهُ اخْتِلَاقًا وَاضْطِنَاعًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ، ظُلْمًا وَعُدْوَانًا عَلَى حَقِّ اللَّهِ الَّذِي لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَلَا إِلَهَ سِوَاهُ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الحادي عشر من دروس سورة (الأحقاف).

والحمد لله على معاونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحہ.



(١٦)

## التدبر التحليلي للدرس الثاني عشر من دروس سورة (الأحقاف) الآيات من (٢٩ - ٣٢)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيَجْرُكُم مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيان حادثة استماع نفر من الجن القرآن من الرسول ﷺ، ورجوعهم إلى قومهم من الجن مؤمنين مسلمين، دعاء إلى الله ومبشرين ومُنْذِرِينَ.

وفيها إشعار للمعالجين في السورة بأن الإسلام بدأ ينتشر في فضلاء الجن، وهم ما زالوا مُتَشَبِّهِينَ بِمَوْقِفِهِمُ الْعِنَادِيَّ الْجُحُودِيَّ الْكُفْرِيَّ عَلَى الرغم من كُلِّ الدواعي الداعية لهم إلى الإيمان بالحق الرباني.

التدبر التحليلي:

سَبَقَتْ دِرَاسَةٌ شَامِلَةٌ لِلْجِنِّ لَدَى تَدْبِيرِ سُورَةِ (الجن/ ٤٠ نزول) لِيَا فإني أَقْتَصِرُ هُنَا عَلَى تَدْبِيرِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِذَا النَّصِّ مِنْ سُورَةِ (الأحقاف).

لَيْسَ فِي هَذَا النَّصِّ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ بِحُضُورِهِمْ لَدَى وَفُودِهِمْ إِلَيْهِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَا وَرَدَ مِنْ

الْأَحَادِيثِ، الَّتِي جَاءَ فِيهَا ذِكْرُ وَفَادَةِ الْجِنِّ إِلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ،  
بِخِلَافِ مَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الْجِنِّ).

• ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ﴾: أي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْحَدَثَ  
الَّذِي جَرَى وَقْتُ صَرْفِ نَفَرٍ مِنَ الْجِنِّ عَمَّا كَانُوا فِيهِ، وَأَرْسَلْنَاهُمْ إِلَيْكَ،  
وَأَذْكُرُهُ فِي بَيِّنَاتِكَ الَّتِي تَدْعُو بِهَا إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ.

ضَمَّنَ فِعْلُ: «صَرَفَ» مَعْنَى فِعْلُ: «أَرْسَلَ» وَعُدِّي تَعْدِيَّتُهُ بِحَرْفِ «إِلَى»  
فَأَغْنَتْ الْجُمْلَةُ عَنْ جُمْلَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا دَلٌّ عَلَيْهَا الْفِعْلُ فِي: ﴿صَرَفْنَا﴾  
وَالْأُخْرَى دَلَّتْ عَلَيْهَا عِبَارَةٌ: ﴿إِلَيْكَ﴾ وَهَذَا مِنَ الْإِيجَازِ الْبَدِيعِ فِي الْقُرْآنِ  
الْمَجِيدِ.

أَصْلُ فِعْلِ «صَرَفَ» يُعْدَى بِحَرْفِ «عَنْ» يُقَالُ لُغَةً: صَرَفَهُ عَنِ الْأَمْرِ،  
أَوْ عَنِ الْعَمَلِ. وَالْمُنَاسِبُ لِلتَّعْدِيَةِ بـ ﴿إِلَيْكَ﴾ فِي هَذَا الْبَيَانِ، فِعْلُ:  
«بَعَثَ» أَوْ «أَرْسَلَ».

وَتَحَدَّثَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ - فِي هَذَا الْبَيَانِ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ،  
لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ هَذَا الصَّرْفَ وَهَذَا الْإِرْسَالَ قَدْ كَانَا بِوَسَائِلِ لَطِيفَةٍ خَفِيَّةٍ، لَا  
يَمْلِكُهَا إِلَّا الرَّبُّ الْقَدِيرُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

• ﴿نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾: النَّفَرُ يُطْلَقُ عَلَى عَدَدٍ مِنَ الرُّجَالِ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ  
إِلَى الْعَشْرَةِ. وَ ﴿مِّنَ الْجِنِّ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ هُوَ صِفَةٌ لِلْفِعْلِ ﴿نَفَرًا﴾ أَيِ:  
كَائِنًا مِنَ الْجِنِّ، أَوْ ذَا عِلْمٍ وَمَكَانَةٍ وَقُضْلٍ مِنْ كُتُبَاءِ الْجِنِّ وَسَادَاتِهِمْ.

• ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾: جُمْلَةٌ فِي مَحَلِّ نَضْبٍ عَلَى أَنَّهَا صِفَةٌ لـ  
«نَفَرًا» أَيِ: نَفَرًا مُسْتَمِعِينَ لِلْقُرْآنِ بِعِنَايَةٍ وَقَضْدٍ، وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّهُمْ قَدْ  
بَلَغَتْهُمْ أَنْبَاءُ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَنُزُولِ كِتَابٍ عَلَيْهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَانْبَعَثُوا  
لَا سَمَاعَ بَعْضٍ مَا جَاءَ فِي هَذَا الْكِتَابِ، مِنْ تِلَاوَةِ الرَّسُولِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ  
لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

فَالْمَعْنَى: نفرأ مؤصوفين بأنهم من الجن، وبأنهم قدّموا وهم يقصدون منذ بدء توجّههم استماع القرآن من الرسول محمد ﷺ.

وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ مِنْ فَضَلَاءٍ وَعُقَلَاءٍ وَسَادَةِ قَوْمِهِمْ مِنَ الْجِنِّ، وَلَعَلَّهُمْ قَدْ وَفَدُوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ بِطَلَبِ مِنْهُمْ، إِذِ انْتَشَرَ بَيْنَ الْجِنِّ أَنَّ رَسُولًا فِي مَكَّةَ أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا.

أَمَّا كَيْفَ صَرَفَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، فَلَمْ يَأْتِ فِي النَّصِّ وَلَا فِي بَيِّنَاتِ الرَّسُولِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ.

• ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾: أي: فَحِينَ حَضَرُوا الْقُرْآنَ وَالرَّسُولَ ﷺ يَتْلُوهُ، وَشَهِدُوا تِلَاوَتَهُ مِنْهُ.

يُقَالُ لُغَةً: «حَضَرَ فَلَانٌ الْمَجْلِسَ وَنَحْوَهُ» أي: شَهِدَهُ.

• ﴿قَالُوا أَنْصِتُوا﴾: أي: قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: اسْكُتُوا، وَلَا يَكُنْ مِنْ أَحَدِكُمْ صَوْتُ مَا، حَتَّى نُحْسِنَ الْاسْتِمَاعَ.

الْإِنْصَاتُ: هُوَ السُّكُوتُ وَعَدَمُ الْكَلَامِ، وَعَدَمُ إِحْدَاثِ صَوْتٍ مَا بِمَعْنَى أَوْ بِغَيْرِ مَعْنَى. وَالسَّبَبُ فِي طَلَبِ الْإِنْصَاتِ تَهَيُّئَةُ الْجَوِّ لِلْاسْتِمَاعِ الْجَيِّدِ.

وَيُقَالُ لُغَةً: «أَنْصَتَ فَلَانٌ فَلَانًا» أي: أَسْكَتَهُ. وَيُقَالُ: «أَنْصَتَ الرَّجُلُ» أي: أَحْسَنَ الْاسْتِمَاعَ لِلْحَدِيثِ.

• ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾: أي: فَحِينَ أَنْهِيَ الْمَقْدَارُ الَّذِي كَانَ الرَّسُولُ قَدْ عَمَدَ إِلَى تِلَاوَتِهِ مِنَ الْقُرْآنِ.

«قُضِيَ» بِالْبِنَاءِ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، وَنَائِبُ الْفَاعِلِ صَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الْقُرْآنِ الَّذِي كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَتْلُوهُ.

• ﴿... وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٢٩): أي: أَذْبَرُوا وَنَأَوْا ذَاهِبِينَ

﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مِّنَ الْجِنَّةِ﴾: أي: مُبَلِّغِينَ أَوَّلًا، وَدَاعِينَ إِلَى دِينِ اللَّهِ، وَمُبَشِّرِينَ مَنْ آمَنَ بِالنَّعِيمِ المقيم في جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ، وَمُنْذِرِينَ آخِرًا مَنْ كَفَرَ بِعَذَابِ أَلِيمٍ، حَرِيقًا فِي الْجَحِيمِ.

جاء التَّعْيِيرُ بِالْإِنْذَارِ، وَهُوَ آخِرُ فِقْرَةٍ مِنْ فِقَرَاتِ الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ، لِيَدُلَّ بِاللُّزُومِ الذَّهْنِي عَلَى مَا يَكُونُ قَبْلَهُ مِنْ فِقَرَاتِ دَعْوِيَّةٍ، يَقْتَضِيهَا التَّرْتِيبُ الْحَكِيمُ، فِي الْبَيَانِ وَالْإِعْلَامِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِ مُتَكَامِلِ الْبُنْيَانِ، رَاسِخِ الْأَرْكَانِ عَظِيمِ الْإِثْقَانِ، بِحِكْمَةِ الْحَكِيمِ الدَّيَّانِ.

الْإِنْذَارُ: الْإِعْلَامُ بِمَا هُوَ مَحْذُوفٌ مِنْهُ، وَيَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ أَنْ يَتَّقَوْهُ، وَيَتَّقُوا مُسَبِّاتِهِ.

وَالْإِنْذَارُ: التَّحْذِيرُ وَالتَّخْوِيفُ مِنْ شَرِّ قَادِمٍ.

• ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَّا﴾: هَذَا بَيَانٌ تَمْهِيدِيٌّ لِبَدْءِ دَعْوَتِهِمْ قَوْمَهُمْ مِّنَ الْجِنَّةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجِنَّةَ أَقْوَامٌ يُشَبِّهُونَ فِي تَقْسِيمَاتِهِمْ أَقْوَامَ الْإِنْسِ.

• ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾: أي: إِنَّا سَمِعْنَا آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ رَبَّانِيٍّ، أُنْزِلَ عَلَى رَسُولٍ مِنْ بَعْدِ مُوسَى وَكِتَابِهِ التَّوْرَةِ.

هَذَا الْبَيَانُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ مِنَ الْجِنَّةِ كَانُوا يَهُودًا، لِذِكْرِهِمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكِتَابَهُ، وَعَدَمِ ذِكْرِهِمْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْكِتَابَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ.

• ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: أي: مُصَدِّقًا لِّمَا سَبَقَ إِنْزَالُهُ مِنْ كُتُبِ رَبَّانِيَّةٍ، وَلِلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ السَّابِقِينَ لِلرَّسُولِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي سَمِعْنَا بَعْضَ آيَاتِهِ الْمَنْزَلَاتِ.

الزَّمَانُ الْمَاضِي هُوَ مَا بَيْنَ يَدَيِ الْأَحْيَاءِ الْمُذْرَكَةِ، وَأَمَّا الْمُسْتَقْبَلُ فَهُوَ الَّذِي يَكُونُ خَلْفَهُمْ لِأَنَّهُمْ يَجْهَلُونَهُ.

• ﴿... يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٣٢): أي: يَهْدِي بِمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ بَيَانٍ إِلَى أَضْلَلِينَ رَئِيسِينَ، هُما:

الأضَلُّ الأول: الْحَقُّ فِي بَيَانِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَفِي بَيَانِ الْأَخْبَارِ الْمَاضِيَّةِ، وَالْحَاضِرَةِ، وَالْمُسْتَقْبَلَةِ، وَفِي بَيَانِ مَا فِي الْكَوْنِ.

الأضَلُّ الثاني: الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ طَرِيقُ سُلُوكِ ذَوِي الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ، فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، سَوَاءً أَكَانَ سُلُوكًا ظَاهِرًا أَمْ سُلُوكًا بَاطِنًا.

يُقَالُ لُغَةً: «هَدَى فُلَانٌ فُلَانًا الطَّرِيقَ. وَهَدَاهُ لَهُ. وَهَدَاهُ إِلَيْهِ» أي: عَرَفَهُ بِهِ وَبَيَّنَّهُ لَهُ.

• ﴿يَقُولُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ...﴾: نِدَاءٌ دَعَوِيٌّ بَعْدَ النِّدَاءِ التَّمْهِيدِيِّ الْأَوَّلِ.

أي: يَا قَوْمَنَا أَطِيعُوا دَاعِيَ اللَّهِ مُحَمَّدًا فِيمَا يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنْ إِيْمَانٍ وَعَمَلٍ.

يُقَالُ لُغَةً: «أَجَابَ فُلَانٌ دَعْوَةَ الدَّاعِي» أي: قَبِلَ دَعْوَتَهُ، وَأَطَاعَهُ، وَحَقَّقَ مَا طَلَبَ مِنْهُ.

وَصَفُّوا الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنَّهُ دَاعِيَ اللَّهِ، أي: الدَّاعِيَ الْمَبْلَغُ دِينَ اللَّهِ.

وَكَذَلِكَ وَصَفُوا الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ دَاعِيَ اللَّهِ، أي: الْبَيَانُ الْمُبِينُ دِينَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

فَكُلٌّ مِنْهُمَا يُنَادِي: اسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ اللَّهِ، وَأَطِيعُوهُ، وَلَا تَعْصُوا، وَنَحْنُ نُنَادِيكُمْ فَتَدْعُوكُمْ إِلَى قَبُولِ الدَّعْوَةِ، وَالطَّاعَةِ، وَالاسْتِجَابَةِ بِالْإِيْمَانِ بِالْحَقِّ، وَسُلُوكِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿وَأَمِنُوا بِهِ﴾: يَعُودُ الضَّمِيرُ فِي ﴿بِهِ﴾ عَلَى الدَّاعِي، وَهُوَ يَشْمَلُ الرَّسُولَ وَالْقُرْآنَ. أَمَّا الرَّسُولُ ﷺ فَلِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ كِتَابَهُ، وَبَيِّنَاتِ الدِّينِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِهِ. وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَلِأَنَّهُ كِتَابُ اللَّهِ الْمَشْتَمِلُ عَلَى مَطْلُوبِ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ.

• ﴿يَنْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: أَي: يَسْتُرُ لَكُمْ بَعْضَ ذُنُوبِكُمْ بِسَبَبِ الإِجَابَةِ وَالْإِيمَانِ، وَإِذَا سَتَرَهَا فَإِنَّهُ لَا يُحَاسِبُكُمْ عَلَيْهَا، وَلَا يُجَازِيكُمْ بِعَذَابٍ عَلَى اقْتِرَافِكُمْ لَهَا.

ذَكَّرُوا بَعْضَ الذُّنُوبِ اخْتِرَازاً مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِهَا حُقُوقُ الْعِبَادِ.

غَفَرُ الذُّنُوبِ: سَتَرُهَا، وَفَوْقَهُ الْعَفْوُ، وَفَوْقَهُمَا رَفْعُ الْجُنَاحِ، وَفَوْقَهَا جَمِيعاً أَنْ يُبَدِّلَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ الْمُذْنِبِ حَسَنَاتٍ.

• ﴿... وَنُجِزْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢٩): أَي: وَيَحْمِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ فِي جَهَنَّمَ، فَلَا يُعَذِّبُكُمْ بِالْحَرِيقِ فِيهَا بِسَبَبِ إِيْمَانِكُمْ، إِذِ الْإِيْمَانُ يَكُونُ سَبَباً فِي وَقَايَتِكُمْ مِنْ عَذَابِ الْحَرِيقِ.

يُقَالُ لُغَةً: «أَجَارَ فُلَانٌ فُلَاناً» أَي: حَمَاهُ وَحَفِظَهُ، وَدَفَعَ عَنْهُ مَا يَكْرَهُ، وَوَقَاهُ مِمَّا اسْتَجَارَ بِهِ مِنْهُ.

فَالْجَنُّ يُعَذِّبُونَ فِي النَّارِ كَالْإِنْسِ، إِذَا كَانُوا مِنَ الْكَافِرِينَ الْمَجْرِمِينَ.  
وَمَنْ أَجَارَهُ اللَّهُ مِنَ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ أَذْخَلَهُ الْجَنَّةَ لَا مَحَالَهَ، سِوَاهُ أَكَانَ مِنَ الْإِنْسِ أَمْ مِنَ الْجِنِّ.

• ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ﴾: أَي: وَمَنْ يَعْصِ بِعَدَمِ إِجَابَتِهِ دَعْوَةَ الرَّسُولِ، وَدَعْوَةَ الْقُرْآنِ، إِلَى الْإِيْمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ، وَاتِّبَاعِ مَا أُنْزِلَ لِلْمَوْضُوعَيْنِ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ رَبِّهِمْ.

«مَنْ» اسم شرط جازم «لَا يُجِبُّ» هذا الفعل مجزوم على أنه فعل الشرط، وجوابه دلت عليه العبارة التالية:

• ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾: أي: فَلَيْسَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُفْلِتَ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، مَهْمَا كَانَتْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى الْهَرَبِ، وَاجْتِيَازِ الْمَسَافَاتِ بِسُرْعَاتٍ فَائِقَاتٍ، إِذْ هُوَ مُحَاطٌ بِقُدْرَةِ الرَّبِّ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ الْأَبْعَادِ، الَّتِي يَتَوَهَّمُ أَنَّه يُمَكِّنُ أَنْ يَهْرُبَ إِلَيْهَا، بِقُدْرَاتِهِ الْعِفْرِيَّةِ.

وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ كِنَايَةً عَنْ جَوَابِ الشَّرْطِ، الَّذِي يَدُلُّ دَلَالَةً مُبَاشِرَةً عَلَى نُزُولِ الْعِقَابِ بِهِ لَا مُحَالَةً.

وَالْمَعْنَى: فَهُوَ مُعَذِّبٌ عَذَاباً شَدِيداً لَا مُحَالَةً، فَلَوْ حَاوَلَ الْهَرَبَ لَيَفْلَتَ مِنَ الْعَذَابِ، فَلَيْسَ بِمُعْجِزِ الْمَلَائِكَةِ الْمَأْمُورِينَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ، وَبِتَعْذِيْبِهِ، وَبِإِدْخَالِهِ جَهَنَّمَ دَارَ عَذَابِ الْكَافِرِينَ الْمُجْرِمِينَ، فَضْلاً عَنْ أَنْ يُعْجِزَ اللَّهَ هَرَباً، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَهُ وَمَنَحَهُ قُدْرَاتِهِ الَّتِي يَقْطَعُ بِهَا الْمَسَافَاتِ الشَّاسِعَاتِ، بِسُرْعَاتٍ فَائِقَاتِ.

وَجَاءَتْ عِنَايَةُ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْجِنِّ، بِالتَّوَجُّهِ فِي دَعْوَتِهِمْ لِقَوْمِهِمْ، لِحَقِيقَةِ أَنَّه لَا يُعْجِزُونَ رَبَّهُمْ فِي الْأَرْضِ، إِذَا أَرَادَ اللَّهُ مُعَاقَبَتَهُمْ، نَظْراً إِلَى أَنَّ قَوْمَهُمْ مِنْ صِنْفِ الْجِنِّ الطَّيَّارِينَ، الَّذِينَ قَدْ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّه قَادِرُونَ عَلَى الْهَرَبِ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ، بِسَبَبِ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ سُرْعَاتِ فَائِقَاتِ.

• ﴿وَلَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾: أي: وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ نَصْرَاءُ يَنْصُرُونَهُ، فَيَذْفَعُونَ عَنْهُ عَذَابَ اللَّهِ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَكُفْرِهِ.

الْأَوْلِيَاءُ: هُنَا النُّصْرَاءُ الَّذِينَ يَحْرِضُونَ عَلَى نُصْرَةِ أَتْبَاعِهِمْ، أَوْ إِخْوَانِهِمْ، وَالَّذِينَ كَانُوا فِي أَرْزَاقِ الْاِمْتِحَانِ يُحْرِضُونَ مَنْ يَتَّبِعُهُمْ عَلَى الْإِثْمِ وَالظُّلْمِ وَنَشْرِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ.



• ﴿... أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٣٣): أي: أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيَ اللَّهِ الْبُعْدَاءَ عَنْ تَنْزِيلَاتِ رَحْمَاتِ اللَّهِ باخْتِيَارِهِمُ الْحَرَّ، هُمْ مُنْعَمِسُونَ فِي ضَلَالٍ جَلِيٍّ وَاضِحٍ.

مُبين: اسم فاعل من فعل «أَبَانَ» اللّازم بمَعْنَى وَضَحَ وَظَهَرَ.

إِنَّ دَعْوَةَ هَؤُلَاءِ الْفَضْلَاءِ مِنَ الْجِنَّ كَانَتْ حَكِيمَةً، إِذِ اخْتَارُوا فِيهَا التَّوْجِيهَ لِلْكُلِّيَّاتِ الْكُبْرَى، الَّتِي تَقَعُ فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى مِنَ الْأُولَوِيَّاتِ الدَّعْوِيَّةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثاني عشر من دروس سورة (الأحقاف).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتْنِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٧)

التدبر التحليلي للدرس الثالث عشر من دروس سورة (الأحقاف)  
الآيتان (٣٣ و ٣٤)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ بَلَى إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾:

القراءات:

(٣٣) • وَقَفَ يَعْقُوبُ بِهَاءِ السَّكْتِ عَلَى: [يَخْلُقُهُنَّ].

(٣٣) • قَرَأَ يَعْقُوبُ: [يَقْدِرُ].

وقرأها بَاقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ: [بِقَادِرٍ].

والمؤدَّى واحدٌ، وهما مِنَ التَّفَنُّنِ فِي الْبَيَانِ.

تَمْهِيد:

فِي آيَتِي هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ إِفْنَاعِيٍّ مُوجَّهٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمُنْكَرِي الْبُعْثِ، مَضْحُوبٌ بِإِنذَارٍ بِعَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، بِأَسْلُوبٍ عَرَضٍ مَشْهُدٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَّحِدًا عَنْ مُنْكَرِي الْبُعْثِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَلِيلٌ غَيْرُ مُجَرَّدِ الْاسْتِنْعَادِ وَالِاسْتِغْرَابِ، مُتَجَاهِلِينَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَكُلَّ الْأَحْيَاءِ فِيهِمَا وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْكَوْنِ مُوجُودًا قَبْلَ خَلْقِهِ، وَمِنْهُمْ الْمَعَالِجُونَ فِي السُّورَةِ:

● ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ لِيٍّ يَخْلَقْنَهُنَّ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٣):

الواو في: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ تَعَطُّفٌ عَلَى مَطْوِيٍّ يُمَكِّنُ بِالتَّأَمُّلِ اسْتِخْرَاجَهُ، أَي: أَعْطَلُوا عُقُولَهُمْ وَجِهَارَ التَّفَكِيرِ الَّذِي هُوَ مِنْ عَنَاصِرِ تَكْوِينِهِمْ، وَلَمْ يَرَوْا رُؤْيَا فِكْرِيَّةً تُشَبِّهُ الرُّؤْيَا الْبَصَرِيَّةَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ، السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا فِيهِمَا مِنْ أَشْيَاءٍ وَأَحْيَاءٍ، وَلَمْ يَعْجَزْ عَنْ خَلْقِهِنَّ، بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى، كَمَا بَدَأَ خَلْقَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، دُونَ أَنْ يَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا!!

يُقَالُ لُغَةً: «عَيْي، يَعْيَى، عَيًْا، وَعَيْيًا» أَي: عَجَزَ.

● ﴿يَقْدِرُ﴾: الْبَاءُ مَزِيدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ، وَلَفْظُ «قَادِرٍ» خَبَرٌ «أَنَّ» مَجْرُورٌ بِحَرْفِ الْجَرِّ الزَّائِدِ لَفْظًا، وَمَحَلُّهُ الرَّفْعُ.

وَجَوَابُ الاستِفْهَامِ مَطْوِيٌّ تَقْدِيرُهُ: بَلَى لَقَدْ رَأَوْا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ وَلَكِنَّهُمْ جَحَدُوهَا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ.

وَجَاءَتْ عِبَارَةٌ: ﴿... بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٣): تَكْذِيباً لِمَقُولَةِ مَطْوِيَّةٍ لَهُمْ، قَالُوا فِيهَا: لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ.

أَي: بَلَى يَبْعَثُ اللَّهُ الْمَوْتَى فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ لِبَعْثِهِمْ، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَسَاوُهُ قَدِيرٌ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُنْذِراً وَمُرْهِباً لِمُنْكَرِي الْبَعْثِ:

• ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٤).

أَي: وَيُقَالُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا يَوْمَ يُعْرَضُونَ عَلَى النَّارِ وَيَرَوْنَ مَوَاقِعَهُمْ مِنْ دَرَكَاتِهَا: أَلَيْسَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ تُكْذِبُونَ بِهِ جُحُوداً؟؟!

استفهام توبيخ وتحسير وتنديم. فَكَانَ جَوَابُهُمْ:

• ﴿بَلَى وَرَبِّنَا﴾: أَي: بَلَى هَذَا حَقٌّ وَأَكْثَدُوا اعْتِرَافَهُمْ بِالْقَسَمِ: ﴿وَرَبِّنَا﴾ طَمَعاً فِي أَنْ يُخَفَّفَ اللَّهُ مِنْ عَذَابِهِمْ، لَكِنَّ اعْتِرَافَهُمْ بَعْدَ الشُّهُودِ لَا يُفِيدُهُمْ شَيْئاً، فَقَدْ مَضَى زَمَنُ الْامْتِحَانِ وَجَاءَ يَوْمُ الْجَزَاءِ.

الْبَاءُ فِي ﴿بِالْحَقِّ﴾ مَزِيدَةٌ لِلتَّوَكُّيدِ فِي خَبَرٍ لَيْسَ.

عِنْدِيذٍ يَقُولُ لَهُمُ الَّذِينَ كَانَ قَدْ سَأَلَهُمْ سُؤَالَ تَوْبِيخٍ وَتَحْسِيرٍ وَتَنْدِيمٍ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي الْآيَةِ:

• ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾:

أَي: فَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ فِي جَهَنَّمَ، بِسَبَبِ مَا كُنتُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةِ الْامْتِحَانِ تَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ كُفْرَ جُحُودٍ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ عُذْرٌ بِهِ تَعْتَذِرُونَ.

وَهَذَا الْقَوْلُ قَدْ يُقَالُ لَهُمْ قَبْلَ إِلْقَائِهِمْ فِي جَهَنَّمَ، أَوْ عِنْدَ إِلْقَائِهِمْ فِيهَا، أَوْ بَعْدَ إِلْقَائِهِمْ وَاسْتِقْرَارِهِمْ فِي مَوَاقِعِهِمْ مِنْهَا، أَوْ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَحْوَالِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثالث عشر من دروس سورة (الأحقاف).  
والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْنَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٨)

### التدبر التحليلي للدرس الرابع عشر من دروس سورة (الأحقاف) الآية (٣٥) آخر السورة

قال الله عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا سَتَعْجَلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

تَمْهيد:

في آية هذا الدرس الأخير توجية للرسول ﷺ بأن يَصْبِرَ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ، وبأن لَا يَسْتَعْجَلْ لِلْمُعَالَجِينَ الْإِهْلَاكَ الَّذِي يَطْلُبُونَ تَعْجِيلَهُ، تَعْبِيراً عَنْ إِنْكَارِهِمْ رِسَالَتِهِ، مَعَ تَهْدِيدِ اللَّهِ لَهُمْ، وَإِشْعَارِهِمْ بِأَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَا يُهْلِكُ إِهْلَاكاً جَمَاعِيّاً شَامِلاً إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ الْمُتَوَاطِّئِينَ عَلَى الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ.

التدبر التحليلي:

جاء بيان تَوْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالصَّبْرِ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ، فِي الْمَقُولَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبَابِ الثَّانِي (الصفات التي

يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا حَمَلَةُ الرِّسَالَةِ<sup>(١)</sup> مِنْ كِتَابٍ «فَقِهِ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ وَفَقِهِ النَّصِيحَ وَالْإِشْرَادَ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ».

بَعْدَ أَنْ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ، أَنَّ الْحِكْمَةَ تَقْتَضِي عَدَمَ إِجْرَاءِ آيَةٍ إِعْجَازِيَّةٍ كُتِبَتْ، بِحَسَبِ طَلَبِ كُتَبَاءِ قَوْمِهِ مِنْهُ، لِئَلَّا يَتَعَرَّضَ قَوْمُهُ لِلْإِهْلَاكِ الشَّامِلِ إِذَا أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِجْرَائِهَا، وَمُعْظَمُهُمْ لَمْ يَصْلُوا بَعْدَ إِلَى دَرَكَةِ مَيُوسٍ مِنْ إِصْلَاحِهِمْ مَعَهَا عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ.

وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ خَطَرَتْ لَهُ خَوَاطِرُ تَعْجِيلِ عِقَابِ مُسْتَحَقِّي الْعِقَابِ مِنْ قَوْمِهِ، دُونَ أَنْ يَسْأَلَ رَبَّهُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْأَخِيرَةَ مِنْ سُورَةِ (الْأَحْقَافِ).

أي: فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُوا الْعِزْمِ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الرُّسُلِ: «نُوحَ، وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى» فَقَدْ لَاقُوا مِنْ أَقْوَامِهِمْ جُحُوداً لِلْحَقِّ وَعِنَاداً شَدِيداً وَلَمْ يَسْأَلُونِي أَنْ أُعَجِّلَ عِقَابِي لِلْمَعَانِدِينَ الْمَكَابِرِينَ، فَتَأَسَّ بِهِمْ.

وَلَا تَسْتَعْجِلْ لِمَعَانِدِي قَوْمِكَ الْإِهْلَاكِ الْمُعْجَلِ الَّذِي يُطَالِبُونَكَ بِهِ، لَا رَغْبَةً فِيهِ، وَلَكِنْ تَغْيِيراً عَنْ تَكْذِيبِكَ فِي نُبُوتِكَ وَرِسَالَتِكَ وَإِنْذَرَاتِكَ لَهُمْ.

أَمَّا الْعَذَابُ الَّذِي وَعِدُوا بِهِ يَوْمَ الدِّينِ فَإِنَّهُ آتٍ لَا مَحَالَةَ إِذَا مَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ، وَهُمْ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْبُعْثِ إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ.

• ﴿... بَلَنْغٌ فَهَذَا يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣٥) •

بَلَاغٌ: اسْمٌ بِمَعْنَى الْمَضْذِرِ، الَّذِي هُوَ الْإِبْلَاحُ أَوْ التَّبْلِيغُ.

أي: هَذَا بَلَاغٌ مِنَ اللَّهِ عَامٌّ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ لِقَطْعِ تَطَلُّعَاتِ نُفُوسِهِمْ لِإِهْلَاكِ جَمَاعَاتِ الْكَافِرِينَ، قَبْلَ أَنْ تَقْتَضِي حِكْمَةُ اللَّهِ الْعَلِيمِ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ إِهْلَاكَهُمْ.

وَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذَا الْبَلَاغِ أَنَّ الْإِهْلَاكَ الشَّامِلَ لِقَوْمٍ مِنَ الْأَقْوَامِ إِنَّمَا يَكُونُ حِينَمَا يَصِيرُ فِسْقُهُمْ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ أَمْرًا عَامًّا شَامِلًا، وَحِينَمَا يُنْسِي إِصْلَاحَ أَفْرَادٍ مِنْهُمْ مَيُوسًا مِنْهُ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الرابع عشر من دروس سورة (الأحقاف).

والحمد لله على معاونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحيه.



(١٩)

### ملحق: مستخرجات بلاغية من سورة (الأحقاف)

في سورة (الأحقاف) اختيارات بلاغية متعددة، أستخرج منها ما يلي، وأترك الباقي لذوي الاهتمامات البلاغية.

أولاً:

مِنْ خُرُوجِ الاستفهام عَنْ أَضْلَ دَلَالَتِهِ، قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾.

الاستفهام في ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾؟ يُرَادُ بِهِ النَّفْيُ، أَي: لَا أَحَدَ أَضَلُّ مِنْ هَذَا الَّذِي يَعْبُدُ إِلَهَةً لَا تَسْتَجِيبُ لَهُ بِشَيْءٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُونَ أَعْدَاءً. فالانقطاع مُسْتَمِرٌّ دواماً.

ثانياً: من القصر

١ - قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى... ﴿٢﴾﴾.

فِي هَذَا الْبَيَانِ قَصْرٌ بِالنَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ، وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ مِنْ قَصْرِ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ.

٢ - وقول الله عَزَّ وَجَلَّ يُعَلِّمُ رَسُولُهُ مَا يَقُولُهُ لِقَوْمِهِ:

﴿... إِنْ أَنْبِئُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

فِي هَذَا الْبَيَانِ قَصْرَانِ بِالنَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ، وَهُمَا مِنْ قَبِيلِ الْقَصْرِ الْإِضَافِيِّ، وَمِنْ قَصْرِ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ.

ثالثاً: من الكناية

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿... إِنْ أَلَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

أَي: إِنْ أَلَّهَ لَا يَحْكُمُ لَكُمْ بِالْهِدَايَةِ، لِأَنَّكُمْ ظَالِمُونَ، وَلِأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ.

رابعاً:

مِنِ الْاِقْتِطَاعِ مِنْ أَحْدَاثِ الْمَاضِي أَوْ الْمُسْتَقْبَلِ كَأَنَّ الْحَدِيثَ يَجْرِي عِنْدَ سَاعَةِ التَّكَلُّمِ:

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طِبْيَئَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

أَي: يُوجَّهُ لَهُمْ هَذَا الْبَيَانُ: ﴿أَذْهَبْتُمْ...﴾.

خامساً:

من التوكيد بحرف الجر الزائد ما يلي:

١ - ﴿... فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْعَادُهُمْ مِنْ شَيْءٍ...﴾ (٢١)

٢ - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ لِيَوْمٍ يَخْلَقْهُنَّ يُقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُخَيِّقَ الْمَوْتَ بَلَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٢)

٣ - ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢٤)

وأكتفي بهذا القدر، والحمد لله على معاونته، وتوفيقه، وفتحته.





# سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ

٥١ مصحف ٦٧ نزول

وهي كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ باتِّفَاقٍ



(١)

## نص السورة وما فيها من قرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ ذَرَوْا ۝١ فَأَلْحَمْتِ وَقَرَأَ ۝٢ فَالْحَرَيْتِ يُسْرًا ۝٣  
فَالْمَقْسَمِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعُوا  
۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤَفَّكُ  
عَنْهُ مَنْ أَفَّاكَ ۝٩ قُلِ الْخَرَّصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرٍ  
سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ  
يُفَنَّنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فَنَّتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝١٤  
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ  
كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧  
وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ  
۝١٩ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ  
۝٢١ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

٣ - قرأ أبو جعفر: [يُسْرًا] بضم السين.

وقراها باقي القراء العشرة [يُسْرًا] بإسكان السين.

ومؤداهما واحد، وهما بمعنى السهولة واللين والانقياد وعدم العسر.

١٥ - قرأ ابن كثير، وابن دُكَّوان، وشعبة، وحمزة، والكسائي: [وَعُيُونٍ] بكسر

العين.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَعُيُونٍ] بضم العين.

وهما لغتان عربيتان.

إِنَّهُ لَحَقُّ مَثَلٍ مَّا أَتَيْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ ضَيْفِ  
 إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ  
 مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ  
 إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ  
 وَبَشِّرُوهُ بِنُعْلَمِ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرْقٍ فَصَكَّتْ  
 وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ  
 الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ \* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾  
 قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ  
 طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا  
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾  
 وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ  
 أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ رُكُوعَهُ وَقَالَ سَحَرُ

٢٣ - • قرأ شعبة، وحمزة، والكسائي، وخلف: [مِثْل] بالرفع وضمّاً لـ «حَقٌّ». وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [مِثْل] بالنصب على أنها حال.

٢٤ - • قرأ هشام: [إِبْرَاهِيمًا].

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [إِبْرَاهِيمَ]. وهما نطقان لاسمي عليه السَّلام.

٢٥ - • قرأ حمزة، والكسائي: [قَالَ سَلَّمَ].

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [قَالَ سَلَامًا].

ومؤداهما واحد، فالسُّلْمُ والسَّلام كلاهما تأمِينٌ وَنَحِيَّةٌ.

٢٧ - • قرأ حمزة، ويعقوب: [إِلَيْهِمْ] بضم الهاء.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [إِلَيْهِمْ] بكسر الهاء.

وهما نطقان عَرَبِيَّان.

أَوْ يَجْنُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْتَهُ وَجُودُهُ فَنَبَذْتَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾  
 وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ  
 أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَنَّوْا  
 حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَتَعَتُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ  
 يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ ﴿٤٥﴾  
 وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا  
 بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيِّدُونَ ﴿٤٨﴾  
 وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفَرُّوا إِلَى  
 اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

- ٤١ - • قرأ أبو عمرو: [عَلَيْهِمُ الرِّيحَ] بكسر هاء الضمير والميم بَعْدَهَا.  
 وقرأها حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [عَلَيْهِمُ الرِّيحَ] بضم هاء  
 الضمير والميم بَعْدَهَا.  
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [عَلَيْهِمُ الرِّيحَ] بِكسر هاء الضمير وضم الميم  
 بَعْدَهَا.  
 وهي جُودَةٌ عَرَبِيَّةٌ فِي النُّطْقِ.  
 ٤٤ - • قرأ الكسائي: [الصَّاعِقَةُ]. وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [الصَّاعِقَةُ].  
 الصَّاعِقَةُ: الْهَلَاكُ.  
 الصَّاعِقَةُ: الْعَذَابُ الْمُهْلِكُ.  
 فَمُؤَدَّى الْقُرَّاءَتَيْنِ وَاحِدٌ.  
 ٤٦ - • قرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: [وَقَوْمِ نُوحٍ] عطفًا على «وفي  
 ثَمُودَ».  
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [وَقَوْمِ نُوحٍ] أي: وَأَهْلَكْنَا قَوْمَ نُوحٍ.  
 ٤٩ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ] أَصْلُهَا تَذَكَّرُونَ.  
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [تَذَكَّرُونَ] بِإدغام التاء الثانية بِالذَّالِ.

ءَاخِرُٓ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَصَّوٓا۟ بِهِۦٓ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ ﴿٥٣﴾ فَنَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرَ فَإِنِ الذِّكْرَىٰ نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

٥٦ و ٥٧ و ٥٩ - • قرأ يعقوب بإثبات ياء المتكلم في [لِيَعْبُدُونِي - يُطْعَمُونِي - يَسْتَعْجِلُونِي] وصلًا ووقفًا، ولم يُثَبِّثْهَا بَاقِيَ الْقُرْءَاءِ الْعَشْرَةَ.

٦٠ - • قرأ أبو عمرو ويعقوب: [يَوْمِهِمُ الَّذِي] بِكَسْرِ هاء الضمير والميم بعدها. وقرأها حمزة، والكسائي، وخلف: [يَوْمَهُمُ الَّذِي] بِضَمِّ هاء الضمير والميم بَعْدَهَا.

وقرأها بَاقِيَ الْقُرْءَاءِ الْعَشْرَةَ: [يَوْمِهِمُ الَّذِي] بِكَسْرِ هاء الضمير وضم الميم بَعْدَهَا.

(٢)

## موضوع سورة (الذاريات)

ظهر لي أَنَّ موضوع هذه السورة يَدُورُ حَوْلَ مُتَابَعَةِ مُعَالَجَةِ مُنْكَرِي الْبَغْثِ وَالْجَزَاءِ يَوْمَ الدِّينِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، إِذْ يُوجَدُ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَصِلُوا بَعْدَ إِلَى مَرَحَلَةِ مَيُؤُوسٍ مِنْهُمْ مَعَهَا. وَجَاءَتْ هَذِهِ الْمَتَابَعَةُ بِأَفَانِينَ وَتَصَارِيفٍ مِنَ الْبَيَانِ، ضِمَّنَ الْكَلِّيَّاتِ الْعَامَّةَ لِلْمُعَالَجَةِ، رَغْبَةً فِي أَنْ يَتَخَلَّصُوا بِإِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ، وَأَنْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ طَائِعِينَ مُخْتَارِينَ.

وَهَذِهِ التَّصَارِيفُ تَدُورُ حَوْلَ الْإِقْنَاعِ بِالْحَقِّ، والترهيب، والترغيب.

وَمِنَ الْإِقْنَاعِ الْعَوْدَةُ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَى بَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، فِي الْأَرْضِ، وَفِي الْأَنْفُسِ، وَفِي السَّمَاءِ، فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ السُّورَةِ، وَمِنْهَا أَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ خَلَقَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ زَوْجَيْنِ، مِنَ الْأَجْنَاسِ وَالْأَنْوَاعِ وَالْأَصْنَافِ.

وَمِنَ التَّرْهيبِ عَرْضُ مُوجِزٍ لَتَعْذِيبِ وَإِهْلَاكِ أَقْوَامٍ مُكَذِّبِينَ سَبَقُوا فِي التَّارِيخِ: (قوم لوط - فرعون وجنوده - عاد - قوم نوح).

وفيه توجيهُ الرَّسُولِ ﷺ وَكُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، أَنْ يَجْعَلَ مِنْ عُنَاصِرِ دَعْوَتِهِ مُطَالَبَةً غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يَفْرُوا مِنْ مَوَاقِعِهِمُ الْكُفْرِيَّةِ، الَّتِي هِيَ مَوَاقِعُ تَنْزِلَاتِ سَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ وَوَسَائِلِ تَعْذِيبِهِ وَإِهْلَاكِهِ لِلْمُجْرِمِينَ، إِلَى الْإِحْتِمَاءِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالْإِسْلَامِ لَهُ رَبًّا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَإِلَهًا لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

وَفِيهِ تَسْلِيَةُ الرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَهُ بِشَتَائِهِمْ مِنْ كُفْرَاءِ قَوْمِهِ مَسْبُوقُونَ بِأَمْثَالِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ.

وفيه تَوْصِيَةُ الرَّسُولِ ﷺ بِأَنْ يَتَوَلَّى مُذْبِرًا بِظَهْرِهِ عَنِ الْمَعَائِدِينَ الَّذِينَ وَصَلُوا إِلَى دَرَكَةِ مَيْتُوسٍ مِنْ إِضْلَاحِهِمْ مَعَهَا عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحَرَّةِ، وَأَنْ يُوجِّهَ تَذَكِيرَهُ لِمَنْ يَرْجُو أَنْ يُؤْمِنُوا وَلَوْ رَجَاءً ضَعِيفًا، فَمَخَالِيلُ الْخَيْرِ تُلْمَحُ مِنْ بَعْضِ تَصَرُّفَاتِهِمْ.

وَحَتَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السُّورَةَ بَيَّانِ مَطْلُوبِهِ التَّكْلِيفِيِّ مِنْ عِبَادِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهِيَ أَنْ يَعْبُدُوهُ لَا يُشْرِكُوا بِعِبَادَتِهِ أَحَدًا، لَا أَنْ يَرْزُقُوهُ أَوْ يُطْعِمُوهُ، كَمَا يَتَوَهَّمُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ بِالنَّسَبَةِ إِلَى آلِهَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ، وَأَتْبَعَهُ بِإِنذَارِ الظَّالِمِينَ الْكَافِرِينَ الْمَعَائِدِينَ، بِعَذَابٍ مُعَجَّلٍ، ثُمَّ بِعَذَابٍ أَبَدِيٍّ فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ.

(٣)

**دروس سورة (الذاريات)**

تشتمل هذه السورة على (١٣) درساً فيما ظهر لي:

الدرس الأول: الآيات من (١ - ٦).

وفي هذا الدرس قَسَمَ بِبَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ عَلَى أَنَّ الْوَعْدَ بِالْجَزَاءِ يَوْمَ الدِّينِ وَعْدٌ صَادِقٌ، وَعَلَى أَنَّ الْجَزَاءَ سَوْفَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقِيقَةً وَاقِعَةً لَا مَحَالَةَ.

الدرس الثاني: الآيات من (٧ - ١٤).

وفي هذا الدرس قَسَمَ بِبَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ مُوجَّهٌ لِلْكَافِرِينَ عَلَى أَنَّهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ وَحْدَةٌ فِكْرِيَّةٌ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهَا فِي قَضَايَا الدِّينِ، بَلْ أَقْوَالُهُمْ فِيهَا مُتَخَالِفَةٌ قَدْ يَصِلُ التَّخَالُفُ فِيهَا إِلَى التَّضَادِّ وَالتَّنَاقُضِ وَالسَّبَبُ فِي هَذَا اعْتِمَادُهُمْ فِيهَا عَلَى الظُّنُونِ الضَّعِيفَةِ وَالْأَكَاذِيبِ، فَهُمْ بِسَبَبِ هَذَا مُبْعَدُونَ عَنْ مَوَاقِعِ الْحَقِّ فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ، وَمُنْغَمِسُونَ فِي أُمُورِ شَهَوَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ سَاهُونَ، وَيَتَلَفُظُونَ لاسْتِيعَادِ يَوْمِ الدِّينِ بِالسُّؤَالِ عَنْ زَمَنِ وَقُوعِهِ، لَكِنَّهُمْ سَوْفَ يَنَالُونَ عَذَابَ تَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ: دُوقُوا عَذَابَ تَكْذِيبِكُمْ وَكُفْرِكُمْ، وَهُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ تَغْيِيراً عَنْ إِنْكَارِكُمْ لَهُ.

الدرس الثالث: الآيات من (١٥ - ١٩).

وفي هذا الدرس عَرَضُ مَشْهَدٍ تَرْغِيْبِيٍّ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَتَعَلَّقُ بِالْمُتَّقِينَ الَّذِينَ بَلَغُوا إِلَى مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ بِأَعْمَالِهِمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، وَهُمْ يُنْعَمُونَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ فُيُوضٍ عَطَاءَاتِهِ.

الدرس الرابع: الآيات من (٢٠ - ٢٣).



وفي هذا الدرس حثٌ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ فِي الْأَرْضِ وَفِي الْأَنْفُسِ، مُوجَّهٌ مِنَ اللَّهِ بِالْخِطَابِ الْمُبَاشِرِ لِلَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بَعْدُ، وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّ إِلَهَتَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ هِيَ الَّتِي تَرْزُقُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَبَانَ اللَّهُ لَهُمْ أَنَّ رِزْقَهُمْ فِي السَّمَاءِ بِأَوَامِرِ رَبَّانِيَّةٍ، وَكَذَلِكَ مَا يُوعَدُونَ مِنْ جَزَاءٍ بِأَوَامِرِ رَبَّانِيَّةٍ، وَأَقْسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرُبُوبِيَّتِهِ لِلْسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، عَلَى أَنَّ هَذَا حَقٌّ مُمَاتِلٌ لِمَا يَنْطِقُونَ بِالنِّسْتِهِمْ فِي حَرَكَةِ حَيَاتِهِمْ.

الدرس الخامس: الآيات من (٢٤ - ٣٧).

وفي هذا الدرس بَيَانُ لَقَطَاتٍ مُوجَزَاتٍ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطِ الْمَجْرِمِينَ، لِيُعْتَبَرَ الْكَفَرَةُ بِمَنْ سَبَقَهُمْ.

الدرس السادس: الآيات من (٣٨ - ٤٠).

وفي هذا الدرس عَرْضُ لَقْطَةٍ مُوجَزَةٍ عَنْ إِهْلَاكِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ.

الدرس السابع: الآيتان: (٤١ و ٤٢).

وفي هذا الدرس عَرْضُ لَقْطَةٍ مُوجَزَةٍ عَنْ إِهْلَاكِ عَادٍ قَوْمِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الدرس الثامن: الآيات من (٤٣ - ٤٥).

وفي هذا الدرس عَرْضُ لَقْطَةٍ مُوجَزَةٍ عَنْ إِهْلَاكِ ثَمُودِ قَوْمِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الدرس التاسع: الآية (٤٦).

وفي آيَةِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ إِهْلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ بِسَبَبِ كُونِهِمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ.

الدرس العاشر: الآيات من (٤٧ - ٤٩).

وَفِي هَذَا الدَّرْسِ يُوجَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلتَّفَكُّرِ بِبَعْضِ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ .  
الدرس الحادي عشر: الآيتان (٥٠ و ٥١).

وَفِي هَذَا الدَّرْسِ تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ أَسْلُوباً دَعَوِيّاً فِيهِ إِبْدَاعٌ فِكْرِي .

الدرس الثاني عشر: الآيات من (٥٣ - ٥٥).

وَفِي هَذَا الدَّرْسِ تَسْلِيَةٌ لِلرَّسُولِ ﷺ تُجَاهَ مَا يَلْقَى مِنْ أَدَى وَشَتَائِمِ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ قَوْمِهِ الْمَعَانِدِينَ، وَنُضْحٌ لَهُ بِأَنْ يَتَوَلَّى مُذْبِراً عَنْهُمْ، وَيُوجَّهَ تَذْكِيرُهُ بِالْقُرْآنِ وَبِقَضَايَا الدِّينِ لِلَّذِينَ لَمْ يَصِلُوا بَعْدُ إِلَى دَرَكَةِ الْمَيْئُوسِ مِنْ إِصْلَاحِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ .

الدرس الثالث عشر: الآيات من (٥٦ - ٦٠) آخر السورة.

وَفِي هَذَا الدَّرْسِ الْخَتَامِيُّ بَيَانٌ لِمَطْلُوبِ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهِيَ أَنْ يَعْبُدُوهُ .

وَفِيهِ إِنْذَارٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا بِالْكَفْرِ بِعَذَابٍ مَا مُعَجَّلٍ، وَإِنْذَارٌ لَهُمْ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ خَالِدِينَ فِيهِ .



(٤)

التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (الذاريات)  
الآيات من (١ - ٦)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿يَسْمِعُ اللَّهُ السَّمْعَ الْخَفِيَّ﴾

﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَالْحَمَلَتِ وَقُرْ ﴿٢﴾ فَالْجَرَيْتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمَقْسَمَتِ

أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوُفْعٌ ﴿٦﴾﴾ .

## القرءات:

(٣) • قرأ أبو جعفر: [يُسْرًا] بِضَمِّ السَّيْنِ.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [يُسْرًا] بِإِسْكَانِ السَّيْنِ.

ومؤدَى القراءتَيْنِ واحد، إذ هُمَا بِمَعْنَى السُّهُولَةِ، واللِّينِ، والانقياد،  
وعَدَمِ العُسْرِ.

## تَمْهِيد:

فِي هَذَا الدَّرْسِ قَسَمٌ بِبَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، عَلَى أَنَّ الْوَعْدَ  
بِالْجَزَاءِ يَوْمَ الدِّينِ وَعْدٌ صَادِقٌ، وَعَلَى أَنَّ الْجَزَاءَ سَوْفَ يَكُونُ حَقِيقَةً وَاقِعَةً  
لَا مَحَالَةَ.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا﴾

الذَّرْوُ: هُوَ الْبُتُّ وَالنَّشْرُ لِذَرَّاتٍ أَيْ شَيْءٍ لَهُ دَقَائِقُ صَغِيرَةٌ يُمَكِّنُ بُتُّهَا  
فِي فُضَاءٍ وَاسِعٍ، كَبْتُ وَنَشْرُ الْعُبَارِ وَالثَّرَابِ، والدقيق، وَذَرَّاتِ الْمَاءِ،  
وَذَرَّاتِ بُخَارِ الْمَاءِ، وَاللِّقَاحَاتِ الصُّغْرَى وَتَوَزِيعُهَا عَلَى الْمُلَقَّحَاتِ مِنْ  
الْأَشْجَارِ، وَالْأَزْهَارِ، وَالثَّمَرَاتِ.

وَمَعْلُومٌ مِنَ الظَّاهِرَاتِ الْكَوْنِيَّةِ أَنَّ الرِّيحَ هِيَ السَّبَبُ فِي هَذَا الذَّرْوِ  
الَّذِي يَحْدُثُ فِي الْكَوْنِ.

فلفظ «الذَّارِيَاتِ» هُوَ وَصْفٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٌ يَنْطَبِقُ عَلَى الرِّيحِ  
فِي ظَاهِرَاتِ الْكَوْنِ.

وَجَاءَ توكِيدُ هَذَا الْحَدَثِ الْوَضِيعِيِّ بِالْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ «ذَرَوْا» لِتَفْخِيمِ

شأن هذه الظاهرة، وآثارها العظيمة في الكون نفعاً، أو ضرراً، نعمة أو نقمة. ونظراً إلى عظمة هذه الظاهرة من ظاهرات قدرة الله وحكمته في كونه أقسم الله بها لتأكيد صدق وعده بإحياء الناس يوم القيامة، وأن الدين وهو الجزاء واقع لا محالة.

وقد سبق في «الملحق الثاني» من ملاحق تدبر سورة (المرسلات/٣٣ نزول) دراسة شاملة تكاملية للنصوص القرآنية المتعلقة بالرياح<sup>(١)</sup>، فليرجع إليه.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿فَالْحَمِلَاتِ وَقرَأَ﴾:

الْوَقْرُ بِكَسْرِ الواو هو في اللغة الشيء الثقيل، والعمل الثقيل، وجمعه «أوقار».

جاءت هذه العبارة معطوفة بالفاء، على معنى القسم بالحاملات حملاً ثقيلاً، وهذا قد يكون مرجحاً لأن تكون الحاملات وقرأ هي الرياح نفسها، إذ هي تحمل في الجو السحب الثقيل بالماء، على أن السحب هي حاملات وقرأ أيضاً، ومحمولة بالرياح في جو السماء.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسرًا﴾:

أي: فالجاريات جرياً يسراً هيناً لينا رقيقاً لا عسر فيه.

هذا الوصف يصلح أن يكون للرياح، ويصلح أن يكون للسفن في البحر التي تجريها الرياح.

(١) انظر هذا الملحق في المجلد الثاني الصفحات من (٦٢١ - ٦٦٤).

وَلَكِنَّ الظَّاهِرَ مِنَ الْعَظْفِ بِالْفَاءِ يُرْجَحُ أَنْ تَكُونَ الرِّيحُ هِيَ الْمَرَادَةُ  
أَيْضاً، إِذْ مِنْ صِفَاتِ الرِّيحِ أَنْ تَجْرِيَ أحياناً جَرياً يُسرّاً، وَهَذَا مِنْ  
نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ.

وَكُلُّ هَذِهِ الصِّفَاتِ لِلرِّيحِ مِنْ تَصَاريفِ اللَّهِ فِيهَا الدَّلَالَاتِ عَلَى عَظِيمِ  
قُدْرَتِهِ، وَسَامِي حِكْمَتِهِ، فِي تَقْدِيرِهِ وَتَذْيِيرِهِ وَخَلْقِهِ، فَالْقَسَمُ بِهَا هُوَ فِي  
الْحَقِيقَةِ قَسَمٌ بِبَعْضِ صِفَاتِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - .

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

● ﴿فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا ۖ﴾ :

جَاءَ فِي أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ الْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا أَصْنَافٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ،  
تَقُومُ بِوِظَافَةِ التَّقْسِيمِ بِأَمْرِ اللَّهِ .

وَأَرَى أَنْ وَصَفَ الرِّيحِ بِأَنَّهَا مُقْسِمَاتٌ أَمْرًا، مُتَّسِقٌ مَعَ كَوْنِهَا  
ذَارِيَاتٍ، وَحَامِلَاتٍ وَقُرَأَ، وَجَارِيَاتٍ يُسرّاً، لِأَنَّ كُلَّ مَا يَجْرِي فِيهَا مِنْ  
تَذْيِيرِ اللَّهِ، وَتَقْدِيرِهِ، وَخَلْقِهِ، فَلَيْسَتْ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ الَّتِي تَذَرُو، وَلَا الَّتِي  
تَحْمِلُ، وَلَا الَّتِي تَجْرِي، وَلَا الَّتِي تُقَسِّمُ، وَالْفَاعِلُ الْحَقِيقِيُّ الْمَدْبِّرُ  
وَالْمُقَدِّرُ وَالْخَالِقُ هُوَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

وَالْتَقْسِيمُ الَّذِي يَجْرِي بِالرِّيحِ بَعْدَ الذَّرْوِ، وَالْحَمْلِ، وَالْجَرِيِّ  
الْيُسْرِ، لَهُ وَجُوهٌ كَثِيرَةٌ لَا نَسْتَطِيعُ حَضْرَهَا، وَمِنْهُ تَقْسِيمُ اللَّقَاحَاتِ عَلَى  
الْأَشْجَارِ وَالثَّمَرَاتِ وَالْأَزْهَارِ، وَتَقْسِيمُ نَوَاتِ اللَّقَاحِ عَلَى بُحَارِ الْمَاءِ فِي  
السُّحْبِ لِتَكُونَ حَبَّاتِ مَاءٍ تَنْزِلُ أَمْطَاراً، وَتَقْسِيمُ السُّحْبِ عَلَى الْبِلَادِ الَّتِي  
قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يُغِيثَهَا بِالْأَمْطَارِ، وَتَقْسِيمُ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ عَلَى النَّاسِ  
بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، جَاءَ التَّعْيِيرُ عَنْهَا  
بِعِبَارَةِ «أَمْرًا» .

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

• ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَفَّعُ ﴿٦﴾﴾ :

هَذَا هُوَ الْمُقَسَّمُ عَلَيْهِ بِالرِّيَّاحِ ذَوَاتِ الْأَوْصَافِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا وَبَيَّانُهَا.

أي: إِنَّ الَّذِي تُوعَدُونَهُ بِمُتَابَعَةٍ وَتَكْرِيرٍ، مِنَ الْبَعْثِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْجَزَاءِ بَدَارِ النِّعَمِ أَوْ بَدَارِ الْعَذَابِ، لَوْعَدٌ صَادِقٌ، وَلَيْسَ لِمُجَرَّدِ التَّخْوِيفِ وَالتَّرْهِيبِ وَالْإِيهَامِ بِأَشْيَاءَ لَنْ يَكُونَ لَهَا وَجُودٌ حَقِيقِيٌّ. وَإِنَّ الَّذِينَ وَهُوَ الْجَزَاءُ عَلَى مَا يَكْسِبُهُ الْمُؤْضِعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، لِأَمْرٍ وَاقِعٍ لَا مَحَالَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

• ﴿لَوْفَعُ﴾: أي: لَسَوْفَ يَقَعُ فِعْلًا بِتَقْدِيرِنَا وَسُلْطَانِ قَضَائِنَا وَخَلْقِنَا.

اسم «الفاعل» وهو «واقع» مُسْتَعْمَلٌ بَدَلَ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ، وَهُوَ هُنَا يَدُلُّ عَلَى الْاسْتِقْبَالِ.

وَجَاءَتِ الْجُمْلَتَانِ فِي الْآيَتَيْنِ (٥ و ٦) مُؤَكَّدَتَيْنِ بِالْمُؤَكَّدَاتِ التَّالِيَاتِ: «إِنَّ - وَالْجُمْلَةَ الْأَسْمِيَّةَ - وَاللَّامَ الْمَرْخَلَةَ - وَالْقَسَمَ الْمَسْلُطَ عَلَيْهِمَا بِالرِّيَّاحِ».

وبهذا انتهت تدبر الدرس الأول من دروس سورة (الذاريات).

والحمد لله على معاونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٥)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الذاريات)  
الآيات من (٧ - ١٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَ أُولَئِكَ ﴿٩﴾

قِيلَ الْخَرْصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٢﴾

يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٤﴾ .

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ قَسَمٌ بِبَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ مُوجَّهٌ مِنَ اللَّهِ لِلْكَافِرِينَ، عَلَى أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ وَحْدَةٌ فِكْرِيَّةٌ يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهَا فِي قَضَايَا الدِّينِ، بَلْ أَقْوَالُهُمْ فِيهَا الْمَعْبَرَاتُ عَنْ مَفْهُومَاتِهِمْ مُتَخَالِفَةٌ، قَدْ يَصِلُ التَّخَالُفُ فِيهَا إِلَى التَّضَادِّ وَالتَّنَاقُضِ، وَالسَّبَبُ فِي هَذَا اعْتِمَادُهُمْ فِيهَا عَلَى الظُّنُونِ الضَّعِيفَةِ وَالْأَكَاذِيبِ، فَهُمْ بِسَبَبِهَا مُبْعَدُونَ عَنْ مَوَاقِعِ الْحَقِّ فَلَا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ، وَهُمْ مُنْعَمِسُونَ فِي أُمُورِ شَهَوَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ سَاهُونَ، وَيَتَلَمَّظُونَ لاسْتِبْعَادِ يَوْمِ الدِّينِ بِالسُّؤَالِ عَنْ زَمَنِ وَقُوعِهِ، لَكِنَّهُمْ سَوْفَ يَنَالُونَ عَذَابَ تَكْذِيبِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، وَسَوْفَ يُقَالُ لَهُمْ: ذُوقُوا عَذَابَ كُفْرِكُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنتُمْ تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ تَغْيِيرًا عَنْ إِنْكَارِكُمْ لَهُ، وَتَكْذِيبِكُمْ رَسُولَ رَبِّكُمْ، وَتَكْذِيبِكُمْ بِكِتَابِهِ .

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُتَخَلِّفٍ ﴿٨﴾﴾ :

• ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾﴾ :

ذَاتِ الْحُبُكِ: أي: ذَاتِ الطَّرَائِقِ الْمُحْكَمَةِ الَّتِي تَسِيرُ ضِمْنَ حُدُودِهَا النُّجُومُ وَالْكَوَاكِبُ وَالْمَجَرَّاتُ بِإِتْقَانٍ عَجِيبٍ مُدْهِشٍ .

الْحُبُكُ: جَمْعُ «الْحَبِيكَةِ» وَهِيَ كُلُّ طَرِيقَةٍ مِنْ خُصَلِ الشَّعْرِ، وَكُلُّ طَرِيقَةٍ مِنْ طَرَائِقِ الرَّمْلِ فِيمَا تَحْبِكُهُ الرِّيَّاحُ إِذَا جَرَتْ عَلَيْهِ، وَكُلُّ طَرِيقَةٍ مِنْ طَرَائِقِ الْمَاءِ الْمُنْبَسِطِ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ فَجَعَلَتْ عَلَى سَطْحِهِ تَجَاعِيدَ كَأَنَّهَا بِتَمَوُّجَاتِهَا الدَّقِيقَةِ طَرَائِقُ .

وَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ: ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ أَنَّهَا ذَاتُ الْخَلْقِ الْمُحْكَمِ الْمَتَمَاسِكِ الْقَوِيِّ.

والمعنى اللُّغَوِيُّ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَلَائِمُ لِعَظَمَةِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ، وَهُوَ الْمُطَابِقُ لِمَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ عُلَمَاءُ الْأَجْرَامِ الْعُلْيَا فِي السَّمَاوَاتِ، مِنْ أَنَّ كُلَّ الْكَوَاكِبِ وَالنُّجُومِ وَالْمَجَرَّاتِ تَجْرِي سَابِحَةً فِي أَفْلَاكِهَا فِي مَسِيرَاتِهَا ضِمْنَ نِظَامٍ مُتَقَنَّ عَجِيبٍ، فَلَا يَضْطَلِدُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، مَعَ ضَبْطِ كُلِّ مُتَحَرِّكِ مِنْهَا بِنِظَامِ الْجَاذِبِيَّةِ الْمُدْهَشَةِ.

على أَنَّ الْمَعْنَى الَّتِي جَاءَ عِنْدَ الْمَفْسِّرِينَ هِيَ مِنْ لَوَازِمِ الْمَعْنَى اللُّغَوِيِّ لِلْحُبُكِ، فَكَوْنُ كَوَاكِبِ السَّمَاءِ وَنُجُومِهَا وَمَجَرَّاتِهَا ذَوَاتِ طُرُقٍ تَسِيرُ فِيهَا بِانْتِظَامٍ رَائِعٍ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَا لَمْ تَكُنِ السَّمَاءُ ذَاتَ خَلْقٍ مُحْكَمٍ الْبِنَاءِ مُتَمَاسِكٍ قَوِيٍّ.

• ﴿إِنكُم لَئِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾:

أَي: إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْكَافِرُونَ فِي الْأَرْضِ لَيْسَ لَكُمْ وَحْدَةً فِكْرِيَّةً جَامِعَةً لِعَقَائِدِكُمْ وَمَفْهُومَاتِكُمْ حَوْلَ الْوُجُودِ وَالْحَيَاةِ وَالنَّشْأَةِ وَالْمَصِيرِ، بَلْ أَنْتُمْ فِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي تُثَبِّتُهُ الْبَرَاهِينُ وَالْأَدِلَّةُ الْمَقْبُولَةُ فِي مَقَايِسِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ، وَفِي قَوْلٍ عَامٍّ مُخْتَلِفٍ الْإِتِّجَاهَاتِ مُتَضَارِبٍ وَمُتَضَادٍّ وَمُتَنَاقِضٍ. فَمِنْكُمْ مَنْ يُنْكِرُ وُجُودَ رَبِّ لِلْكَوْنِ وَيَجْعَلُ تَصَارِيفَ الْكَوْنِ تَجْرِي بِنَفْسِهَا دُونَ رَبِّ يُدَبِّرُ وَيُقَدِّرُ وَيَقْضِي وَيَخْلُقُ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِأَرْبَابٍ مُتَعَدِّدِينَ لَوْ كَانَ لَهُمْ وُجُودٌ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَمِنْكُمْ مَنْ يَجْعَلُ لِلَّهِ شُرَكَاءَ فِي إِلَهِيَّتِهِ عَلَى خِلَافِ مَنْطِقِ الْعَقْلِ وَأَدِلَّتِهِ. وَمِنْكُمْ مَنْ يُنْكِرُ الْجَزَاءَ الرَّبَّانِيَّ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَكُلُّ فَرِيقٍ مِنْكُمْ لَهُ مَفْهُومَاتٌ مُخْتَلِفَاتٌ عَنْ مَفْهُومَاتِ الْفُرَقَاءِ الْآخَرِينَ بِشَأْنِ أَنْظِمَةِ السُّلُوكِ فِي الْحَيَاةِ، وَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ عَمَّا هُوَ خَيْرٌ وَصَالِحٌ وَحَسَنٌ، بَلْ فِيهَا ضَرٌّ وَظُلْمٌ وَعُدْوَانٌ وَفَسَادٌ وَإِفْسَادٌ فِي الْأَرْضِ.



وَسَبَقَ أَنْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِهِمْ فِي سُورَةِ (ق/ ٣٤ نزول):

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾﴾.

مَرِيج: كَلِمَةٌ تَدُورُ حَوْلَ الْمَعَانِي التَّالِيَةِ: «مُلْتَوٍ أَعْوَج، مُلْتَبِسٌ مُخْتَلِطٌ، مُخْتَلِفٌ، مُضْطَرَبٌ، قَلِقٌ، فَاسِدٌ».

وَهُنَا فِي سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ/ ٦٧ نُزُولٍ) خَاطَبَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِقَوْلِهِ مُؤَكِّدًا:

• ﴿إِنَّا لَنَرِي قَوْلَ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾﴾.

جَاءَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ مُؤَكِّدَةً بِالْمُؤَكِّدَاتِ التَّالِيَاتِ: «الْقَسَمَ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ - إِنَّ - الْجُمْلَةَ الْاسْمِيَّةَ - اللَّامُ الْمَرْحَلَةُ».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ﴿٩﴾﴾.

أَي: يُصْرِفُ مِنْكُمْ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ الْمُخْتَلِفِ الْبَاطِلِ، إِلَى صِرَاطِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْهُدَى الَّذِي يَدْعُوكُمْ رَسُولُ رَبِّكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ وَاتِّبَاعِهِ، مَنْ صُرِفَ بِاسْتِجَابَتِهِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، فَمَنْ اسْتَجَابَ لِقَضَايَا الْإِيمَانِ الْكُبْرَى، وَأَسْلَمَ لِلَّهِ طَائِعًا مُخْتَارًا، أَعَانَهُ اللَّهُ وَزَادَهُ تَوْفِيقًا، فَصَرَفَهُ عَنْ كُلِّ أَوْهَامٍ وَضَلَالَاتٍ الْمُضِلِّينَ فِي الْحَيَاةِ، مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْفُرُوعِ وَأَنْوَاعِ السُّلُوكِ، فَلَا تَخْدَعُهُ رَأْسَمَالِيَّةٌ، وَلَا اشْتِرَاكِيَّةٌ، وَلَا شَيْعُوَّةٌ، وَلَا دِيمَقْرَاطِيَّةٌ، وَلَا سَائِرَ الْآرَاءِ وَالْمَفْهُومَاتِ الْبَاطِلَاتِ مِنْ أَوْضَاعِ النَّاسِ.

فَمَنْ اخْتَارَ سُلُوكَ صِرَاطِ اللَّهِ سَدَّدَهُ اللَّهُ، وَصَرَفَهُ عَنِ الْمِيلِ إِلَى الطَّرِيقِ الْجَانِبِيَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْهُ، وَالْمُنْحَدِرَةِ إِلَى أَوْدِيَةِ الْفَسَادِ وَالْإِفْسَادِ وَالْعَذَابِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قِيلَ الْخَرَّصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمَرِهِمْ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ

الَّذِينَ ﴿١٢﴾﴾.

• ﴿ثُلَّ﴾: أي: لُعِنَ وَطُرِدَ، جاء التَّعْبِيرُ بِالْقَتْلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى اللَّعْنِ وَالطَّرْدِ، لِأَنَّ الْقَتْلَ أْبْلَغُ إِذْ فِيهِ صَرْفُ الْحَيِّ مِنَ الْوُجُودِ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ فِيهِ شَيْئًا.

• ﴿الْخَرَّصُونَ﴾ جمع «الْخَرَّاصِ» وَهُوَ الْكَذَّابُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الَّذِي يَقْدِّرُ الْأُمُورَ بِالظَّنِّ الضَّعِيفِ الَّذِي لَا يَصِحُّ أَنْ يُعْتَمَدَ عَلَيْهِ لِإثْبَاتِ قَضِيَّةٍ مَا، أَوْ نَفْيِ قَضِيَّةٍ مَا، مِنْ الْقَضَايَا ذَوَاتِ الشَّأْنِ.

• ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرٍ سَاهُونَ﴾ (١١): أي: الَّذِينَ هُمْ مُنْغَمِسُونَ فِي ضَلَالَةٍ، تَارِكُونَ النَّظَرَ فِي بَرَاهِينِ الْحَقِّ وَأَدِلَّتِهِ.

الْعُمْرَةُ: الضَّلَالَةُ الَّتِي تَغْمُرُ صَاحِبَهَا. وَتَأْتِي بِمَعْنَى الْمَاءِ الْكَثِيرِ الْغَامِرِ لِمَنْ نَزَلَ فِيهِ.

سَاهُونَ: أي: غَافِلُونَ تَارِكُونَ النَّظَرَ فِي بَرَاهِينِ دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ.

• ﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (١٢): أي: يَتَعَلَّلُونَ لِإِنْكَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الْحِسَابُ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزُ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ، بِالسُّؤَالِ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ يَوْمُ الدِّينِ، وَهُوَ يَوْمُ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ.

أَيَّانَ: اسْمُ اسْتِفْهَامٍ يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنِ الزَّمَانِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِيمَا يُرَادُّ اسْتِعْظَامُهُ، وَاسْتِعْرَابُهُ، وَاسْتِيعَادُهُ.

جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ (١٠ - ١٢) لِلدَّلَالَةِ بِأَسْلُوبٍ غَيْرِ مُبَاشِرٍ، عَلَى أَنَّ دَاءَ الْمُخَاطَبِينَ، وَهُمْ الْكَافِرُونَ الْمُنْغَمِسُونَ فِي قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ، فَلَيْسَ لَهُمْ وَحْدَةً فِكْرِيَّةً اعْتِقَادِيَّةً جَامِعَةً يَرْجِعُ إِلَى ثَلَاثَةِ جُذُورٍ:

الْجَذْرُ الْأَوَّلُ: الْخَرَصُ، وَهُوَ الْكَذِبُ الصُّرَاحُ، وَاعْتِمَادُ الظُّنُونِ الضَّعِيفَةِ التَّوْهُمِيَّةِ أَحْيَانًا، فِي قَضَايَا تَحْتَاجُ بَرَاهِينَ وَأَدِلَّةً يَقِينَةً تُفِيدُ الْعِلْمَ الْيَقِينِيَّ.

الْجَذْرُ الثَّانِي: انْغَمَسُهُمْ فِي أَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَلَذَاتِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَهُمْ سَاهِينَ غَافِينَ عَنْ بَرَاهِينِ دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، وَمَسْوِقِينَ إِلَى ضَلَالَاتٍ غَامِرَاتٍ لَهُمْ.

الْجَذْرُ الثَّالِثُ: مُحَاوَلَاتُهُمْ لِسِتْرِ انْجِرَافِهِمْ عَنِ الْحَقِّ الْمُؤَيَّدِ بِالْبَرَاهِينِ الَّتِي تُفِيدُ الْعِلْمَ الْيَقِينِيَّ، بِتَوَجُّهِهِ تَعَلَّاتٍ لَا يَدْعُمُهَا فِكْرٌ سَلِيمٌ يُوهِّمُونَ بِهَا أَنَّهُمْ مَعْذُورُونَ فِي عَدَمِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ.

فَأَبَانَ اللَّهُ لَهُمُ الْوَعِيدَ بِعَذَابِ الْحَرِيقِ بِالنَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، مُقَابِلَ تَعَلُّلِهِمُ الْبَاطِلَ بِالسُّؤَالِ عَنِ الزَّمَنِ الَّذِي سَوْفَ يَكُونُ فِيهِ، وَهُمْ جَاحِدُونَ اسْتِغْرَابًا، وَاسْتِيعَادًا. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

• ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارٍ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

أَصْلُ مَعْنَى الْفِتْنِ: صَهْرُ الشَّيْءِ فِي النَّارِ لِاخْتِبَارِهِ، كَمَا يَفْعَلُ الصَّائِغُ فِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، تَقُولُ: «فَتَنَ الصَّائِغُ الذَّهَبَ يَفْتِنُهُ فِتْنًا وَفُتُونًا» أَي: أَذَابَهُ بِالنَّارِ لِيُخْتَبِرَهُ.

وَمِنَ التَّوَسُّعَاتِ اللَّغَوِيَّةِ إِطْلَاقُ الْفِتْنَةِ عَلَى الْإِحْرَاقِ بِالنَّارِ أَوِ التَّعْذِيبِ بِهَا عِقَابًا. وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُرَادُ فِي هَذَا الْبَيَانِ كَمَا يَظْهَرُ.

فَالْمَعْنَى: إِنَّهُمْ سَوْفَ يَتَحَسَّرُونَ وَيَنْدَمُونَ وَلَا يَكُونُ لَهُمْ خَلَاصٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ بِالْحَرِيقِ، يَوْمَ هُمْ عَلَى لَهَبِ النَّارِ يُعَذَّبُونَ، عِقَابًا لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِالْحَقِّ الَّذِي بَلَّغَهُمْ إِيَّاهُ رَسُولُ رَبِّهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ بِالْحَرِيقِ: ذُوقُوا عَذَابَكُمْ الَّذِي رَفَضْتُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ حِينَمَا كُنْتُمْ فِي رِخْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَيُقَالُ لَهُمْ أَيْضًا: هَذَا الَّذِي تَذُوقُونَهُ الْيَوْمَ هُوَ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ تَغْيِيرًا عَنْ تَكْذِيبِكُمْ بِهِ تَكْذِيبًا لَا مُسَوِّغَ لَهُ إِلَّا مُجَرَّدُ الْاسْتِيعَادِ وَالْاسْتِغْرَابِ دُونَ مُحَاكَمَةِ عَقْلِيَّةٍ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّانِي مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتَّتِهِ، وَفَتَحِهِ.

(٦)

## التدبر التحليلي للدرس الثالث من دُروس سورة (الذاريات) الآيات من (١٥ - ١٩)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ يَخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿١٩﴾﴾

القراءات:

(١٥) • قرأ ابن كثير، وابنُ ذَكْوَانَ، وشُعْبَةُ، وَحَمَزَةُ، والكِسَائِيُّ: [وَعُيُونٍ] بِكسْرِ الْعَيْنِ.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةِ: [وَعُيُونٍ] بِضَمِّ الْعَيْنِ.  
وَهُمَا لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ.

تمهيد:

في هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ مَشْهَدٍ تَرْغِيْبِيٍّ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، خَاصٍ بِالْمُتَّقِينَ الَّذِينَ بَلَغُوا إِلَى مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَاتِ الَّتِي هِيَ مِنْ الْقُرْبَاتِ وَالنَّوَافِلِ، فَوْقَ فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَهَذَا الْمَشْهَدُ يُقَدِّمُ لِقِطْعَةٍ وَجِيزَةٍ مِنْ نَعِيمِهِمْ وَهُمْ يُنْعَمُونَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ مِنْ فُيُوضٍ عَطَاءَاتِهِ.

التَّدْبُرُ التحليلي:

جَاءَ فِي هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ لِقِطْعَةٍ مُجْمَلَةٍ مِنْ جَزَاءِ الْمُحْسِنِينَ، وَهُمْ

أَهْلُ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَدُونَهَا مَرْتَبَةُ الْأَبْرَارِ، وَدُونَهُمَا مَرْتَبَةُ الْمُتَّقِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ يَقْتَصِرُونَ فِي صَالِحَاتِهِمْ عَلَى فِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ ذَاتِ دَرَجَاتٍ كَثِيرَاتٍ بِحَسَبِ الْإِلْتِزَامِ.

وَلَمَّا كَانَتْ مَرْتَبَةُ التَّقْوَى أَدْنَى مَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ تَحَقُّقُهَا شَرْطًا فِي الِارْتِقَاءِ إِلَى مَا فَوْقَهَا، كَانَ الْحَدِيثُ عَنِ الْمُتَّقِينَ مَدْخَلًا إِلَى الْحَدِيثِ عَنْ ثَوَابِ الْمُحْسِنِينَ، لِأَنَّ الْمُحْسِنِينَ هُمْ مُتَّقُونَ وَأَبْرَارٌ مَعَ زِيَادَةِ إِحْسَانٍ، وَفِيهِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْمَرَاتِبَ الْأَدْنَى شُرُوطٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلِارْتِقَاءِ إِلَى الْمَرَاتِبِ الْأَعْلَى.

• ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾: أَي: إِنَّ الَّذِينَ أَدَّوْا حُقُوقَ مَرْتَبَةِ التَّقْوَى، وَزَادُوا عَلَيْهَا مِنَ النَّوَافِلِ وَالْقُرْبَاتِ، حَتَّى دَخَلُوا فِي دَرَجَاتِ مَرْتَبَةِ الْبِرِّ، ثُمَّ زَادُوا مِنَ صَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ حَتَّى ارْتَقَوْا إِلَى دَرَجَاتِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، هَؤُلَاءِ يَكُونُونَ فِي جَنَّاتِ سَامِيَّاتِ الرَّفْعَةِ، وَفِي عُيُونٍ كَثِيرَاتٍ مِنْ لَبَنٍ، وَعَسَلٍ مُصَفًّى، وَمَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ، وَخَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ.

• ﴿عَايِذِينَ مَاءً عَذْبًا دُرَّةً أَمْثَلُهَا رُءُوسُ الْغَنَى ﴿١٦﴾﴾: أَي: إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ بِهِ يَنْعَمُونَ.

• ﴿... إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُجْسِنِينَ ﴿١٧﴾﴾: أَي: إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ إِذْ كَانُوا فِي رِحْلَةٍ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مُجْسِنِينَ أَبْرَارًا مُتَّقِينَ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ أَنَّهُمْ:

• ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾:

الْهَجُوعُ: النَّوْمُ فِي اللَّيْلِ، يُقَالُ لُغَةً: «هَجَعَ، يَهْجَعُ، هَجْعًا، وَهَجُوعًا» أَي: نَامَ لَيْلًا.

أَي: يَقُومُونَ مُعْظَمَ اللَّيْلِ يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ، وَهَذَا مِنْ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ.

• ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٨) :

أي: فَإِذَا جَاءَتْ أَوْقَاتُ السَّحَرِ اجْتَهِدُوا فِي سُؤَالِ اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَهُمْ سَوَابِقَ ذُنُوبِهِمْ وَتَقْصِيرَاتِهِمْ. وَهَذَا أَيْضاً هُوَ مِنْ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، إِذْ يَخْصُصُونَ آخِرَ اللَّيْلِ لِلِاسْتِغْفَارِ.

الْأَسْحَارُ : جَمْعُ «السَّحَرِ» وَهُوَ أَوَاخِرُ اللَّيْلِ قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ.  
وَجَاءَ تَوْكِيدُ الصِّفَةِ هَذِهِ بِضَمِيرِ الْفَضْلِ «هُمْ».

• ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٩) :

نَزَلَ هَذَا قَبْلَ فَرَضِ الزَّكَاةِ بِتَحْدِيدِ مِقْدَارِ الْوَاجِبِ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَبِتَحْدِيدِ الْأَنْصِبَةِ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ.

فَهُمْ مُحْسِنُونَ إِذْ جَعَلُوا فِي أَمْوَالِهِمْ حَقًّا يَبْذُلُونَهُ لِّلْسَائِلِ الْمَسْكِينِ، وَلِلْفَقِيرِ الْمَحْرُومِ مِمَّا يَكْفِيهِ وَيَكْفِي مَنْ يَعُولُهُمْ مِنْ أَسْرَتِهِ، وَكَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فَرِيضَةُ الزَّكَاةِ الْمُحَدَّدَةِ بِمَقَادِيرِهَا، وَبِالْأَنْصِبَةِ الَّتِي تَجِبُ فِيهَا الزَّكَاةُ عَلَى كُلِّ ذِي مَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، قَدْ بَلَغَ مَا يَمْلِكُ مِنْ مَالِ النَّصَابِ الَّذِي تَجِبُ عَلَيْهِ فِيهِ الزَّكَاةُ.

هَذَا الْبَيَانُ الَّذِي جَاءَ فِي هَذَا الدَّرْسِ مِنْ أَبْرَعِ وَأَدْقِ الْبَيَانَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى مَرَاتِبِ الْمُؤْمِنِينَ، مَعَ دَلَالَاتٍ نُصُوصٍ أُخْرَى:

(١) مَرْتَبَةُ التَّقْوَى، وَهِيَ مَرْتَبَةُ الْمُتَّقِينَ، ذَاتِ الدَّرَجَاتِ الْمُتَفَاعُلَاتِ.

(٢) وَمَرْتَبَةُ الْبِرِّ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ الْأَبْرَارِ، ذَاتِ الدَّرَجَاتِ الْمُتَفَاعُلَاتِ.

(٣) وَمَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ الْمُحْسِنِينَ، ذَاتِ الدَّرَجَاتِ الْمُتَفَاعُلَاتِ.

وبِهَذَا انْتَهَى تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْنِهِ، وَفَتْحِهِ.

(٧)

## التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (الذاريات) الآيات من (٢٠ - ٢٣)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَقِّينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ لَحَقُّ يَنَلِّ مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

القراءات:

(٢٣) • قرأ شُعْبَةَ، وَحَمْزَةً، وَالْكَسَائِيَّ وَخَلَفَ: [مِثْلُ] بِالرَّفْعِ وَضَفًا لـ «حَقٌّ».

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [مِثْلُ] بِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّهَا حَالٌ.

تمهيد:

في هذا الدرس حثٌّ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ فِي الْأَرْضِ وَفِي الْأَنْفُسِ، وَهُوَ مُوجَّهٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْخِطَابِ الْمُبَاشِرِ لِلَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بَعْدُ، وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّ إِلَهَتَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ هِيَ الَّتِي تَرْزُقُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ، فَأَبَانَ اللَّهُ لَهُمْ أَنَّ رِزْقَهُمْ فِي السَّمَاءِ بِأَوَامِرِ رَبَّانِيَّةٍ، وَكَذَلِكَ مَا يُوعَدُونَ مِنْ جَزَاءٍ بِأَوَامِرِ رَبَّانِيَّةٍ. وَأَقْسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِرُبُوبِيَّتِهِ لِلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، عَلَى أَنَّ هَذَا حَقٌّ مُمَاتِلٌ لِمَا يَنْطِقُونَ بِالسَّنَنِهِمْ فِي حَرَكَةِ حَيَاتِهِمْ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِلَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بَعْدُ:

• ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَقِّينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾: ﴿٢٠﴾

أي: وتُوجد في الأرضِ المعدّة لإقامتِكُمْ وكلِّ تصاريفِ حيواتِكُمْ، وتُوجد في أنفُسِكُمْ، آياتٌ كثيراتٌ لا تستطِيعُونَ إحصاءَها ولا حصرَها، مادّيّةٌ ومعنويّةٌ، مشهُودَةُ الدَّوَاتِ وَغَيْرُ مشهُودَةِ الدَّوَاتِ، وَلَكِنْ لَهَا آثارٌ ظاهراتٌ، كأجهزةِ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ، وأجهزةِ العَوَاطِفِ النفسِيّةِ، وكقوى الجاذبيّاتِ في الأشياءِ، وكثيرٍ مِنَ الطّاقاتِ.

وهذه الآياتُ الكثيراتُ دالاتٌ على رُبوبيّةِ الله لِكَوْنِهِ الّتي لا يُشاركُهُ فيها شيءٌ، وَمَتَى ثَبَّتْ حَقِيقَةُ أَنَّ اللهَ هُوَ وَحْدَهُ الرَّبُّ الَّذِي لا يُشاركُهُ شيءٌ ولا أَحَدٌ في رُبوبيّتهِ، كَانَ مِنَ اللّازِمِ العَقْلِيِّ البَدْهِيِّ أَنَّهُ لا إِلَهَ في الوجودِ كُلِّهِ غَيْرُهُ، فَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ وَحْدَهُ لِأَن يُعْبَدَ.

وَلَكِنْ الَّذِي يَصِلُ إِلَى هَذِهِ الْحَقِيقَةِ وَيَسْتَمْسِكُ بِهَا، هُمُ الَّذِينَ لَدَيْهِمُ الاسْتِعْدَادُ النَّفْسِيُّ لِأَن يُوقِنُوا بِالْحَقِّ الَّذِي تَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ بَرَاهِينُهُ وَأَدِلَّتُهُ، وَلِأَن يُؤْمِنُوا بِهِ، وَيَتَّبِعُوهُ.

• ﴿... أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ﴿٢١﴾؟ اسْتَفْهَامٌ يُرَادُ بِهِ الْحَثُّ عَلَى الْبَحْثِ والتَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ الله فِي الْأَرْضِ وَفِي الْأَنْفُسِ، لِلْوُصُولِ إِلَى الْعِلْمِ الْبَقِييْنِ الْمُشَابِهِ لِلْعِلْمِ الَّذِي يَحْصُلُ عَنْ طَرِيقِ الْإِذْرَاكِ الْبَصَرِيِّ.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:

• ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَطْقُونَ ﴿٢٣﴾:

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ إِلَهَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللهِ هِيَ الَّتِي تَرْزُقُهُمْ، فَأَبَانَ اللهُ أَنَّ رِزْقَ الْأَحْيَاءِ فِي السَّمَاءِ وَإِنَّمَا يَتِمُّ بِأَوَامِرِ رَبَّانِيَّةٍ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ دُونِ اللهِ فِي السَّمَاءِ تَأْثِيرٌ فِي تَقْدِيرِ الْأَرْزَاقِ وَالْقَضَاءِ بِهَا، وَخَلَقَهَا، غَيْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.



وَأَتَّبَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَضِيَّةَ مَا يُوعَدُ الْمَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
مَوْضِعَ الْإِنْتِلَاءِ مِنْ جَزَاءٍ، وَلَا سِيَّما الْجَزَاءَ الْأَكْبَرَ يَوْمَ الدِّينِ بَعْدَ الْبُعْثِ،  
بِقَضِيَّةِ الرِّزْقِ، فَأَوَامِرُ تَحْقِيقِهَا فِي أَوْقَاتِهَا الْمُحَدَّدَةِ، أَوَامِرُ رَبَّانِيَّةٍ تَنْزِلُ مِنَ  
السَّمَاءِ كَأَوَامِرِ الْأَرْزَاقِ.

وَأَقْسَمَ اللَّهُ بِرُبُوبِيَّتِهِ لِلْسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، عَلَى أَنْ مَا ذَكَرَ بِشَأْنِ قَضِيَّتِي  
الرِّزْقِ وَالْجَزَاءِ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ.

هَلْ تَشْعُرُونَ بِشَكٍّ فِي أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ، حِينَمَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْبِرُوا  
بِأَفْوَاهِكُمْ وَبِنُطْقِكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا فِي نَفُوسِكُمْ؟!  
الجواب: لَا.

كَذَلِكَ قَضَيْتَا رِزْقَكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ، لَا أَحَدٌ يَتَصَرَّفُ فِيهِمَا إِلَّا اللَّهُ -  
جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - بِأَوَامِرٍ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ لَدُنْهِ.

• ﴿... إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَطْقُونَ﴾ (١٣) أي: إِنَّهُ لَحَقٌّ حَالَةً  
كَوْنِهِ مُشَابِهًا لِنُطْقِكُمْ، بِحَسَبِ قِرَاءَةِ النَّصْبِ.

وإِنَّهُ لَحَقٌّ مُمَازِلٌ لِلنُّطْقِ الَّذِي تَنْطِقُونَهُ، بِحَسَبِ قِرَاءَةِ الرَّفْعِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الرَّابِعِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٨)

التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (الذَّارِيَّاتِ)

الآيات من (٢٤ - ٣٧)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ

سَلَّمَ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْضُ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَالِمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ أَمْرَاتُهُ فِي صَرْفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴿٣١﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٢﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٤﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَزَكَّا فِيهَا ءَايَةَ لِلَّذِينَ لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٨﴾.

### القراءات:

(٢٤) • قرأ هشام: [إِبْرَاهَامَ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [إِبْرَاهِيمَ]. وهما نَظْقَان لاسمِهِ عَلَيْهِ السَّلَام.

(٢٥) • قرأ حمزة، والكِسائي: [قَالَ سَلَّمَ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [قَالَ سَلَامَ].  
ومؤدَّاهما وَاحِدٌ، فَالسَّلَامُ وَالسَّلَامُ كِلَاهُمَا تَأْمِينٌ وَتَحِيَّةٌ.

(٢٧) • قرأ حمزة، ويعقوب: [إِلَيْهِمْ] بضم الهاء.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [إِلَيْهِمْ] بِكسر الهاء.  
وهما نَظْقَانِ عَرَبِيَّانِ.

### تَمْهِيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ لَقَطَاتٍ مُوجَزَاتٍ مِنْ قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَقِصَّةِ لُوطٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَإِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطِ الْمُجْرِمِينَ.

### التدبر التحليلي:

سَبَقَ تَدَبُّرَ آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَدَبُّراً تَكَامُلِيًّا مَعَ سَائِرِ النُّصُوصِ

الْمَتَعَلِّقَةِ بِشَأْنِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَوْمِهِ الْمَجْرِمِينَ، فِي الْمُلْحَقِ الْخَامِسِ مِنْ مَلَاحِقِ تَدْبِيرِ سُورَةِ (الأعراف/ ٣٩ نزول)<sup>(١)</sup>، فَأَقْتَصِرُ هُنَا عَلَى تَدْبِيرِ فِقَرَاتِ هَذَا الدَّرْسِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَى إِلَهُهُ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾.

الاستفهام بـ «هَلْ» هُنَا يُفِيدُ مَعْنَى: خُذْ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي حَدِيثَ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمِ.

«ضَيْفٌ»: يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْأَثْنَيْنِ فَأَكْثَرُ، وَالْمَرَادُ عَدَدٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ عَلَى شَكْلِ ضُيُوفٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَوَصَفُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُمْ مُكْرَمُونَ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِبَشَرًا، بَلْ هُمْ مَلَائِكَةٌ، إِذْ جَاءَ وَصَفُ الْمَلَائِكَةِ فِي الْآيَةِ (٢٦) مِنْ سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءُ/ ٢١ مصحف/ ٧٣ نزول) بِأَنَّهُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ.

• ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾:

«إِذْ» بِمَعْنَى «حِينَ» أَي: حِينَ دَخَلُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَقَدْ بَدَّوْهُ بِالْتَّحِيَّةِ قَائِلِينَ لَهُ: «سَلَامًا» أَي: نُسَلِّمُ عَلَيْكَ سَلَامًا، لَفْظُ «سَلَامًا» مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ.

• ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾: أَي: قَالَ: تَحِيَّاتِي لَكُمْ: سَلَامٌ.

قال الْبَلَاغِيُّونَ: «سَلَامٌ» جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ مَعَ الْمَبْتَدَأِ الْمَحذُوفِ. و«سَلَامًا» جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ مَعَ الْعَامِلِ الْمَحذُوفِ وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ أَقْوَى وَآكَدُ مِنَ الْجُمْلَةِ الْفِعْلِيَّةِ. وَعَلَى هَذَا فَقَدْ رَدَّ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَحِيَّةَ الضُّيُوفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِأَحْسَنَ مِنْهَا.

• ﴿... قَوْمٌ مُّشْكُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾: أي: أَنْتُمْ قَوْمٌ لَا أَعْرِفُ أَشْخَاصَكُمْ، وَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ، وَلَكِنْ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ ضِيَافَتِكُمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿فَرَّغَ إِلَيْكَ أَهْلَهُ فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

• ﴿فَرَّغَ﴾: أي: فَذَهَبَ بِخَفَّةٍ وَسُرْعَةٍ لِضِيَافَتِهِمْ وَإِكْرَامِهِمْ، دُونَ أَنْ يُظْهِرَ عَلَامَاتِ إِرَادَةِ إِكْرَامِهِمْ، مِنْ شِدَّةِ مَا لَدَيْهِ مِنْ جُودٍ وَسَخَاءِ نَفْسٍ.

ذَلَّتِ «الْفَاءُ» فِي ﴿فَرَّغَ﴾ عَلَى سُرْعَةٍ ذَهَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَهْلِهِ عَقِبَ قُدُومِ الضَّيْفِ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَجْهَلُ مَنْ هُمْ.

• ﴿... فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾﴾ وَجَاءَ فِي سُورَةِ (هُود/ ٥٢ نزول) بَيَانُ أَنَّهُ جَاءَ بِعِجْلِ حَنِيزٍ. أي: فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ مَشْوِيٍّ بِالْدَّسِّ فِي النَّارِ، أَوْ فِي حِجَارَةٍ مُحَمَّاةٍ بِالنَّارِ.

لَقَدْ كَانَتْ قُطْعَانُ الْأَبْقَارِ هِيَ الْمَفْضَلَةُ فِي مَوَاشِيهِمْ، وَكَانَتْ ثُرُوءُ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنَ الْمَوَاشِي، وَهِيَ تَرْعَى مِنَ الْكَلَالِ الْمَبَاحِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ لَحْمَ الْعِجْلِ السَّمِينِ أَطْيَبُ وَاللَّدُّ مِنْ لُحُومِ الْأَبْقَارِ الْكَبِيرَةِ.

وَذَلَّتِ «الْفَاءُ» فِي: ﴿فَجَاءَ﴾ عَلَى سُرْعَةِ عَوْدَتِهِ بِالْعِجْلِ السَّمِينِ الْمَشْوِيِّ.

وَيُظْهِرُ أَنَّ مَطْبَخَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ أَهْلِهِ قَدْ كَانَ مُسْتَعِدًّا دَوَامًا

لَتَقْدِيمِ الطَّعَامِ الْمَطْهُورِ النَّاصِحِ لِلضُّيُوفِ الَّذِينَ يَأْتُونَهُ نَهَاراً أَوْ لَيْلاً .  
 وَدَلَّ جَهْلُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى تَقْدِيمِ الطَّعَامِ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ مِنَ  
 الْمَلَائِكَةِ، عَلَى قَابِلِيَّةِ الْمَلَائِكَةِ لِلتَّشَكُّلِ بِالشَّكَالِ الْجِسْمَانِيَّةِ الْبَشَرِيَّةِ تَشْكَالاً  
 لَا تُكْشَفُ مَعَهُ حَقِيقَتُهُمْ، حَتَّى عَلَى نَبِيِّ رَسُولٍ مِنْ أُولِي الْعِزْمِ .  
 ■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

• ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ .

عَرَضَ بِصِغَةِ الاسْتِفْهَامِ أَنْ يَأْكُلُوا مِنَ الْعِجْلِ السَّمِينِ الْمَشْوِيِّ الَّذِي  
 قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ، وَجَعَلَهُ قَرِيباً مِنْ مَكَانِ جُلُوسِهِمْ .

وَقَدْ دَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ مِنْ فَضَائِلِ الْمُضَيَّفِ وَكَرَمِهِ فِي الضِّيَافَةِ أَنْ  
 يُقَرَّبَ إِلَى ضُيُوفِهِ مَا يَأْكُلُونَهُ وَمَا يَشْرَبُونَهُ، وَقَدْ كَانَ هَذَا مِنْ عَادَاتِ  
 الْكُرَمَاءِ، قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَ النَّاسُ الْخِوَانَ الْكَبِيرَ الَّذِي تُوضَعُ حَوْلَهُ الْكَرَاسِي،  
 وَيَضَعُبُ بَقَرِيَّةً لِلضُّيُوفِ .

وَهُنَا يُوجَدُ مَطْوِيٌّ جَاءَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ (هُود/ ٥٢ نزول) فِي الْآيَةِ  
 (٧٠) وَهُوَ أَنَّ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَى لَحْمِ الْعِجْلِ وَلَا يَأْكُلُونَ مِنْهُ .

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

• ﴿فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ط قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٧٨﴾﴾ :

أَي: فَأَحَسَّ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي نَفْسِهِ خَوْفاً مِنْ غَرَضِهِمُ الَّذِي  
 جَاءُوا بِهِ، لِأَنَّهُمْ بَشَّرُوا بِحَسْبِ الظَّاهِرِ، وَلَمْ يَأْكُلُوا مِنْ طَعَامِهِ .

قَالُوا: لَا تَخَفْ إِنَّا رُسُلٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَبَعْدَ أَنْ طَمَئِنُّوهُ بِبَشْرِهِ بِغُلَامٍ  
 عَلِيمٍ .

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

• ﴿فَأَقْبَلَ آمْتَأَتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ :

أي: فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ «سَارَةَ» مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ إِذْ كَانَتْ تَتَسَمَّعُ مَا يَجْرِي، وَدَخَلَتْ عَلَيْهِمْ فِي ﴿صَرْفٍ﴾: أي: فِي ضَجَّةٍ وَصَيْحَةٍ، وَأَصْوَاتٍ وَكَلِمَاتٍ مُخْتَلِطَاتٍ، كَعَادَةِ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي فِي طِبَاعِهِنَّ حِدَّةٌ، إِذَا أَثَارَهُنَّ أَمْرٌ جَلَلٌ يَمَسُّهُنَّ ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: أي: فَضَرَبَتْ وَجْهَهَا بِكَفِّهَا عَلَى عَادَةِ النِّسَاءِ.

حَرَكَاتٌ دَلَّتْ عَلَى غَلِيَانٍ فِي نَفْسِهَا، وَهَيْجَانٍ فِي دَاخِلِهَا، بِدَافِعٍ مِنْ غَيْرَتِهَا أَنْ يَتَزَوَّجَ زَوْجُهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، زَوْجَةً ضَرَّةً لَهَا، صَالِحَةً لِأَنْ تَحْمِلَ وَتَلِدَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ النِّسَاءَ الذَّكِّيَّاتِ الْغُيُورَاتِ يُسَيِّطِرُ عَلَيْهِنَّ الْاِحْتِمَالُ الْمَكْرُوهَ لِنُفُوسِهِنَّ، وَاسْتِبْعَادُ الْاِحْتِمَالِ الْمَحْبُوبِ وَلَوْ كَانَ هُوَ الْأَرْجَى فِي الْمَوْقِفِ.

• ﴿... وَكَانَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ (٢٩): أي: كَيْفَ تُبَشِّرُونَ زَوْجِي إِبْرَاهِيمَ بَعْلَامٍ عَلِيمٍ وَأَنَا عَجُوزٌ عَقِيمٌ لَا أَلِدُ؟!

فَاعْلَمَهَا الرُّسُلُ أَنَّ الْعُلَامَ الْعَلِيمَ هُوَ وَلَدٌ لَهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٠):

أي: كَذَلِكَ الَّذِي بَشَّرْنَاكُمْ بِهِ قَالَ رَبُّكَ، وَقَوْلُهُ حَقٌّ، فَالْبِشَارَةُ لَيْسَتْ مِنْ عِنْدِنَا، وَلَيْسَتْ مِنْ أَمْرِنَا، وَإِنَّمَا هِيَ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ وَمِنْ أَمْرِهِ فَلَا تَعْجَبِي مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، إِنَّ رَبَّكَ الَّذِي هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي لَهُ الْحِكْمَةُ الْكَامِلَةُ، فَهُوَ الْحَكِيمُ، وَلَهُ الْعِلْمُ الشَّامِلُ الْكَامِلُ الْمُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ الْعَلِيمُ وَحْدَهُ.

• ﴿الْحَكِيمُ﴾: أي: الْكَامِلُ الْحِكْمَةُ، وَهُوَ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا، وَيَخْتَارُ أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ وَأَتَقَنَهَا وَأَحْسَنَهَا، مِنْ الْأُمُورِ الْمُخْتَلِفَةِ لِمَا يُعْطِي أَحْسَنَ النَّتَائِجِ.

﴿الْعَلِيمُ﴾: أي: الكاملُ العِلْم، المُحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَبِسَبَبِ كَمَالِ عِلْمِهِ وَشُمُولِهِ فَهُوَ يَخْتَارُ أَحْكَمَ الْأَشْيَاءِ، وَيُضْلِحُ مَا كَانَ سَبَبًا لِلْعُقْمِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قَالَ فَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٧﴾ مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٨﴾﴾:

أي: قال إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَا أَمْرُكُمْ وَمَا شَأْنُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ، إِذْ أَدْرَكَ أَنَّ لَهُمْ أَمْرًا جَلَلًا عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِهِ؟؟.

الْخَطْبُ: فِي اللُّغَةِ هُوَ الْأَمْرُ وَالشَّأْنُ الَّذِي تَقَعُ فِيهِ الْمُحَاطَبَةُ.

قَالُوا: إِنَّا أُرْسِلْنَا مِنْ رَبَّنَا إِلَى إِهْلَاكِ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ وَتَعْذِيبِهِمْ، وَهُمْ بِسَبَبِ كَوْنِهِمْ مُّجْرِمِينَ يَسْتَحِقُّونَ التَّعْذِيبَ وَالْإِهْلَاكَ الشَّامِلَ.

وَمِنْ وَسَائِلِ تَعْذِيبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ الشَّامِلَ، أَنْ تُرْسِلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ، أي: حِجَارَةً كَانَتْ أَصْلُهَا طِينًا فَتَحَجَّرَ، وَلَعَلَّ تَحَجُّرَهَا كَانَ بِسَبَبِ إِحْمَالِهَا بِالنَّارِ، فَهِيَ مُتَحَجَّرَةٌ مُحَمَّاةٌ شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ. وَهُمْ قَوْمٌ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• ﴿مُّسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٨﴾﴾: أي: مُّعَلَّمَةً بِعَلَامَاتٍ تَخُصُّ الْمُهْلَكِينَ بِهَا الْمُسْرِفِينَ. وَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْمَ لُوطٍ بِأَنَّهُمْ مُّسْرِفُونَ، أي: هُمْ غُلَاةٌ مُتَوَعِّلُونَ فِي الضَّلَالِ وَفِعْلِ الْجَرَائِمِ وَالْآثَامِ وَكِبَائِرِ الْفَوَاحِشِ وَالْمُنْكَرَاتِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾ فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَزَكَّا فِيهَا ءَابَاءَ الَّذِينَ يُحَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٤١﴾﴾:

طَوَى الْبَيَانَ هُنَا أَخْذَاتًا كَثِيرَةً جَاءَ تَفْصِيلُهَا فِي نُصُوصٍ قَرَأْنِيَّةٍ أُخْرَى،  
وَأَقْتَصَرَ عَلَى فِقْرَتَيْنِ مِنْ أَحْدَاثِ إِهْلَاكِ قَوْمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الفقرة الأولى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَا وَحَدْنَا فِيهَا غَيْرَ  
بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٦﴾﴾.

أي: فَأَصْدَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَهُ لِلرُّسُلِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمَكْلُوفِينَ أَنْ  
يُعَذِّبُوا وَيُهْلِكُوا مُجْرِمِي قَوْمِ لُوطٍ، بَأَنْ يُخْرِجُوا مِنْ كُلِّ أَرْضِهِمْ حَيْثُ تَنْزَلُ  
عَلَيْهِمْ وَسَائِلُ التَّعْذِيبِ وَالْإِهْلَاكِ، كُلُّ مُؤْمِنٍ صَادِقِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ مَنْ كَانَ  
مُؤْمِنًا بِقَلْبِهِ مُعْلِنًا بِصَدَقِ إِسْلَامِهِ وَانْقِيَادِهِ.

وَلَكِنْ بِالْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَبِالاسْتِنَادِ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ  
الشَّامِلِ، لَمْ يُوجَدْ فِي كُلِّ أَرْضٍ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ غَيْرَ بَيْتٍ وَاحِدٍ مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ، هُوَ بَيْتُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالُوا: هُوَ وَابْنَتَاهُ، أَوْ بَنَاتُهُ  
الثَّلَاثُ، أَمَّا امْرَأَةُ لُوطٍ فَقَدْ كَانَتْ كَافِرَةً وَمَعَ هَوَى قَوْمِهَا فَلَمْ تُحْسَبْ أَنَّهَا  
مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَأَهْلَكَهَا اللَّهُ مَعَ قَوْمِهَا.

الفقرة الثانية: ﴿وَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٧﴾﴾:

أي: وَتَرَكْنَا فِي الْأَرْضِ الَّتِي كَانَ هَؤُلَاءِ الْمَجْرِمُونَ الْمُسْرِفُونَ  
يَعِيشُونَ فِيهَا عَلَامَةً بَاقِيَةً دَالَّةً عَلَى مَا أَنْزَلْنَا بِهِمْ مِنْ عَذَابٍ وَتَذْمِيرٍ وَإِهْلَاكِ،  
وَهَذِهِ الْآيَةُ يَتَتَفَعُّ بِهَا الَّذِينَ يَخَافُونَ عَذَابَ اللَّهِ الْأَلِيمِ.

لَقَدْ دُفِنَتْ قُرَى قَوْمِ لُوطٍ، بَعْدَ أَنْ قُلِبَتْ فَجَعَلَ اللَّهُ عَلَيْهَا سَافِلَهَا،  
فِي قَاعِ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ، فَمَكَانُ إِهْلَاكِهِمْ مَعْرُوفٌ مَشْهُودٌ لِلَّذِينَ يَمُرُّونَ بِجَانِبِ  
هَذَا الْبَحْرِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الخامس من دروس سورة (الذاريات).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، ومتمته، وفتحِهِ.



(٩)

## التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (الذاريات) الآيات من (٣٨ - ٤٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ رُكُوعًا وَقَالَ سَحَرُ أَوْ أَجْنُونُ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْتَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ لَقِطَةٍ مُوجِزَةٍ عَنْ إِهْلَاكِ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ، إِغْرَاقًا فِي الْبَحْرِ.

التدبر التحليلي:

أي: وفي موسى نبينا ورَسُولنا آيةً لِلْمُعْتَبِرِينَ، إِذْ أَرْسَلْنَاهُ بِرِسَالَاتِنَا وَآيَاتِنَا الْعُظْمَى، الَّتِي سَبَقَ بَيَانُهَا مُفَصَّلَةٌ فِيمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنْ سُورٍ قَبْلَ سُورَةِ الذَّارِيَّاتِ، إِلَىٰ فِرْعَوْنَ، وَكَانَ مُوسَى مَضْحُوباً بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ، سُلْطَانِ الْحُجَّةِ الْبُرْهَانِيَّةِ الدَّامِغَةِ، وَسُلْطَانِ الْآيَاتِ الْخَوَارِقِ الْبَاهِرَاتِ، فَأَذْرَكَهَا فِرْعَوْنُ وَعَرَفَ أَنَّهَا حَقٌّ، وَلَكِنَّهُ أَبَى أَنْ يُؤْمِنَ وَيَسْتَجِيبَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، مُسْتَكْبِراً بِمُلْكِهِ وَجُنُودِهِ، وَتَوَلَّى مُتَبَعِداً مُدْبِراً، مُعْتِزاً بِرُكْنِ قَصْرِهِ الْفِرْعَوْنِيِّ وَمَالِهِ فِي مِصْرَ مِنْ قُوَّةِ تَخَضُّعٍ لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَسُلْطَانِهِ، فَالَرُّكْنُ يُطْلَقُ عَلَى الْقُوَّةِ النَّاصِرَةِ.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ عَنْ مُوسَى: هَذَا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، كَمَا قَالَ كُتُبَاءُ مُشْرِكِي مَكَّةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ الْجَبَّارِ: ﴿فَأَخَذْتَاهُ وَجُودَهُ﴾: أي: بتدابيرنا الْحَكِيمَةِ إِذْ جَعَلْنَاهُ وَجَيْشَهُ يُلَاحِقُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

الْخَارِجِينَ مِنْ مِصْرَ ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُمْ فَبَدَنَتْهُمْ فِي آلِيمٍ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤١﴾﴾  
فَأَعْرَفْنَاهُمْ جَمِيعاً وَقَائِدَهُمُ فِرْعَوْنُ عَاصٍ وَهُمْ لَهُ تَابِعُونَ.

النُّبْتُ: طَرَحُ الْمُنْبُوذِ طَرَحاً مَقْرُوناً بِاسْتِهَانَةٍ بِهِ. مُلِيمٌ: أَي: عَاصٍ بِمَا  
يَلَامُ وَيُعَاقَبُ عَلَيْهِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس السادس من دروس سورة (الذاريات).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(١٠)

التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (الذاريات)  
الآيتان (٤١ و ٤٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا  
جَعَلْتَهُ كَالزَّيْرِ ﴿٤٢﴾﴾.

القراءات:

(٤١) • قرأ أبو عمرو: [عَلَيْهِمُ الرِّيحَ] بكسر هاء الضمير والميم  
بَعْدَهَا.

وقرأها حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [عَلَيْهِمُ الرِّيحَ] بضم  
هاء الضمير والميم بَعْدَهَا.

وقرأها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمِ الرِّيحَ] بِكسر هاء الضمير وضم  
الميم بَعْدَهَا.

وهي وَجُوهٌ عَرَبِيَّةٌ فِي النُّطْقِ.

تَمْهيد:

في آتِي هَذَا الدَّرْسِ عَرْضُ لَفْطَةٍ مُوجَزَةٍ عَنْ إِهْلَاكِ عَادٍ قَوْمِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد سبق تَدَبُّرُ النصوصِ القرآنية تَدَبُّراً تَكَامُلِيّاً بِشَأْنِهِمْ فِي المَلْحَقِ الثَّانِي مِنْ مَلَا حَقِ تَدْبِيرِ سُورَةِ (هُود/ ٥٢ نزول).

التدبر التحليلي:

«الرَّيْحُ الْعَقِيمُ»: هِيَ الرِّيحُ الَّتِي لَا تَأْتِي بِمَطَرٍ، بَلْ قَدْ تَأْتِي بِعَذَابٍ. «الرَّيْمُ» الْبَالِي الْمَفْتَتِ الَّذِي صَارَ غَيْرَ مُتَمَاسِكٍ الذَّرَاتِ.

أَي: وَفِي قَبِيلَةِ «عَادٍ» قَوْمِ النَّبِيِّ الرَّسُولِ «هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ» آيَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ، إِذْ عَذَّبْنَا كُفَّارَهُمْ وَأَهْلَكْنَاهُمْ عَلَى مَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا بِشَأْنِهِمْ، فِيمَا أَنْزَلْنَا مِنْ سُورٍ قَبْلَ سُورَةِ الذَّارِيَّاتِ، وَكَانَتْ وَسِيلَةً تَغْذِيهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ، الَّتِي مَا تَتْرُكُ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ مِنْ أُبْنِيَّةٍ وَغَيْرِهَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ مُتَفَتِّتاً كَالرَّمَالِ النَّاعِمَاتِ، بِشِدَّتِهَا وَسُرْعَتِهَا وَقُوَّةِ تَأْثِيرِهَا، وَلَسْتُمْ يَا كُفَّارَ مَكَّةَ إِلَّا بَانَ التَّنْزِيلُ أَكْرَمَ عَلَى رَبِّكُمْ مِنْ كُفَّارِ عَادٍ، أَوْ كُفَّارِ سَائِرِ الْأُمَمِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس السابع من دروس سورة (الذاريات).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، ومثته، وفتحِهِ.



(١١)

التدبر التحليلي للدرس الثامن من دروس سورة (الذاريات)  
الآيات من (٤٣ - ٤٥)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَفِي مُوَدٍّ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمْنَعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

## القراءات:

(٤٤) • قرأ الكسائي: [الصَّعْقَةُ]. وقرأها باقي القراء العشرة: [الصَّاعِقَةُ].

الصَّعْقَةُ: الْهَلَاكُ.

الصَّاعِقَةُ: الْعَذَابُ الْمُهِلِكُ.

فَمُؤَدَّى الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِدٌ. وهما من التّفنّ في البيان.

## تَمْهيد:

في آيات هذا الدّرس عَرَضُ لَفْظَةٍ مُوجَزَةٍ عَنْ إِهْلَاكِ «ثمود» قَوْمِ النَّبِيِّ الرَّسُولِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

## التدبر التحليلي:

• ﴿فَمَتَّوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: أي: اسْتَكْبَرُوا مُتَجَاوِزِينَ أَمْرَ رَبِّهِمْ.

يقال لغة: «عَتَا، يَعْتُو، عُتُوًّا، وَعُتِيًّا، وَعِتِيًّا»: أي اسْتَكْبَرَ وَجَاوَزَ الْحَدَّ الْمُحْتَمَلَ فِي الْمَخَالِفَةِ. وَالْعَاتِي الطَّاعِيَةُ الْجَبَّارِ الْمُفْسِدِ.

أي: وفي قَبِيلَةِ «ثمود» قَوْمِ النَّبِيِّ الرَّسُولِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ آيَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ، إِذْ أُنْذِرُهُمْ رَسُولُهُمْ بِعَذَابٍ وَإِهْلَاكِ يَشْمَلُ غَيْرَ مَنْ آمَنَ وَأَسْلَمَ مِنْهُمْ، فَاسْتَكْبَرُوا وَطَعَفُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَائِلَ التَّعْذِيبِ الْمُهِلِكَةِ لَهُمْ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ، فَسَقَطُوا صَرْعَى، وَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَقُومُوا قِيَامًا مَا، وَحَاوَلُوا التَّخَلُّصَ مِنْ نَزُولِ مَا نَزَلَ بِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ مَا كَانُوا مُتَنْصِرِينَ.

«مِنْ» فِي «مِنْ قِيَامٍ» مَزِيدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ، أَصْلُهَا فَمَا اسْتَطَاعُوا قِيَامًا.

وَقَدْ سَبَقَتْ دِرَاسَةُ النُّصُوصِ الْقِرْآنِيَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِثَمُودَ وَرَسُولِهِمْ فِي الْمَلْحَقِ الثَّالِثِ مِنْ مَلَاحِقِ تَدْبِيرِ سُورَةِ (النمل/ ٤٨ نزول) فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّامِنِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الذاريات).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.

(١٢)

## التدبر التحليلي للدرس التاسع من دُرُوس سورة (الذَّارِيَّات) (الآية (٤٦))

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ .

### القراءات:

(٤٦) • قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وحمزة، والكسائي، وخَلَفَ: [وَقَوْمِ نُوحٍ] عطفًا على [وَفِي ثَمُودَ] أي: وفي قومِ نوحِ آية كما في ثمود.  
وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [وَقَوْمِ نُوحٍ] بالنَّصْب، أي: وَأَهْلَكْنَا قَوْمَ نُوحٍ وَفِي إِهْلَاكِهِمْ آيَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ.

### تَمْهِيد:

في آية هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ إِهْلَاكِ قَوْمِ نُوحٍ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ .

وَقَدْ سَبَقَ لِي تَدَبُّرُ كُلِّ مَا فِي الْقُرْآنِ بِشَأْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ تَدَبُّرًا تَكَامُلِيًّا، فِي كِتَابٍ مُسْتَقِلٍّ بِعنوان «نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمُهُ فِي الْقُرْآنِ المَجِيد» .

### التدبر التحليلي:

أي: وَأَهْلَكْنَا قَوْمَ نُوحٍ كَمَا وَصَفْنَا لَكُمْ فِي سُورِ سَابِقَاتِ لِسُورَةِ الذَّارِيَّاتِ بِالطُّوفَانِ الشَّامِلِ، بِسَبَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَسَقًا مِنْ دَرَكَاتِ الْكُفْرِ الْعِنَادِيِّ الْجُحُودِيِّ الَّذِي اسْتَحَقُّوا بِهِ الْإِهْلَاكَ الشَّامِلَ، وَأُنْجَيْنَا نُوحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ فِي الْفُلِّ الَّذِي أَمَرْنَاهُ بِأَنْ يَصْنَعَهَا، فَأَتَمَّ صُنْعَهَا بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا .

وهَذِهِ الْآيَةُ مُضَافَةٌ إِلَى الْآيَاتِ الَّتِي اشْتَمَلَ عَلَيْهَا إِهْلَاكُ قَوْمِ لُوطَ،  
وَفِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ، وَكُفَّارِ عَادَ، وَكُفَّارِ ثَمُودَ.

فَاعْتَبِرُوا يَا كُفَّارَ مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ وَجَبَابِرَتِهَا وَعُتَاتِهَا.

وبهذا انتهى تدبر الدرس التاسع من دروس سورة (الذاريات).

والحمد لله على معاونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(١٣)

### التدبر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (الذاريات) الآيات من (٤٧ - ٤٩)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعَمَ الْمِهْدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

القرءات:

(٤٩) • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ] أضلها  
تَذَكَّرُونَ.

وقراها باقي القراء العشرة: [تَذَكَّرُونَ] بإدغام التاء الثانية بالذال.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس يُوجَّهُ اللهُ عزَّ وجلَّ للتفكير ببعض آياته في  
كوْنه، الدَّالَّاتِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ.

وهذا الدرس مَوْصُولٌ بِمَا سَبَقَ فِي السُّورَةِ مِنْ دُرُوسٍ تُوجَّهُ لِلنَّظَرِ  
والتَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللهِ فِي كَوْنِهِ.

## التدبر التحليلي:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَوْجِيهٌ لِلتَّفَكُّرِ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ عَظُمَى مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ:

الآيَةُ الْكَوْنِيَّةُ الْأُولَى: وَجَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلتَّفَكُّرِ فِيهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا يَأْتِيهِ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧):

يُطْلَقُ الْبِنَاءُ فِي اللُّغَةِ عَلَى بِنَاءِ جِدَارٍ وَنَحْوِهِ، وَعَلَى بِنَاءِ سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ، وَعَلَى بِنَاءِ خَبَاءٍ، وَعَرِيشٍ، وَبَيْتٍ مِنْ شَعَرٍ، وَتَوَسَّعَتْ دَلَالَةُ الْكَلِمَةِ حَتَّى صَارَ يُقَالُ: بَنَى الطَّعَامُ جِسْمَ فُلَانٍ، أَيْ: عَظَّمَهُ وَنَمَّاهُ.

أقول: إِنَّ بِنَاءَ كُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَيْهِ: فَبُيُوتُ الْعَرَبِ فِي الْبُوَادِي تُبْنَى مِنَ الْجُلُودِ وَالْأَصُوفِ وَالْأُوبَارِ الْمُنْسُوجَةِ وَنَحْوِهَا. وَالْعَرِيشُ يُبْنَى مِنْ أَخْشَابِ الشَّجَرِ وَقُرُوعِهَا وَأَفْنَانِهَا. وَبُيُوتُ الْقُرَى وَالْمُدُنِ تُبْنَى مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَجْرُ وَالطِّينِ وَالْجَصِّ وَالْخَشَبِ وَالْإِسْمِنِ وَالْحَدِيدِ وَنَحْوِهَا. وَالْعُنْكَبُوتُ تَبْنِي بَيْتَهَا مِنْ خُيُوطٍ دَقِيقَةٍ جَدًّا تُقْرِزُهَا مِنْ غُدَّةٍ فِي جِسْمِهَا.

فَبِنَاءُ السَّمَاءِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِحَسَبِ نِظَامِ التَّمَاسُكِ بَيْنَ أَجْرَامِهَا، وَالْغِلَافِ الْجَوِيِّ الْمُحِيطِ بِالْأَرْضِ مَبْنِيٍّ كَمَا هُوَ مُشَاهِدٌ مِنَ الْغَازَاتِ، وَالْمَجَرَّاتِ مَبْنِيَّةٌ كَمَا هُوَ مُشَاهِدٌ بِالْمَنَاظِيرِ وَالْمَجَاهِرِ لِعُلَمَاءِ الْفَلَكَ الرَّاصِدِينَ مِنَ النُّجُومِ وَالْكَوَاكِبِ، وَتَمَاسُكُهَا حَاصِلٌ بِقَانُونِ الْجَازِبِيَّةِ غَيْرِ الْمَشْهُودَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِيهَا.

وَقَدْ تَكُونُ مَجْمُوعَةُ مَجَرَّاتٍ مُتَرَابِطَةٍ بِنِظَامٍ مَا فِيمَا بَيْنَهَا إِحْدَى السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ الْكُبْرَى، وَهَكَذَا تَسْلُسُلًا إِلَى سَائِرِ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ.

وَمِنَ الْخَيْرِ وَالْأَحْكَمِ لِلنَّاسِ تَرْكُ هَذَا الْمَوْضُوعِ لِلْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ الْإِنْسَانِيِّ وَمَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْمَجَالِ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ مَا يَتَوَصَّلُ إِلَيْهِ عِلْمًا يَقِينًا بِأَدِلَّةٍ صَحِيحَةٍ مَقْطُوعٍ بِهَا.

وَمَا تَوْصَّلَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ مَعْرِفَةٍ عَظَمَةَ بِنَاءِ السَّمَاءِ شَيْءٌ مُدْهِشٌ يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ الرَّبِّ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعًا.

• ﴿وَالسَّمَاءَ﴾ مَفْعُولٌ بِهِ لِفِعْلِ مَحْذُوفٍ يُفَسِّرُهُ الْفِعْلُ فِي: ﴿بَنَيْنَاهَا﴾ لِأَنَّهُ اشْتَغَلَ بِضَمِيرِهِ عَنْهُ، وَهَذَا التَّعْيِيرُ فِيهِ تَوْكِيدٌ وَتَعْظِيمٌ لِشَأْنِ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبِنَاءِ الْعَجِيبِ.

• ﴿بَنَيْنَاهَا﴾: يَتَحَدَّثُ رَبُّنَا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ، لِأَنَّ بِنَاءَ السَّمَاءِ أَمْرٌ عَظِيمٌ جَلِيلٌ.

• ﴿بِأَيِّدٍ﴾: أَي: بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ عَظِيمَتَيْنِ. يُقَالُ لُغَةً: «أَدَّ فُلَانٌ، يَيْثِدُ، أَيَّدَا، وَأَدَّا» أَي: اشْتَدَّ وَقَوِيَ. وَيُقَالُ: «رَجُلٌ أَيَّدٌ» أَي: عَظِيمُ الْقُوَّةِ.

وَمِنْ بَدَائِهِ الْعُقُولِ، أَنَّ «السَّمَاءَ» الشَّامِلَ لِكُلِّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ لَا يَتَحَقَّقُ إِيجَادُهَا وَلَا بِنَاؤُهَا إِلَّا بِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ لَا تَصِلُ أَوْهَامُ النَّاسِ إِلَى إِدْرَاكِ مَدَاهَا الْأَقْصَى.

• ﴿... وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧): أَي: وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ فِيهَا خَلْقًا وَامْتِدَادًا بَعْدَ خَلْقِهَا الْأَوَّلِ مَعَ تَوَالِي الْأَزْمَانِ، وَهَذَا مَا بَدَأَتِ الدَّرَاسَاتُ الْفَلَكِيَّةُ الْمُعَاَصِرَةُ تُثَبِّتُهُ.

الآيَةُ الْكَوْنِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: وَجَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلتَّفَكُّرِ فِيهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾ (٤٨):

الْفَرَشُ: الْبَسْطُ وَالتَّوْسِيعَةُ، وَالْمُرَادُ أَخْذًا مِنَ الْوَاقِعِ الْمَشْهُودِ، بَسْطُ كَثِيرٍ مِنْ سَطُوحِ الْأَرْضِ لِصَالِحِ سُكْنَى النَّاسِ، وَزِرَاعَتِهِمْ، وَكَثِيرٍ مِنْ مَصَالِحِهِمْ عَلَى الْأَرْضِ.

الْمَاهِدُونَ: يُقَالُ لُغَةً: «مَهَّدَ فُلَانٌ الْفِرَاشَ» أَي: بَسَطَهُ وَوَضَّاهُ.

فَالْمَعْنَى: وَبَسَطْنَا أَقْسَامًا مِنَ سَطُوحِ الْأَرْضِ بِحَسَبِ مَصَالِحِ النَّاسِ



بَسَطْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ لَهُدِهِ الْمُنْبَسِطَاتِ مِنَ الْأَرْضِ عِنَايَةً مِنَّا بِمَصَالِحِ النَّاسِ عَلَيْهَا.

وهذا البسط والتمهيد لأقسام من سطوح الأرض يشتمل على نعم عظيمة على الناس في الأرض.

**الآية الكونية الثالثة:** وَجَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ للتفكير فيها بقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩):

سبق التنبيه على هذه الآية الكونية العظيمة من آيات الله الإِتْقَانِيَّةِ في الآية (٣٦) من سورة (يس/ ٤١ نزول) وهي قول الله عَزَّ وَجَلَّ فيها:

﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦):

أَعْلَمْنَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ أَنَّ نِظَامَ الزَّوْجِيَّةِ فِي الْكَوْنِ لَيْسَ خَاصًّا بِالنَّاسِ، وَلَا بِالْأَحْيَاءِ الْأُخْرَى الَّتِي نَشْهَدُ نِظَامَهَا الزَّوْجِيَّ بَلْ هُوَ نِظَامٌ تَخَضُّعٌ لَهُ النَّبَاتَاتُ أَيْضًا، وَتَخَضُّعٌ لَهُ أَشْيَاءُ أُخْرَى لَا يَعْلَمُهَا النَّاسُ.

وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ مِنْهَا عَنْ طَرِيقِ الْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى التَّجَرِبَةِ وَالْمُلاحَظَةِ، نِظَامَ الزَّوْجِيَّةِ فِي الدَّرَاتِ، وَنِظَامَ الزَّوْجِيَّةِ فِي الْكَهْرُبَاءِ، فَعَرَفْنَا الْمَوْجِبَ وَالسَّالِبَ، وَنِظَامَ الزَّوْجِيَّةِ فِي الْمَغْنَاطِيسِ.

وَالْآيَةُ هُنَا فِي سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ/ ٦٧ نزول) تُبَيِّنُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِعَظِيمِ قُدْرَتِهِ خَلَقَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ زَوْجَيْنِ، كَمَا تُشَاهِدُونَ نِظَامَ الزَّوْجِيَّةِ فِي الْأَحْيَاءِ.

• ﴿... لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) أي: نُبَيِّنُ لَكُمْ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ التَّكْوِينِيَّةَ رَاغِبِينَ أَنْ تَضَعُوهَا فِي ذَاكِرَتِكُمْ أَيُّهَا الْمُتَلَقُّونَ الْمُتَدَبِّرُونَ، فَكُلَّمَا اكْتَشَفْتُمْ وُجُودَ نِظَامِ الزَّوْجِيَّةِ فِي شَيْءٍ جَدِيدٍ كَانَ خَفِيًّا عَلَيْكُمْ تَذَكَّرْتُمْ هَذَا الْبَيَانَ

مِنْ تَنْزِيلِ رَبِّكُمْ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ، فَعَلِمْتُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ لَدُنْهُ، فَازْدَادَ إِيمَانُكُمْ بِهِ، وَازْدَادَ إِيمَانُكُمْ بِصِدْقِ نُبُوَّةِ وَرِسَالَةِ مُبَلِّغِهِ عَنْ رَبِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، وَازْدَادَ حِرْصُكُمْ عَلَى اتِّبَاعِ تَعْلِيمَاتِ الْإِسْلَامِ، وَأَوَامِرِ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ فِيهِ.

وَارْجِعْ إِلَى مَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرْتُهُ فِي تَدْبِيرِ آيَةِ سُورَةِ (يس/ ٤١ نزول) فَفِيهِ بَيَانٌ أَوْسَعُ.

وبهذا انتهَى الدرس العاشر من دُرُوس سورة (الذَّارِيَّات).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٤)

### التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من دُرُوس سورة (الذَّارِيَّات) (الآيتان ٥٠ و ٥١)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرًا إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾﴾.

تمهيد:

فِي هَذَا الدَّرْسِ تَعْلِيمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ أُسْلُوبًا دَعْوِيًّا بَارِعًا فِيهِ إِبداعٌ فِكْرِيٌّ.

التدبر التحليلي:

الدَّعْوَةُ إِلَى دِينِ اللَّهِ أُسْلُوبُهَا الطَّبِيعِيُّ الْمُعْتَادُ: تَعَالَى، أَقْبَلْ، انْظُرْ مَا لَدَيْنَا مِنْ حَقٍّ وَخَيْرٍ وَهُدًى.

وَلَكِنْ جَاءَ الْأَسْلُوبُ أَسْلُوبَ دَاعٍ إِلَى الْفِرَارِ مِنْ خَطَرٍ عَظِيمٍ،  
وَعَذَابٍ أَلِيمٍ، وَهَلَاكِ عَمِيمٍ، أَي: نَادٍ قَوْمَكَ أَيُّهَا الدَّاعِي فَقُلْ لَهُمْ: فِرُّوا  
إِلَى اللَّهِ.

هَكَذَا كَانَ يَفْعَلُ النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ الَّذِي يُحَذِّرُ قَوْمَهُ مِنْ خَطَرٍ قَادِمٍ  
مُدَاهِمٍ.

أَي: أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ فِي مَوَاقِعِكُمُ الشَّرِكِيَّةِ، يَقْتَرِبُ مِنْكُمْ الْعَذَابُ  
وَالْهَلَاكُ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى مَا تُمَارِسُونَهُ مِنْ شِرْكٍ وَكُفْرٍ وَجَرَائِمٍ، فَفِرُّوا مِنْ  
هَذِهِ الْمَوَاقِعِ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكُمْ الْعَذَابُ الْمُهِلِكُ الشَّامِلُ، وَفِرَارُكُمْ الَّذِي  
يُنْجِيكُمْ لَا يَكُونُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ، وَلَا يُدْخِلُكُمْ فِي حِمَى اللَّهِ إِلَّا بِأَنْ تَنْبِذُوا  
الشِّرْكَ، وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ.

• ﴿...﴾ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ: عِبَارَةٌ جَاءَتْ مُكَرَّرَةً فِي الْآيَتَيْنِ،  
لِتَوْكِيدِ الدَّعْوَةِ إِلَى الْفِرَارِ مِنْ مَوَاقِعِ الْأَخْطَارِ، تَحْقِيقًا لِلْإِنْذَارِ بَعْدَ تَأْدِيَةِ  
الوظائف السَّابِقَةِ لَهُ مِنْ تَبْلِيغٍ، وَبَيَانٍ، وَإِقْنَاعٍ، وَتَبْشِيرٍ.

أَي: إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ مُرْسَلٌ مَعَ اللَّهِ مُبِينٌ فِي إِنْذَارِي وَكُلُّ دَعْوَتِي.  
وبهذا انتهى تدبر الدرس الحادي عشر من دُرُوس سورة  
(الذَّارِيَّات).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٥)

تدبر الدرس الثاني عشر من دُرُوس سورة (الذَّارِيَّات)  
الآيات من (٥٢ - ٥٥)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاهِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾

أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَنُوحِلْنَاهُمْ مِمَّا آتَتْكُمْ لَعْنَتُهُمْ فَمَا أَتَتْكُمْ يَوْمَ تَأْتِي سُنُوفُهُمْ حُخْرًا ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ  
الذِّكْرَىٰ نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ .

تمهيد:

في آياتِ هذا الدرس تهوينٌ على قلبِ الرسولِ محمد ﷺ وتسليةٌ له، تُجَاهَ مَا يَلْقَى مِنْ أَدَى وَشَتَائِمٍ مِنْ كُبَرَاءِ قَوْمِهِ الْمُعَانِدِينَ، وَنُضْحٍ لَهُ بِأَنْ يَتَوَلَّى مُدْبِرًا عَنْهُمْ، وَبِأَنْ يُوجِّهَ تَذْكِيرُهُ بِالْقُرْآنِ وَبِقَضَايَا الدِّينِ لِلَّذِينَ لَمْ يَصِلُوا بَعْدَ إِلَى دَرَكَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِضْلَاحِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَتِهِمْ الْحَرَّةَ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِرَسُولِهِ ﷺ مُهَوَّنًا وَمُسْلِيًا:

• ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّنٌ ﴿٥٢﴾﴾  
أَتَوَصَّوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ .

لَقَدْ صَارَ كُبَرَاءَ مُشْرِكِي مَكَّةَ وَمُعَانِدِيهَا وَطُعَاتِهَا إِبَّانَ نُزُولِ سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ) يُرَدُّوْنَ هُمْ وَأَتْبَاعُهُمْ بَيْنَ الْجَمَاهِيرِ أَنَّ مُحَمَّدًا سَاحِرٌ فِيمَا يَأْتِي بِهِ مِنْ آيَاتِ خَوَارِقَ، وَبَيِّنَاتٍ بَاهِرَاتٍ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا، وَمَجْنُونٌ إِذْ يَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى النَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا إِلَى الْعَرَبِ فَقَطْ، فَهَلْ يُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَهُ كُلُّ الْأُمَمِ فِي الْأَرْضِ وَفِيهِمُ الدُّوَلُ الْعُظْمَى، فَارِسُ، وَالرُّومُ، وَالْحَبَشَةُ، وَغَيْرُهَا، إِنَّ هَذَا طُمُوحٌ لَا يَدَّعِيهِ إِلَّا مُخْتَلُّ الْعَقْلِ وَالنَّفْسِ مَجْنُونٌ.

فَوَجَّهَ اللَّهُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ عِبَارَةً تَسْلِيَّةً وَمُوَاسَاةً، تَهْوِينًا عَلَى نَفْسِهِ، وَأَبَانَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - أَنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَهُ بِأَقْوَالِهِمْ وَشَتَائِمِهِمْ قَوْمٌ طَاغُونَ.

• ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّنٌ ﴿٥٢﴾﴾ :

أَي: كَذَلِكَ الَّذِي وَاجَهَكَ بِهِ يَا مُحَمَّدُ كُفَّاءَ كُفَّارِ قَوْمِكَ وَمُجْرُمُوهم مِنْ أَدَى وَشَتَائِمٍ، وَأَنْتَ بَعِيدٌ عَنْهُ بَعْدَ الْحَقِّ عَنِ الْبَاطِلِ، وَاجَهَ أُمَثَالَهُمْ مِنْ كُفَّاءِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ رُسُلَ رَبِّهِمْ، فَاتَّهَمَ كُلُّ ذَوِي سُلْطَانٍ فِي قَوْمِهِمْ وَذَوِي اسْتِعْلَاءٍ وَطُغْيَانٍ، رَسُولَ رَبِّهِمْ إِلَيْهِمْ بِأَنَّهُ سَاحِرٌ وَبِأَنَّهُ مَجْنُونٌ، وَيُعَلِّلُونَ شَتَائِمَهُمْ بِآيَةٍ تَعَلَّةً تَقْبَلُهَا جَمَاهِيرُهُمُ الْمُقْلِدُونَ لَهُمْ.

• ﴿أَتَوَاصُوا بِهِ...﴾ (٥٣) ؟ اسْتِفْهَامٌ يُرَادُ بِهِ النَّفْيُ، لِإِلْتِقَالِ إِلَى إِبْتِثَاتِ الصِّفَةِ الْجَامِعَةِ بَيْنَ السَّابِقِينَ وَالْمُعَاصِرِينَ.

• ﴿... بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (٥٣) : أَي: لَا لَمْ يَتَوَاصَوْا بِالَّذِي اتَّهَمُوا بِهِ رَسُولَ رَبِّهِمْ، بَلْ هُوَ أَثَرُ طُغْيَانٍ فِي نَفْسِهِمْ، جَعَلَهُمْ يَرْفُضُونَ دَعْوَةَ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ الْمُؤَيَّدَةَ بِالْبَرَاهِينِ الْقَوَاطِعِ، وَيَشْتُمُونَ رَسُولَ رَبِّهِمْ بِالسُّخْرِ وَالْجُنُونِ.

الطُّغْيَانُ: تَجَاوَزُ الْحَدَّ الطَّبِيعِيِّ الْمَقْبُولِ، إِلَى مَوَاقِعِ الضَّرَرِ، وَالْإِفْسَادِ، وَالظُّلْمِ، وَالْجَوْرِ، وَالْبَغْيِ، وَالْعُدْوَانِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُوصِي رَسُولَهُ بِشَأْنِ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَكْبِرِينَ الْمَعَانِدِينَ:

• ﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ (٥٤) وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾.

• ﴿فَقَوْلٌ﴾: فِعْلٌ «تَوَلَّى» يَأْتِي بِمَعْنَى «نَأَى» وَيَأْتِي بِمَعْنَى «أَدْبَرَ».

• ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾: أَي: إِذَا تَوَلَّيْتَ مُذْبِرًا عَنْهُمْ فَلَسْتَ بِفَاعِلٍ شَيْئًا تُلَامُ عَلَيْهِ.

الباءُ فِي «بِمَلُومٍ» مَزِيدَةٌ لِلتَّوْكِيدِ.

• ﴿وَذَكَرَ﴾: التَّذْكِيرُ: إِعَادَةُ وَتَكْرِيرُ مَا سَبَقَ الْإِعْلَامُ بِهِ،

لِإَخْرَاجِهِ مِنْ مَرَائِزِ الْمَعْرِفَةِ الْكَامِنَةِ إِلَى سَاحَةِ الذَّاكِرَةِ الْحَاضِرَةِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي تَوْجِيهِ الْإِرَادَةِ.

• ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ﴾: الذِّكْرَى: اسْمٌ لِلتَّذْكِيرِ.

• ﴿نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ اسْتِعْدَادٌ دَاخِلِيٌّ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُوا، وَلَمْ يَصِلُوا إِلَى دَرَكَةِ مَيْوُوسٍ مَعَهَا أَنَّهُ يُؤْمِنُوا عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحَرَّةِ.

المعنى: فَتَوَلَّى مُذْبِرًا عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَكْبِرِينَ الْمُعَانِدِينَ، وَلَا تُتَابِعْ مُعَالَجَتَهُمْ، تَوْفِيرًا لِّطَاقَاتِكَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَبْذُلَهَا فِي آخَرِينَ مَظْمُوعٍ فِي اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، فَإِذَا تَوَلَّيْتَ عَنْ هَؤُلَاءِ فَلَسْتَ بِفَاعِلٍ شَيْئًا تُلَامُ عَلَيْهِ، لِأَنَّكَ قَدْ بَذَلْتَ فِيْمَا سَبَقَ كُلُّ مَا يَحْسُنُ أَنْ تَبْذُلَهُ فِي مُعَالَجَتِهِمْ. وَوَجْهٌ تَذْكِيرُكَ لِلَّذِينَ تَظْمَعُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ تَذْكِيرُكَ، إِذْ تَرَى بِفِرَاسَتِكَ لَدَيْهِمْ بَوَارِقَ الْمَيْلِ لِلِاسْتِمَاعِ إِلَى دَعْوَةِ الْحَقِّ، وَتَشْعُرُ بِأَنَّ لَدَيْهِمْ اسْتِعْدَادًا دَاخِلِيًّا لِأَنَّهُ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ يَوْمًا مَا.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثاني عشر من دروس سورة (الذاريات).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(١٦)

التدبر التحليلي للدرس الثالث عشر من دروس سورة (الذاريات)

الآيات من (٥٦ - ٦٠) آخر السورة

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ۝٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ۝٥٩﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾.

## القراءات:

(٥٦ و ٥٧ و ٥٨) • قرأ يعقوب بإثبات ياء المتكلم في [لِيَعْبُدُونِي - يُطْعَمُونِي - يَسْتَعِجِلُونِي] وصلاً ووقفاً، ولم يُثَبِّتْهَا بَاقِي الْقُرْءَاءِ الْعَشْرَةَ.

(٦٠) • قرأ أبو عمرو ويعقوب: [يَوْمِهِمُ الَّذِي] بِكَسْرِ هاء الضمير والميم بعدها.

وقراها حمزة، والكسائي، وخلف: [يَوْمَهُمُ الَّذِي] بضم هاء الضمير والميم بعدها.

وقراها باقي القراء العشرة: [يَوْمِهِمُ الَّذِي] بِكَسْرِ هاء الضمير وضم الميم بعدها.

وَهِيَ وَجُوهٌ عَرِيَّةٌ فِي النَّطْقِ.

## تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ الْخَتَامِيِّ لِلسُّورَةِ بَيَانٌ لِمَطْلُوبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِبَادِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهِيَ أَنْ يَعْبُدُوهُ.

وَفِيهِ إِذْذَارٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا بِالْكُفْرِ بِعَذَابٍ مَا مُعَجَّلٍ، وَإِذْذَارٌ لَهُمْ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ خَالِدِينَ فِيهَا.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا مَطْلُوبَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ:

• ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُريدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا

أُريدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾:

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُسَيِّطِرُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ أَنَّ آلِهَتَهُمُ الَّتِي يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ تَطْلُبُ مِنْ عِبَادِهَا رِزْقًا، أَوْ طَعَامًا تَنْتَفِعُ مِنْهُ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ،

كَرَائِحَةٍ لِّحَمِ الْقَرَابِينِ وَدِمَائِهَا، وَكَانَ هَذَا بِتَأْثِيرِ سَدَنَةِ إِلَهَتِهِمُ الْوَثْنِيَّةِ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ السَّدَنَةَ هُمْ الْمُنْتَفِعُونَ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَطْعِمَةِ الَّتِي يُقَدِّمُهَا عَبَادُ الْأَوْثَانِ، فَهُمْ يَضْطَرُّونَ الْأَكَاذِيبَ الْإِيهَامِيَّةَ الَّتِي يَخْدَعُونَ بِهَا عِبَادَ أُوثَانِهِمْ، زَاعِمِينَ أَنَّ مَطَالِبَهُمْ مِنَ إِلَهَتِهِمْ لَا تَتَحَقَّقُ مَا لَمْ يُقَدِّمُوا لَهَا الْقَرَابِينَ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَطْعِمَةِ.

فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ فِي الْبَيَانِ الرَّبَّانِي، أَنْ يُعْلِمَ اللَّهُ الْجِنَّ الَّذِينَ كَانُوا مُمْتَحَنِينَ قَبْلَ الْإِنْسِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَنْ يُعْلِمَ الْإِنْسَ، بِأَنَّ مَطْلُوبَهُ مِنْ عِبَادِهِ الْمَوْضُوعِينَ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مَقْصُورٌ عَلَى عِبَادَتِهِمْ لَهُ، بِالْإِيمَانِ بِمَا أَمَرَهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، وَبِإِعْلَانِ الْإِسْلَامِ لَهُ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ طَائِعِينَ مُخْتَارِينَ.

وَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ أَنْ يُعْلِمَهُمْ بِأَنَّهُ لَا يَطْلُبُ مِنْ عِبَادِهِ رِزْقًا وَلَا طَعَامًا، فَهُوَ جَلٌّ جَلَالُهُ وَعَظَمٌ سُلْطَانُهُ - مُنَزَّةٌ عَنِ الْحَاجَةِ لِأَيِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، إِذْ كُلُّ شَيْءٍ هُوَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ، فَالْأَرْزَاقُ كُلُّهَا مِنْ خَلْقِهِ، وَهُوَ يُنْعِمُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ، وَعَلَى سَائِرِ الْأَحْيَاءِ ذَاتِ الْحَاجَةِ إِلَى الرِّزْقِ وَالطَّعَامِ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ.

إِنَّ اللَّهَ الْأَزَلِيَّ الْأَبَدِيَّ الْأَحَدَ الصَّمَدَ، هُوَ الرِّزَّاقُ الَّذِي يَرْزُقُ كُلَّ ذِي حَاجَةٍ إِلَى الرِّزْقِ، الَّذِي يُعِدُّهُمْ بِهِ لِيَمْنَحَهُمُ الْقُوَّةَ، وَهُوَ ذُو الْقُوَّةِ الذَّاتِيَّةِ الْأَزَلِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ، الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِمْدَادًا مِنْ شَيْءٍ، وَهُوَ الْمَتِينُ الصَّلْبُ، الَّذِي لَا تَتَنَاقَصُ قُوَّتُهُ مَهْمَا فَعَلَ مِنْ أَشْيَاءٍ عَظُمَى فِي هَذَا الْكَوْنِ الْكَبِيرِ الْفَسِيحِ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُخْطِئُونَ فِي فَهْمِ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ فَيَرَوْنَ أَنَّ اللَّامَ فِي ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ هِيَ لَامُ التَّعْلِيلِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ لِعِبَادَتِهِ، فَعَصَى الْعُصَاةُ مِنْهُمْ



إِرَادَةَ اللَّهِ فِيهِمْ، وَهَذَا الْمَعْنَى مُضَادٌّ مُضَادَّةً كُلِّيَّةً لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ سُورَةُ (يس/ ٤١ نزول) فَلَوْ كَانَ مُرَادُ اللَّهِ أَنْ يَكُونُوا عَابِدِينَ، لَكَانُوا جَمِيعًا كَالْمَلَائِكَةِ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، لِأَنَّ إِرَادَتِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَا بُدَّ أَنْ تَتَحَقَّقَ.

وَإِذَا نَظَرْنَا إِلَى نُصُوصِ الْإِبْتِلَاءِ وَجَدْنَاهَا مُتَوَاطِئَةً عَلَى مَعْنَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ لِيَبْلُوَهُمْ، أَي: لِيَمْتَحِنَهُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَذَا الْمَعْنَى نَافِذٌ وَمُتَحَقِّقٌ فِي كُلِّ مُؤَهِّلٍ لِلَامْتِحَانِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

وَسَبَبُ الْخَطَا تَشَبُّهُ الْمُخْطِئِينَ بِأَنَّ اللَّامَ فِي: ﴿لِيَعْبُدُونَ﴾ هِيَ لَامُ التَّغْلِيلِ، مَعَ أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ أَحَدُ الْمَعَانِي الَّتِي أَوْصَلَهَا عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ مَعْنَى لِلَّامِ الْجَارَةِ.

وَالْمَعْنَى الَّذِي انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، الْجَامِعُ الَّذِي تَتَكَامَلُ بِهِ النُّصُوصُ، هُوَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ لِيَبْلُوَهُمْ، وَهَذَا الْمَعْنَى نَافِذٌ وَمُتَحَقِّقٌ فِي كُلِّ مُؤَهِّلٍ مِنْهُمْ لِلْإِبْتِلَاءِ، عَلَى وَفْقِ مُرَادِ اللَّهِ فِيهِمْ، وَالْمَطْلُوبُ فِي هَذَا الْإِبْتِلَاءِ هُوَ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مُخَالَفَةَ الْمَطْلُوبِ لَيْسَ فِيهِ مُخَالَفَةٌ لِإِرَادَةِ اللَّهِ، إِذْ أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِمْتِحَانِ أَنْ يَمْنَحَهُمْ حُرِّيَّةَ الْإِرَادَةِ، وَمِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْحُرِّيَّةِ الَّتِي مَنَحَهُمُ اللَّهُ إِيَّاهَا يَكْلِفُهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُطِيعُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْصِي، وَاللَّهُ بِسُلْطَانِ خَلْقِهِ يَخْلُقُ لَهُمْ مَا يُرِيدُونَ.

فَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِيَعْبُدُونَ﴾ هِيَ لَامُ الْمَطْلُوبِ وَلَيْسَتْ لَامُ التَّغْلِيلِ.

ولهذا تفصيلٌ مُوسَّعٌ في الملحق الثالث مِنْ مَلَا حِقِ تَدْبِيرِ سورة (فاطر/٤٣ نزول)<sup>(١)</sup>.

• ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ (٥٧).

أي: لَسْتُ كَالِهَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّتِي يَتَقَرَّبُ إِلَيْهَا عَابِدُوهَا بِالْأَرْزَاقِ وَالْأَطْعِمَةِ، الَّتِي هِيَ فِي نَصَوْرِهِمْ مُحْتَاجَةٌ إِلَيْهَا، فَأَنَا الْغَنِيُّ بِذَاتِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ.

الرِّزْقُ: كُلُّ مَا يَنْتَفَعُ بِهِ مِمَّا يُؤْكَلُ وَيُلْبَسُ وَيُسْرَبُ حَتَّى الْهَوَاءَ، وَكُلُّ مَا يَحْتَاجُهُ الْحَيُّ لِحَيَاتِهِ.

• ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (٥٨):

أي: إِنَّ اللَّهَ الَّذِي هُوَ الرَّبُّ الْخَالِقُ الْأَزَلِيُّ الْأَبَدِيُّ هُوَ الرِّزَّاقُ الَّذِي يَخْلُقُ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ، وَهُوَ ذُو الْقُوَّةِ الْأَزَلِيَّةِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي لَا تَتَنَاقَصُ حَتَّى تَحْتَاجَ إِمْدَاداً بِالرِّزْقِ، وَهُوَ الْمَتِينُ الصُّلْبُ الَّذِي لَا تَتَنَاقَصُ قُوَّتُهُ مَهْمَا فَعَلَ مِنْ أَشْيَاءٍ عَظُمَى فِي هَذَا الْوُجُودِ الْفَسِيحِ، فَخَلَقَهُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالْكُرْسِيَّ وَالْعَرْشَ، وَمِثْلَ هَذَا الْوُجُودِ كُلُّهُ مَرَّاتٍ بِلَا نِهَآيَةٍ لَوْ شَاءَ، لَا يَنْقُصُ مِنْ قُدْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ وَمَتَانَتِهِ شَيْئاً جَلَّ جَلَالُهُ.

فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ قَصْرٌ حَقِيقِي بِتَعْرِيفِ طَرَفِي الْإِسْنَادِ مَعَ ضَمِيرِ الْفَصْلِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُنْذِراً لِلظَّالِمِينَ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ فِي آخِرِ السُّورَةِ.

(١) انظر الملحق الثالث من ملاحق تدبر سورة (فاطر ٤٣): «تَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ فِي الدَّلَالَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ» المجلد السابع. الصفحات من (٢٩١ - ٣٥٣) وانظر ما جاء في كتاب «ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة» للمؤلف حول هذا الموضوع ففيه تفصيلات وإساعات.

• ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْبِلُونَ ﴿٥٦﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٥٧﴾﴾ :

الذُّنُوبُ: الدَّلُوءُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي يَسْتَخْرِجُ بِهَا السُّقَاءُ الْمَاءَ مِنَ الْبُئْرِ.

فِي الْآيَةِ (٥٩) إِنْذَارٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَيِّمَةِ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، الَّذِينَ بَلَغُوا دَرَكَةَ مَيْئُوساً مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ مَعَهَا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، بِعَذَابٍ مُعَجَّلٍ فِي الدُّنْيَا يَذُوقُونَ آلامَهُ وَيَكُونُونَ بِهِ هَالِكِينَ، وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْعَذَابُ الْمُهِلِكُ، مِنْ أَمْثَالِ الْعَذَابِ الْمَأْلُوفِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، الَّذِي يَتَّبَعُهُ الْمَوْتُ وَلَا يَطُولُ أَمَدُهُ، أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّهُ يُشَبِّهُ صَبَّ ذُنُوبٍ مِنْ مَاءٍ حَمِيمٍ يَغْلِي غَلْيَاناً شَدِيداً عَلَى الْمَعَذِّبِ، فَيَذُوقُ آلامَهُ الشَّدِيدَةَ لِمُدَّةٍ لَيْسَتْ طَوِيلَةً، وَيَعْقُبُهُ مَوْتُهُ، وَعِنْدَيْهِ يَدْخُلُ عَتَبَةَ الْآخِرَةِ وَيَكُونُ لَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِثْلُ مَا لِسَائِرِ الْكَافِرِينَ.

اسْتُعِيرَ لَفْظُ «الذُّنُوبِ» لِلإِشَارَةِ إِلَى الْمِقْدَارِ الَّذِي يَكُونُ عَلَيْهِ الْعَذَابُ، وَالَّذِي يَتَّبَعُهُ الْهَلَاكُ، وَنَفَهُمُ مِمَّا جَاءَ فِي سُورَةِ (الدُّخَانِ/ ٦٤ نزول) بِشَأْنِ الْمُعَذَّبِ فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾﴾ :

أَنَّ مُحتَوَى الذُّنُوبِ يُشَبِّهُ مَاءً شَدِيدَ الْحَرَارَةِ يَغْلِي، فَهُوَ عَذَابٌ يُشَبِّهُ الذُّنُوبَ فِي مِقْدَارِهِ، وَيُشَبِّهُ فِي نَوْعِهِ الْعَذَابَ بِالْمَاءِ الشَّدِيدِ الْحَارِّ، الَّذِي يَغْلِي إِذَا صُبَّ فَوْقَ رَأْسِ الْمَعَذَّبِ الَّذِي يَذُوقُ آلاماً شَدِيدَةً، وَيَكُونُ بِهِ مَوْتُهُ.

الْمَعْنَى: فَإِنَّ لَكُمْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِقْدَاراً مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا، مُمَآثِلاً لِمَقَادِيرِ الْعَذَابِ الَّتِي عَذَّبَ بِهَا أَصْحَابُكُمْ الْمُمَآثِلُونَ لَكُمْ فِي الظُّلْمِ

مِنَ الْأَمَمِ السَّالِفَةِ، فَانْتَظِرُوا هَذَا الْعَذَابَ الْآتِي لَا مَحَالَهٖ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا رَبَّكُمْ فِي ظَوَاهِرِ عِبَارَاتِكُمْ، مُسْتَهِينِينَ بِبَلَاغَاتِ رَسُولِهِ.

وقد جاء البيان القرآني يتحدّث عن الظالمين المعاصرين للتّنزيل، بحديث عنهم وهم غائبون لغرض إدخال أمثالهم معهم، وإغراضاً عنهم لأنّهم مُدبرون ومُبتعدون، غير مُبالين بما وُجّه لهم من إنذارات.

وفي الآية (٦٠) آخر السورة، إنذار من الله لإئمة الشّرك والكفر في مكّة إبان التّنزيل، ضمن عموم الذين يُموتون كافرين بعذاب شديد يوم الدين، وهو اليوم الذي يُوعَدونه في نجوم التّنزيل أنا فأنّا، ويوصف لهم فيها شدّته وأهواله، وأنّهم يكونون فيه خالدين في دار العذاب النّار.

• ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: ﴿٦٠﴾

أي: فعذاب شديد للذين يُموتون وهم كافرون أخذاً من دلائل نصوص أخرى.

• ﴿مِنْ يَوْمِهِمُ﴾: أي: من يوم عذابهم الشّديد الذي يكونون خالدين فيه، وهو يوم الدين - يوم القيامة - يوم الجزاء الأكبر.

• ﴿الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: أي: الذي يُوعَدونه أنا فأنّا في نجوم التّنزيل، وتتبع ما سبق إنزاله من سور قبل سورة (الذّاريات) يكشف للباحث المتدبّر أنّ معظم ما سبق إنزاله قبل هذه السورة يشتمل على الوعيد بعذاب الله يوم الدين للكافرين، كما يشتمل على الوعيد بالنّعيم الخالد في جنّات النّعيم.

وبهذا انتهت تدبّر سورة (الذّاريات) على ما فتح الله به.

والحمد لله على معونته، ومدّده، وتوفيقه، ومثّته، وفتحِهِ.



(١٧)

**ملحق: مُسْتَخْرَجَاتُ بَلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ)**

فِي هَذِهِ السُّورَةِ اخْتِيَارَاتٌ بَلَاغِيَّةٌ نَفِيسَةٌ، اسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا مَا يَلِي:

**أَوَّلًا: مِنَ الِاسْتِعَارَةِ**

المثال الأول: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿قِيلَ الْخَرَصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمَرِهِمْ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾:

اسْتُعِيرَ هُنَا فِعْلُ «قِيلَ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى الطَّرْدِ الشَّدِيدِ الْمُبَالِغِ فِيهِ.

المثال الثاني: فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾﴾:

اسْتُعِيرَ هُنَا لَفْظُ «ذُنُوبٍ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعَذَابِ الْمَشَابِهِ لِصَبِّ الْمَاءِ الْحَمِيمِ الشَّدِيدِ الْحَرَارَةِ الَّذِي يَغْلِي، مِنْ فَوْقِ رَأْسِ الْمُعَذَّبِ.

الذُّنُوبُ: الدَّلُوءُ، وَالْمُرَادُ مَا يَحْوِيهِ مِنْ مَاءٍ حَمِيمٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ، إِذْ يَكُونُ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ التَّعْذِيبِ.

**ثَانِيًا: مِنَ الْقَصْرِ**

المثال الأول: قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٦﴾﴾.

فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَصْرُ كُفَّارِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، عَلَى قَوْلِ كُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ عَنْ رَسُولِ رَبِّهِمْ: سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ، وَهُوَ مِنْ قَصْرِ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ.

وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ، وَالْأَدَاةُ فِيهِ النَّفْيُ وَالِاسْتِثْنَاءُ.

المِثَالُ الثَّانِي: قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ :  
في هذا النصّ قصران:

الأول: قَصْرُ مَطْلُوبِ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى عِبَادَتِهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَزَّ سُلْطَانُهُ - وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِي .  
والأداة فِيهِ التَّفْيُّ والاستِثْنَاءُ، وَهُوَ مِنْ قَصْرِ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ .

الثاني: قَصْرُ صِفَاتِ الرَّزَّاقِ ذِي الْقُوَّةِ الْمَتِينِ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ مِنْ قَصْرِ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ، وَالْأداةُ فِيهِ تَعْرِيفُ طَرَفِي الْإِسْنَادِ مَعَ ضَمِيرِ الْفَضْلِ، وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِي .

### ثَالِثًا: مِنَ الْاِقْطَاعِ

قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الدِّينِ وَعَرْضِ مَشْهَدٍ يَتَعَلَّقُ بِهِمْ :

• ﴿يَوْمَ مُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (١٣) ذُوقُوا وَنُنَكِّرُ هَذَا الَّذِي كُتِبَ بِهِ سَعَتِجُلُونَ ﴿١٤﴾ :

الآية (١٤) مُقْتَطَعَةٌ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُسْتَقْبَلِيِّ وَفَوْقَ الْمَنْهَجِ الْقُرْآنِيِّ الْمُبْتَكِرِ .

رَابِعًا: مِنْ خُرُوجِ الْاسْتِفْهَامِ عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ

المثال الأول: قول الله عَزَّ وَجَلَّ :

• ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ ضَيْفٍ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) ؟ :

أي: اسْتَمِعْ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْهُمْ .

المثال الثاني: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْكُفَّارِ الْمَعَاصِرِينَ لِلتَّنْزِيلِ، وَكُفَّارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ :

• ﴿اتَّوَصَّوْا يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا قَالُوا ۚ إِنَّهُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (٥٣):

أي: مَا تَوَاصَوْا بِأَنْ يَقُولَ كَفَرَهُ كُلُّ أُمَّةٍ عَنْ رَسُولِ رَبِّهِمْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ، بَلْ هُوَ ظَاهِرَةٌ مِنْ ظَوَاهِرِ تَشَابُهٍ صِفَاتِهِمْ فِي الظُّغْيَانِ، إِذِ النَّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ مُتَشَابِهَةٌ فِي التَّكْوِينِ.

خامساً: من التوكيد لِوُجُودِ دَاعٍ إِلَيْهِ  
المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ۖ فَلَمَّا دَرَبَتْ ۖ وَقَرَّ ۖ فَلَمَّا دَرَبَتْ ۖ يُسْرًا ۖ فَلَمَّا قَسَمْتُمْ ۖ أَمْرًا ۖ إِنَّمَا عُدُّونَ لِمَادٍ ۖ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْفِقَ ۖ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوكِ ۖ إِنَّكُمْ لَأَنْتَ قَوْلٍ مُّخْلِفٍ﴾ (٨):

فِي هَذَا النَّصِّ قَسَمَانِ بِبَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَاتِ فِي كَوْنِهِ تَوْكِيداً لِحَقِيقَتَيْنِ كُبْرَيَيْنِ، وَمَعَ الْقَسَمَيْنِ التَّوْكِيدُ أَيْضاً بِـ «إِنَّمَا» وَبـ «إِنَّ» فِي مَوَاضِعَيْنِ.

المثال الثاني: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ إِهْلَاكِ «ثُمُودَ».

• ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَارٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ (٤٥):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَوْكِيدٌ عُمُومِ النَّفْيِ بِحَرْفِ الْجَرِّ الزَّائِدِ «مِنْ».

المثال الثالث: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۖ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ (٤٨):

فِي هَذَا النَّصِّ التَّوْكِيدُ فِي مَوَاضِعَ:

(١) فِي: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾: هَذِهِ الْجُمْلَةُ بِقُوَّةِ جُمْلَتَيْنِ لَا شَتِغَالِ الْفِعْلِ فِي «بَنَيْنَاهَا» بِضَمِيرِ السَّمَاءِ الَّذِي أَحْوَجَ لِفَظِ «السَّمَاءِ» إِلَى تَقْدِيرِ

عَامِل يُفَسِّرُهُ الْفِعْلُ فِي: ﴿بَيَّنَّهَا﴾، وَهَذَا مِنْ أَسَالِيبِ التَّوَكِيدِ الْقَوِيَّةِ.

(٢) وَفِي ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ التَّوَكِيدُ بِـ «إِنَّ» - وَالْجُمْلَةُ الْاِسْمِيَّةُ - وَاللَّامُ الْمَزْحَلَقَةُ.

(٣) وَفِي: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْتَهَا﴾ وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ بِقُوَّةِ جُمْلَتَيْنِ أَيْضاً كَالْجُمْلَةِ الْأُولَى.

المثال الرابع: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّنٌ ﴿٥٦﴾﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَوْكِيدُ عُمُومِ النِّفْيِ بِحَرْفِ الْجَرِّ الزَّائِدِ «مِنْ» فِي مَوْضِعَيْنِ.

المثال الخامس: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَوْكِيدُ عُمُومِ النِّفْيِ بِحَرْفِ الْجَرِّ الزَّائِدِ فِي «مِنْ رِزْقٍ».

وَأَقْتَصِرَ عَلَى هَذِهِ الْمُسْتَخْرَجَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ مِنْ سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.





## سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

٨٨ مصحف ٦٨ نزول

وهي كُلُّهَا مَكِّيَّةٌ بِاتِّفَاقٍ



(١)

## نصّ السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾  
 عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تَشْقَى مِنْ عَيْنٍ عَانِيَةٍ ﴿٥﴾  
 لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾  
 وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾  
 لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِغِيَّةٍ ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾  
 وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزُرَائِي مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾  
 أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾  
 وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٩﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢٠﴾  
 لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢١﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٢﴾

٤ - • قرأ أبو عمرو، وشعبة، ويعقوب: [تُصَلَّى] من فعل «صَلَّاه» المتعدي.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءُ الْعَشْرَةُ: [تُصَلَّى] من فِعْلٍ «صَلَّيْتُ» فَهِيَ «تُصَلَّى».

١١ - • قرأ نافع: [لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِغِيَّةٍ].

وَقَرَأَهَا ابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَرُوَيْسٌ: [لَا يُسْمَعُ فِيهَا لِغِيَّةٍ].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [لَا تَسْمَعُ فِيهَا لِغِيَّةٍ].

٢٢ - • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهِمْ] بضم الهاء.

وَقَرَأَهَا الْبَاقُونَ: [عَلَيْهِمْ] بِكسر الهاء.

٢٢ - • قرأ هشام: [بِمُصَيِّرٍ] بالسّين.

وَقَرَأَهَا حَمْزَةُ بِخُلْفٍ عَنْ خَلَادٍ: الصَّادِ زَايَاً.

فَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

= وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَةَ: [بِمُصْطَظِرٍ] وهو الوجه الثاني لِخِلَافِهِ.  
 ٢٥ - • قرأ أبو جعفر: [إِيَابَهُمْ] بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ، وعلى رأي ابنِ جني مصدرٌ مِنْ فِعْلٍ «أَيَّبَ» بِمَعْنَى «رَجَعَ».  
 وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَةَ: [إِيَابَهُمْ] بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ، من فعل «آبَ يُؤُوبُ إِيَابًا» بِمَعْنَى رَجَعَ.  
 فَمُؤَدَّى الْقِرَاءَتَيْنِ واحد.

(٢)

### مِمَّا وَرَدَ بِشَأْنِ سُورَةِ (الْغَاشِيَةِ)

رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ «بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ» و«هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ» وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فَقَرَأَهُمَا.

(٣)

### مَوْضُوعُ سُورَةِ (الْغَاشِيَةِ)

يَدُورُ مَوْضُوعُ هَذِهِ السُّورَةِ حَوْلَ تَقْدِيمِ مَشْهَدَيْنِ مِنْ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ، مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ أَهْلِ النَّارِ، وَمَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وَبَعْدَهُمَا حَثٌّ عَلَى النَّظَرِ التَّفَكُّرِيِّ بِبَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، الدَّلَالَةُ عَلَى عَظَمَةِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ وَأَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ، وَهِيَ لِمَنْ تَفَكَّرَ فِيهَا تَفَكُّراً سَلِيمًا، مَاسِحَةً أَوْهَامَ تَشْكِيلِهِ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى إِخْيَاءِ الْمَوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِجْرَاءِ أَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ عَلَى وَفْقِ مُرَادِهِ، وَمَا جَاءَ فِي وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ، بِآيَاتِ كِتَابِهِ الْمَجِيدِ.

وأخيراً يُحدِّدُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَظِيفَتُهُ فِي رِسَالَتِهِ، وَهِيَ أَنَّهُ مُبَلِّغٌ مُذَكَّرٌ بِمَا أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يُبَلِّغَهُ مُبَشِّراً وَمُنْذِراً، وَبِمَا أَمَرَهُ أَنْ يُذَكِّرَ بِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مُسَيِّطِراً عَلَى النَّاسِ وَلَا مُجْبِراً لَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَأَنَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ مَتْرُوكٌ أَمْرُهُ إِلَى اللهِ، فَهُوَ الَّذِي يُعَذِّبُهُ بِعَذَلِهِ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ يَوْمَ الدِّينِ، إِذْ سَوْفَ يُعِيدُهُ إِلَى الْحَيَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيُحَاسِبَهُ، وَيُفْصَلَ قِضَاءَهُ بِشَأْنِهِ، وَيُنْفَذَ فِيهِ جَزَاءَهُ، كَمَا يُنْفَذُ جَزَاءُهُ فِي كُلِّ عِبَادَةٍ.

(٤)

### دروس سورة (الغاشية)

تَشْمَلُ هَذِهِ السُّورَةُ فِيمَا ظَهَرَ لِي عَلَى ثَلَاثَةِ دُرُوسٍ:

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: الْآيَاتُ مِنْ (١ - ١٦).

وَفِيهِ عَرْضُ مَشْهَدَيْنِ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ أَهْلِ النَّارِ، وَمَشْهَدٍ آخَرَ مِنْ مَشَاهِدِ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

الدَّرْسُ الثَّانِي: الْآيَاتُ مِنْ (١٧ - ٢٠).

وَفِيهِ حَثٌّ عَلَى النَّظَرِ التَّفَكُّرِيِّ بِبَعْضِ آيَاتِ اللهِ فِي كَوْنِهِ، الدَّالَّةُ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْبَعْثِ وَأَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ، بِمَا فِيهَا مِنْ وَعْدٍ وَوَعِيدٍ.

الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: الْآيَاتُ مِنْ (٢١ - ٢٦) آخِرُ السُّورَةِ.

وَفِيهِ بَيَانٌ مِنَ اللهِ لِرَسُولِهِ يُحَدِّدُ لَهُ فِيهِ وَظِيفَتُهُ فِي رِسَالَتِهِ، وَهِيَ التَّبْلِيغُ وَالتَّذْكِيرُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مُجْبِراً وَلَا مُسَيِّطِراً. أَمَّا الْجَزَاءُ الْأَكْبَرُ فَيَتَوَلَّاهُ اللهُ يَوْمَ الدِّينِ.



(٥)

## التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (الغاشية) الآيات من (١ - ١٦)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَابِثَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَارٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَوَاجٌ مَبْنُوءَةٌ ﴿١٦﴾﴾.

القراءات:

(٤) • قرأ أبو عمرو، وشعبة، ويعقوب: [تُصَلَّى] بالبناء لما لم يُسمَّ فاعله، من فعل «صَلَّاهُ» المتعدي.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [تُصَلَّى] من فِعْلٍ «صَلَّى» اللّازم. أي: هو يَحْتَرِقُ ضِمْنَ نَارٍ.

(١١) • قرأ نافع: [لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً].

وقرأها ابنُ كثير، وأبو عمرو، ورؤيس: [لَا يُسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً].

وقرأها باقي القُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً].

وهي من التفتن في الأداء البياني.

تَمْهِيد:

في هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ مَشْهَدَيْنِ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ:

الْمَشْهَدُ الْأَوَّلُ: هُوَ مِنْ مَشَاهِدِ أَهْلِ النَّارِ، مِنَ الْآيَةِ (١ - ٧).

المشهد الثاني: هُوَ مِنْ مَّشَاهِدِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، مِنَ الْآيَةِ (٨ - ١٦).

### التدبر التحليلي:

• ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ ❶ ؟.

الاستفهام بِ «هَلْ» هُنَا فِيهِ مَعْنَى الدَّعْوَةِ إِلَى اسْتِمَاعِ الْحَدِيثِ الْمُرَادِ بَيَانُهُ عَنِ الْغَاشِيَةِ، وَفِيهِ مَعْنَى التَّشْوِيقِ إِلَى هَذَا الْحَدِيثِ.

الغاشية: فِي اللَّغَةِ الْغِطَاءُ، وَيُقَالُ لُغَةً: «غَشِيَ الشَّيْءُ شَيْئًا» أَي: عَطَّاهُ، وَجَلَّلَهُ، فَحَجَبَهُ.

وَأُظْلِقَ لَفْظُ «الْغَاشِيَةِ» صِفَةً لِمَوْثِقَةِ ذَاتِ صِفَاتٍ، مَحْذُوفَةٍ، وَالْمُرَادُ بِهَا أَحْدَاثُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَوَقَائِعُهَا، لِأَنَّهَا تَغْشَى الْخَلَائِقَ وَتَعْمَهُمْ، فَصَارَ لَفْظُ «الْغَاشِيَةِ» اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

فَالْمَعْنَى: اسْتَمِعْ بَعْنَايَةِ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي أَيَّا كُنْتَ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الْغَاشِيَةِ.

إِنَّ النَّاسَ فِي الْغَاشِيَةِ فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ مَجْزِيٌّ بِالْعَذَابِ عَلَى مَا قَدَّمَ فِي رِحْلَةِ ابْتِلَائِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَفَرِيقٌ مَجْزِيٌّ بِالنَّعِيمِ ثَوَابًا عَلَى مَا قَدَّمَ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

- فَإِلَيْكَ يَا أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لَفْظَةً مِنْ مَّشَاهِدِ الْفَرِيقِ الَّذِينَ يُجَاوِزُونَ بِالْعَذَابِ:

• ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ ❷ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ❸ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ❹ تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ مَائِنَةٍ ❺ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ❻ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ❼:

• ﴿خَشِيعَةً﴾: أَي: خَاضِعَةٌ، خَائِفَةٌ، سَاكِئَةٌ، مُنْكَسِرَةٌ الْأَبْصَارِ تَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ مِنَ الدَّلَّةِ وَالضَّعَةِ.

• ﴿عَٰمِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾: أي: تُكَلِّفُ أَنْ تَعْمَلَ أَعْمَالًا شَدِيدَةً مُتَعَبَةً تُوصِلُهَا إِلَى حَدِّ التَّعَبِ الشَّدِيدِ وَالْإِعْيَاءِ. النَّصَبُ: التَّعَبُ الشَّدِيدُ إِلَى حَدِّ الإِعْيَاءِ.

• ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾: أي: تَذُوقُ عَذَابِ الْاِخْتِرَاقِ بِنَارٍ حَامِيَةٍ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ، فَالنَّارُ ذَاتُ دَرَجَاتٍ مِنَ الْحَرَارَةِ بَعْضُهَا أَشَدُّ مِنْ بَعْضٍ، وَالنَّارُ الْحَامِيَةُ هِيَ نَارٌ ذَاتُ دَرَجَةٍ شَدِيدَةٍ مِنَ الْحَرَارَةِ.

وَقَرَأَةُ [تُصَلِّي]: تَذُلُّ عَلَى أَنَّهَا تُدْخَلُ دَاخِلَ نَارٍ لِيَتَعَذَّبَ بِمَسِّ لَهَبِهَا، وَبِشِدَّةِ حَرِّهَا.

• ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَآيِنَةٍ﴾: أي: تُسْقَى سَائِلًا مِنْ عَيْنٍ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ، فَهَذَا شَرَابُهَا الْمَهْيَأُ لَهَا. يُقَالُ لُغَةً: «أَنْتَى الْمَاءِ وَنَحْوُهُ، يَأْنِي، أَنْيَا، وَإِنِّي، وَأَنَاة» فَهُوَ «إِن» وَهِيَ «إِنِّيَّة» أَي: بَلَغَ غَايَةَ الْحَرَارَةِ.

• ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ لَا يُسْنِنُ وَلَا يُعْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾.

الضَّرِيعُ: هُوَ نَبَاتُ الشُّبْرِقِ إِذَا كَانَ أَخْضَرَ، وَهُوَ ذُو شَوْكِ تَرَعَاهُ الْجِمَالُ وَهُوَ يَمْتَدُّ عَلَى الْأَرْضِ، وَيُوجَدُ فِي الْحِجَازِ، فَإِذَا يَبَسَ فَهُوَ الضَّرِيعُ، وَيَكُونُ حِينَئِذٍ سَامًا.

أُطْلِقَ لَفْظُ «وُجُوه» وَالْمُرَادُ أَصْحَابُهَا، وَهَذَا مِنْ إِطْلَاقِ الْبَعْضِ وَإِرَادَةِ الْكُلِّ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْوُجُوهَ أَفْضَلُ مُمَيِّزٍ الْفُرُوقِ بَيْنَ الْأَفْرَادِ.

الْمَعْنَى:

خُذْ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي الدَّرَاكُ هَذِهِ اللَّقْظَةُ مِنْ مَشَاهِدِ الْفَرِيقِ الَّذِينَ يُجَازُونَ بِالْعَذَابِ يَوْمَ الدِّينِ.

إِنَّكَ تَرَى وُجُوهَهُمْ تَتَّبِعُهَا أَجْسَادُهُمْ خَاضِعِينَ، خَائِفِينَ سَاكِنِينَ، مُنْكَسِرِي الْأَبْصَارِ، يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَرْضِ مِنَ الذَّلَّةِ وَالضَّعَةِ، يَكْدُونُ بِأَعْمَالِ



شَاقَّةٍ يَتَعْبُونَ بِهَا تَعَبًا شَدِيدًا إِلَى حَدِّ الْإِغْيَاءِ، وَيُعَذِّبُونَ دَاخِلَ نَارٍ حَامِيَةٍ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ تَمَسُّ جُلُودَهُمْ بِلَهْيِهَا، فَإِذَا اشْتَدَّ ظَمْؤُهُمْ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا مَاءً أَوْ سَائِلًا آخَرَ يَخْرُجُ مِنْ عَيْنٍ، وَهُوَ شَدِيدُ الْحَرَارَةِ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْحَرَارَةِ غَايَتَهَا، وَإِذَا اشْتَدَّ جُوعُهُمْ لَمْ يَجِدُوا طَعَامًا يَأْكُلُونَ مِنْهُ، إِلَّا نَبَاتًا مِنْ صِنْفِ نَبَاتِ الضَّرِيعِ، وَهَذَا الطَّعَامُ لَا غِذَاءَ فِيهِ يُسَمِّنُ الْأَجْسَادَ، وَلَا يَصْرِفُ جُوعًا.

- وَإِلَيْكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِقْطَةً مِنْ مَشَاهِدِ الْفَرِيقِ الَّذِينَ يُجَارُونَ بِالنَّعِيمِ،

ثَوَابًا عَلَى مَا قَدَّمُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ صَالِحَاتٍ:

- ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَفِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَمَنَازِلُ مَصْصُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَوَاجٌ مَبْنُوءَةٌ ﴿١٦﴾﴾:

• ﴿وُجُوهٌ﴾: أُطْلِقَ لَفْظُ «وُجُوهٍ» وَالْمُرَادُ أَصْحَابُهَا، وَهَذَا مِنْ إِطْلَاقِ الْبَعْضِ وَإِرَادَةِ الْكُلِّ، كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى فَرِيقِ الْمَعَذِّينَ يَوْمَ الدِّينِ.

• ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: أَي: يَوْمَ أَحْدَاثِ الْغَاشِيَةِ الَّتِي هِيَ الْقِيَامَةُ.

• ﴿نَاعِمَةٌ﴾: أَي: نَضْرَةٌ، طَيِّبَةٌ، مُرَقَّهَةٌ، هَادِئَةٌ، مُسْتَرِيحَةٌ، مَسْرُورَةٌ،

فَرِحَةٌ، لَيْتَنُ الْمَلْمَسِ، بِمَا تَنَالُ مِنْ نَعِيمٍ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. يُقَالُ لُغَةً لِلدَّلَالَةِ عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي: «نَعِمٌ، يَنْعَمُ، نَعَمًا، وَنَعْمَةٌ، وَنَعِيمًا» فَهُوَ نَاعِمٌ، وَهِيَ نَاعِمَةٌ.

• ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾: أَي: لِأَجْلِ سَعْيِهَا بِرِحْلَةِ حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ فِي

الدُّنْيَا بِمَا يُرْضِي اللَّهُ عَنْهَا، رَاضِيَةٌ بِثَوَابِ اللَّهِ الْعَظِيمِ يَوْمَ الدِّينِ، الَّذِي يَفِيضُ عَلَيْهَا بِالنَّعِيمِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ تُحْسِنُ فِيهِ بِلَذَاتِهِ.

• ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾﴾: أَي: مُقِيمِينَ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةِ الْمَكَانِ عَالِيَةِ

الْمَنْزِلَةِ بِصِفَاتِهَا النَّفِيسَةِ الرَّفِيعَةِ الْمُتَمَازَةِ، الْجَامِعَةِ لِكُلِّ وَسَائِلِ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ الْخَالِدِ.

• ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (١١): أي: إذا كُنْتَ أَتِيهَا الْمُتَلَقِّي مِنْ أَهْلِهَا.

• ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ (١١) و [لا يسمع فيها لاغية] بِحَسَبِ الْقِرَاءَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ، رُوِيَ فِي «لَا تَسْمَعُ» أَنَّ لَفْظَ «لَاغِيَةً» مُؤَنَّثٌ، وَرُوِيَ فِي «لَا يُسْمَعُ» أَنَّ لَفْظَ «لَاغِيَةً» مَجَازِيٌّ التَّأْنِيثُ يَجُوزُ فِيهِ التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ.

• ﴿لَغِيَةً﴾: أي: كائِنَةً لَاغِيَةً مِنْ ذَوَاتِ الصَّوْتِ، اسْمُ فَاعِلٍ مِنَ اللَّغْوِ، وَهُوَ مَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ كَلَامٍ وَغَيْرِهِ إِذْ لَا فَايِدَةَ مِنْهُ، وَلَا يَدْخُلُ فِي اللَّغْوِ مَا تَتَلَذَّذُ بِهِ النَّفْسُ مِنْ أَصْوَاتٍ، كَأَصْوَاتِ مُغَرَّدَاتِ الطُّيُورِ، وَأَصْوَاتِ الْغِنَاءِ الْجَمِيلِ الَّذِي تَطْرَبُ لَهُ النَّفْسُ وَتَلَذُّهُ. إِذْ فِي الْجَنَّةِ، مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَالْأَصْوَاتُ الْحَسَنَةُ الْجَمِيلَةُ مِمَّا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَتَنَعَّمُ بِهِ.

• ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١٢): يُرَادُ بِلَفْظِ «عَيْنٍ» جِنْسُ الْعُيُونِ الَّتِي تَتَدَقَّقُ نَابِعَةً مِنْ مَنَابِعِ فِي الْجَنَّةِ، عَلَى كَثْرَةِ أَعْدَادِهَا، وَتَنَوُّعِ صِفَاتِهَا وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ أَشْرِبَةٍ لِأَهْلِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَأَفْرِدَتْ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ بِهَا.

• ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ (١٣): سُرُرٌ: جَمْعُ «سَرِيرٍ» وَهُوَ الْمَضْجَعُ ذُو الْقَوَائِمِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي تَرْفَعُهُ عَنِ الْأَرْضِ، وَنَحْوِهِ، وَيُبْسِطُ عَلَيْهِ الْفِرَاشُ اللَّيِّنُ عَلَى مِقْدَارِ الْمَسْطَحِ مِنْهُ.

وَجُمِعَتِ السُّرُرُ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تَكُونَ أَفْرَادَهَا مَخْصُوصَاتٍ لِأَصْحَابِهَا، فَهِيَ مُوزَّعَةٌ بَيْنَهُمْ.

وُوصِفَتْ بِأَنَّهَا مَرْفُوعَةٌ، لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ ارْتِفَاعَهَا زَائِدٌ عَلَى مَا يُعْلَمُ مِنَ الْأَسْرِ الَّتِي يَتَّخِذُهَا الْمُلُوكُ، وَأَهْلُ الثَّرَاءِ وَالرَّفَاهِيَةِ فِي الدُّنْيَا، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى نَفَاسَتِهَا وَارْتِفَاعِ قِيمِ ذَوَاتِهَا.

• ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ (١٤): أَكْوَابٌ: جَمْعُ «كُوبٍ» وَهُوَ قَدَحٌ مِنْ

زُجَّاجٍ وَنَحْوِهِ، مُسْتَدِيرُ الرَّأْسِ، لَا أُذُنَ لَهُ وَلَا عُرْوَةَ، وَهُوَ مِنْ آيَةِ الشَّرَابِ.

وَجَاءَ لَفْظُ «أَكْوَابٍ» مَجْمُوعاً، لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَثَرَتِهَا، وَتَنَوُّعِ أَشْكَالِهَا وَتَنَوُّعِ مُحْتَوَيَاتِهَا.

وُوصِفَتْ بِأَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهَا مُهَيَّأَةٌ وَمُعَدَّةٌ دَوَاماً، بِحَسَبِ رَغَبَاتِ الْمُنْعَمِينَ بِهَا، وَأَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ بِالْقُرْبِ مِنْ تَنَاوُلِهِمْ، وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَكُونَ مَوَاضِعُهَا مِنْ أَنْفَسِ مَا تُوضَعُ عَلَيْهِ الْأَكْوَابُ.

• ﴿وَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ﴾ (١٥): نَمَارِقُ: جَمْعُ «نَمْرُقٍ» وَهِيَ وَسَادَةٌ صَغِيرَةٌ يُتَّكَأُ عَلَيْهَا. وَوُصِفَتْ بِأَنَّهَا مَصْفُوفَةٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَثَرَتِهَا وَإِمْكَانِ التَّنَاوُلِ مِنْهَا بِحَسَبِ حَاجَةِ أَهْلِ جَنَّاتِ النِّعَمِ إِلَى الْإِتِّكَاءِ عَلَيْهَا.

• ﴿وَرَزَائِبٌ مَبْثُوثَةٌ﴾ (١٦): رَزَائِبِي: جَمْعُ «رَزِيَّةٍ» وَهِيَ الْبِسَاطُ، وَالطَّنْفِيسَةُ مِثْلَةُ الطَّاءِ، الَّتِي تُنْسَجُ مِنَ الصُّوفِ النَّاعِمِ الْمَلَوَّنِ، وَتُقَرَّشُ عَلَى الْأَرْضِ لِلزِّيَةِ، وَالْجُلُوسِ عَلَيْهَا. وَمِنْهَا مَا يُعْرَفُ فِي أَيَّامِنَا بِالسَّجَادِ.

مَبْثُوثَةٌ: أَي: مُوزَعَةٌ مُفَرَّقَةٌ تَوْزِيعاً جَمَالِيّاً، عَلَى اخْتِلَافِ أَجْنَاسِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا وَرُسُومِهَا وَأَشْكَالِ جَمَالِهَا.

جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ (٨ - ١٦) تَقْدِيمُ لَوْحَةٍ تَصْوِيرِيَّةٍ، لِلْقِطْعَةِ فَنِّيَّةٍ مِنَ اللَّقْطَاتِ الْمُخْتَارَاتِ لِلْعَرْضِ الْقُرْآنِيِّ الْبَيَّانِيِّ، الَّذِي يَشْتَمِلُ الْمَعْرُوضِ فِيهِ، عَلَى مَشْهَدٍ مِنْ مَشَاهِدِ الْمُنْعَمِينَ فِي الْجَنَّةِ، وَبَعْضِ الْوَسَائِلِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي يَكُونُونَ فِيهَا وَبِهَا مُنْعَمِينَ، تَرْغِيباً فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمُؤَهِّلِينَ لِهَذَا الْفَوْزِ الْعَظِيمِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الأول من دروس سورة (الغاشية).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِه.

(٦)

## التدبر التحليلي للدرس الثاني من دُروس سورة (الغاشية) (الآيات من ١٧ - ٢٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٠﴾﴾.

تمهيد:

في هذا الدرسِ حثٌّ عَلَى النَّظَرِ التَّفَكُّرِيِّ بِبَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، الدَّلَالَاتِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ، وَعَلَى إِبْدَاعِهِ وَإِتْقَانِ صُنْعِهِ، وَمِنْهَا قُدْرَتُهُ عَلَى الْبَعْثِ وَأَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ، بِمَا فِيهَا مِنْ وَعْدٍ بِالتَّعْظِيمِ الْعَظِيمِ، وَوَعِيدٍ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

التدبر التحليلي:

الاستفهامُ في صدرِ هذا الدرسِ بِعِبَارَةِ ﴿أَفَلَا﴾ يُدْرِكُ المتدبرُ فِيهِ أَنَّ «الْفَاءَ» تَعْطِفُ عَلَى مَحذُوفٍ مِنَ السَّهْلِ اسْتِخْرَاجُهُ، وَالتَّقْدِيرُ: أَنْظَمَسْتُ أَبْصَارُ وَبَصَائِرُ مُنْكَرِي تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَمُنْكَرِي الْبَعْثِ وَيَوْمِ الدِّينِ وَمَا فِيهِ مِنْ جَزَاءٍ بِالثَّوَابِ وَبِالْعِقَابِ، فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى بَعْضِ آثَارِ خَلْقِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَمِنْهَا خَلْقُ الْإِبِلِ، وَرَفْعُ السَّمَاءِ، وَنُصْبُ الْجِبَالِ، وَسَطْحُ الْأَرْضِ؟؟.

• ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿٧﴾﴾:

الْإِبِلُ: هِيَ الْجِمَالُ، وَتُسَمَّى الثَّوْقُ، وَلَفْظُ: «الْإِبِلِ» اسْمُ جِنْسٍ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَهُوَ مُؤَنَّثٌ، فَيَقَالُ: «هِيَ الْإِبِلُ» وَيُجْمَعُ لَفْظُ «الْإِبِلِ» عَلَى «أَبَالٍ» وَيَقَالُ لِلْقَطِيعَيْنِ مِنَ الْإِبِلِ: «إِبِلَانِ».

وَيُوصَفُ الْجَمَلُ بِأَنَّهُ سَفِينَةُ الصَّخَرَاءِ .

وَيَذْكُرُ عُلَمَاءُ الْأَحْيَاءِ لِلْجَمَلِ صِفَاتٍ وَخَصَائِصَ إِنْتِقَانِيَّةٍ مُدْهِشَةٍ، مِنْهَا

مَا يَلِي :

(١) يُسْتَعْدَمُ الْجَمَلُ فِي قَضَاءٍ كَثِيرٍ مِنْ حَاجَاتِ النَّاسِ الْيَوْمِيَّةِ، وَمِنْهَا جَرُّ الْمَحَارِيثِ لِإِعْدَادِ الْأَرْضِ الزَّرَاعِيَّةِ وَتَهْيِئَتِهَا لِلزَّرَاعَةِ، وَنَضْحُ الْمَاءِ مِنَ الْأَبَارِ بِالسَّوَانِي وَغَيْرِهَا، وَمِنْهَا حَمْلُ وَنَقْلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَى حَمْلِ وَنَقْلِ .

(٢) وَالْجَمَالُ مَصْدَرٌ ذُو قِيَمَةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ مَصَادِرِ الْغِذَاءِ لِسُكَّانِ الصَّحَارِي، فَيَأْكُلُونَ مِنْ لُحُومِهَا وَشُحُومِهَا، وَيَشْرَبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا، وَكَذَلِكَ لِسُكَّانِ الْمُدُنِ وَالْقُرَى .

(٣) وَفِي أَوْبَارِ الْجَمَالِ وَجُلُودِهَا وَعِظَامِهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ لِلنَّاسِ .

(٤) تَفْقِدُ كُلُّ الْجَمَالِ وَبَرَّهَا فِي فَضْلِ الرَّبِيعِ، وَتَكْتَسِي وَبَرًا جَدِيدًا فِي فَضْلِ الْخَرِيفِ بَعْدَ ذَلِكَ .

(٥) لِلْجَمَلِ عَيْنَانِ وَاسِعَتَانِ عَلَى جَانِبَيْ رَأْسِهِ، وَلِكُلِّ عَيْنٍ رُمُوشٌ مُقَوَّسَةٌ تَقِي الْعَيْنَيْنِ مِنَ الرَّمَالِ إِذَا هَبَّتِ الرِّيَّاحُ . وَلَهُ جُفُونٌ كَثِيفَةُ الشَّعْرِ تَقِي عَيْنَيْهِ مِنْ شَمْسِ الصَّخَرَاءِ، وَلَا تَسْمَحُ بِدُخُولِ ضَوْءٍ زَائِدٍ يُؤْذِيهِمَا .

(٦) وَيَتَكَوَّنُ سَنَامُ الْجَمَلِ فِي مُعْظَمِهِ مِنَ الشَّحْمِ، وَهُوَ الْمَخْزَنُ الْأَعْظَمُ الَّذِي تَتَرَوَّدُ مِنْهُ غِذَاءُهَا عِنْدَ فَقْدِ الطَّعَامِ الَّذِي تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الصَّخَرَاءِ .

(٧) لِلْجَمَلِ قُدْرَةٌ عَلَى الْعَيْشِ بِدُونِ مَاءٍ لِأَيَّامٍ كَثِيرَةٍ قَدْ تَصِلُ إِلَى شُهُورٍ، إِذْ يَكْتَفِي بِالْمَاءِ الَّذِي يَمْتَصُّهُ مِنْ طَعَامِهِ الرَّطْبِ، وَهُوَ يَحْتَفِظُ بِمُعْظَمِ مَقَادِيرِ الْمَاءِ فِي جِسْمِهِ .

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ أَجْسَامِ الْجَمَالِ، الْمَهْيَأَةِ وَالْمُعَدَّةِ إِعْدَادًا تَامًّا لِلْإِنْتِقَانِ وَالْإِحْكَامِ لَوُظِفَتِهَا النَّفْعِيَّةُ لِلنَّاسِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

• ﴿وَالِىَ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾: ﴿٨﴾

إِنَّ النَّاسَ فِي الْأَرْضِ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ثَقِيلٌ مِنَ الْأَجْرَامِ مُرْتَفِعٌ فِي الْجَوِّ، لَا بُدَّ لَهُ مِنْ جُذْرَانِ أَوْ أَعْمِدَةٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا، عَلَى مَا يُشَاهِدُونَ بِرُؤْيَيْهِمْ السَّادِجَةَ أَنَّ الْأَرْضَ ثَابِتَةٌ وَأَنَّ الْأَجْرَامَ الْعُلَوِيَّةَ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَحْمُولَةً عَلَيْهَا، وَلَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ فِي بَالِهِمْ أَنَّ طَاقَةَ عَظْمَى هِيَ طَاقَةُ الْجاذِبِيَّةِ، هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ أَجْرَامَ السَّمَاءِ مُحَافِظَةً عَلَى مَوَاقِعِهَا.

فَجَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حَائِثَةً عَلَى التَّفَكُّرِ بِنَظَرٍ عَقْلِيٍّ، لَاكْتِشَافِ عَظَمَةِ الرَّبِّ الْخَالِقِ فِي جَعْلِ أَجْرَامِ السَّمَاءِ الْعُظْمَى مُرْتَفِعَةٍ فِي أَبْعَادِ الْفَضَاءِ، دُونَ أَنْ تَكُونَ لَهَا أَعْمِدَةٌ تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا وَتُثَبِّتُهَا فِي مَوَاقِعِهَا مِنَ السَّمَاءِ، حَتَّى جَاءَتْ الْبُحُوثُ الْعِلْمِيَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ، فَاكْتَشَفَ النَّاسُ طَاقَةَ الْجاذِبِيَّةِ الْمَجْهُولَةِ الْهَوِيَّةِ، فَدَلَّ هَذَا الْاِكْتِشَافُ عَلَى عَظَمَةِ قُدْرَةِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ، وَعَظِيمِ إِتْقَانِهِ لِمَا خَلَقَ.

• ﴿وَالِىَ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾: ﴿٩﴾

نُصِبَتْ: أَيُّ: أُعْلِيَتْ عَنْ سَطْحِ الْيَابِسِ مِنَ الْأَرْضِ. يُقَالُ لُغَةً: «نَصَبَ الشَّيْءَ» أَيُّ: أَقَامَهُ وَرَفَعَهُ، وَمِنْهُ «نَصَبَ الْعِلْمَ، وَنَصَبَ الْبَابَ» أَيُّ: رَفَعَهُمَا.

وَالْتَوَجُّهُ لِظَاهِرَةِ الْجِبَالِ، وَكَيْفَ رُفِعَتْ عَنْ سَطْحِ الْيَابِسَةِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الظَّاهِرَاتِ الْكُونِيَّةِ فِي الْأَرْضِ، الْقَائِمَةِ عَلَى حَرَكَاتٍ عَجِيبَاتٍ، دَوَاتِ إِتْقَانٍ فِي الْخَلْقِ، وَتَدْبِيرٍ مُدْهِشٍ، أَدَّى إِلَى ظُهُورِهَا عَلَى سَطُوحِ الْيَابِسَةِ، وَتَحْقِيقِ مَنَافِعَ جَلِيلَةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ لِسُكَّانِ الْأَرْضِ عَلَيْهَا.

وَلِعُلَمَاءِ الْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الْأَرْضِ، دِرَاسَاتٌ كَشَفَتْ لَهُمْ بَعْضَ عَجَائِبِ الْإِتْقَانِ الرَّبَّانِيِّ، الَّذِي نَتَجَّ عَنْهُ ارْتِفَاعُ الْجِبَالِ، وَكَشَفَتْ لَهُمُ الْمَنَافِعَ الْفُطْمِيَّةَ لَوْجُودِ الْجِبَالِ فِي الْأَرْضِ.

وَالْتَقِطْ مِمَّا ذَكَرَهُ عُلَمَاءُ الْأَرْضِيَّاتِ مِنْ مَنَافِعِ الْجِبَالِ، مَا يَلِي:

(١) سَلَاسِلُ الْجِبَالِ هِيَ الْمَتَحَكِّمَةُ فِي مُنَاحٍ وَتَدْفِقُ مِيَاهُ الْمَنَاطِقِ الْمُجَاوِرَةِ لَهَا.

(٢) وَهِيَ ذَوَاتُ أَسْبَابٍ نَافِعَةٍ لِمَا يَعِيشُ عَلَيْهَا مِنْ نَبَاتَاتٍ وَحَيَوَانَاتٍ.

(٣) وَالْجِبَالُ مَضَرٌّ عَظِيمٌ لِلْمَعَادِنِ وَلِكَثِيرٍ مِنْ كُنُوزِ الْأَرْضِ.

(٤) وَلِلْجِبَالِ تَأْثِيرٌ عَلَى نَشَاطَاتِ الْإِنْسَانِ وَأَسْلُوبِ مَعِيشَتِهِ، فِي تَقْلِيلِهِ، وَمُواصَلَاتِهِ، وَأَمَاكِنِ إِقَامَتِهِ وَالتَّرْوِيحِ عَنْ نَفْسِهِ.

(٥) وَالْجِبَالُ تَحْمِي الْيَابِسَةَ مِنَ الْإِنْقِلَابِ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَنْتُجِعَ مِنْ هَيَاجِ الْأَمْوَاجِ فِي الْمِيَاهِ الَّتِي تَتَجَاوَزُ مَسَاحَتَهَا سَبْعِينَ فِي الْمِئَةِ مِنْ عُمُومِ مَسَاحَةِ الْأَرْضِ، وَضِدَّ أَيِّ تَقْلُبَاتٍ كَوْنِيَّةٍ أُخْرَى، وَمِنْهَا الْبَرَائِكِينَ.

(٦) وَلِلْجِبَالِ تَأْثِيرٌ قَوِيٌّ فِي حَرَكَاتِ الْهَوَاءِ، وَتَسَاقُطِ الْأَمْطَارِ وَالتُّلُوجِ وَنَحْوِهَا.

(٧) وَلِلْجِبَالِ تَأْثِيرٌ فِي تَوْفِيرِ الْمِيَاهِ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأَرَاضِي الْبَعِيدَةِ، وَهِيَ مَخَازِنُ لِكَثِيرٍ مِنْ مِيَاهِ الْأَرْضِ الْمَحْفُوظَةِ عَلَى شَكْلِ ثُلُوجٍ عَلَى ظُهُورِ بَعْضِهَا، وَأَخْوَاضٍ فِي بُطُونِ بَعْضِهَا.

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَنَافِعَ كَبِيرَةٍ لِسُكَّانِ الْأَرْضِ بِسَبَبِ كَوْنِ الْجِبَالِ مُتَنَصِّبَةً بِالشَّكْلِ الَّتِي هِيَ عَلَيْهِ فِي الْأَرْضِ.

• ﴿وَالِی الْأَرْضِ کَیْفَ سَطَحَتْ﴾ (٢٠):

أي: كَيْفَ سَطَحَ اللَّهُ وَبَسَطَ وَسَوَّى أَمَاكِنَ كَثِيرَةً مِنَ الْأَرْضِ، لِمَنَافِعِ النَّاسِ وَسُكْنَاهُمْ وَزَرَاعَاتِهِمْ وَكَثِيرٍ مِنْ حَاجَاتِ حَيَوَاتِهِمْ.

يُقَالُ لُغَةً: «سَطَحَ فُلَانٌ الشَّيْءَ، يَسْطِخُهُ، سَطَحًا» أي: بَسَطَهُ وَسَوَاهُ،

وَيَكْفِي كَوْنُ كَثِيرٍ مِنْ أَمَاكِنِ الْأَرْضِ مَسْطُوحاً، عَلَى كُرَّتِهَا للتعبير عَنْهَا بِأَنَّهَا «سُطِحَتْ».

وفي هَذَا الدَّرْسِ مِنَ الْجَوَابِ الْأَدَبِيَّةِ فَنِيَّةُ تَرْتِيبِ جُمْلِهِ.

قَدْ يَهْدَفُ تَرْتِيبُ الْجُمْلِ الْقُرْآنِيَّةِ إِلَى عَرْضِ لَوْحَةٍ فَنِيَّةٍ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ فِي كَوْنِهِ، حَتَّى كَأَنَّهَا رَسْمٌ قَدْ رُوِعِيَتْ فِيهِ كُلُّ الشُّرُوطِ الْفَنِيَّةِ الَّتِي تُرَاعَى فِي الرُّسُومِ وَالصُّوَرِ الرَّفِيعَةِ، فَتَبْدُو الصُّورَةُ مِثَالاً مُطَابِقاً لِحَرَكَةِ تَتَابُعِ الْمَشْهَدِ فِي نَفْسِ الْمُشَاهِدِ.

تَصَوَّرْ أَنَّكَ جَالِسٌ فِي بَادِيَةٍ فِي خَيْمَةٍ، كَوَاحِدٍ مِنْ عُرَبَانِ الْبَادِيَةِ، وَأَمَامَكَ سَهْلٌ مُمْتَدٌّ، وَبَعْدَهُ سِلْسِلَةُ جِبَالٍ مُتَتَابِعَةٍ، وَمَرَّتْ قَافِلَةٌ جَمَالٍ فِي هَذَا السَّهْلِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْجِبَالِ.

فَكَيْفَ تَتَنَقَّلُ نَفْسُكَ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ، بَعْدَ هَذَا الْحَدَثِ الْمَتَحَرِّكِ الْمَشِيرِ، وَهُوَ قَافِلَةُ الْجَمَالِ.

لَقَدْ تَمَثَّلْتُ هَذِهِ الصُّورَةَ فَوَجَدْتُ أَنَّنِي أَتَنَقَّلُ فِي مُتَابَعَتِهَا، مُرَكِّزاً عَلَى بُورَةِ الْمَشْهَدِ مَرَحَلَةً فَمَرَحَلَةً عَلَى الْوَجْهِ التَّالِي:

**الْلَفْظَةُ الْأُولَى:** صُورَةُ قَافِلَةِ الْجَمَالِ الَّتِي تَمْشِي مُعْتَزَّةً فِي السَّهْلِ الْمُمْتَدِّ، إِذْ كَانَتْ أَوَّلَ لَا فِتٍ لِنَظَرِي، بِسَبَبِ الْحَرَكَةِ، وَغَرَابَةِ الْمَشْهَدِ، وَرَغْبَةِ النَّفْسِ فِي مُتَابَعَةِ مُشَاهَدَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَغِيبَ عَنِ النَّظَرِ، فَكَانَتْ فِي حِسِّي هِيَ بُورَةُ الْمَشْهَدِ الْبَارِزِ، وَمَا سِوَاهَا كَانَ أَرْضِيَّةً لَهَا.

**الْلَفْظَةُ الثَّانِيَّةُ:** صُورَةُ السَّمَاءِ مِنْ جِهَةِ الْأَفْقِ الْبَعِيدِ وَرَاءَ الْقَافِلَةِ، إِذْ اكْتَفَتْ نَفْسِي مِنْ مُتَابَعَةِ التَّرَكِيزِ عَلَى قَافِلَةِ الْجَمَالِ، فَتَرَكَتُهَا وَجَعَلْتُهَا مَعَ أَرْضِيَّةِ الصُّورَةِ، وَانْتَقَلْتُ إِلَى التَّأْمُلِ فِي السَّمَاءِ، فَكَانَتْ السَّمَاءُ فِي حِسِّي هِيَ بُورَةُ الْمَشْهَدِ الْبَارِزَةِ، وَتَوَجَّهَ بَصْرِي لِلتَّرَكِيزِ عَلَى السَّمَاءِ بَحْثاً وَتَأْمُلاً، حَتَّى إِذَا اكْتَفَيْتُ مِنْ هَذَا ظَهَرْتُ فِي شُعُورِي لَفْظَةً أُخْرَى.



**الَلْقَطَةُ الثَّلَاثَةُ:** هِيَ صُورَةُ الْجِبَالِ الْمَتَّابِعَةِ، إِذْ أَخَذَتْ تَبْرُزُ فِي حِسِّي، فَتَكُونُ هِيَ بُورَةَ الْمَشْهَدِ، وَتَوَجَّهَ بَصْرِي لِلتَّرْكِيزِ عَلَى الْجِبَالِ بَحْثًا وَتَأْمُلًا فِيهَا. وَأَدْرَكْتُ أَنَّ مِنْ طَبِيعَةِ النَّفْسِ لَدَى مُشَاهَدَةِ مَشْهَدٍ مُتَعَدِّدِ الْعَنَاصِرِ، أَنْ تَبْدَأَ بِالْمُتَحَرِّكِ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ إِثَارَةً، ثُمَّ تَنْتَقِلَ إِلَى أَعْلَى الْمَشْهَدِ، ثُمَّ تَتَدَلَّى شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى أَذْنَاهُ.

وَلَمَّا اكْتَفَتْ نَفْسِي مِنَ التَّأْمُلِ فِي الْجِبَالِ ظَهَرَتْ فِي شُعُورِي الَلْقَطَةُ الَّتِي وَرَاءَهَا.

**الَلْقَطَةُ الرَّابِعَةُ:** هِيَ صُورَةُ الْأَرْضِ الْمُنْبَسِطَةِ الْمَمْتَدَّةِ أَمَامِي كَأَنَّهَا السَّطْحُ، إِذْ أَخَذْتُ تَبْرُزُ فِي حِسِّي، فَتَكُونُ بُورَةَ الْمَشْهَدِ، وَتَوَجَّهَ بَصْرِي لِلتَّرْكِيزِ عَلَى الْأَرْضِ بَحْثًا وَتَأْمُلًا فِيهَا.

عِنْدَئِذٍ عَلِمْتُ الْحِكْمَةَ الَّتِي دَعَتْ إِلَى تَرْتِيبِ الْجُمَلِ الْقُرْآنِيَّةِ فِي هَذَا الدَّرْسِ مِنْ دُرُوسِ السُّورَةِ، وَمَا فِيهَا مِنْ تَصْوِيرٍ كَلَامِيٍّ، مُتَابِعٍ لِحَرَكَةِ النَّفْسِ لَدَى مُشَاهَدَةِ مِثْلِ هَذِهِ اللَّوْحَةِ الرَّائِعَةِ.

وَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّهَا بِهِذَا التَّرْتِيبِ تُقَدِّمُ لَوْحَةً فَنِيَّةً تُطَابِقُ مَا يَحْدُثُ لِمُشَاهِدٍ وَقَعَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَشْهَدِ.

وَبِهَذَا انْتَهَى تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّانِي مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الغاشية).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِنْتَنِيهِ، وَفَتْحِهِ.



(٧)

**التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الغاشية)**

**الآيات من (٢١ - ٢٦) آخر السورة**

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۝٢٢ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۝٢٣ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۝٢٤ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۝٢٦﴾

## القراءات:

(٢٢) • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهِمْ] بِضَمِّ الْهَاءِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمْ] بِكَسْرِ الْهَاءِ.

وَهُمَا نُظْقَانِ عَرَبِيَّانِ.

(٢٢) • قرأ هشام: [بِمُسَيِّطِرٍ] بِالسِّينِ.

وقراها حمزة بخلف عن خلاد، بأشمام الصّاد زائاً.

وقراها باقي القراء العشرة: [بِمُصَيِّطِرٍ] بِالصّادِ الْخَالِصَةِ، وَهُوَ الْوَجْهُ

الثاني لِخَلَادٍ.

(٢٥) • قرأ أبو جعفر: [إِيَابَهُمْ] بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ، وَهِيَ عَلَى رَأْيِ ابْنِ

جَنِّي مَصْدَرٌ مِنْ فَعَلَ «أَيَّبَ» بِمَعْنَى «رَجَعَ».

وقراها باقي القراء العشرة: [إِيَابَهُمْ] بِتَخْفِيفِ الْيَاءِ، مِنْ فَعَلَ «آبَ،

يُؤُوبُ، إِيَابًا» بِمَعْنَى رَجَعَ.

فَمَوْذَى الْقَرَاءَتَيْنِ وَاحِدٌ.

## تمهيد:

فِي هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ مَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ، يُحَدِّدُ لَهُ فِيهِ

وُظِيفَتُهُ فِي رِسَالَتِهِ، وَهِيَ التَّبْلِيغُ وَالتَّذْكِيرُ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مُجْبِراً وَلَا مُسَيِّطِراً،

أَمَّا الْجَزَاءُ الْأَكْبَرُ فَيَتَوَلَّاهُ اللَّهُ يَوْمَ الدِّينِ، بَعْدَ الْبَعْثِ لِلْحَيَاةِ الْأُخْرَى.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾:

• ﴿فَذَكِّرْ﴾: أي: فأعِدْ مَا سَبَقَ أَنْ أَعْلَمْتَهُ وَأَبْلَغْتَهُ لِقَوْمِكَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَمِنْ قَضَايَا الدِّينِ.

• ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾: أي: مَا أَنْتَ بِالنُّسْبَةِ إِلَى مَجْمُوعِ قَوْمِكَ فِي مَكَّةَ، إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ، إِلَّا مُذَكِّرٌ لِلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا بَعْدَ إِلَى دَعْوَةِ الْحَقِّ، فَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَبْلَغْتَهُمْ، وَبَيَّنْتَ لَهُمْ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَمَا أُمِرْتَ بِتَبْلِيغِهِمْ إِيَّاهُ مِنْ قَضَايَا الدِّينِ، وَالْآنَ أَنْتَ مَعَ الْمَظْمُوعِ بِاسْتِجَابَتِهِمْ فِي مَرَحَلَةِ التَّذْكِيرِ.

أَمَّا الْمِيثُوسُ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحُرَّةَ فَقَدْ سَبَقَ فِي سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ/ ٦٧ نزول) أَنْ قُلْنَا لَكَ:

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

• ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾:

الْمُصَيْطِرُ - وَالْمُسَيْطِرُ: الْمُجْبِرُ الْمُكْرِهُ.

أي: لَسْتَ مُسَلِّطًا عَلَيْهِمْ لِإِجْبَارِهِمْ وَإِكْرَاهِهِمْ عَلَى الْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، إِذْ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، إِنَّ الْاسْتِجَابَةَ لِلدُّخُولِ فِي الدِّينِ لَا تُقْبَلُ مَا لَمْ تَكُنْ عَنْ اخْتِيَارٍ حُرٍّ، لَا إِجْبَارٍ فِيهِ وَلَا إِكْرَاهَ.

أَضْلُ الْعِبَارَةِ: لَسْتَ بِمُصَيْطِرٍ عَلَيْهِمْ، فَعِبَارَةُ «عَلَيْهِمْ» مَعْمُولٌ لِمُصَيْطِرٍ. أي: لَسْتَ مُسَلِّطًا عَلَيْهِمْ تَسَلُّطَ مُجْبِرٍ مُكْرِهٍ.

• ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ ﴿٢٣﴾ فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾:

• ﴿إِلَّا﴾ هُنَا أَدَاةُ اسْتِدْرَاكِ بِمَعْنَى «لَكِنْ».

• ﴿مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾: مَنْ أَذْبَرَ وَنَأَى، وَكَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَبِمَا أَوْجَبَ الْإِيمَانَ بِهِ، وَالْإِسْلَامَ لَهُ.

• ﴿فَيَعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ ﴿٢٤﴾:

أي: فَيُدْخِلُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا، وَيُعَذِّبُهُ فِيهَا الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ وَهُوَ عَذَابُ الْحَرِيقِ، مَعَ أَنْوَاعِ عَذَابٍ أُخْرَى، جَاءَ فِي نُصُوصِ الْقُرْآنِ بَيَانُ بَعْضِهَا.

• ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ (٧٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٥﴾:

إِنَّ الْمَوْتَ خُرُوجٌ مِنَ الْوُجُودِ الْحَيِّ لِلْأَحْيَاءِ، وَهُوَ خُرُوجٌ مُؤَقَّتٌ، وَيَعُدُّهُ بَعْثٌ وَإِيَابٌ إِلَى الْحَيَاةِ مَرَّةً أُخْرَى، وَلَكِنَّ هَذَا الْإِيَابَ سَوْفَ يَكُونُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ الَّتِي لَا يَكُونُ فِيهَا مُلْكٌ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فإِيَابُهُمْ سَوْفَ يَكُونُ إِلَيْهِ وَحْدَهُ.

ثُمَّ بَعْدَ أَحْدَاثٍ تَكُونُ فِي مَوْقِفِ الْحَشْرِ، يُجْمَعُونَ إِلَى مَحْكَمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ، وَحِينَئِذٍ يَتَوَلَّى اللَّهُ حِسَابَهُمْ، وَفَصَلَ الْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يُسَاقُونَ إِلَى مَوَاطِنَ جَزَائِهِمْ.

وبهذا انتهى تدبرُ سورة (الغاشية).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتْنِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٨)

**ملحق: مستخرجات بلاغية من سورة (الغاشية)**

في هَذِهِ السُّورَةِ اخْتِيَارَاتُ بَلَاغِيَّةٌ مُتَعَدِّدَةٌ:

أولاً: مِنْ خُرُوجِ الاستفهام عَنْ أَصْلِ دَلَالَتِهِ

(١) الاستِفْهَامُ بحرف الاستفهام «هَلْ» فِي صَدْرِ السُّورَةِ، يُرَادُ بِهِ الدَّعْوَةُ إِلَى اسْتِمَاعِ الْحَدِيثِ عَنِ الْغَاشِيَةِ مَعَ التَّشْوِيقِ إِلَيْهِ.

(٢) الاستفهام فِي: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ﴿٧٦﴾؟:

يُرَادُ بِهِ الْحَثُّ عَلَى النَّظَرِ، مَعَ تَلْوِيمِ الْمُؤَهِّلِينَ لِلنَّظَرِ إِذْ لَمْ يَنْظُرُوا،  
أَوْ لَمْ يَنْتَفِعُوا مِنَ النَّظَرِ الَّذِي ذَلَّهِمْ عَلَى عَظَمَةِ الرَّبِّ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْبَعْثِ،  
وَخَلَقِ أَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ، وَإِقَامَةِ الْجَزَاءِ بِالْفَضْلِ أَوْ بِالْعَدْلِ.

### ثانياً: مِنَ الْحَذَفِ الَّذِي يُسْتَخْرَجُ بِقَلِيلٍ مِنَ النَّأْمَلِ

في قوله تَعَالَى فِي وَصْفِ الْجَنَّةِ: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۝﴾  
«لَاغِيَةً» صِفَةً لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: لَا تَسْمَعُ فِي الْجَنَّةِ ذَاتُ  
صَوْتٍ لَاغِيَةٍ، تَنْطِقُ بِلُغَةٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ.

### ثالثاً: مِنَ الْقَصْرِ

في قولِ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝﴾

أَي: مَا أَنْتَ فِي الْمَرَحَلَةِ الَّتِي بَلَغْتَ إِلَيْهَا إِبَّانَ تَنْزِيلِ السُّورَةِ، بِالنُّسْبَةِ  
إِلَى قَوْمِكَ فِي مَكَّةَ إِلَّا مُذَكِّرٌ لِمَنْ تَأْنَسُ مِنْهُمْ قَابِلِيَّةَ الاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ  
الْحَقِّ.

وَهَذَا الْقَصْرُ إِضَافِيٌّ، وَهُوَ مِنْ قَصْرِ مَوْصُوفٍ عَلَى صِفَةٍ، وَالْأَدَاةُ فِيهِ  
أَدَاةُ الْحَضَرِ «إِنَّمَا».

### رابعاً: التوكيد لَوُجُودِ الدَّاعِي الْبَلَاغِيِّ إِلَيْهِ

(١) التوكيد بالبَاءِ الزائدة في: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۝﴾.

(٢) التوكيد بـ «إِنَّ» - وَالْجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ في:

- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝﴾.

- ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۝﴾.

وبهذا أَكْتَفَى مِنَ الْمُسْتَخْرَجَاتِ الْبَلَاغِيَّةِ فِي سُورَةِ (الْغَاشِيَةِ).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَتَوْفِيقِهِ.



## سُورَةُ الْكَهْفِ

١٨ مصحف ٦٩ نزول

وهي مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا على الراجح

وقيل توجد آيات فيها مدنية





(١)

## نصّ السّورة وما فيها من فُرُشِ القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكْنِيَةً فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بِخُفٍّ نَفْسِكَ عَلَيَّ عَاثِرِهِمْ إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾

- ١ - سَكَتَ حَفْصٌ فِي حَالَةِ الْوَصْلِ عَلَى أَلْفٍ عِوَجًا مِنْ: [عِوَجًا قِيمًا] سَكَنَتْ لَطِيفَةً يَدُونِ تَنْفُسٍ.  
ولم يَسْكُنْهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ:
- ٢ - قَرَأَ شُعْبَةُ: [مِمَّنْ لَدُنْهِ] بِاسْكَانِ الدَّالِّ مَعَ إِشْمَامِهَا الضَّمِّ، وَكَسْرِ النُّونِ وَالْهَاءِ، وَصَلَتْهَا يَبَاءٌ لَفْظِيَّةً.  
وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [مِمَّنْ لَدُنْهُ].
- ٢ - قَرَأَ حَمْزَةً، وَالْكَسَائِي: [وَيُبَشِّرُ] مِنْ فِعْلِ «بَشَّرَهُ» بِمَعْنَى «بَشَّرَهُ».  
وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [وَيُبَشِّرُ] مِنْ فِعْلِ «بَشَّرَهُ» أَي: أَخْبَرَهُ بِمَا يَسْرُهُ وَيُفْرَحُهُ.

رَبَّنَا ءِإِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾  
فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ  
بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ  
عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى  
﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ؕ إِلَهًا لَّهُمَا قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾  
هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ؕ إِلَهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمُ  
بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾  
وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَاوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ  
لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾  
وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا

- ١٠ - • قرأ أبو جعفر، وحمزة، وهشام: [وَهَيِّئْ] بياءٍ أُخِيرَةِ سَاكِنَةٍ فِي الْوَقْفِ.  
وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [وَهَيِّئْ] بِهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ أُخِيرَةِ وَصَلًا وَوَقْفًا.
- ١٦ - • قرأ السُّوسِي، وأبو جعفر، وحمزة: [فَاوُوا] بِأَلْفٍ مَدِّيَّةٍ بَعْدَ الْفَاءِ فِي الْوَقْفِ فَقَطْ.
- وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [فَاوُوا] وَصَلًا وَوَقْفًا.
- ١٦ - • قرأ أبو جعفر: [وَيَهَيِّئْ].
- وكذلك حَمْزَةُ، وَهَشَامُ فِي الْوَقْفِ وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةُ: [وَيَهَيِّئْ].
- ١٦ - • قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: [مَرْفَقًا].
- وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [مَرْفَقًا]. وهما لغتان عَرَبِيَّتَانِ.
- ١٧ - • قرأ ابن عامر، ويعقوب: [تَزَاوَرُ].
- وقراها عاصم، وحمزة، والكِسَائِيُّ: [تَزَاوَرُ].
- وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [تَزَاوَرُ].

غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ  
 آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ  
 لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيِقًا ظَالِمًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَهُمْ  
 ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ  
 اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿٨﴾  
 وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ  
 لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا  
 لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ

١٧ - • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [فَهُوَ الْمُهْتَدِي] في الوصل.

وكذلك يعقوب في الوصل والوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَهُوَ الْمُهْتَدِي] بِحَذْفِ الْيَاءِ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ.

١٨ - • قرأ ابنُ عامر، وعاصم، وحزمة، وأبو جعفر: [وَتَحْسَبُهُمْ] بِفَتْحِ السِّينِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَتَحْسَبُهُمْ] بِكَسْرِ السِّينِ.

وهما لغتان عربيتان.

١٨ - • قرأ نافع، وابنُ كثير: [وَلَمْلَمْتَ] بِتَشْدِيدِ اللَّامِ الْمَكْسُورَةِ، وهمزة ساكنة

بعدها.

وقرأ الشوسى: [وَلَمْلَمْتَ] بِلَامٍ مَكْسُورَةٍ غَيْرِ مُشَدَّدةٍ، وبِإِبْدَالِ الْهَمْزَةِ يَاءً مَدِّيَّةً.

وكذلك قرأ حمزة في الوقف.

وقراها أبو جعفر: [وَلَمْلَمْتَ] بِلَامٍ مَكْسُورَةٍ مُشَدَّدةٍ، وبِإِبْدَالِ الْهَمْزَةِ يَاءً مَدِّيَّةً.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَلَمْلَمْتَ] بِلَامٍ مَكْسُورَةٍ غَيْرِ مُشَدَّدةٍ، وهمزة ساكنة

بعدها.

١٨ - • قرأ ابن عامر، والكِسائي، وأبو جعفر، ويعقوب: [رُعبًا] بِضَمِّ الْعَيْنِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [رُعبًا] بِإِسْكَانِ الْعَيْنِ.

١٩ - • قرأ أبو عمرو، وشُعْبَةُ، وحزمة، وخلف، ورواح: [بِوَرِقِكُمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [بِوَرِقِكُمْ].

أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ  
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ  
يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ  
أَعَزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ  
فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ  
أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ  
مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ  
سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ  
كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ  
فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا  
تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ  
وَأَذْكُرَ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتُ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ

- ٢١ - • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهِمْ]. وقرأها الباقون: [عَلَيْهِمْ].  
٢٢ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [رَبِّي أَعْلَمُ] بفتح ياء المتكلم.  
وقرأها باقي القراء العشرة بالإسكان.  
٢٢ - • قرأ يعقوب: [فِيهِمْ].  
وقرأها الباقون: [فِيهِمْ].  
٢٤ - • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [أَنْ يَهْدِيَنِي] بإثبات ياء المتكلم في الوصل.  
وكذلك ابن كثير، ويعقوب في الوصل والوقف.  
وقرأها باقي القراء العشرة: [أَنْ يَهْدِيَنِي] بحذف ياء المتكلم في الوصل والوقف.

هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا  
 تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُمْ غُيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي  
 حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ  
 لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْبِرْ  
 نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ  
 وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنْ  
 أَغْفَلْنَا قَلْبُكَ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ  
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا  
 لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ  
 كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ  
 عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ

٢٥ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [ثَلَاثَ مِائَةٍ] بكسر تاء مائة دون تنوين.

وقراها أبو جعفر: [ثَلَاثَ مِائَةٍ].

وقراها باقي القراء العشرة: [ثَلَاثَ مِائَةٍ].

٢٦ - • قرأ ابن عامر: [وَلَا تُشْرِكُ].

وقراها باقي القراء العشرة: [وَلَا يُشْرِكُ].

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد.

٢٨ - • قرأ ابن عامر: [بِالْغَدَاةِ]. وقراها باقي القراء العشرة: [بِالْغَدَاةِ].

٢٩ - • قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر: [بِئْسَ] بإبدال الهمزة ياء.

وقراها باقي القراء العشرة: [بِئْسَ].

٣١ - • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ].

يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ  
وَلِاسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا  
(٣١) ❁ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ  
أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كَلَّمَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ  
أُكْلُهُمَا وَلَمْ تَظْلِمِ مَتَهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ  
ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا  
(٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ  
هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَى  
رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ

= وقراها حمزة، والكسائي، وخلف: [مِنْ تَحِيَهُمُ الْأَنْهَارُ].

وقراها باقي القراء العشرة: [مِنْ تَحِيَهُمُ الْأَنْهَارُ].

٣١ - • قرأ أبو جعفر: [مُتَّكِئِينَ]. وكذلك حمزة في الوقف، وله التسهيل أيضاً.

وقراها باقي القراء العشرة: [مُتَّكِئِينَ].

٣٣ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: [أُكْلُهُمَا] بإسكان الكاف.

وقراها باقي القراء العشرة: [أُكْلُهُمَا] بضم الكاف.

وهما لَعْنَان عَرَبِيَّانِ.

٣٤ - • قرأ أبو عمرو: [ثَمَرٌ] بضم الثاء وإسكان الميم.

وقراها عاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: [ثَمَرٌ] بفتح الثاء والميم. وقرأ باقي  
القراء العشرة: [ثَمَرٌ] بضم الثاء والميم. وهي لغات.

٣٤ - • قرأ نافع، وأبو جعفر، بإثبات ألف «أَنَا» من «أَنَا أَكْثَرُ» وصلًا. وقرأ الباقون  
بحذفها وصلًا.

وَاتَّقَ الْجَمِيعُ عَلَى إِثْبَاتِهَا فِي الْوَقْفِ.

٣٦ - • قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر: [مِنْهُمَا] أي: مِنْ جَنَّتَيْهِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [مِنْهَا] أي: مِنْ جَنَّتَيْهِ الْجَامِعَةِ لِلجَنَّتَيْنِ.

أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾

٣٨ - • قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ورؤيس: [لَيْكِنَّا هُوَ] بإثبات الألف وصلًا.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ بحذف الألف وصلًا.

وَاتَّفَقُوا عَلَى إِثْبَاتِهَا وَقَفًّا اتِّبَاعًا لِلرَّسْمِ.

٣٨ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [بِرَبِّي أَحَدًا] بفتح ياء المتكلم.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ بإسكان ياء المتكلم.

٣٩ - • قرأ نافع، وأبو جعفر: [أَنَا أَقَلَّ] بإثبات ألف «أنا».

وقراها الباقون بحذفها وصلًا.

وَاتَّفَقُوا عَلَى إِثْبَاتِهَا وَقَفًّا.

٣٩ - • قرأ قَالُون، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [إِنْ تَرَنِ أَنَا] بإثبات ياء المتكلم وصلًا.

وقراها ابن كثير، وَيَقُوبُ كذلك في الوصل والوقف.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [إِنْ تَرَنِ أَنَا] بحذف ياء المتكلم في الوصل والوقف.

٤٠ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [رَبِّي أَنْ] بفتح ياء المتكلم.

وقراها الباقون بإسكانها.

٤٠ - • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [يُؤْتِيَنِي] بإثبات ياء المتكلم وصلًا.

وكذلك يعقوب في الوصل والوقف.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [يُؤْتِيَنِي] بحذف ياء المتكلم في الوصل والوقف.

وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ  
 عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْسَ لِيَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ  
 فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ  
 لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ  
 الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ  
 فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴿٤٥﴾

٤٢ - • قرأ أبو عمرو: [بِشْمْرِهِ].

وقراها عاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: [بِشْمَرِهِ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [بِشْمَرِهِ]. ومعهم رُويس.

٤٢ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [بِرَبِّي أَحَدًا] بِفَتْحِ يَاءِ  
 المتكلم.

وقراها الباكون بإسكانها.

٤٣ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [وَلَمْ يَكُنْ] بالياء.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [وَلَمْ تَكُنْ] بالثاء.

٤٣ - • قرأ أبو جعفر: [فَيْتَةً] بإبدال الهمزة ياء وصلًا ووقفًا.

وكذلك حمزة في الوقف.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [فَيْتَةً].

٤٤ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [الْوَلَايَةُ] بِكَسْرِ الواو.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [الْوَلَايَةُ] بِفَتْحِ الواو.

وهما لغتان عربيتان.

٤٤ - • قرأ أبو عمرو، والكسائي: [الحَقُّ] صفة للوَلَايَةِ.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [الحَقُّ] صفة: «لِلَّهِ».

٤٤ - • قرأ عاصم، وحمزة، وخلف: [عُقْبًا].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [عُقْبًا].

٤٥ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [الرِّيحُ] بالإنفراد..

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [الرِّيحُ] بالجمع.



أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ  
 رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً  
 وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ  
 جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا  
 ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ  
 يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا  
 أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾  
 وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ  
 الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ  
 دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ مَا  
 أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ

٤٧ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: [نُسَيِّرُ الْجِبَالَ] بالمبني لما لم يُسَمَّ فاعله.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [نُسَيِّرُ الْجِبَالَ] بضمير المتكلم العظيم.

٥٠ - • قرأ أبو جعفر: [لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا] بضم تاء [لِلْمَلَائِكَةِ] اتباعاً لجيم «اسْجُدُوا» وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا] على الأصل.

٥٠ - • قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر: [بِئْسَ] بإبدال الهمزة ياءً. وكذلك حمزة في الوقف.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [بِئْسَ].

٥١ - • قرأ أبو جعفر: [مَا أَشْهَدُنَاهُمْ]. وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [مَا أَشْهَدُهُمْ].

٥١ - • قرأ أبو جعفر: [وَمَا كُنْتُ] بفتح التاء.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [وَمَا كُنْتُ] بضم التاء.

مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ  
 زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى  
 الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا  
 ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ  
 الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ  
 جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ  
 أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ  
 وَمُنذِرِينَ وَيَجْعَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ  
 وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ  
 بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ  
 قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى  
 الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ

٥٢ - • قرأ حمزة: [وَيَوْمَ يَقُولُ] بضمير المتكلم العظيم.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَيَوْمَ يَقُولُ].

٥٤ - • قرأ ابن كثير: [الْقُرْآنِ]. وكذلك حمزة في الوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [الْقُرْآنِ].

٥٥ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب: [قُبُلًا].

وقراها باقي القراء العشرة: [قُبُلًا]. ومؤدّى القراءتين واحد.

٥٦ - • قرأ حفص: [هُزُوًا].

وقراها حمزة: [هُزْءًا] في الوصل.

وكذلك خلف وصلاً ووقفاً.

وقراها حمزة: [هُزْءًا وَهُزُوًا] في الوقف وقرأها باقي القراء العشرة: [هُزُوًا].

وهي وجوه في النطق العربي.

لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ  
لَنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيَلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ  
لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى  
لِفَتْنِهِ لَا أُبْرِحُ حَتَّى أَتِلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ  
حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ  
فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ  
لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى  
الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ  
وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ  
فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا  
ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ

٥٨ - • قرأ ورش، وأبو جعفر: [يُؤَاخِذُهُمْ] بإبدال الهمزة واوًا، وكذلك حمزة في الوقف.

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَةُ: [يُؤَاخِذُهُمْ] على الأصل.

٥٩ - • قرأ شُعْبَةُ: [لِمَهْلِكِهِمْ] مصدر ميمي لفعل «هَلَكَ» وقرأها حَفْصٌ: [لِمَهْلِكِهِمْ] اسم زمان على وزن «مَفْعِل» وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَةُ: [لِمَهْلِكِهِمْ] مصدر ميمي مِنْ فِعْل «أَهْلَكَ».

ومؤدَّى القراءات واحد.

٦٣ - • قرأ حفص: [أَنَسِيَهُ].

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَةُ: [أَنَسَانِيَهُ] وهما نُظْمَان عَرَبِيَان.

٦٤ - • قرأ نافع، وأبو عمرو، والكِسَائِي، وأبو جعفر: [تَبْغِي] في الوصل.

وكذلك ابن كثير، ويعقوب، في الوصل والوقف.

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَةُ: [تَبْغِ] وصلًا ووقفًا.

مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ  
 إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ  
 بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي  
 لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ  
 أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ  
 خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ  
 أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا  
 نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا

- ٦٦ - • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [تُعَلِّمَنِي] بإثبات ياء المتكلم في الوصل.  
 وكذلك ابن كثير، ويعقوب، في الوصل والوقف.  
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [تُعَلِّمَن] في الوصل والوقف.
- ٦٦ - • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [رُشْدًا].  
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [رُشْدًا].
- ٦٧ - • قرأ حفص: [مَعِيَ صَبْرًا] بفتح ياء المتكلم، وقرأها الباقر بالإسكان.
- ٦٩ - • قرأ نافع، وأبو جعفر: [سَتَجِدُنِي إِن] بفتح ياء المتكلم.  
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ بالإسكان.
- ٧٠ - • قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: [فَلَا تَسْأَلْنِي].  
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [فَلَا تَسْأَلْنِي].
- ولا بن ذكوان وجهان في إثبات ياء المتكلم وحذفها وصلًا ووقفًا.
- ٧١ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [لِيُغْرِقَ أَهْلَهَا].  
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [لِيُغْرِقَ أَهْلَهَا].
- وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد.
- ٧٢ - • قرأ حفص: [مَعِيَ صَبْرًا] بفتح ياء المتكلم.  
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ بالإسكان.
- ٧٣ - • قرأ ورش، وأبو جعفر: [لَا تُؤَاخِذْنِي] وقفًا ووصلًا. وكذلك حمزة في الوقف.  
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [لَا تُؤَاخِذْنِي].

عُلِمًا فَقَالُوا قَالَ أَقَلَّتْ نَفْسًا رَزِيَّةٌ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا  
 نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا  
 ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ  
 لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ ﴿٧٦﴾ فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أُنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا  
 فَأَبَاؤُهُمْ أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ  
 قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي  
 وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ ﴿٧٨﴾ أَمَّا  
 السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ  
 وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ

٧٣ - • قرأ أبو جعفر: [عُسْرًا] بضم السين.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [عُسْرًا] بإسكان السين. وهما لغتان عربيَّتان.

٧٤ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وزُوريس: [زَاكِئَةً] وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [زَكِيَّةً]. والمؤذَى واحد.

٧٤ - • قرأ نافع، وابنُ ذكوان، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب: [نُكْرًا] بضم الكاف.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [نُكْرًا] بإسكان الكاف. وهما لغتان بمعنى الأمر الشديد الصعب.

٧٥ - • قرأ حفص: [مَعِيَ صَبْرًا] بفتح ياء المتكلم.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ بالإسكان.

٧٦ - • قرأ نافع، وأبو جعفر: [مِنْ لَدُنِّي]. وقراها شعبة: [مِنْ لَدُنِّي] بإسكان الدال مع إشمامها الضم.

وَلَهُ وَجْهٌ آخَرٌ وهو اختلاسُ ضمة الدال.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [مِنْ لَدُنِّي] بِتَشْدِيدِ النون.

٧٧ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: [لَتَّخَذْتَ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [لَتَّخَذْتَ].

أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا  
 أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا حَيْرًا مِمَّنْهُ زَكَاةٌ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا  
 الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ  
 لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا  
 وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ  
 تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَاسْتَلُّونَاكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ  
 قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ  
 وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبِيلًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ  
 مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا  
 قُلْنَا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾

٨١ - • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [يُبَدِّلُهُمَا].

وقراها باقي القراء العشرة: [يُبَدِّلُهُمَا].

٨١ - • قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: [رُحْمًا] بضم الحاء وقرأها باقي

القراء العشرة: [رُحْمًا] بإسكان الحاء.

الرُّحْمُ: الرُّحْمُ: العَظْفُ والرَّحْمَةُ.

٨٥ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: [فَاتَّبَعَ سَبِيلًا]

وقراها باقي القراء العشرة: [فَاتَّبَعَ سَبِيلًا].

اتَّبَعَ، وَأَتَّبَعَ: كِلَاهُمَا بِمَعْنَى: تَبَعَ.

٨٦ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحفص، ويعقوب: [حَمِئَةٍ].

وقراها باقي القراء العشرة: [حَامِيَةٍ].

حَمِئَةٌ: أَي: ذَاتُ حَمٍّ وَهُوَ الطِّينُ الْأَسْوَدُ الْمَتْن.

حَامِيَةٌ أَي: شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ.

فِيهِمَا تَكَامُل.

قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا  
 نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنُقُولُ  
 لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ  
 الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا  
 ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾  
 حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ  
 يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَذَّا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي

٨٧ - • قرأ نافع، وابن ذكوان، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب: [نُكْرًا] بضم الكاف.

وقرأ باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [نُكْرًا] بإسكان الكاف.  
 وهما لغتان بمعنى الأمر الشديد الصَّعْب.

٨٨ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة، وأبو جعفر: [جَزَاءُ الْحَسَنَى] على الإضافة، أي: الجنة الحسنَى، أو المثوبة الحسنَى، وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [حَزَاءُ الْحَسَنَى]: أي: فله الحسنَى جزاءً.

٨٩ و ٩٢ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: [ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا] في الموضعين.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا] في الموضعين.  
 أَتْبَعَ وَأَتْبَعَ: كلاهما بمعنى: «تَبَعَ».

٩٣ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص: [السَّدَّيْنِ] بفتح السين المشددة.  
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [السَّدَّيْنِ] بضم السين المشددة.  
 وهما لغتان، يقال: «سَدَّ وَسَدَّ».

٩٣ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [يُفْقَهُونَ] بضم الياء وكسر القاف.  
 وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [يَفْقَهُونَ].

وبين القراءتين تكامل، إذ هؤلاء القَوْمُ لَا يَعْرِفُونَ لُغَاتِ النَّاسِ فَلَا يَفْقَهُونَ  
 كَلَامَ الْأَقْوَامِ غَيْرِهِمْ، وَلَهُمْ لُغَةٌ خَاصَّةٌ بِهِمْ لَا يَعْرِفُهَا غَيْرُهُمْ.  
 ٩٤ - • قرأ عاصم: [يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ].

الْأَرْضِ فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾  
 قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾  
 ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ﴿٩٦﴾  
 حَتَّىٰ إِذَا جَعَلُهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٧﴾ فَمَا  
 اسْطَعُوا أَنْ يَصْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٨﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ  
 مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۚ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٩﴾  
 وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ  
 جَمْعًا ﴿١٠٠﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠١﴾ الَّذِينَ  
 كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠٢﴾

= وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَةَ: [يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ] بإبدال الهمزة ألفاً في اللَّفْظَتَيْنِ. وهما نُطْقَان لاسم هؤلاء القوم.

٩٤ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [خَرَجًا].

وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَةَ: [خَرْجًا].

الْخَرْجُ وَالْخَرَجُ مَا يُبْذَلُ مِنْ مَالٍ أَجْرًا عَلَى عَمَلٍ، أو جَزْيَةً، أو نحو ذلك.

٩٤ - • قرأ نافع، وابنُ عامر، وشُعْبَةُ، وأبو جَعْفَر، ويعقوب: [سُدًّا]. وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَةَ: [سَدًّا].

٩٦ - • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، ويعقوب: [الصَّدَفَيْنِ] وقرأها شُعْبَةُ: [الصَّدَفَيْنِ].

وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَةَ: [الصَّدَفَيْنِ].

الصَّدْفُ وَالصَّدْفُ وَالصَّدْفُ: لغات بمعنى الجبل وكلّ بناء عظيم مُرتَفَع.

٩٨ - • قرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف: [دَكَّاءَ] أي: مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ.

وقرأها باقي القُرَاء العَشْرَةَ: [دَكَّا] مُصَدَّرٌ «دَكَّكْتُهُ» وهو بمعنى اسم المفعول، أي: مُدْكُوكًا.

الدُّكُّ: الدَّقُّ والتَكْسِيرُ وَالْهَدْمُ فالْمُؤَدَّى واحد.



أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ إِنَّا  
 أَعْتَدْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾  
 الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا  
 ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ  
 فَلَا تُفِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا  
 وَتَتَّخِذُوا عَابَتِي رَسُولًا ﴿١٠٦﴾ هُزُؤًا ﴿١٠٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا  
 حِوَلًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ  
 أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ  
 مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَنَنْتَظِرُ لِقَاءَ رَبِّهِ  
 فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١١﴾

١٠٢ - • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءَ] بفتح ياء المتكلم

وقراها باقي القراء العشرة بإسكان ياء المتكلم.

١٠٤ - • قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: [يَحْسَبُونَ] وقرأها باقي

القراء العشرة: [يَحْسِبُونَ] وهما لغتان.

١٠٦ - • قرأ حفص: [هُزُؤًا].

وقراها حمزة: [هُزْءًا] في الوصل. وكذلك خلف في الوصل والوقف.

وقراها حمزة في الوقف: [هُزَأًا] و[هُزُؤًا].

وقراها باقي القراء العشرة: [هُزُؤًا].

وهي وُجُوهُ في النطق.

١٠٩ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [أَنْ يَنْفَدَ] وقرأها باقي القراء العشرة:

[أَنْ تَنْفَدَ].

وهما وجهان جائزان عربيًا، لأنَّ لفظ «كلمات» مجازيُّ التانيث.

(٢)

**مما ورد بشأن سُورَةِ (الكهف)**

(١) روى مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَغَيْرُهُمَا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:  
«مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ».

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

«مَنْ قَرَأَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ».

(٢) وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: قَرَأَ رَجُلٌ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَفِي الدَّارِ دَابَّةٌ، فَجَعَلَتْ تَنْفِرُ، فَنَظَرَ فَإِذَا ضَبَابَةٌ أَوْ سَحَابَةٌ قَدْ غَشِيَتْهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:  
«اقْرَأْ فَلَانُ، فَإِنَّ السَّكِينَةَ نَزَلَتْ لِلْقُرْآنِ».

وَجَاءَ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ أَنَّ هَذَا الَّذِي كَانَ يَقْرَأُ هُوَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) وَرَوَى ابْنُ مَرْدَوَيْهِ، وَالضَّيَاءُ فِي الْمَخْتَارَةِ، عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ قَرَأَ الْكَهْفَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَهُوَ مَعْصُومٌ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ تَكُونُ، فَإِنْ خَرَجَ الدَّجَالُ عُصِمَ مِنْهُ».

(٤) وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَالْبَيْهَقِيُّ، وَغَيْرُهُمْ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
«مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ كَانَتْ لَهُ نُورَةٌ مِنْ مَقَامِهِ إِلَى مَكَّةَ».

إِلَى غَيْرِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي فَضَائِلِ سُورَةِ الْكَهْفِ.

(٣)

**مَوْضُوعُ سُورَةِ (الْكَهْفِ)**

سورة (الكهف/ ٦٩ نزول) سورة عجيبة ذات موضوع كُلِّي مُتَشَابِكِ  
الْفُرُوعِ فِي دُرُوسِهَا وَآيَاتِهَا، وَهَذَا الْمَوْضُوعُ الْكُلِّيُّ يَتَعَلَّقُ بِقَضَايَا كُبْرَى مِنْ  
أَرْكَانِ الْإِيمَانِ وَمُسْتَقَاتٍ مِنْهَا، وَبَعْضِ مَا يُنَاقِضُهَا مِنْ بَاطِلِ النَّاسِ.

وَلَكِنَّ لَهَا خُطُوطاً رَئِيسَةً تَسِيرُ عَلَيْهَا، هِيَ مَا يَلِي:

**الْخَطُّ الْأَوَّلُ:** خَطُّ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

• وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْخَطِّ تَكْلِيفُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رُسُلَهُ أَنْ يَتْلَوْا مَا  
أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ مِنْهُ.

• وَيَدْخُلُ فِيهِ بَيَانُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنَ التَّصْرِيفِ وَالتَّنْوِيعِ.

• وَيَدْخُلُ فِيهِ بَيَانُ وَظِيفَةِ الرُّسُولِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ، وَهِيَ تَبْلِغُ أَحْكَامِ  
دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ.

• وَيَدْخُلُ فِيهِ بَيَانُ حِكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَجَارِي مَقَادِيرِهِ، الَّتِي قَدْ  
يُوْهَمُ ظَاهِرُهَا مُخَالَفَةَ أَحْكَامِ الشَّرْعِ، وَمِنْهَا مَا جَاءَ فِي قِصَّةِ مُوسَى  
وَالْخَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

**الْخَطُّ الثَّانِي:** خَطُّ الْيَوْمِ الْآخِرِ.

• وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْخَطِّ قِصَّةُ أَصْحَابِ الْكَهْفِ.

• وَيَدْخُلُ فِيهِ قِصَّةُ الْحَوَارِ بَيْنَ الصَّاحِبَيْنِ، الْغَنِيِّ الْكَافِرِ بِيَوْمِ الدِّينِ  
صَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ، وَالْفَقِيرِ الْمُؤْمِنِ الدَّاعِي إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ.

• وَيَدْخُلُ فِيهِ مَشَاهِدُ مِنْ مَشَاهِدِ الْقِيَامَةِ وَيَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْضِ أَحْكَامِ  
تَتَعَلَّقُ بِهِ.

الخط الثالث: خَطُّ الكُفْرِ وَالْكَافِرِينَ، وَبَعْضُ بَيِّنَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِهِ.

الخط الرابع: تَرْبِيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ بِالنُّسْبَةِ إِلَى عَدَدٍ مِنَ الْقَضَايَا.

• وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْخَطِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِشَخْصِ الرَّسُولِ ﷺ وَحُزْنِهِ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ مِنْ قَوْمِهِ.

• وَيَدْخُلُ فِيهِ مَا هُوَ مُطَالِبٌ بِهِ.

• وَيَدْخُلُ فِيهِ تَعْلِيمَاتٌ دَعَوِيَّةٌ لَهُ، وَيُلْحَقُ بِهِ حَمَلَةُ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ.

• وَيَدْخُلُ فِيهِ التَّأْكِيدُ عَلَى أَنَّ وَظِيفَةَ الرَّسُولِ الْبِشَارَةُ وَالْإِنذَارُ، بَعْدَ التَّبْلِغِ وَالْبَيَانِ وَالْقِيَامِ بِوُظَائِفِ الرِّسَالَةِ الْمُخْتَلِفَةِ.

• وَيَدْخُلُ فِيهِ بَيَانٌ أَنَّ مِنْ وَظَائِفِ الرَّسُولِ تَرْبِيَةَ الدُّعَاةِ وَقَادَةَ الْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ، مَعَ ضَرْبٍ مَثَلٍ تَارِيخِيٍّ لِلْفَاتِحِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ، وَهُوَ ذُو الْقَرْنَيْنِ.

• وَيَدْخُلُ فِيهِ بَيِّنَاتٌ مُرَافَقَاتٌ بِشَأْنِ بَعْضِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَجْعَلُ الْكَافِرِينَ يَمْتَنِعُونَ عَنِ الْإِيمَانِ.

الخط الخامس: بَيَانُ أَنَّ الْغَايَةَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ الْإِبْتِلَاءَ، مَعَ بَيِّنَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِمُشْتَقَّاتٍ مُلَائِمَاتٍ لِبَيَانِ هَذِهِ الْغَايَةِ.

(٤)

### دُرُوسُ سُورَةِ (الْكَهْفِ)

تَفَكَّرْتُ فِي تَقْسِيمِ السُّورَةِ إِلَى دُرُوسٍ، فَظَهَرَ لِي أَنَّ مِنَ الْمُمْكِنِ تَقْسِيمِهَا إِلَى (١١) دَرْسًا:

الدرس الأول: الْآيَاتُ مِنْ (١ - ٨).

فِي هَذَا الدَّرْسِ إِمَّا حَ لُخُوط مَوْضُوع السُّورَةِ الْخَمْسَةِ الَّتِي سَبَقَ  
أَنفَا الْحَدِيث عَنْهَا، فَهُوَ بِمَثَابَةِ عُنُونَاتٍ لِهَذَا الْمَوْضُوعِ.

الدَّرْسُ الثَّانِي: الْآيَاتُ مِنْ (٩ - ٢٦).

وَفِي هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَضِمْنَهَا اسْتِطْرَادَاتُ  
وَتَعْلِيْقَاتُ قِيَمَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ الْمَفْهُومَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأَصُولِ.  
وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُهُ إِلَى أَرْبَعَةِ فُصُولٍ.

الدَّرْسُ الثَّلَاثُ: الْآيَاتُ مِنْ (٢٧ - ٣١).

وَفِي هَذَا الدَّرْسِ تَوْجِيهَاتُ تَرْبَوِيَّةٍ، وَتَعْلِيمَاتُ دَعْوِيَّةٍ، مِنْ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَيُلْحَقُ بِهِ حَمَلَةُ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ: الْآيَاتُ مِنْ (٣٢ - ٤٤).

وَفِي هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ قِصَّةِ الْحَوَارِ بَيْنَ الصَّاحِبِينَ:

• الْغَنِيُّ الْكَافِرِ بِيَوْمِ الدِّينِ صَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ، الَّذِي صَارَ بَعْدَ نِكَبَتِهِ  
مُؤْمِنًا.

• وَالْفَقِيرُ الْمُؤْمِنُ الدَّاعِي إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ: الْآيَاتُ مِنْ (٤٥ - ٥٠).

وَفِي هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ إِفْنَاعِيِّ بِشَأْنِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَهَايَتِهَا، مَعَ  
وَصْفِ بَعْضِ أَحْدَاثِ الْقِيَامَةِ وَيَوْمِ الدِّينِ.

الدَّرْسُ السَّادِسُ: الْآيَاتُ مِنْ (٥١ - ٥٣).

وَفِي هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ بِشَأْنِ الْمُشْرِكِينَ مَقْرُونٌ بِإِنذَارِهِمْ بِالْعِقَابِ  
الْأَلِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

الدَّرْسُ السَّابِعُ: الْآيَاتُ مِنْ (٥٤ - ٥٩).

وفي هذا الدرس بيان بشأن اشتغال القرآن المجيد على ما يكفي للإقناع، وبيان لعلّة المعاندين النفسيّة، وبيان للغاية من إرسال الرّسل، وبيان لمجادلة الذين كفّروا بالباطل، مع بيانات مرافقات متّصلات بما سبق.

الدرس الثامن: الآيات من (٦٠ - ٨٢).

وفي هذا الدرس بيان المقصود بيانه من قصّة موسى والخضر عليهما السلام.

الدرس التاسع: الآيات من (٨٣ - إلى (يموج في بعض) من الآية ٩٩).

وفي هذا الدرس بيان المقصود بيانه من قصّة ذي القرنين.

الدرس العاشر: الآيات من منتصف الآية (٩٩ - ١٠٢).

وفي هذا الدرس عرض لقطعة من أحداث يوم الدين مَقْرُونَةٌ بِتَلْوِيمٍ وإنذارٍ للكافرين.

الدرس الحادي عشر: الآيات من (١٠٣ - ١١٠) آخر السّورة.

وفي هذا الدرس تعلّيم دَعْوِيٍّ مَوْجَّهٍ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرُسُولِهِ ﷺ، وَيُلْحَقُ بِهِ حَمَلَةٌ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ.



(٥)

التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (الكهف)

الآيات من (١ - ٨)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿يَسْمِ اللَّهَ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا  
يُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مَن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ

أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَكِيدِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَدِيعُ خَلْقِ نَفْسِكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنَّ لَكَ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا ﴿٨﴾ ﴿٨﴾

### القراءات :

(١) • سَكَتَ حَفْصٌ فِي حَالَةِ الْوَصْلِ عَلَى أَلْفٍ «عَوَجًا» مِنْ : [عَوَجًا قِيمًا] سَكَنَةً لَطِيفَةً بِدُونِ تَنْفُسٍ. وَلَمْ يَسْكُتْهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ.

(٢) • قَرَأَ شُعْبَةُ : [مِنْ لَذْنِهَا] بِإِسْكَانِ الدَّالِّ مَعَ إِشْمَامِهَا الضَّمِّ، وَكَسْرِ النُّونِ وَالْهَاءِ، وَصَلَتْهَا بِيَاءٍ لَفْظِيَّةٍ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ : [مِنْ لَذْنُهُ].

(٢) • قَرَأَ حَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ : [وَيُبَشِّرُ] مِنْ فِعْلِ «بَشَّرَهُ» بِمَعْنَى «بَشَّرَهُ».

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ : [وَيُبَشِّرُ] مِنْ فِعْلِ «بَشَّرَهُ» أَي : أَخْبَرَهُ بِمَا يَسْرُهُ وَيُفْرِحُهُ.

### تمهيد :

فِي هَذَا الدَّرْسِ إِمَّاخٌ لِحُطُوطِ مَوْضُوعِ السُّورَةِ الْخَمْسَةِ، وَهِيَ خُطُّ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

خُطُّ الْيَوْمِ الْآخَرِ.

خُطُّ الْكُفْرِ وَالْكَافِرِينَ.

خُطُّ تَرْبِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ ﷺ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِدَّةٍ قَضَايَا.

٥ - خطُّ بيان أنَّ الغايةَ من خَلْقِ النَّاسِ الابتلاء، مع بَيِّنَاتٍ تتعلَّق بمُسْتَفَاتٍ مُلَائِمَاتٍ لبيان هَذِهِ الغاية.

فَهُوَ يُشِيرُ إِلَى عُنَوَانَاتٍ مَوْضُوعِ السُّورَةِ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَمْ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا... ﴿٢﴾﴾.

• ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أي: كُلُّ الْحَمْدِ الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يُحْمَدَ بِهِ مَحْمُودٌ مَا، اللَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ اسْتِحْقَاقٌ اسْتِغْرَاقِي شَامِلٍ.

• ﴿... الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ...﴾:

فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ بَيَانُ الْمُنَاسَبَةِ هُنَا الدَّاعِيَةِ إِلَى الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ جَلَّ جَلَّالُهُ بِأَنَّ لَهُ كُلَّ الْحَمْدِ، وَهِيَ مُنَاسَبَةٌ أَنْزَالِهِ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ الْمَشْرِفِ بِعُبُودِيَّتِهِ الْكَامِلَةِ لِرَبِّهِ بِإِرَادَتِهِ الْجَازِمَةِ، الْكِتَابِ الْخَاتِمِ لِكُتُبِ اللَّهِ لِلنَّاسِ وَهُوَ الْقُرْآنُ.

فَشَرَّفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِعُبُودِيَّتِهِ الْكَامِلَةِ لِلَّهِ، وَوَصَفَ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ الْكِتَابُ إِشَارَةً إِلَى كَمَالِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْغَايَةِ الدِّينِيَّةِ الَّتِي أُنْزِلَ مِنْ أَجْلِهَا، مَعَ الدَّلَالَةِ عَلَى وُجُوبِ تَدْوِينِهِ فِي كِتَابٍ لَا يَتَعَرَّضُ مَعَهُ لِأَيِّ تَغْيِيرٍ أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصٍ، وَيَلَاظُ أَنَّ التَّغْيِيرَ بِعِبَارَةِ: ﴿أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ مِنْ إِطْلَاقِ الْكُلِّ وَإِرَادَةِ الْبَعْضِ، أَوْ أَنْزَلَ مَا أُنْزِلَ مِنْهُ وَسَيُنْزَلُ سَائِرُهُ عَلَى وَفْقِ مَا قَدَّرَ وَقَضَى.

• ﴿... وَلَمْ يَجْعَلْ لَمْ عِوَجًا ﴿١﴾﴾:

الْعِوَجُ: بِكَسْرِ الْعَيْنِ عَدَمُ الاسْتِقَامَةِ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَعْنَوِيَّةِ، كَالْفِكْرِ، وَالْقَوْلِ، وَالْمَذْهَبِ، وَمِنْهَاجِ السُّلُوكِ.



وَعَدَمُ الاستِقَامَةِ خروج عَنْ صِرَاطِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ لَا خُرُوجَ لَشَيْءٍ فِيهِ عَنِ الْحَقِّ.

فَالْمَعْنَى: أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَشَيْءٍ فِيهِ صِفَةً الْعُوجِ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ وَمَا هُوَ الْأَحْكَمُ لِهِدَايَةِ الْمُؤْضِعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

وَالْأَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ خَالِيَةٌ فِيمَا أَرَى.

• ﴿فِيمَا﴾: أَي: مُسْتَقِيمًا لَاعُوجَ فِيهِ عَنِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَمَحَاسِنِ السُّلُوكِ.

جَمَعَ اللَّهُ فِي هَذَا الْبَيَانِ بَيْنَ سَلْبِ الْعُوجِ وَإثْبَاتِ الاستِقَامَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مُبَيَّنٌ صِرَاطَ الْحَقِّ الْمُسْتَقِيمِ، إِذْ قَدْ يُوصَفُ شَيْءٌ مَا بِأَنَّهُ لَاعُوجَ لَهُ كَالنَّقْطَةِ وَالْكُرَّةِ، لَكِنْ لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ مُسْتَقِيمٌ، إِذْ لَا امْتِدَادَ لَهُ، فَجَاءَ وَصَفُ الاستِقَامَةِ بَعْدَ نَفْيِ الْعُوجِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ صِرَاطُ ذُو امْتِدَادٍ، وَهُوَ وَقَعَ حَالِ الدِّينِ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَى بَيَانِهِ كِتَابُ اللَّهِ الْمَجِيدِ.

وهذا من إبداعات القرآن البليغة.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿فِيمَا يَنْزِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾.

الْإِنْدَارُ: الْوَعِيدُ بِمَا هُوَ مَكْرُوهٌ، وَالْإِعْلَامُ بِمَخُوفٍ مِنْهُ.

الْبَأْسُ: الْعَذَابُ الشَّدِيدُ، وَالشَّدَّةُ فِي الْحَرْبِ.

مِنْ لَّدُنْهُ: لَدُنْ: ظَرْفُ زَمَانِيٍّ وَمَكَانِيٍّ بِمَنْزِلَةِ «عِنْدَ» إِلَّا أَنَّهُ أَقْرَبُ مِنْ «عِنْدَ» وَأَخْصُ مِنْهُ. وَلَدُنْ مُلَازِمَةٌ لِلإِضَافَةِ.

التَّبَشِيرُ: الْإِخْبَارُ بِمَا يَسُرُّ وَيُفْرَحُ.

فَالْمَعْنَى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ الْقُرْآنَ مُبَيَّنًا فِيهِ قَضَايَا الدِّينِ وَأَحْكَامَهُ، وَحَدَّدَ فِيهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ لِلْمُؤْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَأَبَانَ فِيهِ الْجَزَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيُنْذَرَ عَنْ طَرِيقِ كِتَابِهِ وَبَلَاغَاتِ رَسُولِهِ الْكُفَّارَ وَالْعُصَاةَ بِعَذَابٍ شَدِيدٍ يَوْمَ الدِّينِ، وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ الَّتِي تَرْضَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ بِأَجْرِ حَسَنِ يَكُونُونَ خَالِدِينَ فِيهِ أَبَدًا فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، عَلَى تَفَاضُلِ دَرَجَاتِهِمْ فِيهَا بِحَسَبِ مَا قَدَّمُوا مِنْ إِيْمَانٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾:

أي: وَيُنْذِرُ أَيْضًا عَنْ طَرِيقِ كِتَابِهِ وَبَلَاغَاتِ رَسُولِهِ إِنْذَارًا خَاصًّا غَيْرَ إِنْذَارِ عُمُومِ الْكَافِرِينَ، مُرْتَكِبِي عَظِيمَةٍ مِنْ عَظِيمَاتِ الْكُفْرِ، وَهُمْ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مِنْ نَسْلِهِ أَوْ بِالْتَّبَنِّي مِمَّا خَلَقَ، وَيَنْطَبِقُ هَذَا عَلَى النَّصَارَى، وَبَعْضِ الْيَهُودِ، وَبَعْضِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ.

• ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ...﴾: أي: مَا لَهُمْ بِهِذَا الْقَوْلِ عِلْمٌ مَا وَلَوْ كَانَ مِنْ أَدْنَى دَرَجَاتِ الْعِلْمِ، لَا هُمْ وَلَا آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ الَّذِينَ وَرَثُوا عَنْهُمْ مَقُولَتَهُمْ.

«مِنْ» زِيدَتْ لِتَوْكِيدِ عُمُومِ النِّفْيِ، وَالتَّنْصِيسِ عَلَيْهِ.

• ﴿... كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ...﴾:

• ﴿كَبُرَتْ﴾: صِيغَةُ «كَبُرَ» عَلَى وَزْنِ «فَعُلَ» جَارِيَةٌ هُنَا مَجْرَى «بُئْسَ» فِي الذَّمِّ عَلَى سَبِيلِ الْمَبَالِغَةِ، مَعَ زِيَادَةِ مَعْنَى التَّعْجِيبِ مِنْ أَمْرِهِمْ: أي: بُئْسَتْ كَلِمَةً كَبِيرَةً شَنِيعَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، وَأَعْجَبَ بِهِمْ كَيْفَ تَضَدُّرُ عَنْهُمْ هَذِهِ الْكَبِيرَةُ الشَّنِيعَةُ، وَهِيَ كَذِبٌ مَحْضٌ يَصِفُونَ بِهِ اللَّهَ رَبَّ

الْعَالَمِينَ، وَخَالَقَ كُلَّ مَوْجُودٍ سِوَاهُ، فَهُوَ غَنِيٌّ بِذَاتِهِ عَنِ الْوَلَدِ وَعَنْ كُلِّ شَيْءٍ، بِأَنَّ لَهُ وَلَدًا.

• ﴿كَلِمَةً﴾: تَمَيِّزٌ لِلضَّمِيرِ الْفَاعِلِ الْمُسْتَرِّ فِي «كَبُرَتْ».

• ﴿تُخْرِجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾: أي: تُخْرِجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمُ الصَّغِيرَةِ الْحَجْمِ كَلِمَةً كَبِيرَةً جَدًّا، شَدِيدَةُ الْقَبَاحَةِ وَالشَّنَاعَةِ تَتَفَاقَمُ شِنَاعَتُهَا تَفَاقُمًا، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهَا، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ مِنْهَا هَذَا<sup>(١)</sup>.

• ﴿... إِنْ يَقُولُوا إِلَّا كَذِبًا﴾<sup>(٥)</sup>: أي: مَا يَقُولُونَ بِكَلِمَتِهِمُ الْكَبِيرَةِ الشَّنِيعَةِ الَّتِي يُكْرِرُونَ وَضَفَّ اللَّهُ بِهَا إِلَّا قَوْلًا كَذِبًا، افْتَرَاهَا شَيَاطِينُهُمْ وَأَخْبَاءُهُمْ، وَقَلَّدَهُمْ فِي اعْتِقَادِهَا وَتَرْيِيدِهَا أَتْبَاعُهُمْ طُلَمًا وَعُدُوَانًا، دُونَ إِذْنٍ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ بِذَلِكَ، وَدُونَ حُجَّةٍ مَقْبُولَةٍ يَعْتَذِرُونَ بِهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

• ﴿فَلَمَّا كَ بَنَجْ نَفْسَكَ عَلَى ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾<sup>(٦)</sup> إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا<sup>(٧)</sup> وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا<sup>(٨)</sup>:

• ﴿فَلَمَّا كَ بَنَجْ نَفْسَكَ عَلَى ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾<sup>(٦)</sup>:

كلمة «لعل» مستعملة هنا بمعنى الإشفاقِ بِأَسْلُوبِ الاستفهام. أَسَفًا: أي: حُزْنًا.

وَسَبَقَ أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فِي سُورَةِ (الشعراء/ ٤٧ نزول) قَوْلُهُ:

﴿لَمَّا كَ بَنَجْ نَفْسَكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٩)</sup> إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ<sup>(١٠)</sup>.

(١) وكما سَبَقَ أَنْ جَاءَ فِي الْآيَاتِ مِنْ (٨٨ - ٩٥) مِنْ سُورَةِ (مريم/ ٤٤ نزول).

﴿بَخِعْ نَفْسَكَ﴾: أي: قَاتِلْ نَفْسَكَ يَا مُحَمَّدُ، أَضِلْ الْبَخْعَ فِي اللُّغَةِ أَنْ يَذْبَحَ الذَّابِحُ ذَبِيحَتَهُ، حَتَّى تَبْلُغَ سَكِينَتَهُ قَرِيباً مِنْ فَضْلِ الرَّأْسِ كُلِّهِ عَنْ سَائِرِ جَسَدِهَا.

وَالنَّظَرُ التَّدْبِيرِيُّ فِي هَذَيْنِ النَّصْنِ يَكْشِفُ أَنَّهُمَا يَتَضَمَّنَانِ تَرْبِيتَيْنِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ بِشَأْنِ أَمْرَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ.

فَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الشُّعَرَاءِ/٤٧ نزول) كَانَ بِشَأْنِ هَمِّهِ وَحُزْنِهِ وَخَوْفِهِ أَنْ لَا يَكُونَ قَوْمُهُ وَعَشِيرَتُهُ الْأَقْرَبُونَ مُؤْمِنِينَ، فَهُوَ حَرِيصٌ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ تُطَاطِئُ لَهَا أَعْنَاقُهُمْ وَيُؤْمِنُوا بِسَبَبِهَا، وَقَدْ قَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ بِشَأْنِهِمْ أَنْ لَا يُنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةُ.

وَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الكهف/٦٩ نزول) كَانَ بِشَأْنِ مُجَاهَدَةِ الرُّسُولِ قَوْمَهُ مُجَاهَدَةً مُضْنِيَّةً، وَهُمْ مُدْبِرُونَ عَنْهُ يَنَاقُونَ عَنْ دَعْوَتِهِ، وَهُوَ يُتَابِعُ آثَارَهُمْ وَيَلَاحِظُهُمْ لِلتَّأْيِيدِ عَلَيْهِمْ، وَيَسْتَدُ حُزْنُهُ مِنْ أَجْلِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ كِتَابُ اللَّهِ الْمَجِيدِ.

وفي عبارة: ﴿فَلَمَّا بَخِعْ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (١) مَعْنَى الْاسْتِفْهَامِ الْعِتَابِيِّ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ أَوْصَاهُ اللَّهُ بِأَنْ يُعْرِضَ عَنْهُمْ، إِذْ وَصَّلُوا إِلَى حَالَةٍ مَيُؤُوسٍ مَعَهَا أَنْ يُؤْمِنُوا عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (النجم/٢٣ نزول):

﴿فَاعْرِضْ عَنْ مَن قَوْلَى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (٢).

وَأَرَى أَنَّ الْفَاءَ فِي ﴿فَلَمَّا﴾ تَغِطُّ عَلَى مَطْوِيٍّ يُمَكِّنُ أَنْ يُسْتَخْرَجَ بِالتَّأَمُّلِ، وَالتَّقْدِيرِ:

قَدْ أَدَيْتَ وَظَيْفَتَكَ يَا مُحَمَّدُ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ مِنْكَ بِالنُّسْبَةِ إِلَى مُعَانِدِي قَوْمِكَ، وَكُنَّا أَوْصِيَانَاكَ بِأَنْ تُعْرِضَ عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ تَوَلَّوْا فَأَذْبَرُوا وَنَاوَأُوا، لَكِنَّكَ مَا زِلْتَ تُلَاحِظُهُمْ، تُتَابِعُ دَعْوَتَهُمْ، وَمُجَاهَدَتَهُمْ، وَتَخْطُو فِي مَسِيرَتِكَ

الدَّعْوِيَّةَ عَلَى آثَارِهِمْ، حِرْصاً مِنْكَ عَلَى أَنْ يُؤْمِنُوا، فَلَعَلَّكَ تَقْتُلُ نَفْسَكَ  
أَسْفَاً إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْقُرْآنَ، هَوْنٌ عَلَى نَفْسِكَ الْأَمْرِ، وَلَا تَحْزَنُ مِنْ  
أَجْلِهِمْ، وَلَوْ كَانُوا مِنْ عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ، فَهُمْ مَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا  
مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ لِإِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةِ.

أَشْفِقْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مُحَمَّدٌ مِنْ أَنْ تُعَرِّضَهَا لِلْقَتْلِ بِسَبَبِ الْهَمِّ وَالْغَمِّ،  
مِنْ أَجْلِ قَوْمٍ لَمْ يُشْفِقُوا هُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ الَّذِي أَوْعَدَهُمْ  
بِهِ، مَعَ اسْتِيقَانِ قُلُوبِهِمْ مِنْ صِدْقِ نُبُوتِكَ وَرِسَالَتِكَ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي تَتْلُوهُ  
عَلَيْهِمْ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَبِمَا أَنَّ رِحْلَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رِحْلَةُ امْتِحَانٍ لِلْمَوْضُوعِينَ فِيهَا مَوْضِعَ  
الامْتِحَانِ، كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يَأْتِيَ فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ بَعْدَ مَا سَبَقَ:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ  
وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝﴾

الرَّيْنَةُ: مَا يُتَزَيَّنُ بِهِ، وَالتَّزْيِينُ: جَعْلُ الشَّيْءِ مُلَاقِماً لِمَا تَسْتَحْسِنُهُ  
النَّفُوسُ، أَوْ تُحِبُّهُ، أَوْ تَسْتَهِيهِ.

لِنَبْلُوهُمْ: لِنَحْتَبِّرَهُمْ، وَنَمْتَحِنَهُمْ.

الصَّعِيدُ: وَجْهُ الْأَرْضِ.

الْأَرْضُ الْجُرُزُ: هِيَ الَّتِي اسْتُؤْصِلَ مَا عَلَيْهَا مِنْ نَبَاتٍ وَشَجَرٍ فَصَارَتْ  
جُرْدَاءَ.

يَتَحَدَّثُ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ الْجَلِيلِ مُبَيَّنًا أَنَّهُ جَعَلَ  
بِحِكْمَتِهِ السَّيِّئَةَ كُلَّ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِمَّا تُحِبُّ النَّفُوسُ امْتِلَاكَهُ، أَوِ الْإِنْتِفَاعَ  
بِهِ، أَوِ الْاسْتِمْتَاعَ بِالطَّيِّبِ مِنْهُ، وَالتَّلَذُّذَ بِمَا يَكْدُّهَا مِنْهُ، أَوِ التَّفَاخُرَ بِهِ، أَوِ

الاستِعْلَاءَ بِهِ وَالتَّقْوَى عَلَى النَّاسِ، إِلَى سَائِرِ مَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ مَتَاعٍ مُحَبَّبٍ أَوْ مَرْغُوبٍ لِلنَّفُوسِ، جَعَلَهُ بِحِكْمَتِهِ زِينَةً لِلْأَرْضِ، تَتَعَلَّقُ بِهِ النَّفُوسُ وَالْقُلُوبُ بِصِفَةِ عَامَّةٍ.

وَالْعَرَضُ مِنْ هَذَا التَّزْيِينِ أَنْ يَمْتَحَنَ جَلَّ جَلَالُهُ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَهَذَا الْامْتِحَانُ يَكُونُ بِمُطَالَبَتِهِمْ بِتَرْكِ كَثِيرٍ مِمَّا يَهُوُونَ فِعْلَهُ، وَفَعَلَ كَثِيرٍ مِمَّا يَهُوُونَ تَرْكَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى وَفْقِ حِكْمَةِ اللَّهِ فِيمَا يَطْلُبُ مِنْهُمْ فِعْلُهُ أَوْ تَرْكُهُ، وَهَذِهِ الْحِكْمَةُ تَقْتَضِي التَّزَامَ الْحَقِّ وَبَنَدَ الْبَاطِلِ، وَفَعَلَ الْخَيْرَ وَتَرَكَ الشَّرَّ، وَاخْتِيَارَ الْأَفْضَلَ وَالْأَحْسَنَ وَالْأَرْفَعَ دَرَجَاتٍ فِي الصُّعُودِ الْكِمَالِيِّ فِعْلاً أَوْ تَرْكاً.

وَبِهَذَا الْاخْتِيَارِ يَظْهَرُ أَيُّ الْمَمْتَحَنِينَ أَحْسَنُ عَمَلاً فِي دَرَجَاتِ الْارْتِقَاءِ، وَأَيُّ الْمَمْتَحَنِينَ أَسْوَأُ عَمَلاً فِي دَرَكَاتِ الْانْحِطَاطِ حَتَّى الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ.

جَاءَ الْاسْتِغْنَاءُ بِذِكْرِ الشَّقِّ الصَّاعِدِ، عَنْ ذِكْرِ الشَّقِّ الْهَابِطِ الْمُنْحِطِّ، إِذْ يَدُلُّ عَلَيْهِ تَقَابُلُ التَّضَادِّ.

وَهَذَا الْامْتِحَانُ يَسْتَتَبِعُ الْحِسَابَ، وَفَضْلَ الْقَضَاءِ، وَتَحْقِيقَ الْجَزَاءِ، بِمُقْتَضَى حِكْمَةِ الرَّبِّ الْحَكِيمِ الَّذِي أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعاً.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِهَذَا حَيَاةٍ أُخْرَى غَيْرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَجَعَلَ فِيهَا دَارَيْنِ، دَاراً لِلْجَزَاءِ بِالشَّوَابِ وَهِيَ جَنَّاتُ النَّعِيمِ، وَدَاراً لِلْجَزَاءِ بِالْعِقَابِ، وَهِيَ النَّارُ ذَاتُ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، عَلَى دَرَجَاتٍ وَدَرَكَاتٍ كُلٌّ مِنْهُمَا.

وَقَبْلَ الْبَعْثِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأُخْرَى سَيُنْهِي اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ نِظَامَ وَطُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ:

• ﴿وَأَنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ ❦

أَي: وَإِنَّا بِعِظَمَةِ قُدْرَتِنَا عَلَى مَا نَشَاءُ، سَنَجْعَلُ مُسْتَقْبَلَ كُلِّ مَا عَلَى  
الْأَرْضِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ زِينَةً لَهَا، مُسْتَأْصِلًا اسْتِئْصَالًا تَامًا، حَتَّى يَصِيرَ وَجْهُ  
الْأَرْضِ خَالِيًا مِنْ كُلِّ بِنَاءٍ وَشَجَرٍ وَنَبَاتٍ وَأَحْيَاءٍ، قَاعًا صَفْصَفًا مُسْتَوِيًا،  
فَلَا تَرَى فِي الْأَرْضِ عِوَجًا وَلَا أَمْتًا.

استعمل اسمُ الفاعل في ﴿لَجَعِلُونَ﴾ بِمَعْنَى الْفِعْلِ المضارع الذَّالَّ على  
الاستقبال.

الأرض الجُرُزُ: التي اسْتُؤْصِلَ مَا عَلَيْهَا مِنْ شَيْءٍ، مِنْ نَبَاتٍ وَشَجَرٍ  
فَصَارَتْ جَرْدَاءَ.

وَبِهَذَا انْتَهَى تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْكَهْفِ)  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٦)

التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الكهف)  
الآيات من (٩ - ٢٦)

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول من قصة أصحاب الكهف  
الآيات من (٩ - ١٢)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَمَرَ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ۖ إِذْ  
أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا  
۝ فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ  
الْحَزِينِ أَخْبَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝﴾

## القراءات :

(١٠) • قرأ أبو جعفر، وحمزة، وهشام: [وَهْيِي] بياءٍ أخيرة ساكنة في الوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَهْيِي] بهمزة ساكنة أخيرة وصلًا ووقفًا.

## تمهيد:

في هذا الفصل ملخص وجيز لقصة أصحاب الكهف، وهو بمثابة فاتحة فنية للدخول في التفصيلات المقصود بيانها من قصتهم.

## قصة أهل الكهف أخذاً من المؤرخين الموثوق بهم:

كان أصحاب الكهف فتية من أهالي «أبُسُس» وهي بلدة من ثُغُور «طرُسوس» بين حلب، وبلاد أرمينية وأنطاكية.

ويظهر أنهم تنصروا تأثراً بالدعاة إلى النصرانية الموحدين الذين كانوا يأتون إلى البلاد تحت ستار صانعي الخيام، فيحطون رحالهم خارج مساكنها، ويصنعون الخيام لطلابها، ويدعون إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له، وإلى نبذ الوثنيات المنتشرة في معظم بلاد الدنيا، ما تيسر لهم ذلك مستخفين.

وكان أهل «أبُسُس» وثنيين يعبدون الأصنام.

وكان هؤلاء الفتية الذين آمنوا بعبادة الله، وبما جاء به من دين حق، في زمن الإمبراطور «دوقْيوس» أو «دُفْيَانوس» الذي لم يدم ملكه أكثر من سنة واحدة، هي سنة «٢٣٧م» وكان شديد التعصب للوثنية الرومانية، وشديد الكراهية للنصرانية التي ينشرها دعائها في مختلف الأقاليم.



وَأُظْهِرَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ الَّذِينَ تَنَصَّرُوا كِرَاهِيَتَهُمْ، وَمَقَاوِمَتَهُمْ لِلْوَثْنِيَّةِ الَّتِي هِيَ دِيَانَةُ الدَّوْلَةِ الرُّومَانِيَّةِ فِي أَيَّامِهِمْ، فَأَنْذَرَهُمْ «دُوقْيُوس» إِذَا لَمْ يَعُودُوا إِلَى مِلَّةِ قَوْمِهِمُ الْوَثْنِيَّةِ بِالْتَّعْذِيبِ وَالْقَتْلِ.

فَاتَّفَقَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةُ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَدِينَةِ «أَبْسُس» وَيَأْوُوا إِلَى كَهْفٍ فِي جَبَلٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ قُرَابَةُ فَرَسَخَيْنِ، وَهُمَا (٦) أَمْيَالٍ، تُقَدَّرُ بِنَحْوِ (٩,٦) كِيلُو مِترًا وَزِيَادَةً.

وَحَاوَلَ «دُوقْيُوس» تَنْفِيزَ مَا تَوَعَّدَهُمْ بِهِ لَكِنْ عَاجَلَتْهُ مِيتَتُهُ.

وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ مَوْتَةً مُوقَّتَةً، بَعْدَ أَنْ أَوُوا إِلَى الْكَهْفِ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ إِلَى الْحَيَاةِ، بَعْدَ سِنِينَ طَوِيلَةٍ، وَظَنُّوا أَنَّ نَوْمَهُمْ لَمْ تَطُلْ أَكْثَرَ مِنْ يَوْمٍ، وَأَحْسُوا بِالْحَاجَةِ إِلَى الطَّعَامِ، فَأَرْسَلُوا وَاحِدًا مِنْهُمْ لِيَشْتَرِيَ لَهُمْ طَعَامًا بِفِضَّةٍ مَضْرُوبَةٍ نُقُودًا، فَرَأَى النَّاسَ غَيْرَ مَنْ يَعْرِفُ، وَرَأَى أَنَّ النُّقُودَ الَّتِي يَتَعَامَلُ بِهَا النَّاسُ عَلَى غَيْرِ صُورِ نُقُودِهِمُ الْفِضِّيَّةِ، وَبِذَلِكَ انْكَشَفَ أَمْرُهُ وَأَمْرُ أَصْحَابِهِ، وَكَانَ دِينَ الدَّوْلَةِ الرُّومَانِيَّةِ قَدْ تَغَيَّرَ، وَصَارَ لِلدِّيَانَةِ النَّصْرَانِيَّةِ انْتِشَارٌ.

وَيُظْهِرُ أَنَّ بَعْضَ رِجَالِ الدَّوْلَةِ قَدْ وَصَلُوا إِلَى الْكَهْفِ الَّذِي أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَيْهِ، وَرَأَوْا هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ وَحَادَثُوهُمْ وَعَرَفُوا قِصَّتَهُمْ، وَلَمْ يَطْلُبْ بِهِمُ الْأَمْرُ، إِذْ أَعَادَهُمُ اللَّهُ إِلَى الْمَوْتِ.

وَاخْتَلَطَتْ رَوَايَاتُ مُؤَرِّخِي قِصَّتِهِمْ اخْتِلَاطًا يَدْعُو إِلَى الْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَعَدَمِ الثِّقَةِ بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَحَسْبُنَا مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بِشَأْنِهِمْ، وَدَلَالَةِ بَعْثِهِمْ بَعْدَ (٣٠٠) سَنَةٍ شَمْسِيَّةٍ، عَلَى بَعْثِ اللَّهِ الْمَوْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُخَاطَبُ كُلُّ مُتَلَقِّ صَالِحٍ لِلخُطَابِ:

- ﴿أَمَرَ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا﴾ ٩:
- ﴿أَمَرَ﴾: يَنْحَلُّ مَعْنَاهَا إِلَى «بَل» الَّتِي هِيَ لِلإِضْرَابِ الْإِنْتِقَالِي مَعَ اسْتِفْهَامٍ.
- ﴿حَسِبْتَ﴾: أَي: ظَنَنْتَ ظَنًّا تَوْهُمِيًّا ضَعِيفًا.
- ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾: أَي: أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ تَوْفِيًّا رُقَادِيًّا مِائَاتٍ مِنَ السِّنِينَ، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ أَحْيَاءَ فِي الدُّنْيَا.
- ﴿وَالرَّقِيمِ﴾: الرَّقِيمُ: أَي: الْمَرْقُومُ بِمَعْنَى الْمَكْتُوبِ، فَهُوَ يُطْلَقُ عَلَى لَوْحٍ كُتِبَتْ عَلَيْهِ كِتَابَةٌ مَا، وَيُطْلَقُ عَلَى كِتَابٍ فِيهِ مَكْتُوبٌ مَا.
- وَالرَّاجِحُ أَنَّ الْمُرَادَ لَوْحَ مَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ أَسْمَاؤُهُمْ وَبَعْضُ مَا يَتَعَلَّقُ بِقِصَّتِهِمْ، وَكَيْفَ تَوَفَّاهُمْ رَبُّهُمْ سِنِينَ كَثِيرَةً ثُمَّ بَعَثَهُمْ.
- ﴿كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا﴾: الْعَجَبُ: الْأَمْرُ الْخَارِقُ الْمُثِيرُ لِلدَّهْشَةِ لِغَرَابَتِهِ، يُقَالُ: هَذَا أَمْرٌ عَجَبٌ، أَي: مُثِيرٌ لِلدَّهْشَةِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَأْلُوفٍ الشَّيْءِ.
- وَالْمَعْنَى: أَتَحَسَبُ تَوْهُمًا أَنَّ قِصَّةَ هَؤُلَاءِ مُتَمَيِّزَةٌ بِكَوْنِهَا أَمْرًا عَجَبًا، مِنْ بَيْنِ سَائِرِ آيَاتِنَا الْعُظْمَى فِي كَوْنِنَا.
- إِنَّ هَذَا الظَّنَّ التَّوَهُمِيَّ لَا أَسَاسَ لَهُ مِنَ الْحَقِّ، إِذْ كُلُّ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ مُثِيرَاتٌ لِلدَّهْشَةِ وَالْعَجَبِ الْعُجَابِ، وَلَا دَاعِيَ لَهُ إِلَّا الْعَقْلُ عَنْ سَائِرِ آيَاتِ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْأَنْفُسِ، وَقَضِيَّةُ الْوَفَاةِ بِالرُّقَادِ وَالْبُعْثِ بَعْدَ مِائَاتِ السِّنِينَ مِنْ صُغَرِيَّاتِ آيَاتِ اللَّهِ، إِنَّ تَحْوِيلَ الْمَادَّةِ الَّتِي لَا حَيَاةَ فِيهَا إِلَى حَيٍّ لَهُ صِفَاتُ الْأَحْيَاءِ الرَّاقِيَةِ أَعْظَمُ مِمَّا أَجْرَاهُ الْخَالِقُ لِأَصْحَابِ الْكَهْفِ، عَلَى أَنَّ كُلَّ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ سَوَاءً، لِأَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعُظُمَتْ قُدْرَتُهُ - إِذَا أَرَادَ شَيْئًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ: كُنْ، فَهُوَ يَكُونُ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

● ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾.

● ﴿إِذْ﴾: طَرَفٌ لِلزَّمَنِ الْمَاضِي.

● ﴿أَوَى﴾: بِمَعْنَى نَزَلَ وَسَكَنَ، يُقَالُ لَعَةً: «أَوَى الْمَكَانَ، وَأَوَى إِلَيْهِ» أَي: نَزَلَ بِهِ وَسَكَنَهُ.

● ﴿الْكَهْفِ﴾: تَجْوِيفٌ فِي بَاطِنِ جَبَلٍ لَهُ مَدْخَلٌ يُدْخَلُ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَهُوَ أَكْبَرُ وَأَوْسَعُ مِنْ: «الغار». «وال» في لفظ: «الكهف» للجنس.

المعنى: ضَعُ فِي ذَاكَرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي قِصَّةَ الْفِتْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ الَّتِي بَدَأَتْ حِينَ أَوَوْا إِلَى الْكَهْفِ فِرَاراً بِدِينِهِمُ الْحَقِّ، مِنْ طُغْيَانِ الْكُفْرِ ذَوِي الْبَاسِ وَالسُّلْطَانِ، الَّذِينَ تَوَعَّدُوهُمْ بِالتَّعْذِيبِ وَالْقَتْلِ، إِذَا لَمْ يَعُودُوا إِلَى دِينِهِمُ الْوَحْيِيِّ.

وَحِينَ أَوَوْا إِلَى الْكَهْفِ دَعَوْا رَبَّهُمْ قَائِلِينَ:

● ﴿... رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا﴾:

أَي: يَا رَبَّنَا أَعْطِنَا مِنْ أَقْرَبِ عِنْدِيَّةٍ لَكَ، أَثَرَ رَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ تَحْمِينًا بِهَا مِنْ أَعْدَاءِ دِينِكَ، الَّذِينَ تَوَعَّدُونَا بِالتَّعْذِيبِ وَالْقَتْلِ، لِأَنَّنَا آمَنَّا بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ رَسُولُكَ، وَقُتْنَا نَدْعُو إِلَيْهِ فِي قَوْمِنَا، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا فِي حَيَاتِنَا سُلُوكاً رَشِداً، مُوَافِقاً لِمَا يُرْضِيكَ مِنَّا، اِعْتِقَاداً، وَقَوْلًا، وَعَمَلًا، وَخُلُقًا.

الرَّشَدُ، وَالرُّشْدُ، وَالرَّشَادُ: السُّلُوكُ الْفِكْرِيُّ، وَالنَّفْسِيُّ، وَالْخُلُقِيُّ، وَالْعَمَلِيُّ، الْمُوَافِقُ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ، أَوْ لِمَا هُوَ الْأَفْضَلُ وَالْأَحْسَنُ، وَالْأَكْثَرُ نَفْعًا، وَالْأَبْعَدُ عَنِ الضَّرَرِ.

وَبِهَذَا الدُّعَاءِ طَلَبُوا الْحِمَايَةَ مِنَ اللَّهِ، وَطَلَبُوا أَنْ يُهَيِّئَ لَهُمْ سُلُوكَ

الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي يُحَقِّقُونَ بِهِ رِضْوَانَهُ، وَالظَّفَرَ بِجَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

- ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لِسُوءَا أَمَدًا ﴿١٢﴾:
- ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾:

الضَّرْبُ: إِلْصَاقُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ بِقُوَّةٍ وَعُنْفٍ، وَقَدْ يَنْفُذُ الْمَضْرُوبُ بِهِ إِلَى غُمَقِ الْمَضْرُوبِ، كَالضَّرْبِ بِالسَّيْفِ أَوْ الرُّمْحِ أَوْ السَّكِّينِ، أَوْ نَحْوِهَا.

أَي: وَعَقِبَ دُخُولِهِمْ إِلَى الْكَهْفِ وَدُعَائِهِمْ، وَاضْطَجَاعِهِمْ لِلرَّاحَةِ بَعْدَ سَيْرِهِمُ الطَّوِيلِ إِلَيْهِ، ضَرَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَضْرُوبٍ مَا هُوَ يَعْلَمُهُ، جَعَلَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَبَبًا لِإِنَامَتِهِمْ إِنَامَةً طَوِيلَةً، هِيَ بِمَثَابَةِ الْوَفَاةِ الصُّغْرَى.

وَقَدْ يَكُونُ الْمَضْرُوبُ بِهِ نَافِذًا إِلَى مَرَاكِزٍ فِي آذَانِهِمْ، تُؤَثِّرُ عَلَى جِهَازِ النَّوْمِ فِي أَدْمِغَتِهِمْ، فَتَجْعَلُهُمْ يَنَامُونَ نَوْمًا عَمِيقًا كَالْمُخْدَرِينَ تَخْدِيرًا كَامِلًا لِإِجْرَاءِ الْجِرَاحَةِ فِي أَجْسَادِهِمْ.

- ﴿... فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: أَي: فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ حَالَةَ كَوْنِهِمْ مُضْطَجِعِينَ فِي الْكَهْفِ، وَجَعَلْنَا هَذَا الضَّرْبَ مُسْتَمِرًّا سِنِينَ ذَوَاتِ عَدَدٍ كَثِيرٍ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَفْهُومِ النَّاسِ فِي مُعْتَادَاتِهِمْ.

دَلَّ لَفْظُ «عَدَدًا» عَلَى كَوْنِهِ كَثِيرًا، إِذْ لَوْ لَمْ يَكُنْ كَثِيرًا لِمَا احتَاجَ وَصَفُ «سِنِينَ» بِهِ.

«عَدَدًا» مَصْدَرُ «عَدَدَ الشَّيْءِ» بِمَعْنَى «عَدَّهُ».

- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾: أَي: ثُمَّ بَعَدَ السِّنِينَ الْكَثِيرَةِ الَّتِي جَعَلْنَاهُمْ فِيهَا رُقُودًا أَتَقَطَّنَاهُمْ.

«الْبَعْثُ» من معانيه الإيقاظ مِنَ النَّوْمِ.

• ﴿... لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لِسُوءِ أَمَدًا﴾ ﴿١٢﴾ :

الحزب: الجماعة المتفككة المتناصرة على أمرٍ ما.

• ﴿أَحْصَى﴾: يقال لغة: «أَحْصَى الشَّيْءَ» أي: عَرَفَ مِقْدَارَهُ. وعند

سيبويه وابن عُصْفُور يُجُوزُ أن يكون «أَحْصَى» اسْمٌ تفضيل إذ يُجُوزُ عندهما صوغ اسمِ التفضيل «أَفْعَل» من الفِعْلِ المزيد قياساً مُطَرِّداً.

• ﴿أَمَدًا﴾: الأمد: الغاية والنّهاية، فأمدُ الشيء غايته ونهايته.

والأمد: الزمن الذي يكونُ غَايَةً الأجل، وتكونُ عندهُ نِهَايَةً المدة،

ويُطلقُ الأمدُ على الزّمن الذي يَبْدَأُ عِنْدَ عُمُرِ الشَّيْءِ الحادث، كوقتِ ميلادِ الحيّ. و﴿أَمَدًا﴾ تمييز، وهو من تمييزِ نِسْبَةِ الفِعْلِ إلى المفعول.

واللُّبْثُ: هُوَ الإقامة في المكان.

وَذَكَرُ «الْحِزْبَيْنِ» دَلَّ عَلَى أَنَّ الَّذِينَ اكْتَشَفُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، الَّتِي كَانُوا قَدْ فَرُّوا مِنْ طُغْيَانِ جَبَّارِهَا، قَدْ انْقَسَمُوا إِلَى قَرِيقَيْنِ. فِي تَحْدِيدِ مُدَّةِ رُقُودِهِمْ فِي الْكَهْفِ، أَخَذًا مِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَاسْتِنْبَاطاً مِنْ نُقُودِ الْفِضَّةِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُمْ، وَهَذَا بَعْدَ أَنْ رَجَعَ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُمْ لِيَشْتَرِيَ لَهُمْ طَعَاماً، وَأَمَاتَهُمُ اللَّهُ بَعْدَ إِيقَازِهِمْ، فَفَرِيقٌ مِنَ الْحِزْبَيْنِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى إِحْصَاءِ الزَّمَنِ الَّذِي بَدَأَ عِنْدَهُ دُخُولُهُمْ إِلَى الْكَهْفِ.

فالمعنى: ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ بَعْدَ رُقُودِهِمْ الطَّوِيلِ سِنِينَ ذَوَاتَ عَدَدٍ كَثِيرٍ، لِنَعْلَمَ أَنَّ مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ الْحِزْبَانِ فِي أَمَدِ لُبْثِهِمْ فِي الْكَهْفِ؛ بَعْدَ عُثُورِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ، مُطَابِقٌ لِمَا سَبَقَ عَلَّمْنَا بِهِ، لَمْ يَخْتَلَفْ عَنْهُ فِي شَيْءٍ صَغِيرٍ وَلَا كَبِيرٍ، وَهَذَا مِنْ خَصَائِصِ الْعِلْمِ الرَّبَّانِيِّ الشَّامِلِ لِمَا كَانَ، وَلِمَا هُوَ كَائِنٌ، وَلِمَا سَيَكُونُ، وَلِمَا سَوْفَ يَكُونُ، وَلَوْ كَانَ مِنْ اخْتِيَارَاتِ الَّذِينَ مَنَحَهُمُ اللَّهُ إِرَادَاتٍ حُرَّةً.

وَقَالَ اللَّهُ ﴿لِنُعَلِّمَكُم﴾ أَي: وَلِنُعَلِّمَكُم بِشُمُولِ عِلْمِنَا السَّابِقِ لِمَا تَخْتَارُونَ  
 أَنَّا فَنَأْ بِإِرَادَاتِكُمُ الْحُرَّةِ، فَقَدْ سَبَقَ عِلْمُنَا بِهِ، وَيُطَابِقُ عِلْمُنَا بِهِ بَعْدَ الْوُقُوعِ  
 مَا سَبَقَ بِهِ عِلْمُنَا، دُونَ أَنْ يَكُونَ مِنَّا جَبْرٌ لِإِرَادَاتِ ذَوِي الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ  
 فِي اخْتِيَارَاتِهَا.

نُعَلِّمَكُم بهذه الحقيقة المتعلّقة بِشُمُولِ عِلْمِنَا، وَإِنْ كَانَتْ عُقُولُكُمْ  
 عاجِزَةً عَنْ إدراكها، كَمَا هِيَ عاجِزَةٌ عَنْ إدراكِ الْأَزَلِ وَالْخَلْقِ مِنَ الْعَدَمِ،  
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا لَا تَصِلُ عُقُولُكُمْ إِلَى إدراكه.

## الفصل الثاني من قصّة أصحاب الكهف الآيات من (١٣ - ١٦)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ يَتَحَدَّثُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

﴿تَحْنُ نَفْصٌ عَلَيْكَ نَبَأُهُم بِالْحَقِّ إِنْهُمْ فَتِيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى  
 (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ  
 دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا  
 يَأْتُواكَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذْ  
 ائْتَيْنَاهُمْ وَمَا يعبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ  
 وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا (١٦)﴾.

### القراءات:

(١٦) • قرأ السُّوسِي، وأبو جعفر، وحمزة: [فَأَوْأُوا] بِالْف مَدِّيَّة بَعْدَ  
 الْفَاءِ فِي الْوَقْفِ فَقَطْ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشَرَةِ: [فَأَوْأُوا] بِهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ وَصَلًا وَوَقْفًا.

(١٦) • قرأ أبو جَعْفَر: [وَيُهَيِّئْ] وَصَلًا وَوَقْفًا، وَكَذَلِكَ حَمْزَةً،  
 وَهَشَامٌ فِي الْوَقْفِ فَقَطْ.

وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [وَيُهِئِيءُ] وصلًا ووقفًا.

(١٦) • قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: [مَرْفُوعًا].

وقرأها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [مِرْفُوعًا].

وهما لغتان عَرَبِيَّتَانِ بِمَعْنَى الْإِثْتِفَاعِ وَالِاسْتِعَانَةِ.

تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الْقُضْلِ مَقْطَعٌ تَفْصِيلِيٌّ أَوَّلُ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَتَحَدَّثُ بِضَمِيرِ الْمَتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا:

• ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ (١٣).

• ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾: أي: نَحْنُ بِعَظَمَةِ رُبُوبِيَّتِنَا وَشُمُولِ عِلْمِنَا كُلِّ شَيْءٍ كَانٍ، أَوْ هُوَ كَائِنٌ، أَوْ سَيَكُونُ، نُحَدِّثُكَ بِمَا قَضَتِ الْحِكْمَةُ أَنْ نُحَدِّثَكَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ.

الْقَصْرُ: تَتَّبِعُ الْأَثَرَ شَيْئًا فَشَيْئًا. وَيُقَالُ لُغَةً: «قَصَّ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ الْخَبَرَ» أي: حَدَّثَهُ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ.

• ﴿نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾: أي: خَبَرَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ الْبَارِزَ ذَا الشَّانِ مُتَّصِفًا بِأَنَّهُ حَقٌّ.

النَّبَأُ: الْخَبَرُ الْبَارِزُ ذُو الشَّانِ الرَّفِيعِ الَّذِي يَشْغُلُ الْأَفْكَارَ.

• ﴿إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ﴾: أي: إِنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ فِتْنَةٌ.

الْفِتْيَةُ: جَمْعُ «الْفَتَى» وَهُوَ الشَّابُّ أَوَّلُ شَبَابِهِ بَيْنَ الْمَرَاهِقَةِ وَالرُّجُولَةِ.

• ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾: أَي: خَطُّوا بِإِرَادَاتِهِمُ الْحُرَّةِ الْخُطُواتِ الْأُولَى فِي صِرَاطِ الْهُدَى، فَأَمَّنُوا بِرَبِّهِمْ، وَهَذَا الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ هُوَ مِفْتَاحُ الْمَسِيرِ السَّلِيمِ فِي صِرَاطِ الْهُدَى، فزَادَهُمُ اللَّهُ هُدًى بِمَعُونَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ لِيَتَابِعُوا الْمَسِيرَ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالنِّيَّاتِ.

وَنَفَهُمُ مِنْ هَذَا أَنْ مَنْ بَدَأَ بِإِرَادَتِهِ الْحُرَّةِ خُطْوَةَ الْإِيمَانِ الْأُولَى، فَأَمَّنَ إِيمَانًا صَحِيحًا، زَادَهُ اللَّهُ هُدًى بِمَعُونَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ وَحَفِظَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَتَابِعُ قِصَّةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ:

• ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾: ﴿١٤﴾:

• ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: الرِّبْطُ عَلَى الْقَلْبِ أَوْ الْقُلُوبِ فِي دَلَالَاتِ النُّصُوصِ الْقُرْآنِيَّةِ مَعْنَاهُ التَّثْبِيثُ وَالتَّقْوِيَةُ، لِلتَّحْمُلِ وَالصَّبْرِ، وَالثِّقَةِ بِاللَّهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مِنْ قَبِيلِ الْاسْتِعَارَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى تَشْبِيهِ الْقَلْبِ بِشَيْءٍ قَابِلٍ لِلتَّمَرُّقِ وَالتَّوَرُّعِ فِي الْجِهَاتِ، فَإِذَا أُدِيرَ عَلَيْهِ حَبْلٌ وَرُبِطَ طَرَفَاهُ، مَنَعَهُ هَذَا الرِّبْطُ مِنَ التَّمَرُّقِ وَالتَّوَرُّعِ، بِسَبَبِ الصَّوَاعِظِ الْمُمَرِّقَةِ لَهُ مِنْ دَاخِلِهِ، كَالْخَوْفِ، وَالْحُزْنِ، وَالطَّمَعِ، وَالْحُبِّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَوَاطِفِ الْمُفَجِّرَةِ.

• ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أَي: وَثَبَّنَاهُمْ وَقَوَّيْنَاهُمْ حِينَ قَامُوا بِجُرْأَةٍ وَشَجَاعَةٍ فِي كِبَرَاءِ قَوْمِهِمُ الْمُشْرِكِينَ، دَاعِينَ إِلَى اللَّهِ وَحَدَهُ وَإِلَى نَبَذِ الشُّرْكِ، فَقَالُوا: رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا أَوْثَانُكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا وَتَتَّخِذُونَهَا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَهَذَا يَدْخُلُ فِي عَمُومِ: ﴿وَزِدْنَهُمْ هُدًى﴾.



وَتَابَعَ الْفِتْيَةُ الْمُؤْمِنُونَ دَعْوَتَهُمْ فِي كُبَرَاءِ قَوْمِهِمْ: فقالوا:

• ﴿لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾.

نَفَهُمْ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ أَنَّ كُبَرَاءَ قَوْمِهِمْ أَلْزَمُوهُمْ بِأَنْ يَعُودُوا إِلَى الشُّرْكِ، فَقَالُوا لَهُمْ بِجُرْأَةٍ وَشَجَاعَةٍ وَثَبَاتٍ وَحَزْمٍ: لَنْ نَعْبُدَ مِنْ دُونِ رَبَّنَا رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَهًا، فاقطعوا أملككم بإعادتنا إلى الشُّرْكِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّنَا إِنْ قُلْنَا بِوُجُودِ إِلَهٍ غَيْرِ رَبَّنَا، فَتُقْسِمُ أَنَّنَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا قَوْلًا فِيهِ شَطَطٌ عَظِيمٌ، وَجَوْرٌ، وَظُلْمٌ، وَمُجَاوَزَةٌ لِلْحَقِّ بَعِيدَةٌ.

الشَّطَطُ: الجورُ، والظُّلْمُ، وَمُجَاوَزَةٌ حَدُّ الْحَقِّ وَوَاجِبُ الْعَدْلِ، بِإِفْرَاطٍ لَا تَقْبَلُهُ الْعُقُولُ السَّالِمَةُ.

﴿إِذَا﴾: يَقُولُ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ هِيَ هُنَا لَعْنٌ، لِأَنَّ مَا قَبْلَهَا مُفْتَقِرٌ إِلَى مَا بَعْدَهَا، وَأَقُولُ: هِيَ بِمَعْنَى «حِينَئِذٍ». أَي: لَقَدْ قُلْنَا حِينَئِذٍ شَطَطًا، نَظْرًا إِلَى مُخْتَلِفِ اسْتِعْمَالَاتِهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَاسْتُعْمِلَ فِعْلُ «نَدْعُوا» وَمُسْتَقَاتُهُ فِي الْقُرْآنِ بِمَعْنَى نَعْبُدُ كَثِيرًا. لِأَنَّ الدُّعَاءَ بِمَعْنَى طَلَبِ مَرْغُوبٍ فِيهِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ مِنَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهُوَ أَوَّلُ الْعِبَادَاتِ، بَعْدَ الْإِيمَانِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا قِصَّةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ:

• ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: ﴿١٥﴾

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّهُمْ فَارَقُوا قَوْمَهُمْ بَعْدَ دَعْوَتِهِمْ بِمَا سَبَقَ بَيَانُهُ، فَقَالُوا فِي حَدِيثٍ تَبَادَلُوهُ بَيْنَهُمْ مُعْتَرِلِينَ جَمَاهِيرَ قَوْمِهِمُ الْمُشْرِكِينَ، خُلَاصَتُهُ مَا يَلِي:

(١) ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾: أَي: هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا

السُّفَهَاءُ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ رَبِّهِمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ وَخَدَهُ أَنْ يَعْبُدُوهُ، إِلَهَةً يَعْبُدُونَهَا لَا عِقَادَ لَهُمْ بِأَنَّ لَهَا رُبُوبِيَّةً مَا، فَهُمْ يَرْجُونَ أَنْ تَجْلُبَ لَهُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ وَتَدْفَعَ عَنْهُمْ مَا يَضُرُّهُمْ.

(٢) ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾: أي: إِنَّهُمْ لَمَّا حَاوَرْنَاهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَأْتُوا بِدَلِيلٍ مَا تَقْبَلُهُ الْعُقُولُ، هَلَّا يَأْتُونَ بِبُرْهَانٍ وَاضِحٍ عَلَى صِحَّةِ عِبَادَتِهِمْ لِإِلَهَةٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَتَّى يَكُونُوا مَعْدُورِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ مِنَ النَّاسِ.

• ﴿لَوْلَا﴾ حَرْفٌ تَخْصِيصٌ بِمَعْنَى «هَلَّا».

• ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: أي: بِحُجَّةٍ بَرْهَانِيَّةٍ وَاضِحَةٍ.

(٣) ﴿... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾: أي: وَإِذْ لَا سُلْطَانَ لَهُمْ عَلَى شُرَكِيَائِهِمِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِرَبِّهِمْ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُمْ ظَالِمُونَ مِنْ أَحْسَرِ دَرَكَاتِ الظُّلْمِ. وَقَدْ جَاءَ التَّعْبِيرُ عَنْ هَذِهِ الْفِكْرَةِ بِأَسْلُوبِ الْاسْتِفْهَامِ الَّذِي يُرَادُ بِهِ النِّفْيُ، أَيْ: لَا أَحَدٌ أَشَدُّ ظُلْمًا مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا.

افْتِرَاءُ الْكَذِبِ: اخْتِلَاقُ الْكَذِبِ وَاضْطِنَاعُهُ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّهُ كَذِبٌ مُخَالِفٌ لِلْحَقِّ وَالْوَاقِعِ، وَمِنْهُ التَّزَامُ الْبَاطِلِ الَّذِي لَا بُرْهَانَ لَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا قِصَّةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَمُبَيِّنًا مَا قَالُوا:

• ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾: ﴿١١﴾

الاعْتِزَالُ: الْبُعْدُ وَالتَّخَيُّ عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي حَصَلَ الْاعْتِزَالُ عَنْهُ، مَادِيًا أَوْ مَعْنَوِيًا.

• ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾: وَكُلُّ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ مَعْبُودَاتٍ وَمَعْبُودِينَ، بِاسْتِثْنَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

• ﴿فَأَنذِرُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾: أي: فَاجْعَلُوا مَسْكَنَكُمْ الَّذِي تُقِيمُونَ فِيهِ، الْكَهْفَ الْمُنَاسِبَ لَكُمْ الَّذِي اخْتَرْتُمْ أَنْ تَحْتُمُوا بِهِ، حَتَّى لَا يَغْتَدِي عَلَيْكُمْ كُفْرَاءُ قَوْمِكُمْ، الَّذِينَ سَخِطُوا أَنْ تَتْرَكُوا مَا هُمْ فِيهِ مِنْ وَثَنِيَّاتٍ، وَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَوَعَّدُوهُمْ بِاللَّعْنَةِ وَالْقَتْلِ.

• ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾: النَّشْرُ: الْبَسْطُ وَالْمَدُّ، وَتَوْسِيعُ وَجُودِ الشَّيْءِ أَوْ أَجْزَائِهِ فِي أَمَاكِنَ مُتَعَدِّدَةٍ، بِحَسَبِ قُوَّةِ النَّشْرِ، وَالْغَايَةُ الَّتِي يَصِلُ إِلَيْهَا.

أي: فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ مُحْتَمِينَ بِهِ، يَبْسُطُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ مَا يَحْفَظُكُمْ وَيَحْمِيكُمْ بِهِ، وَمَا تَطْمَئِنُّ بِهِ قُلُوبُكُمْ مِنْ أَمْنٍ وَرَاحَةٍ، وَمَا تَطْلُبُونَ مِنْ حَيَاةٍ طَيِّبَةٍ، فَهَذَا الْكَهْفُ بَعِيدٌ عَنْ عُيُونِ أَهْلِ مَدِينَتِكُمْ، وَمَجْهُولٌ لَهُمْ غَيْرُ مَعْرُوفٍ أَنَّهُ مَلْجَأٌ مُنَاسِبٌ لِلْفَارِّينَ.

• ﴿... وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾: أَي: وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِ حَيَاتِكُمْ وَرِزْقِكُمْ، بِعِنَايَتِهِ بِكُمْ، وَبِالْطَّافَةِ الْخَفِيَّةِ، مَا تَرْتَفِقُونَ بِهِ، أَي: مَا تَتَفَعَّلُونَ بِهِ، وَتَسْتَعِينُونَ بِهِ، فِي حَاجَاتِ حَيَاتِكُمْ وَمَطَالِبِكُمْ فِيهَا.

فَأَنَامَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يُخَوِّجْهُمْ إِلَى طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَنَحْوِهِمَا.



## الفصل الثالث من قِصَّةِ أصحاب الكهف

الآيتان (١٧ و ١٨)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَرَأَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوُرَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّ اللَّهُ فَهَوْا الْمُتَهَدِّدِينَ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْكَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ

وَنَقَلَبْنَهُمْ ذَاتَ الْأَيْمَنِ ذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿٧﴾

### القراءات:

(١٧) • قرأ ابن عامر، ويعقوب: [تَزَوَّرُ].

وقراها عاصم، وحمزة، والكسائي: [تَزَاوَرُ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تَزَاوَرُ].

(١٧) • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [فَهُوَ الْمُهْتَدِي] في

الوصل.

وكذلك يعقوب في الوصل والوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَهُوَ الْمُهْتَدِي] بِحَذْفِ الْيَاءِ وَصَلًا وَوَقْفًا.

(١٨) • قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: [وَتَحْسِبُهُمْ]

بِفَتْحِ السِّينِ.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَتَحْسِبُهُمْ] بِكَسْرِ السِّينِ.

وهما لغتان عريبتان.

(١٨) • قرأ نافع، وابن كثير: [وَلَمُلِئْتَ] بِتَشْدِيدِ اللَّامِ الْمَكْسُورَةِ،

وهمزة ساكنة بَعْدَهَا.

وقرأ السُّوسِي: [وَلَمُلِئْتَ] بِلَامٍ مَكْسُورَةٍ غَيْرِ مُشَدَّدةٍ، وَبِإِبْدَالِ الْهَمْزَةِ

يَاءً مَدِّيَّةً. وَكَذَلِكَ قرأ حمزة في الوقف فقط.

وَقَرَأَهَا أَبُو جَعْفَرٍ: [وَلَمُلِئْتَ] بِلَامٍ مَكْسُورَةٍ مُشَدَّدةٍ، وَبِإِبْدَالِ الْهَمْزَةِ

يَاءً مَدِّيَّةً.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَلَمُلِئْتَ] بِلَامٍ مَكْسُورَةٍ غَيْرِ مُشَدَّدةٍ،

وهمزة سَاكِئَةٌ بَعْدَهَا.

(١٨) • قرأ ابن عامر، والكِسائي، وأبو جعفر، وَيَعْقُوب: [رُعباً]

بضم العين.

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَة: [رُعباً] بِإِسْكَانِ الْعَيْنِ.

وهما لغتان عَرَبِيَّتَانِ.

تمهيد:

فِي آيَتِي هَذَا الْفَضْلِ وَصِفَتْ لِحَالَةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، بَعْدَ أَنْ أُلْقِيَ  
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمُ النَّوْمُ الطَّوِيلُ.

وَطَوَّيْتُ النَّصَّ فِي السُّورَةِ بَيَانِ وَصُولِهِمْ إِلَى الْكَهْفِ، وَدُخُولِهِمْ إِلَى  
دَاخِلِهِ، وَاضْطِجَاعِهِمْ لِلرَّاحَةِ، وَإِقَاءِ النَّوْمِ عَلَيْهِمْ، لِإِمْكَانِ إِدْرَاكِ كُلِّ ذَلِكَ  
بَشَيْءٍ مِنَ التَّأَمُّلِ الْفِكْرِيِّ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِكُلِّ صَالِحٍ لِتَلْقَى الْخَطَابَ:

• ﴿وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوُّرَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا  
غَرَبَتْ تَقَرَّبَتْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ  
فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (٧).

• ﴿تَزَوُّرُ﴾: أي: تَتَزَاوَرُ، مَاخُودٌ مِنَ الزَّوَرِ وَهُوَ الْمَيْلُ، وَالْمَعْنَى:  
أَنَّ الشَّمْسَ تَتَمَايَلُ عَنْ كَهْفِهِمْ إِذَا طَلَعَتْ إِلَى الْجِهَةِ ذَاتِ الْيَمِينِ بِحَسَبِ  
الْمَشَارِقِ الْمُخْتَلَفَةِ، وَبِحَسَبِ مَسِيرَتِهَا الْيَوْمِيَّةِ.

• ﴿تَقَرَّبَتْهُمْ﴾: أي: تَعْدِلُ عَنْهُمْ وَتَتَرُكُهُمْ، نَقَوْلُ لُغَةً: «قَرَضْتُ  
الْمَكَانَ» أَي: عَدَلْتُ عَنْهُ. أَصْلُ الْقَرَضِ: الْقَطْعُ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الشَّمْسَ عِنْدَ الْغُرُوبِ تَعْدِلُ عَنْ كَهْفِهِمْ إِلَى الْجِهَةِ ذَاتِ  
الشَّمَالِ، فَلَا تُصِيبُهُمْ أَشِعَّتُهَا، وَتَنْقَطِعُ عَنْهُمْ دُونَ تَدْرُجِ.

• ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: أي: وهم في مكانٍ من الكهفٍ مُتَّسِعِينَ.

الفَجْوَةُ: المَتَّسِعُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، وَفَجْوَةُ الدَّارِ سَاحَتُهَا.

والمعنى: وَتَرَى أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي أَيَّا كُنْتَ إِنْ كُنْتَ مِمَّنْ يَصْلُحُ لِلرُّؤْيَةِ، الشَّمْسُ فِي مَطَالِعِهَا عِنْدَ الشُّرُوقِ، تَقَعُ عَلَى مَدْخَلِ كَهْفِهِمْ قَلِيلًا، وَتَمِيلُ عَنْهُ مُتَّجِهَةً إِلَى جِهَةِ يَمِينِ الْكَهْفِ، وَإِذَا اقْتَرَبَ غُرُوبُهَا تَعْدِلُ عَنْهُمْ وَعَنْ كَهْفِهِمْ مُتَّجِهَةً إِلَى جِهَةِ شَمَالِ الْكَهْفِ مَنْقُطَةً انْقِطَاعًا دُونَ تَدْرُجٍ.

ويمين قرص وجه الشمس يكون إلى جهة شمال وجه قوّة الكهف، وَبِحَسَبِ سَيْرِ الشَّمْسِ انْطِلَاقًا مِنْ مَشَارِقِهَا يَتَدَرَّجُ مِثْلُ أَشْعَتِهَا إِلَى جِهَةِ يَمِينِ الْكَهْفِ، وَقَبِيلَ غُرُوبِهَا تَنْقَطِعُ أَشْعَتُهَا دُونَ تَدْرُجٍ عَنْ مَدْخَلِ الْكَهْفِ، وَتَعْدِلُ إِلَى جِهَةِ شِمَالِهِ.

هَذَا تَحْدِيدٌ لِمَكَانِ الْكَهْفِ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ خَبِيرٍ جُغْرَافِيٍّ، يُلَاحِظُ فِيهِ مَشَارِقَ الشَّمْسِ وَمَغَارِبَهَا، إِذْ لَا يَنْحَصِرُ هَذَا الْوَصْفُ فِي زَمَنٍ مُّعَيَّنٍ مِنَ السَّنَةِ.

• ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾: أي: ذَلِكَ الَّذِي حَصَلَ لِهَؤُلَاءِ الْفُتَيَّةِ مِنْ إِيوَائِهِمْ إِلَى الْكَهْفِ، وَالْقَاءِ النَّوْمِ الطَّوِيلِ عَلَيْهِمْ، وَحِمَايَتِهِمْ مِنْ كُفْرَاءِ قَوْمِهِمُ الَّذِينَ تَوَعَّدُوهُمْ بِالتَّعْذِيبِ وَالْقَتْلِ، هُوَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي تَشْتَمِلُ عَلَى نُصْرَةِ أَوْلِيَائِهِ وَحِمَايَتِهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، بِتَقْدِيرَاتِهِ وَتَدْبِيرَاتِهِ وَالْطَّافَةِ الْخَفِيَّةِ.

• ﴿... مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾: ﴿٧﴾

أي: مَنْ يَحْكُمِ اللَّهُ لَهُ بِالْهِدَايَةِ لِأَنَّهُ اهْتَدَى بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، فَهُوَ الْمُهْتَدِي، الَّذِي يَعْتَنِي اللَّهُ بِهِ، وَيَحْمِيهِ، وَيُثَبِّتُهُ ثَوَابًا عَظِيمًا يُرْضِيهِ، وَمَنْ يَحْكُمِ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالضَّلَالَةِ، لِأَنَّهُ ضَلَّ بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، فَلَنْ تَجِدَ لَهُ فِي الْوُجُودِ

كُلُّهُ نَاصِرًا يَنْصُرُهُ، فَيَحْكُمُ لَهُ بِالْهِدَايَةِ، وَيُوقِّفُهُ حَتَّى يَكُونَ رَشِيدًا فِي مَسِيرَتِهِ فِي حَيَاتِهِ.

الولي: النَّاصِر.

الْمُرْشِد: الْمَسْدُدُّ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالصَّوَابِ، وَيَرَادُ بِهِ هُنَا مَنْ يَحْكُمُ بِالرَّشَادِ وَالْهِدَايَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا:

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا ۖ﴾

• ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾: دَلَّتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَا مَهُمْ مِنْ مَرَاكِزِ النَّوْمِ فِي أَدِمَعَتِهِمْ، وَأَبْقَى أَجْفَانَهُمْ مُنْفَتِحَةً عَنْ عُيُونِهِمْ، حَتَّى إِذَا رَأَوْهُمْ رَأَى مَا حَسِبَهُمْ أَيْقَاظًا لَا نَائِمِينَ.

أَيْقَاظ: جَمْعُ «يَقِظ» وَهُوَ الصَّاحِي خِلَافَ النَّائِمِ.

رُقُود: جَمْعُ «رَاقِد» وَهُوَ النَّائِمُ.

• ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾: وَدَلَّتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَبْقَاهُمْ أَحْيَاءَ فِي حَالَةِ نَوْمٍ، وَلَمْ يُمِثَّهُمْ، إِذْ رُكَّودُ الْأَجْسَادِ الْحَيَّةِ عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ مُدَّةَ طَوِيلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ يُعَرِّضُهَا لِلْفَسَادِ فَتَظْهَرُ فِيهَا الْقُرُوحُ، وَتَتَكَاثَرُ فِي قُرُوحِهَا الْجَرَائِمُ. وَهَذَا التَّقْلِيبُ يُشْعِرُ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ أَنََّّهُمْ أَحْيَاءُ.

• ﴿ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾: أَي: جِهَةَ الْيَمِينِ وَجِهَةَ الشِّمَالِ، فَلَفْظُ «ذَاتٍ» مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ.

• ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾: الْوَصِيدُ: يُطْلَقُ عَلَى فَنَاءِ الدَّارِ،

وعلى عَتَبَةِ الْبَابِ. فَمِنْ الْمَرْجَحِ أَنْ يَكُونَ كَلْبُهُمْ بِاسِطاً ذِرَاعِيهِ قُرْبَ فُوهَةِ الْكَهْفِ مِنَ الدَّاخِلِ كَعَادَةِ الْكِلَابِ فِي الْحِرَاسَةِ.

فَدَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ لَهُمْ كَلْباً مُصَاحِباً لَهُمْ إِذَا حَلُّوا أَوْ ارْتَحَلُوا.

• ﴿...﴾ لَوْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْباً ﴿٨﴾:

أي: لو أَطْلَعَتْ عَلَيْهِمْ أَيُّهَا الْمَطْلُوعُ مِنَ النَّاسِ أَيُّاً كُنْتَ، لَوَلَّيْتَ عَنْ مَكَانٍ كَهْفِهِمْ تَوَلَّى فِرَارِ خَوْفاً مِنْ شَرِّ يُصِيبُكَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَمَلِئْتَ نَفْسَكَ مِنْهُمْ رُغْباً.

وَلَّيْتَ: أي: أَذْبَرْتَ وَنَأَيْتَ.

وَلَمَلِئْتَ: وفي القراءة الأخرى: وَلَمَلِئْتَ: بِالتَّشْدِيدِ، أي: لَأَصَابَ كُلَّ نَفْسِكَ الرُّغْبُ مِنْهُمْ، وَرُوعِي بِقِرَاءَةِ التَّشْدِيدِ حَالُ مَنْ يَشْتَدُّ خَوْفُهُ مِنَ الْمُرْعَبَاتِ.

وَأَرَى أَنَّ فِي هَذَا الْبَيَانِ كِنَايَةً عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مُسْلِحِينَ، عَلَى صِفَةِ قُطَاعِ الطَّرِيقِ الْقَتْلَةِ، الَّذِينَ يَخْشَى النَّاسُ شَرَّهُمْ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ شَخْصٌ مُتَفَرِّدٌ مِنَ النَّاسِ، خَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْهُمْ أَنْ يَقْتُلُوهُ وَيَسْلُبُوهُ، فَهُوَ يَفِرُّ مُبْتَعِداً عَنْ مَكَانٍ كَهْفِهِمْ خَوْفاً مِنْ شَرِّهِمْ.

فِرَاراً: مَنْصُوبٌ عَلَى أَنَّهُ نَائِبٌ عَنْ مَفْعُولٍ مُطْلَقٍ مُبَيَّنٍ لِنَوْعِهِ.

رُغْباً: تَمْيِيزٌ مُحَوَّلٌ عَنِ الْفَاعِلِ، أي: وَلَمَلَأَ الرُّغْبُ قَلْبَكَ وَنَفْسَكَ.



## الفصل الرابع من قصة أصحاب الكهف

الآيات من (١٩ - ٢١)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيَّ أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

القراءات:

(١٩) • قرأ أبو عمرو، وشُعْبَةُ، وحمزة، وخلف، وروح:

[بِوَرِقِكُمْ].

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [بِوَرِقِكُمْ].

الْوَرِقُ: الفضة، وكانت فضَّتُهُمْ مَسْكُوكَةً نُقُودًا. وإِسْكَانُ الرَّاءِ لُغَةٌ أَوْ تخفيف.

(٢١) • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهِمْ] بضم الهاء.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [عَلَيْهِمْ] بكسر الهاء.

وهما لغتان.

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الْفَصْلِ بَيَانُ مَرَحَلَةِ إِيقَاطِ أَهْلِ الْكَهْفِ بَعْدَ سِنِينَ عَدِيدَةٍ مِنْ إِنْامَتِهِمْ، وَاكْتِشَافِ أَمْرِهِمْ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ أَهْلِ مَدِينَتِهِمْ.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُتَابِعُ قِصَّةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِنَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

• ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾: أي: وَكَذَلِكَ الْفِعْلُ الْعَجِيبُ الَّذِي كَانَ مِنَّا، حِينَ آمَنَّا أَهْلَ الْكَهْفِ سِنِينَ عَدِيدَةً، بَعَثْنَاهُمْ، أَي: أَيْقَظْنَاهُمْ مِنْ نَوْمِهِمْ بِعَجَبِيَّةٍ أُخْرَى.

• ﴿لِنَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾: أي: لِنَتَجَرَّيَ سِلْسِلَةَ أَحْدَاثٍ تَنْتَهِي بِأَنْ يَعْلَمَ الشَّاكُونَ بِالْبَعْثِ مِنَ الْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا، وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَوْفَ يُحَاسِبُ عِبَادَهُ، وَيَفْصِلُ الْقَضَاءَ بَيْنَهُمْ، وَيُنْفِذُ جَزَاءَهُ.

وأوَّلُ أَحْدَاثِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ تَسَاوُلُ أَهْلِ الْكَهْفِ فِيمَا بَيْنَهُمْ عَنْ مُدَّةِ لَبِئْتِهِمْ فِي الْكَهْفِ.

• ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ؟﴾: أي: قَالَ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الْكَهْفِ لِرِفَاقِهِ: كَمْ أَقْمَنتُمْ فِي الْكَهْفِ مُنْذُ أَوَيْتُمْ إِلَيْهِ؟.

• ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾: دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى قَضِيَّتَيْنِ:

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: أَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لِنُفُوسِهِمْ إِحْسَاسٌ بِمُرُورِ الزَّمَنِ الطَّوِيلِ وَهُمْ نَائِمُونَ، إِذْ كَانَ تَقْدِيرُهُمْ أَنَّهُمْ لَبِثُوا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ.

الْقُصِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: يَظْهَرُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَامَ كَلْبَهُمْ مَعَهُمْ، وَأَيَّقَظَهُ مَعَهُمْ، إِذْ لَوْ مَاتَ الْكَلْبُ لَظَهَرَتْ بَقَايَا مِنْهُ تَدُلُّ عَلَى مَوْتِهِ، وَعِنْدِيذٍ لَا يَقُولُونَ: «لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ»، وَلَيْسَ مِنْ عَادَةِ الْكَلْبِ أَنْ يَتْرُكَهُمْ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ الْوَجِيزَةِ.

وجاء في البيان وَصَفُ كَلْبِهِمْ بِأَنَّهُ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ وَهُمْ رُقُودٌ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْآيَةَ الرَّبَّانِيَّةَ تَتَكَامَلُ بِإِنَامَةِ كَلْبِهِمْ وَإِقَاطِظِهِ مَعَهُمْ.

• ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾: إِنَّهُمْ تَرَدَّدُوا مُتَحِيرِينَ فِي مُدَّةِ إِقَامَتِهِمْ فِي الْكَهْفِ، فَكَانَتْ كَلِمَتُهُمْ الْأَخِيرَةُ الَّتِي اتَّفَقُوا عَلَيْهَا جَمِيعًا: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِالْمُدَّةِ الَّتِي لَبِثْتُمُوهَا فِي الْكَهْفِ نَائِمِينَ.

وَبَعْدَ اسْتِيقَاطِهِمْ مِنْ نَوْمِهِمْ أَحْسَوْا بِالْجُوعِ، وَكَانَتْ مَعَهُمْ نُقُودٌ فَضِيَّةٌ كَانَ قَوْمُهُمْ يَتَعَامَلُونَ بِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى الطَّعَامِ.

• ﴿فَاتَّبَعُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾:

• ﴿بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾: أَي: بِنُقُودِكُمْ الْفُضِّيَّةِ هَذِهِ الَّتِي تَمْلِكُونَهَا.

• ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾: أَي: فَلْيَنْظُرْ فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ أَيُّ الْأَطْعِمَةِ فِيهِ أَكْثَرُ نَمَاءً وَزِيَادَةً غِذَاءً يَصْلُحُ لِلارْتِفَاقِ بِهِ أَطْوَلَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَنِ، وَيَصْلُحُ لِلادِّخَارِ حَتَّى يُغْنِيَنَا عَنْ تَكَرُّرِ الذَّهَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ لِجَلْبِ طَعَامِنَا. أَوْ أَكْثَرُ طَهَارَةً مِنَ النِّجَاسَاتِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ.

الرِّكَاءُ: يَدُورُ مَعْنَاهَا فِي اللُّغَةِ حَوْلَ مَعَانِي النَّمَاءِ وَالزِّيَادَةِ وَالطَّهَارَةِ، فَالنَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ يَدُلَّانِ عَلَى وَفَرَةٍ مَا فِي الطَّعَامِ مِنْ غِذَاءٍ يُدْخِرُ، وَالطَّهَارَةُ

تَذُلُّ عَلَى خُلُوفِ الطَّعَامِ مِنَ النِّجَاسَاتِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، الَّتِي تَجْعَلُهُ مَمْنُوعاً أَوْ مَكْرُوهاً شَرْعاً.

• ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾: الرِّزْقُ: مَا يُنْتَفَعُ بِهِ لِجِسْمِ الْحَيِّ مِنْ طَعَامٍ وَغَيْرِهِ. والمرادُ بِالرِّزْقِ هُنَا طَعَامٌ يَأْكُلُونَ مِنْهُ.

• ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: أي: وَلْيَكُنْ لَطِيفاً رَفِيقاً فِي دُخُولِهِ الْمَدِينَةَ وَمُحَاوَلَاتِهِ شِرَاءِ الطَّعَامِ مِنَ الْبَاعَةِ فِيهَا، فَلَا يُمَاجِسُ وَلَا يُجَادِلُ أَحَداً حَتَّى لَا يَنْكَشِفَ أَمْرُنَا.

• ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾: أي: وَلَا يُعْلِمَنَّ أَذْنَى عِلْمٍ بِكُمْ وَلَا بِمَكَانِ اخْتِفَائِكُمْ أَحَداً.

إِنَّهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مَا زَالُوا فِي زَمَنِ الْمَلِكِ الطَّاعِيَةِ الَّذِي تَوَعَّدَهُمْ بِالْتَّعْذِيبِ وَالْقَتْلِ، وَكَلَّفَ أَهْلَ مَدِينَتِهِ بِرَجْمِهِمْ إِذَا اكْتَشَفُوهُمْ، فَتَوَاصَوْا بَيْنَهُمْ أَنْ يَبْقَوْا مُخْتَفِينَ، وَأَوْصَوْا مَنْ يَذْهَبُ مِنْهُمْ لِشِرَاءِ طَعَامٍ لَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، بِأَنْ يَذْهَبَ مُسْتَخْفِياً، وَيَدْخُلَ سُوقَهَا مُتَلَطِّفاً، وَيَعُودَ بِرِزْقٍ مِنْهَا مُسْتَخْفِياً.

• ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ يَرْجُمُوكَ أَوْ يُعِيدُوكَ فِي مَلْتِهِمْ وَلَنْ تَفْلِحُوا إِذَا أَبَدَا﴾ ﴿٢٠﴾.

﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ﴾: أي: إِنْ يَطَّلِعَ أَهْلُ مَدِينَتِكُمْ عَلَيْكُمْ يُلْزِمُوكُمْ بِأَنْ تَعُودُوا عَنْ دِينِكُمْ الَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ دِينَ الْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ، وَتَدْخُلُوا فِي مِلَّتِهِمُ الْوُثْنِيَّةِ الشَّرَكِيَّةِ، فَإِنْ اسْتَجَبْتُمْ لَهُمْ فَلَنْ تَفْلَحُوا إِذَا أَبَدَا، وَإِنْ لَمْ تَسْتَجِيبُوا لَهُمْ قَتَلُوكُمْ رَجْماً بِالْحِجَارَةِ، وَقَدْ كَانَ الرَّجْمُ بِالْحِجَارَةِ هُوَ الطَّرِيقَةُ الْمَتَّبَعَةُ قَدِماً عِنْدَ مِلَلِ أَهْلِ الْكُفْرِ لِقَتْلِ مَنْ يُفَارِقُ مِلَّتَهُمُ الْبَاطِلَةَ.

الْفَلَاحُ: النِّجَاةُ، وَالْفُوزُ، وَالظَّفَرُ، وَأَصْلُ الْفَلَاحِ الْبَقَاءُ فِي النَّعِيمِ وَالْخَيْرِ.

﴿وَلَنْ تُلَاحِظُوا إِذَا أَبَدْنَا ۖ﴾ : أي: فَلَنْ تَنْجُوا، وَلَنْ تَفُوزُوا، وَلَنْ تَظْفَرُوا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِجَنَّاتِ النِّعَمِ، إِذَا تَرَكْتُمْ مِلَّتَكُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي مِلَّتِهِمْ، إِذْ تَكُونُونَ عِنْدَ رَبِّكُمْ مِنَ الْخَالِدِينَ أَبَدًا فِي عَذَابِ النَّارِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً قِصَّةَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ بِضَمِيرِ الْمَتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۖ﴾ :

• ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ : أي: وَكَذَلِكَ الْفِعْلُ الْعَجِيبُ الَّذِي أُنْمِنَا بِهِ أَهْلَ الْكَهْفِ سِنِينَ عَدِيدَةً، وَالْفِعْلُ الْعَجِيبُ الَّذِي أَيْقَظْنَاهُمْ بِهِ بَعْدَ هَذِهِ السِّنِينَ، جَعَلْنَا أَهْلَ مَدِينَتِهِمْ يَعْمُرُونَ عَلَيْهِمْ، أي: يَعْلَمُونَ بِأَمْرِهِمْ مُصَادَفَةً دُونَ قَضْدٍ مِنْهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ.

ويظهر أَنَّ النُّقُودَ الْفِضِّيَّةَ الَّتِي أَرَادَ أَنْ يَشْتَرِيَ بِهَا مَبْعُوثُ أَهْلِ الْكَهْفِ طَعَاماً، غَيْرُ النُّقُودِ الَّتِي صَارَ يَتَعَامَلُ بِهَا أَهْلُ مَدِينَتِهِمْ، فَاکْتَشَفَ النَّاسُ هَذَا الْأَمْرَ، وَأُظْلِعَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً عَلَىٰ هَذِهِ النُّقُودِ وَاکْتَشَفُوا أَنَّهَا قَدِيمَةٌ الشُّكُّ، وَأَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الْمَدِينَةِ كَانُوا يَتَعَامَلُونَ بِهَا مِنْ قُرَابَةِ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، وَأَنَّ جَالِبَ هَذِهِ النُّقُودِ يَتَكَلَّمُ بِلَهْجَةٍ وَبَعْضِ كَلِمَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ عَمَّا تَطَوَّرَتْ لَهُ لُغَتُهُمُ الْحَالِيَّةُ، وَكَانَتْ قَدْ انْتَشَرَتْ فِي الْمَدِينَةِ الدِّيَانَةُ النَّصْرَانِيَّةُ فِيمَا يَتَرَجَّحُ، وَسَقَطَ سُلْطَانُ الْوَثْنِيِّينَ الْجَبَابِرَةِ.

وَإِذْ عَلِمَ مَبْعُوثُ أَهْلِ الْكَهْفِ بِاخْتِلَافِ أَوْضَاعِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا، أَعْلَمَهُمْ بِقِصَّتِهِ وَقِصَّةِ أَصْحَابِهِ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَدَهَشُوا، وَحَمَلَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ لَهُمْ طَعَاماً وَانْطَلَقُوا لِمُقَابَلَتِهِمْ فِي كَهْفِهِمْ، وَوَصَلُوا إِلَيْهِمْ وَشَهِدُوهُمْ أَحْيَاءً أَيْقَاطاً، وَحَادَثُوهُمْ، وَعَلِمُوا مِنْهُمْ قِصَّةَ فِرَارِهِمْ بِدِينِهِمْ مِنْ

أَهْلَ مَدِينَتِهِمُ الْوُثْنَيْنِ. وَيُظْهِرُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَاتَهُمْ عَقِبَ أَنْ أَعْلَمَ الْقَوْمَ بِقِصَّتِهِمْ، وَشَاعَ خَبَرُهُمْ فِي الْمَدِينَةِ.

• ﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾:

أي: وَكَذَلِكَ أَغَثَرْنَا عَلَيْهِمْ أَهْلَ مَدِينَتِهِمْ لِيَعْلَمُوا مِنْ قِصَّةِ إِنَامَتِهِمْ قُرَابَةَ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ، وَإِقَاطِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ، أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِالْبُعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَفَنَاءِ الْأَجْسَادِ وَعَدُّ حَقٍّ وَصِدْقٌ، وَأَنَّ السَّاعَةَ الَّتِي يُنْهِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا نِظَامَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيُمِيتُ بِهَا جَمِيعَ الْأَحْيَاءِ، وَكَذَلِكَ السَّاعَةُ الثَّانِيَّةُ الَّتِي يَبْعَثُ اللَّهُ بِهَا الْمَوْتَى، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ، فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَى وَالذَّارِ الْآخِرَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا، إِذْ هِيَ حَقٌّ مُسْتَنَدٌ إِلَى وَعْدِ اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ لِبَيَّانِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ.

وَقَدْ عَلِمَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ وَأَمَنَ بِهَا أَهْلُ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ، وَهُمْ مُعْظَمُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بَعْدَ أَنْ نَبَذُوا الْوُثْنِيَّةَ الْقَدِيمَةَ، وَعَظُمَ فِي قُلُوبِهِمْ شَأْنُ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةِ، وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ حِفْظٍ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ أَجْرِ عَظِيمٍ عِنْدَهُ، وَكَيْفَ جَعَلَهُمْ مِثَالاً مَشْهُوداً لِلْبُعْثِ وَالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ.

• ﴿إِذْ يَنْتَزِعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ﴾:

التَّنَازُعُ: التَّخَالُفُ، وَمِنْهُ التَّخَالُفُ فِي الرَّأْيِ، وَسُمِّيَ تَنَازُعًا لِأَنَّ كُلًّا مِنَ الْمُتَخَالِفِينَ يَنْزِعُ رَأْيَهُ مِنْ مَجْمُوعَةِ الْأَرَآءِ لِيَجْعَلَهُ هُوَ الرَّأْيَ السَّائِدَ عَلَى سَائِرِ الْأَرَآءِ.

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ كِبَرَاءَ أَهْلِ مَدِينَتِهِمْ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ فِي أَمْرِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَاحْتِمَالَاتُ الْاِخْتِلَافِ تَدُورُ حَوْلَ مَا يَلِي:

(١) هَلْ يَنْقُلُونَهُمْ إِلَى مَقَابِرِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؟

(٢) هَلْ يَبْنُونَ عَلَى مَدْخَلِ كَهْفِهِمْ بُنْيَانًا، وَبَتَرُكُونَهُمْ دَاخِلَ كَهْفِهِمْ

مَوْتَى، فَرُبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ؟

(٣) هَلْ يَتُّنُونَ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً تَكْرِيماً لَهُمْ وَتَذِكِيراً بِقِصَّتِهِمْ، وَبِمَكَانِ كَهْفِهِمْ؟

• ﴿... قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ ﴿١١﴾:

أي: قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا بِقِيَّةِ الْمُتَنَارِعِينَ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ: لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً، وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَىٰ هَذَا الرَّأْيِ.  
وَانْتَقَلَ سِيَاقُ الْقِصَّةِ إِلَىٰ أَحْدَاثٍ لَّاحِقَةٍ بَعْدَ انْتِهَائِهَا.



## الفصل الخامس من قِصَّةِ أصحاب الكهف

(الآيات من ٢٢ - ٢٦)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ﴿٢٤﴾ وَلِئِنْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَمْ غِيبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٦﴾.

القراءات:

(٢٢) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [رَبِّي أَعْلَمُ]

بفتح ياء المتكلم.

وقرأها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ بِالْإِسْكَانِ.

(٢٢) • قرأ يعقوب: [فِيهِمْ]. وقرأها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [فِيهِمْ].

(٢٤) • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [أَنْ يَهْدِيَنِي] بإثبات ياء المتكلم في الوصل، وكذلك ابن كثير، ويعقوب وصلاً ووقفاً.

وقرأها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [أَنْ يَهْدِيَنِي] بحذف ياء المتكلم وصلاً ووقفاً.

(٢٥) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ] بِكَسْرِ تاء «مائة» دُونَ تَنْوِين.

وقرأها أبو جعفر: [ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ].

وقرأها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ].

(٢٦) • قرأ ابن عامر: [وَلَا تُشْرِكْ] بِتَاءِ الْمُخَاطَبِ.

وقرأها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [وَلَا يُشْرِكْ] بِيَاءِ الْغَائِبِ.

وبين القراءتين تكامل في أداء المعنى المراد.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الْفَضْلِ تَعْقِيبَاتٌ عَلَى نِقَاطٍ ذَاتِ شَأْنٍ فِي قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾:



فِي هَذَا الْبَيَانِ تَوْصِيَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعِنَايَةِ بِمَوَاضِعِ الْفَائِدَةِ وَالنَّفْعِ وَالْعِظَةِ مِنَ الْقِصَّةِ، وَعَدَمَ الْأَشْتَغَالِ بِمَا لَا نَفْعَ فِيهِ وَلَا فَائِدَةَ وَلَا عِظَةَ، كَمَعْرِفَةِ عَدَدِ الْجَمَاعَةِ أَصْحَابِ الْقِصَّةِ.

وَفِيهِ اسْتِغْلَالُ حَدِيثِ تَارِيخِيٍّ خَاصٍّ لِيَدُلَّ عَلَى تَوْجِيهِ عَامٍّ بِشَأْنِ كُلِّ الْقِصَصِ التَّارِيخِيَّةِ، وَلَا سِيَمَا الْقِصَصُ الْقُرْآنِيَّةِ.

فَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ النَّاسَ بَعْدَ سَمَاعِهِمْ مَا نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ بِشَأْنِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، سَيَشْغَلُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالظُّنُونِ الضَّعِيفَةِ الَّتِي لَا تُفِيدُ عِلْمًا صَحِيحًا، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: أَصْحَابُ الْكَهْفِ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُلُّهُمْ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: أَصْحَابُ الْكَهْفِ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: هُمْ سَبْعَةٌ ثَامِنُهُمْ كُلُّهُمْ.

• ﴿رَجِمًا بِالْغَيْبِ﴾: أَي: وَهُمْ يَقُولُونَ دُونَ دَلِيلٍ مَا يَدُلُّ عَلَى أَقْوَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ دَلِيلًا ضَعِيفًا، إِنَّهُمْ يَفْذِفُونَ أَقْوَالَهُمْ، كَمَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يَرْجِمَ هَدَفًا لَهُ فِي ظُلُمَاتٍ دَامِسَاتٍ لَا يَرَى فِيهَا شَيْئًا، وَلَا يَعْلَمُ أَيْنَ يَكُونُ هَدَفُهُ فِيهَا، إِنَّهُ يَرْجِمُ حِجَارَتَهُ بِالْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْرِفُ أَيْنَ يَكُونُ فِي هَذَا الْغَيْبِ الْهَدَفُ الَّذِي يَرْمِي إِلَيْهِ.

وَأَرَى أَنَّ الْوَاوَ فِي عِبَارَةِ ﴿وَأَمَّنْهُمْ كُلُّهُمْ﴾ اقْتِضَاهَا فَضْلُ الْإِحْتِمَالِ الْأَخِيرِ الْمَذْكُورِ عَنِ الْإِحْتِمَالَيْنِ السَّابِقَيْنِ لَهُ، لِلأَشْعَارِ بِأَنَّهُ الْمَذْكُورُ هُوَ الْأَخِيرُ، وَلَا أَضَلَّ لِمَنْ زَعَمَ أَنَّهَا وَاو الثَّمَانِيَّةِ.

• ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾:

أَي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: لَا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِمَعْرِفَةِ عَدَدِ أَشْخَاصِهِمْ، وَلَا بِالْبَحْثِ عَنْ عَدَدِهِمْ فَهُوَ أَمْرٌ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ وَلَمْ يُخْبِرْنَا عَنْ عَدَدِهِمْ لِعَدَمِ الْفَائِدَةِ مِنْ ذِكْرِ الْعَدَدِ، مَا يَعْلَمُ عَدَدَ أَشْخَاصِهِمْ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ.

• ﴿فَلَا تُحَاسِبْهُمْ إِلَّا مِرَّةً ظَاهِرًا﴾ :

أي: فَلَا تُجَادِلْ فِي أَمْرِ عَدَدِهِمْ إِلَّا جِدَالًا ظَاهِرًا، إِنَّ وَجَدْتَ أَنَّكَ مُخْرَجٌ لِمِثْلِ هَذَا الْحَوَارِ، وَلَا تَلْتَزِمَ بِالرَّأْيِ الَّذِي تُرْجِّحُهُ.

• ﴿... وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٧٧) :

أي: وَلَا تَسْأَلْ فِي عَدَدِهِمْ مِنَ الْمُخْتَلِفِينَ فِيهِ أَحَدًا، لِأَنَّ أَقْوَالَهُمْ فِيهِ مُتَخَالِفَةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلِأَنَّ مَعْرِفَةَ عَدَدِهِمْ لَا تُفِيدُ فِي عِظَةِ وَلَا عِبْرَةٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

• ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ (٧٣) ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا﴾ (٧٤) :

بِمُنَاسَبَةِ قَوْلِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُّا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ (١٦) :

وَلَمْ يَقُولُوا: «وَيَفْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَا يَشَاءُ» الَّذِي كَانَ هُوَ الْأَوَّلَى بِمِثْلِهِمْ، إِذْ هُمْ فِتْيَةٌ مُؤْمِنُونَ اعْتَزَلُوا قَوْمَهُمُ الْمُشْرِكِينَ، وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ لِعِبَادِهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ، وَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ الطَّوِيلَ، وَلَمْ يَهَيِّئْ لَهُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ مَرْفَقًا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَنَحْوِهِمَا كَمَا كَانَ فِي تَصَوُّرِهِمْ.

بهذه المناسبة جَاءَ التَّعْقِيبُ التَّعْلِيمِيُّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ، فَلِكُلِّ مُؤْمِنٍ مُسْلِمٍ، أَنْ يُعَلِّقَ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ مَا يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ مُسْتَقْبَلًا، لِأَنَّ الْعِبَادَ لَا يَمْلِكُونَ تَنْفِيزَ مُرَادَاتِهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَمْ يَشَأِ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ بِأَنْ يُنْفِذُوهَا، فَإِذَا لَمْ يَأْذَنْ بِتَنْفِيزِهَا لَمْ يَسْتَطِيعُوا تَنْفِيزَهَا.

فَالْأَدَبُ مَعَ اللَّهِ فِي السُّلُوكِ، أَنْ يَقُولَ الْمُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ إِذَا تَحَدَّثَ بِأَنَّهُ سَيَعْمَلُ بَعْدَ لَحْظَةِ التَّكْلِيمِ عَمَلًا مَّا: سَأَفْعَلُ كَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَإِذَا عَزَمَ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ دُونَ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِلِسَانِهِ عَنْهُ، فَمِنْ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَ فِي تَصَوُّرِهِ الذَّهْنِيِّ التَّغْلِيْقَ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - وَلَا يَجْرِي فِي كَوْنِهِ إِلَّا مَا قَدَرَهُ وَقَضَاهُ، أَوْ أَذِنَ بِهِ لِذَوِي الْإِرَادَاتِ الْحُرَّةِ.

وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْحَرَجِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الْعَمَلِ الْيَوْمِيِّ الْمَتَابِعِ، أَنْ يَقُولَ مَعَ كُلِّ عَمَلٍ يَوْمِيٍّ يَتَحَدَّثُ أَنَّهُ فَاعِلُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، هُوَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِ التَّكْلِيفَ بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الْيَوْمِيَّةِ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

• ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً ۖ (٣٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ... ۖ﴾ (٣٤).

فَأَعْفَاهُ مِنْ هَذَا التَّكْلِيفِ بِالنُّسْبَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ وَالْأَفْعَالِ الْيَوْمِيَّةِ:

اسْتُعْمِلْتَ صِيغَةَ «فاعل» في المستقبل كالفعل المضارع.

«عَدَاً» ظَرَفٌ لِلْيَوْمِ الَّذِي بَعْدَ الْيَوْمِ الْحَالِي، والمراد هُنَا فَمَا بَعْدَهُ. وَقَدْ يُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ عَلَى زَمَنِ قَادِمٍ بَعِيدٍ.

المعنى: وَلَا تَقُولَنَّ مُشَدِّدِينَ لَكَ النَّهْيَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ: إِنِّي سَأَفْعَلُ ذَلِكَ الْفِعْلَ عَدَاً، أَوْ فِي زَمَنِ مَا بَعْدَهُ، مُؤَكِّدًا عَزْمَكَ بِمُؤَكَّدَاتٍ، إِلَّا مَقْرُونًا قَوْلُكَ بِأَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، فَالاستِثْنَاءُ هُوَ مِنْ عُمُومِ النَّهْيِ، وَيتَحَقَّقُ الْمَطْلُوبُ الدِّينِيُّ بِأَنْ يَقُولَ: إِنِّي سَأَفْعَلُ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِتَغْلِيْقِ الْفِعْلِ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، أَوْ بِأَيِّ عِبَارَةٍ أُخْرَى فِيهَا هَذَا التَّغْلِيْقُ.

• ﴿... وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ

هَذَا رَشْدًا﴾ (٣٤).

أي: وَإِذَا نَسِيتَ أَنْ تُعَلِّقَ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ حِينَ تَقُولُ: إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً، وَتَذَكَّرْتَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّكَ نَسِيتَ هَذَا التَّغْلِيْقَ، فَادْكُرْ رَبَّكَ بِذِكْرِ يُلَائِمُ

حَالَتَكَ حِينَ تَتَذَكَّرُ، كَأَنْ تَقُولَ: لَا شَيْءَ يَقَعُ فِي كَوْنِ اللَّهِ إِلَّا بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ، أَوْ بِإِذْنِهِ.

وَحِينَ يَفُوتُكَ مَا عَزَمْتَ عَلَىٰ فِعْلِهِ إِذْ لَمْ يَأْذَنْ اللَّهُ بِفِعْلِهِ، وَكُنْتَ حَرِيصاً عَلَىٰ تَحْقِيقِهِ، وَشَدِيدَ الرَّغْبَةِ فِيهِ، فَارْضَ عَنِ اللَّهِ بِمَا تَمَّ بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ، وَفَوْضْ أَمْرَكَ إِلَيْهِ، وَقُلْ: عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِتَحْقِيقِ أَمْرِ آخَرٍ أَقْرَبَ رَشْداً مِنْ هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي كُنْتُ حَرِيصاً عَلَيْهِ وَرَاغِباً فِيهِ، وَأَكْثَرَ تَحْقِيقاً لِمَا يُرْضِينِي وَيَسُرُّنِي.

الرَّشْدُ: مَا هُوَ الْأَفْضَلُ، وَالْأَحْسَنُ، وَالْأَكْثَرُ نَفْعاً، وَالْأَبْعَدُ عَنِ الضَّرَرِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ وَاسْمِعَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾:

لَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُدَّةَ لُبْثِ أَهْلِ الْكَهْفِ نِيَاماً فِي كَهْفِهِمْ، لِمَا فِي هَذَا الْبَيَانِ مِنْ فَائِدَةٍ تَتَعَلَّقُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ عَلَىٰ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ، وَمِنْهَا قُدْرَتُهُ عَلَىٰ الْبَعْثِ لِلْحَيَاةِ الْآخِرَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِخِلَافِ مَا يَتَعَلَّقُ بِعَدَدِ أَشْخَاصِهِمْ، فَقَدْ أُرْسِدَ إِلَىٰ عَدَمِ النَّظَرِ إِلَيْهِ إِذْ لَا يَتَعَلَّقُ بِمَعْرِفَتِهِ عِظَةٌ وَلَا عِبْرَةٌ، وَلَا فَائِدَةٌ تُقْصَدُ فِي الدِّينِ.

وَجَمَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي التَّغْيِيرِ بَيْنَ التَّارِيخَيْنِ الشَّمْسِيِّ وَالْقَمَرِيِّ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ بَيَانُ عَدَدِ السِّنِينَ بِحَسَبِ مِقْدَارِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ، وَهُوَ (٣٦٥) يَوْماً تَقْرِيباً، أَمَّا عَدَدُ سِنِي لُبْثِهِمْ نِيَاماً فِي كَهْفِهِمْ بِحَسَبِ مِقْدَارِ السَّنَةِ الْقَمَرِيَّةِ، وَهُوَ (٣٥٤) يَوْماً، فَيَزِيدُ (٩) سِنِينَ مَعَ تَجَاوُزِ الْكُسُورِ فَتَكُونُ (٣٠٩) سَنَةً، وَهَذَا مِنْ إِبْدَاعَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَإِيجَازَاتِهِ.

وَإِذَا خَالَفَ هَذَا الْبَيَانَ الرَّبَّانِيَّ مُخَالِفُونَ فَلَا تَغِبْ بِهِمْ، وَ ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي: لَهُ وَخَدَهُ عِلْمُ كُلِّ غِيبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، الَّذِي هُوَ غِيبٌ عَنْ كُلِّ ذِي عِلْمٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَوْ عَنْ بَعْضِهِمْ، أَمَّا هُوَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - فَلَا شَيْءَ فِي الْكَوْنِ هُوَ غِيبٌ عَنْهُ، بَلْ هُوَ مَشْهُودٌ لَهُ.

• ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾: صِيغَةُ «أَفْعِلْ بِهِ» هِيَ الصِّيغَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ صِيغَتِي التَّعَجُّبِ: «مَا أَفْعَلُهُ، وَأَفْعِلْ بِهِ».

والمرادُ بِاسْتِعْمَالِ صِيغَةِ التَّعَجُّبِ هُنَا الدَّلَالَةُ عَلَى شُمُولِ إِنْصَارِهِ جَلَّ جَلَالُهُ كُلَّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُبْصَرَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، وَشُمُولِ سَمْعِهِ كُلَّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْمَعَ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، مَعَ كُلِّ أَقَلِّ زَمَنِ يَمُرُّ، أَيْ: فَاعْجَبْ أَهْيَا الْمَتَلَقِّي مِنْ هَذِهِ الْإِحَاطَةِ وَمِنْ هَذَا الشُّمُولِ لِبَصْرِ اللَّهِ وَسَمْعِهِ.

• ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾: أي: إِنَّ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ، بِغِيَةِ جَلْبِ نَفْعٍ مِنْهُمْ أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ، أَوْ تَحْقِيقِ نَصْرِ، لَيْسَ لَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ وَلِيٌّ مَا يَجْلُبُ لَهُمْ نَفْعًا، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُمْ صَرًّا، أَوْ يَنْصُرُهُمْ إِذَا احْتَأَجُّوا نَصْرًا.

«مِنْ» فِي: ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ مَزِيدَةٌ لِتَوْكِيدِ عُمُومِ النَّفْيِ وَالتَّنْصِصِ عَلَيْهِ.

• ﴿... وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾: ﴿٣٦﴾: وَهُوَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - مُتَمَرِّدٌ فِي كُلِّ تَصَارِيفِ حُكْمِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ فِي كَوْنِهِ، فَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا، إِذْ كُلُّ كَائِنٍ فِي كَوْنِهِ مَخْلُوقٌ لَهُ، وَهُوَ خَاضِعٌ لِحُكْمِ اللَّهِ فِيهِ. حُكْمُ اللَّهِ: هُوَ قَضَاؤُهُ الَّذِي يَقْضِيهِ عَلَى وَفْقِ تَقْدِيرِهِ إِيجَادًا أَوْ إِعْدَامًا، أَوْ تَشْرِيعًا، أَوْ تَكْلِيفًا، أَوْ جَزَاءً، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثاني من دروس سورة (الكهف).

والحمد لله على معاونته، ومدّته، وتوفيقه، وميثه، وفتحِه.

(٧)

## التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الكهف)

الآيات من (٢٧ - ٣١)

﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝٢٧﴾ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدُوَّةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۝٣١﴾

## القرءات:

(٢٨) • قرأ ابن عامر: [بِالْغُدُوَّةِ].

وقراها باقي القراء العشرة: [بِالْغَدَاةِ].

(٢٩) • قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر: [بِئْسَ] بإبدال الهمزة ياء.

وقراها باقي القراء العشرة: [بِئْسَ].

(٣١) • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ].

وقراها حمزة، والكسائي، وخلف: [مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ].

وقراها باقي القراء العشرة: [مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ].

(٣١) • قرأ أبو جعفر: [مُتَّكِينَ]. وكذلك حمزة في الوقف، وله

التسهيل أيضاً.

وقراها باقى القراء العشرة: [مُتَكِينِينَ].

تمهيد:

فى هَذَا الدَّرْسِ تَوْجِيهَاتُ تَرْبَوِيَّةٍ، وَتَعْلِيمَاتُ دَعْوِيَّةٍ، مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَيُلْحَقُ بِهِ حَمَلَةُ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِمًا﴾ (٢٧).

تَغِطُّ «الواو» فى صَدْرِ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى الْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ لِرَسُولِهِ الَّذِي جَاءَ فى الْآيَةِ (٢٦).

• ﴿وَأَتْلُ﴾: أَيْ: وَاتَّبِعْ، يُقَالُ لُغَةً: «تَلَاَهُ، يَتْلُوهُ، تُلُوًّا» أَيْ: تَبِعَهُ، وَاسْتُعْمِلَ فى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، بِمَعْنَى النُّطْقِ بِهِ مَعَ تَتَبُعِ حُرُوفِهِ وَكَلِمَاتِهِ كَمَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، وَيُمْكِنُ حَمْلُ التَّكْلِيفِ عَلَى الْمَعْنَيْنِ.

• ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾: أَيْ: لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُبَدِّلَ كَلِمَاتِ رَبِّكَ، تَبْدِيلًا ذَا أَثَرٍ فى وَاقِعِ الْكُونِ، وَلَا يَدْخُلُ فى التَّبْدِيلِ الْمُنْفِى كَذِبُ الْكَذَّابِينَ عَلَى اللَّهِ وَوَضْعُ الْوَضَاعِينَ، فَإِنَّهُ غَيْرُ ذِي أَثَرٍ فى كَوْنِ اللَّهِ وَتَرَاتِيهِهِ وَتَدَايِيرِهِ وَمُسْتَبْعَاتِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ الْجَزَائِيَّةِ.

فَكَلِمَاتُ اللَّهِ الْخَبَرِيَّةُ لَا مُبَدِّلَ لَهَا تَبْدِيلًا يُغَيِّرُ وَاقِعَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، فى كُلِّ شَيْءٍ مَهْمَا كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا.

وَكَلِمَاتُ اللَّهِ الْمَبِينَاتُ لِمَا قَدَرَهُ وَقَضَاهُ نَافِذَةٌ لَا مَحَالَهَ، وَلَا أَحَدَ فى الْوُجُودِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُبَدِّلَ فِيهَا تَبْدِيلًا ذَا أَثَرٍ، فَحِينَ قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَى أَنْ يُنْجَى

مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ، وَأَنْ يُهْلِكَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ، لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ فِي الْوُجُودِ أَنْ يُبَدِّلَ كَلِمَاتِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ تَبْدِيلًا ذَا أَثَرٍ.

وَكَلِمَاتُ اللَّهِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَتَكَاَلُفِهِ، لَا مُبَدِّلَ لَهَا تَبْدِيلًا ذَا أَثَرٍ.

فَتَكْلِيفُ اللَّهِ عِبَادَهُ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ عَلَى وَفْقِ مَا أَنْزَلَ، لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ فِي ذَلِكَ تَبْدِيلًا ذَا أَثَرٍ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِعِبَادَةِ عِيسَى وَجَعَلَ يَعْْبُدُهُ هُوَ وَمُتَّبِعُونَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَنْجُونَ مِنْ جَزَاءِ اللَّهِ الْعِقَابِيِّ خُلُودًا فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ يَوْمَ الدِّينِ، فَتَبْدِيلُهُمْ لَا يُغَيِّرُ أَثَرَ كَلِمَاتِ اللَّهِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَتَكَاَلُفِهِ.

• ﴿... وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ﴿٧﴾:

﴿مُلْتَحَدًا﴾: أي: ملجأ. لِأَنَّ اللَّاحِئَ يَلْتَحِدُ إِلَيْهِ، يُقَالُ لُغَةً: «الْتَحَدَ إِلَيْهِ» أي: مَالَ إِلَيْهِ وَالتَّجَأَ، فَهُوَ مُلْتَحِدٌ، وَاسْمُ الْمَفْعُولِ: مُلْتَحِدٌ إِلَيْهِ.

أي: وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِ رَبِّكَ إِذَا لَمْ تَتْلُ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِهِ، مُلْجَأٌ تَلْجَأُ إِلَيْهِ، إِذَا أَرَادَ مُعَاقِبَتَكَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ.

هَذَا الْخِطَابُ مُوجَّهٌ لِلرُّسُولِ ﷺ فِي ظَاهِرِ النَّصِّ. وَهُوَ فِي مَضْمُونِهِ مُوجَّهٌ لِكُلِّ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، لِأَنَّهُمْ مُكَلَّفُونَ أَنْ يَتَّبِعُوا مَا أَوْحَى اللَّهُ لِرَسُولِهِ مِنْ كِتَابِهِ، اعْتِقَادًا وَعَمَلًا، كَمَا أَنَّ الرُّسُولَ ﷺ مُكَلَّفٌ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ خِطَابَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُمْ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ﴿٨﴾:

• ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: أي: وَاخْبِرْ نَفْسَكَ، يُقَالُ لُغَةً: «صَبَرَ فُلَانٌ

نَفْسَهُ» أي: حَبَسَهَا وَالزَّمَهَا أَنْ تَكُونَ صَابِرَةً بِإِرَادَةِ قُوَّةٍ وَعَزْمٍ وَحَزْمٍ.



• ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾: أي: مُصَاحِباً وَمَلَازِماً الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ يَعْبُدُونَ رَبَّهُمْ بِالْمَطْلُوبِ مِنْهُمْ مِنْ عِبَادَاتٍ، وَفِي مُقَدِّمَتِهَا الدُّعَاءُ بِمَا يَرْغُبُونَ فِيهِ مِنْ أُمُورٍ دُنْيَاهُمْ وَأُمُورٍ آخِرَتِهِمْ. أُطْلِقَ فِعْلُ «دَعَا يَدْعُو» فِي الْقُرْآنِ كَثِيراً بِمَعْنَى الْعِبَادَةِ.

• ﴿بِالْفَدْوَى وَالْعِشِيِّ﴾: «الْفَدَاةُ» وَ«الْفَدْوَةُ»: الْوَقْتُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَطُلُوعِ الشَّمْسِ. «الْعِشِيُّ»: الْوَقْتُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ.

الَّذِي أَرَاهُ أَنَّ الْمَطْلُوبَ أَنْ يَحْبِسَ الرَّسُولُ نَفْسَهُ مُعَلِّماً، وَهَادِياً وَدَاعِياً، فِي مُصَاحَبَةٍ وَمَلَازِمَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ الْحَرِصِينَ عَلَى تَلْقَى الْمَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ، مُحْصِصاً لَهُمْ لِقَاءَيْنِ يَوْمِيًّا بِالْفَدَاةِ وَالْعِشِيِّ، مَهْمَا كَانَ وَضِعُ مُحِبِّي التَّلْقَى لِلْمَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ مِنَ الطَّبَقَاتِ الَّتِي يَسْتَكْبِرُ عَلَيْهَا قَوْمُهُ عَنْ أَنْ يُجَالِسُوهُمْ وَيَكُونُوا مَعَهُمْ، لِفَقْرِهِمْ وَلِمِهْنِهِمْ الْوَضِيعَةِ أَوْ لِكُونِهِمْ مِنَ الْعَبِيدِ.

• ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: أي: يُرِيدُونَ بِعِبَادَتِهِمْ ذَاتَهُ جَلَّ جَلَالُهُ، لَا يُشْرِكُونَ بِعِبَادَتِهِ أَحَداً وَلَا شَيْئاً، وَإِفْرَادُهُ تَعَالَى بِالْعِبَادَةِ هُوَ الَّذِي يُحَقِّقُونَ بِهِ رِضْوَانَهُ، وَثَوَابَهُ الْعَظِيمَ.

• ﴿وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: أي: وَلَا تَعُدُّ عَيْنَاكَ نَظْرَهُمَا عَنْهُمْ، فَتَضَرِّفَاهُ عَنْ مِلَاحَظَتِهِمْ، وَالْعِنَايَةِ بِهِمْ، وَالْعَظْفِ عَلَيْهِمْ.

يقال لُغَةً: «عَدَا فُلَانٌ فُلَاناً عَنِ الْأَمْرِ» أي: صَرَفَهُ وَشَغَلَهُ عَنْهُ.

والمَرَادُ: وَلَا تَجْعَلْ عَيْنِيكَ تَضَرِّفَانِ نَظْرَهُمَا عَنْ مِلَاحَظَتِهِمْ، وَالْعِنَايَةِ بِهِمْ، وَالْعَظْفِ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ قَاعِدَةٌ بِنَاءِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

طَوِيَ الْمَفْعُولُ بِهِ: «نَظْرَهُمَا» لِإِمْكَانِ إِدْرَاكِهِ وَاسْتِخْرَاجِهِ مِنَ الطَّيِّ، وَتَقْدِيرِهِ لَدَى التَّدْبِيرِ الْمَتَأَنِّي.

• ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أي: تُرِيدُ إِرْضَاءَ أَهْلِ الْوَجَاهَةِ وَالْمَالِ وَالْمُتَرَفِينَ فِي حَيَاتِهِمْ، طَمَعاً فِي أَنْ يَكُونَ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْمُسَاعَدَاتِ عَلَى انْتِشَارِ دَعْوَتِكَ، وَقَبُولِهَا مِنْ جَمَاهِيرِ قَوْمِكَ.

سَبَقَ أَنْ جَاءَ فِي الْآيَةِ (٥٢) مِنْ سُورَةِ (الأنعام/ ٥٥) نَهْيُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ، عَنْ أَنْ يَطْرُدَ عَنْ مَجَالِسِهِ الضُّعَفَاءَ وَالْفُقَرَاءَ وَذَوِي الْمِهْنِ الْوَضِيعَةِ، اسْتِجَابَةً لِطَلَبِ كِبَرَاءِ مُشْرِكِي قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُ فِيهَا:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ...﴾.

وَأطَاعَ الرَّسُولَ ﷺ فِيمَا نَهَاهُ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَطْرُدْ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ.

وَهُنَا فِي سُورَةِ (الْكَهْف/ ٦٩) زَادَ التَّكْلِيفُ الرَّبَّانِي لِلرَّسُولِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامَاتُهُ عَلَيْهِ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَضْبِرَ نَفْسَهُ مَعَهُمْ، وَأَنْ يُتَابَعَ أَفْرَادُهُمْ بِنَظَرِهِ، مُلَاحَظَةً وَعِنَايَةً وَعَظْفًا، وَنَهَاةً عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَى زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا كِبَرَاءُ قَوْمِهِ، وَلَوْ رَأَى بِاجْتِهَادِهِ أَنَّ اسْتِرْضَاءَ هَؤُلَاءِ الْكِبَرَاءِ أَرْجَى لانتِشَارِ دَعْوَةِ الْحَقِّ فِي جَمَاهِيرِ قَوْمِهِ.

• ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾:

أي: وَلَا تُطِعْ مَنْ وَجَدْنَا قَلْبَهُ غَافِلًا عَن ذِكْرِنَا، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ الْمُتَعَلِّقَ بِشَهَوَاتِهِ وَلَذَائِهِ وَمَتَاعَاتِهِ مِنْ زِينَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا «وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا»: أي وَكَانَ أَمْرُهُ ظُلْمًا، وَاعْتِدَاءً، وَتَرْكًا وَتَجَاوُزًا لِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْوَاجِبِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ كِبَرَاءَ قَوْمِهِ الْمَصْرِينَ عَلَى كُفْرِهِمْ وَشِرْكِهِمْ، وَالْمُسْتَكْبِرِينَ بِمَا يَمْلِكُونَ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، مُدَنِّسُونَ بِالْصِّفَاتِ الثَّلَاثِ الْوَارِدَاتِ فِي هَذَا الْبَيَانِ الرَّبَّانِي:

(١) فَقَلُوبُهُمْ غَافِلَةٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ الْجَلِيلِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُمِدُّهُمْ فِي

حَيَاتِهِمْ بِعَطَاءَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ.

(٢) وَهُمْ مُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَمَطَالِبُهُمْ مِنْ زِينَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

(٣) وَأُمُورُهُمْ ظُلُمٌ، وَاعْتِدَاءٌ، وَتَرْكٌ لِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ وَالْوَاجِبِ.  
وَهَؤُلَاءِ قَدْ طَالَبُوا الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنْ يَطْرُدَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ  
وَاتَّبَعُوهُ، الطَّبَقَةَ الضَّعِيفَةَ الْمُهَيَّنَّةَ، لِيَجْلِسُوا مَعَهُ وَيَسْتَمِعُوا إِلَيْهِ فَنهَاهُ اللهُ عَنْ  
طَاعَتِهِمْ بِالْإِسْتِجَابَةِ لِمَطْلَبِهِمْ.

وَقَدْ سَبَقَ لَدَى تَدْبِيرِ الْآيَةِ (٥٢) مِنْ سُورَةِ (الأنعام/ ٥٥ نزول) مَا  
رُوي فِي السُّنَّةِ، مِنْ طَلَبِ بَعْضِ كِبَرَاءِ قَوْمِهِ مِنْهُ هَذَا الطَّلَبِ، فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ.  
■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى مُتَابِعاً وَصَايَاهُ لِرَسُولِهِ بِشَأْنِ بَعْضِ عَنَاصِرِ دَعْوَتِهِ:

• ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا  
لِالظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ  
بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (١٩):

• ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾: أَي: وَقُلْ لِمَنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَدْخُلُوا فِي  
دِينِ اللهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِعِبَادِهِ، ابْتِدَاءً أَوْ تَكْرِيراً وَتَذْكِيراً: مَا أَتْلُوهُ عَلَيْكُمْ  
مِنْ كِتَابِ اللهِ الْقُرْآنِ، هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا بَاطِلَ فِيهِ، الْمَنْزَلُ مِنْ رَبِّكُمْ لِبَيَانِ  
مَطْلُوبِهِ مِنْكُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾: أَي: أَنْتُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عَنَاصِرِ  
امْتِحَانِكُمْ، دَوُّوا إِرَادَاتِ حُرَّةٍ مُخَيَّرُونَ فِيهَا لَا مَجْبُورُونَ، وَهَذَا التَّخْيِيرُ  
مُقْتَرِنٌ بِالمَسْئُولِيَّةِ، وَمُسْتَتَبِعٌ بِالحِسَابِ وَفَضْلِ الْفَضَاءِ وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ.

فَمَنْ شَاءَ بِمَا آتَاهُ اللهُ مِنْ إِرَادَةِ حُرَّةٍ، أَنْ يُؤْمِنَ بِمَا كَلَّفَ اللهُ عِبَادَهُ  
أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، فَلْيُؤْمِنْ.

وَمَنْ شَاءَ بِمَا آتَاهُ اللهُ مِنْ إِرَادَةِ حُرَّةٍ أَنْ يَكْفُرَ بِمَا كَلَّفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ  
عِبَادَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، فَلْيُكْفُرْ.

فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَزَاءَ مَنْ يَكْفُرُ الْخُلُودَ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِذَا أَنَّهُمْ رِحْلَةُ امْتِحَانِهِمْ كَافِرِينَ.

وَجَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَزَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ الْخُلُودَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

• ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٢٩):

• ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾: يَتَحَدَّثُ رَبُّنَا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ: «إِنَّا». «أَعْتَدْنَا». أي: أَعْدَدْنَا وَهَيَّأْنَا بِعَنَايَةٍ وَإِتْقَانٍ.

• ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾: أي: لِلظَّالِمِينَ بِمَعْصِيَةٍ مَا أَمَرْنَا عِبَادَنَا بِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ مِنْ دَرَكَاتِ الْكُفْرِ.

• ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: أي: دَارَ عَذَابٍ تَتَوَقَّدُ فِيهَا نَارٌ ذَاتُ تَعْذِيبٍ شَدِيدٍ لِلظَّالِمِينَ الْكَافِرِينَ، نُذْخِلُهُمْ فِيهَا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا، فَقَدْ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا، أي: سُورُهَا الْعَظِيمُ الْمَانِعُ لِمَنْ هُوَ فِي دَاخِلِهَا مِنَ الْمُعَذِّبِينَ مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهَا.

السُّرَادِقُ: كُلُّ مَا أَحَاطَ بِشَيْءٍ مِنْ جِدَارٍ أَوْ سُورٍ وَنَحْوِهِمَا.

رَوَى أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ وَغَيْرُهُمْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ:

«السُّرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةُ جُذُرٍ، كَثَافَةُ كُلِّ جِدَارٍ مِنْهَا مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً».

• ﴿... وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٢٩):

الاسْتِغَاثَةُ: طَلَبُ الْعَوْنِ لِأَمْرٍ مَا.

الْمُهْلُ: يُطْلَقُ عَلَى الْقَطْرَانِ السَّائِلِ، وَعَلَى الْمَعْدِنِ الذَّائِبِ، وَعَلَى عَكْرِ الزَّيْتِ.

• ﴿يَشْوَى الْوُجُوهُ﴾: أي: هو حارٌّ شديداً الحرارة، إذا اقترَبَ مِنْهُ الظَّمْآنُ الْمُعَذَّبُ لِيَشْرَبَ مِنْهُ شَوَى بُخَارُهُ الْحَارُّ وَجْهَهُ، كَمَا يُشْوَى اللَّحْمُ عَلَى النَّارِ أَوْ الْبُخَارِ لِإِنْضَاجِهِ.

• ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾: بِئْسَ: فعلٌ جامِدٌ لِإِنْشَاءِ الذَّمِّ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ. الشَّرَابُ: فاعِلُ «بِئْسَ». أي: بِئْسَ الشَّرَابُ الْمَاءُ الَّذِي يُعَاثُونَ بِهِ الَّذِي يُشَبِّهُ الْمُهْلَ.

﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾: سَاءَ: كَلِمَةٌ تُقَالُ لِإِنْشَاءِ الذَّمِّ مِثْلَ: «بِئْسَ».

الْمُرْتَفَقُ: كُلُّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلارْتِفَاقِ بِهِ وَالانْتِفَاعِ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ مَطَالِبِ الْجَسَدِ أَوْ النَّفْسِ.

أي: وَسَاءَتْ دَارُ الْعَذَابِ النَّارُ، لِلارْتِفَاقِ وَالانْتِفَاعِ بِشَيْءٍ مَا مِنْهَا، فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ مَطَالِبِ الْجَسَدِ أَوْ النَّفْسِ.

المعنى: إِنَّ الظَّالِمِينَ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، يَشْتَدُّ ظَمْؤُهُمْ، فَيَسْتَغِيثُونَ طَالِبِينَ مَاءٍ يَشْرَبُونَ مِنْهُ، فَيُعَاثُونَ بِمَاءٍ يُشَبِّهُ الْقَطْرَانَ أَوْ عَكَرَ الزَّيْتِ فِي لَوْنِهِ، وَهُوَ حَارٌّ شَدِيدُ الْحَرَارَةِ بُخَارُهُ يَشْوِي الْوُجُوهُ الَّتِي تَقْتَرِبُ مِنْهُ، وَالشُّرْبُ مِنْهُ شُرْبٌ كَرِيهٌ فِيهِ تَعَذِيبٌ لِلشَّارِبِينَ، لَا يَضِيرُ عَلَى الشُّرْبِ مِنْهُ إِلَّا مَنْ كَانَ ظَمْؤُهُ أَشَدَّ تَعَذِيباً لَهُ مَنْ أَنْ يَتَجَرَّعَهُ، وَلَا يَقْتَصِرُ الذَّمُّ عَلَى الشُّرْبِ مِنْ شَرَابِ دَارِ الْعَذَابِ، بَلْ كُلُّ مَا فِي دَارِ الْعَذَابِ مَذْمُومٌ أَبْلَغَ الذَّمِّ، مِمَّا يَحْتَاجُ الْمَعَذَّبُونَ أَنْ يَرْتَفِقُوا وَيَنْتَفِعُوا بِهِ، فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ مَطَالِبِ أَجْسَادِهِمْ وَنَفْسِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ الْمُنْعَمِينَ فِيهَا، فِي مَقَابِلِ بَيَانِ بَعْضِ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ الْخَالِدِينَ فِيهَا، وَيتحدَّثُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ.

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ﴾ ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ

ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مَرْفَقًا ﴿٢٧﴾ .

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: يُؤَكِّدُ رَبُّنَا بِ «إِنَّ» - والجملّة الاسميّة.

أي: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إيماناً صَاحِبِهَا بِحَسَبِ مَطْلُوبِ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ فِي رَحْلَةٍ امْتِحَانِهِمْ، وَكَانَ لِإِيمَانِهِمُ الصَّادِقِ فِي قُلُوبِهِمْ أَعْمَالٌ صَالِحَاتٌ فِي سُلُوكِهِمُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ.

• ﴿... إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ﴿٢٨﴾: أي: لَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ عِنْدَنَا يُنَاسِبُ عَظَمَةَ رُبُوبِيَّتِنَا، لِأَنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، طَاعَةً لَنَا، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِنَا.

جُمْلَةٌ: «إِنَّا لَا نُضِيعُ...» واقعة مَوْقِعِ التَّغْلِيلِ لِجُمْلَةٍ مَطْوِيَّةٍ دَلَّتِ الْجُمْلَةُ الْمَذْكُورَةُ عَلَيْهَا.

• ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ﴾: أي: إِنَّا لَا نُهْمِلُ أَجْرَ وَلَا نَجْعَلُ مَفْقُوداً مَعْدُوماً.

• ﴿مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾: أي: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا حَسَنًا طَاعَةً لَنَا وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِنَا، وَطَلَباً لِلثَّوَابِ الَّذِي وَعَدْنَا بِهِ.

• ﴿أُولَئِكَ﴾: أي: أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، أَصْحَابُ الْمَنْزِلَةِ الْعَالِيَةِ الرَّفِيعَةِ عِنْدَنَا.

• ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: أي: لَهُمْ عِنْدَنَا يَوْمَ الدِّينِ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ وَاسْتِقْرَارٍ دَائِمٍ وَثَبَاتٍ. جَنَّاتُ عَدْنٍ: هِيَ وَسَطُ الْجَنَّاتِ <sup>(١)</sup> دُونَ الْفَرْدُوسِ الْأَعْلَى، وَفَوْقَ مَا دُونَهَا مِنْ جَنَّاتٍ.

(١) انظر الملحق الثاني من ملاحق تدبر سورة مريم بشأن جَنَّاتِ عَدْنٍ.

• ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾: أي: تَجْرِي مِنْ تَحْتِ شُرَفَاتِ قُصُورِهِمْ الْأَنْهَارُ الْمُتَنَوِّعَاتِ، مِنْ مَاءٍ، وَلَبَنٍ، وَعَسَلٍ مُصَفًّى، وَخَمْرِ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لَا غَوْلَ فِيهَا.

• ﴿يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾: أي: يُحَلَّلُونَ فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ حَلِيًّا مُنَوَّعَةً بَدِيعَةً رَائِعَةً مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ أَنْفُسِ الْمَعَادِنِ.

• ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾:

الثياب الخضر: ثياب أهلِ جَنَّاتِ عَذْنِ.

مِنْ سُنْدُسٍ: أي: مِنْ نَوْعِ ثِيَابٍ يُقَالُ لَهُ: «سُنْدُس» وهي ثيابٌ رقيقةٌ نَاعِمَةٌ مَنْسُوجَةٌ مِنَ الْحَرِيرِ، وهي من أصناف الدِّيَاجِ.

وَإِسْتَبْرَقٌ: أي: وَمِنْ نَوْعِ ثِيَابٍ يُقَالُ لَهُ: «إِسْتَبْرَق» وهي ثيابٌ غليظةٌ مَنْسُوجَةٌ مِنَ الْحَرِيرِ أَيْضًا، وَهِيَ أَيْضًا مِنْ أَصْنَافِ الدِّيَاجِ.

• ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: الْأَرَائِكُ: جَمْعُ «الْأَرِيكَ» وهي المقعدُ المنجَدُ الوثيرُ. أي: حَالَةٌ كَوْنِهِمْ مُتَّكِئِينَ فِي جَنَّاتِ عَذْنٍ عَلَى الْأَرَائِكِ. الْإِتِّكَاءُ: الْجُلُوسُ بِتَمَكُّنٍ عَلَى مَقْعَدٍ وَثِيرٍ، بِصَاحِبِهِ غَالِيًا وَضَعُ الْيَدَيْنِ عَلَى مَا يَحْمِلُهُمَا لِلرَّاحَةِ.

• ﴿نِعَمَ الثَّوَابِ﴾: «نِعَم»: فِعْلٌ جَامِدٌ لِإِنْشَاءِ الْمَدْحِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ. «الثَّوَابُ» فَاعِلٌ «نِعَمَ». وَالْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ ثَوَابُهُمُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْمَذْكُورَاتُ سَابِقًا فِي الْآيَةِ.

• ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾: أي: وَحَسُنَتْ جَنَّاتُ عَذْنٍ مُرْتَفَقًا. جَاءَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ فِي مُقَابِلِ وَصْفِ دَارِ الْعَذَابِ بِأَنَّهَا سَاءَتْ مُرْتَفَقًا.

حَسَنَ: كَلِمَةٌ تُقَالُ لِإِنْشَاءِ الْمَدْحِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، مِثْلُ: «نِعَمَ».

الْمُرْتَفَقُ: كُلُّ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلارْتِفَاقِ وَالْإِنْتِفَاعِ بِهِ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ مَطَالِبِ الْجَسَدِ أَوْ النَّفْسِ.

أي: وَحَسَنْتُ جَنَّاتٍ عَدْنٍ لِلْزَيْنَاقِ بِأَيِّ شَيْءٍ مِنْهَا، فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ مَطَالِبِ الْجَسَدِ أَوْ النَّفْسِ.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الثَّالِثِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الكهف).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٨)

### التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (الكهف) الآيات من (٣٢ - ٤٤)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِرَسُولِهِ:

﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمْ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۚ (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ۚ (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۚ (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ۚ (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۚ (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۚ (٣٧) لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۚ (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۚ (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُوَفِّيَنَّ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۚ (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاءُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۚ (٤١) وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَاَصْبَحَ يَقَلُّبُ كَفْتِهِ عَلَىٰ مَا أَفْتَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بِلَيْنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۚ (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصُرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ۚ (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ نَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۚ ﴿ (٤٤) ۞



## القراءات :

(٣٣) • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو: [أَكْلَهَا] بإسكان الكاف.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [أَكْلَهَا] بضم الكاف.  
وهما لغتان عَرَبِيَّتان.

(٣٤) • قرأ أبو عمرو: [تُمَر] بضم التاء وإسكان الميم.

وقراها عاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: [تُمَر] بفتح التاء والميم.  
وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [تُمَر] بضم التاء والميم. وهي لغات  
عَرَبِيَّة.

(٣٤) • قرأ نافع، وأبو جعفر، بإثبات ألف «أنا» من [أَنَا أَكْثَرُ] في  
الوصل.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة بِحَذْفِهَا فِي الْوَصْلِ.

وَاتَّفَقَ الْجَمِيعُ عَلَى إِثْبَاتِهَا فِي الْوَقْفِ.

(٣٦) • قرأ نافع، وابنُ كثير، وابن عامر، وأبو جعفر: [مِنْهُمَا]

أي: مِنْ جَنَّتِهِ.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [مِنْهَا] أي: مِنْ جَنَّتِهِ الْمُنْقَسِمَةِ إِلَى

جَنَّتَيْنِ.

(٣٨) • قرأ ابن عامر، وأبو جعفر، وَرُويس: [لَكِنَّا هُوَ] بإثبات

الألف وصلًا.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة بِحَذْفِ الْأَلْفِ وَضَلًا.

وَاتَّفَقُوا عَلَى إِثْبَاتِهَا وَقَفًا اتِّبَاعًا لِلرَّسَمِ.

(٣٨) • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [بِرَبِّي

أَحَدًا] بِفَتْحِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وقراها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ بِإِسْكَانِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

(٣٩) • قرأ نافع، وأبو جعفر: [أَنَا أَقْلُ] بِإِثْبَاتِ أَلِفٍ «أَنَا».

وقراها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ بِحَذْفِهَا وَصَلًا.

وَاتَّفَقُوا عَلَى إِثْبَاتِهَا وَقَفًا.

(٣٩) • قرأ قَالُونَ، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [إِنْ تَرْنِي أَنَا] بِإِثْبَاتِ

يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ وَصَلًا.

وقراها ابْنُ كَثِيرٍ، وَيَعْقُوبُ كَذَلِكَ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ.

وقراها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ: [إِنْ تَرْنِي أَنَا] بِحَذْفِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ فِي

الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ.

(٤٠) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [رَبِّي أَنْ]

بِفَتْحِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وقراها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ بِإِسْكَانِهَا.

(٤٠) • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [يُؤْتِينِي] بِإِثْبَاتِ يَاءِ

الْمُتَكَلِّمِ وَصَلًا. وَكَذَلِكَ يَعْقُوبُ فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ.

وقراها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ: [يُؤْتِينِي] بِحَذْفِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ فِي الْوَصْلِ

وَالْوَقْفِ.

(٤٢) • قرأ أبو عمرو: [بِثْمَرِهِ].

وقراها عاصم، وأبو جعفر، ويعقوب: [بِثْمَرِهِ].

وقراها بَاقِي الْقُرْأَاءِ الْعَشْرَةِ وَمَعَهُمْ رُوَيْسٌ: [بِثْمَرِهِ] وَهِيَ لُغَاتُ عَرَبِيَّةٍ.

(٤٢) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [بِرَبِّي

أَحَدًا] بِفَتْحِ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ.

وقرأها بَاقِي الْقُرْأَةِ الْعَشْرَةِ بِإِسْكَانِهَا .

(٤٣) • قرأ حمزة، وَالْكَسَائِي، وخلف: [وَلَمْ يَكُنْ] بَالِيَاءَ .

وقرأها بَاقِي الْقُرْأَةِ الْعَشْرَةِ: [وَلَمْ تَكُنْ] بِالنَّاءِ .

(٤٣) • قرأ أبو جعفر: [فِيَّةٌ] بِإِبْدَالِ الْهَمْزَةِ يَاءً وَضَلًّا وَوَقْفًا .

وقرأها بَاقِي الْقُرْأَةِ الْعَشْرَةِ: [فِتَّةٌ] .

(٤٤) • قرأ حمزة، وَالْكَسَائِي، وخلف: [الْوَلَايَةُ] بِكَسْرِ الْوَاوِ .

وقرأها بَاقِي الْقُرْأَةِ الْعَشْرَةِ: [الْوَلَايَةُ] بِفَتْحِ الْوَاوِ .

وَهُمَا لُغَتَانِ عَرَبِيَّتَانِ .

(٤٤) • قرأ أبو عمرو، وَالْكَسَائِي: [الْحَقُّ] صِفَةً لِلْوَلَايَةِ .

وقرأها بَاقِي الْقُرْأَةِ الْعَشْرَةِ: [الْحَقُّ] صِفَةً: «لِلَّهِ» .

(٤٤) • قرأ عاصم، وحمزة، وخلف: [عُقْبًا] .

وقرأها بَاقِي الْقُرْأَةِ الْعَشْرَةِ: [عُقْبًا] .

تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ قِصَّةِ حِوَارِ جَرَى بَيْنَ صَاحِبَيْنِ:

• أَحَدُهُمَا: غَنِيٌّ كَافِرٌ بِيَوْمِ الدِّينِ آتَاهُ اللَّهُ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

جَنَّتَيْنِ .

• وَالْآخَرُ: فَقِيرٌ مُؤْمِنٌ صَادِقُ الْإِيمَانِ، يَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ،

وَالِىَ الْإِيمَانِ بِالْجَزَاءِ وَيَوْمِ الدِّينِ .

وَالْحِوَارُ الدِّينِيُّ بَيْنَهُمَا جَرَى حَوْلَ قَضِيَّتَيْنِ:

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: قَضِيَّةُ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْخَالِقِ الرَّبِّ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ

فِي رُبُوبِيَّتِهِ، فَلَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ .

وَمِنَ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ اغْتِقَادُ أَنَّ الْأَسْبَابَ تَفْعَلُ بِذَاتِهَا، لَا أَنَّهَا بِمِثَابَةِ قَوَاتٍ تَسْتُرُ جَرَيَانَ أَفْعَالِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ بِمُقْتَضَى مَا سَبَقَ أَنْ قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ.

**القضية الثانية:** قَضِيَّةُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، الَّذِي يُحَاسِبُ فِيهِ اللَّهُ الَّذِينَ كَانُوا مَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، عَلَى مَا قَدَّمُوا وَآخَرُوا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ، وَبَعْدَ الْحِسَابِ يَفْصِلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقَضَاءَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يُجَازِيهِمْ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ، أَوْ فِي النَّارِ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.

وَأَحَدُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ كَافِرٌ بِهَاتَيْنِ الْقَضِيَّتَيْنِ، بِتَأْثِيرِ الْغُرُورِ بِزِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِتْنَتِهَا، كُفْرًا لَمْ يَصِلْ إِلَى حَالَةِ مَيُؤُوسٍ مِنْ اسْتِجَابَتِهِ مَعَهَا إِلَى الْحَقِّ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَتِهِ الْحَرَّةِ، وَهُوَ ذُو نَرَاءٍ وَسَعَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَزِينَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَوَصَّلَ إِلَيْهَا بِمَا اسْتَخْدَمَ مِنْ أَسْبَابٍ هَيَّأَهَا اللَّهُ لَهُ، وَذُو قُوَّةٍ بِأَنْصَارِهِ مِنْ أَوْلَادِهِ وَغَيْرِهِمْ، وَمِمَّا يَمْلِكُ جَنَّةً كَبِيرَةً، هِيَ بُسْتَانٌ كَبِيرٌ، يَفْصِلُهُ مِنْ وَسْطِهِ نَهْرٌ جَارٍ، يَتَدَفَّقُ بِلَا انْقِطَاعٍ، فَصَارَ بِمِثَابَةِ جَنَّتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا عَنْ يَمِينِ النَّهْرِ، وَالْأُخْرَى عَنْ شِمَالِهِ.

لَقَدْ أَنْسَاهُ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَهُ بِتَيْسِيرِ الْأَسْبَابِ لَهُ كُلِّ مَا تَحْتَ يَدِهِ مِنْ أَمْوَالٍ وَقُوَّةٍ يَغْتَرُّ بِهَا.

وَالرَّجُلُ الْآخَرُ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ دَاعِيَةٌ إِلَى دِينِ اللَّهِ، حَرِيصٌ عَلَى هِدَايَةِ الضَّالِّينَ، وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، عَقِيدَةٌ وَعَمَلَاءٌ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُؤْتِهِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ، وَلَا كَثْرَةً مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْأَنْصَارِ.

وَلَمَّا أَتَلَفَ اللَّهُ لِلْكَافِرِ جَنَّتَيْهِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

**التدبر التحليلي:**

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِرَسُولِهِ فَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ فِي تَعْلِيمِ

دَعْوَى:

• ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا زَجَلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْتَهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلُهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾﴾:

أي: واضرب لمُشركي مَكَّةَ المعتزّين المُتفَاحِرِينَ بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِمْ، وَقُوَّةِ رِجَالِهِمُ الَّذِينَ يَنْصُرُونَهُمْ ضِدَّكَ وَضِدَّ دَعْوَتِكَ وَضِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ وَاتَّبَعُوكَ، مَثَلًا قِصَّةَ رَجُلَيْنِ: مُؤْمِنٍ فَقِيرٍ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ، وَكَافِرٍ غَنِيٍّ وَسَّعَ اللَّهُ فِي الرِّزْقِ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَصَفَ كَلَامِيٍّ يَشْتَمِلُ عَلَى تَحْدِيدِ لِحَرِيطَةِ جَنَّتِي الرَّجُلِ الثَّرِيّ، وَمَا فِيهِمَا مِنْ أَشْجَارٍ وَزُرُوعٍ، بِاسْتِنَاءِ الْمَسَاحَةِ وَالْعَدِيدِ.

فَالجَنَّتَانِ مَزْرُوعَتَانِ بِأَشْجَارِ الْعِنَبِ، ذَوَاتِ الْعُرُوقِ وَالْفُرُوعِ الْمُمتَدَّةِ، وَأَفْضَلُ بَسَاتِينِ الْعِنَبِ مَا كَانَتْ فُرُوعُ أَشْجَارِهِ مُمتَدَّةً عَلَى عُرُوشٍ مِنَ الْأَخْشَابِ الْمُرْتَفِعَةِ عَنِ الْأَرْضِ بِأَعْمِدَةٍ، لَكِنْ لَمْ يَأْتِ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ذِكْرُ الْعُرُوشِ، إِنَّمَا جَاءَ فِي آخِرِ بَيَانِ الْقِصَّةِ ذِكْرُهَا بِعِبَارَةٍ: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ عِنْدَ بَيَانِ إِهْلَاكِ ثَمَرِ الْجَنَّتَيْنِ.

وَالجَنَّتَانِ مَحْفُوفَتَانِ بِأَشْجَارِ النَّخِيلِ الشَّاهِقَةِ، لِتَحْمِيِ أَشْجَارِ الْعِنَبِ مِنَ الرِّيحِ الْبَارِدَةِ، وَمِنْ لَفْحَاتِ الصَّقِيعِ الَّتِي تَأْتِي بِهَا، الْمُتْلِفَةِ لِلثَّمَارِ وَالْأَزْهَارِ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مُتَحَدِّثًا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَحَفَفْتَهُمَا بِنَخْلٍ﴾: أَي: وَأَحْطَنَاهُمَا بِأَشْجَارِ نَخْلٍ. يُقَالُ لُغَةً: حَفَّ فُلَانٌ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ أَي: جَعَلَهُ مُحِيطًا بِهِ، وَمُسْتَدِيرًا حَوْلَهُ.

• ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾: أَي: وَفِي الْمَسَاحَاتِ الْفَارِعَاتِ بَيْنَ الْأَشْجَارِ جَعَلْنَا زُرُوعًا أَرْضِيَّةً نَافِعَةً لِأَكْلِ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ.

• ﴿كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَانَتْ أَكْلُهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا﴾: أَي: وَقَدْ وَصَلَتْ الْأَشْجَارُ إِلَى كَمَالِ نُضْجِهَا، فَاتَتْ فِيهَا سَبَقُ أَكْلِهَا، أَي: ثَمَرَاتِهَا الَّتِي

تُؤْكَلُ مِنْهَا، دُونَ أَنْ تَتَعَرَّضَ لِتُفْصَانٍ، فَلَمْ تَظْلِمْ مِنْ أَكْلِهَا شَيْئًا، أَي: لَمْ تَنْقُصْ مِنْهُ شَيْئًا.

الأكل: بضم الكاف وإسكانها مَا يُؤْكَلُ، وأكُلُ الشَّجَرَةِ جَنَاهَا الَّذِي يُؤْكَلُ مِنْهَا.

• ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾: أي: وأخرجنا عَيْنَ مَاءٍ تَبَعَتْ مِنْهَا الْحَيَاةُ بِقُوَّةٍ وَتَدْفُقُ، وَشَقَقْنَا لَهُ نَهْرًا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ لِسُقْيَا الْجَنَّتَيْنِ.

وسواء حَصَلَ هَذَا بِأَسْبَابٍ اتَّخَذَهَا الرَّجُلُ، أَمْ دُونَ أَسْبَابٍ مِنْهُ، فَالْأَمْرُ كُلُّهُ قَدْ تَمَّ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَضَائِهِ وَخَلْقِهِ.

إِنَّ الْأَسْبَابَ الْإِنْسَانِيَّةَ إِنَّمَا تَتِمُّ بِإِقْدَارِ اللَّهِ وَالْهِامِهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ آثَارُ فِعْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

• وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ قِصَّةِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَى ثَلَاثَةِ فُصُولٍ، وَخَاتِمَةٍ عَقِبَهَا.

## الفصل الأول

مُقَدِّمَةٌ:

يُظْهَرُ أَنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ الدَّاعِيَةَ إِلَى دِينِ اللَّهِ وَالْتِزَامَ صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَقَدْ بَدَأَ يَنْصَحُ مَالِكَ الْجَنَّتَيْنِ ذَا الْقُوَّةِ بِأَمْوَالِهِ وَأَنْصَارِهِ، الْمُفْتُونِ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِيَبْلُوَهُ، فَيَدْعُوهُ إِلَى الْإِيمَانِ الْكَامِلِ الصَّحِيحِ بِاللَّهِ الْخَالِقِ الرَّبِّ، الَّذِي بِيَدِهِ مَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، وَالَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، حَتَّى الْأَسْبَابَ فَإِنَّهَا لَا تُؤَثِّرُ إِلَّا بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ وَقُدْرَتِهِ وَخَلْقِهِ، وَالَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ، أَي: فِي اسْتِحْقَاقِهِ أَنْ يُعْبَدَ وَحْدَهُ دُونَ شَيْءٍ سِوَاهُ فِي الْوُجُودِ، وَأَخَذَ يُقَدِّمُ لَهُ الْأَدِلَّةَ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَيُبَيِّنُ لَهُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

لِيَبْلُوَهُمْ أَتَيْهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَأَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كُلُّهَا سَتَنْتَهِي بِقِيَامِ السَّاعَةِ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ النَّاسَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، يَوْمِ الْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، ثُمَّ تَنْفِيذِ الْجَزَاءِ، بِالثَّوَابِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، أَوْ بِالْعِقَابِ فِي دَارِ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

فَرَدَّ عَلَيْهِ ذُو الْمَالِ الْوَاسِعِ الْمُعْتَزُّ بِكَثْرَةِ أَوْلَادِهِ وَنَفَرِهِ، بِقَوْلِهِ لَهُ: إِنَّ إِيْمَانَكَ بِرَبِّكَ وَطَاعَتَكَ لَهُ لَمْ تَجْلُبْ لَكَ مَالًا كَثِيرًا، وَلَا قُوَّةَ وَلَا مَنَعَةً بِالْأَوْلَادِ وَالْأَنْصَارِ بَيْنَ النَّاسِ.

فَلَوْ كَانَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ صَحِيحًا لَكَانَ اللَّهُ قَدْ وَسَّعَ عَلَيْكَ وَمَنَحَكَ الْقُوَّةَ.

أَمَّا أَنَا فَقَدْ اسْتَخْدَمْتُ وَسَائِلِي، وَذَكَائِي، وَعِلْمِي، فَصِرْتُ أَكْثَرَ مِنْكَ مَالًا، وَأَعَزَّ نَفَرًا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَتَجَاوَزُ ظُرُوفَ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَأَسْبَابِهَا.

وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ قَدْ حَاوَرَهُ حَوْلَ دَلِيلِهِ هَذَا، فَأَبَانَ لَهُ أَنَّ ظُرُوفَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ظُرُوفُ امْتِحَانٍ، وَالَامْتِحَانُ يَكُونُ بِالْغِنَى وَالْقُوَّةِ أحيانًا وَلِبَعْضِ النَّاسِ، وَلَيْسَ هَذَا تَكْرِيمًا مِنْ اللَّهِ لَهُمْ، وَيَكُونُ بِالتَّضْيِيقِ وَعَدَمِ الْقُوَّةِ أحيانًا وَلِبَعْضِ النَّاسِ، وَلَيْسَ هَذَا إِهَانَةً لَهُمْ، بَلْ كُلٌّ مِنَ الْأَمْرَيْنِ لِلْإِتِّلَاءِ وَالِامْتِحَانِ.

إِلَّا أَنَّ ذَا الْغِنَى الْمُعْتَزَّ بِأَمْوَالِهِ وَأَوْلَادِهِ وَنَفَرِهِ، وَالْمُتَفَاخِرَ بِكُلِّ ذَلِكَ، لَمْ يَعْأُ بِجَوَابِ الرَّجُلِ الْمُؤْمِنِ الْقَائِمِ عَلَى الدَّلِيلِ النَّظَرِيِّ الْفِكْرِيِّ الْعِلْمِيِّ، الْمُسْتَنِدِّ إِلَى أدَلَّةِ الْإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَحِكْمَتِهِ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ مَفْتُونٌ بِمَا يَمْلِكُ مِنْ زِينَتِهَا، مَحْجُوبُ الْبَصِيرَةِ عَنْ إِدْرَاكِ الْحَقِيقَةِ، إِذْ أَكْسَبَهُ افْتِنَانُهُ طُغْيَانًا فِي نَفْسِهِ.

وَفِي مَوْسِمٍ مِنْ مَوَاسِمِ قَطْفِ الثَّمَارِ، كَانَتْ جَنَّتُهُ ذَاتَ ثَمَرٍ بِهِيجٍ،

وَكَانَ قَدْ دَنَا قِطَافُهُ، فَتَحَرَّكَتْ نَفْسُهُ بِرَغْبَةِ الْاِفْتِحَارِ عَلَى صَاحِبِهِ الْمُؤْمِنِ الدَّاعِيَةِ الَّذِي لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ مِثْلَ مَا آتَاهُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَاسْتَضَحَبَهُ، لِيُظْلِعَهُ عَلَى بُسْتَانِهِ، الْمُفْتُونِ بِإِنْشَائِهِ وَإِعْمَارِهِ وَإِثْقَانِهِ، ذِي الْجَنَاحَيْنِ مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ، وَمِنْ ذَاتِ الشِّمَالِ، وَذِي النَّهْرِ الْفَاصِلِ بَيْنَهُمَا، وَالَّذِي يَتَفَجَّرُ جَارِيًا مُتَدَفِّقًا شَاقًّا الْبُسْتَانَ إِلَى جَنَاحَيْنِ، فَكَانَ بِمِثَابَةِ بُسْتَانَيْنِ مُنْفَصِلَيْنِ، لَكِنْ يَجْمَعُهُمَا سُورٌ عَامٌّ وَاحِدٌ، فَهُمَا جَنَّتَانِ مُتَفَاصِلَتَانِ، فِي جَنَّةٍ عَامَّةٍ وَاحِدَةٍ ذَاتِ سُورٍ عَامٍّ وَاحِدٍ، وَقَصَدَ مِنْ اسْتِضْحَابِهِ التَّفَاخَرَ عَلَيْهِ، وَإِقْنَاعَهُ بِأَنَّ نِظَامَ الْحَيَاةِ نِظَامُ أَسْبَابٍ وَمُسَبِّبَاتٍ.

فَلْتَتَابِعْ بِالتَّدَبُّرِ التَّحْلِيلِيِّ فِقَرَاتِ الْبَيَانِ الرَّبَّانِيِّ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْمَجِيدِ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَكَانَ لَمْ تَمُرْ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۖ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۖ﴾ (٣٦)

أي: وَفِي مَجْلِسِ حِوَارٍ بَيْنَهُمَا اخْتَجَّ الْغَنِيُّ الْمُفْتُونُ بِمَالِهِ وَالْمَغْرُورُ بِعِزَّتِهِ بِأَوْلَادِهِ وَخَدَمِهِ، فَقَالَ فِي حِوَارِهِ مُحْتَجًّا وَمُتَفَاخِرًا عَلَى الْمُؤْمِنِ الدَّاعِيَةِ إِلَى اللَّهِ، الَّذِي لَمْ يُؤْتِهِ اللَّهُ سَعَةً مِنَ الْمَالِ، وَلَا قُوَّةً وَعِزًّا بِأَوْلَادِهِ وَالْخَدَمِ، وَكَانَ لَهُ فِي جَنَّتِهِ ثَمَرٌ اقْتَرَبَ أَوَانُ قِطَافِهِ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ:

• ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: أي: مَعَ أَنِّي لَا أَوْمِنُ بِمَا تَدْعُونِي إِلَى الْإِيمَانِ بِهِ، فَلَوْ كَانَ مَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ حَقًّا لَأَغْنَاكَ رَبُّكَ وَأَعَزَّكَ بِأَوْلَادِ وَالْقَرَى، وَلَسَلْبَنِي مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مَالٍ وَعِزٍّ.

• ﴿وَأَعَزُّ﴾: أي: وَأَقْوَى وَأَغْلَبَ، تقولُ العرب: «مَنْ عَزَّ بَزًّا» أي: مَنْ غَلَبَ سَلَبًا.



• ﴿نَفَرًا﴾: النَّفَرُ الرِّجَالُ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةٍ، وَكَانُوا أَوْلَادَهُ وَخَدَمَهُ.

• ﴿وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾: أَبَانَ اللَّهُ بِهَذَا أَنَّ جَنَّتِيهِ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ، نَظْرًا إِلَى السُّورِ الْوَاحِدِ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا، وَإِذْ كَانَ النَّهْرُ الْجَارِي بَيْنَهُمَا قَدْ فَصَلَهُمَا، فَهَمَا بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ جَنَّتَانِ.

وَوَصَفَ اللَّهُ الرَّجُلَ بِأَنَّهُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، لِأَنَّهُ عَرَّضَ نَفْسَهُ بِكُفْرٍ، لَاسْتِحْقَاقِ عَذَابٍ أَلِيمٍ خُلُودًا فِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، إِذَا لَمْ يَتُبْ وَلَمْ يُؤْمِنْ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَمِنْ كُفْرِهِ مَا يَلِي:

(١) أَنَّهُ جَعَلَ الْأَسْبَابَ هِيَ الْفَاعِلِ الْحَقِيقِيَّ، جَاحِدًا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مِنْ خِلَالِهَا.

(٢) وَقَدْ أَنْكَرَ يَوْمَ الدِّينِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالْبَعْثِ، وَالْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ.

• ﴿... قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٢٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (٣٦):

هَذِهِ عِبَارَاتٌ دَالَّاتٌ عَلَى عَنَاصِرَ كُفْرِهِ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَخَذَ بِيَدِ مُحَاوَرِهِ الْمُؤْمِنِ حَتَّى أَوْصَلَهُ إِلَى بُسْتَانِهِ، وَأَرَاهُ ثِمَارَهُ مُتَدَلِّيَاتٍ عَلَى أَشْجَارِهَا، وَأَعْلَنَ ابْتِهَاجَهُ وَفَرَحَهُ بِجَنَّتِيهِ فَقَالَ لَهُ: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾: أَي: مَا أَظُنُّ أَنْ تَهْلِكَ هَذِهِ الْجَنَّةُ فِي كُلِّ أَرْزَمَانِ الْمُسْتَقْبَلِ وَتَنْقَرِضَ، مَا دُمْتُ أَتَّخِذُ الْأَسْبَابَ الَّتِي تَجْعَلُهَا مُسْتَمِرَّةَ الْبَقَاءِ وَالْإِنْتِاجِ الْوَفِيرِ.

إِنَّهُ لَمَّا اسْتَبَعَدَ مِنْ تَصَوُّرِهِ أَنَّ الْحَيَاةَ هَذِهِ حَيَاةُ ابْتِلَاءٍ، وَأَنَّ وَرَاءَهَا حَيَاةً أُخْرَى، فِي دَارٍ هِيَ دَارُ الْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ، تَصَوَّرَ أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ مُنْحَصِرٌ فِي ظُرُوفِ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَتَصَوَّرَ أَنَّ هَذَا

النَّظَامُ مُسْتَمِرٌّ فِيهَا مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ، عَلَى مَذْهَبِ الدَّهْرِيِّينَ، وَتَصَوَّرَ أَنَّ أَحْدَاثَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الَّتِي تَجْرِي فِيهَا خَاضِعَةٌ لِنِظَامِ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ، فَمَا دَامَ الْإِنْسَانُ يَتَّخِذُ أَسْبَابَ الْإِنْشَاءِ وَالتَّعْمِيرِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالتَّنْمِيَةِ، فَإِنَّ الْأَسْبَابَ مُسْتَمِرَّةُ الْعَطَاءِ فِي نِظَامِ أَبَدِيٍّ لَا انْقِطَاعَ لَهُ. وَبِمَا أَنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، وَاتَّخَذَ الْأَسْبَابَ الصَّحِيحَةَ السَّالِمَةَ الْكَامِلَةَ، لِإِنْشَاءِ بُسْتَانِهِ ذِي الْجَنَاحَيْنِ، إِنْشَاءً كَامِلَ الصِّفَاتِ وَالشُّرُوطِ وَالتَّنْمُوِيَّةِ وَالْوَقَائِيَّةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُعْطِيَ عَطَاءَهُ دَوَامًا وَافِرًا غَيْرَ مَنقُوصٍ، وَهَذَا الْأَمْرُ قَدْ امْتَحَنَهُ وَأَخْضَعَهُ لِلتَّجَرِبَةِ خِلَالَ سَنَوَاتِ حَيَاتِهِ السَّابِقَاتِ.

لِذَلِكَ فَهُوَ لَا يَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ جَنَّتُهُ هَذِهِ أَبَدًا، مَا دَامَتْ أَسْبَابُ إِمْدَادِهَا بِالْبَقَاءِ وَالتَّجْدِيدِ وَالتَّحْسِينِ وَالْحِمَايَةِ مُسْتَمِرَّةً، وَتَصَوَّرَ أَنَّ هَذَا هُوَ قَانُونُ الْوُجُودِ الَّذِي لَا يَتَعَرَّضُ لِمَا يُلْغِيهِ مِنْ قُوَّةِ رَبَّانِيَّةٍ خَارِقَةٍ.

وَنَفْيُ الظَّنِّ كُلِّهِ قَوِيٌّ وَضَعِيْفُهُ عَنِ النَّقِيضِ يَتَضَمَّنُ إِبْثَاتَ النَّقِيضِ الْآخِرِ بِلَا شَكٍّ، أَيُ: فَهِيَ دَائِمَةٌ بِلَا انْقِطَاعٍ، وَلَا يَلْزُمُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِخُلُودِ نَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ وَهْمُهُ جَعَلَهُ يُؤْمِنُ بِخُلُودِ نِظَامِ الْكَوْنِ، وَنِظَامِ تَعَاُقِ صُورِ الْحَيَاةِ فِي الْأَرْضِ.

وَإِذْ سَيَّطَرَتْ عَلَى نَفْسِهِ فِكْرُهُ خُلُودِ هَذَا النِّظَامِ الْكَوْنِيِّ بِلَا انْقِطَاعٍ، فَمِنْ لَوَازِمِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ أَنْ لَا يَظُنَّ أَنَّ السَّاعَةَ الَّتِي حَدَثَ الرُّسْلُ عَنْهَا، وَأُثْبِتَتْهَا الْكُتُبُ الرَّبَّانِيَّةُ سَاعَةً قَائِمَةً، لَا سَاعَةَ الْإِفْنَاءِ، وَلَا سَاعَةَ الْبُعْثِ لِلْحَيَاةِ الْآخَرَى حَيَاةَ الْبَقَاءِ، فَقَالَ:

• ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾.

وَهَذَا النَّفْيُ يَتَضَمَّنُ إِبْثَاتَ النَّقِيضِ أَيْضًا، وَهُوَ أَنَّ السَّاعَةَ لَنْ تَقُومَ لِكَيْتَهُ لَمْ يَجْزِمْ جَزْمًا قَاطِعًا بِأَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالَ:

• ﴿... وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ ﴿٣٦﴾ :

إِنَّهُ أَقْسَمَ مُؤَكِّدًا، فَاللَّامُ فِي «لَئِنْ» مُوْطِئَةٌ لِقَسَمِ مَنْوِيٍّ، فَقَالَ: لَئِنْ أُرْجِعْتُ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ لِيُحَاسِبَنِي رَبِّي عَلَى سَبِيلِ الاحتمال الضعيف الذي دَلَّتْ عَلَيْهِ: «إِنْ» فِي نِظَامٍ غَيْرِ هَذَا النِّظَامِ الْمَشْهُودِ لِلْكَوْنِ، لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْ هَذِهِ الْجَنَّةِ مُنْقَلَبًا أُنْقَلَبُ إِلَيْهِ.

الْمُنْقَلَبُ: الْمَكَانُ الَّذِي يَحْصُلُ الْإِنْقِلَابُ، أَي: الرُّجُوعُ إِلَيْهِ.

أَي: فَعِلْمِي وَقُدْرَتِي اللَّذَيْنِ جَعَلَانِي أَجْمَعُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مَا جَمَعْتُ وَأُسُّسُ مَا أَسَسْتُ، وَأَنْشِئُ مَا أَنْشَأْتُ، سَيُمَكِّنَانِي مِنْ أَنْ أَكْتَسِبَ أُمَثَالَهَا، إِنْ تَحَقَّقَتْ هَذِهِ الرَّجْعَةُ إِلَى الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، لَكِنِّي لَا أَرَى هَذَا فَمَزَاعِمُ الْحَيَاةِ الْأُخْرَى مَزَاعِمُ لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا فِيمَا نُشَاهِدُ مِنْ مَقَابِرِ أَهْلِ الْقُرُونِ الْأُولَى.

## الفصل الثاني

■ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصِيجَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُمْ طَلَبًا ﴿٤١﴾ :

• ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ ﴿٣٧﴾ :

نُلاحِظُ بِهَذَا أَنَّ الْمَحَاوِرَ الْمُؤْمِنَ حَاوَلَ فِي مُحَاوَرَتِهِ لَصَاحِبِهِ فِي الْجَوَارِ، الْمَغْرُورِ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ مَالٍ وَأَنْصَارٍ، إِعَادَتَهُ إِلَى الْمُنْطَلَقِ الْأَوَّلِ

لِلْفِكْرِ الْإِيمَانِي، وَهُوَ الْإِيمَانُ بِالْخَالِقِ الرَّبِّ، الْمُنْشِئِ لَهُ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ الْعَظْمَى مِنَ الثَّرَابِ.

فَسَأَلَهُ عَلَى سَبِيلِ الاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ، عَنْ نَظَرَتِهِ إِلَى النِّظَامِ السَّبَبِيِّ الَّذِي تَجْرِي بِمُقْتَضَاهُ أَحْدَاثُ الْكَوْنِ وَأَطْوَارُهُ، هَلْ هُوَ يُؤْمِنُ بِالْأَسْبَابِ مُنْقَطِعَةً عَنِ الرَّبِّ الَّذِي يَخْلُقُ كُلَّ مَا فِي أَحْدَاثِ كَوْنِهِ ضِمْنَ قَنَوَاتِهَا؟!.

أي: إِنَّ وُجُودَكَ بِخَلْقِ اللَّهِ قَدْ كَانَ خَاضِعاً لِنِظَامِ الْأَسْبَابِ، فَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ قَدْ أَجْرَى أَسْبَابَ خَلْقِكَ بَدْءاً مِنَ الثَّرَابِ الْمُخْتَلِطِ بِالْمَاءِ، إِلَى النَّبَاتِ، إِلَى الْغِذَاءِ، إِلَى الدِّمَاءِ، ثُمَّ إِلَى النُّظْفَةِ، وَتَتَابَعَتْ سِلْسِلَةُ الْأَسْبَابِ حَتَّى صِرَتْ جَنِيناً، ثُمَّ دَبَّتْ فِيكَ الرُّوحُ بِخَلْقِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ، ثُمَّ يَسَّرَ اللَّهُ أَسْبَابَ وَلَادَتِكَ، وَتَتَابَعَتْ أَسْبَابُ إِمْدَادِكَ بِالْبَقَاءِ حَتَّى صَبَرَكَ اللَّهُ طِفْلاً، ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً مُكْتَمِلاً، تَتَعَاطَى الْأَسْبَابُ، وَتَتِمُّ الْمُسَبِّبَاتُ بِخَلْقِ اللَّهِ مِنْ قَنَوَاتِهَا.

فَاللَّهُ الْخَالِقُ الرَّبُّ الْمُتَابِعُ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ الْعَظِيمَةِ، مِنْ بَوَاطِنِ الظُّوَاهِرِ السَّبَبِيَّةِ أَعْمَالِ الْخَلْقِ، هُوَ الَّذِي يَخْلُقُ الْمَسَبِّبَاتِ، كَمَا هُوَ خَالِقٌ لِلْأَسْبَابِ، وَلَوْلَا خَلْقُهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - وَسَمَتْ حِكْمَتُهُ وَقُدْرَتُهُ - لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ مِنْهَا.

وَالْأَسْبَابُ لَا تَفْعَلُ بِذَاتِهَا شَيْئاً، لِأَنَّهَا أَشْيَاءٌ لَا مَشِيئَةَ لَهَا، وَلَا عِلْمَ وَلَا حِكْمَةَ وَلَا غَايَةَ، بَيْنَمَا نُشَاهِدُ أَنَّ كُلَّ أَحْدَاثِ الْكَوْنِ وَتَطَوُّرَاتِهِ مُقْتَرَنَةٌ بِحِكْمَةٍ وَغَايَةٍ، وَهُمَا لَا تَكُونَانِ إِلَّا بِعِلْمٍ وَمَشِيئَةٍ، وَهَذِهِ صِفَاتُ رَبِّ عَلِيمٍ حَكِيمٍ قَدِيرٍ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيُخْتَارُ.

فَهَلْ أَنْتَ نَظَرْتَ إِلَى أَطْوَارِ وُجُودِكَ عَلَى أَنَّهَا أَسْبَابٌ فَاعِلَةٌ بِذَاتِهَا. غَيْرُ مُسَيَّرَةٍ بِخَلْقِ رَبِّ خَالِقٍ؟!.

وَيَظْهَرُ أَنَّ الْمَفْتُونِ بِنِظَامِ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ أَخَذَ يُرَاوِعُ، وَيَطْرَحُ

الْاِخْتِمَالَاتِ النَّظَرِيَّةِ، وَمِنْهَا أَنَّ الْأَسْبَابَ مَشْهُودَةٌ لَنَا فَتُؤْمِنُ بِهَا، وَكَوْنُ اللَّهِ هُوَ الرَّبُّ الْخَالِقُ مِنْ بَوَاطِنِ الظَّوَاهِرِ السَّبَبِيَّةِ أَمْرٌ غَيْرُ مَشْهُودٍ، وَجَعَلَ يَتَهَرَّبُ مِنَ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ.

وَيُظْهَرُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِوُجُودِ خَالِقٍ أَعْلَى، لَا تَأْثِيرَ لَهُ فِي تَتَابُعِ أَحْدَاثِ الْكَوْنِ، وَيَجْعَلُ لَهُ شُرَكَاءَ مِنْ دُونِهِ، وَيُظْهَرُ أَنَّ شِرْكَهُ مِنْ نَوْعِ شِرْكِ فَاعِلِيَّةِ الْأَسْبَابِ بِذَاتِهَا، فَهُوَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ عَلَى مَذْهَبٍ شَبِيهِ بِمَذْهَبِ الدَّهْرِيِّينَ.

فَلَمَّا عَلِمَ صَاحِبُهُ فِي الْحَوَارِ الْمُؤْمِنِ الدَّاعِيَةَ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ اعْتِقَادٍ فَاسِدٍ، وَكُفْرٍ بِرَبِّهِ، وَكُفْرٍ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَالْجِزَاءِ، وَالْحَيَاةِ الْآخِرَى، قَالَ لَهُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى حِكَايَةً لِمَقَالِهِ:

• ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٣٨﴾:

أي: لَكِنْ أَنَا لَسْتُ عَلَى مَذْهَبِكَ الْفَاسِدِ، فَأَنَا مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ رَبِّي الَّذِي يَخْلُقُ كُلَّ شَيْءٍ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ الْعَظِيمَةِ، وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا مِمَّنْ لَهُمْ حَيَاةٌ وَإِرَادَةٌ وَعِلْمٌ وَقُدْرَةٌ، فَضلاً عَنْ أُشْرِكٍ بِهِ أَسْبَاباً لَا حَيَاةَ لَهَا وَلَا إِرَادَةَ وَلَا عِلْماً وَلَا قُدْرَةَ.

• ﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾: أَضْلُهَا لَكِنْ أَنَا هُوَ اللَّهُ رَبِّي. لَكِنْ حَرْفُ اسْتِدْرَاكِ يَسْتَدْرِكُ بِهِ عَلَى اعْتِقَادِ الْمُفْتُونِ بِأَسْبَابِهِ، وَبِمَا لَدَيْهِ مِنْ مَالٍ وَأَنْصَارٍ، فَيَبَيِّنُ لَهُ أَنَّهُ يُخَالِفُهُ، وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ رَبِّهِ.

ضَمِيرُ ﴿أَنَا﴾ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ مُبْتَدَأٍ. وَ﴿هُوَ﴾ ضَمِيرُ الشَّانِ الْعَظِيمِ مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ جُمْلَةٌ ﴿اللَّهُ رَبِّي﴾ وَجُمْلَةٌ: ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ خَبَرٌ: ﴿أَنَا﴾.

فَأَبَانَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ الدَّاعِيَةَ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، اعْتِقَادَهُ بِجُمْلَةٍ عَلَى إِيجَازِهَا الشَّدِيدِ فِيهَا عِدَّةٌ مُؤَكَّدَاتٍ: «الْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ - وَضَمِيرُ الشَّانِ - وَالْخَبَرُ الْمُؤَلَّفُ مِنْ جُمْلَةٍ أَسْمِيَّةٍ مُعَرَّفَةِ الطَّرْفَيْنِ تُفِيدُ الْقَصْرَ».

وَبَعْدَ أَنْ أَبَانَ الْمُؤْمِنُ الدَّاعِيَةَ اغْتِقَادَهُ الْمُخَالَفَ لَاغْتِقَادِ مُحَاوِرِهِ الْكَافِرِ، شَرَعَ يَنْصَحُهُ وَيُحَذِّرُهُ، فَقَالَ لَهُ:

• ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾:

أي: وَهَلَّا حِينَ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ: هَذَا مَا شَاءَ اللَّهُ بِفَضْلِهِ عَلَيَّ، وَلَمْ يَكُنْ بَعْلَمِي وَقُدْرَتِي وَبِأَسْبَابِي دُونَ تَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَخَلْقِهِ مِنْ بَاطِنِ الْأَسْبَابِ.

• ﴿لَوْلَا﴾ هُنَا حَرْفُ تَخْصِيصٍ بِمَعْنَى «هَلَّا».

وعبارة «مَا شَاءَ اللَّهُ» عبارة مُخْتَزَلَةٌ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْإِيمَانِ، وَلِلتَّخْصِيصِ. وَكَلِمَةُ «مَا» خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ «هَذَا» وَهِيَ اسْمُ مَوْصُولٍ، وَالْعَائِدُ عَلَيْهِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: «شَاءَهُ».

فَمَنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ لَهُ أَوْ لغيرِهِ فَلْيُخَصِّصْهُ بِعِبَارَةِ «مَا شَاءَ اللَّهُ» إِذْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي شَاءَ، وَيَسِّرَ الْأَسْبَابَ، وَأَجْرَى أَعْمَالَ خَلْقِهِ مِنْ بَوَاطِنِهَا، وَبِهَذَا التَّخْصِيصِ يَحْفَظُهُ اللَّهُ، وَيَذْفَعُ عَنْهُ الشُّوْءَ، وَيَقِيهِ مِنْ إَصَابَاتِ الْعَيْنِ.

• ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: أي: لَا قُوَّةَ لِأَحَدٍ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ، وَلَا قُوَّةَ لِشَيْءٍ مَا، إِلَّا بِإِمْدَادِ لَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ الَّتِي يُسَخِّرُهَا لَهُ، وَيُمْكِنُهُ مِنْ اسْتِخْدَامِهَا.

وَبِهَذِهِ الْعِبَارَةِ يَتَبَرَّرُ الْمُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَهُ مِنْ ذَاتِهِ قُوَّةٌ مَا، مَادِّيَّةٌ أَوْ مَعْنَوِيَّةٌ، وَيُعْلَنُ أَنَّ مَا لَدَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ هُوَ مِنْ عَطَاءِ اللَّهِ وَإِمْدَادِهِ وَخَلْقِهِ.

• ﴿... إِنْ تَرَنِ أَنْتَ أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصِيبُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يَنْصِيبُ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُمْ طَلَبًا ﴿٤١﴾:

﴿إِنْ تَرَنِ﴾: إِنَّ حَرْفُ شَرْطٍ جَازِمٍ «تَرَنِ» أَصْلُهُ «تَرَنِي» حُذِفَتْ يَاءُ الْمُتَكَلِّمِ إِيْجَازاً، وَحُذِفَتْ كَثِيرٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، وَأَمْثَالُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ، وَالْفِعْلُ «تَرَنِ» مَجْزُومٌ بِحَرْفِ الشَّرْطِ، وَعَلَامَةُ جَزْمِهِ حَذْفُ آخِرِهِ لِأَنَّهُ مُعْتَلٌّ الْآخِرِ بِالْأَلْفِ.

• ﴿أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾: أَي: وَأَقَلُّ مِنْكَ قُوَّةً وَأَنْصَاراً.

«أَنَا» تَأْكِيدٌ لِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَحْذُوفِ لَفْظاً، وَالْمَلَاظُ ذَهْنًا.

«أَقَلُّ» مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ لِلْفِعْلِ فِي «إِنْ تَرَنِ».

• ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾: أَي: فَمِنْ الْمُمْكِنِ اخْتِمَالاً بِالنَّظَرِ إِلَى التَّقْلِبَاتِ الَّتِي يُجْرِيهَا اللَّهُ فِي عِبَادِهِ، أَنْ يُبَدِّلَ اللَّهُ فَقْرِي، فَيُعْطِيَنِي، فَيُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ.

فِعْلُ «عَسَى» يَدُلُّ عَلَى الْأَمْرِ الْمُحْتَمَلِ الْمُرْتَقِبِ، مِثْلُ «لَعَلَّ». وَيُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى «التَّرَجِّي». لَكِنَّهُ قَدْ يُسْتَعْمَلُ لِمُطْلَقِ الْإِحْتِمَالِ الْمَتَوَقَّعِ كَمَا هُوَ هُنَا، إِذْ لَيْسَ مِنْ خُلُقِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ أَنْ يَرْجُو زَوَالَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ كَانَ كَافِراً، فَحُكْمُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي عِبَادِهِ لَا تُقَابَلُ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ بَرَجَاءٍ يُشْعِرُ بِحَسَدٍ أَوْ اغْتِرَاضٍ عَلَى تَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ.

• ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصِيعَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝٤٥﴾ أَوْ يُصِيعَ مَأْوَها غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُمْ طَلَبًا ۝٤٦﴾: أَي: وَمِنْ الْمُمْكِنِ اخْتِمَالاً بِالنَّظَرِ إِلَى التَّقْلِبَاتِ الَّتِي يُجْرِيهَا اللَّهُ فِي عِبَادِهِ، أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ عَلَى جَنَّتِكَ مُهْلِكَاتٍ مُتَلِفَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ لَيْلًا فَتُصِيعَ أَرْضاً خَالِيَةً مِنْ كُلِّ شَجَرٍ وَنَبَاتٍ، وَتُصِيعَ طِيناً رَغَوِيّاً يَزْلُقُ مَنْ يَضَعُ قَدَمَهُ عَلَى أَيِّ مَكَانٍ مِنْهَا.

وَمِنْ الْمُمْكِنِ اخْتِمَالاً أَنْ يُصِيعَ مَأْوَها غَائِراً فِي الْأَرْضِ إِلَى أَعْمَاقٍ، لَا تَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ وَلَا اسْتِخْرَاجَهُ بِوَسِيلَةٍ مِنَ الْوَسَائِلِ، فَأَنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ طَلَبَهُ، إِذْ تَرَى أَنَّكَ عَاجِزٌ عَنِ اسْتِخْرَاجِهِ مِنْ أَغْوَارِهِ.

• ﴿حُسْبَانًا﴾: الْحُسْبَانُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ كَالْحِسَابِ، وَبِمَا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَ اللَّهِ بِمِقْدَارٍ، وَالْمِقَادِيرُ تُقَدَّرُ بِالْحَاسِبِ، أُطْلِقَ الْحُسْبَانُ هُنَا مُرَادًا بِهِ النَّوَازِلُ الْمُهْلِكَةُ وَالْمُتْلِفَةُ الَّتِي يُرْسِلُهَا عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ، أَوْ عَلَى بَعْضِ مُمْتَلِكَاتِهِمْ وَأَشْيَائِهِمْ بِحِسَابٍ دَقِيقٍ، تَأْدِيبًا لَهُمْ، أَوْ عُقُوبَةً مُعَجَّلَةً قَبْلَ عُقُوبَاتِهِ الْمُؤَجَّلَةِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

• ﴿صَعِيدًا رَلَقًا﴾: أَي: أَرْضًا خَالِيَةً مِنْ أَيِّ شَجَرٍ أَوْ زَرْعٍ، وَطِينًا رَغَوِيًّا مُزْلَقًا لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْأَقْدَامُ.

الصَّعِيدُ: وَجْهُ الْأَرْضِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَظْهَرُ كُلُّ وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَّا إِذَا زَالَ كُلُّ مَا فِيهَا مِنْ شَجَرٍ وَنَبَاتٍ.

الرَّلَقُ: الْمَكَانُ الْمَزْلَقَةُ الَّذِي لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ قَدَمٌ، بِسَبَبِ مَا فِيهِ مِنْ طِينٍ رَغَوِيٍّ.

• ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُمْ طَلَبًا﴾:

غَوْرٌ كُلُّ شَيْءٍ عُمُقُهُ، وَيُقَالُ لَغَةٍ: «مَاءٌ غَوْرٌ» أَي: مَاءٌ غَائِرٌ، عَلَى طَرِيقَةِ الْوَضْفِ بِالْمَصْدَرِ، وَالْمَاءُ الْغَائِرُ فِي عُمَقِ الْأَرْضِ قَدْ لَا يَسْتَطِيعُ النَّاسُ اسْتِخْرَاجَهُ.

طَلَبًا: أُطْلِقَ لَفْظُ الطَّلَبِ، وَأُرِيدَ الْغَايَةُ مِنْهُ، وَهُوَ تَحْصِيلُهُ، وَالْوُضُوءُ إِلَيْهِ وَاسْتِخْرَاجُهُ، وَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ السَّبَبِ الْمُعْبَّرِ عَنِ الْحَاجَةِ، الَّتِي تَدْفَعُ إِلَى اتِّخَاذِ سِلْسِلَةِ الْأَسْبَابِ، عَلَى الْمَطْلُوبِ الْغَائِيٍّ، وَهُوَ اسْتِخْرَاجُ الْمَاءِ وَالْحَصُولُ عَلَيْهِ فِي أَغْوَارِ الْأَرْضِ.

دَلَّتْ آيَاتُ هَذَا الْفَضْلِ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ الْمُسْلِمَ الدَّاعِيَةَ إِلَى اللَّهِ، قَدْ نَصَحَ صَاحِبَهُ الْمُفْتُونُ بِمَا لَدَيْهِ مِنْ أَمْوَالٍ وَأَوْلَادٍ يَنْصُرُونَهُ، نَصِيحَتَيْنِ كُبْرَتَيْنِ، تَشْتَمِلَانِ عَلَى عِدَّةٍ نَصَائِحَ فَرَعِيَّةٍ.



**النصيحة الأولى:** قَالَ لَهُ فِيهَا: هَلَّا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ذَاتَ الْجَنَاحَيْنِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ الَّذِي يَجْرِي وَسَطَهَا، قُلْتُ: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: أَي: هَذَا الَّذِي أَرَاهُ فِي جَنَّتِي هُوَ شَيْءٌ قَدْ شَاءَهُ اللَّهُ، فَهُوَ الَّذِي هَبَّأَ لِي الْأَسْبَابَ، وَهُوَ الَّذِي أَمَدَّنِي بِالْقُوَّةِ لَاتَّخَاذَهَا. إِنَّ الْقُوَّةَ الَّتِي اتَّخَذْتُ بِهَا أَسْبَابِي لَمْ تَكُنْ لِي إِلَّا بِخَلْقِ اللَّهِ، وَإِمْدَادِهِ، وَمَعُونَتِهِ، وَتَوْفِيقِهِ.

**النصيحة الثانية:** قَالَ لَهُ فِيهَا: إِنَّ تَفَاخُرَكَ عَلَيَّ بِكَثْرَةِ أَمْوَالِكَ وَأَوْلَادِكَ، تَفَاخُرٌ بِأَمْرِ غَيْرِ مَضْمُونِ الثَّبَاتِ وَالِدَوَامِ، فَمِنْ سُنَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عِبَادِهِ أَنَّهُ يُعْطِي وَيَمْنَعُ، لِيَمْتَحِنَ كُلًّا بِمَا آتَاهُ بِالشُّكْرِ أَوْ بِالصَّبْرِ وَالرِّضَا، وَمَنْ أَعْطَاهُ فِي حِينٍ مِنَ الدَّهْرِ رُبَّمَا سَلَبَهُ مَا كَانَ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ فِي حِينٍ آخَرَ، وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي حِينٍ مِنَ الدَّهْرِ، رُبَّمَا وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي حِينٍ آخَرَ.

فَلَا يَغُرَّنَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ الْآنَ، إِنَّهُ صُورَةٌ مِنْ صُورِ امْتِحَانِكَ، وَمِنْ الْمُمْكِنِ الَّذِي قَدْ يَحْضُلُ، أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ فَيُعْطِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْمُمْكِنِ أَيْضًا أَنْ يَسْلُبَكَ جَنَّتَكَ بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الْكُونِيَّةِ، الَّتِي نُشَاهِدُ أَمْثَالَهَا فِي صُرُوفِ الدَّهْرِ.

كَأَن يُرْسِلَ عَلَى جَنَّتِكَ نَوَازِلَ مِنَ السَّمَاءِ مُهْلِكَةً مُتْلِفَةً مُبِيدَةً، مُقَدَّرَةً بِحُسْبَانٍ دَقِيقٍ لَا تُصِيبُ غَيْرَ جَنَّتِكَ، كَلَفَحَاتِ صَقِيعٍ، أَوْ لَفَحَاتِ سَمُومٍ مُخْرِقَةٍ، أَوْ صَوَاعِقَ مُخْرِقَةٍ، أَوْ بَرْدٍ شَدِيدٍ مُحْطَمٍ، لَا يُبْقِي مِنَ الْجَنَّةِ شَيْئًا، فَتُضْبَحُ صَعِيدًا، أَرْضًا خَالِيَةً، مِنْ أَيِّ شَجَرٍ أَوْ نَبَاتٍ، قَدْ اخْتَلَطَ تَرَابُهَا وَنَبَاتُهَا بِمَا نَزَلَ عَلَيْهَا مِنْ بَرْدٍ وَتَلَجٍّ، فَتَصِيرُ زَلَقًا لَا تَثْبُتُ عَلَيْهَا الْأَقْدَامُ، كَمَا يَحْدُثُ أَحْيَانًا فِي بَعْضِ الْبَسَاتِينِ وَالْعَابَاتِ الَّتِي تَنْزِلُ عَلَيْهَا مُهْلِكَاتٌ مِنَ السَّمَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُشَاهَدٌ فِي صُرُوفِ الدَّهْرِ وَعُقُوبَاتِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ ..

وَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُضْبِحَ الْمَاءُ الْجَارِي الَّذِي تُسْقَى مِنْهُ جَنَّتُكَ مَاءً غُورًا، غَائِرًا فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ، وَلَا الْحُصُولَ عَلَيْهِ، وَإِذَا غَارَ الْمَاءُ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ وَأَنْتَ لَا تَمْلِكُ بَدَائِلَ لَهُ، يَبْسَ كُلُّ مَا فِي بُسْتَانِكَ الَّذِي تَفَاخِرُ بِهِ، وَتَزْعُمُ أَنَّهُ لَنْ يَبِيدَ أَبَدًا، فَكَمْ مِنْ مَاءٍ كَانَ نَهْرًا جَارِيًا، فَعَارَ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ، فَيَسَتْ الْأَشْجَارُ وَالزُّرُوعُ الَّتِي كَانَ يَسْقِيهَا.

أَلَيْسَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنَ الْاِخْتِمَالَاتِ الَّتِي تَكَرَّرَتْ نَظَائِرُهَا فِي صُرُوفِ الدَّهْرِ؟؟.

### موقف المغرور من هاتين النصيحتين:

لَكِنَّ الرَّجُلَ الْمُفْتُونَ الْمُعْتَمِدَ عَلَى أَسْبَابِهِ اسْتَمَرَّ مَغْرُورًا بِنَفْسِهِ، وَبِمَا يَمْلِكُ مِنْ أَسْبَابٍ، مَخْدُوعًا بِالظُّوَاهِرِ، غَيْرَ مُؤْمِنٍ بِأَنَّ مَا هُوَ فِيهِ قَدْ كَانَ بِعِطَاءِ اللَّهِ لَهُ، لِيَمْتَحِنَهُ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

## الفصل الثالث

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يُغْلِبُ كَفْتَهُ عَلَى مَا آفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلَيْنِنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ فِتْنَةً يَصُورُنَّ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾﴾:

مقدمة:

لقد شاء الله أَنْ يُعَاقِبَ الْمَغْرُورَ الْمُفْتُونَ بِأَسْبَابِهِ عِقَابَ تَأْدِيبٍ، لِيَرُدَّهُ إِلَى صَوَابِهِ، وَيُوقِظَهُ مِنْ غَفَوَاتِهِ، وَيُقَدِّمَ لَهُ مَا يُفْنِعُهُ بِالْجَزَاءِ الْمُؤَجَّلِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، فَأَرْسَلَ عَلَى جَنَّتِهِ حُسْبَانًا مِنَ الْمُتَلَفَاتِ أَحَاطَتْ بِكُلِّ ثَمَرِهِ فَاتْلَفَتْهُ، كَلْفَحَةٍ مِنَ الرِّيحِ الشَّدِيدَةِ الْبُرُودَةِ، الَّتِي تُحَوِّلُ الثَّمَرَاتِ وَأَوْرَاقَ

الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتِ إِلَى جَلِيدٍ مُتَلَفٍ مُهْلِكٍ، فَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الصَّقِيعَ يُتْلَفُ الثَّمَرِ وَأُورَاقُ الشَّجَرِ.

وَحِينَ أُنْتَفَ اللَّهُ لَهُ ثِمَارَ جَنَّتِهِ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ يَنْصُرُونَهُ، لَا أَوْلَادُهُ وَلَا خَدَمُهُ الَّذِينَ كَانَ يَعْتَزُّ بِهِمْ وَلَا غَيْرُهُمْ، وَمَا كَانَ هُوَ بِقُوَّتِهِ مُنْتَصِراً عَلَى مَقَادِيرِ اللَّهِ الْعِقَابِيَّةِ.

وَذَهَبَ الرَّجُلُ الْمَعْرُورُ الْمُفْتُونُ إِلَى جَنَّتِهِ صَبَاحاً كَعَادَتِهِ، فَوَجَدَ كُلَّ ثِمَارِهَا وَأُورَاقِهَا مُتَفَحِّمَةً بِالصَّقِيعِ، فَصَارَ يُقْلِبُ كَفِّهِ حَسْرَةً عَلَى مَا انْفَقَ مِنْ أَمْوَالٍ فِي إِعْمَارِ جَنَّتِهِ لَاسْتِثْمَارِهَا، وَرَأَاهَا خَاوِيَةً مِنَ الثَّمَارِ، مُتَسَاقِطَةً الْأَغْصَانِ وَالْعُرُوقِ عَلَى عُرُوشِهَا، فَقَدْ كَانَتْ ثِمَارُهَا مِنَ الْعِنَبِ فِي مَوْسِمِ قَطَافِهِ، وَمِنَ الْجِيدِ فِي أَشْجَارِ الْعِنَبِ أَنْ تُمَدَّدَ أَغْصَانُهَا عَلَى عُرُوشٍ، أَيْ: عَلَى أَخْشَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ بَيْنَهَا مَسَاحَاتٌ فَارِغَاتٌ، وَهِيَ مَرْفُوعَةٌ عَنِ الْأَرْضِ، حَتَّى تَتَدَلَّى عَنَاقِيدُ الْعِنَبِ مِنَ الْأَغْصَانِ، وَتَأْخُذَ الْأَغْصَانُ حَظَهَا الَّذِي تَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ، وَتَكُونُ مَحْمُولَةً عَلَى الْعُرُوشِ.

وَمِنْ عَادَةِ الرَّجُلِ الْعَاقِلِ الرَّزِينِ، الَّذِي يَتَحَسَّرُ عَلَى مَا فَقَدَ مِنْ أَمْوَالٍ، أَنْ يَضْرِبَ كَفَّ الْيَدِ الْيُمْنَى عَلَى كَفِّ الْيَدِ الْيُسْرَى، فَكَفَّ الْيَدِ الْيُسْرَى عَلَى كَفِّ الْيَدِ الْيُمْنَى بَعْدَ قَلْبِهِمَا، وَهَكَذَا بِالتَّابِعِ يُقْلِبُهُمَا، وَيَضْرِبُ الْعُلْيَا مِنْهُمَا عَلَى السُّفْلَى تَحْسُراً وَنَدَماً.

أَمَّا غَيْرُ الْعَاقِلِ الرَّزِينِ فَرُبَّمَا بَكَى وَصَاحَ وَضَرَبَ رَأْسَ نَفْسِهِ بِيَدِهِ، أَوْ بِشَيْءٍ يَرَاهُ قَرِيباً مِنْهُ.

وَاتَّعَظَ الرَّجُلُ بِمَا جَرَى لَهُ مِنْ عِقَابٍ تَأْدِيبِيٍّ، فَصَارَ يَقُولُ مُكْرَراً: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا، وَيُكْرَرُ حَرَكَةً تَحْسِرِهِ وَنَدَمِهِ بِتَقْلِيلِ كَفِّهِ وَضَرْبِ الْعُلْيَا مِنْهُمَا عَلَى السُّفْلَى.

وَكَانَتْ هَذِهِ الْعُقُوبَةُ الرَّبَّانِيَّةُ التَّأْدِيبِيَّةُ سَبَبَ تَحْلُصِهِ مِنَ الشُّرْكِ، وَسَبَبَ اسْتِمْسَاكِهِ بِالْإِيمَانِ الصَّحِيحِ الْكَامِلِ، وَرَجَعَتْهُ إِلَى رَبِّهِ تَائِباً مُنِيباً.

## التدبر التحليلي:

• ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾: جَاءَ الْفِعْلُ عَلَى صِيغَةِ الْمَبْنِيِّ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ إِبْجَازًا، لِلْعِلْمِ مِنَ السَّبَاقِ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي عَاقَبَهُ عِقَابَ التَّأْدِيبِ، فَأَرْسَلَ عَلَى جَنَّتِهِ مَا يُحِيطُ بِثَمَرِهَا مِنَ الْمُتَلَفَاتِ الْمَهْلِكَاتِ، فَأَتْلَفَتْهُ لَهُ.

• ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أُنْفِقَ فِيهَا﴾: دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ مُتَلَفَاتِ الثَّمَارِ نَزَلَتْ عَلَى جَنَّتِهِ لَيْلًا، فَأَتْلَفَتْهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَأَاهَا تَالِفَةً، فَصَارَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ تَحَسُّرًا وَنَدَمًا عَلَى مَا أُنْفِقَ فِي إِعْمَارِهَا مِنْ أَمْوَالٍ، وَجَهْدٍ مِنَ الْأَعْمَالِ.

• ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾: أَي: وَالْحَالُ أَنَّ جَنَّتَهُ خَاوِيَةٌ مِنْ ثَمَارِهَا، مُتَسَاقِطَةٌ الْأَغْصَانِ وَالْفُرُوعِ عَلَى عُرُوشِهَا، بِسَبَبِ مَا أَصَابَهَا مِنَ الصَّقِيعِ الَّذِي أَتْلَفَهَا فَأَفْقَدَهَا مَا فِيهَا مِنْ حَيَاةٍ تَنْهَضُ بِهَا مُتَسَامِيَةً فِي السَّمَاءِ.

• ﴿... وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّ أَحَدًا﴾ (٤٢): أَي: وَيَقُولُ مُكَرَّرًا أَخْذًا مِنْ دَلَالَةِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ.

• ﴿يَلَيْتَنِي﴾: الَّذِي تَرَجَّحَ لَدَيَّ أَنْ «مَا» فِي مِثْلِ هَذَا التَّعْبِيرِ هِيَ «يَا» الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي التَّذَنُّبِ، فَهُوَ يَنْدُبُ أُمْنِيَّةَ فَاتِنَتِهِ، وَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ تَدَارُكِهَا، وَهِيَ أُمْنِيَّةُ التَّوْبَةِ قَبْلَ نَزُولِ الْعِقَابِ.

• ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَصُورُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ (٤٣):

أَي: حِينَمَا نَزَلَ بِهِ الْعِقَابُ التَّأْدِيبِيُّ، لَمْ تَنْفَعَهُ أَوْلَادُهُ الَّذِينَ كَانَ يَفْتَخِرُ بِكَثْرَتِهِمْ عَلَى صَاحِبِهِ الْمُؤْمِنِ الْمُسْلِمِ النَّاصِحِ لَهُ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً تَحْمِيهِ مِنْ نَزُولِ عِقَابِ اللَّهِ فِي ثَمَرَاتِ جَنَّتِهِ، لِأَنَّ النَّاسَ مَهْمَا بَلَغَتْ قُوَاهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَحْمُوا أَنْفُسَهُمْ وَلَا غَيْرَهُمْ مِمَّا تَمَّ بِهِ تَقْدِيرُ اللَّهِ وَقَضَاؤُهُ، وَحَانَ وَقْتُ التَّنْفِيزِ.

وَلَمْ يَكُنْ هُوَ مُنْتَصِرًا لِنَفْسِهِ بِوَسَائِلِهِ وَأَسْبَابِهِ، فَقَضَاءُ اللَّهِ لَا يُعَانَدُ، وَعُقُوبَاتُهُ لَا تُرَدُّ.

## التعليقُ الختامي

جاء في خاتمة الدرس عَقَبَ الفُصولِ الثلاثة:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ ﴿٤٤﴾:

• ﴿هُنَالِكَ﴾: المشارُ إِلَيْهِ يَوْمُ الدِّينِ.

• ﴿الْوَلَايَةُ﴾: يَفْتَحِ الواوِ وَكَسْرُهَا، بِمَعْنَى الْمَلِكِ التَّامِ الَّذِي لَا تَسْتُرُهُ ظَوَاهِرُ سَبِيَّةٍ.

• ﴿لِلَّهِ الْحَقِّ﴾: أَي: لِلَّهِ الثَّابِتِ ذِي الْوُجُودِ الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ بِذَاتِهِ الَّذِي يَسْتَحِيلُ فِي الْعَقْلِ عَدَمُهُ.

• ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾: أَي: هُوَ خَيْرٌ عَطَاءِ ثَوَابٍ لِلْمُتَّقِينَ وَالْأَبْرَارِ وَالْمُحْسِنِينَ، مِنْ كُلِّ مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَتَاعٍ يَسُرُّ وَيَعُورُ، وَمَا يَعْقِبُهُ لَهُمْ خَيْرٌ عَاقِبَةً.

العُقْبُ. وَالْعُقْبُ: بِإِسْكَانِ الْقَافِ وَضَمِّهَا، الْعَاقِبَةُ.

جَاءَ هَذَا الْخَتَامُ تَعْلِيْقًا عَلَى الظَّوَاهِرِ السَّبِيَّةِ الَّتِي رَبَّهَا اللَّهُ فِي كَوْنِهِ لِنِظَامِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حَيَاةِ الْامْتِحَانِ، وَمُبَيَّنًا أَنَّهَا لَنْ يَكُونَ لَهَا وُجُودٌ يَوْمَ الدِّينِ، فِي الْحَيَاةِ الْأُخْرَى، بَلْ سَتَكُونُ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ كُلُّهَا ظَاهِرًا وَبَاطِنًا لِلَّهِ الْحَقِّ وَخَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَا فِي الظَّاهِرِ وَلَا فِي الْبَاطِنِ، وَهُوَ خَيْرٌ عَطَاءِ ثَوَابٍ، وَخَيْرٌ مَانِحٍ عَاقِبَةٍ حَسَنَةٍ.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الرَّابِعِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْكَهْفِ).

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٩)

## التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (الكهف) الآيات من (٤٥ - ٥٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَأَضْرَبَ لَهم مَثَلًا الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْدِرًا ﴿٤٥﴾ أَمْأَلُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلُنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَسْحَدُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ وَهم لَكُمْ عَدُوٌّ يَبْسُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾

القراءات:

(٤٧) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: [نُسَيِّرُ الْجِبَالَ] بالمبني لما لم يُسمَّ فاعله.

وقراها باقي القراء العشرة: [نُسَيِّرُ الْجِبَالَ] بضمير المتكلم العظيم.

(٥٠) • قرأ أبو جعفر: [لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا] بضم تاء «لِلْمَلَائِكَةِ» اتباعاً لجيم «اسْجُدُوا» وقرأها باقي القراء العشرة: [لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا] على الأصل.

(٥٠) • قرأ ورش، والسوسي، وأبو جعفر: [بِيسَ] بإبدال الهمزة

ياء.

وكذلك حمزة في الوقف .

وقراها باقي القراء العشرة : [يُس].

تمهيد :

في آيات هذا الدرس بيان إقناعي بشأن الحياة الدنيا ونهايتها ، مع وصف بعض أحداث القيامة ويوم الدين .

التدبر التحليلي :

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَاباً لِرَسُولِهِ فَلِكُلِّ دَاعٍ إِلَى دِينِ اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ :

● ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴿٤٥﴾﴾ :

بِمُنَاسَبَةِ مَا جَاءَ فِي الدَّرْسِ الرَّابِعِ بِشَأْنِ الرَّجُلَيْنِ الْمُتَحَاوِرَيْنِ ، وَاعْتِرَازِ الَّذِي كَانَ كَافِرًا قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

وَلَمَّا كَانَتْ عِلَّةُ مُعْظَمِ الْكَافِرِينَ اعْتِرَازُهُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَمَا فِيهَا مِنْ زِينَةٍ وَمَتَاعَاتٍ مُحِبَّاتٍ لِنَفُوسِ النَّاسِ ، وَمِنْهُمْ الْمُتَمَسِّكُونَ بِشُرَكَهُمْ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ .

كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي عِلَاجِهِمُ الْإِقْنَاعِي تَشْبِيهِ ظُرُوفِ كُلِّ هَذِهِ الْحَيَاةِ الْأُولَى ، وَكُلِّ مَا يَتَّصِلُ بِهَا مِنْ مَكَانٍ وَنِظَامٍ وَتَصَارِيفٍ وَأَحْدَاثٍ ، بِمَوْسِمِ الْمَوَاسِمِ الزَّرَاعِيَّةِ الْمُتَكَرِّرَةِ فِيهَا ، إِذْ تَنْبُتُ الزَّرُوعُ وَتَخْرُجُ الشُّمَارُ ، وَتَزْدَهَرُ الْأَرْضُ وَتَتَزَيَّنُ بِمَا يَخْرُجُ فِيهَا مِنْ زِينَاتٍ وَكُلِّ شَيْءٍ بِهِيجٍ ، ثُمَّ يَنْتَهِي بِالْأَضْفَرَارِ وَالْيُبْسِ وَالتَّكْسُرِ ، وَتَأْتِيهِ رِيَّاحٌ فَتَنْسِفُهُ ، وَتَذْرُوهُ ، فَلَا تَبْقَى لَهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي نَبَتَ فِيهِ أَثَرًا .

● ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ : أَضْلُ مَعْنَى الضَّرْبِ إِلْصَاقُ شَيْءٍ

بَشِيءٍ بِقُوَّةٍ وَعُنْفٍ، وَمِنْهُ ضَرْبُ صَفَائِحِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، لِيَجْعَلَهَا دَنَائِيرَ  
وَدَرَاهِمَ مَقْسَمَةً، وَمَخْفُوراً عَلَيْهَا الْخُطُوطُ وَالرُّسُومُ الَّتِي وَضِعَتْ لَهَا.

وَحَصَلَ تَوْسُّعٌ فِي مَعْنَى الضَّرْبِ هَذَا، فَصَارَ يُسْتَعْمَلُ فِي ضَرْبِ  
الْمَثَلِ، بِمَعْنَى ذِكْرِ شَيْءٍ الْمُمَثِّلِ لَهُ.

أي: واذكُرْ للكافرين شَيْءَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِكُلِّ طُرُوفِهَا، أَوْ وَصَفِ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

لَمَّا قَضَى اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - فِي تَدْبِيرِهِ لِكَوْنِهِ، أَنْ يَجْعَلَ  
لِلْأَحْيَاءِ الْعُلْيَا فِيهِ حَيَاتَيْنِ، وَأَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ فِي كُلِّ مِنْهُمَا أَلْوَاناً وَطُرُوفاً  
ثَلَاثِمُ الْعَايَةِ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا، وَمِنَ الْأَحْيَاءِ الْعُلْيَا الْإِنْسُ وَالْجِنُّ، وَجَعَلَ اللَّهُ  
الْحَيَاةَ الْأُولَى لَابْتِلَاءِ الْمُؤَهَّلِينَ لِلَامْتِحَانِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَجَعَلَ الْحَيَاةَ  
الْأُخْرَى لِلْحِسَابِ، وَفَضَّلَ الْقَضَاءَ، وَتَنْفِيزَ الْجَزَاءِ.

وَسَمَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْحَيَاةَ الْأُولَى بِاسْمِ «الْحَيَاةِ الدُّنْيَا».  
وَسَمَّى الْحَيَاةَ الثَّانِيَةَ بِاسْمِ: «الْأُخْرَى».

الدُّنْيَا: مَوْتٌ «الْأَدْنَى» بِمَعْنَى «الْأَقْرَبُ» مِنْ فِعْلِ: «دَنَا مِنْهُ، وَإِلَيْهِ،  
وَلَهُ، يَدْنُو» أَي: قَرَبَ، يَقْرُبُ.

وجاء إطلاق اسم «الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» على الْحَيَاةِ الْأُولَى، لِأَنَّهَا هِيَ  
الْحَيَاةُ الْمُلْتَصِقَةُ بِالْأَحْيَاءِ فِيهَا، يُبَاشِرُونَهَا زَمَناً قَرَمَناً مَا دَامُوا أَحْيَاءَ فِيهَا،  
فَهِىَ الْأَقْرَبُ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِمْ، وَهِيَ الْأَدْنَى لَهُمْ.

أَمَّا الْحَيَاةُ الْأُخْرَى فَهِىَ آتِيَةٌ لَا مَحَالَهَ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ، فَهِىَ قَرِيبَةٌ  
بِوَجْهِ عَامٍّ وَلَيْسَتْ الْأَقْرَبُ.

أَمَّا الْمُشَبَّهُ بِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَقَدْ جَاءَ فِيهِ ذِكْرُ فَقَرَاتٍ ظَاهِرَاتٍ مِنْهُ،  
وَقَبْلَ هَذِهِ الْفَقَرَاتِ وَبَيْنَهَا وَبَعْدَهَا مَطْوِيَّاتٌ كَثِيرَاتٌ مُكْمَلَاتٌ لِصُورَةِ  
الْمُؤَسِّمِ الزَّرَاعِيِّ الْمُشَبَّهِ بِهِ.



الفقرة الأولى: وَهِيَ فِقْرَةٌ مُتَوَسِّطَةٌ مِنْ فِقرَاتٍ جُمْلَةً أَخْدَاثِ المِمثَلِ  
به، قَبْلَهَا مَطْوِيَّاتٌ وَبَعْدَهَا مَطْوِيَّاتٌ، دَلٌّ عَلَيْهَا، قول الله تعالى:

• ﴿كَلَّمَ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: أي: كَأَرْضٍ صَالِحَةٍ لِلنَّبَاتِ، فِيهَا بَزُورُ  
نَبَاتَاتٍ مُنْبِتَاتٍ فِي ثُرَاتِهَا، أَنْزَلَ الرَّبُّ الْجَلِيلُ الْعَظِيمُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِ قُدْرَتِهِ  
وَسَامِي حِكْمَتِهِ مِنَ السَّمَاءِ (أي: مِنَ السَّحَابِ، فَكُلُّ مَا عَلَا فَأَظْلَ فَهُوَ فِي  
اللُّغَةِ سَمَاءٌ) مَاءٌ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَاءٌ ثُمَّ تَبَخَّرَ فَتَجَمَّعَ فَصَارَ سَحَابًا، ثُمَّ  
أَنْزَلَهُ اللَّهُ مَاءً طَهُورًا.

الفقرة الثانية: وَهِيَ فِقْرَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفِقْرَةِ السَّابِقَةِ مَطْوِيَّاتٌ، وَبَعْدَهَا  
مَطْوِيَّاتٌ، دَلٌّ عَلَيْهَا قول الله تعالى:

• ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾:

أي: فَصَارَ ثُرَابُ الْأَرْضِ مُبْلَلًا بِالمَاءِ، فَاثْمَصَتْ مِنْهُ وَمِنْ عَنَاصِرِ  
ثُرَابِ الْأَرْضِ الْبُزُورُ الْمُنْبِتَةُ فِي الْأَرْضِ، فَأَنْبَتَهَا اللَّهُ وَأَخْرَجَهَا اللَّهُ نَبَاتَاتٍ  
مُخْتَلِفَاتِ الْأَجْنَاسِ، وَالْأَنْوَاعِ، وَالْأَصْنَافِ، وَقَدْ اخْتَلَطَتْ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ  
وَقَضَائِهِ وَخَلْقِهِ المِياهُ وَالْعَنَاصِرُ دَاخِلَ النَّبَاتَاتِ مُتَنَامِيَةً، بِدِيعَةٍ بِهِجَةٍ ذَاتِ  
ثَمَرَاتٍ.

الاختِلَاطُ: انضِمَامُ الْأَشْيَاءِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، يُقَالُ لُغَةً: «اخْتَلَطَ  
الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ» أي: انضَمَّ إِلَيْهِ، وَهَذَا الْاِخْتِلَاطُ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ اللَّقَاءِ  
فَقَطْ، كَاِخْتِلَاطِ الْقَطِيعِ بِالْقَطِيعِ. وَيَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْاِمْتِزَاجِ وَاتِّحَادِ  
الذَّرَاتِ اِتِّحَادًا كِيمِيائيًا، تَخْتَلِفُ بِهِ صِفَاتُ الذَّرَاتِ الْمُتَّحِدَاتِ عَمَّا كَانَتْ  
عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَكُلٌّ مِنَ الْأُمُورِ يَحْدُثُ فِي اخْتِلَاطِ المَاءِ بِنَبَاتِ الْأَرْضِ،  
وَفَقَّ نِظَامِ الْخَلْقِ الرَّبَّانِيِّ لِلنَّبَاتَاتِ.

الفقرة الثالثة: وَهِيَ فِقْرَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفِقْرَةِ الثَّانِيَةِ مَطْوِيَّاتٌ كَثِيرَاتٌ،  
وَجَاءَتْ هِيَ الْأَخِيرَةُ فِي ضَرْبِ المِثْلِ لِأَنَّهَا الْمُقْصُودُ الْأَكْبَرُ مِنْ ضَرْبِ

المثل، إِذْ تُشِبِّهُهَا الْمَرْحَلَةُ الْأَخِيرَةُ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى؛

• ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾: أي: وَبَعْدَ فَضْلِ اسْتِمْتَعَ النَّاسُ فِيهِ بَنَاتِ الْأَرْضِ وَثَمَرَاتِهِ اسْتِمْتَاعًا حَسَنًا، وَابْتَهَجُوا بِهِ ابْتِهَاجًا سَارًا مُفْرَجًا، صَارَ مَا كَانَ يُزَيِّنُ الْأَرْضَ بِالرَّوْنَقِ، وَيَجْعَلُهَا مَلِيئَةً بِالْخُضْرَةِ وَالنُّصْرَةِ وَالْخَيْرَاتِ الْحَسَنِ، هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ.

الْهَشِيم: مَا يَسِرُ مِنَ النَّبَاتِ وَتَكَسَّرَ تَكَسَّرًا يَجْعَلُ الرِّيحَ تَنْسِفُهُ فَلَا تَبْقَى لَهُ فِي مَوَاضِعِهِ أَثَرًا.

تَذْرُوهُ: أي: تَبَثُّهُ وَتَنْشُرُهُ، يُقَالُ لَغَةً: «ذَرَتِ الرِّيحُ الثَّرَابَ، تَذْرُوهُ ذَرَوًا» أي: أَطَارَتْهُ وَفَرَّقَتْهُ.

وهذا مثال الْمَرْحَلَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ كُلِّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَظَائِمِهَا وَأَوْضَاعِهَا.

وَلَمَّا كَانَ كُلُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الوجودِ خَاضِعًا لِسُلْطَانِ اللَّهِ وَتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ وَخَلْقِهِ بِقُدْرَتِهِ خَتَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ:

• ﴿... وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ (٤٥): أي: وَاللَّهُ فِي الْكَيْنُونَةِ الدَّائِمَةِ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ مُقْتَدِرٌ عَلَى فِعْلِ وَخَلْقِ وَإِيجَادِ وَإِعْدَامِ كُلِّ شَيْءٍ يَشَاءُهُ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ ..

الْمُقْتَدِر: أي: ذُو الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَفْعَلُ بِهَا مَا شَاءَ. وهذا اللفظ اسمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى.

وَفِي هَذَا الْخِتَامِ تَذْكِيرٌ بِبَعْضِ عَنَاصِرِ الْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَمَا جَاءَ قَبْلَهُ فِي الْبَيَانِ فَرُعٌ مِنْ فُرُوعِ هَذَا الْعُنْصُرِ الْعَظِيمِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

● ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٤٦):

وَبِمُنَاسَبَةِ قَوْلِ الْمَحَاوِرِ لِمُصَاحِبِهِ الدَّاعِيَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الَّذِي سَبَقَ بَيَانُهُ فِي الدَّرْسِ الرَّابِعِ السَّابِقِ: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ اغْتِرَارًا بِأَمْوَالِهِ وَأَوْلَادِهِ وَأَنْصَارِهِ، جَاءَ هَذَا الْبَيَانُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (٤٦) مُبَيِّنًا أَنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ بِفَنَائِهَا، وَأَنَّ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ الْمُرْصِيَّاتِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هِيَ ذَاتُ الْأَثَارِ الْبَاقِيَّاتِ الْمُسْعِدَاتِ لِفَاعِلِهَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الدِّينِ، ثَوَابًا مِنْهُ بِحَسَبِ وَعْدِهِ الْكَرِيمِ، وَأَمَلًا وَفَقَ ذَلِكَ يَظْمَعُ بَنِيْلِهِ السَّابِقُونَ فِي الْعَمَلِ بِمَرَاضِي رَبِّهِمْ جَلَّ جَلَالُهُ، وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ وَفَضْلَهُ وَجُودَهُ.

● ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: أَي: الْمَالُ الْكَثِيرُ الْوَفِيرُ، وَالْبَنُونَ الْكَثِيرُونَ، زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْعُظْمَى، الَّتِي يَشْتَرِكُ فِي طَلَبِهَا وَتَمْنِيهَا مُحِبُّو هَذِهِ الْحَيَاةِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ وَشِرَائِحِهَا الْاجْتِمَاعِيَّةِ.

الزينة: كُلُّ مَا يُتَزَيَّنُ بِهِ، مِمَّا تَسْتَحْسِنُهُ النَّفُوسُ، أَوْ تُحِبُّهُ أَوْ تَشْتَهِيهِ، وَهِيَ شَيْءٌ زَائِدٌ عَلَى مَطَالِبِ الْجَسَدِ وَالنَّفْسِ الْضَرُورِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ.

● ... ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٤٦):

إِنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي يَكْسِبُهَا الْمُتَمَتِّحُونَ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كُلِّهَا بَاقِيَّاتُ الْأَثَرِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَهِيَ قِسْمَانِ: صَالِحَاتٌ، وَسَيِّئَاتٌ، فَالْصَّالِحَاتُ تَسْتَحِقُّ الْجَزَاءَ بِالشَّوَابِ بِفَضْلِ اللَّهِ وَوَعْدِهِ الْكَرِيمِ، وَالسَّيِّئَاتُ تَسْتَحِقُّ الْجَزَاءَ بِالْعِقَابِ بِعَدْلِ اللَّهِ، وَقَدْ يَتَفَضَّلُ اللَّهُ بِالْغُفْرَانِ أَوْ الْعَفْوِ عَنْ بَعْضِهَا.

فَالْأَعْمَالُ الْبَاقِيَّاتُ الْأَثَرِ، الْمُضَوَّفَةُ بِأَنَّهَا صَالِحَاتٌ لِأَنَّهَا مُحَقَّقَاتٌ

لِمَرْضَاةِ اللَّهِ، هِيَ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي ثَوَاباً مِنْ كُلِّ مَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِمَّا هُوَ زِينَةٌ لَهَا. وَهِيَ خَيْرٌ أَيْضاً أَمَلًا.

الْأَمَلُ: الرَّجَاءُ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ هَذَا اللَّفْظُ فِي الْمَرْغُوبِ فِيهِ الْمُسْتَبْعَدِ الْحَصُولِ عَلَيْهِ.

أي: وَبِمَا أَنَّ النَّاسَ يَشْتَدُّ حِرْصُهُمْ عَلَى وَفَرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ، لِمَا يَأْمُلُونَهُ مِنْ خَيْرِ دُنْيَوِي يَأْتِيهِمْ مِنْهُمَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ: ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: وَهِيَ خَيْرٌ لِتَحْقِيقِ مَرْغُوبٍ فِيهِ مُسْتَبْعَدِ الْحَصُولِ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي عَرْضِ لَقَطَاتٍ مِنْ أَحْدَاثِ انْتِهَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَحْدَاثِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، اسْتَدْعَتْهَا الْمُنَاسَبَةُ، مُتَحَدِّثًا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۖ ﴿٤٨﴾﴾:

• ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾: أي: وَضَعُ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي أَيًّا كُنْتَ، أَنَّنَا سَنُسَيِّرُ الْجِبَالَ فِي زَمَنِ قَادِمٍ مِنَ الْأَزْمَانِ، هُوَ زَمَنُ قِيَامِ سَاعَةِ انْتِهَاءِ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا<sup>(١)</sup>.

وَالْمُرَادُ بِتَسْيِيرِ الْجِبَالِ إِزَالَتُهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا مِنَ الْأَرْضِ، وَإِلْغَاءِ وُجُودِهَا مَنْصُوبَةً فَوْقَ سَطُوحِ الْأَرْضِ، حَتَّى تَصِيرَ الْأَرْضُ قَاعًا صَفْصَفًا مُسْتَوِيًا، لَا عَوَجَ فِيهِ وَلَا اِرْتِفَاعَاتٍ وَانْخِفَاضَاتٍ.

(١) سبق لدى تدبر سورة (المرسلات/ ٣٣ نزول) بحث عن الجبال وما سيجري فيها من تغيرات، وهي (١١) مَرَحَلَةً، مِنْهَا التَّسْيِيرُ.

• ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: أي: وَتَرَى الْأَرْضَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي إِنَّ كُنْتَ مِمَّنْ يَرَى يَوْمَئِذٍ الْأَرْضَ كُلُّهَا بَارِزَةً ظَاهِرَةً لَا شَيْءَ يَحْجُبُ شَيْئًا مِنْ سَطْحِهَا، وَلَا شَيْءَ يَسْتُرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ بُيُوتٍ أَوْ نَبَاتٍ.

الْأَرْضُ الْبَرَّازُ: هِيَ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ الْوَاسِعَةُ الْخَالِيَةُ مِنْ كُلِّ سَائِرٍ لَهَا.

• ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾: أي: وَحَشَرْنَا الْخَلَائِقَ الَّذِينَ بَعَثْنَاهُمْ أَحْيَاءَ بَعْدَ بَرَزَخِ الْمَوْتِ.

الحشر: الجَمْعُ، والسَّوْقُ.

• ﴿... فَلَمْ تَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٤٧): أي: فَلَمْ نَتْرِكْ مِنْهُمْ أَحَدًا لَمْ نَجْمَعْهُ وَلَمْ نَسْقِهِ، لِيَقِفَ فِي الْمَوْقِفِ الْخَاصِّ لِلْعَرْضِ عَلَيْنَا.

• ﴿وَعَرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ (٤٨):

أي: وَعَرِضَ مَنْ حَشَرْنَاهُمْ بَعْدَ الْبَعْثِ عَلَى رَبِّكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِبَيَانِنَا فِي كِتَابِنَا، حَالَةَ كَوْنِهِمْ مَضْفُوفِينَ صَفًّا.

الصَّف: الْقَوْمُ الْمُصْطَفُونَ الْمُتَنَظِّمُونَ كَالسَّطْرِ الْمُسْتَقِيمِ، وَلَفْظُ «صَفًّا» مَصْدَرٌ فِعْلٌ «صَفَّ» بِمَعْنَى انْتَضَمَ عَلَى سَطْرٍ، وَهَذَا الْمَصْدَرُ صَالِحٌ لِأَنْ يُطْلَقَ عَلَى صَفٍّ وَاحِدٍ، وَأَنْ يُطْلَقَ عَلَى صُفُوفٍ، لِأَنَّ مَعْنَى الْإِنْتِظَامِ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَعْرُوضِينَ يَكُونُونَ صُفُوفًا بِحَسَبِ أَحْوَالِ وَصِفَاتِ كُلِّ صَفٍّ مِنْهُمْ.

وَحِينَ يَأْتِي عَرْضُ صُفُوفِ الَّذِينَ كَانُوا لَا يُؤْمِنُونَ بِالْبَعْثِ وَيَوْمِ الدِّينِ وَالْحَيَاةِ الْآخِرَى لِلْحِسَابِ، وَفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَالْجَزَاءِ، يَقُولُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ:

• ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾:

لَقَدْ كَانَ مِنْكُمْ وَالْآخِرَةِ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ فِي الدُّنْيَا، يُجَادِلُونَ فِي نَبَأِ الْبُعْثِ وَالْآخِرَةِ، وَيَجْحَدُونَ اسْتِيعَادًا دُونَ دَلِيلٍ تَقْبَلُهُ الْعُقُولُ.

(١) فقال قائلهم كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (يس/ ٤١ نزول):

• ﴿... مَنْ يُحْيِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨).

فَجَاءَ الْجَوَابُ الرَّبَّانِي:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩).

(٢) وقال قائلون مِنْهُمْ كَمَا جَاءَ فِي سُورَةِ (الإِسْرَاءُ/ ٥٠ نزول):

• ﴿وَقَالُوا أَوَآدَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفُنَا أَوَآدَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٤١) ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (٥٠).

(٣) وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الْبُرْهَانِيَّةَ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

فِي سُورَةِ (الْأَنْبِيَاءُ/ ٧٣ نزول):

• ﴿... كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١١٤).

(٤) وَأَبَانَ تَقْدِيرَهُ وَقَضَاءَهُ فِيهَا بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الرُّومُ/ ٨٤

نزول):

• ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى

فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٧٧).

فَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَوْقِفِ الْعَرَضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِلَّذِينَ كَانُوا

يُنْكِرُونَ الْبُعْثَ وَالْدَّارَ الْآخِرَةَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا اسْتِيعَادًا وَاسْتِغْرَابًا:

• ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾:

فِيهِ تَذَكِيرٌ لَهُمْ بِالْحُجَّةِ الْبُرْهَانِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُقَالُ لَهُمْ فِي كِتَابِ رَبِّهِمْ، وَعَلَى لِسَانِ رُسُلِهِ، فَلَا يَعْبُوْنَ بِهَا وَيُصِرُّوْنَ عَلَى كُفْرِهِمْ، فَهَلْ بَعْدَ إِحْيَائِهِمْ وَعَرْضِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ يَوْمَ الدِّينِ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُنْكِرُوا وَاقِعَهُمْ.

والمعنى: لَقَدْ بَعَثْنَاكُمْ، وَخَلَقْنَاكُمْ خَلْقًا جَدِيدًا، بَعْدَ أَنْ أَمْتَنَّاكُمْ وَأَفْنَيْنَا أَجْسَادَكُمْ، إِلَّا نَوَآةَ صُغْرَى فِي عَجَبِ ذَنْبِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، وَأَحْضَرْنَاكُمْ فَجِئْتُمْ إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَيْنَا بِالتَّكْوِينِ الْجَبْرِيِّ.

وَكَانَ خَلْقُنَا الثَّانِي هَذَا لَكُمْ مُمَاطِلًا لِخَلْقِنَا لَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ.

• ﴿... بَلْ زَعَمْتَ أَنَّ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ (٤٨):

أَي: لَمْ تَكُونُوا تُصَدِّقُونَ أَنْبَاءَ الْبَعْثِ وَأَحْدَاثَ يَوْمِ الدِّينِ، وَلَمْ تَكُونُوا تَقْبَلُونَ الْحُجَجَ الْبُرْهَانِيَّةَ عَلَيْهَا، بَلْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ تَوَهُّمًا وَإِيهَامًا أَنَّ لَنْ نَخْلُقَكُمْ خَلْقًا جَدِيدًا، وَلَنْ نُحَاسِبَكُمْ عَلَى مَا قَدَّمْتُمْ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِكُمْ، وَنَقْصِلَ الْقَضَاءَ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ نُجَازِيَكُمْ بِحَسَبِ أَحْكَامِنَا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، فِي مَوْعِدِ زَمَانِيٍّ وَمَكَانِيٍّ نَحْدُدُهُ لَكُمْ.

الْمَوْعِدُ: هُنَا يُرَادُ بِهِ زَمَانُ الْوَعْدِ، وَمَكَانُهُ، أَطْلُقَ الْمَوْعِدُ عَلَى سَبِيلِ الْكِتَابَةِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى سَوَابِقِهِ مِنْ بَعْثٍ وَحَشْرِ وَعَرْضٍ، وَعَلَى مَا يَكُونُ فِيهِ، وَعَلَى مَا يَتَّبِعُ سِلْسِلَةَ الْأَحْدَاثِ مِنْ تَنْفِيذِ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ فِي الْعِبَادِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا:

• ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩):

هَذَا مَشْهَدٌ مِنْ مَشَاهِدِ مَوْقِفِ الْحِسَابِ يَوْمَ الدِّينِ، يَحْصُلُ بَعْدَ الْعَرْضِ الَّذِي سَبَقَ بَيَانُهُ فِي الْآيَةِ (٤٨) وَيُظْهَرُ أَنَّهُ خَاصٌّ بِالْكَافِرِينَ، لِأَنَّهُمْ

هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: ﴿يَوَلَّلْنَا﴾ نَادِيَيْنَ مُتَحَسِّرِينَ، نَادِمِينَ عَلَى مَا أَسْلَفُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ كُفْرٍ وَعِصْيَانٍ، وَبَغْيٍ وَطُغْيَانٍ.

جاء في القرآن المجيد بالنسبة إلى صُحُفِ أَعْمَالِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ مَوْضُوعِينَ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ عِدَّةُ نُصُوصٍ:

(١) قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (التَّكْوِيْرِ/ ٨١ مصحف/ ٧ نزول).

• ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرتْ ﴿١٠﴾﴾:

أي: وَرُعِتْ عَلَيْهِمْ تَوْزِيْعاً إِفْرَادِيًّا، حَتَّى تَكُونَ فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ صَحِيفَةٌ أَعْمَالِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ، وَسُمِّيَتْ فِي هَذَا النَّصِّ صُحُفًا، وَفِي النُّصُوصِ الْآخَرَى كُتُبًا، وَالْمُؤَدَّى وَاحِدٌ، وَلَعَلَّ الصُّحُفَ مُلَخَّصَاتُ مَا فِي الْكُتُبِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْإِسْرَاءِ/ ١٧ مصحف/ ٥٠ نزول):

• ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

وَهَذَا النَّصُّ يَدُلُّ بِظَاهِرِهِ عَلَى أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ كَانَ مَوْضُوعًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، يُوزَعُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ الَّذِي سُجِّلَتْ فِيهِ أَعْمَالُهُ الْإِرَادِيَّةُ الَّتِي يُحَاسَبُ عَلَيْهَا يَوْمَ الدِّينِ فِي الْمَحْكَمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ.

(٣) وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْحَاقَّةِ/ ٦٩ مصحف/ ٧٨ نزول)

فِي وَصْفِ بَعْضِ أَحْدَاثِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ خُطَابًا لِلنَّاسِ:

﴿يَوْمَئِذٍ نَعْرِضُونَ لَا تُخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿٧٨﴾﴾ فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابُهُ بِسَمِيهِ فَيَقُولُ هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابَكُمْ ﴿٧٩﴾﴾ إِنِّي طَلَعْتُ آتَى مُلْكِي حِسَابِي ﴿٢٠﴾﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٧٧﴾﴾ قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابُهُ بِسَمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَرَأَيْتُ كِتَابَكُمْ ﴿٢٥﴾﴾ وَلَرَأَيْتُ مَا



حِسَابِهِ ﴿٢٦﴾ يَلْتَمِتْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ﴿٢٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ .

وهَذَا النَّصُّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَسْوُوقٍ لِلْعَرْضِ عَلَى اللَّهِ، وَالْوُقُوفِ فِي الْمَحْكَمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ يَوْمَ الدِّينِ، يُؤْتَى كِتَابَ أَعْمَالِهِ .

فَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَكُونُونَ مَصِيرُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَوْ بَعْدَ أَنْ يَنَالُوا مَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ عَذَابٍ عَلَى مَعَاصِيهِمْ، يُؤْتَوْنَ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ بِإِيمَانِهِمْ .

وَالَّذِينَ سَيَكُونُونَ مَصِيرُهُمْ إِلَى الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ لِكُفْرِهِمْ، يُؤْتَوْنَ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ بِشَمَائِلِهِمْ .

بقي ما جاء في سورة (الكهف/ ٦٩) الجاري تدبرها وهو قول الله تعالى:

• ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُنْزِلُنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ﴿٦٩﴾ :

التَّفَكُّرُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِتَأْمُلٍ وَأَنَاءٍ يَهْدِي إِلَى أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ كِتَابٌ يَخْتَصُّ بِعُمُومِ الْمَكْذِبِينَ الْكُفْرَةَ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ عِنْدَ عَرْضِهِمْ عَلَيْهِ صَفًّا .

• ﴿... لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ ﴿٧٠﴾ .

وَأَنَّهُ بِمَثَابَةِ لَوْحٍ كَبِيرٍ يُعْرَضُ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا عَرْضًا مُتَتَابِعًا، فَيَرَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُجْرِمِينَ فِيهِ تَارِيخٌ ذَاتِهِ عَنْ رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بِالصُّورَةِ وَالصُّوَرِ وَحَرَكَاتِ النَّفْسِ، وَخَوَاطِرِ الْفِكْرِ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِنْ عَقَائِدَ وَنِيَّاتٍ وَرَغَبَاتٍ وَإِرَادَاتٍ شَرٍّ أَوْ خَيْرٍ .

• ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ : أَي: وَوُضِعَ الْكِتَابُ الْعَامُّ الشَّامِلُ لِتَارِيخِ حَيَاةِ

الْمُجْرِمِينَ، أَمَامَهُمْ لِيشَاهِدُوهُ، وَقَدْ يَكُونُ مُقَسَّمًا إِلَى لَوْحَاتٍ، حَتَّى يَسْهَلَ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ أَنْ يَشْهَدَ اللُّوحَةَ الْخَاصَّةَ بِهِ، وَلَوْحَاتٍ مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَعْرِفَ لَوْحَاتِ تَارِيخِ أَعْمَالِهِمُ الْإِرَادِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ.

• ﴿فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾: أي: فَيَكُونُ الْكَفَرَةُ الْمُجْرِمُونَ خَائِفِينَ مِنَ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِمَا فِيهِ مِنْ أَعْمَالٍ إِجْرَامِيَّةٍ، يَسْتَحِقُّونَ عَلَيْهَا الْخُلُودَ فِي عَذَابِ النَّارِ، وَإِنْ كُنْتَ أَيُّهَا الْمَتَلَفِيُّ مِمَّنْ يَرَى هَذَا الْحَدَثَ فَإِنَّكَ سَوْفَ تَرَى مَا نَحْدُثُكَ بِهِ رُؤْيَا عَيْنٍ، فَهُوَ حَقٌّ.

• ﴿وَيَقُولُونَ﴾: بِصِفَةِ إِفْرَادِيَّةٍ، وَقَدْ يَكُونُ بِصِفَةِ جَمَاعِيَّةٍ أَيْضًا مِنْ قَبْلِ بَعْضِ الزَّمَرِ.

• ﴿يَوَلِّنَا﴾: أي: يَا مُصِيبَتِنَا الْعَظِيمَةَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ الْخَالِدِ الَّذِي سَنَلْقَاهُ فِي جَهَنَّمَ، نُذْبَةً وَتَحْشُرًا وَتَفْجَعًا وَنَدَمًا، هَذَا مَا رَأَيْتُهُ فِي مِثْلِ هَذَا التعبيرِ، الْوَيْلُ: فِي اللُّغَةِ كَلِمَةُ عَذَابٍ.

• ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾:

«مَا» اسم استفهام، مُسْتَعْمَلٌ هُنَا بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ، وَاللَّامُ بِمَعْنَى الْاِخْتِصَاصِ.

أي: مَا هِيَ الصِّفَاتُ الْعَظِيمَةُ الْمُثِيرَةُ لِأَشَدِّ الْعَجَبِ، الَّتِي لِهَذَا الْكِتَابِ الرَّبَّانِيِّ الْعَجِيبِ، إِذْ كَانَ لَا يَتْرُكُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً مِنْ أَعْمَالِنَا إِلَّا سَجَّلَهَا بِإِحْصَاءٍ شَامِلٍ لِلظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ.

لَا يُغَادِرُ: أي: لَا يَتْرُكُ. يَقَالُ لُغَةً: «غَادَرَهُ، مُغَادَرَةً، وَغِدَارًا» أي: «تَرَكَهُ» وَيَأْتِي بِمَعْنَى «أَبْقَاهُ».

الْإِحْصَاءُ: عِلْمٌ وَمِقْدَارُ الْعَدَدِ، وَيُقَالُ: «أَحْصَى الْكِتَابَ» أي: حَفِظَ جَمِيعَ مَا فِيهِ. «إِلَّا أَحْصَاهَا» أي: إِلَّا سَجَّلَهَا كَمَا هِيَ فِي الْوَقَاعِ.

• ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾: أي: وَوَجَدُوا كُلَّ مَا عَمِلُوا فِي رِحْلَةٍ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَاضِرًا أَمَامَهُمْ، مَشْهُودًا لَهُمْ بِكُلِّ تَفَاصِيلِهِ وَدَقَائِقِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ ذَاتُ مَا عَمِلُوا بِظَوَاهِرِهِ وَبَوَاطِينِهِ.

• ﴿... وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤٩): أي: وَيَقْضِي اللَّهُ بَيْنَهُمْ، وَيُضِدِّرُ أَحْكَامَهُ بِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَيَأْمُرُ بِتَنْفِيذِ جَزَاءِ كُلِّ مِنْهُمْ، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ، فِي حُكْمِهِ عَلَيْهِ وَلَا فِي مُجَازَاتِهِ لَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي آخِرِ هَذَا الدَّرْسِ نُصْحًا لِلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ وَهُمْ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ، حَتَّى لَا يَكُونُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ الْمُجْرِمِينَ:

• ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (٥٠):

أي: وَضَعُوا يَا مَنْ لَمْ تَسْتَجِيبُوا بَعْدُ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الْمَوْجَّهَةِ لَكُمْ مِنَّا فِي ذِكْرَتِكُمْ، قِصَّةَ هَذَا الْمَثَلِ التَّارِيخِيِّ، وَاتَّعِظُوا بِالْعِظَاتِ الْمُسْتَفَادَاتِ مِنْهُ.

إِنَّهَا قِصَّةُ آدَمَ وَالْمَلَائِكَةِ وَإِبْلِيسَ الَّذِي انْدَسَ فِي الْمَلَائِكَةِ وَاعْتَبَرَ نَفْسَهُ وَاحِدًا مِنْهُمْ، إِذْ مَكَّنَاهُ مِنْ هَذَا وَهُوَ فِي تَكْوِينِهِ وَطَبِيعَتِهِ مِنَ الْجِنِّ مَخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ، وَذُو إِرَادَةٍ حُرَّةٍ مُمْتَحَنٌ كَسَائِرِ الْجِنِّ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، بِخِلَافِ الْمَلَائِكَةِ فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ مِنَ النُّورِ، وَمَقْطُورُونَ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِمْ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ انْدَسَ فِيهِمْ إِبْلِيسَ بِأَنْ يَسْجُدُوا لِآدَمَ، وَأَمَرَ إِبْلِيسَ مَعَهُمْ بِأَنْ يَسْجُدَ لِآدَمَ، فَعَصَى أَمْرَ رَبِّهِ وَأَبَى أَنْ يَسْجُدَ مَعَ

الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ سَجَدُوا جَمِيعاً، وَكَانَ عِصْيَانُ إِبْلِيسَ بِسَبَبِ الْكِبَرِ وَالْحَسَدِ، وَأَصْرَ عَلَى عِصْيَانِهِ عِنْدَ مُحَاكَمَتِهِ فِي جُلُوسَاتٍ ثَلَاثٍ، وَأُغْلِنَ تَعَهُدُهُ بِأَنْ يُغْوِيَ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ بِمَا يَسْتَطِيعُ مِنْ وَسَائِلٍ، حَتَّى يَجْعَلَ أَكْثَرَهُمْ كَافِرِينَ بِرَبِّهِمْ وَخَالِدِينَ فِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، وَقَدْ سَبَقَ تَفْصِيلُ هَذِهِ الْقِصَّةِ أَخْذاً مِنْ نُصُوصِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ فِي مُلْحَقٍ مِنْ مَلَا حَقِ تَدْبِيرِ سُورَةِ (ص/٣٨ نزول)<sup>(١)</sup>.

### تَدْبِيرُ الْآيَةِ:

• ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾: أَي: وَضَعُوا أَيُّهَا الْمَغْنِيُّونَ بِالْبَيَانِ أَحْدَاثَ هَذِهِ الْقِصَّةِ حِينَ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ مِنْ أَهْلِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى: اسْجُدُوا لِآدَمَ، وَأَمَرْنَا إِبْلِيسَ مَعَهُمْ بِالسُّجُودِ إِذْ كَانَ مُنْذَسّاً فِيهِمْ بِتَمَكِّينَ مِنَّا لَهُ بِذَلِكَ.

• ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾:

أَي: فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ الْمَأْمُورُونَ بِالسُّجُودِ جَمِيعاً إِلَّا إِبْلِيسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَسْجُدْ مَعَ أَنَّهُ كَانَ مَأْمُوراً بِالسُّجُودِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ.

كَانَ إِبْلِيسُ قَبْلَ أَنْ يَنْدَسَّ فِي مَلَائِكَةِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى مِنَ الْجِنِّ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ نَارِ السَّمُومِ، فَطَبِيعَتُهُ كَطَبِيعَةِ سَائِرِ الْجِنِّ، ذُو إِرَادَةٍ حُرَّةٍ، وَمَوْضُوعٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

فَفَسَقَ إِبْلِيسُ عَاصِياً وَخَارِجاً وَمُبْتَعِداً عَنْ طَاعَةِ أَمْرِ رَبِّهِ لَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الْمَأْمُورِينَ بِأَنْ يَسْجُدُوا لَهُ.

(١) انظر الملحق الرابع من ملاحق تدبیر سورة (ص/٣٨ نزول) بعنوان: «قِصَّةُ خَلْقِ آدَمَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ وَمَا رَافَقَ خَلْقَهُ مِنْ أَحْدَاثٍ» فِي الْمَجْلَدِ الثَّالِثِ. الصَّفَحَاتِ مِنْ (٦٦٨ - ٧٢٩).

الْفِسْقُ: الْعِصْيَانُ، وَالتَّرْكُ لِأَمْرِ اللَّهِ بِعَدَمِ تَنْفِيذِهِ، وَالْخُرُوجُ عَنِ الْحَقِّ، وَهُوَ مُصْطَلَحٌ إِسْلَامِيٌّ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفاً عِنْدَ الْعَرَبِ بِهَذَا الْمَعْنَى.

• ﴿أَفَتَخَذُونَهُ ذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾: أَي: وَقَدْ سَبَقَ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ أَنْ أَعْلَمْتُكُمْ يَا عِبَادِي أَنَّهُ تَعَهَّدَ بِأَنْ يُغْوِيَ آدَمَ وَزَوْجَهُ وَذُرِّيَّاتِهِمَا، وَحَمَلَ فِي نَفْسِهِ الْعَدَاوَةَ الشَّدِيدَةَ لَهُمْ، وَقَدْ جَعَلَ مِنْ وَسَائِلِهِ الدُّخُولَ إِلَى أَنْفُسِكُمْ مِنْ مَسَالِكِ أَهْوَائِكُمْ وَشَهَوَاتِكُمْ وَرَغَبَاتِكُمْ مِنْ زِينَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

أَفَتَخَذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ بَعْدَ أَنْ حَذَرْتُكُمْ مِنْهُمْ، أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي، تَتَّبِعُونَ وَسَاوِسَهُمْ وَتَسْوِيلَاتِهِمْ فِي صُدُورِكُمْ، وَتَتَّخِذُونَ بِإِظْمَاعِهِمْ لَكُمْ بِالْبَاطِلِ، وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ؟؟؟!

الاستفهام هنا استفهام إنكاريٍّ وَتَعْجِيبيٍّ مِنْ حَالِ مُتَّبِعِي عَدُوَّهُمْ.

الْعَدُوُّ: ذُو الْعَدَاوَةِ يُطْلَقُ عَلَى الْمَذْكَرِ، وَالْمُؤَنَّثِ وَالوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ.

• ﴿... يَنْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (٥٥): بِئْسَ: فَعَلَ ذَمٌّ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ. أَي: بِئْسَ إِبْلِيسَ وَذُرِّيَّتَهُ لِلظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُمْ وَيَجْعَلُونَهُمْ أُولِيَاءَ، بَدَلًا عَنْ وِلَايَةِ اللَّهِ لَهُمْ، الَّذِي يَرْضَى لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا سُعْدَاءَ فِي جَنَّاتِ النِّعَمِ.

وبهذا انتهى الدرس الخامس من دروس سورة (الكهف).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٠)

## التدبر التحليلي للدرس السادس من ذروس سورة (الكهف) الآيات من (٥١ - ٥٣)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝٥١ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣ ﴾

القراءات:

(٥١) • قرأ أبو جعفر: [مَا أَشْهَدْنَاهُمْ]. بِضَمِّيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ.

وقراها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [مَا أَشْهَدْتُهُمْ] بِضَمِّيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَفْرَدِ..

(٥١) • قرأ أبو جعفر: [وَمَا كُنْتُ] بفتح التاء خطاباً للرَّسُولِ ﷺ..

وقراها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [وَمَا كُنْتُ] بِضَمِّ التاء.

(٥٢) • قرأ حمزة: [وَيَوْمَ نَقُولُ] بِضَمِّيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ.

وقراها بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [وَيَوْمَ يَقُولُ] أي: وَيَوْمَ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُشْرِكِينَ.

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ بِشَأْنِ الْمُشْرِكِينَ مَقْرُونُونَ بِإِنذَارِهِمْ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

وهَذَا الدَّرْسُ مَوْصُولٌ بِمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (٤) مِنَ السُّورَةِ بِشَأْنِ الَّذِينَ قَالُوا: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَمَوْصُولٌ بِمَا جَاءَ فِي قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ وَاعْتَزَالِهِمْ

قَوْمَهُمُ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً، افترَاءً عَلَى اللَّهِ وَزُورًا.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ (٥١):

أي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنِّي اتَّخَذْتُ وَلَدًا، وَالَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ لِي شُرَكَاءَ فِي رُبُوبِيَّتِي، فَجَعَلُوا شُرَكَائِي فِي رُبُوبِيَّتِي آلِهَةً يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِي، هَلْ أَحْضَرْتُهُمْ فَشْهَدُوا خَلْقِي لِلْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ وَهَلْ أَحْضَرْتُهُمْ فَشْهَدُوا خَلْقِي لِأَنْفُسِهِمْ، فَكَانُوا مَعَ خَلْقِي لَهُمْ فِي الْأَطْوَارِ الَّتِي مَرُّوا بِهَا حِينَ إِنْشَائِهِمْ طَوْرًا فَطَوْرًا، فَيَرَوْنَ كَيْفَ تَكَامَلَ إِنْشَاؤُهُمْ شَيْئًا فَشَيْئًا، حَتَّى صَارُوا مُكْتَمِلِي الصِّفَاتِ الْجَسَدِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، وَبِحُضُورِهِمْ رَأَوْا وَلَدًا لِي يُسَاعِدُنِي فِي أَعْمَالِ رُبُوبِيَّتِي؟ أَوْ رَأَوْا شُرَكَاءَ لِي يُسَاعِدُونَنِي فِي أَعْمَالِ خَلْقِي؟.

وَهَلْ كَانُوا مُسَاعِدِينَ لِي فِي رُبُوبِيَّتِي يَعْضُدُونَنِي، وَيُؤَاوِرُونَنِي؟.

لَكِنَّ الْوَاقِعَ الَّذِي يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَعْتَرِفُونَ بِهِ يُثَبِّتُ أَنِّي مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ، وَأَنِّي مَا كُنْتُ مَتَّخِذًا إِيَّاهُمْ مُسَاعِدِينَ لِي فِي أَعْمَالِ خَلْقِي بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِي.

جاء في الْبَيَانِ وَصْفُهُمْ بِعِبَارَةِ ﴿الْمُضِلِّينَ﴾ بَدَلِ اسْتِعْمَالِ الضَّمِيرِ الَّذِي يَعُودُ عَلَيْهِمْ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ ادِّعَاءَهُمُ الْكُفْرِيَّةَ ادِّعَاءَاتٌ كَاذِبَاتٌ يُرَادُ بِهَا تَضْلِيلُ السُّفَهَاءِ صِغَارِ الْعُقُولِ مِنَ النَّاسِ.

• ﴿عَضُدًا﴾: الْعَضُدُ: مَا بَيْنَ الْمِرْفَقِ إِلَى الْكَتِفِ، وَجَاءَ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى الْإِعَانَةِ وَالْمُنَاصَرَةِ. وَيُقَالُ لُغَةً: «عَضُدُهُ، يَعْضُدُهُ، عَضُدًا» أَي: أَعَانَهُ وَنَصَرَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَغْرِضُ مُشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَتَعَلَّقُ بِالَّذِينَ كَانُوا مُشْرِكِينَ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ:

• ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عِنَهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾:

هَذَا الْمَشْهَدُ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يُصْدِرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حُكْمَهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ الْخَالِدِينَ فِي عَذَابِهَا، إِذْ يَبْقَى لَهُمْ أَمَلٌ قَبْلَ إِصْدَارِ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ، بَأَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ عَنْهُمْ فَلَا يَجْعَلُهُمْ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ فِي النَّارِ، لَكِنْ يَطْنُونَ ظَنًّا قَوِيًّا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا، أَي: مُخَالِطُوا أَدَوَاتِ التَّعْذِيبِ فِيهَا بِدُخُولِهَا لِأَنَّ جَرِيمَتَهُمْ هِيَ مِنْ دَرَكَةِ الشُّرْكِ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

• ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾: أَي: وَضَعُ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي لِهَذَا الْبَيَانِ، هَذَا الْمَشْهَدُ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُشْرِكِينَ: نَادُوا الشُّرَكَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ شُرَكَائِي فِي رُبُوبِيَّتِي وَالْهَيْتِي، فَعَبَدْتُمُوهُمْ مِنْ دُونِي لِيَجْلُبُوا لَكُمْ مَنَافِعَ فِي دُنْيَاكُمْ، وَيَدْفَعُوا عَنْكُمْ مَضَارَّ.

نَادَوْهُمْ لِيَدْفَعُوا عَنْكُمْ عَذَابَ رَبِّكُمْ، الَّذِي جَعَلْتُمْ لَهُ شُرَكَاءَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ، وَلَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا زَعَمْتُمْ بُرْهَانٌ.

• ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾: دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ سَوْفَ يُنَادُونَ الَّذِينَ كَانُوا آلِهَتَهُمْ فِي الدُّنْيَا، لِيَدْفَعُوا عَنْهُمْ عَذَابَ رَبِّهِمْ، وَجَاءَ التَّعْيِيرُ بِاسْتِعْمَالِ الْفِعْلِ الْمَاضِي اسْتَقْطَاعًا مِنَ الْحَدَثِ الْمُسْتَقْبَلِيِّ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ سَوْفَ يَتَحَقَّقُ وَقُوعُهُ مُسْتَقْبَلًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَيُنَادِي عَابِدُ الْأَنَانِ أَوْثَانَهُ، أَوْ الْمَرْمُوزَ لَهُمْ بِأَوْثَانِهِمْ.



وَيُنَادِي عَابِدُو الْجِنَّ مَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ مِنَ الْجِنَّ .

وَيُنَادِي عَابِدُو الْمَلَائِكَةِ مَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

وَيُنَادِي عَابِدُو عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام يَا عِيسَى .

وَيُنَادِي عَابِدُو الْعَزِيز يَا عَزِيز .

وَيُنَادِي عَابِدُو بَعْضِ الْعُظَمَاءِ، أَوْ بَعْضِ الصُّلَحَاءِ، مَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ .

فَلَا يَسْتَجِيبُ أَحَدٌ مِمَّنْ كَانُوا مَعْبُودِينَ فِي حَيَاةِ الْاِمْتِحَانِ لِمَنْ كَانُوا يَجْعَلُونَهُمْ شُرَكَاءَ لِلَّهِ وَيَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِهِ .

عِنْدَئِذٍ يَنْكَشِفُ لَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا ضَالِّينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ بَغِيرَ حَقٍّ، وَنَظَهُرُ خَيْبَتِهِمْ، وَيَسْكُتُونَ أَذِلَّاءَ نَادِمِينَ .

• ﴿... وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾﴾ :

الْمَوْبِقُ: كُلُّ حَاجِزٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، أَي: وَأَقَمْنَا بَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا مُشْرِكِينَ فِي الدُّنْيَا، وَبَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا اتَّخَذُوهُمْ شُرَكَاءَ لِلَّهِ حَاجِزًا، لِقَطْعِ التَّخَاصُمِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي هَذَا الْمَشْهَدِ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

• ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ : أَي: وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ الْمُشْرِكُونَ النَّارَ إِذْ كُشِفَتْ لَهُمْ بَعْضُ مَوَاقِعِهَا .

• ﴿فَطَنُوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا﴾ : أَي: فَطَنُوا ظَنًّا قَوِيًّا أَنَّهُمْ دَاخِلُونَ فِيهَا، وَمُخَالِطُونَ مَا فِيهَا مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، لَكِنْ يَبْقَى لَدَيْهِمْ أَمَلٌ ضَعِيفٌ بِأَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إِذْ لَمْ تَصْدُرْ بِحَقِّهِمْ بَعْدَ أَحْكَامٍ إِدْخَالِهِمْ فِيهَا خَالِدِينَ، وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْبَيَانِ اسْتِعْمَالُ فِعْلِ الظَّنِّ، دُونَ اسْتِعْمَالِ فِعْلِ الْيَقِينِ .

• ﴿... وَلَمْ يَحْدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ : أَي: وَلَكِنْ بَعْدَ مُحَاكَمَتِهِمْ

وَإِضْدارِ أَحْكَامِ اللَّهِ فِيهِمْ، لَمْ يَجِدُوا مَكَانًا يَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِ، لِيَتَحَوَّلُوا عَمَّا أَحَاطَ بِهِمْ، وَجَعَلَهُمْ مُلْجِئِينَ إِلَى الدُّخُولِ فِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ.  
وبهذا تَمَّ تدبُّر الدرس السادس من دروس سورة (الكهف).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١١)

### التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (الكهف) الآيات من (٥٤ - ٥٩)

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءً جَدَلًا ۝٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُحَدِّثُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطِلِ يُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا عَائِلَتِي وَمَا أَنْذَرُوا هُزُؤًا ۝٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا أَبَدًا ۝٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاجِلْهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ۝٥٨﴾ وَذَلِكَ الْقُرْآنُ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝٥٩﴾.

القراءات:

(٥٤) • قرأ ابن كثير: [الْقُرْآنِ]. وكذلك حمزة في الوقف.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشَرَةِ: [الْقُرْآنِ].

(٥٥) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب:

[قَبِلًا].

وقرأها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [قُبْلًا].

ومؤدَّى القراءتين واحد.

(٥٦) • قرأ حفص: [هُزْوَاً].

وقرأها حمزة: [هُزْءً] في الوصل. وكذلك خلف في الوصل والوقف.

وقرأها حمزة: [هُزْأً وَهُزْوَاً] في الوقف.

وقرأها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [هُزْءً].

وهي وُجُوهٌ في النطق العربي.

(٥٨) • قرأ ورش، وأبو جعفر: [يُؤَاخِذُهُمْ] بإبدال الهمزة واواً، وكذلك حمزة في الوقف.

وقرأها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [يُؤَاخِذُهُمْ] على الأصل.

(٥٩) • قرأ شُعبَةُ: [لِمَهْلِكِهِمْ] مصدر ميمي لفعل «هَلَكَ» وقرأها

حَفْصٌ: [لِمَهْلِكِهِمْ] اسم زمان على وزنِ «مَفْعِل».

وقرأها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [لِمَهْلِكِهِمْ] مَصْدَرٌ مِيمي مِنْ فِعْلٍ «أَهْلَكَ».

ومؤدَّى هذه القراءات واحد.

تَمْهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانٌ بِشَأْنِ اشْتِمَالِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ عَلَى مَا يَكْفِي لِلْإِقْنَاعِ، وَبَيَانٌ لِعِلَّةِ الْمُعَانِدِينَ النَّفْسِيَّةِ، وَبَيَانٌ لِلْغَايَةِ مِنْ إِزْسَالِ الرُّسُلِ، وَبَيَانٌ لِمُجَادَلَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ، مَعَ بَيَانَاتٍ أُخْرَى مُرَافَقَاتٍ مُتَّصِلَاتٍ بِمَا سَبَقَ.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ:

• ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٥٤):

• ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ يُؤَكِّدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِاللَّامِ الْوَاقِعَةَ فِي جَوَابِ قَسَمٍ مَنُويٍّ وبحرف «قَدْ» الدَّالُّ عَلَى التَّحْقِيقِ.

صَرَّفْنَا: التَّصْرِيفُ: التدبيرُ، والتَّنْوِيعُ، والتَّغْيِيرُ، وَاتَّخَاذُ مُخْتَلِفِ الْوُجُوهِ الْمُمْكِنَةِ لِلْوُضُوءِ إِلَى الْغَايَةِ الْمَقْصُودَةِ.

• ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾:

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ الرَّبَّانِيُّ عَلَى إِحْدَى مُعْجَزَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَهِيَ اشْتِمَالُهُ عَلَى ذِكْرِ نَمُودَجٍ «مَثَلٍ» أَوْ أَكْثَرَ، لِكُلِّ نَوْعٍ أَوْ عَمَلٍ أَوْ تَشْرِيعٍ، أَوْ سُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، مِمَّا تَقْتَضِيهِ هِدَايَةُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهَذَا بِالنُّسْبَةِ إِلَى مَا قَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَالَهُ مِنَ الدِّينِ حَتَّى أَنْزَلَ سُورَةَ (الْكَهْفِ) أَوْ بِالنُّسْبَةِ إِلَى مَا سَيَنْزِلُهُ اللَّهُ مِنْ قُرْآنٍ أَيْضًا، إِذْ قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَى أَنْ يُنْزِلَهُ كُلَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

• ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾: أَي: مِنْ كُلِّ نَمُودَجٍ هُوَ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِ صِنْفِهِ، أَوْ نَوْعِهِ، أَوْ جِنْسِهِ، لِقِيَاسِ سَائِرِ أَمْثَالِهِ عَلَيْهِ فِي حُكْمِهِ.

• ﴿... وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٥٤):

جَدَلًا: أَصْلُ الْمَجَادَلَةِ فِي اللُّغَةِ الْمَصَارَعَةِ، يُقَالُ لُغَةً: «جَادَلَ فُلَانٌ فُلَانًا مُجَادَلَةً وَجَدَلًا فَجَدَلَهُ» أَي: صَارَعَهُ فَعَلَبَهُ.

وَأُطْلِقَتِ الْمَجَادَلَةُ عَلَى الْمُخَاصَمَةِ الْكَلَامِيَّةِ، وَعَلَى الْمَحَاوَرَةِ حَوْلَ فِكْرَةٍ مَا، لِإثْبَاتِهَا أَوْ نَفْيِهَا.

أي: وَالْحِكْمَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى أَنْ نُصَرِّفَ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ، أَنَّ الْإِنْسَانَ أَكْثَرُ جَدَلًا مِنْ كُلِّ مُجَادِلٍ فِي الْوُجُودِ، وَجَاءَ ذِكْرُ «شَيْءٍ» لِإِدَارَةِ التَّعْجِيمِ الَّذِي يَشْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ صَالِحٍ لِأَنْ يُجَادَلَ، أَوْ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يُجَادَلَ، مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَشْيَاءِ فِي الْوُجُودِ لَا تَمْلِكُ حَيَاةً وَلَا فِكْرًا وَلَا قُدْرَةَ تَغْيِيرٍ حَتَّى تُجَادَلَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾:

أي: وَمَا مَنَعَ مُشْرِكِي مَكَّةَ وَلَا سَيِّمَاءَ كِبَرَاؤُهُمُ الْمُعَانِدُونَ الْمُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ، مِنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ الَّذِي أَمَرْنَاهُمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ فِي كِتَابِ رَبِّهِمْ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، وَمِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ طَالِبِينَ مِنْهُ أَنْ يَسْتَرْ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ وَيَتَجَاوَزَ عَنْهَا، إِلَّا اغْتِرَارُهُمْ بِأَمْهَالِنَا لَهُمْ، وَتَأْخِيرِ أَنْ تَأْتِيَهُمْ مِنَّا سُنَّتُنَا بِاسْتِئْصَالِ كُفَّارِ الْأَوَّلِينَ بِمُهِلِكَاتٍ مُبِيدَاتٍ، أَوْ أَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنَّا مُتَّبَعٌ مِنَ الْعَذَابِ غَيْرُ مُسْتَأْصِلٍ، وَتُعَايُنُ وَسَائِلُهُ الْقَادِمَةُ، نَزْلَةً فَتَزْلَةً، وَعَذَابًا فَعَذَابًا.

سَوَابِقُ الْآيَةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّاسِ الْمُصِرُّونَ عَلَى كُفْرِهِمْ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَيُقَاسُ عَلَيْهِمْ أَمْثَالُهُمْ دَوَامًا.

• ﴿قُبُلًا﴾: جَمْعُ «قَبِيلٍ» كَمَا قَالَ الْفَرَّاءُ، أَي: مُتَفَرِّقًا يَتَلَوُّ بَعْضُهُ بَعْضًا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَأَصْنَافِهِ وَ﴿قُبُلًا﴾ بِحَسَبِ الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى، أَي: عَيَانًا يُعَايُنُونَ وَسَائِلَهُ.

فَدَلَّتِ الْقِرَاءَتَانِ مَعًا عَلَى التَّفْرِيقِ وَالتَّنَوُّعِ وَالْمُعَايَنَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَجَعَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُولًا ۝٥٦﴾:

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾: إِنَّ قَصْرَ وَظِيفَةَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ عَلَى التَّبَشِيرِ وَالْإِنذَارِ، هُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ، أَي: بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْإِكْرَاهِ وَالْجَبْرِ، فَلَا إِكْرَاهَ وَلَا جَبَرَ فِي دِينِ اللَّهِ عِنْدَ جَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُمْ يُبَلِّغُونَ النَّاسَ دِينَ اللَّهِ، وَيَتَّخِذُونَ الْوَسَائِلَ لِإِفْتِنَائِهِمْ بِهِ، بَيَانًا وَمُجَادَلَةً وَقُدُوءَ حَسَنَةً، وَيُبَشِّرُونَ مَنْ آمَنَ وَأَسْلَمَ بِجَنَاتِ النَّعِيمِ، وَيُنذِرُونَ مَنْ كَفَرَ وَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ بِالْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ.

• ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾:

الجدال: حوارٌ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ حَوْلَ قَضِيَّةٍ مَا لِإِبْتَاتِهَا أَوْ نَفْيِهَا.

بِالْبَاطِلِ: أَي: بِالذَّلِيلِ الْبَاطِلِ، وَالْكَلَامِ الْكَذِبِ الْبَاطِلِ. وَالْبَاطِلُ هُوَ ضِدُّ الْحَقِّ.

الإِدْحَاضُ: الْإِزْلَاقُ عَنْ مَكَانِ الثَّبَاتِ فِي الْمَزَالِقِ إِلَى مَكَانٍ مُوَحِّلٍ لَا ثَبَاتَ فِيهِ، وَاسْتُعِيرَ فِعْلُ «يُدْحِضُ» لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى مَعْنَى إِخْرَاجِ الْمُحَاورِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ إِلَى اعْتِقَادِ الْبَاطِلِ حَقًّا.

المعنى: الَّذِينَ كَفَرُوا يُجَادِلُونَ دُعَاءَ الْحَقِّ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْبَاطِلِ مِنَ الْمَذَاهِبِ وَالْأَفْكَارِ وَالْكَاذِبِ وَزُخْرُفِ الْأَقْوَالِ، لِيُزْلِقُوا الْحَقَّ فِي مَزَالِقِ الشُّبُهَاتِ وَالتَّلْبِيسَاتِ، فَيُزِيلُوهُ عَنْ مَوَاقِعِ ثَبَاتِهِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ.

• ﴿... وَاتَّخَذُوا ءَايَتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۖ﴾ (٥٦):

أَي: وَجَعَلُوا آيَاتِ اللَّهِ الْبَيَانِيَّةَ الْمَشْتَمِلَةَ عَلَى بَرَاهِينِ الْحَقِّ وَادِّلَتِهِ شَيْئًا يُسْتَهْزَأُ بِهِ، إِذْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُقَابِلُوا مَا فِيهَا مِنْ حُجَجٍ وَبَرَاهِينٍ بِمَا يُكَافِئُهَا، بَلْ بِأَدِلَّةٍ ظَاهِرَةِ الْبُطْلَانِ، فَسَتَرُوا عَجْزَهُمْ بِإِظْهَارِ الْهُزْءِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لِإِسْعَارِ أَتْبَاعِهِمُ الْجُهَلَاءِ بِأَنَّهَا لِشِدَّةِ ضَعْفِهَا لَا تَسْتَحِقُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُسْتَهْزَأَ بِهَا.

الْهُزْءُ: مَصْدَرٌ، وَأُطْلِقَ بِمَعْنَى اسْمِ «الْمَفْعُولِ» أَي: الْمَهْزُوءِ بِهِ.

وَجَعَلُوا أَيْضاً مَا أَنْذَرُوهُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ الْمَعْجَلِ فِي الدُّنْيَا، وَالْمُؤَجَّلِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ لِسَانِ رَسُولِهِ شَيْئاً يُسْتَهْزَأُ بِهِ أَيْضاً، تَغْيِيراً عَنْ تَكْذِيبِهِمْ بِمَا أَنْذَرُوهُ مِنْ عِقَابِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾:

يُرَادُ بِالْاِسْتِفْهَامِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْآيَةِ النَّفْيُ، أَي: لَا يُوجَدُ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ بَعْدَ إِبْلَاجِهِ إِيَّاهَا، وَإِعْلَامِهِ بِدَلَالَاتِهَا، وَإِذْرَاجِهِ لِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ حَقَائِقَ، وَمِنْهَا حَقَائِقُ الْمَطْلُوبِ الرَّبَّانِيِّ مِنْ عِبَادِهِ، وَحَقَائِقُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ الْعَاجِلِ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا وَالْآجِلِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا، أَي: أَعْطَى عَارِضَ وَجْهِهَا لَهَا اسْتِهَانَةً بِهَا، وَرَفُضاً لِلِاسْتِجَابَةِ لِمُضْمُونِهَا، وَمَا فِيهَا مِنْ دَعْوَةٍ إِلَى الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ.

• ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: أَي: وَجَعَلَ مَا سَبَقَ أَنْ اِكْتَسَبَ مِنْ كُفْرٍ وَجَرَائِمٍ فِي جَرَابِ التَّوَكُّلِ وَالْإِهْمَالِ وَالنُّسْيَانِ، لِأَنَّهُ لَمْ يَخْشَ الْوَعِيدَ عَلَيْهَا الَّذِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ آيَاتُ رَبِّهِ، إِذْ لَمْ يُصَدِّقْ بِهَا.

أَضْلُ النُّسْيَانِ التَّوَكُّلُ، وَمَعَ طَوْلِ التَّوَكُّلِ يُمَسَّحُ مِنَ الذَّاكِرَةِ.

• ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾:

يَتَحَدَّثُ رَبُّنَا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ، فَيُبَيِّنُ أَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ جَعَلَ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنْ آيَاتِهِ أَغْطِيَةً تَمْنَعُ مِنْ وُضُوحِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ هُدًى إِلَى عُمُقِهَا، وَتَحْجُبُهَا صَارِفَةً لَهَا عَنْ فِقْهِهَا، وَفَهْمِهَا

فَهُمَا سَدِيدَا، وَجَعَلَ فِي آذَانِهِمْ صَمَمًا أَوْ قَرِيبًا مِنَ الصَّمَمِ فَهِيَ لَا تَسْمَعُ مَا تُذَكِّرُ بِهِ مِنْ آيَاتِنَا.

الْأَكِنَّةُ: الْأَغْطِيَةُ، جَمْعُ «كَثَانٍ» وَهُوَ الْغَطَاءُ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَحْجُبُ شَيْئًا يَسْتُرُهُ.

• ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: أَي: مَنْ أَنْ يَفْقَهُوهُمَا مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ آيَاتُ رَبِّهِمْ.

الْوَقْرُ: الصَّمَمُ، أَوْ ثِقَلٌ شَدِيدٌ فِي السَّمْعِ قَرِيبٌ مِنَ الصَّمَمِ.

وَلَيْسَ جَعْلُ الْأَكِنَّةِ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَالْوَقْرِ فِي آذَانِهِمْ أَمْرًا جَبْرِيًّا فُطِرُوا عَلَيْهِ، إِنَّمَا هُوَ نَتِيجَةُ كَسْبِهِمُ الْإِرَادِيَّ الْخَاضِعُ لِسُنَّةٍ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي نِظَامِ كَوْنِهِ.

إِنَّ اتِّبَاعَهُمْ لِأَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَزِينَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَتَأَثُّرَهُمْ بِوَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ وَتَسْوِيلَاتِهِمْ وَإِطْمَاعِهِمْ بِالْبَاطِلِ، وَإِعْرَاضُهُمْ عَنِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ الَّذِي هَدَتْ إِلَيْهِ آيَاتُ اللَّهِ، مِنْ آثَارِهِ فِي سُنَنِ اللَّهِ السَّبَبِيَّةِ فِي كَوْنِهِ أَنْ يُغْلَفَ قُلُوبُهُمْ بِحُجُبٍ كَثِيفَةٍ تَمْنَعُهَا مِنْ فَهْمِ بَيِّنَاتِ اللَّهِ فِي آيَاتِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي آذَانِهِمْ صَمَمًا، أَوْ شِبْهَ صَمَمٍ، فَلَا تَسْمَعُ أَقْوَالِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَلَا آيَاتِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ.

• ﴿... وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾.

أَي: وَإِنْ تَدْعُهُمْ أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ إِلَى أَنْ يَسْتَمْسِكُوا بِهُدَى اللَّهِ الْمَنْزَلِ فِي كِتَابِهِ، وَاتَّخَذَتْ مَعَهُمْ كُلَّ وَسَائِلِ الْإِقْنَاعِ وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، فَلَنْ يَهْتَدُوا مُسْتَجِيبِينَ لِدَعْوَتِكَ أَبَدًا، لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ مَحْجُوبَةٌ فِي أَكِنَّةٍ، وَلِأَنَّ آذَانَهُمْ مُصَابَةٌ بِدَاءِ الصَّمَمِ فَلَا يَفْقَهُونَ حَقًّا وَلَا خَيْرًا وَلَا هِدَايَةً، وَهَٰذَا الدَّاءُ قَدْ كَانَ بِكَسْبِهِمُ الْإِرَادِي.

الْهُدَى: ضِدُّ الضَّلَالِ. وَالْهُدَى: مَصْدَرُ «هَدَاهُ» بِمَعْنَى بَيَّنَ لَهُ وَأَرْشَدَ. وَأُطْلِقَ لِدَلَالَةٍ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.



أَبَدًا: ظَرَفُ زَمَانٍ لِلْمُسْتَقْبَلِ، وَيَدُلُّ عَلَى الْاسْتِمْرَارِ.

وَلَنْ: أداة نفي للمستقبل مُؤَكِّدٌ بِالتَّأْيِيدِ.

و«إِذَا» ظَهَرَلِي أَنَّهَا بِمَعْنَى «حِينَئِذٍ» إِذَا كَانَ مَا بَعْدَهَا لَا يَسْتَعْنِي عَمَّا قَبْلَهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُطْمَعُ بِالتَّوْبَةِ وَيُنْذِرُ الْمَصِيرِينَ عَلَى ظُلْمِهِمْ بِالْإِهْلَاكِ الْمُعْجَلِ كَمَا أَهْلَكَ كُفَّارَ الْقُرُونِ الْأُولَى:

• ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾:

أي: وَرَبُّكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي لِهَذَا الْبَيَانِ بِالْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ، الْغَفُورُ مَغْفِرَةٌ عَظِيمَةٌ لِعِبَادِهِ الَّذِينَ يَتُوبُونَ وَيُؤْمِنُونَ وَيُسَلِّمُونَ، وَذُو الرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ بِالْمُجْرِمِينَ، فَهُوَ بِرَحْمَتِهِ يُمَهِّلُهُمْ إِمْهَالًا طَوِيلًا، فَلَا يُعَجِّلُ لَهُمُ الْعِقَابَ، رَغْبَةً فِي أَنْ يَتُوبُوا وَيُؤْمِنُوا وَيُسَلِّمُوا وَيُنْقِذُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ الْمُعْجَلِ فِي الدُّنْيَا الْمَقْرُونِ بِعَذَابِ أَلِيمٍ، وَمِنَ الْعَذَابِ الْأَبَدِيِّ يَوْمَ الدِّينِ فِي دَارِ الْعَذَابِ النَّارِ، خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ فِيهَا الْعَذَابُ.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ الْكُفْرَةَ الْمُجْرِمِينَ إِبَّانَ تَنْزِيلِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَكَذَلِكَ أَمْثَالُهُمْ فِي كُلِّ عَصْرِ، بِسَبَبِ مَا كَسَبُوا مِنْ كُفْرِيَّاتٍ وَجَرَائِمٍ، دُونَ أَنْ يُمَهِّلَهُمْ رَحْمَةً بِهِمْ، لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ، وَلَآنْزَلَهُ بِهِمْ، وَلَكَانَتْ مُدَّةُ الْإِمْهَالِ السَّابِقَةِ كَافِيَةً لِتَحْقِيقِ الْعَدْلِ.

وَلَكِنْ رَحِمَهُمْ فَلَمْ يُعَجِّلْ لَهُمُ الْعَذَابَ، وَلَمْ يُغْضِهِمْ مِنْ إِنْزَالِهِ عَلَيْهِمْ فِي زَمَنِ لَاحِقٍ، بَلْ لَهُمْ بَعْدَ الْإِمْهَالِ الَّذِي تَنْقَطِعُ فِيهِ كُلُّ أَعْذَارِهِمْ وَتَعَلَّاتِهِمْ، مَوْعِدٌ يُنْزِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ عَذَابُهُ، وَحِينَ يَقْتَرِبُ هَذَا الْمَوْعِدُ، وَيَجِدُونَ وَسَائِلَ تَغْذِيبِ اللَّهِ مُقْبِلَةً إِلَيْهِمْ، لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِ وُضُوءِ الْعَذَابِ

إِلَيْهِمْ مَلْجَأٌ يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، وَلَا مَرْجِعاً يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ لِيَحْمِيَهُمْ مِنْهُ، إِذْ يَكُونُ الْعَذَابُ مُحِيطاً بِهِمْ.

المؤثر: المَرْجِع - الْمَلْجَأُ.

المَوْعِد: يُطْلَقُ عَلَى الْوَعْدِ، وَعَلَى مَكَانِهِ، وَعَلَى زَمَانِهِ وَيَشْهَدُ لَهُذِهِ الْحَقِيقَةُ الَّتِي أَبْنَاهَا فِي الْآيَةِ (٥٨) مَا أَجْرَيْنَاهُ مِنْ إِهْلَاكِ أُمَّمٍ كَافِرَةٍ مُجْرِمَةٍ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى السَّالِفَةِ، حِينَ انْتَهَى أَجَلُ إِمَهَالِهَا الطَّوِيلِ، وَجَاءَ مَوْعِدُ إِهْلَاكِهَا:

• ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ﴾: أي: وتلك أُمَمُ الْقُرَى الْكَافِرَةِ الْمُجْرِمَةِ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ بِكُفْرِهِمْ وَجَرَائِمِهِمْ وَكَثْرَةِ ذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ، وَافْتَضَتْ حِكْمَتُنَا بَعْدَ إِمَهَالِهِمْ إِهْلَاكَهُمْ.

• ﴿... وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾: أي: وَجَعَلْنَا لِإِهْلَاكِهِمْ، وَلِمَكَانِ هَلَاكِهِمْ، وَلِزَمَانِ هَلَاكِهِمْ، مَوْعِدًا مُبَيَّنًا بِزَمَانِهِ وَمَكَانِهِ. وَتَحَقَّقَ إِهْلَاكُهُمْ فِي الْمَوْعِدِ الْمَحْدَدِ لَهُ.

وبهذا انتهى تدبر السَّابِعِ الدَّرْسِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْكَهْفِ/ ٦٩ نزول).  
والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٢)

التدبر التحليلي للدَّرس الثامن من دروس سورة (الكهف)  
الآيات من (٦٠ - ٨٢)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَنْبَحُ حَقَّ أَتْلَغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا﴾ ٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلُهُ إِئِنَّا غَدَاءَانَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ٦٢ قَالَ أَرَأَيْتَ

إِذْ أَوْنَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَأَرْسَلْنَا عَلَى عَائِلَاهُمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَمْ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ \* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أُعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرْسَلْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ \*

## القراءات:

(٦٣) • قرأ حفص: [أَنْسَيْنِيهِ] بضم هاء الضمير.

وقرأها باقي القراء العشرة: [أَنْسَانِيهِ] بكسر هاء الضمير. وهما

نُطْقَان عَرَبِيَان.

(٦٤) • قرأ نافع، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر: [تَبْغِي] بإثبات الياء في الوصل، وكذلك قرأها ابن كثير ويعقوب في الوصل والوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [تَبْغِ] بحذف الياء وصلًا ووقفًا.

(٦٦) • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [تُعَلِّمَنِي] بإثبات ياء المتكلم في الوصل، وكذلك قرأها ابن كثير، ويعقوب، في الوصل والوقف.

وقرأها باقي القراء العشرة: [تُعَلِّمَنِ] بحذف الياء في الوصل والوقف.

(٦٦) • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [رَشْدًا] بفتح الراء والشين.

وقرأها باقي القراء العشرة: [رُشْدًا] بضم الراء وإسكان الشين. وهما لغتان عريتان بمعنى واحد.

(٦٧) • قرأ حفص: [مَعِيَ صَبْرًا] بفتح ياء المتكلم.

وقرأها باقي القراء العشرة بإسكان ياء المتكلم.

(٦٩) • قرأ نافع، وأبو جعفر: [سَتَجِدُنِي إِن] بفتح ياء المتكلم.

وقرأها باقي القراء العشرة بالإسكان.

(٧٠) • قرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر: [فَلَا تَسْأَلْنِي].

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَلَا تَسْأَلْنِي].

ولا بن ذكوان وجهان في إثبات ياء المتكلم وحذفها وصلًا ووقفًا.

(٧١) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [لِيُفَرِّقَ أَهْلَهَا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [لِيُفَرِّقَ أَهْلَهَا].

وبين القراءتين تكاملٌ في أداء المعنى المراد.

(٧٢) • قرأ حفص: [مَعِيَ صَبْرًا] بفتح ياء المتكلم.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ بِإِسْكَانِ يَاءِ المتكلم.

(٧٣) • قرأ ورش، وأبو جعفر: [لَا تُؤَاخِذْنِي] وقفًا وَوَصْلًا.

وكذلك قرأها حَمْزَةً فِي الوقف.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [لَا تُؤَاخِذْنِي].

(٧٣) • قرأ أبو جعفر: [عُسْرًا] بضم السين.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [عُسْرًا] بِإِسْكَانِ السِّينِ. وَهُمَا لَعَنَانِ

عَرَبِيَّتَانِ.

(٧٤) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورؤيس:

[زَاكِئَةً] وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [زَكِيَّةً]. ومؤدَى القراءتين واحد.

(٧٤) • قرأ نافع، وابنُ ذَكْوَانَ، وشُعْبَةُ، وأبو جعفر، ويعقوب:

[نُكْرًا] بضم الكاف.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [نُكْرًا] بِإِسْكَانِ الكاف. وَهُمَا لَعَنَانِ

بِمَعْنَى الْأَمْرِ الشَّدِيدِ الصَّعْبِ.

(٧٥) • قرأ حفص: [مَعِيَ صَبْرًا] بفتح ياء المتكلم.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ بِالْإِسْكَانِ.

(٧٦) • قرأ نافع، وأبو جعفر: [مِنْ لَدُنِّي]. وكذلك قرأها شُعْبَةُ

بفتح اللَّامِ وَإِسْكَانِ الدَّالِ مع إِشْمَامِهَا الضَّمِّ، وَلَهُ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ اخْتِلَاسُ

ضَمَّةِ الدَّالِ.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَةَ: [مِنْ لَدُنِّي] بضم الدَّالِ وَتَشْدِيدِ النُّونِ

المَكْسُورَةِ.

(٧٧) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب: [لَتَخَذَتْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [لَتَخَذَتْ] من فعل: «اتَّخَذَ».

(٨١) • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [يُبَدِّلُهُمَا] من الفعل

المضعف.

وقراها باقي القراء العشرة: [يُبَدِّلُهُمَا] من فعل: «أَبَدَلَ». المهموز.

(٨١) • قرأ ابنُ عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: [رُحْمًا] بضمّ الحاء

وقراها باقي القراء العشرة: [رُحْمًا] بإسكانِ الحاء.

الرَّحْمُ: والرَّحْمُ: العَظْفُ والرَّحْمَةُ - (مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ).

تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ الْمَقْصُودِ بَيَانُهُ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِشَأْنِ قِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ  
أَنْقُلُ هُنَا مَا ذَكَرَ الشُّوْكَانِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّهُ أَتَتْهُ الرُّوَايَاتُ الثَّابِتَةُ فِي  
صَحِيحِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، وَهِيَ كَمَا يَلِي:

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيِّ يَزْعُمُ أَنَّ  
مُوسَى صَاحِبَ الْخَضِرِ لَيْسَ مُوسَى صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

قال ابنُ عَبَّاسٍ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ  
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«إِنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟  
فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي  
عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ. قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ فَكَيْفَ لِي بِهِ؟»

قَالَ: تَأْخُذْ مَعَكَ حُوتًا فَنَجْعَلُهُ فِي مِكَتَلٍ<sup>(١)</sup>، فَحَيْثُمَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمٌّ. فَأَخَذَ حُوتًا فَجَعَلَهُ فِي مِكَتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ وَانْطَلَقَ مَعَهُ يُوْشَعُ بْنُ نُونَ، حَتَّى أَتَيَا الصَّخْرَةَ، وَضَعَا رُؤُوسَهُمَا فَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمِكَتَلِ فَخَرَجَ مِنْهُ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا<sup>(٢)</sup>، وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جَرِيَةَ الْمَاءِ، فَصَارَ عَلَيْهِ مِثْلُ الطَّاقِ<sup>(٣)</sup>، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نَسِيَ صَاحِبَهُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِالْحُوتِ.

فَانْطَلَقَا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، حَتَّى إِذَا كَانَا مِنَ الْعَدِ، قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ: ﴿إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾.

قَالَ: وَلَمْ يَجِدْ مُوسَى النَّصَبَ حَتَّى جَاوَزَ الْمَكَانَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ. فَقَالَ لَهُ فَتَاهُ: ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾.

قَالَ: فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا، وَلِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا.

فَقَالَ مُوسَى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

قَالَ: فَرَجَعَا يَفْضَانِ أَثَرَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسْجَى بِثَوْبٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى.

فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنْتَى بِأَرْضِكَ السَّلَامُ؟!

قَالَ: أَنَا مُوسَى.

قَالَ: مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟.

قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَتَيْتُكَ لِتُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشَاءً.

(١) الْمِكَتَلُ: زَنْبِيلٌ يُضْنَعُ مِنَ الْخَوْصِ، وَيَجْمَعُ عَلَى «مَكَاتِلٍ».

(٢) السَّرَبُ: نَقْفٌ فِي الْأَرْضِ لَا مَنَقَذَ لَهُ.

(٣) الطَّاقُ: الطَّرْقُ.

قال: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَىٰ عِلْمٍ مِّنَ اللَّهِ عِلْمَنِيهِ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَىٰ عِلْمٍ مِّنَ اللَّهِ عِلْمَكَ اللَّهُ لَا أَعْلَمُهُ.

قال موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾.

فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: ﴿فَإِنْ أَتَبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.

فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ، فَحَمَلُوهُ بِغَيْرِ نَوْلٍ<sup>(١)</sup>.

فَلَمَّا رَكِبَا السَّفِينَةَ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالْخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِّنَ الْأَوْحِ السَّفِينَةَ بِالْقُدُومِ.

فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَىٰ سَفِينَتِهِمْ فَحَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا<sup>(٢)</sup>؟

قَالَ: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

قَالَ: ﴿لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا﴾.

قال: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«فَكَانَتِ الْأُولَىٰ مِن مُّوسَىٰ نِسْيَانًا».

قال: وَجَاءَ عُضْفُورٌ، فَوَقَعَ عَلَىٰ حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَتَقَرَّرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً، فَقَالَ لَهُ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِّنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُضْفُورُ الَّذِي وَقَعَ عَلَىٰ حَرْفِ السَّفِينَةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ.

ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ، إِذْ أَبْصَرَ

(١) النَّوْلُ: أَجْرُ رُكُوبِ السَّفِينَةِ.

(٢) أَي: لَقَدْ جِئْتَ أَمْرًا عَظِيمًا مُّتَكَبِّرًا عَجِيبًا.



الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ، فَأَقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ.

فَقَالَ مُوسَى: ﴿أَفَلَنْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾:

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٦).

قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنْ الْأُولَى.

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٦).

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾: قال: مائل.

فَقَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ.

فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا، وَلَمْ يُضَيِّفُونَا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِنِّي مُبْعَدٌ مِنْ قَوْمِكَ وَمَا لِيَ أَعْلِمَ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٧٨).

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَدِدْنَا أَنَّ مُوسَى كَانَ صَبَرَ حَتَّى يَقْضَى اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِهِمَا.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا آتِبُحَ حَقِّي أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا﴾ (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْسَلْنَا عَلَى عَائِلَتِهِمَا

قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ .

أَلْتَرَمُّ فِي الْفَهْمِ التَّدْبِيرِيِّ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ  
الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ.

إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَامَ خَطِيباً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَيُظْهَرُ أَنَّ هَذَا  
حِينَ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي التِّيهِ، خِلَالَ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً الَّتِي قَضَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ  
فِيهَا أَنْ يَتِيَهُوا فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّهُمْ رَفَضُوا أَنْ يَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ  
مُقَاتِلِينَ.

فُسِّلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَعْضِ قَوْمِهِ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ:  
أَنَا. فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرِدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ  
أَعْلَمُ، أَنَا لَا أَدْرِي.

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْدًا بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ.

قال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ، فَكَيْفَ لِي بِهِ؟.

قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتًا فَتَجْعَلُهُ فِي مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فَقَدَتِ الْحُوتُ فَهُوَ  
ثَمٌّ، أَي: فَهُوَ هُنَاكَ.

فَأَخَذَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حُوتًا، فَجَعَلَهُ فِي مِكْتَلٍ لِبَطْعَامِهِ وَطَعَامِ فَتَاهُ  
يُوشَعَ بْنِ نُونٍ، الَّذِي كَانَ تَلْمِيزًا وَخَادِمًا وَمُرَافِقًا مُوَافِقًا، وَقَدْ نَبَّأَهُ اللَّهُ عَزَّ  
وَجَلَّ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ثُمَّ انْطَلَقَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُرَافِقُهُ فَتَاهُ يُوشَعَ بْنُ نُونٍ مُسَافِرَيْنِ،  
وَقَصْدُ مُوسَى أَنْ يَصِلَ إِلَى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ لِيَلْقَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، وَهُوَ  
الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيَقْتَبِسَ مِنْهُ عِلْمًا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهُ، فَهِيَ رِحْلَةٌ تَلْمِيزٍ  
لِيَتَعَلَّمَ عِلْمًا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهُ مِنْ إِسْنَادِ رَبَّانِي.

وَتَرَجَّحَ عِنْدِي أَنَّ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ فِي قِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، هُوَ مَكَانُ التِّقَاءِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ بِخَلِيجِ الْعَقَبَةِ، فَقَدْ جَاءَ فِي تَقْرِيرِ لِبَعْنَةِ عِلْمِيَّةٍ بَيْنَ جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ الْمِصْرِيَّةِ وَجَامِعَةِ أَدْنَبَرَةِ الْإِنْكِيزِيَّةِ: أَنَّ مَاءَ الْبَحْرِ فِي خَلِيجِ الْعَقَبَةِ تَخْتَلِفُ خَوَاصُّهُ وَتَرَاكِبُهُ عَنْ مَاءِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ. وَاسْتَطَاعَتِ الْبَعْنَةُ بِوَسَاطَةِ قِيَاسِ الْأَعْمَاقِ اكْتِشَافَ حَاجِزٍ مَغْمُورٍ عِنْدَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، يَبْلُغُ ارْتِفَاعُهُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ مِثْرٍ.

وَتَابَعَا سَفَرَهُمَا حَتَّى وَصَلَا إِلَى مَكَانٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فِيهِ صَخْرَةٌ وَكَانَا قَدْ تَعَبَا مِنْ طُولِ السَّفَرِ، وَاشْتَدَّ نُعَاسُهُمَا، فَوَضَعَا رُؤُوسَهُمَا فَنَامَا.

وَأَحْيَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحُوتَ، فَاضْطَرَبَ فِي الْمِكْتَلِ فَخَرَجَ مِنْهُ، فَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ نَفْقًا يَحْجُزُهُ فَلَا يَخْرُجُ مِنْهُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لِهَذَا النَّفْقِ مَنفذٌ، وَكَانَ هَذَا بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ وَخَلْقِهِ، لِيَكُونَ عَلَامةً لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَأَمْسَكَ اللَّهُ عَنِ الْحُوتِ جَرِيَّةَ الْمَاءِ حَتَّى لَا يَأْخُذَهُ الْمَوْجُ إِلَى وَسْطِ الْبَحْرِ، فَصَارَ الْمَاءُ عَلَى الْحُوتِ مِثْلَ الطَّوْقِ الْمُحِيطِ بِهِ، فَهُوَ لَا يَخْرُجُ مِنْهُ.

فَلَمَّا اسْتَيْقَظَا مِنْ نَوْمِهِمَا، نَسِيَ فَتَى مُوسَى «يُوشَعَ بْنِ نُونٍ» الْحُوتَ، وَلَعَلَّهُ شَاهَدَ سُقُوطَهُ فِي الْبَحْرِ وَانْجِبَاسَهُ فِي دَائِرَةِ الْمَاءِ فَنَسِيَ أَيْضًا أَنْ يُخْبِرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأَمْرِ.

فَانْطَلَقَا مُسَافِرَيْنِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتِهِمَا، وَيُظْهَرُ أَنََّّهُمَا بَدَءَا سَفَرَهُمَا مَعَ الضُّحَى، فَلَمَّا تَعَبَا نَامَا نَوْمَةً الْقِيلُولَةِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ، وَبَعْدَ أَنْ اسْتَيْقَظَا تَابَعَا سَفَرَهُمَا، حَتَّى آخِرِ النَّهَارِ وَقَسَمَ مِنَ اللَّيْلِ، فَنَامَا كَالَّذِينَ مِنَ التَّعَبِ.

حَتَّى إِذَا كَانَا مِنَ الْعَدِ، قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِفَتَاهُ: «يُوشَعَ بْنِ نُونٍ»: آتِنَا طَعَامَ غَدُوتِنَا، أَيُّ: طَعَامَ أَوَّلِ النَّهَارِ، فَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا تَعَبًا.

فَقَالَ: «يُوشَعَ بْنَ نُونٍ»: أَرَأَيْتَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِذْ أَوْينَا إِلَى الصَّخْرَةِ وَنَمْنَا، فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ هُنَاكَ، وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ فَمَنْعَنِي أَنْ أَذْكُرَهُ، وَالْأَمْرُ الْعَجِيبُ أَنَّهُ اضْطَرَبَ فِي الْمَكْتَلِ، وَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، وَحَبَسَهُ نَفَقٌ فِيهِ، وَمَاءٌ أَحَاطَ بِهِ كَالطُّوقِ حَتَّى لَا تَأْخُذَهُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ.

قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي، إِذْ هُوَ الْمَكَانُ الْمُحَدَّدُ لِلِقَائِي بِمَنْ يُعَلِّمُنِي عِلْمًا لَيْسَ عِنْدِي مِنْهُ.

فَرَجَعَا يَتَبَّعَانِ أَثَرَ سَفَرِهِمَا فِي رِحْلَتَيْهِمَا، بَعِيداً عَنْ مَكَانِ الصَّخْرَةِ الَّتِي كَانَا قَدْ نَامَا عِنْدَهَا نَوْمَةً الْقِيلُولَةِ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ، حَتَّى وَصَلَا إِلَيْهَا. وَيُظْهَرُ أَنَّ الْحُوتَ لَمْ يَكُنْ زَادَهُمَا الْوَحِيدَ مِنَ الطَّعَامِ، فَقَدْ كَانَ مَعَهُمَا غَيْرُهُ مِمَّا يَقِيئُهُمَا.

• ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَتِلَّغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا ۝١٠﴾:

• ﴿لَا أَبْرَحُ﴾: أَي: لَا أَزَالُ مُسْتَمِرّاً فِي سَفَرِي هَذَا.

• ﴿حَتَّى أَتِلَّغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾: أَي: حَتَّى أَصِلَ إِلَى مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ الَّذِي جَعَلَهُ رَبِّي الْمَكَانَ الَّذِي اجْتَمَعَ فِيهِ بِالْخَضِرِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ عِلْماً لَمْ يُؤْتِنِي مِنْهُ.

وَمَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ فِيمَا تَرَجَّحَ عِنْدِي، هُوَ مَكَانُ الْيَقَاءِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ بِخَلِيجِ الْعَقَبَةِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعْلُوماً أَنَّهُ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ.

• ﴿... أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا ۝١٠﴾: أَي: أَوْ أَنْ أَذْهَبَ مُتَابِعاً سَفَرِي زَمناً طَوِيلاً حَتَّى يَهْدِيَنِي اللَّهُ إِلَى مَكَانِ اجْتِمَاعِي بِالْخَضِرِ.

الْحُقْبُ - وَالْحُقْبُ: الْمَدَّةُ الطَّوِيلَةُ مِنَ الزَّمَنِ. وَجَمْعُهُ «حِقَاب» و«أَحْقَاب».

• ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾: أي: فَلَمَّا وَصَلَا مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ.

الْبَيْنُ: يَأْتِي بِمَعْنَى الْافْتِرَاقِ وَالتَّبَاعُدِ. وَيَأْتِي بِمَعْنَى الْاِتِّصَالِ وَالاِلْتِصَاقِ. فَهُوَ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الضِّدِّينِ، وَمَعْنَى الْاِتِّصَالِ هُوَ الْمُنَاسِبُ هُنَا.

• ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: أي: بَعْدَ أَنْ أَوَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، وَوَضَعَا رُؤُوسَهُمَا وَنَامَا، وَاضْطَرَبَ الْحُوتُ فِي الْمَكْتَلِ، فَخَرَجَ مِنْهُ وَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، وَاحْتَبَسَ فِي النَّفْقِ، وَأَحَاطَ بِهِ مَاءٌ كَالطُّوقِ، حَتَّى لَا تَأْخُذَهُ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

وَدَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي نَامَا فِيهِ هُوَ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ، لِذَلِكَ تَابَعَ سَيْرَهُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَمَعَهُ فِتْنَاهُ.

• ﴿... فَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾: أي: فَاتَّخَذَ الْحُوتُ بَعْدَ أَنْ اضْطَرَبَ فِي الْمَكْتَلِ إِذْ أَحْيَاهُ اللَّهُ وَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ نَفَقًا غَيْرَ نَافِذٍ، لِيَحْبِسَهُ.

السَّرَبُ: نَفَقٌ فِي الْأَرْضِ لَا مَنَفَذَ لَهُ.

وَكَانَ هَذَا بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ عَلَامَةً لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا رَجَعَ يَقُصُّ الْأَثَرَ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فَقَدَ فِيهِ الْحُوتَ.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ اللَّهَ أَمْسَكَ عَنِ الْحُوتِ جَرِيَةَ الْمَاءِ، فَصَارَ الْمَاءُ الثَّابِتُ فِي مَكَانِهِ كَالطُّوقِ الْمُحِيطِ بِهِ الْمَانِعِ لَهُ مِنْ أَنْ تَسْحَبَهُ الْأَمْوَاجُ.

• ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾: أي: فَلَمَّا جَاوَزَا مُبْتَعِدَيْنِ عَنِ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ.

وَجَاءَ فِي بَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُمَا انْطَلَقَا جَادَّيْنِ فِي الْمَسِيرِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمَا وَلَيْلَتُهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْعَدِ.

• ﴿... قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ (٦٦):

أي: قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِفَتَاةِ «يُوشَعَ بْنِ نُونَ»: آتَيْنَا غَدَاءَنَا.

الغداء: طَعَامُ الْغُدْوَةِ، وَهُوَ الْوَقْتُ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ حَتَّى طُلُوعِ الشَّمْسِ.

فَطَلَبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ «يُوشَعَ» إِحْضَارَ طَعَامِ الْغُدْوَةِ، وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا الَّذِي تَابَعْنَا السَّيْرَ فِيهِ تَعَبًا.

النَّصَبُ: التَّعَبُ مِنْ مُتَابَعَةِ الْعَمَلِ وَبَذْلِ الْجُهْدِ.

عِنْدَئِذٍ تَذَكَّرَ «يُوشَعُ» أَنَّهُ نَسِيَ الْحُوتَ عِنْدَمَا أَوَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ وَنَامَا، عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ:

• ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (٦٧):

أي: قَالَ «يُوشَعُ» لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَرَأَيْتَ الْمَكَانَ الَّذِي نَزَلْنَا فِيهِ عِنْدَ الصَّخْرَةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَنَمْنَا عِنْدَهُ، وَلَمَّا اسْتَيْقَظْنَا تَرَكْنَاهُ وَتَابَعْنَا سَفَرَنَا عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، فَإِنِّي نَسِيتُ أَنْ أُسْتَخْرِجَ الْحُوتَ مِنَ الثَّقَفِ الَّذِي حَبَسَهُ فِي الْبَحْرِ، وَأَنْ أَحْمِلَهُ فِي الْمَكْتَلِ.

وَمَا أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ بِصَرْفِ ذَهْنِي عَنْ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَنَسِيتُ أَنْ أَذْكُرَ لَكَ الْأَمْرَ الْعَجَبَ الَّذِي كَانَ مِنَ الْحُوتِ إِذْ اضْطَرَبَ فِي الْمَكْتَلِ، وَخَرَجَ مِنْهُ، وَسَقَطَ فِي الْبَحْرِ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا احْتَبَسَ فِيهِ.

قال رسول الله ﷺ في الحديث: «فَكَانَ لِلْحُوتِ سَرَبًا وَلِمُوسَى وَفَتَاهُ عَجَبًا».

• ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾: أي: قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام لِفَتَاهُ «يُوشَعَ بْنِ نُونٍ»: ذَلِكَ الَّذِي حَصَلَ؛ وَهُوَ فَقَدْنَا لِلْحُوتِ هُوَ مَا كُنَّا نَطْلُبُهُ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى لَهُ بِشَأْنِ التِّقَائِهِ بِالْخَضِرِ: «فَحِينُمَا فَقَدَتِ الْحُوتُ فَهُوَ نَمَّ» أي: فَالْخَضِرُ هُنَاكَ.

• ﴿... فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾: أي: فَرَجَعَا سَائِرِينَ عَلَىٰ آثَارِهِمَا فِي الْأَرْضِ، مُتَّبِعِينَ هَذِهِ الْأَثَارَ شَيْئًا فَشَيْئًا.

تَقُولُ لُغَةً: «قَصَصْتُ الشَّيْءَ، قَصًّا، وَقَصَصًا» أي: تَتَّبَعْتُ أَثَرَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا. وَيُقَالُ: «قَصَّ آثَارَهُمْ» أي: تَتَّبَعَهَا.

• ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾: ﴿١٥﴾

أي: فَلَمَّا وَصَلَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي فَقَدَا فِيهِ الْحُوتَ، وَجَدَا عِنْدَهُ الرَّجُلَ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ عِلْمًا خَاصًّا لَمْ يُؤْتِ مِنْهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، وَهُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَام، وَقَدْ جَاءَتْ تَسْمِيَّتُهُ: «الْخَضِرُ» فِي أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ. وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:

«إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ لِأَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فُرُوجِ بَيْضَاءٍ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضِرَاءً».

وَوَصَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ، أي: الْمُتَحَقِّقِينَ بِعُبُودِيَّتِهِمْ لَهُ. وَوَصَفَهُ بِأَنَّهُ آتَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ، أي: آثَارَ رَحْمَةِ رَحِمَهُ بِهَا، وَيُظْهَرُ لِي أَنَّهَا نُبُوءَةٌ، إِذْ كَانَ يُوحَى إِلَيْهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَسُولًا، لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُكَلِّفْهُ أَنْ يَحْمِلَ رِسَالَةَ لِلنَّاسِ وَيُبَلِّغَهَا أُمَّتَهُ.

وَقَالَ اللَّهُ بِشَأْنِهِ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾: أي: عِلْمًا خَاصًّا لَمْ نُعَلِّمُهُ

وَيُظْهِرُ لِلْمُتَدَبِّرِ مِنْ خِلَالِ مُرَافَقَةِ مُوسَى لَهُ عَلَيْهِمَا السَّلَام، أَنَّ الْعِلْمَ الْخَاصَّ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَام، عِلْمٌ يَتَعَلَّقُ بِبَعْضِ تَصَارِيفِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَمِنْهَا مَا ظَاهِرُهُ شَرٌّ مَكْرُوهٌ، وَحَقِيقَتُهُ خَيْرٌ مَحْبُوبٌ، إِذْ يَحْدُثُ نَظِيرُ مَا أَجْرَاهُ الْخَضِرُ بِأَمْرِ اللَّهِ، فِيمَا يُجْرِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَادِهِ فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، مِمَّا لَا نَعْلَمُ الْحِكْمَةَ فِيهِ عِنْدَ حُدُوثِهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (البقرة/ ٨٧ نزول):

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ بِشَأْنِ التِّقَاءِ مُوسَى بِالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَام:

«فَرَجَعَا يَقْضَانِ أَثَرَهُمَا حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ مُسَجًى يَثُوبُ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ مُوسَى، فَقَالَ الْخَضِرُ: وَأَنْتَى بِأَرْضِكَ السَّلَام؟! أَي: مَنْ أَيْنَ يُوجَدُ بِهِذِهِ الْأَرْضِ السَّلَام?!».

قال: أنا موسى. قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم: أَتَيْتُكَ لَتُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً قِصَّةَ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَام:

• ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾:

• ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾:

الرُّشْدُ - وَالرَّشْدُ - وَالرَّشَادُ: السُّلُوكُ الْفِكْرِيُّ، وَالنَّفْسِيُّ، وَالْخُلُقِيُّ،



وَالْعَمَلِيُّ، الْمُوَافِقُ لِلْحَقِّ وَالصَّوَابِ، أَوْ لِمَا هُوَ الْأَفْضَلُ وَالْأَحْسَنُ وَالْأَكْثَرُ نَفْعًا وَالْأَبْعَدُ عَنِ الضَّرَرِ.

جاءَ طَلَبُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِأَسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ الَّذِي يَتَضَمَّنُ تَلَطُّفًا فِي الْعَرْضِ، وَهَذَا هُوَ شَأْنُ أَدَبِ طَالِبِ التَّعَلُّمِ مَهْمَا كَانَ رَفِيعَ الْمَنْزِلَةِ الْعِلْمِيَّةِ، مِنْ مُعَلِّمٍ مَا لَدَيْهِ عِلْمٌ نَافِعٌ يُرِيدُ أَنْ يَسْتَفِيدَهُ مِنْهُ.

وَعَلِمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ مَا عِنْدَ الْخَضِرِ مِنْ عِلْمٍ لَا يُسْتَفَادُ بِجَلْسَةٍ أَوْ عِدَّةِ جَلْسَاتٍ، بَلْ لَا بُدَّ لِتَحْقِيقِهِ مِنْ اتِّبَاعٍ وَمُلَازَمَةٍ، فَقَالَ لَهُ: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ؟﴾

وَمَعَ عِلْمِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْخَضِرَ لَا يُعَلِّمُهُ إِلَّا مَا فِيهِ رُشْدٌ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ الَّذِي أَعْلَمَهُ بِهِ، وَدَلَّهُ عَلَيْهِ، وَأَوْصَلَهُ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ رَأَى أَنْ يُقَيِّدَ مَا يَتَعَلَّمُهُ مِنْهُ بِأَنْ يَكُونَ رُشْدًا. وَرُبَّمَا ذَكَرَ هَذَا الْوَصْفَ لِيَسْتَبْعِدَ عِلْمًا لَا رُشْدَ فِيهِ كَعِلْمِ السَّحَرِ.

• ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ٦٨ ؟.

وَجَاءَ فِي الْبَيَانِ الصَّحِيحِ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، أَنَّ الْخَضِرَ قَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

«إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، يَا مُوسَى، إِنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا تَعْلَمُهُ أَنْتَ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا أَعْلَمُهُ».

الْخُبْرُ - وَالْخَبْرُ - وَالْخَيْرُ: مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ عَلَى حَقِيقَتِهِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ.

أَي: إِنَّكَ يَا مُوسَى لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا إِذَا اتَّبَعْتَنِي، وَرَأَيْتَ مِنِّي تَصَرُّفَاتٍ قَدْ لَا تُوَافِقُ فِي ظَوَاهِرِهَا مَا يَجِبُ أَنْ يَلْتَزِمَ بِهِ الْمَأْمُورُ بِتَنْفِيزِ

أَحْكَامِ دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، وَأَنْتَ تَرَانِي مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُطَالِبِينَ بِتَنْفِيزِ أَحْكَامِ دِينِ اللَّهِ، وَمِنْ حَقِّكَ أَنْ تَعْتَرِضَ عَلَيَّ فِيهَا، عَمَلًا بِمَا لَدَيْكَ مِنْ أَحْكَامِ دِينِ اللَّهِ، وَلَا عِلْمَ لَدَيْكَ بِالْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ الَّتِي تَجْعَلُنِي أَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَاتِي، فَكَيْفَ وَأَنْتَ تَحْمِلُ لَوَاءَ أَحْكَامِ الشَّرْعِ تَصْبِرُ عَلَى تَصَرُّفٍ لَمْ يَحِظْ عِلْمُكَ بِالْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ الدَّاعِيَةِ إِلَيْهِ؟!

• ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (٦٩):

أَعْطَى مُوسَى لِلْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَعِدًّا مُعَلَّقًا عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، وَفُقَ آدَبُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ رَبِّهِمْ فِيمَا يَعِدُونَ بِفِعْلِهِ مُسْتَقْبَلًا، بِأَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَا يَجِدُهُ مِنْ تَصَرُّفَاتِ الْخَضِرِ الَّتِي لَا يُوَافِقُهُ عَلَيْهَا، وَوَعِدًّا بِأَنْ لَا يَعْصِي لَهُ أَمْرًا بِأَمْرِهِ بِهِ.

• ﴿قَالَ فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٧٠):

أي: قَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: أُوَافِقُ عَلَى أَنْ تَتَّبِعَنِي مُتَعَلِّمًا، فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي مُلْتَزِمًا بِالصَّبْرِ عَلَى مَا يُخَالِفُ مَا تَعْلَمُ مِنْ أَحْكَامِ دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ سَبَبِ فِعْلِي لِشَيْءٍ أَفَعَلُهُ وَأَنْتَ لَا تَرْضَاهُ، حَتَّى أُحْدِثَ أَنَا لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا بِقَوْلٍ أُبَيِّنُ لَكَ فِيهِ سَبَبَ فِعْلٍ مَا فَعَلْتُ مِمَّا هُوَ خَارِجٌ عَنْ حُدُودِ عِلْمِكَ، وَهُوَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي أَوْ عَلَّمَنِي وَأَمَرَنِي بِفِعْلٍ مَا فَعَلْتُ.

وَتَمَّ الاتفاقُ عَلَى أَنْ يَتَّبِعَ مُوسَى الْخَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَيُظْهِرَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ صَرَفَ فَتَاهُ «يُوشَعَ بْنِ نُونٍ» لِيَنْطَلِقَ مُتَّبِعًا الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا قِصَّةَ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

• ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ

جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا

تَوَلَّاهُ قَالَ أَفَلَمْ تَرَ أَنِّي رَفَعْتُكَ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا لَقِيَا غُلَامًا  
فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْهُ  
قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا  
أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ  
أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوَدِّعُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ  
صَبْرًا ﴿٧٨﴾ :

• ﴿فَأَنْطَلَقَا﴾: أي: فَذَهَبَ مُوسَى وَالخَضِرُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مُسْرِعِينَ  
بِهَمَّةٍ وَجِدٍّ وَنَشَاطٍ.

انْطَلَقَ: أي: ذَهَبَ مُسْرِعًا جَادًّا، وَهُوَ مُطَاوِعٌ: «أُطْلِقَهُ فَأَنْطَلَقَ»  
وَأَصْلُ الْإِطْلَاقِ التَّحْرِيرُ مِنَ الْقَيْدِ.

هَذَا الْبَيَانُ يُشْعِرُ بِأَنَّ فَتَى مُوسَى «يُوشَعَ بْنَ نُونٍ» قَدْ انْصَرَفَ عَنْ  
سَيِّدِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا بِتَوْجِيهِ مِنْ مُوسَى.

• ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ قَالَ أَخْرَقَهَا لِنُغْرَقَ أَهْلُهَا لَقَدْ جِئْتَ  
شَيْئًا إِمْرًا:

«ال» فِي لَفْظِ «السَّفِينَةِ» لِلْجِنْسِ.

• ﴿أَخْرَقَهَا﴾؟ اسْتَفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ، أَي: أَشَقَقْتُهَا وَقَطَعْتُ شَيْئًا مِنْهَا.  
يُقَالُ لُغَةً: «خَرَقَ فُلَانٌ الشَّيْءَ، يَخْرِقُهُ، وَيَخْرِقُهُ، خَرَقًا». أَي: شَقَّهُ  
وَمَزَقَهُ.

• ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾: أَي: لَقَدْ فَعَلْتَ فِعْلًا عَجِيبًا مُنْكَرًا.

يُقَالُ لُغَةً: «جَاءَ فُلَانٌ الْأَمْرَ» أَي: فَعَلَهُ.

الْإِمْرُ: الْعَجِيبُ الْمُنْكَرُ. يُقَالُ لُغَةً: «أَمْرٌ إِمْرٌ» أَي: عَجِيبٌ مُنْكَرٌ.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ:

«فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمُوهُمْ أَنْ يَحْمِلُوهُمْ، فَعَرَفُوا الْخَضِرَ، فَحَمَلُوهُمْ بِغَيْرِ نَوْلٍ (أي: بِغَيْرِ أَجْرٍ).

فَلَمَّا رَكَبَا السَّفِينَةَ لَمْ يَفْجَأْ إِلَّا وَالْخَضِرُ قَدْ قَلَعَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاكِ السَّفِينَةِ بِالْقُدُومِ.

فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدَتْ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقَتْهَا لِتَغْرُقَ أَهْلَهَا، لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا؟!.

فَدَلَّ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى أَنَّ الْخَرَقَ قَدْ كَانَ يَقْلَعُ لَوْحَ مِنْ أَلْوَاكِهَا بِالْقُدُومِ، وَأَصْحَابُ السَّفِينَةِ لَمْ يَغْتَرِضُوا عَلَى فِعْلِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَهُ، وَيَعْرِفُونَ أَنَّ لَهُ أَفْعَالًا عَجِيبَةً ذَاتَ غَايَاتٍ حَمِيدَةٍ نَافِعَةٍ.

• ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٦): اسْتَفْهَامٌ عَلَى النَّفْيِ لِيُجِيبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْإِثْبَاتِ فَيَقُولَ: بَلَى.

• ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (٧٧):

دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَقَرَّ بِالْإِثْبَاتِ، وَاعْتَدَرَ بِالنُّسْيَانِ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «فَكَانَتِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا».

• ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾: أي: لَا تُجَازِنِي عَلَى سُؤَالِي هَذَا بِسَبَبِ نِسْيَانِي، إِذْ نَسِيتُ مَا وَعَدْتُكَ بِهِ مِنَ الصَّبْرِ.

• ... ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (٧٧): أي: وَلَا تُحْمِلْنِي مِنْ أَمْرِي مَعَكَ مَا هُوَ شَدِيدٌ عَلَيَّ وَصَعْبٌ عَلَيَّ أَنْ أَلْتَزِمَهُ كَحَالَةِ النُّسْيَانِ، فَإِنِّي لَا أَطِيقُ أَنْ أَدْفَعَ عَنِّي حَالَةَ النُّسْيَانِ.

الْعُسْرُ، وَالْعُسْرُ: الشَّدَّةُ، وَالصُّعُوبَةُ، وَضِدُّهُ الْيُسْرُ.

صَيِّغَتَا: [لَا تُؤَاخِذْنِي - وَلَا تُرْهِقْنِي] صَيِّغَتَا التِّمَاسِ مَقْرُونِ بِعُذْرِ التَّسْيَانِ.

فَتَجَاوَزَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ هَذِهِ الْأُولَى مِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ.

وَبَعْدَ هَذَا الْحَدِيثِ أَبَانَ الرَّسُولُ ﷺ فِي الصَّحِيحِ مَا يَلِي:

«وَجَاءَ عُضْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ، فَتَقَرَّ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً. فَقَالَ الْخَضِرُ: مَا نَقَصَ عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِثْلَ مَا نَقَصَ هَذَا الْعُضْفُورُ الَّذِي وَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ».

• ﴿فَأَنطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾﴾: وفي القراءة الأخرى: [زَاكِئَةً] أي: طَاهِرَةً بَرِيئَةً مِنْ ارْتِكَابِ الذُّنُوبِ.

الْغُلَامُ: الصَّبِيُّ مُنْذُ وَلَادَتِهِ وَحَتَّى سِنِّ الْبُلُوغِ.

النُّكْرُ - وَالنُّكْرُ: الْأَمْرُ الشَّدِيدُ الصَّعْبُ - الْمُنْكَرُ الْمُسْتَقْبَحُ.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ:

«ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ، إِذْ أَبْصَرَ الْخَضِرُ غُلَامًا يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ رَأْسَهُ بِيَدِهِ فَأَقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ فَقَتَلَهُ».

لَقَدْ كَانَ قَتْلُ الْغُلَامِ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ التَّكْلِيفِ مِنْ قِبَلِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَدَثًا كَبِيرًا، لَمْ يَتَحَمَّلْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الصَّبْرَ عَلَيْهِ؛ بِحَسَبِ مَا يَعْلَمُ مِنْ أَحْكَامِ شَرْعِ اللَّهِ، وَهُوَ غَيْرُ نَاسٍ لِمَا وَعَدَ مِنَ الصَّبْرِ.

لَكِنْ كَانَ شَأْنُ الْخَضِرِ بِالنُّسْبَةِ إِلَيْهِ كَشَأْنِ مَلِكِ الْمَوْتِ مُتَفَذًّا أَمَرَ اللَّهُ

لَهُ بِقَتْلِهِ، إِذْ طُيعَ الْغُلَامُ كَافِرًا، وَلَمْ يَشَأْ اللَّهُ أَنْ يَدْخُلَ الْامْتِحَانَ وَهُوَ مَقْطُورٌ عَلَى الْكُفْرِ، وَالشَّرْطُ فِي الَّذِينَ يُوضَعُونَ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا أَنْ يَكُونُوا ذَوِي إِرَادَةٍ حُرَّةٍ غَيْرِ مَجْبُورَةٍ.

فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً طَاهِرَةً مِنَ الذُّنُوبِ إِذْ لَمْ تَبْلُغْ مَبْلَغَ التَّكْلِيفِ، بِغَيْرِ نَفْسٍ، لَقَدْ فَعَلْتَ فِعْلًا مُنْكَرًا لَا أَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ عَلَيْهِ!!

لَقَدْ قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْقَوْلَ مُسْتَنْكَرًا ذَاكِرًا لِوَعْدِهِ لِلْخَضِرِ بِالصَّبْرِ.

يَبْدَأُ أَنْ كَوَّنَ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ قَدْ طُيعَ كَافِرًا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ الْخَضِرَ وَلَمْ يُؤْتِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُيعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طَغْيَانًا وَكُفْرًا».

• ﴿٧٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾:

فَزَادَ عَلَى مَقَالَتِهِ السَّابِقَةِ لَهُ عِبَارَةً ﴿لَكَ﴾ وَفِي هَذِهِ الزِّيَادَةِ مَعْنَى تَلْوِيمِ الْخَضِرِ لِمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، إِذْ لَمْ يَلْتَزِمَ بِمَا وَعَدَهُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى تَصَرُّفَاتِهِ، وَعَدَمِ سُؤَالِهِ أَوْ الِاغْتِرَاضِ عَلَيْهِ، وَهُوَ ذَاكِرٌ غَيْرِ نَاسٍ.

• ﴿٧٦﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾:

اغْتَرَفَ مُوسَى لِلْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِأَنَّهُ أَخْلَّ بِوَعْدِهِ، وَسَأَلَهُ سُؤَالَ مُعْتَرِضٍ ذَاكِرٍ غَيْرِ نَاسٍ، لِأَنَّهُ وَجَدَ أَنَّ قَتْلَ غُلَامٍ لَمْ يَبْلُغْ مَبْلَغَ التَّكْلِيفِ كَبِيرَةً، لَا يَحْتَمِلُ رَسُولٌ مُبْلَغُ شَرْعِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَيْهَا صَابِرًا.

ثُمَّ تَبَّهَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الَّذِي أَجَابَ طَلَبَهُ، بَأَنْ يَلْتَقِيَ مَنْ هُوَ  
أَعْلَمُ مِنْهُ فِي قَضَايَا لَمْ يُعْطِهِ اللَّهُ عِلْمًا مِنْهَا، فَرَأَى أَنَّهُ تَجَاوَزَ حَدَّهُ، فَقَالَ  
لِلْخَضِرِ:

سَامِعْنِي بِهَذِهِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ نَسِيَانًا، وَإِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا  
تُصَاحِبْنِي، قَدْ بَلَغْتَ مِنْ أَقْرَبِ الْقُرْبِ مِنِّي بِمُخَالَفَتِي مَا وَعَدْتُكَ بِهِ، مَا  
يَجْعَلُ لَكَ عُذْرًا بِتَرْكِ مُصَاحِبَتِي.

لَدُنْ: ظَرَفْتُ زَمَانِيَّ وَمَكَانِيَّ بِمَنْزِلَةِ «عِنْد» إِلَّا أَنَّهُ أَقْرَبُ مِنْ «عِنْد»  
وَأَخْصُ مِنْهُ.

• ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنبَاَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا  
فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾:

جَاءَ فِي بَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ عَنِ الْجِدَارِ أَنَّهُ مَائِلٌ. وَجَاءَ فِيهِ بَشَانُ إِقَامَةِ  
الْخَضِرِ لَهُ:

«فَقَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ» أَي: لَمْ يَخْتَجِ مِنَ الْخَضِرِ أَكْثَرَ مِنْ  
أَنْ يَدْفَعَهُ بِكَفِّهِ، فَأَقَامَهُ مِنْ مِيلَانِهِ، وَجَعَلَهُ مُسْتَقِيمًا.

• ﴿اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا﴾: أَي: طَلَبَا مِنْ أَهْلِهَا أَنْ يُطْعِمُوهُمَا عَلَى سَبِيلِ  
الضِّيَافَةِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهَا بَيْنَ النَّاسِ، فَأَبَوْا جَمِيعًا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا كَانُوا أَهْلَ  
قَرْيَةٍ بِخَلَاءٍ لَا يُطْعِمُونَ ضَيْفًا يَأْتِيهِمْ.

وَجَاءَ فِي بَيَانِ الرَّسُولِ ﷺ:

«فَقَالَ مُوسَى: قَوْمٌ أَتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُطْعِمُونَا، وَلَمْ يُضَيِّفُونَا: ﴿لَوْ شِئْتَ  
لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أَي: لِنَسُدُّ بِالْأَجْرِ جُوعَنَا.

وَيُظْهِرُ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ بَلَغَ مِنْهُ الْجُوعُ مَبْلَغًا كَبِيرًا أَفْقَدَهُ  
الْإِلْتِمَازَ بِوَعْدِهِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ.

• ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾: أي: يُرِيدُ أَنْ يَسْقُطَ، يُقَالُ لُغَةً: «انْقَضَ الْجِدَارُ» أي: سَقَطَ.

شُبَّهَ مَيْلُ الْجِدَارِ عَنِ اسْتِقَامَتِهِ، بِفِعْلِ مَنْ يَمِيلُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَسْقُطَ عَلَى الْأَرْضِ، وَاسْتَعِيرَ فِعْلُ «يُرِيدُ» لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى الْمَيْلِ الْإِلَى السَّقُوطِ، وَهَذِهِ مِنَ الِاسْتِعَارَاتِ الْبَدِيعَةِ فِي الْبَيَانِ، وَفِيهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَيْلَ الْجِدَارِ قَدْ كَانَ مَيْلًا مُنْذَرًا بِالسَّقُوطِ.

• ﴿... قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٧٧): أي: قَالَ مُوسَى لِلْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: لَوْ شِئْتَ لَأَبْلَغْتَ أَصْحَابَ الْجِدَارِ أَنْ تُقِيمَهُ لَهُمْ مُقَابِلَ أَجْرِ نَآكُلُ بِهِ طَعَامًا، فَقَدْ بَلَغَ الْجُوعُ مِنَّا مَبْلَغًا مُضْنِيًّا.

عِنْدُنِي تَحَلَّلَ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ التَّزَامِهِ بِمُصَاحَبَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٧٨):

أي: وَتَمَّ الْفِرَاقُ بَيْنَ الْخَضِرِ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقَالَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ:

«وَدِدْنَا أَنْ مُوسَى كَانَ صَبَرَ حَتَّى يَقُصَّ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا».

• ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾: الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِمَعْنَى الْبَيْنِ هُنَا الْإِتِّصَالُ، أي: هَذَا سَبَبُ مَا عَزَمْتُ عَلَيْهِ مِنْ تَنْفِيدِ فِرَاقِ وَضَلِّي مَعَ وَضْلِكَ.

• ﴿... سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٧٨):

التَّأْوِيلُ: الْإِرْجَاعُ، يُقَالُ لُغَةً: «أَوَّلُهُ تَأْوِيلًا» أي: رَدُّهُ وَأَرْجَعَهُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ.



وَتَأْوِيلُ الْأَفْعَالِ الَّتِي يَبْدُو فِي الظَّاهِرِ أَنَّهَا أَعْمَالٌ مُسْتَنَكِرَةٌ، يَكُونُ بِإِزْجَاعِ الذَّهْنِ عَنْ تَصَوُّرَاتِهِ، وَبَيَانِ أَسْبَابِهَا الْخَفِيَّةِ وَالْغَايَةِ مِنْ فِعْلِهَا.

أي: سَأُخْبِرُكَ بِأَسْبَابِ أَفْعَالِي الَّتِي اسْتَنَكَرْتَهَا، وَلَمْ تَسْتَطِعْ صَبْرًا عَلَى السُّكُوتِ عَنْ سَوَالِي عَنْهَا، مُخَالِفًا مَا وَعَدْتَنِي بِهِ مِنَ الصَّبْرِ، وَسَأُخْبِرُكَ بِالْغَايَةِ مِنْهَا، قَبْلَ افْتِرَاقِنَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا الْفَضْلَ الْأَخِيرَ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ، وَهَذَا الْفَضْلُ يَتَضَمَّنُ بَيَانَ الْخَضِرِ لِمُوسَى تَأْوِيلَ أَفْعَالِهِ الَّتِي أَجْرَاهَا، وَاسْتَنَكَرَهَا مُوسَى بِحَسَبِ مَا يَعْلَمُ مِنْ أَحْكَامِ دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ:

• ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْفُلُودُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾:

هَذِهِ التَّأْوِيلَاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَكْشِفُ أَنْ عِلْمَهُ الَّذِي آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَلَمْ يُؤْتِ مِنْهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامَ، عِلْمٌ يَتَعَلَّقُ بِبَعْضِ الْغَيْبِيَّاتِ، وَبَعْضِ الْأَوَامِرِ الرَّبَّانِيَّةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِتَصَارِيفِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، مِمَّا هُوَ خَفِيٌّ وَهُوَ يَدْخُلُ فِي عُمُومِ قَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ، وَهُوَ مِمَّا يُكَلِّفُ اللَّهُ مَلَائِكَتَهُ بِتَنْفِيذِهِ.

• ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾:

﴿أَمَّا﴾ حَرْفٌ فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ وَالتَّوَكِيدِ دَائِمًا، وَفِيهِ مَعْنَى التَّفْصِيلِ

غالبًا. وهذا الحرفُ نَائِبٌ عَنْ أداة الشَّرْطِ وَجُمْلَتِهِ، وَيُؤْوِلُهُ النُّحَاةُ بِقَوْلِهِمْ: «مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ».

• ﴿السَّفِينَةَ﴾: «ال» في السَّفِينَةِ هُنَا عَهْدِيَّةٌ، أَي: الَّتِي رَكَّبْنَاهَا وَخَرَقْتُهَا بِقَلْعِ لَوْحٍ مِنَ أُلُوحِهَا.

• ﴿فَكَانَتْ لِمَسْكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾: أَي: فَهِيَ لِمَسَاكِينَ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي، وَيَعْرِفُونَ بَعْضَ تَصَرُّفَاتِي الْمُسْتَكْرَةِ فِي أَوَائِلِهَا وَالْمَحْمُودَةِ فِي غَايَاتِهَا.

فعل «كَانَ» يَأْتِي بِمَعْنَى الوجودِ الْحَالِيّ، وَيُفَسِّرُ بَنَحُو مَا ذَكَرْتُ، أَي: فَهِيَ لِمَسَاكِينَ.

• ﴿لِمَسْكِينَ﴾: أَي: لِفُقَرَاءٍ يَظْهَرُ مِنْ حَالِ مَسْكَنَتِهِمْ أَنَّهُمْ فُقَرَاءٌ.

ظهر لي من استقراء التَّصْوَصِ وَسَبْرِ دَلَالَتِهَا، أَنَّ الْفَقِيرَ مَنْ كَانَ ذَا حَاجَةٍ حَقِيقِيَّةٍ لِنَفَقَاتِهِ، وَنَفَقَاتٍ مَنْ يَعُولُهُمْ، سَوَاءٌ أَكَانَ مُعَدِّمًا أَوْ دُونَ ذَلِكَ إِلَى مَا دُونَ الْكِفَايَةِ، وَلَكِنْ قَدْ لَا تَكُونُ هَذِهِ الْحَاجَةُ ظَاهِرَةً عَلَيْهِ، فَيَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ بِحَالِهِ غَنِيًّا مِنْ تَعَقُّبِهِ، وَأَضِلُّ الْاِفْتِقَارِ إِلَى الشَّيْءِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ.

وَأَنَّ الْمَسْكِينَ هُوَ مَنْ كَانَ ظَاهِرُ حَالِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ ذُو حَاجَةٍ، أَوْ بَادِعَائِهِ أَنَّهُ ذُو حَاجَةٍ لِنَفَقَاتِهِ، وَرُبَّمَا يَكُونُ فِي وَاقِعِ حَالِهِ عَلَى خِلَافِ مَا يَظْهَرُ بِأَقْوَالِهِ أَوْ بِأَعْمَالِهِ.

فَالْمَسْكَنَةُ صِفَةٌ تَظْهَرُ عَلَى الْإِنْسَانِ، تُشْعِرُ بِأَنَّهُ فَقِيرٌ ذُو حَاجَةٍ، سَوَاءٌ أَكَانَ صَادِقًا بِمَسْكَنَتِهِ أَمْ كَاذِبًا فِيهَا.

وهذا الْفَرْقُ بَيْنَ الْفَقِيرِ وَالْمَسْكِينِ هُوَ مَا يُفْهَمُ مِمَّا رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَدْ رَوَى ابْنُ الْمُنْذِرِ وَالنَّحَّاسُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «الْفُقَرَاءُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْمَسَاكِينُ الطَّوَافُونَ».

• ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾: أي: فَأَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ فِيهَا عَيْبًا، لِأَحْمِيَهَا وَأَحْمِي أَصْحَابَهَا مِنْ مَلِكٍ غَاصِبٍ جَبَّارٍ، يَأْخُذُ بِالْقَهْرِ كُلَّ سَفِينَةٍ غَيْرِ مَعِيَّةٍ غَضْبًا، وَأَصْحَابُهَا يَعْرِفُونَنِي وَلَا يَغْتَرِضُونَ عَلَيَّ أَفْعَالِي.

وَسَأَلْتُ رَبِّي، فَأَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ مَا أَرَدْتُ فِعْلُهُ فِي السَّفِينَةِ.

• ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا﴾:

• ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ﴾: أي: وَرَاءَ نِهَآيَةِ مَدِّ بَصَرِهِمْ، كَمَا تَقُول: وَرَاءَ هَذَا الْجِدَارِ الَّذِي هُوَ أَمَامِي يُوجَدُ كَذَا.

الْقَصْبُ: أَخَذُ مَالِ الْآخَرِينَ ظُلْمًا بِالْقَهْرِ وَالْعَلْبَةِ.

أي: وَيُوجَدُ وَرَاءَ مَا تُدْرِكُ أَبْصَارُهُمْ مَلِكٌ جَبَّارٌ ظَالِمٌ، يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ تَمُرُّ فِي مَدَى سُلْطَانِهِ الْبَحْرِيِّ، بِالْقَهْرِ وَالْعَلْبَةِ، إِذَا كَانَتْ غَيْرَ مَعِيَّةٍ، فَقُمْتُ بِإِحْدَاثِ عَيْبٍ فِي سَفِينَتِهِمْ، لَا يُسَبِّبُ إِغْرَاقًا لَهَا وَلِأَهْلِهَا، لِأَحْمِيَهَا مِنْ غَضَبِهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ أَصْحَابَهَا مَسَاكِينٌ، لَا يَكْفِي دَخْلُ سَفِينَتِهِمْ مَا يَحْتَاجُونَ مِنْ نَفَقَةٍ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِأَسْرِهِمْ.

• ﴿وَأَمَّا أَلْفَلُكٌ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (٨٠)

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾:

جاء في بيان الرسول ﷺ الَّذِي سَبَقَ ذِكْرُهُ أَنَّ الْعُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا.

وَقَدْ دَلَّلْنَا النُّصُوصُ الْقُرْآنِيَّةُ الْكَثِيرَةَ جِدًّا، عَلَى أَنَّ الَّذِينَ يُوَضَّعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ اغْتِبَارًا مِنْ سِنِّ التَّكْلِيفِ، ذُووُ إِرَادَاتٍ حُرَّةٍ وَهُمْ غَيْرُ مَجْبُورِينَ بِالطَّنْعِ عَلَى إِيْمَانٍ أَوْ كُفْرٍ.

وَنَفَهُمْ مِنْ هَذَا أَنَّ مَنْ طُبِعَ عَلَى الْكُفْرِ فِي نَشَأَتِهِ لِحِكْمَةِ يُرِيدُهَا اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - لَا يُبْقِيهِ اللَّهُ حَيًّا حَتَّى يَدْخُلَ سِنِّ التَّكْلِيفِ،

وَهُوَ كَافِرٌ مَجْبُورٌ مَفْطُورٌ عَلَى الْكُفْرِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ حِكْمَتِهِ وَلَا مِنْ عَدْلِهِ أَنْ يُعَاقِبَ وَيُجَازِيَ عَلَى الْكُفْرِ مَنْ فَطَرَهُ هُوَ عَلَيْهِ.

وَإِذْ عَلِمَ الْخَضِرُ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ بَعْضِ عِلْمِ الْغَيْبِ أَنَّ الْغُلَامَ فُطِرَ كَافِرًا، وَهُوَ مَا زَالَ دُونَ سِنِّ التَّكْلِيفِ، اسْتَشَارَ مَنْ يُوحِي إِلَيْهِ مِنْ مَلِكٍ أَوْ أَكْثَرَ بِأَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لَهُ بِقَتْلِهِ لئَلَّا يَحْمِلَ آبَاؤُهُ الْمُؤْمِنَانِ مَتَاعِبَ طُغْيَانٍ وَلَدَيْهِمَا وَمَتَاعِبَ كُفْرِهِ، وَهُوَ فِي حَضَانَتَيْهِمَا وَتَحْتَ رِعَايَتَيْهِمَا، وَبِأَنْ يَقْبَلَ دُعَاءُهُمْ بِأَنْ يُبْدِلَهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا.

• ﴿رَكُوءٌ﴾: أي: طَهَارَةٌ وَبَرَاءَةٌ مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِثْمِ وَالْعِصْيَانِ.

• ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾: أي: وَأَقْرَبَ لِوَالِدَيْهِ عَظْفًا وَشَفَقَةً وَرَحْمَةً. وفي

القراءة الأخرى [رُحْمًا] ومعنى القراءتين واحد.

فَإِذْنِ اللَّهِ بِقَتْلِ الْغُلَامِ، وَسَأَلَ هُوَ وَمَنْ يُوحِي لَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ اللَّهُ أَنْ يُبْدِلَ وَالِدَيْهِ وَلَدًا آخَرَ خَيْرًا مِنْ قَتِيلِ الْخَضِرِ زَكَاةً وَأَقْرَبَ لِوَالِدَيْهِ عَظْفًا وَشَفَقَةً وَرَحْمَةً.

وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِقَتْلِ الْغُلَامِ، وَيُظْهَرُ أَنَّهُ أَوْحَى لَهُ أَيْضًا بِأَنَّهُ اسْتَجَابَ دُعَاءَهُمْ بِأَنْ يُبْدِلَ وَالِدَيْهِ خَيْرًا مِنْهُ.

فَالْقَضِيَّةُ كُلُّهَا مِنْ تَصَارِيفِ اللَّهِ، وَكَانَ الْخَضِرُ فِيهَا مُعَلِّمًا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، وَمَأْمُورًا مِنَ اللَّهِ بِالتَّنْفِيزِ، فَلَا إِشْكَالَ فِي مُخَالَفَةِ مَا فَعَلَهُ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِمَا فِي الشَّرِيعَةِ الَّتِي آتَاهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَحْكَامٍ، وَتَلَعَّبَ هُنَا أَهْوَاءُ مُدَّعِي عُلُومٍ غَيْبِيَّةٍ، وَمُنْفِذِي أَفْعَالٍ يُرْضُونَ بِهَا أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ، وَمَطَالِبِ نَفُوسِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُتَسَرِّينَ بِادِّعَاءَاتٍ كَاذِبَاتٍ يَزْعُمُونَ فِيهَا أَنَّ اللَّهَ آتَاهُمْ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ مَا لَمْ يَأْتِ غَيْرُهُمْ، كَمَا أَتَى الْخَضِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَهُمْ بِارْتِكَابِ مُخَالَفَاتٍ شَرْعِيَّةٍ، كَمَا أَذِنَ لِلْخَضِرِ بِقَتْلِ الْغُلَامِ.

• ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ :

جَاءَتْ هُنَا تَسْمِيَةُ الْقَرْيَةِ الَّتِي اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يَضَيِّقُوهُمَا بِاسْمِ الْمَدِينَةِ، لِأَنَّ لَفْظَ الْقَرْيَةِ يُطْلَقُ لُغَةً عَلَى كُلِّ أَرْضٍ فِيهَا بُيُوتٌ وَمَسَاكِينُ مُجْتَمِعَةٌ، قُلْتُ أَمْ كَثُرَتْ، وَلَوْ بَلَغَتْ مَدِينَةً عَظِيمَةً جَدًّا.

فِي حَادِثَةِ السَّفِينَةِ وَخَرَقَهَا أَبَانُ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ أَرَادَ هُوَ أَنْ يَحْيِيَهَا، لِيَحْيِيَهَا مِنْ غَضَبِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ، رَحْمَةً بِأَصْحَابِهَا الْمَسَاكِينِ الَّذِينَ يَعْرِفُ أَحْوَالَهُمْ وَهُمْ يَعْرِفُونَ فَضْلَهُ. أَي: فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَخْرِقَهَا بِقَلْعِ لَوْحٍ مِنْهَا، فَأَوْحَى إِلَيْهِ بِأَنْ يَفْعَلَ مَا أَرَادَ، فَكَانَ مَا فَعَلَهُ فِيهَا تَنْفِيذًا لِأَمْرِ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ صَادِرًا عَنْ أَمْرِهِ، دُونَ أَمْرٍ مِنَ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ.

وَفِي حَادِثَةِ الْغُلَامِ وَقَتْلِهِ عَلِمَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ أَنَّهُ طُبِعَ كَافِرًا، وَأَنَّ أَبَوَيْهِ مُؤْمِنَانِ، فَخَشِيَ أَنْ يُحْمَلَ أَبَوَيْهِ مَتَاعَبَ طُغْيَانِهِ وَكُفْرِهِ، فَرَغِبَ أَنْ يَقْتُلَهُ وَأَنْ يُبَدِّلَهُمَا اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ، وَلَكَمَا كَانَ الْقَتْلُ لِلْغُلَامِ لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ التَّكْلِيفِ أَمْرًا مُسْتَنَكِرًا جَدًّا فِي مَفَاهِيمِ كُلِّ النَّاسِ، اسْتَشَارَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ يُوحِي إِلَيْهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، بِشَأْنِ قَتْلِهِ وَأَنْ يُبَدِّلَ اللَّهُ وَالِدَيْهِ خَيْرًا مِنْهُ، فَتَطَابَقَتْ آرَاءُ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى الرِّغْبَتَيْنِ. أَي: فَسَأَلَ الْخَضِرُ رَبَّهُ أَنْ يَقْتُلَ الْغُلَامَ وَأَنْ يُبَدِّلَ وَالِدَيْهِ خَيْرًا مِنْهُ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ بِأَنْ يَقْتُلَهُ، فَكَانَ مَا فَعَلَهُ الْخَضِرُ مِنْ قَتْلِ الْغُلَامِ تَنْفِيذًا لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَكُنْ صَادِرًا عَنْ أَمْرِهِ، دُونَ أَمْرٍ مِنَ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ.

وَفِي حَادِثَةِ الْجِدَارِ الْمَائِلِ وَإِقَامَةِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ بَيْدِهِ، فَقَدْ عَلِمَ الْخَضِرُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، أَنَّهُ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ يُوجَدُ تَحْتَهُ كَنْزٌ قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمَا إِذَا كَبُرَا وَبَلَغَا أَشُدَّهُمَا، وَأَنْ

يَسْتَخْرِجَاهُ رَحْمَةً وَعَطَاءً مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَمْ يَكُنْ لِلْخَضِرِ فِي هَذِهِ الْحَادِثَةِ إِرَادَةٌ بِأَنْ يُقِيمَ هَذَا الْجِدَارَ الْمَائِلَ، إِلَّا أَنَّهُ تَلَقَّى أَمْرًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ يُقِيمَهُ يَدِهِ فَأَقَامَهُ امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ.

لَكِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ شِدَّةِ جُوعِهِ، وَرَفُضِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا وَيُطْعِمُوهُمَا، لَمْ يَخْطُرْ فِي بَالِهِ أَنْ إِقَامَةَ الْخَضِرِ لِلْجِدَارِ قَدْ كَانَ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، فَقَالَ لِلْخَضِرِ مُعْتَرِضًا: ﴿... لَوْ شِئْتَ لَنَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٧٧) : أَي: وَأَقْلَهُ أَنْ يُطْعِمُونَا.

• ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ : أَي: وَأَمَّا حَادِثَةُ الْجِدَارِ فَهُوَ مِلْكُ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ، وَيُظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ الْقَرْيَةَ كَانَتْ كَبِيرَةً يَصِحُّ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا لَفْظُ «مَدِينَةٍ» فِي عُرْفِ أَهْلِ ذَلِكَ الْعَصْرِ. وَالْغُلَامَانِ كَانَا دُونَ سِنِّ الْبُلُوغِ.

الْيَتِيمُ: الصَّغِيرُ الَّذِي مَاتَ أَبُوهُ مِنَ النَّاسِ، وَيَبْقَى يَتِيمًا حَتَّى يَبْلُغَ الْحُلُمَ.

• ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ : أَي: وَكَانَ تَحْتَ الْجِدَارِ مَالٌ مَدْفُونٌ مُحَبَّبًا لَهُمَا مِنْ أَبِيهِمَا أَوْ مِنْ أَحَدِ مُورَثِهِمَا، أَوْ مَقْضِيٍّ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ يَكُونَ لَهُمَا.

• ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ : أَي: وَكَانَ أَبُوهُمَا رَجُلًا صَالِحًا، وَرَبُّمَا كَانَ قَدْ دَفَنَ الْكَنْزَ لَهُمَا، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَسْتَخْرِجَاهُ، وَيُنْفِقَا مِنْهُ لِحَيَاتِهِمَا، وَاسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُعَاءَ أَبِيهِمَا الرَّجُلِ الصَّالِحِ.

• ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ :

• ﴿أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ : أَي: أَنْ يَكْتَمِلَ نُضْجُهُمَا الْإِنْسَانِي. أَشَدُّ كُلِّ شَيْءٍ اكْتِمَالُ تَنَامِيهِ، بِحَسَبِ صِفَاتِهِ الْقَابِلَةِ لِلَاكْتِمَالِ.

• ﴿رَحِمَ مَنْ رَبِّكَ﴾: أي: عطاءً من ربك رحمهما الله به إكراماً لأبيهما. أي: فأوحى إليّ بأن أقيم الجدار فأقمته طاعةً لأمره.

• ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾: أي: وما فعلت ما فعلت من أحداث السفينة والغلام والجدار عن إرادتي ورغبتني، وإنما فعلته عن أمر الله ربي. فمنه ما رغبت فيه فسألت الله ربي، فأذن لي أن أفعله عن طريق الوحي.

ومنه ما جاء أمراً من ربي دون طلب سابق مني، ففعلته طاعةً وامثالاً.

• ﴿... ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾: ﴿٨٧﴾:

﴿ذَلِكَ﴾: المُشارُ إليه ما جاء بيّانه في الآيات (٧٩) و(٨٠) و(٨١)

وبعض الآية (٨٢).

أي: ذلك تأويلُ الأفعال التي بدا لك يا موسى من ظاهرها أنها أفعال مُستَنَكِرَةٌ، أو كان غيرها أولى منها كإقامة الجدار، أبنت لك أسبابها التي كانت خفيةً عليك، وأبنت لك الغاية من فعلها، وأبنت لك أنني لم أفعل شيئاً منها عن أمري، وإنما فعلته عن أمر الله ربي بما أوحى إليّ.

وهذه هي حقيقة الأفعال التي لم تتحملها، ولم تستطع أن تصبر عليها، فتضبط نفسك وتمنع لسانك من السؤال عنها، على خلاف وعيدك الذي وعدتني في بدء رحلتنا.

ولما كان الخضر عليه السلام على عزم الفراق حالاً أشار إلى استعجاله الفراق بعبارة «تسطع» بدل «تستطع» وهذا من الإيجاز بالحذف على غير قياس.

وانطلق الخضر مفارقاً موسى عليهما السلام.

وبهذا تم تدبر الدرس الثامن من دروس سورة (الكهف).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، وميثته، وفتحه.

(١٣)

## التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (الكهف) الآيات من (٨٣ - ٩٩)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۚ إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَايَتَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۚ فَاتَّبِعْ سَبَبًا ۚ﴾ (٨٥) **﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۚ﴾** (٨٦) **﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ۚ﴾** (٨٧) **﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا ۚ﴾** (٨٨) **﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ۚ﴾** (٨٩) **﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ۚ﴾** (٩٠) **﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۚ﴾** (٩١) **﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا ۚ﴾** (٩٢) **﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۚ﴾** (٩٣) **﴿قَالُوا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ﴾** (٩٤) **﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۚ﴾** (٩٥) **﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۚ﴾** (٩٦) **﴿فَمَا اسْطَلَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُمْ نَقْبًا ۚ﴾** (٩٧) **﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۚ﴾** (٩٨) **﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ ۚ﴾**

القراءات:

(٨٥) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب:

[فَاتَّبَعَ سَبَبًا].

وقراها باقي القراء العشرة: [فَاتَّبَعَ سَبَبًا].

اتَّبَعَ، وَاتَّبَعَ: كِلَاهُمَا بمعنى: تَبَعَ.



(٨٦) • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وحفص، ويعقوب:

[حَمِيَّة].

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَة: [حَامِيَّة].

«حَمِيَّة»: أي: ذَاتُ حَمًا وهو الظينُ الأسود المُنْتِنُ. «حَامِيَّة» أي: شديدة الحرارة، فَبَيَّنَ القراءَتَيْنِ تَكَامُلُ فِكْرِيٍّ.

(٨٧) • قرأ نافع، وابن ذكوان، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب:

[نُكْرًا] بضم الكاف.

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَة: [نُكْرًا] بإسكان الكاف.

«نُكْرًا» و«نُكْرًا» لُغَتَانِ بِمَعْنَى الأَمْرِ الشَّدِيدِ الصَّعْبِ.

(٨٨) • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وشعبة،

وأبو جعفر: [جَزَاءُ الْحُسْنَى] على الإضافة، أي: الجنة الحسنَى، أو المثوبة الحسنَى.

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَة: [حَزَاءُ الْحُسْنَى]: أي: فلهُ الحسنَى

جزاء.

(٨٩ و ٩٢) • قرأ نافع، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر،

ويعقوب: [ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيًّا] في الموضعين.

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَة: [ثُمَّ اتَّبَعَ سَبِيًّا] في الموضعين.

«اتَّبَعَ» و«اتَّبَعَ»: كلاهما بمعنى: «تَبَعَ».

(٩٣) • قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وحفص: [السَّيِّئِينَ] بفتح السين

المشَدَّدة.

وقراها باقي القُرَاء العَشْرَة: [السَّيِّئِينَ] بضم السين المشَدَّدة.

وهما لُغَتَان، يقال: «سُدَّ» و«سَدَّ».

(٩٣) • قرأ حمزة، والكِسَائِي، وخلف: [يُفْقَهُونَ] بضم الياء وكسر القاف.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [يَفْقَهُونَ].

وبين القراءتين تكامل، إذ هُم قَوْمٌ لَا يَعْرِفُونَ لُغَاتِ النَّاسِ. فَلَا يَفْقَهُونَ كَلَامَ الْأَقْوَامِ غَيْرِهِمْ، وَلَهُمْ لُغَةٌ خَاصَّةٌ بِهِمْ لَا يَعْرِفُهَا غَيْرُهُمْ.

(٩٤) • قرأ عاصم: [يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ].

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [يَاْجُوجَ وَمَأْجُوجَ] بإبدال الهمزة ألفاً في اللَّفْظَتَيْنِ.

وهما نُظْقَان لاسم هؤلاء القَوْمِ.

(٩٤) • قرأ حمزة، والكِسَائِي، وخلف: [خَرَجَا].

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [خَرْجَا].

«الْخَرْجُ» و«الْخَرَجُ» مَا يُبْذَلُ مِنْ مَالٍ أَجْراً عَلَى عَمَلٍ مَا، وَيُطْلَقُ عَلَى الْجَزْيَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(٩٤) • قرأ نافع، وابنُ عَامِر، وشُعْبَة، وأَبُو جَعْفَر، ويعقوب: [سُدَّأ] بِضَمِّ السِّينِ.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [سَدَّأ] بِفَتْحِ السِّينِ.

وهما لغتان لمعنى واحد.

(٩٦) • قرأ ابنُ كَثِير، وأَبُو عمرو، وابنُ عَامِر، ويعقوب:

[الصُّدْفَيْنِ] وقرأها شُعْبَة: [الصُّدْفَيْنِ].

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [الصُّدْفَيْنِ].

«الصَّدْفُ» و«الصَّدْفُ» و«الصَّدْفُ»: لُغَاتٌ بِمَعْنَى «الجبل» وَكُلُّ بِنَاءٍ عَظِيمٍ مُرْتَفِعٍ.

(٩٨) • قرأ عَاصِمٌ، وَحَمْزَةٌ، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلْفٌ: [دَكَّاءٌ] أَي: مُسْتَوِيًّا بِالْأَرْضِ.

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [دَكَّا] مَصْدَرٌ «دَكَّكْتُهُ» وَهُوَ بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَي: مُدْكُوكًا.

الَّذُكُّ: الدَّقُّ وَالتَّكْسِيرُ وَالْهَدْمُ.

فَمُؤَدَّى الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِدٌ.

تَمْهِيدٌ: فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ الْمَقْصُودِ الْإِعْلَامِ بِهِ مِنْ قِصَّةِ ذِي الْقَرْنَيْنِ.

مَنْ هُوَ ذُو الْقَرْنَيْنِ؟

لَيْسَ لَدَيْنَا فِي التَّارِيخِ مَا يُحَدِّدُ اسْمَهُ، وَلَا نَشَأَتُهُ، وَلَا مِنْ أَيِّ قَوْمٍ هُوَ، وَلَا الزَّمَنَ الَّذِي كَانَتْ حَيَاتُهُ فِيهِ، وَقَدْ خَلَطَ النَّاسُ بِشَأْنِهِ تَخْلِيطَاتٍ لَا تَعْتَمِدُ عَلَى أَسَانِيدٍ صَحِيحَةٍ، فَيَنْبَغِي الْإِعْرَاضُ عَنْهَا، وَعَدَمُ تَسْوِيدِ صَفَحَاتٍ وَلَا أَسْطُرٍ بِذِكْرِهَا.

إِنَّهُ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ كَمَا يَلِي:

(١) مَلِكٌ مُؤْمِنٌ مُسْلِمٌ فَاتِحٌ عَظِيمٌ.

(٢) قَدْ مَكَنَ اللَّهُ لَهُ فِي الْأَرْضِ.

(٣) آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُهُ لِمَلِكِهِ وَفُتُوحَاتِهِ بِحَسَبِ تَطَوُّرَاتِ الْعَصْرِ الَّذِي وُجِدَ فِيهِ سَبَبًا، يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى تَثْبِيتِ مُلْكِهِ، وَتَحْقِيقِ طُمُوحَاتِهِ فِي التَّوَسُّعِ وَالْإِصْلَاحِ، وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ.

(٤) أَنَّهُ كَانَ يَتَلَقَّى مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصَايَا، إِمَّا بِالْوَحْيِ الْمُبَاشِرِ، أَوْ عَنْ طَرِيقِ نَبِيٍّ كَانَ مَعَهُ فِي مَسِيرَاتِهِ، وَعَلَى فَرَضٍ أَنَّهُ كَانَ يُوحَى إِلَيْهِ مُبَاشَرَةً فَهُوَ نَبِيٌّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

• ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾:

الفِعْلُ فِي: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ دَلَّ عَلَى تَكَرُّارِ سُؤَالِهِمْ، لِأَنَّهُ فِعْلٌ مُضَارِعٌ يَفِيدُ التَّكَرُّارَ كَمَا يَقُولُ عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ.

• ﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾: أَي: عَنْ قِصَّةِ الْمَلِكِ الْفَاتِحِ الْمَعْرُوفِ بِأَنَّهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ.

وَذَكَرُوا فِي سَبَبِ تَسْمِيَّتِهِ بِذِي الْقَرْنَيْنِ عِدَّةَ آراءٍ، أَقْرَبُهَا:

(١) أَنَّهُ كَانَ ذَا ضَفِيرَتَيْنِ مِنَ الشَّعْرِ، يُلَازِمُ الْاِغْتِنَاءَ بِهِمَا وَالْمَحَافَظَةَ عَلَيْهِمَا، وَإِطْلَاقُ لَفْظِ الْقَرْنِ عَلَى الضَّفِيرَةِ مِنْ شَعْرِ الرَّأْسِ إِطْلَاقٌ شَائِعٌ، وَتُسَمَّى أَيْضاً ذُؤَابَةً.

(٢) أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ عَلَى رَأْسِهِ خُوْدَةً مِنْ نُحَاسٍ لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيْ كَبْشٍ.

إِلَى غَيْرِهِمَا مِنْ أَقْوَالٍ لَا دَلِيلَ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَيَظْهَرُ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَانَ قُصَّاصَهُمْ يَحْكُونَ حِكَايَاتٍ عَنْ مَلِكٍ عَظِيمٍ مَشْهُورٍ بِأَنَّهُ «ذُو الْقَرْنَيْنِ» فَكَرَّرُوا سُؤَالَهُمْ لِلرَّسُولِ ﷺ عَنْهُ، وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّ الْيَهُودَ هُمُ الَّذِينَ سَأَلُوا هَذَا السُّؤَالَ، أَوْ قَالُوا لِبَعْضِ كُتَبَاءِ مَكَّةَ مِنْ مَعَارِفِهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا مُحَمَّدًا هَذَا السُّؤَالَ.

• ﴿... قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ﴿٨٣﴾ : أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ  
لِلسَّائِلِينَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ: سَأَتْلُو مِمَّا سَيُنَزِّلُ عَلَيَّ رَبِّي فِي كِتَابِهِ الْقُرْآنِ مِنْ  
أَخْبَارِهِ ذِكْرًا مَا، بَعْضُ ذِكْرٍ، فلفظ «مِنْ» مِنْ عِبَارَةٍ: ﴿مِنْهُ﴾ لِلتَّبْعِيضِ.

أي: سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْ أَخْبَارِهِ بَيَانًا نَافِعًا، يَضْلُحُ أَنْ يَكُونَ ذِكْرًا  
تَتَذَكَّرُونَهُ عِنْدَ الْمُنَاسَبَاتِ الدَّاعِيَاتِ لِتَذَكُّرِهِ، لِيَكُونَ هَادِيًا لَكُمْ وَنَافِعًا وَمُرْشِدًا  
لِلإِسْتِقَامَةِ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ، وَلِتَعْرِفُوا مِيزَةَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ الْمُصْلِحِ الْعَادِلِ  
الرَّشِيدِ، الْمَهْدِيِّ بِهَدَايَةِ مَنْ رَبِّهِ، وَالْمُوَيَّدِ بِتَأْيِيدِ مَنْ لَدُنْهُ، وَالْمُمْكِنِ لَهُ فِي  
الْأَرْضِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بَادِئًا بِالْحَدِيثِ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ:

• ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ ﴿٨٤﴾ :

الْتَّمَكِينَ فِي الْأَرْضِ: الْإِفْقَارُ عَلَى التَّصَرُّفِ الْمَوْصِلِ إِلَى تَحْقِيقِ  
الْمَطْلُوبِ، مَعَ التَّثْبِيتِ فِي مَكَانِ الْقُدْرَةِ، وَالْإِفْقَارُ عَلَى التَّحَرُّكِ فِيهِ بِحُرِّيَّةٍ،  
وَأَضْلُهُ مَأْخُودٌ مِنَ الْمَكَانِ وَالثَّبَاتِ فِيهِ، فَالْتَّمَكِينَ فِي الْمَكَانِ إِفْقَارٌ عَلَى  
امْتِلَاقِهِ، وَعَلَى الثَّبَاتِ فِيهِ، مَعَ حُرِّيَّةِ التَّصَرُّفِ دُونَ وَجُودِ قُوَّةٍ أُخْرَى مُعَوِّقَةٍ  
أَوْ غَالِبَةٍ.

وَالْتَّمَكِينَ لِمَلِكٍ مَا فِي الْأَرْضِ جَعَلُ مُلْكِهِ قَوِيًّا ثَابِتًا، لَا يَظْمَعُ  
بِإِزَاحَتِهِ عَنْهُ الظَّامِعُونَ وَلَا الْمَنَافِسُونَ، إِذْ لَا يَمْلِكُونَ الْقُدْرَةَ الْكَافِيَةَ الْقَادِرَةَ  
عَلَى إِزَاحَتِهِ، أَوْ التَّغْلِبِ عَلَيْهِ.

وَقَدْ دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ الرَّبَّانِيُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ -  
قَدْ مَكَّنَ لِذِي الْقُرْنَيْنِ مُلْكَهُ فِي الْأَرْضِ فَكَانَ مَلِكًا فَاتِحًا امْتَدَّ مُلْكُهُ حَتَّى  
آخِرِ الْمَعْمُورِ مِنَ الْأَرْضِ فِي اتِّجَاهِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، ثُمَّ حَتَّى آخِرِ الْمَعْمُورِ  
أَوْ الْمُسْكُونِ مِنَ الْأَرْضِ فِي اتِّجَاهِ مَشْرِقِ الشَّمْسِ.

• ﴿... وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ ﴿٨٤﴾ :

السَّبَبُ: يُطْلَقُ أَضْلاً عَلَى الْحَبْلِ، ثُمَّ جَرَى التَّعْمِيمُ فِي الْإِطْلَاقِ، فَصَارَ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ.

أي: وَآتَيْنَاهُ بِتَقْدِيرِنَا وَقَضَائِنَا وَخَلْقِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَحْتَاجُهُ لِتَشْيِيتِ مُلْكِهِ، وَتَحْقِيقِ طُمُوحَاتِهِ فِي الْفَتْوحِ وَالْعِمْرَانِ، وَإِقَامَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، سَبَباً يُوصِلُهُ إِلَى تَحْقِيقِ مَا يَعْزِمُ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ بِحَسَبِ مَا تَطَوَّرَ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي عَصْرِهِ مِنْ وَسَائِلٍ وَأَسْبَابٍ، لَا مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ وَسَائِلٍ وَأَسْبَابٍ وَقَوَى.

فَعُمُومُ عِبَارَةِ: ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ مَخْصُوصَةٌ بِالنَّظَرِ إِلَى زَمَنِهِ بِالْأَسْبَابِ الَّتِي كَانَ النَّاسُ قَدْ تَوَصَّلُوا إِلَيْهَا فِي تَطَوُّرِهِمُ الْحَضَارِيِّ، وَمِثْلُ هَذَا مِمَّا تُخَصِّصُ بِهِ عُمُومَاتُ النُّصُوصِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً الْحَدِيثِ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ:

• ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَقَرُّبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْدَأُ الْفَرْنَينِ إِمَّا أَنْ نُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ٨٦ قَالَ أَمَا مِنْ ظُلْمٍ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكِرًا ٨٧ وَأَمَا مِنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ جَزَاءُ الْخَيْرِ وَسَنَقُولُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِنَا إِسْرًا ٨٨):

• ﴿فَاتَّبَعَ سَبَبًا ٨٥﴾: فعل: «اتَّبَعَ» يَأْتِي بِمَعْنَيْنِ:

المعنى الأول: يُقَالُ فِيهِ: «اتَّبَعَ الشَّيْءَ» أَي: تَبِعَهُ، سَارَ فِي أَثَرِهِ، تَلَاَهُ.

المعنى الثاني: يُقَالُ فِيهِ «اتَّبَعَ فُلَانٌ الشَّيْءَ شَيْئًا آخَرَ» أَي: جَعَلَهُ يَتَّبِعُهُ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ.

فَعَلَى الْمَعْنَى الْأَوَّلِ، نَفْهَمُ مِنَ الْعِبَارَةِ أَنَّهُ تَبَعَ سَبَبًا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، لِتَحْقِيقِ طُمُوحٍ مِنْ طُمُوحَاتِهِ فِي الْفَتْحِ لِنَشْرِ دِينِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.

وَعَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي، نَفَهُم مِّنَ الْعِبَارَةِ أَنَّهُ وَضَعَ هَدَفًا مِّنْ أَهْدَافِهِ فِي الْفَتْحِ، وَاتَّخَذَ لَهُ سَبَبًا مِّنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، وَاتَّبَعَ السَّبَبَ هَدَفُهُ لِتَحْقِيقِهِ.

وَالْمُرَادُ بِالسَّبَبِ جِنْسُ السَّبَبِ الْمُحَقَّقِ لِلْهَدَفِ، إِذْ قَدْ يَكُونُ مُؤَلَّفًا مِّنْ عِدَّةِ أَسْبَابٍ قَدْ تَكُونُ كَثِيرَةً جَدًّا.

فَالسَّبَبُ الَّذِي يَجِبُ اتِّخَاذُهُ لِفَتْحِ الْبِلَادِ وَنَشْرِ الْحَقِّ وَالْعُدْلِ وَالْعِمْرَانِ فِيهَا، يَتَأَلَّفُ مِّنْ أَسْبَابٍ يَضَعُ بِإِحْصَائِهَا، مِنْهَا إِعْدَادُ الْجُنْدِ وَقَادَتِهِمْ، وَإِعْدَادُ مَرَائِبِ الْجُنْدِ مِنْ خِيُولٍ وَعَرَبَاتٍ وَنَحْوِهَا. وَإِعْدَادُ الْأَسْلِحَةِ عَلَى اخْتِلَافِهَا، وَإِعْدَادُ مَا يَحْتَاجُهُ الْجُنْدُ مِنْ طَعَامٍ وَشِرَابٍ وَذَخَائِرٍ، وَتَهْيِئَةُ الطَّرِيقَاتِ وَالْمَسَالِكِ وَالْمَدَاحِلِ وَالْمَخَارِجِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يَعْرِفُهَا الْمُتَخَرِّجُونَ مِنَ الْكَلِّيَّاتِ الْحَرْبِيَّةِ، وَهَذِهِ تَتَطَوَّرُ بِحَسَبِ الِازْتِقَاءِ الْحَضَارِيِّ لِلشُّعُوبِ.

• ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾: أَي: وَاسْتَمَرَ يَتَّخِذُ أَسْبَابَهُ وَيَتَّبِعُهَا بِحَيْثُهِ الْعَظِيمِ، حَتَّىٰ بَلَغَ آخِرَ الْمَأْهُولِ بِالسُّكَّانِ مِنْ جِهَةِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا كَانَ مَعْلُومًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ.

• ﴿وَجَدَهَا تَقَرُّبٌ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾: وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: [فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ]: أَي: فِي عَيْنٍ حَارَّةٍ شَدِيدَةِ الْحَرَارَةِ، وَهِيَ ذَاتُ «حَمٍ» وَهُوَ الطَّيْنُ الْأَسْوَدُ الْمُتَيَّنُّ.

الْمُرَادُ بِالْعَيْنِ مَا يَنْبُعُ مِنَ الْأَرْضِ.

أَي: وَتَوَقَّفَ عِنْدَ هَذِهِ الْعَيْنِ، إِذْ وَجَدَهَا آخِرَ مَا يَسْتَطِيعُ جَيْشُهُ أَنْ يَعْبُرَهُ مِنَ الْأَرْضِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى الطَّرِيقِ وَالْمَسَالِكِ الْمَعْرُوفَةِ فِي زَمَانِهِ.

وَهَذِهِ الْعَيْنُ الْكَبِيرَةُ يَأْتِي بَعْدَهَا بَحْرٌ عَظِيمٌ، فَإِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ ظَهَرَ لِلنَّاظِرِينَ أَنَّهَا تَنْغَمِسُ فِي هَذَا الْبَحْرِ، وَلَمَّا كَانَتِ الْعَيْنُ الْحَمِيَّةُ تَقَعُ فِي

أَوَائِلِ هَذَا الْبَحْرِ الْعَظِيمِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَجِدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنِ حَمِيَّةٍ، إِذْ يَقَعُ فِي تَصَوُّرِهِ أَنَّ مَدَى الْبَحْرِ امْتِدَادٌ لِلْعَيْنِ الْحَمِيَّةِ.

وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَكُونَ الْعَيْنُ الْحَمِيَّةُ تَدْفُقاتِ نَفْطِيَّةً، تَنْبَعُ مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ، عِنْدَ سَاحِلِ بَحْرِ مُحِيطٍ، وَيَأْتِي هَذَا الْبَحْرُ وَرَاءَهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

• ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾: أي: وَوَجَدَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عِنْدَ هَذِهِ الْعَيْنِ الْحَمِيَّةِ قَوْمًا كَفَرَةً مُشْرِكِينَ، أَوْ لَا دِينَ لَهُمْ يَعِيشُونَ كَالْبَهَائِمِ.

• ﴿قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾:

يَتَحَدَّثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ أَنَّهُ قَالَ لِذِي الْقَرْنَيْنِ بِوَحْيٍ مُبَاشِرٍ إِذَا كَانَ نَبِيًّا، أَوْ عَنْ طَرِيقِ نَبِيِّ مُصَاحِبٍ لَهُ:

يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ أَنْتَ مَا ذُوْنُ لَكَ، بِأَنْ تُعَذِّبَ الْكَافِرَ الْمُعَانِدَ مِنْهُمْ، بَعْدَ دَعْوَتِهِ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَإِفْتِنَاعِهِ بِهِ، وَمَا ذُوْنُ لَكَ بِأَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ أَمْرًا ذَا حُسْنٍ، بِأَنْ تُنْهَلَ مَنْ تَرَى إِمْهَالَهُ مِنْهُمْ، وَتَتَلَطَّفَ بِهِ، وَتَضْبِرَ عَلَى مُعَالَجَتِهِ، بِحَسَبِ مَا تَرَى مِنْ أَحْوَالِهِ وَاسْتِعْدَادِهِ لِأَنْ يُؤْمِنَ مُسْتَقْبَلًا وَيَعْمَلَ صَالِحًا.

• ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا﴾ (٨٧)

وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُمْ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾:

لَمَّا أَخَذَ ذُو الْقَرْنَيْنِ الْإِذْنَ مِنْ رَبِّهِ بِأَنْ يَخْتَارَ بِحُكْمَتِهِ تَعْذِيبَ الْكَافِرِ الْمُجْرِمِ، إِذَا أَصَرَ عَلَىٰ كُفْرِهِ وَإِجْرَامِهِ بَعْدَ دَعْوَتِهِ إِلَىٰ دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، أَوْ يَخْتَارَ بِحُكْمَتِهِ إِمْهَالَ مَنْ يَتَوَسَّمُ أَنَّ الْإِمْهَالَ قَدْ يَجْعَلُهُ يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، أَبَانَ مِنْهُجَهُ فِي مُعَالَجَةِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْكَفَرَةِ الْمُجْرِمِينَ، وَهَذَا الْمَنْهَجُ يَتَلَخَّصُ بِمَا يَلِي:

الْبَنْدُ الْأَوَّلُ: أَمَّا مَنْ ظَلَمَ بِالْكَفْرِ وَارْتَكَبَ الْجَرَائِمَ الْكُبْرَى، بَعْدَ دَعْوَتِهِ إِلَىٰ دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، فَإِنَّا أَنَا وَأَرْكَانُ سُلْطَانِي وَمُلْكِي سَنُهِلُهُ، وَنُمُدُّ



لَهُ أَمَدٌ الْمُعَالَجَةِ، عَسَى أَنْ يَسْتَجِيبَ إِلَى دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ، حَتَّى إِذَا اقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ إِِنْهَاءَ إِمْهَالِهِ فَإِنَّا سَنُعَاقِبُهُ تَعَذِيبًا وَقِتْلًا.

دَلَّ عَلَى الْإِمْهَالِ الْحَكِيمِ عِبَارَةُ ﴿فَسَوْفَ﴾ لِأَنَّ كَلِمَةَ «سَوْفَ» تَدُلُّ عَلَى الْأَجْلِ الْبَعِيدِ فِيمَا ظَهَرَ لِي بِالِاسْتِقْرَاءِ.

وَدَلَّتْ عِبَارَةُ: ﴿... ثُمَّ يَرْدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ ﴿٨٧﴾ عَلَى أَنَّهُ خَتَمَ حَيَاتَهُ بِالْإِضْرَارِ عَلَى الْكُفْرِ وَارْتِكَابِ الْجَرَائِمِ.

• ﴿عَذَابًا نُكْرًا﴾: أَي: عَذَابًا شَدِيدًا، وَهُوَ عَذَابُ الْخُلُودِ فِي جَهَنَّمَ.

الْبِنْدُ الثَّانِي: وَأَمَّا مَنْ آمَنَ، وَبَرَّهَنَ عَلَى صِحَّةِ إِيْمَانِهِ بِعَمَلٍ صَالِحٍ، فَلَهُ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ الدِّينِ الْخُلُودُ فِي الْجَنَّةِ الْحُسْنَى، جَزَاءً مِنْ رَبِّهِ عَلَى أَنَّهُ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَسَنَقُولُ لَهُ أَنَا وَأَرْكَانُ مُلْكِي وَسُلْطَانِي مُبَاشَرَةً دُونَ إِنْطَاءٍ مِنْ أَمْرِنَا الْمَوْصُولِ بِالتَّنْفِيزِ، مَا فِيهِ يُسَّرُ وَتَيْسِيرٌ، إِذْ تَكُونُ مَطَالِبُهُ مُجَابَةً بِسُرٍّ، وَرَغَبَاتُهُ لِحَيَاتِهِ أَوْ لِحَيَاةٍ مَنْ يُهَيِّمُهُ أَمْرُهُمْ مُذَلَّلَةً مَيْسَرَةً. وَتَكُونُ أَوْامِرُنَا التَّكْلِيفِيَّةُ لَهُ ذَاتَ يُسَرٍ، لَا مَشَقَّةَ فِيهَا وَلَا عُسْرَ.

الْيُسْرَ: فِي اللَّغَةِ ضِدُّ الْعُسْرِ، وَالْمَادَّةُ تَدُورُ حَوْلَ مَعْنَى اللَّيْنِ وَالِانْقِيَادِ وَالسَّهُولَةِ.

وَدَلَّ حَرْفُ «السَّيْنِ» فِي عِبَارَةِ: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ عَلَى أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ وَكَذَلِكَ أَرْكَانُ مَمْلَكَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، سَيَعَامِلُونَ مُبَاشَرَةً دُونَ إِنْطَاءٍ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا بِكُلِّ أَمْرٍ فِيهِ تَيْسِيرٌ، تَرْغِيبًا لَهُ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الْإِيْمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَحَرْفُ السَّيْنِ يُسْتَعْمَلُ غَالِبًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ غَيْرِ الْبَعِيدِ، بِخِلَافِ حَرْفِ «سَوْفَ».

الْحُسْنَى: كَثُرَ اسْتِعْمَالُ هَذَا اللَّفْظِ فِي الْقُرْآنِ بِمَعْنَى الْجَنَّةِ، إِذْ هِيَ أَعْظَمُ مَثُوبَةٍ حُسْنَى.

والأَرْجَحُ أَنَّهَا هي المرادة هُنَا بِعِبَارَةٍ: ﴿فَلَهُمْ جَزَاءُ الْحَسَنَى﴾: أي: فَلَهُ الْجَنَّةُ الْحَسَنَى حَالَةً كَوْنُهَا جَزَاءً عَظِيماً لَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً الْحَدِيثَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ:

- ﴿ثُمَّ أُنْبِئَ سَبِيًّا ۖ (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۖ (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۖ﴾: (٩١)
- ﴿ثُمَّ أُنْبِئَ سَبِيًّا ۖ (٨٩): تَحْلِيلُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ مِثْلُ نَظِيرَتِهَا السَّابِقَةِ: ﴿فَأُنْبِئَ سَبِيًّا ۖ (٨٥)﴾.

- ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾: أي: وَاسْتَمَرَّ يَتَّخِذُ أَسْبَابَهُ وَيَتَّبِعُهَا بِجَنِيهِهِ الْعَظِيمِ، حَتَّىٰ بَلَغَ آخِرَ الْمَاهُولِ بِالسُّكَّانِ مِنْ جِهَةِ مَطْلِعِ الشَّمْسِ، بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَا كَانَ مَعْلُوماً لَهُ وَلِلْأَهْلِ زَمَانِهِ.
- ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾:

يُظْهَرُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ كَانُوا يَعِيشُونَ فِي أَرْضٍ مَّكْشُوفَةٍ لِلشَّمْسِ، وَلَمْ يَكُونُوا قَدْ تَطَوَّرُوا حَضَارِيًّا حَتَّىٰ يَبْنُوا الْبُيُوتَ، أَوْ يَسْتُرُوا أَجْسَادَهُمْ بِالْجُلُودِ أَوْ بِالْمُنْسُوجَاتِ مِنَ الثِّيَابِ، فَهُمْ أَشْبَهُ بِالْعُرَاةِ عُرياً كَامِلاً.

وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَىٰ مِثْلِ الْحَالَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ وَجَدَهُمْ ذُو الْقَرْنَيْنِ حِينَ بَلَغَ مَغْرِبُ الشَّمْسِ كُفْراً وَارْتِكَابَ جَرَائِمٍ، دَلَّ عَلَىٰ هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

- ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۖ﴾: (٩١)

أي: حَالُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِثْلَ حَالِ الْقَوْمِ الَّذِينَ وَجَدَهُمْ حِينَ بَلَغَ مَغْرِبُ الشَّمْسِ، وَكَانَ حَالُهُ مَعَ هَؤُلَاءِ مِثْلَ حَالِهِ مَعَ أَوْلَئِكَ، وَأُجْرِي فِيهِمْ مَا أُجْرَاهُ فِي أَوْلَئِكَ.

وَقَدْ أَحَاطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا كَانَ لَدَيْهِ مِنْ عَمَلٍ وَتَصَرُّفَاتٍ وَدَعْوَةٍ إِلَى

دِينِ رَبِّهِ خُبْرًا، كَمَا أَحَاطَ خُبْرًا بِمَا كَانَ لَدَيْهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قَوْمٍ مَغْرِبِ الشَّمْسِ.

«الْخُبْرُ» و«الْخَبَرُ» و«الْخَبْرُ»: مَعْرِفَةُ الشَّيْءِ عَلَى حَقِيقَتِهِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ.

وَالْغَرَضُ مِنْ بَيَانِ هَذِهِ الْإِحَاطَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بَيَانِ ارْتِبَاطِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ بِجَذْرِ شُمُولِ عِلْمِ اللَّهِ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكُونِ، فَلَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ، مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ سَوْفَ يُكَافَأُ عَلَى جِهَادِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، عَلَى وَفْقِ مَا يَعْلَمُ مِنْ ظَوَاهِرِ أَمْرِهِ وَبَوَاطِنِهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا الْحَدِيثَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ:

• ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبًا ۖ (٩٦) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۖ (٩٧) قَالُوا يَبْنَدا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يُجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ (٩٨) قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ (٩٩) ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ۖ (١٠٠) فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا ۖ (١٠١) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۖ (١٠٢) وَتَرْكْنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ (١٠٣):

• ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبًا ۖ (٨٩): تَحْلِيلُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ مِثْلُ نَظِيرَتَيْهَا السَّابِقَتَيْنِ.

• ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ وفي القراءة الأخرى: [السَّدَّيْنِ] بَضْمِ السَّيْنِ، وَهُمَا جَبَلَانِ يَدْخُلُ الْغُرَاءُ، وَكَذَلِكَ الْأَشْرَارُ الْمُفْسِدُونَ مِنَ الطَّرِيقِ الْوَاقِعَ بَيْنَهُمَا إِلَى السَّاكِنِينَ بَعْدَهُمَا مِنَ الْأَقْوَامِ.

وَيُظْهَرُ أَنَّهُ اتَّجَهَ حِينَ اتَّبَعَ هَذَا السَّبَبَ جِهَةً الْجَنُوبِ، أَوْ جِهَةً الشَّمَالِ، فِي شَرْقِ الْأَرْضِ.

وَأَتْرَكَ لِلجُغْرَافِيَيْنِ الْآثَارِيَيْنِ تَحْدِيدَ مَكَانَ هَٰذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ مِنَ الْأَرْضِ،  
تَتَّبِعاً لِلْآثَارِ، وَمَوَاقِعَ الْحَاجِزِ الَّذِي أَقَامَهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ بَيْنَهُمَا، وَصِفَاتِ هَٰذَا  
الْحَاجِزِ، فَالْبَحْثُ فِي الْآثَارِ يُعْطِي أَحْسَنَ الْمَعْلُومَاتِ إِذَا انْعَدَمَ الْخَبَرُ  
الصَّحِيحُ.

• ﴿... وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ ﴿٩٣﴾:  
وفي القراءة الأخرى: [لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا]:

أي: لَهُمْ لُغَةٌ خَاصَّةٌ بِهِمْ قَلَّ مَنْ يَعْلَمُهَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَقْوَامِ، فَهُمْ  
لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ، أَي: يَفْهَمُونَ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَقْوَامِ، إِذْ قَلَّ فِيهِمْ مَنْ يَعْلَمُ  
لُغَةً مِنَ لُغَاتِ الْآخَرِينَ، وَلَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ، أَي: يَفْهَمُونَ أَقْوَالَ غَيْرِهِمْ  
مِنَ الْأَقْوَامِ، لِقِلَّةِ مَنْ يَعْرِفُ فِيهِمْ لُغَةً مِنْ لُغَاتِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَقْوَامِ، حَتَّى  
يَكُونَ وَسِيطَ تَرْجُمَةٍ.

وَأَشْعَرَ النَّصَّ هَٰذَا، أَنَّ مِنْ عُيُوبِ الشُّعُوبِ وَتَخَلُّفِهَا الْحَضَارِيِّ أَنْ  
لَا يَكُونَ فِيهَا مُتَرَجِّمُونَ لِللُّغَاتِ غَيْرِهِمْ مِنَ الشُّعُوبِ.

أي: وَوَجَدَ ذُو الْقَرْنَيْنِ، أَنَّ مِنْ دُونِ الْجَبَلَيْنِ اللَّذَيْنِ وَضَعَ فِي خُطَّةِ  
فَتْحِهِ اجْتِيَازَ الطَّرِيقِ بَيْنَهُمَا، إِلَى مَا وَرَاءَهُمَا مِنَ الْأَقْوَامِ، قَوْمًا قَلَّ جِدًّا مَنْ  
يَعْرِفُ مِنْهُمْ لُغَةً غَيْرَ لُغَةِ قَوْمِهِ حَتَّى يَفْهَمَ مَا يُقَالُ لَهُ، وَيَفْهَمَ مَا يُرِيدُ بِقَوْلِ  
يَفْهَمُهُ تَرَاجِمَةُ الْمَلِكِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، لَكِنْ لَمْ يَنْعَدِمَ مُطْلَقًا وَجُودَ بَعْضِ  
التَّرَاجِمَةِ الَّذِينَ أَوْصَلُوا إِلَى الْمَلِكِ مَطَالِبَ الْقَوْمِ، وَأَوْصَلُوا إِلَى الْقَوْمِ  
أَقْوَالَ الْمَلِكِ لَهُمْ.

• ﴿قَالُوا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا  
عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ ﴿٩٤﴾:

• ﴿يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ﴾: نَادَوهُ مُسْتَغِيثِينَ، لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهُ مَلِكٌ صَالِحٌ يَدْعُو إِلَى  
الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، وَيُعِثُّ مَنْ اسْتَعَاثَ بِهِ.

• ﴿إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾: وفي القراءة الأخرى: [إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ] بِأَلِفٍ مَدِّيَّةٍ بَدَلِ الْهَمْزَةِ السَّاكِنَةِ.

ولفظ «يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ» اسْمٌ لِقَبِيلَتَيْنِ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي كَانَتْ تَعِيشُ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ مِنَ الْأَرْضِ.

ويخطر لي أَنَّ «يَاجُوجَ» اسْمٌ لِحَدٍّ إِحْدَى الْقَبِيلَتَيْنِ، وَأَنَّ «مَاجُوجَ» اسْمٌ لِأَخِيهِ جَدِّ الْقَبِيلَةِ الثَّانِيَةِ.

وَكَانَ هَؤُلَاءِ النَّاسُ أَشْرَاراً مُفْسِدِينَ، يُغَيِّرُونَ عَلَى الْأُمَمِ مِنْ حَوْلِهِمْ بِخِيُولِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ، فَيَنْهَبُونَ وَيَسْلُبُونَ وَيَقْتُلُونَ وَيُخَرِّبُونَ وَيُتْلِفُونَ الْمَزَارِعَ.

• ﴿... فَهَلْ تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (٩٤):

وجاء في القراءة الأخرى [خَرَجًا]: الْخَرْجُ وَالْخَرَجُ: الْأَجْرُ عَلَى الْعَمَلِ.

سَدًّا وَسَدًّا: كَمَا جَاءَ فِي قِرَاءَةٍ أُخْرَى، بِمَعْنَى الْحَاجِزِ الَّذِي يَفْصِلُ بِضُمُودِ الْمُخْجُوزِ وَرَاءَهُ، مَاءً أَوْ بَشَرًا، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ.

عَرَضٌ يَتَلَطَّفُ وَمَسْكَنَةٌ بِأَسْلُوبِ الِاسْتِفْهَامِ، إِذْ رَأَوْهُ مَلِكًا عَادِلًا مُصْلِحًا يُحِبُّ فِعْلَ الْخَيْرِ، وَمَنْعَ الشَّرِّ.

أي: فَهَلْ تُسَاعِدُنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمُصْلِحُ الْعَادِلُ عَلَى إِقَامَةِ سَدٍّ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، يَمْنَعُ غَارَاتِ «يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ» عَلَيْنَا، وَشُرُورَهُمْ وَإِفْسَادَاتِهِمْ عَنَّا، عَلَى أَنْ نُقَدِّمَ لَكَ مَا نَسْتَطِيعُ مِنْ أَجْرِ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ الْعَظِيمِ.

• ﴿قَالَ مَا مَكْنِيَ فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ (٩٥):

الرَّدْمُ: السَّدُّ الْعَظِيمُ.

أي: قَالَ ذُو الْقُرْنَيْنِ لَهُمْ: مَا آتَانِي اللَّهُ رَبِّي مِنْ تَمْكِينٍ فِي الْأَرْضِ، وَمَا آتَانِي مِنْ أَسْبَابٍ، خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ لِي مِنْ أَجْرِ عَلَى إِقَامَةِ هَذَا السَّدِّ

لَكُمْ، فَلَا تُكَلِّفُوا أَنْفُسَكُمْ بِذَلِّ أَجْرِ لِي، إِنِّي سَأُقَوِّمُ بِهَذَا الْعَمَلِ الْإِصْلَاحِيَّ الَّذِي أَحْجُزُ بِهِ شُرُورَ «يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ» عَنْكُمْ، ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ رَبِّي، وَشُكْرًا لَهُ عَلَى مَا آتَانِي مِنْ تَمْكِينٍ.

فَأَعِينُونِي لَدَى إِقَامَتِي لِهَذَا السَّدِّ بِالْقُوَى الَّتِي يَمْلِكُهَا جَيْشِي، بِقُوَّةٍ مِنْ عِنْدِكُمْ، بِعُمَالٍ وَأَدَاوَاتٍ وَبَهَائِمَ وَحَدِيدٍ، وَبِمَا لَدَيْكُمْ مِنْ قُوَى تَحْتَاجُ إِلَيْهَا إِقَامَةُ هَذَا السَّدِّ، رَدْمًا عَظِيمًا مَانِعًا لِمَنْ يُغَيِّرُ عَلَيْكُمْ مِنْ «يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ».

• ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ أي: آتُونِي مَا عِنْدَكُمْ مِنْ قِطْعٍ حَدِيدِيَّةٍ كَبِيرَةٍ.

الزُّبْرَةُ: الْقِطْعَةُ الْحَدِيدِيَّةُ الضَّخْمَةُ، وَتُجْمَعُ عَلَى «زُبَرٍ».

• ﴿حَقَّ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّادِقِينَ﴾:

يُطْلَقُ لَفْظُ «الصَّدَفُ» عَلَى الْجَبَلِ، فَالصَّدَفَانِ هُمَا الْجَبَلَانِ الْمُتَقَابِلَانِ اللَّذَانِ يُرَادُ إِقَامَةُ السَّدِّ بَيْنَهُمَا حَاجِزًا.

وَيُطْلَقُ «الصَّدَفُ» عَلَى الْجَانِبِ، وَصَدَفَا الْجَبَلِ جَانِبَاهُ الْمُتَحَاضِيَانِ.

وَمَعْنَى «سَاوَى بَيْنَ الصَّادِقِينَ» عَلَى مَا يَبْدُو لِي، شَرَعَ بِنَاءَ جِدَارَيْنِ مُتَمَاثِلَيْنِ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا فَرَاغًا، لِيَمْلَأَهُ رَدْمًا، بِحِجَارَةٍ وَتَرَابٍ وَحَصَى.

الْمُسَاوَاةُ: الْمُتَمَاثِلَةُ، وَيُقَالُ «سَاوَى بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ» أَي: جَعَلَهُمَا مُتَمَاثِلَيْنِ.

• ﴿قَالَ أَنْفُخُوا حَقًّا إِذَا جَعَلْنَا نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾:

الْقِطْرُ: النَّحَاسُ الدَّائِبُ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الرَّصَاصِ الْمُدَابِّ.

بِاسْتِطَاعَتِنَا أَنْ نَسْتَخْرِجَ مِنَ الْمَطْوِيَّاتِ فِي هَذَا النَّصِّ، أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ أَمَرَ صُنَاعَهُ وَعُمَّالَهُ أَنْ يَجْعَلُوا فِي الْجِدَارِ الْمُوَاجِهِ لِلْمُفْسِدِينَ «يَا جُوجَ

وَمَا جُوجَ» فِي كُلِّ مِذْمَاكِ حِجَارَةٍ وَحَدِيداً، وَأَنْ يَحْمِيَهُ بِالنَّارِ حَتَّى يَكُونَ نَاراً، أَيْ: كَالْجَمْرِ، وَعِنْدَيْدُ يَأْمُرُ بِأَنْ يُؤْتَى بِذَائِبِ النُّحَاسِ أَوْ بِذَائِبِ الرِّصَاصِ، فَتُفْرَغَ أَوَانِيهِ عَلَيْهِ، لِيَسْتَبِكَ فِي الْمِذْمَاكِ دَاخِلاً فِي فَرَاعَاتِهِ، حَتَّى يَكُونَ بِمِثَابَةِ كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ مُؤَلَّفَةٍ مِنَ الْحِجَارَةِ الصُّلْبَةِ، وَقَطْعِ الْحَدِيدِ، وَالنُّحَاسِ، لِئَلَّا يَسْتَطِيعَ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ نَقْبَهُ.

• ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾: أَيْ: قَالَ انْفُخُوا بِالْمِثَابِخِ لِإِيقَادِ النَّارِ، عَلَى مِثْلِ كَبِيرِ الْحَدَّادِينَ، وَهَذَا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي آتَاهَا اللَّهُ لِذِي الْقَرْنَيْنِ.

• ﴿... حَقَّقَ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ مَاتُوْنِ أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾:

أَيْ: حَتَّى إِذَا جَعَلَ زُبَرَ الْحَدِيدِ الْمَتَدَاخِلَةَ بِالْحِجَارَةِ حَمْرَاءَ كَالْجَمْرِ، قَالَ آتُونِي بِأَوَانِي النُّحَاسِ أَوْ الرِّصَاصِ الْمَذَابِ، أَفْرِغْهَا عَلَى الطَّبَقَةِ الَّتِي بُنِيَتْ مِنَ الْجِدَارِ، لِيَتَخَلَّلَ الْفَرَاعَاتِ، فَإِذَا بَرَدَ كَانَ الْجَمِيعُ بِمِثَابَةِ كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ، مِنْ حِجَارَةٍ وَحَدِيدٍ وَنُحَاسٍ أَوْ رِصَاصٍ مُحِيطٍ بِجَوَانِبِهَا، وَأَتَمَّ ذُو الْقَرْنَيْنِ السَّدَّ بِجِدَارِيهِ وَرَدَّمَ مَا بَيْنَهُمَا.

وَلَمَّا اكْتَمَلَ بِنَاءُ السَّدِّ وَارْتَفَعَ ارْتِفَاعاً كَافِياً لِتَكُونَ حَاجِزاً مَانِعاً لِعَارَاتِ «يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» الْمُدَاهِمَةِ، أَقْبَلَ الْعُرَاةَ الْأَشْرَارُ لِيَدْخُلُوا كَعَادَتِهِمْ مِنَ الْفَرَاغِ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ، فَحَاوَلُوا تَسْلُقَهُ فَمَا اسْتَطَاعُوا، وَحَاوَلُوا نَقْبَهُ فَمَا اسْتَطَاعُوا أَيْضاً، لِأَنَّهُ مُتَمَاسِكُ الْبُنْيَانِ بِالْحَدِيدِ وَالْحِجَارَةِ، وَبِالنُّحَاسِ أَوْ الرِّصَاصِ، الْجَامِعِ لِكُتْلَتِهِ.

قال الله تعالى:

• ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُمْ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾:

• ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾: أَيْ: فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَغْلُوا السَّدَّ بِخِيُولِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ، لِيَغْزُوا مِنْ وَرَاءِهِ. يُقَالُ لُغَةً: «ظَهَرَ الْبَيْتُ، أَوِ الْجِدَارُ، أَوْ نَحْوُهُمَا» أَيْ: عَلَاهُ.

﴿... وَمَا اسْتَطَعُوا لَمْ نَقْبًا﴾ (٩٧): أي: وَمَا اسْتَطَاعُوا خَرْقَهُ  
بِالْفُؤُسِ وَالْأَزَامِيلِ وَالْمِرْزَبَاتِ.  
نَقَبُ الْجِدَارِ وَنَحْوِهِ: خَرْقُهُ.

وَيُظْهِرُ أَنَّ الْجَبَلَيْنِ كَانَا حَاجِزَيْنِ طَبِيعِيَيْنِ، وَيُمْكِنُ حِمَايَتُهُمَا مِنْ  
مُفَاجَاتِ الْغُرَاةِ، وَكَانَ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ هُوَ السَّبِيلُ الْوَحِيدُ لِمُدَاهَمَةِ الْغُرَاةِ  
بِخِيُولِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ وَدَوَابِهِمْ بِصُورَةٍ مُفَاجِئَةٍ، وَالنُّكَايَةِ بِالْقَوْمِ الْأَمِينِ  
الْمُسَالِمِينَ الَّذِينَ اسْتَعَاثُوا بِذِي الْقُرْنَيْنِ.

وَلَمَّا وَثِقَ ذُو الْقُرْنَيْنِ مِمَّا فَعَلَ لِحِمَايَةِ الَّذِينَ اسْتَعَاثُوا بِهِ بَعْدَ أَنْ  
رَاقَبَ جُنُودَهُ تَحَرُّكَاتِ «يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ» وَرَاءَ السِّدِّ:

• ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾: أي: رَحِمَ بِهِ إِذْ سَخَّرَنِي لِإِبْنَائِهِ هَؤُلَاءِ  
الْقَوْمِ الْمُسْتَضْعَفِينَ. وَقَالَ أَيْضًا:

• ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (٩٨):

يُظْهِرُ أَنَّهُ تَلَقَّى وَحْيًا مُبَاشِرًا أَوْ عَنْ طَرِيقِ نَبِيِّ مُصَاحِبٍ لَهُ، بِأَنَّ هَذَا  
السِّدَّ سَيَكُونُ مُتَهَدِّمًا مُسْتَوِيًّا بِالْأَرْضِ فِي وَفْتٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ، فَقَالَ  
مَقَالَتُهُ الْإِيمَانِيَّةَ هَذِهِ.

دَكَّاءَ: أي: مُسْتَوِيًّا بِالْأَرْضِ. وفي القراءة الأخرى [دَكَّا]: أي:  
مَذْكُوكًا مُتَهَدِّمًا.

■ وَأَنْهَى اللَّهُ أَنْبَاءَ ذِي الْقُرْنَيْنِ وَيَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ بِقَوْلِهِ:

﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ﴾ (٩٩): مَاجَ الْبَحْرِ اضْطَرَبَ،

وَمَاجَ الْقَوْمُ اخْتَلَفَتْ أُمُورُهُمْ وَاضْطَرَبَتْ، أَيْ: وَأَخَذَتْ قَبِيلَتَا يَاجُوجَ  
وَمَأْجُوجَ تَخْتَلِفَانِ وَيُضْطَرِبُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ كَالْمَوْجِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس التاسع من دُرُوس سورة (الكهف).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٤)

## التدبر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (الكهف) الآيات من (بعض ٩٩ - ١٠٢)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعَتْهُمْ جَمْعًا ۖ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۚ﴾  
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿٩٩﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٠﴾

القراءات:

(١٠٢) • قرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ]

بفتح ياء المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة بإسكان ياء المتكلم.

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ انْتِقَالٌ مِنْ بَيَانِ اللَّفْظَاتِ الْمُخْتَارَاتِ مِنْ قِصَّةِ  
ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَتَرْكُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ يُمُوجُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ بَعْدَ بِنَاءِ السَّدِّ،  
إِلَى عَرْضِ لَقْطَةٍ مِنْ أَحْدَاثِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بَعْدَ بَعْثِهِمْ إِلَى حَيَاةِ الْجَزَاءِ بِنْفِخِ  
الصُّورِ، وَهَذِهِ اللَّقْطَةُ مَقْرُونَةٌ بِتَلْوِيمٍ وَإِنْذَارٍ لِلْكَافِرِينَ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿... وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فُجِعَتْهُمْ جَمْعًا ۖ﴾

الصُّورُ: مَخْلُوقٌ عَظِيمٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَهَيْئَةِ الْقَرْنِ،  
إِخْدَى جِهَتَيْهِ فُتْحَةٌ دَائِرِيَّةٌ ضَيِّقَةٌ، وَالْأُخْرَى وَاسِعَةٌ جَدًّا، وَبَاطِنُهُ فَارِعٌ يُمَكِّنُ  
أَنْ يُنْفَخَ فِيهِ، وَالَّذِي يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فِيهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

النَّفْحَةُ هَذِهِ فِي الصُّورِ هِيَ النَّفْحَةُ الثَّانِيَّةُ، نَفْحَةُ الْبُعْثِ الَّتِي تَنْطَلِقُ بِهَا الْأَرْوَاحُ إِلَى أَجْسَادِهَا الَّتِي أَنْبَتَهَا اللَّهُ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ وَعَظُمَتْ قُدْرَتُهُ، فَتَدْخُلُ فِيهَا فَتَكُونُ حَيَّةً كَامِلَةً الْحَيَاةَ، لِتُلَاقِيَ الْحِسَابَ، وَفَضَلَ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِذَ الْجَزَاءِ، إِذَا كَانَتْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضُوعَةً مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ.

• ﴿فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا﴾: أي: فَجَمَعْنَا الْخَلَائِقَ بَعْدَ إِحْيَائِهِمْ جَمْعًا حَقِيقِيًّا شَامِلًا، لَمْ نَتْرُكْ مِنْهُمْ فِي الْمَوْتِ دُونَ إِحْيَاءِ أَحَدًا، اسْتَفِيدَ هَذَا مِنَ التَّوَكِيدِ بِالْمُضَدِّ.

وَجَاءَ التَّغْيِيرُ عَنْ هَذَا الْحَدَثِ بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ سَوْفَ يَتَحَقَّقُ حَتْمًا، حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ وَحَدَّثَ فِعْلًا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَتَحَدَّثُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾: ﴿١٠٠﴾

يُقَالُ لُغَةً: «عَرَضَ فَلَانُ الشَّيْءَ لِمَعْرُوضٍ عَلَيْهِ» أي: أَبْرَزَهُ وَأَظْهَرَهُ لَهُ، إِمَّا لِلتَّرْغِيبِ فِيهِ، أَوْ لِلتَّرْهِيبِ مِنْهُ وَتَعْذِيبِ النَّفْسِ بِالذُّعْرِ وَالْخَوْفِ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْهِ.

هَذَا الْعَرَضُ نَوْعٌ مِنَ التَّعْذِيبِ الْإِبْتِدَائِيِّ التَّمْهِيدِيِّ لِلتَّعْذِيبِ بِنَارِهَا عِنْدَ دُخُولِهَا، أَوْ عَرَضِهِمْ عَلَيْهَا كَمَا يُعْرَضُ اللَّحْمُ عَلَى النَّارِ لِيُسْوَى.

وَأَشَدُّ مِنْ هَذَا الْعَرَضِ التَّمْهِيدِيُّ لِلْكَافِرِينَ، مَا يَكُونُ بَعْدَهُ مِنْ عَرَضٍ عَلَيْهَا، إِذْ يَذُوقُونَ بِهِ شَيْئًا مِنْ لَذَعِ حَرَارَتِهَا، وَقَدْ جَاءَتْ عِدَّةُ نُصُوصٍ قُرْآنِيَّةٍ تُبَيِّنُ عَرَضَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ.

والتوكيد بالمضدِرِ ﴿عَرَضًا﴾ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ عَرَضٌ حَقِيقِيٌّ مُخِيفٌ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَصِفُ مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا الْكَافِرُونَ الَّذِينَ

نُعْرَضُ لَهُمْ جَهَنَّمَ عَرَضًا يَوْمَ الدِّينِ:

• ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (١٠١):

أي: الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي الدُّنْيَا دَاخِلَةً فِي غِطَاءٍ عَنْ مُشَاهَدَةِ آيَاتِي فِي كَوْنِي، الدَّالَّاتِ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِي، وَإِتْقَانِي لِخَلْقِي، وَجَلِيلِ حِكْمَتِي، وَعِلْمِي الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَكَثِيرِ مِنْ صِفَاتِي وَأَسْمَائِي الْحُسْنَى، فَهُمْ لَا يَرَوْنَهَا فَلَا يَذْكُرُونَنِي وَلَا يُؤْمِنُونَ بِي.

وَالَّذِينَ كَانَتْ آذَانُهُمْ مُصَابَةً بِالصَّمَمِ، فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعَ مَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ آيَاتِي وَبَيِّنَاتِي الْمُنَزَّلَاتِ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعَ بَيِّنَاتِ الدُّعَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْإِيمَانِ بِي.

إِنَّهُمْ لَمْ يَفْطَرُوا كَذَلِكَ، فَلَيْسَ مَا كَانُوا فِيهِ أَمْرًا جَبْرِيًّا، إِنَّمَا جَلَبُوهُ لَأَنْفُسِهِمْ بِتَوَلِّيهِمْ عَنِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ وَبَيِّنَاتِهِ، وَتَعَلُّقِهِمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَمَتَاعَاتِهِمْ مِنْهَا، وَقَبُولِهِمْ لَوَسَاوِسٍ وَتَسْوِيلَاتِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، الَّذِينَ زَيَّنُوا لَهُمُ الشُّرْكَ، أَوْ أَنَّهُ لَا حَيَاةَ إِلَّا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ لَا حِسَابَ، وَلَا فَضْلَ قِضَاءٍ، وَلَا جَزَاءٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضَلَالَاتٍ، وَهَذِهِ مِنْ آثَارِهَا بِحَسَبِ أَنْظِمَةِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، أَنْ تَجْعَلَ الْأَعْيُنَ فِي أُغْطِيَةٍ تَحْجُبُهَا عَمَّا يُذَكَّرُ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ الْجَلِيلَةِ، وَتَجْعَلَ الْأَذَانَ صَمًّا لَا تَسْمَعُ الْبَيِّنَاتِ الْكَلَامِيَّةَ الَّتِي تُذَكَّرُ بِاللَّهِ وَصِفَاتِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُحَذِّرُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ:

• ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ

لِلْكَافِرِينَ تَرًا﴾ (١٠٢):

إِفْتِنَاعَ رَبَّانِيٍّ لِلْمُشْرِكِينَ بِأَسْلُوبِ الاسْتِفْهَامِ الدَّالِّ عَلَى سَفَاهَتِهِمْ، وَعَدَمِ اسْتِبْصَارِهِمْ حَقَائِقَ الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ.

الْمَعْنَى: إِنَّ الشُّرَكَاءَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ إِلَهَةً مِنْ دُونِي، يَعْْبُدُونَهُمْ وَهُمْ لَا رُبُوبِيَّةَ لَهُمْ، وَلَا إِلَهِيَّةَ لَهُمْ، فَلَا يَسْتَحِقُّونَ شَيْئاً مِنَ الْعِبَادَةِ، وَعِبَادَتُهُمْ ظُلْمٌ لِحَقِّي عَلَيْهِمْ، وَكُفْرٌ بِي.

وَشُرَكَائُهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَانْقَادَهُمْ مِنْ عَذَابِي .

انْطَمَسَتْ بَصَائِرُهُمْ فَحَسِبُوا أَنَّ شُرَكَاءَهُمْ سَوْفَ يَنْصُرُونَهُمْ  
فِيَحْمُونَهُمْ مِنْ عَذَابِي، وَشُرَكَائُهُمْ عِبَادٌ مِنْ عِبَادِي، لَا حَوْلَ لَهُمْ وَلَا  
قُوَّةَ إِلَّا بِي .

وَهُنَا يَتَحَدَّثُ جَلَّ جَلَالُهُ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ، فَيَقُولُ:

• ﴿... إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ ﴿١٠٢﴾ :

أَعْتَدْنَا: أي: هَيَّأْنَا بِعَنَاءٍ .

جَهَنَّمَ: اسْمٌ عَلَّمَ مِنْ أَسْمَاءِ النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيُعَذِّبَ  
بِهَا الْكَافِرِينَ وَالْمُجْرِمِينَ وَالْعُصَاةَ يَوْمَ الدِّينِ . وَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنَ الصَّرْفِ  
لِلْعَلَمِيَّةِ وَالتَّائِيثِ .

لِلْكَافِرِينَ: أي: لِلَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ لَمْ يَتَذَكَّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِإِيمَانٍ  
وَعَمَلٍ صَالِحٍ .

النُّزُلُ: مَا يُعِدُّهُ الْإِنْسَانُ لِضَيْفِهِ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ، وَيُطْلَقُ النُّزُلُ عَلَى  
الْمَنْزِلِ .

وَفِي اسْتِعْمَالِ لَفْظِ «النُّزُلِ» الَّذِي يُعَدُّ لِضَيْفَةِ الضَّيْفِ هُنَا، تَهَكُّمٌ  
بِالَّذِينَ يَزْعُمُونَ مِنَ الْكُفْرِ دَوِي الثَّرَاءِ أَنَّهُمْ إِنْ رَجَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ يَوْمَ الدِّينِ  
فَإِنَّ لَهُمْ خَيْرًا مِمَّا آتَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

وبهذا انتهى تدبر الدرس العاشر من دُرُوس سورة (الكهف) .

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ .



(١٥)

## التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من دروس سورة (الكهف) الآيات من (١٠٣ - ١١٠) آخر السورة

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فُحِطَتْ عَنْهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ۝ (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝ (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝ (١٠٨) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝ (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝ (١١٠)﴾

### القراءات:

(١٠٤) • قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وأبو جعفر: [يَحْسَبُونَ]

بفتح السين.

وقراها باقي القراء العشرة: [يَحْسِبُونَ] بكسر السين.

وهما لغتان بمعنى: يَطْنُونَ طَنًّا ضَعِيفًا لَا يُعْتَدُّ بِهِ، ولا يصحُّ عقلاً  
الاعتمادُ عليه.

(١٠٦) • قرأ حفص: [هُزُوًا].

وقراها حمزة: [هُزَاءً] في الوصل. وكذلك خلف في الوصل  
والوقف.

وقراها حمزة في الوقف: [هُزًا] و[هُزُوًا].

وقراها باقى القراء العشرة: [هُزُوا].

وهي وجوه في النطق.

(١٠٩) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [أَنْ يَنْفَدَ] وقرأها باقى القراء العشرة: [أَنْ تَنْفَدَ].

وهما وجهان جائزان عربياً، لأنَّ لفظ «كلمات» مجازيُّ التأنيث.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس تعلیم دعويٍّ موجه من الله عزَّ وجلَّ لرسوله محمد ﷺ، ويلحق به حملة رسالته من أمته.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً تَعْلِيْمِيًّا لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١١٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١١٤ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُخِشَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ۝١١٥ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝١١٦﴾

أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ وَيَا كُلَّ مَنْ يَحْمِلُ رِسَالَةَ الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِ اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ، لِمَنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا بَعْدَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ: هَلْ نُخَبِّرُكُمْ بِهَذَا النَّبَأِ الْخَطِيرِ؟ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ لَا يُوْجَدُ أَكْثَرُ خَسَارَةٍ مِنْهُمْ لِأَعْمَالِهِمْ مَهْمَا كَانَ شَأْنُهَا.

الأخسرُونَ: جمع «الأخسر» اسم تفضيل من فعل «خسر».

وجاء الجواب على تقدير أن المخاطبين وافقوا على إنبايهم بالأخسرين أَعْمَالًا، فقال الله تعالى:

• ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (١٠٤) :

• ﴿ضَلَّ﴾ : أي : ضَاعَ فَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرٌ يَنْفَعُ صَاحِبَهُ شَيْءٍ مَا .

• ﴿سَعِيَّهُمْ﴾ : السَّعْيُ : عَمَلٌ فَوْقَ الْمَشْيِ ، وَهُوَ عَدُوٌّ دُونَ الشَّدِّ ، وَيَأْتِي السَّعْيُ بِمَعْنَى الْعَمَلِ بِهَمَّةٍ وَنَشَاطٍ .

أي : الْأَخْسَرُونَ أَعْمَالًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، هُمُ الَّذِينَ وَجَدُوا أَنَّ سَعِيَّهُمُ الَّذِي كَانُوا قَدْ سَعَوْهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، لِتَحْقِيقِ مَا كَانُوا يَظْمَحُونَ لَهُ مِنْ سَعَادَاتٍ ، قَدْ ضَاعَ ضَيَاعًا تَامًا ، فَلَمْ يَظْهَرْ لَهُ أَثَرٌ نَافِعٌ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ، وَكَانَ حَالُهُمْ حِينَ كَانُوا يَسْعَوْنَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، حَالٌ طَامِعِينَ بِأَوْفَرِ سَعَادَاتٍ يُحَقِّقُونَهَا مِنْ سَعِيهِمْ ، إِذْ كَانُوا يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا .

فَلَا خَزَائِنُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ الَّتِي كَانُوا قَدْ جَمَعُوهَا وَكَنَزُوهَا وَجَدُوا لَهَا أَثَرًا يَنْفَعُهُمْ .

وَلَا الْقُصُورُ الْعَظِيمَةُ الْفَخْمَةُ الَّتِي كَانُوا قَدْ عَمَرُوهَا وَجَدُوا لَهَا أَثَرًا يَنْفَعُهُمْ ، وَلَا بَقَايَا مِنْهَا تُؤْوِيهِمْ .

وَلَا الْجُيُوشُ الَّتِي كَانُوا قَدْ جَنَّدُوهَا لِحِمَايَتِهِمْ وَنُصْرَتِهِمْ وَجَدُوا لَهَا أَثَرًا يَنْفَعُهُمْ ، فَيَصْرِفُ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ .

وَلَا الْمَنَاصِبُ الرَّفِيعَةُ الَّتِي كَانُوا قَدْ تَعَاظَمُوا بِهَا عَلَى عِبَادِ اللَّهِ ، وَجَدُوا لَهَا أَثَرًا يَنْفَعُهُمْ .

وَلَا الْجَنَّاتُ الَّتِي بَدَّلُوا لِزَرَاعَتِهَا ، وَأَنْفَقُوا فِي إِنْشَائِهَا أَمْوَالًا وَفِيرَةً ، وَأَعْمَالًا مُضْنِيَاتٍ ، وَجَدُوا لَهَا أَثَرًا يَنْفَعُهُمْ .

لَقَدْ ذَهَبَتْ كُلُّهَا كَمَا ذَهَبَ الْمَاضِي الْعَابِرُ ، وَلَمْ تَبْقَ مِنْهَا إِلَّا ذِكْرِيَاتٌ ، مُورِثَاتٌ لِلْحَسَرَاتِ ، إِذْ ضَاعَ السَّعْيُ فِيهَا دُونَ أَنْ تَبْقَى لَهُ آثَارٌ حَسَنَاتٌ .

فَاتَّعَسَ بِالْمَعْرُورِينَ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ بِغُرُورِهِمْ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا،  
وَهُمْ كَمَنْ يَخْرُثُ فِي الْبَحْرِ، أَوْ يَكْتُتُ بِأَصْبَعِهِ فِي السَّمَاءِ.

وَمِنْ سَعْيِهِمُ الضَّائِعَ أَعْمَالُ صَالِحَةٍ لَا يَتَّبِعُونَ بِهَا رِضْوَانَ اللَّهِ وَتَوَابَ  
الْآخِرَةِ، إِنَّمَا يَفْعَلُونَهَا لِلْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَالشُّهْرَةِ، أَوْ بِعَاطِفَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ خَاصَّةٍ لَا  
صِلَةَ لَهَا بِالْقَاعِدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ لِدِينِ اللَّهِ، أَوْ يَتَوَهَّمُونَ أَنَّهَا تُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ إِلَّا  
أَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ، أَوْ مُبْتَدِعُونَ لَا يَعْمَلُونَ وَفَقَّ شَرِيعَةَ اللَّهِ، كَالْأَخْبَارِ  
وَالرُّهْبَانِ، وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُبَيِّنُ سَبَبَ ضَلَالِ سَعْيِهِمْ.

• ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ  
الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ (١٠٥):

• ﴿أُولَئِكَ﴾: الْمَشَارُ إِلَيْهِمْ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ هَذَا الْمَوْضُوعِ لِلْمُشَارِ  
إِلَيْهِمُ الْبَعِيدِينَ، هُمُ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، أَي: أُولَئِكَ  
الْبُعْدَاءُ فِي اتِّجَاهِ الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، لَهُمْ وَصَفَانِ مِنْ أَوْصَافِ الْكُفْرِ:

الْوَصْفُ الْأَوَّلُ: دَلَّ عَلَيْهِ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾: إِذْ رَفَضُوا  
الْإِيمَانَ بِهَا بَعْدَ إِدْرَاكِهَا، وَمَعْرِفَةِ دَلَالَتِهَا، وَآيَاتِ رَبِّهِمْ هِيَ:

(١) الْآيَاتُ الْكُونِيَّةُ الدَّلَالَاتُ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْعَظْمَى،  
وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى.

(٢) الْآيَاتُ الْبَيَانِيَّةُ الْمَنْزَلَةُ عَلَى رُسُلِهِ فِي كُتُبِهِ.

(٣) الْآيَاتُ الْإِعْجَازِيَّةُ الدَّلَالَاتُ عَلَى صِدْقِ رُسُلِهِ الْمُبَلِّغِينَ عَنْهُ.

(٤) الْآيَاتُ الْجَزَائِيَّةُ الدَّلَالَاتُ عَلَى رُكْنِ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ مِنْ أَرْكَانِ  
الْإِيمَانِ فِي الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَّاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ.

الْوَصْفُ الثَّانِي: دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِقَائِهِ﴾: وَكَفَرُوا بِلِقَائِهِ



يَوْمَ الدِّينِ، أَي: وَكَفَرُوا بِالْبَعْثِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ،  
وَالْجِزَاءِ، وَكَفَرُوا بِالْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ، وَكَفَرُوا بِالنَّارِ وَمَا فِيهَا مِنْ  
عَذَابٍ.

أَي: وَسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ انْطَلَقُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَاءَ  
أَهْوَائِهِمْ، وَشَهَوَاتِهِمْ، وَلَذَّاتِهِمْ، وَمَطَالِبِهِمْ نَفْسِهِمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الدُّنْيَا، لَا  
يَعْبُورُونَ بِطَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ، وَاجْتِيَازِ رَحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا بِنَجَاحٍ وَفَلَاحٍ وَفَوْزٍ بِالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ.

وَسَبَبِ كُفْرِهِمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ، لَمْ يَبْقَ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَمَلٌ صَالِحٌ  
يُثَابُونَ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ يُثِيبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مِثْلِهَا  
بِشَرْطِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُبْطِلُهَا لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوهَا طَاعَةً لَهُ، وَلَا تَقَرُّبًا  
إِلَيْهِ، وَلَا ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ:

• ﴿فَحِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: أَي: فَبَطَلَتْ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي مِنْ شَأْنِهَا أَنْ يُثَابَ  
عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ. وَكُلُّ عَمَلٍ لَا يُحَقِّقُ الْغَايَةَ السَّارَةَ مِنْهُ فَقَدْ حِطَّ، أَي:  
بَطَلَ.

وَإِذَا حِطَّتْ أَعْمَالُهُمُ الَّتِي هِيَ مِنْ جِنْسِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، لَمْ يَبْقَ  
فِي صَحَائِفِهِمْ إِلَّا السَّيِّئَاتُ، وَهِيَ لَا مُقَابِلَ لَهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ حَتَّى تُوزَنَ  
مَعَهَا، فِي مِيزَانِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ، فَلَا يُقِيمُ اللَّهُ الْجَلِيلُ الْعَظِيمُ لَهُمْ وَزَنًا يَزِنُ  
بِهِ حَسَنَاتِهِمْ وَسَيِّئَاتِهِمْ، دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ:

• ﴿... فَلَا تَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ (١٠٥):

الْوَزْنُ: مَصْدَرُ: «وَزَنَ الشَّيْءُ» أَي: قَدَرُهُ بِوَسَاطَةِ الْمِيزَانِ.

أَي: فَلَا تُنْشِئُ لَهُ عَمَلِيَّةَ وَزْنٍ نَزِنُ بِهَا حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ، إِذْ يَأْتِي يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ لَيْسَ لَهُ حَسَنَاتٌ تُوزَنُ فِي كِفَّةِ الْحَسَنَاتِ.

• ﴿تُفِيْمٌ﴾: أي: تُنْشِئُ وَتُحْدِثُ، يُقَالُ لُغَةً: «أَقَامَ الشَّيْءُ» أي: أُنْشَأَهُ مُوَفِّيَا حَقَّهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُشِيرًا إِلَى جَزَائِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

• ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾:

• ﴿ذَلِكَ﴾: المشارُ إِلَيْهِ فِيمَا أَرَى مَنْزِلَهُمْ فِي دَارِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَفِيهِ صُورٌ مِنْ مَشَاهِدِ الْعَذَابِ الَّذِي سَوْفَ يُعَذَّبُونَهُ بَعْدَ دُخُولِهِمْ دَارَ عَذَابِهِمْ وَوُضُولِهِمْ إِلَى مَوْقِعِهِمْ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ.

• ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾: خَبَرُ ﴿ذَلِكَ﴾: أي: مَنْزِلُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي دَارِ عَذَابِهِمْ، الَّذِي فِيهِ صُورٌ مِنْ مَشَاهِدِ الْعَذَابِ الَّذِي سَوْفَ يُعَذَّبُونَهُ يَوْمَ الدِّينِ هُوَ جَزَاؤُهُمْ.

• ﴿جَهَنَّمُ﴾: بَدَلٌ أَوْ عَظْفٌ بَيَانٍ، وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ ﴿جَزَاؤُهُمْ﴾ بَاغْتِبَارٍ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهَا، أي: جَزَاؤُهُمْ عَذَابٌ فِي جَهَنَّمِ.  
وقد سَبَقَ قَرِيبًا بَيَانُ جَهَنَّمِ.

وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَبَبَ اسْتِحْقَاقِهِمْ هَذَا الْجَزَاءَ الْأَلِيمَ، بِقَوْلِهِ فِي الْآيَةِ:

• ﴿... بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾:

أي: بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَاتِّخَاذِهِمْ آيَاتِي وَرُسُلِي شَيْئًا مَهْزُوءًا بِهِ.

«الباء» معناها السبب. «مَا» مُضَدَّرِيَّةٌ، تُؤَوَّلُ مَعَ مَا بَعْدَهَا بِمَضَدَرٍ. أي بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

﴿وَاتَّخَذُوا﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿كَفَرُوا﴾ فَلَهُ حُكْمُ التَّأْوِيلِ بِمَضَدَرٍ.

أي: وَبِسَبَبِ اتِّخَاذِهِمْ بِمَعْنَى: «جَعَلِهِمْ». ﴿آيَاتِي﴾: أي: آيَاتِي

الْبَيَانِيَّةَ الْمَنْزَلَاتِ عَلَى رُسُلِي ﴿هُزُؤًا﴾: مَضَدَّرُ اسْتَعْمِلَ بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَي: مَهْزُوءاً بِهَا وَمَسْخُوراً مِنْهَا، وَإِطْلَاقُ الْمَضَدَّرِ بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ أُبْلَغُ مِنْ اسْتِعْمَالِ اسْمِ الْمَفْعُولِ.

وَلَا بُدَّ أَنْ نُلَاحِظَ أَنَّ النَّصَّ هُنَا يَتَحَدَّثُ عَنْ كُلِّ الْكَافِرِينَ مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ لَهُمْ رُسُلًا، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّعْلِيمِ مُبَيِّنًا ثَوَابَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فِي مُقَابِلِ بَيَانِهِ جَزَاءَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِهِ وَرُسُلَهُ هُزُؤًا:

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٨﴾﴾:

• ﴿الْفِرْدَوْسُ﴾ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَاهَا، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ. وَأَصْلُ كَلِمَةِ «الْفِرْدَوْس» الْبَسْتَانُ الْجَامِعُ لِكُلِّ مَحَاسِنِ الْبَسَاتِينِ.

روى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

وروى أحمد، والترمذي، والحاكم والبيهقي، عن عبادة بن الصَّامِتِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِثَّةَ دَرَجَةٍ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْهَا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةٌ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ الْعَرْشُ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ الْأَرْبَعَةُ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ».

• ﴿نُزُلًا﴾: التُّزُلُ مَا يُعِدُّهُ الْإِنْسَانُ لِضَيْفِهِ.

• ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوْلًا﴾: أي: لَا يَبْغُونَ انْتِقَالًا عَنْهَا. الْحَوْلُ: الانْتِقَالُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ.

المعنى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا صَحِيحًا كَامِلًا صَادِقِينَ فِيهِ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ الَّتِي طَلَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَعْمَلُوهَا، وَأَدَّوْهَا وَافِيَةً، ثَبَّتَ لَهُمْ جَنَّاتِ الْفِرْدَوْسِ نُزُلَ ضِيَاقَةِ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ رَبِّهِمْ، جَزَاءَ إِيمَانِهِمْ وَصَالِحَاتِ أَعْمَالِهِمْ، حَالَةً كَوْنِهِمْ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ تَحَوُّلًا عَنْهَا، لِأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهَا أَقَلُّ مِنْهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّعْلِيمِ الدَّعَوِيَّ لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ﴿١٠٩﴾: الْمِدَادُ: كُلُّ سَائِلٍ يُكْتَبُ بِهِ.

الممدد: مَا يُمَدُّ بِهِ الشَّيْءُ مِنْ إِضَافَةٍ وَزِيَادَةٍ، سَبَقَ فِي سُورَةِ (لَقْمَانِ/ ٥٧ نزول) حَوْلَ مَوْضُوعِ هَذِهِ الْآيَةِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٧﴾:

عِلْمُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ وَاجِبِ الوجود، وَمُسْتَحِيلِ الوجود، وَجَائِزِ الوجود مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَمَا سَيَكُونُ وَمَا سَوْفَ يَكُونُ.

وَلِكُلِّ مَعْلُومَةٍ مَسْمُومَةٍ يَعْلَمُ اللَّهُ كَلِمَةً مِنْ كَلِمَاتِ اللَّهِ تَدُلُّ عَلَيْهَا، وَتَقْرِيْبًا لِأَذْهَانِ النَّاسِ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لَوْ كُتِبَتْ بِمِدَادٍ مَا، يُعَادِلُ بُحُورَ الدُّنْيَا لَنَفِدَتْ هَذِهِ الْبُحُورُ دُونَ أَنْ تَسْتَوْعِبَ الْكِتَابَةُ كَلِمَاتِ اللَّهِ الدَّلَالِ عَلَى مُتَفَاصِلَاتٍ مِنَ الْمَعَانِي.

وَلَكِنْ مَا هِيَ الْحِكْمَةُ مِنْ ذِكْرِ الْإِمْدَادِ بِسَبْعَةِ أَبْحُرٍ فِي آيَةِ سُورَةِ  
(لُقْمَانُ/ ٥٧ نزول) والاكْتِفَاءِ بِالْإِمْدَادِ بِبَحْرِ مِثْلِ بَحْرِ الدُّنْيَا، وَفِي كِلْتَا  
الْحَالَتَيْنِ لَا تَنْفَدُ كَلِمَاتُ اللَّهِ؟

وَيَخْطُرُ لِي فِي الْإِجَابَةِ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ مَا يَلِي:

إِنَّ آيَةَ سُورَةِ (لُقْمَانُ) أَبَانَتْ أَنَّ بَحْرَ الدُّنْيَا يُمِدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ،  
لَوْ كَانَتْ مِدَاداً لِأَقْلَامٍ يَكْتُبُ بِهَا النَّاسُ فِيمَا يَسْتَعْمِلُونَ مِنْ أَقْلَامٍ، لَنَفِدَتْ  
الْأَبْحُرُ السَّبْعَةُ، دُونَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ اللَّهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ أَقْلَامَ النَّاسِ الْمَصْنُوعَةَ مِنَ الْأَشْجَارِ، تَحْمِلُ رُؤُوسَهَا مِنْ  
الْمِدَادِ مِقْدَاراً يَزِيدُ كَثِيراً عَنِ الْكِتَابَةِ بِمِثْلِ رُؤُوسِ إِبْرِ النَّحْلِ، أَوِ الْكِتَابَةِ  
بِوَسَائِلٍ أُخْرَى أَكْثَرَ صِغْراً وَدِقَّةً.

فَجَاءَتْ آيَةُ سُورَةِ (الْكَهْفِ/ ٦٩ نزول) بَعْدَهَا خَالِيَةً مِنْ ذِكْرِ الْأَقْلَامِ  
الَّتِي تُصْنَعُ مِنَ الشَّجَرِ، مَعَ الْاِكْتِفَاءِ بِالْإِمْدَادِ بِبَحْرِ مِثْلِ بَحْرِ الدُّنْيَا، لِلْإِشَارَةِ  
إِلَى إِمْكَانِ اتِّخَاذِ وَسِيلَةٍ كِتَابِيَّةٍ لَا تَسْتَهْلِكُ مِنَ الْمِدَادِ إِلَّا نَحْوَ رُبْعِ مَا  
تَسْتَهْلِكُ الْأَقْلَامُ الْمَعْرُوفَةُ لِلنَّاسِ أَوْ أَقَلَّ.

فَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ، وَالْبَيَانُ فِيهِمَا بَيَانٌ تَقْرِيْبِيٌّ لِأَذْهَانِ النَّاسِ،  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي التَّعْلِيمِ الدَّعَوِيِّ لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ يَرْجُوا  
لِقَاءَ رَبِّهِمْ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ أَمْذًا ﴿١١٠﴾﴾:

يَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِأَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ثَلَاثَ قَضَايَا:

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: أَنَّهُ بِالنَّسَبَةِ إِلَى تَكْوِينِ خَلْقِهِ لَيْسَ إِلَّا إِنْسَانًا بَشَرًا،  
لَا مَلَكًا كَمَا يَطْلُبُ الْمُشْرِكُونَ، وَلَا فَوْقَ ذَلِكَ، دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: مَا أَنَا بِالنُّسْبَةِ إِلَى تَكْوِينِي إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلَكُمْ، أَكَلْتُ كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ، وَأَشْرَبْتُ كَمَا يَشْرَبُ النَّاسُ، وَأَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لِتَحْقِيقِ مَطَالِبِ حَيَاتِي، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَحَاجَاتِي فِي الْحَيَاةِ كَسَائِرِ حَاجَاتِ النَّاسِ، وَلَا أَدَّعِي أَنِّي مَلَكٌ، أَوْ لِي طَبِيعَةٌ تُخَالِفُ طَبِيعَةَ سَائِرِ الْبَشَرِ بِالنُّسْبَةِ إِلَى أَصْلِ تَكْوِينِي.

القَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: أَنَّهُ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ يُوحَى إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاحِدٌ، هُوَ اللَّهُ رَبُّهُمْ الَّذِي لَا رَبَّ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ سِوَاهُ، دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ فِي الْآيَةِ: ﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ أَمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾: أي: لَا مَعْبُودَ لَكُمْ بِحَقٍّ إِلَّا مَعْبُودٌ وَاحِدٌ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَهُوَ اللَّهُ خَالِقُكُمْ وَالْمُهَيِّمُنْ عَلَيْكُمْ بِصِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ دَوَامًا.

القَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّ النَّاسَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضُوعُونَ مَوْضِعَ الْأُمْتِحَانِ، وَأَنَّهُمْ مَجْزِيُّونَ عَلَى مَا يَخْتَارُونَ بِإِرَادَتِهِمُ الْحُرَّةِ مِنْ اعْتِقَادٍ أَوْ عَمَلٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ، وَأَنَّ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى يَكُونُ يَوْمَ الدِّينِ بَعْدَ الْبَعْثِ، فَمَنْ كَانَ يَتَوَقَّعُ أَنَّهُ سَوْفَ يَلْقَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِيُحَاسِبَهُ، وَيَفْصَلَ الْقَضَاءَ بِشَأْنِهِ، وَيَنْفَذَ فِيهِ جَزَاءَهُ بِالْفَضْلِ أَوْ بِالْعَدْلِ، وَأَنَّهُ أَعَدَّ لِلْجَزَاءِ دَارَيْنِ: دَارًا لِلنَّعِيمِ هِيَ الْجَنَّةُ، وَدَارًا لِلْعَذَابِ هِيَ النَّارُ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا يُرْضِي بِهِ اللَّهُ رَبَّهُ، وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَتِهِ أَحَدًا لِيَقْبَلَ نَفْسَهُ مِنَ عَذَابِ النَّارِ، وَلِيُظْفَرَ بِالْحُلُودِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ بِمَنْطُوقِ اللَّفْظِ وَلَوْازِمِهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ:

• ﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠)

﴿يَرْجُوا﴾: أي: يَتَوَقَّعُ، الرَّجَاءُ فِي اللَّغَةِ التَّوَقُّعُ لِمَرْغُوبٍ فِيهِ، أَوْ مَكْرُوهٍ مَخُوفٍ مِنْهُ.

• ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾: أَي: مِمَّا دَعَا اللَّهُ إِلَى عَمَلِهِ فِعْلًا أَوْ تَرْكًا،  
إِلْزَامًا أَوْ تَرْغِيبًا.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ سُورَةِ (الكهف)

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٦)

**ملحق: مستخرجات بلاغية من سورة (الكهف)**

توجد في سورة الكهف اختيارات بلاغية نفيسة وكثيرة، استخرجت منها ما يلي:

أولاً: فنية عرض لمحات من القصة بارزات موجزات ثم تفصيل ما يُراد تفصيله منها

من الفنون البديعة في عرض القصص إيراد موجز عام يدل على أبرز عناصرها الكبرى، ثم اتباع هذا الموجز بالتفصيل المراد ذكره، ومن هذا ما جاء في قصة أهل الكهف.

• فالإيجاز العام جاء في الآيات من (٩ - ١٢).

• وتفصيل المراد تفصيله من القصة، جاء في الآيات من (١٣ - ٢٦).

ثانياً: من فنون البلاغة: «الإيجاز بالحذف»

ومن أمثله في سورة (الكهف) ما يلي:

المثال الأول: قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾

جملة: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ دَلَّتْ عَلَى جُمْلَةٍ مَطْوِيَّةٍ مَحْذُوفَةٍ، وَهَذِهِ الْمَذْكُورَةُ وَاقِعَةٌ مِنَ الْمَحْذُوفَةِ مَوْقِعَ التَّعْلِيلِ، وَيُمْكِنُ تَقْدِيرُ الْمَحْذُوفَةِ بِنَحْوِ: «لَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ عِنْدَنَا» أَيْ: لِأَنَّنَا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا.

المثال الثاني: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ...﴾ (٣٩):

عبارة: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ مُخْتَزَلَةٌ بِأَسْلُوبِ الْحذف مِنْ عِبَارَةِ: «هَذَا مَا شَاءَهُ اللَّهُ» أَوْ نَحْوَهَا.

المثال الثالث: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلُبُ كَفْتَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٤١):

أَيْ: ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ إِحَاطَةٌ إِهْلَاكِ وَإِنْلَافٍ ﴿فَاصْبَحَ يَقْلُبُ كَفْتَيْهِ﴾ يَضْرِبُ عَلَيْهِمَا عَلَى سُفْلَاهُمَا حَسْرَةً وَنَدَمًا ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ مِنْ تِمَارِهَا وَمَتَسَاقِطَةِ الْأَغْصَانِ ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

ثالثاً: من الفنون البلاغية «الاستعارة»

وَمِنْ أَمْثَلَةِ الْاسْتِعَارَةِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَا يَلِي:

المثال الأول: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿... وَيَجْعِدُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ يُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ...﴾ (٥٦):

اسْتُعِيرَ الْفِعْلُ فِي ﴿يُدْحِضُوا﴾ وَهُوَ فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَى: «لِيُزْلِقُوا» لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَى مَعْنَى إِخْرَاجِ الْمَحَاوِرِ الْخُضْمِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ، إِلَى اغْتِقَادِ الْبَاطِلِ، بِوَسِيلَةٍ تُشَبِّهُ الْإِزْلَاقَ فِي الْمَزَالِقِ.



المثال الثاني: قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ مُوسَى والخضرِ عَلَيْهِمَا

السلام:

﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ...﴾ (٧٧)

استعير فعل «يُرِيدُ» للدلالة به على الميل الآيل إلى السقوط، ومعلوم أن الجدار ليس له إرادة. وهذه من الاستعارات البديعة القائمة على تشبيه غير الحي بذي حياة وإرادة.

رابعاً: اعتنى البلاغيون بالقصر الحقيقي والإضافي

ومن أمثلة القصر في هذه السورة ما يلي:

المثال الأول: قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الَّذِينَ قَالُوا: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا:

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ (٥٠)

عبارة: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ فيها قصر بالنفي والاستثناء، وهو قصر إضافي، أي: بالإضافة إلى قولهم الَّذِينَ يَنْسُبُونَ فِيهِ الْوَلَدَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ.

المثال الثاني: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾ (١٥)

في هذا البيان قصر بالنفي والاستثناء، وهو قصر إضافي، أي: بالإضافة إلى تصور أنهم مُجْبَرُونَ مُكْرَهُونَ.

خامساً: من الفنون البلاغية استعمال الاستفهام في غير طلب الإفهام

ومن أمثله في هذه السورة ما يلي:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ﴿٩﴾؟:

استفهام يُرادُ به النفي، أي: لَا تَحْسَبْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ هِيَ الْمَثِيرَةُ وَخَدَهَا لِلْعَجَبِ مِنْ جُمْلَةِ آيَاتِنَا، إِذْ كُلُّ آيَاتِنَا فِي كَوْنِنَا مُثِيرَاتٌ لِعَجَبِ الْعُقَلَاءِ.

المثال الثاني: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿١٥﴾؟:

ونظيره قول الله تَعَالَى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ...﴾ ﴿٥٧﴾؟:

أي: لَا أَحَدَ أَظْلَمَ مِنْ هَذَا، وَلَا أَحَدَ أَظْلَمَ مِنْ هَذَا، بَلْ هَذَانِ الْفَرِيقَانِ هُمَا مِنْ أَظْلَمِ الظَّالِمِينَ.

فالاستفهام يُرادُ به النفي.

المثال الثاني: قول الله عَزَّ وَجَلَّ حِكَايَةً لِقَوْلِ الْمُحَاوِرِ الْمُؤْمِنِ:

﴿قَالَ لَمْ صَاحِبُهُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا﴾ ﴿٢٧﴾؟:

الاستفهام مُسْتَعْمَلٌ فِي الْإِنْكَارِ عَلَى صَاحِبِهِ، فَهُوَ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٍّ.

المثال الثالث: قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ إِبْلِيسَ خُطَابًا لِلنَّاسِ:

﴿... أَفَنَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ

بَدَلًا﴾ ﴿٥٠﴾؟:

الاستفهام فِي هَذَا الْبَيَانِ إِنْكَارِيٌّ تَوْبِيخِيٌّ تَلْوِيمِيٌّ.

سادساً: مِمَّا اعْتَنَى بِهِ الْبَلَاغِيُّونَ اشْتِمَالُ الْجُمْلَةِ عَلَى التَّوَكُّيدِ لِذَاعِ بِلَاغِيٍّ

ومن أمثلته في السورة ما يلي:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الَّذِينَ قَالُوا: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا:

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ...﴾ (٥)

جاء التوكيد في هذا البيان بزيادة حرف «مِنْ» والغرض توكيد عموم النفي والتنصيص عليه.

ونظيره: ﴿... مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلَدٍ...﴾ (٢١)

المثال الثاني: قول الله عز وجل:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُا ﴿٨﴾

في الآية (٧) جاء التوكيد بـ «إِنَّ» - وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ «وَفِي اسْتِعْمَالِ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ مَعْنَى التَّوَكُّيدِ أَيْضًا.

وكذلك في الآية (٨) مع إضافة التوكيد «بِالْأَمِ الْمَزْحَلَقَةِ» لِأَنَّ مَضْمُونَهَا يَحْتَاجُ زِيَادَةَ تَوْكِيدٍ.

المثال الثالث: قول الله تعالى، حكاية لِقَوْلِ الْمُحَاوِرِ الْمُؤْمِنِ:

﴿لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٢٨)

جاء التوكيد في عبارته بالمؤكدات: «الْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ - ضَمِيرُ الشَّانِ - الْخَبَرُ الْمُؤَلَّفُ مِنْ جُمْلَةٍ مُعَرَّفَةٍ الطَّرْفَيْنِ تُفِيدُ الْقَصْرَ».

وأكتفي بهذه المستخرجات، والحمد لله على معنوته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.





## سُورَةُ النحل

١٦ مصحف ٧٠ نزول

وهي مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا في قول الجمهور  
وقيل: إِلَّا الآيَات الثلاث الأخيرة  
منها فهي مدنية



(١)

## نص السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾  
 يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ  
 أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ  
 مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا  
 لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ  
 فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ  
 أَنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ  
 رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا

١ - ٣ • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [عَمَّا يُشْرِكُونَ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [عَمَّا يُشْرِكُونَ]. وبين القراءتين تكامل بياني.

٢ - قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورويس: [يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ] من فعل «أَنْزَلَ» المهموز وقرأها روح: [تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [يُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ] من فعل «نَزَلَ» المضعف. والمؤدَّى واحد.

٢ - قرأ يعقوب: [فَاتَّقُونِي] بإثبات ياء المتكلم وصلاً ووقفاً.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [فَاتَّقُونِ] بحذف ياء المتكلم وصلاً ووقفاً.

٧ - قرأ أبو جعفر: [بِشِقِّ الْأَنْفُسِ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَةُ: [بِشِقِّ الْأَنْفُسِ] شِقٌّ وَشَقٌّ: الجُهدُ والمشقة.

٧ - قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص وأبو جعفر: [لَرَوْفٌ].

وَزِينَهُ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ  
وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي  
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ  
تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ  
وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ  
يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْلِفاً أَلْوَنَهُ  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي  
سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ  
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا  
مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ  
رَوْسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارٌ وَسُبُلٌ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾  
وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [لَرَوْوَف].

١١ - • قرأ شعبة: [نُبِتْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [يُنْبِتْ].

١٢ - • قرأ ابن عامر: [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ].

وقرأها حفص: [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ].

١٤ - • قرأ قالون، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر. [وَهُوَ] بإسكان الهاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وَهُوَ] بضم الهاء.



أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْرِجُهُمْ وَيَقُولُ بَيْنَ يَدَيْهِمْ

١٧ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تَذَكَّرُونَ].

٢٠ - • قرأ عاصم، ويعقوب: [يَدْعُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تَدْعُونَ].

٢٦ - • قرأ أبو عمرو: [فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ].

وقراها حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ].

وقراها باقي القراء العشرة: [فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ].

وكلٌّ مِنْهُمْ على أَصْلِهِ في الوقف، فحمزة وَيَعْقُوبُ بِضَمِّ الهاء، والباقيون بِكَسْرِهَا.

٢٧ - • قرأ يعقوب: [يُخْرِجُهُمْ] و[بَيْنَهُمْ] بضم هاء الضمير فيهما. وقرأها باقي=

كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ  
 وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي  
 أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ  
 عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ  
 فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا  
 أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ  
 وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ  
 يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ  
 يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ  
 يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾  
 هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ  
 فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ  
 يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا

= القراء العشرة [يُخْزِيهِمْ] و [فِيهِمْ] بِكَسْرِ هاء الضمير فيهما .

٢٧ - • قرأ نافع: [تُشَاقُّونَ] بِكَسْرِ النون. أي: تُشَاقُّونِي وقرأها باقي القراء العشرة: [تُشَاقُّونَ] بفتح النون.

٢٨ و ٣٢ - • قرأ حمزة، وخلف: [يَتَوَفَّاهُمْ] في الموضعين .

وقرأهما باقي القراء العشرة: [تَوَفَّاهُمْ] .

وهما وجهان غريبان جائزان .

٣٣ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [أَنْ يَأْتِيَهُمْ] .

وقرأها باقي القراء العشرة: [أَنْ تَأْتِيَهُمْ] .

وهما وجهان غريبان جائزان .

كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا  
 عَبْدَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ  
 دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ  
 إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا  
 أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ  
 وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا  
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ  
 اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا  
 بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا  
 وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي  
 يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾  
 إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

٣٤ - قرأ أبو جعفر: [يَسْتَهْزِئُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [يَسْتَهْزِئُونَ].

٣٦ - قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحزمة، ويعقوب: [أَنْ اَعْبُدُوا] بكسر النون.

وقراها باقي القراء العشرة: [أَنْ اَعْبُدُوا] بضم النون، مراعاة لضم باء  
 «اعبدوا».

٣٧ - قرأ عاصم، وحزمة، والكسائي، وخلف: [لَا يَهْدِي] أي: لَا يَحْكُمُ  
 بالهداية مَنْ يُضِلُّ.

وقراها باقي القراء العشرة: [لَا يَهْدِي] أي: لَا يَهْدِي عَلَيْهِ.

٤٠ - قرأ ابن عامر، والكسائي: [كُنْ فَيَكُونُ] بَنَصْبٍ «يَكُونُ».

وقراها باقي القراء العشرة: [كُنْ فَيَكُونُ] بِالرَّفْعِ، أي: فهو يكون.

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا  
 حَسَنَةً ۖ وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ  
 صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا  
 رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ  
 ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا  
 نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ  
 أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا  
 يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُيبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾  
 أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمُ لَرَّوُفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا

٤١ - • قرأ أبو جعفر: [لَنُبَوِّئَنَّهُمْ] وكذلك حمزة في الوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [لَنُبَوِّئَنَّهُمْ].

وهما وجهان عربيان في النطق.

٤٣ - • قرأ حفص: [نُوحِي].

وقراها باقي القراء العشرة: [يُوحِي].

٤٣ - • قرأ ابن كثير، والكسائي، وخلف: [فَسْأَلُوا].

وقراها باقي القراء العشرة: [فَاسْأَلُوا] وهما وجهان عربيان.

٤٤ - • قرأ حمزة، ويعقوب: [إِلَيْهِمْ] بضم الهاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [إِلَيْهِمْ] بكسر الهاء.

٤٥ - • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [بِهِمُ الْأَرْضَ] بكسر الهاء والميم.

وقراها حمزة، والكسائي، وخلف: [بِهِمُ الْأَرْضَ] بضم الهاء والميم.

وقراها باقي القراء العشرة: [بِهِمُ الْأَرْضَ] بكسر الهاء وضم الميم.

٤٧ - • قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر: [لَرَّوُفٌ].

وقراها باقي القراء العشرة: [لَرَّوُفٌ].

وهما وجهان عربيان في النطق.

٤٨ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [أَوْ لَمْ تَرَوْا].

إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيئُوا ظِلَالَهُ عَنِ الِّيمِينَ وَالشَّمَائِلِ  
 سَجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا  
 فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾  
 يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ \* وَقَالَ اللَّهُ  
 لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٥١﴾  
 وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ  
 ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ  
 تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ  
 يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾  
 وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا  
 كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا  
 يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ  
 كَاطِمٌ ﴿٥٨﴾ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ  
 هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا  
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [أَوْ لَمْ يَرَوْا].

وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني.

٤٨ - • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [تَنْفِيئُوا].

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَنْفِيئُوا].

٥١ - • قرأ يعقوب: [فَارْهَبُونِي] بإثبات ياء المتكلم وصلًا ووقفًا.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَارْهَبُونَ] بحذف ياء المتكلم وصلًا ووقفًا.

الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَماً أَنْ لَهُمُ النَّارَ وَأَنْتُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي

٦١ - قرأ ورش، وأبو جعفر: [يُوَاحِدُ] و[يُؤَخِّرُهُمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [يُوَاحِدُ] و[يُؤَخِّرُهُمْ].

٦٢ - قرأ نافع: [مُفْرَطُونَ].

وقراها أبو جعفر: [مُفْرَطُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [مُفْرَطُونَ].

٦٣ - قرأ قالون، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر: [فَهُوَ] بإسكان الهاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَهُوَ] بِضَم الهاء.

٦٦ - قرأ نافع، وابن عامر، وشعبة، ويعقوب [تُسْقِيَهُمْ].

وقراها أبو جعفر: [تُسْقِيَهُمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تُسْقِيَهُمْ] من فعل: «أَسْقَى».

ذَٰلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي  
 مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ  
 الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ  
 أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾  
 وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَنفِثْكُمْ وَيُنَفِّثُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا  
 يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ  
 بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ  
 عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِصْمَةِ اللَّهِ يُجْحَدُونَ  
 ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَكُنَ لَكُمْ مِّنْ  
 أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرِزْقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ  
 وَبِإِنْعَامِ اللَّهِ هُم يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا  
 يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ  
 ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

٦٨ - • قرأ ورث، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: [بُيُوتًا] بضم  
 الباء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [بُيُوتًا] بكسر الياء. وهما لغتان.

٦٨ - • قرأ ابن عامر، وشعبة: [يَعْرِشُونَ] بضم الراء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يَعْرِشُونَ] بكسر الراء.

وهما لغتان عربيتان لمعنى واحد.

٧١ - • قرأ شعبة، ورؤيس: [تُجْحَدُونَ] بقاء الخطاب.

وقرأها باقي القراء العشرة: [يُجْحَدُونَ] بياء الغيبة.

وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني.

﴿٧٥﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن

- ٧٦ - • قرأ قالون، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر: [وَهُوَ] بِإِسْكَانِ الْهَاءِ.  
وقرأها باقي القُرَّاءِ العَشْرَةِ: [وَهُوَ] بِضَمِّ الْهَاءِ.
- ٧٨ - • قرأ حمزة: [مِنْ بَطُونٍ إِمَّهَاتِكُمْ] بِكَسْرِ الهمزة والميم المشددة في حالة الوصل ببطون.
- وقرأها الكسائي: [إِمَّهَاتِكُمْ] بِكَسْرِ الهمزة وفتح الميم المشددة في حالة الوصل أيضاً.
- وقرأها باقي القُرَّاءِ العَشْرَةِ: [أَمَّهَاتِكُمْ] بِضَمِّ الهمزة وفتح الميم المشددة في حالتي الوصل وَعَدَمِهِ.
- ٧٩ - • قرأ ابنُ عامر، وحمزة، ويعقوب، وخلف: [أَلَمْ تَرَوْا] بَتَاءِ الْخَطَابِ.  
وقرأها باقي القُرَّاءِ العَشْرَةِ: [أَلَمْ يَرَوْا] بِيَاءِ الْغِيْبَةِ.
- وبين القراءتين تكاملاً في الأداء البياني.



يُؤْتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ  
ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا  
وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا  
وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابِيلَ  
تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ  
نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ  
الْبَلْغُ الْمَمِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُكْفِرُونَهَا  
وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ  
لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْنَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى  
الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفْ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾  
وإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا  
الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ

٨٠ - • قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: [يُؤْتِكُمْ] بضم  
الباء. وكذا: [بُيُوتًا].

وقرأهما باقي القراء العشرة: [يُؤْتِكُمْ] و[بُيُوتًا] بكسر الباء.

٨٠ - • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: [ظَعْنِكُمْ] بفتح  
العين.

وقراها باقي القراء العشرة: [ظَعْنِكُمْ] بإسكان العين.

٨٦ - • قرأ أبو عمرو: [إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ] بكسر الهاء والميم.

وقراها حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ] بضم الهاء والميم.

وقراها باقي القراء العشرة: [إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ] بكسر الهاء وضم الميم.

وهم على أصولهم في الوقف، فحمزة، ويعقوب بضم الهاء، والباقون  
بكسرها.

لَكَذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْفَوَاقِلَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَسْلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا  
كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ  
زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ  
نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ  
شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ  
وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ  
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩١﴾ وَأَوْفُوا  
بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا  
وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ  
﴿٩٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا  
نَتْخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ  
أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ  
فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ  
يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ

٨٩ - • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهِمْ] بضم الهاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمْ] بكسر الهاء.

٩٠ - • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تَذَكَّرُونَ] أصلها «تَذَكَّرُونَ» أذْغَمَتِ التاء الثانية بالذال.

تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَنَخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ  
 بُيُوتِهَا وَتَذَوْقُوا أَلْسُوهُ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ  
 عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ  
 هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا  
 عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى وَهُوَ  
 مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا  
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ  
 الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُكَ عَلَى الَّذِينَ  
 يَتَوَلَّوْنَهُمُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً  
 مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ

٩٦ - • قرأ ابن كثير: [بَاقِي] في الوقف.

وقراها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [بَاقٍ] في الوصل والوقف، ووافقهم ابن كثير في  
 حالة الوصل.

٩٦ - • قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو جعفر: [وَلَنَجْزِيَنَ] بالنون. وأخذ وجهين لابن  
 ذكوان.

وقراها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [وَلَيَجْزِيَنَ] بالياء، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

٩٨ - • قرأ السوسي، وأبو جعفر: [قَرَأْتَ] وكذلك حمزة في الوقف.

وقراها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [قَرَأْتَ].

٩٨ - • قرأ ابن كثير: [الْقُرْآنَ]. وكذلك حمزة في الوقف.

وقراها بَاقِي الْقُرْآنِ الْعَشْرَةِ: [الْقُرْآنَ].

١٠١ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: [بِمَا يُنَزِّلُ] من فعل «أَنْزَلَ».

مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيْ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١١٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ

= وقرأها باقي القراء العشرة: [يَمَا يُنْزَلُ] من فعل «نَزَلَ». أنْزَلَ وَنَزَلَ مُتَكَافِئَانِ.

١٠٢ - • قرأ ابن كثير: [الْقُدُس] بإسكان الدال.

وقرأها باقي القراء العشرة: [الْقُدُس] بضم الدال. وهما لغتان.

١٠٣ - • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [يُلْحِدُونَ] بفتح الياء والحاء من فعل «لَحَدَ».

وقرأها باقي القراء العشرة: [يُلْحِدُونَ] بضم الياء وكسر الحاء، من فعل «لَحَدَ».

وهما لغتان، أي يميلون عن الحق.

١٠٤ - • قرأ أبو عمرو: [لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ] بكسر الهاء والميم.

وقرأها حمزة، والكسائي، ويعقوب: وخلف: [لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ] بضم الهاء والميم.

وقرأها باقي القراء العشرة: [لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ] بكسر الهاء وضم الميم. وضمَّ هاء الضمير في الوقف يعقوب.

١٠٦ - • قرأ حمزة، ويعقوب: [فَعَلَيْهِمْ] بضم الهاء.

وقرأها باقي القراء العشرة: [فَعَلَيْهِمْ] بكسر الهاء.

اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا  
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
 الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ  
 وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ  
 أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ  
 لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا  
 إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ \* يَوْمَ تَأْتِي  
 كُلُّ نَفْسٍ مُجْدِلَةٌ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ  
 وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ  
 ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ  
 بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا  
 يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ  
 الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِنْمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ  
 حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ  
 ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا

١١٠ - • قرأ ابن عامر: [فَتَنُوا].

وقراها باقي القراء العشرة: [فُتِنُوا].

١١٥ - • قرأ أبو جعفر: [الْمَيْتَةَ] بتشديد الياء مكسورة.

وقراها باقي القراء العشرة: [الْمَيْتَةَ] بإسكان الياء.

أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ  
 اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ  
 الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ  
 الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ  
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ  
 وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ  
 رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ يَجْهَلُهُ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
 وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ  
 كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾  
 شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾  
 وَمَآ تَنَبَّأَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ  
 أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ  
 الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ  
 وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

١١٥ - • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحزمة، ويعقوب: [فَمَنِ اضْطُرَّ].

وقراها أبو جعفر: [فَمَنْ اضْطُرَّ].

وقراها باقي القراء العشرة: [فَمَنْ اضْطُرَّ].

وهي وجوه عربية من الأداء.

١٢٠ و ١٢٣ - • قرأ هشام: [إِبْرَاهِيمَ] في الموضعين.

وقراها باقي القراء العشرة: [إِبْرَاهِيمَ].

١٢١ - • قرأ قبل، ورؤيس [صِرَاطٍ] وبإشمام الصاد زائياً خلف عن حمزة.

وقراها باقي القراء العشرة: [صِرَاطٍ].

يَخْلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ  
وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ  
سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ  
مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصِرْ  
وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ  
مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ  
تُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

- ١٢٧ - • قرأ ابن كثير: [فِي ضَيْقٍ] بكسر الضاد.  
وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [فِي ضَيْقٍ] بفتح الضاد.  
وهما لغتان والمعنى واحد.  
١٢٧ - • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهِمْ] بضم الهاء.  
وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [عَلَيْهِمْ] بكسر الهاء.

(٢)

## موضوع سورة (النحل)

ظَهَرَ لِي أَنَّ مَوْضِعَ سورة (النحل/ ٧٠ نزول) قائم على عرض  
موجزاتٍ مُكثَّفَاتٍ، لِكَثِيرٍ مِنْ كَلِّيَّاتِ الْقَضَايَا الَّتِي سَبَقَ إِنْزَالُهَا فِي السُّورِ  
قَبْلَ هَذِهِ السُّورَةِ بَدْءاً مِنْ بَدَايَاتِ التَّنْزِيلِ. وَهَذِهِ الْقَضَايَا تَتَعَلَّقُ بِوَحْدَانِيَّةِ  
اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَيْهِمَا، وَتَتَعَلَّقُ بِعَرَضِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ،  
وَبِقَانُونِ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ الْمُؤَجَّلِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَالْمَعْجَلِ مِنْهُ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا، وَبِعَرَضِ مَوَاقِفِ الْكَافِرِينَ مِنْ هَذِهِ الْقَضَايَا، وَمَعَالَجَتِهِمْ بِمَا يَلَائِمُ  
حَالَهُمْ فِي الْمَرَحَلَةِ الَّتِي أُنْزِلَتْ فِيهَا السُّورَةُ.

ومن هذه القضايا التحذيرُ من التدخّلِ البشري في أحكام التحليل والتحرّيم الدينيّة، إذ هي مِنْ خَصَائِصِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ في رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ لعباده، ومنها وَصَايَا أَوْصَى اللَّهُ بِهَا رَسُولُهُ ﷺ، ووصايا أَوْصَى اللَّهُ بِهَا المؤمنين.

وجاء عَرَضُ هَذِهِ المَوْجِزَاتِ المَكْتَفَاتِ حَوْلَ هَذِهِ القضايا بِأَسْلُوبِ المَرَاوِحَةِ تَرْكاً وَرَجُوعاً، مع الاستِفادةِ مِنْ مُنَاسَبَاتٍ مُلَائِمَاتٍ لِبَيَانِ حَقَائِقَ خَارِجَةٍ عَنِ الْخُطُوطِ الْكُبْرَى الَّتِي سَارَتْ عَلَيْهَا آيَاتُ السُّورَةِ وَفَقَرَاتُهَا.

(٣)

### دروس سورة (النحل)

من الصَّعْبِ عَلَى المَتَدَبِّرِ أَنْ يُقَسِّمَ هَذِهِ السُّورَةَ إِلَى دُرُوسٍ مُتَّفَاعِلَةٍ تَفَاضُلاً وَاضِحاً لَا اغْتِرَاضَ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنَّنِي اجْتَهَدْتُ فِي تَقْسِيمِهَا إِلَى دُرُوسٍ وَصَلْتُ إِلَى (٢٨) دَرْساً، وهي الدروس التالية:

الدرس الأول: الآيتان (١ و ٢).

وفي آيَاتِي هَذَا الدَّرْسِ مَلَامِحُ الْخُطُوطِ الْعَامَّةِ الْكُبْرَى لِمَوْضُوعِ السُّورَةِ.

الدرس الثاني: الآيات من (٣ - ٢٣).

وفي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ طَائِفَةٍ مِنْ آيَاتِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِكُونِهِ، وَإِلَهِيَّتِهِ لعباده، وَإِنْعَامَاتِهِ عَلَيْهِمْ بِنِعَمٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِحْصَاءَهَا، وَقَدْ جَاءَ فِيهَا ذِكْرٌ مُوجِزٌ لِلْعَدِيدِ مِنْ نِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ.

وفيها استفادةٌ مِنْ بعض المناسبات لبيان قضايا إقناعيّة، وقضايا هي مِنْ حَقَائِقِ الدِّينِ الْكُبْرَى، مَعَ الْمَاحَاتِ لِمَطَوِيَّاتٍ تَتَّصِلُ بِهَا.

الدرس الثالث: الآيات من (٢٤ - ٢٩).



وفي هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ لَفْظَةٍ مِنْ كُفْرِ الْمَشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ لِمَا أُنْزِلَ  
اللهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَالْعَامِلِينَ عَلَى إِضْلَالٍ مَنْ يَتَأَثَّرُ بِهِمْ، مَعَ تَحْذِيرِهِمْ  
مِنْ عِقَابَيْنِ مُعْجَلٍ فِي الدُّنْيَا وَمُؤَجَّلٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الدرس الرابع: الآيات من (٣٠ - ٣٢).

وفيه عرض لَفْظَةٍ تَتَعَلَّقُ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ بِشَأْنِ مَا أُنْزِلَ اللهُ عَلَى  
رَسُولِهِ، مَعَ بَيَانِ بَعْضِ مَا يَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، وَمَا  
يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِنْ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِيمٍ.

الدرس الخامس: الآيتان (٣٣) و(٣٤).

وفيه معالجة الكَفَرَةِ الْمُعَانِدِينَ بِالْإِنْذَارِ بِعَذَابٍ عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْ  
بِاسْتِثْصَالِ مُعَذِّبَاتٍ مُهْلِكَاتٍ، كَمَا أُنْزِلَ اللهُ بِالْأُمَمِ الْمُهْلَكَةِ مِنْ كُفَّارِ  
الْقُرُونِ السَّابِقَةِ.

الدرس السادس: الآية (٣٥).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ عَرَضُ جَدَلِيَّةٍ مِنْ جَدَلِيَّاتِ الْمَشْرِكِينَ، تَعْتَمِدُ عَلَى  
مَقُولَةٍ أَنَّ النَّاسَ مَجْبُورُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا غَيْرُ مُخَيَّرِينَ.

مع الرَّدِّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ.

الدرس السابع: الآية (٣٦).

وفيهَا بَيَانُ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا، فَأَجْرَى فِيهِمْ  
سُنَّتَهُ فِي عِبَادَةِ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ.

الدرس الثامن: الآية (٣٧).

وفيهَا تَرْبِيَةٌ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ بِشَأْنِ مَنْ يَخْرِصُ عَلَى هُدَاهُمْ.

الدرس التاسع: الآيات من (٣٨ - ٤٠).

وفيه بيان عقيدة المشركين الكفّرة بشأن إنكارهم للبعث، مع الردّ عليهم.

الدرس العاشر: الآيتان (٤١) و(٤٢).

وفيه بيان بشأن الذين هاجروا في سبيل الله.

الدرس الحادس عشر: الآيتان (٤٣) و(٤٤).

وفيه بيان أنّ كلّ الرّسل السّابقين كانوا رجالاً من الناس، وخصّهم الله بأنّ أوحى إليهم.

الدرس الثاني عشر: الآيات من (٤٥ - ٤٧).

وفيه تهديد الكافرين باختِمالات العقاب بالخسف، أو غيره من أنواع العقاب الربّاني.

الدّرس الثالث عشر: الآيات من (٤٨ - ٥٠).

وفيه إقناع الكافرين بالسّجود لله كما تسجد له الأشياء والدّوابّ والملائكة.

الدّرس الرابع عشر: الآيات من (٥١ - ٥٥).

وفيه قول الله عزّ وجلّ لعباده يأمرهم بتوحيده بالعبادة، ويحذّروهم من عقابه ويبيّن لهم أنّ كلّ ما في السّماوات والأرض، وأنّ كلّ النّعم التي يتمتّعون بها هي من الله، مع بيان بعض صفات الإنسان الجحود.

الدرس الخامس عشر: الآيات من (٥٦ - ٦٢).

وفيه بيان افتراء المشركين الأحكام على الله، وادّعاؤهم أنّ الملائكة بنات الله. وفيه معالجتهم بالإنذار بعقاب الله.

الدرس السادس عشر: الآيتان (٦٣) و(٦٤).

وَفِيهِ بَيَانٌ أَنَّ أُمَّماً كَثِيرَةً مِنْ قَبْلِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَدْ أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ رُسُلًا فَرِيقَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً يُعَذِّبُهُمْ بِهِ يَوْمَ الدِّينِ.

وَفِيهِ بَيَانٌ وَظِيفَةٌ مِنْ وَظَائِفِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ، وَهِيَ أَنَّ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

الدرس السابع عشر: الآيات من (٦٥ - ٧٢).

وَفِيهِ عَوْدٌ إِلَى عَرْضِ بَعْضِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَهُمْ لَا يُوَدُّونَ وَاجِبَ الشُّكْرِ عَلَيْهَا، بَلْ يَجْحَدُونَ، وَيَكْفُرُونَ بِهَا، وَيُؤْمِنُونَ بِالْبَاطِلِ.

الدرس الثامن عشر: الآيات من (٧٣ - ٧٦).

وَفِيهِ مَعَالِجَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ بِحُجَجٍ إِقْنَاعِيَّةٍ تُلَامِسُ نَفُوسَهُمْ وَمَشَاعِرَهُمْ.

الدرس التاسع عشر: الآيتان (٧٧) و(٧٨).

وَفِيهِ بَيَانٌ شُمُولِ عِلْمِ اللَّهِ كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ أَمْرُ السَّاعَةِ، أَمَّا النَّاسُ فَقَدْ أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً، وَمَنْحَهُمْ وَسَائِلَ اكْتِسَابِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ بِقَدَرٍ، رَغْبَةً فِي أَنْ يَشْكُرُوا.

الدرس العشرون: الآيات من (٧٩ - ٨٣).

وَفِيهِ عَوْدٌ إِلَى عَرْضِ بَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَبَعْضِ نِعَمِهِ عَلَى النَّاسِ، وَتَوْصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ مَسْئُولاً عِنْدَ رَبِّهِ إِلَّا عَنِ الْبَلَاغِ الْمُبِينِ.

الدرس الحادي والعشرون: الآيات من (٨٤ - ٨٩).

وَفِيهِ عَرْضُ لَقَطَاتٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ تَتَعَلَّقُ بِبَعْضِ أَحْوَالِ الْكَافِرِينَ يَوْمَئِذٍ.

الدرس الثاني والعشرون: الآيات من (٩٠ - ٩٧).

وفيه بيان وصايا من الله لعباده، وهي من قضايا الدين الذي اصطفاؤه لهم في رحلة امتحانهم في الحياة الدنيا.

الدرس الثالث والعشرون: الآيات من (٩٨ - ١٠٥).

وفيه بيان بشأن القرآن، ووساوس الشيطان وأعماله الإغوائية.

الدرس الرابع والعشرون: الآيات من (١٠٦ - ١١١).

وفيه بيان بشأن الكفر بعد الإيمان، وبيان بشأن المهاجرين الذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا.

الدرس الخامس والعشرون: الآيتان: (١١٢ و ١١٣).

وفيه بيان بشأن كفار مكة، ومعالجتهم ببعض المصائب التي أنزلها الله

بهم.

الدرس السادس والعشرون: الآيات من (١١٤ - ١١٩).

وفيه توجيه للناس بأن يأكلوا مما رزقهم الله حلالاً طيباً، ويشكروا نعمة عليهم، مع بيان المحرمات من المطاعم، والتحذير من التحليل والتحریم افتراء على الله.

الدرس السابع والعشرون: الآيات من (١٢٠ - ١٢٤).

وفيه ضرب مثل للشاكرين بإبراهيم عليه السلام، وفيه أمر للرسل محمد ﷺ باتباع ملته.

الدرس الثامن والعشرون: الآيات من (١٢٥ - ١٢٨) آخر السورة.

وفيه عرض بعض وصايا من الله عز وجل لرسوله ﷺ، في الدعوة، والعقاب، والصبر، وغيرها، ويُلحق بالرسول حملة رسالته من أمته وسائر المسلمين.

(٤)

## التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (النحل) الآيتان (١) و (٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿أَنَّهُ أَمْرٌ بِاللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾.

القراءات:

(١) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [عَمَّا تُشْرِكُونَ] بقاء

الخطاب.

وقراها باقي القراء العشرة: [عَمَّا يُشْرِكُونَ] بياء الغيبة.

وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني، فبقاء الخطاب يُخاطب الله عزَّ وجلَّ المشركين. وبياء الغيبة يتحدَّث الله عزَّ وجلَّ عن المشركين لغيرهم.

(٢) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ورؤيس: [يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ] من

فعل «أنزل» وينصب «الملائكة» أي: يُنَزِّلُ الله المَلَائِكَةَ وقرأها رَوَح: [تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ]: أي: تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بأمر الله.

وقراها باقي القراء العشرة: [يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ] من فعل «نزل»

المضعف، وينصب «الملائكة» أي: يُنَزِّلُ الله المَلَائِكَةَ.

أي: إِنَّ الله يُنَزِّلُهَا فِيهِ تَنْزِيلٌ طَاعَةً لِأَمْرِهِ. فمؤدَّى القراءات واحد.

(٢) • قرأ يعقوب: [فَاتَّقُونِي] بإثبات ياء المتكلم وصلاً ووقفاً.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَاتَّقُونِ] بحذف ياء المتكلم وصلاً

ووقفاً.

تمهيد:

مع ما في آيتي هذا الدرس من قَضَايَا ففِيهِمَا مَلَامِيحٌ تَدُلُّ ضِمْنًا عَلَى الْخُطُوطِ الْعَامَّةِ الْكُبْرَى لِمَوْضُوعِ سُورَةِ (النحل).

ففي هذا الدرس إلماحٌ إِلَى خَطِّ الْحَدِيثِ عَنْ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَعَنْ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ، وَنِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ عَلَى عِبَادِهِ.

وإلماحٌ إِلَى خَطِّ الْإِنْذَارِ بِمُعْجَلِ الْعِقَابِ لِمُسْتَحْقِيهِ، وَمَوْجِلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وإلماحٌ إِلَى خَطِّ الْحَدِيثِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ وَمَا يَسْتَمْسِكُونَ بِهِ مِنْ بَاطِلٍ، وَجَذَلِيَّاتِهِمْ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ.

وإلماحٌ إِلَى خَطِّ الدِّينِ وَإِنْزَالِ بَيَانَاتِهِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ بَوْسَاطَةِ الْمَلَائِكَةِ الْمُخْتَارِينَ لِحَمْلِ رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، وَإِبْلَاغِهَا لِمَنْ يَصْطَفِي مِنْ عِبَادِهِ. مَعَ ذِكْرِ الْكُلِّيَّةِ الْعُظْمَى لِهَذَا الدِّينِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى التَّكْلِيفِ الْمُسْتَتَبِعِ بِالْجَزَاءِ، إِذِ النَّاسُ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُمْتَحَنُونَ، مُكَلَّفُونَ، ثُمَّ هُمْ مَجْزِيُّونَ عَلَى مَا يَكْتَسِبُونَ بِإِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةِ يَوْمَ الدِّينِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خَطَابًا مُبَاشَرًا لِلْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ كَانُوا إِبَّانَ التَّنْزِيلِ يَسْتَهْزِئُونَ بِإِنْذَارَاتِ الرُّسُولِ لَهُمْ بِعِقَابٍ مُعْجَلٍ، مُكَذِّبِينَ بِهِ، فَيُطَالِبُونَ بِإِنْزَالِهِ تَغْيِيرًا عَنْ تَكْذِيبِهِمْ بِهِ، لَا رَغْبَةَ مِنْهُمْ فِيهِ:

• ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ اللَّهِ...﴾:

أي: قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَى وَحَدَّدَ وَقَتًا قَرِيبًا لِعِقَابِكُمْ، عَلَى كُفْرِكُمْ وَشِرْكِيَّاتِكُمْ وَمُعَادَاتِكُمْ لِرَسُولِ رَبِّكُمْ وَلِلَّذِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ، وَأَمْرُهُ بِإِبْلَاغِكُمْ إِلَيْهِ.

يُسْتَعْمَلُ الْفِعْلُ الْمَاضِي لِلشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَحْدُثْ بَعْدُ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُرْبِ حُدُوثِهِ، كَقَوْلِ الْمُؤَذِّنِ فِي الْإِقَامَةِ: قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ.

عَلَى أَنَّ الْمَقْدَرَّ الْمُقْضِيَّ حُدُوثُهُ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ لَا بُدَّ أَنْ يَحْدُثَ حَتْمًا، فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ لَهُ، فَهُوَ بِمِثَابَةِ الْأَمْرِ الَّذِي وَقَعَ.

وَالْمَرَادُ بِأَمْرِ اللَّهِ هُنَا أَمْرُ اللَّهِ الْقَدَرِيُّ، بِمُعَاقَبَةِ الْمُشْرِكِينَ الْمَعَانِدِينَ الْمُكْذِبِينَ بِمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ عِقَابٍ بَلَاغًا عَنْ رَبِّهِ، أَخْذًا مِنَ الْقَرَائِنِ.

وَعَلَى هَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يُفْهَمَ مِنْ [أَتَى أَمْرُ اللَّهِ] مَعْنَى صَدَرَ أَمْرُ اللَّهِ، مَعَ الدَّلَالَةِ عَلَى اقْتِرَابِ وَقْتِ التَّنْفِيزِ.

• ﴿فَلَا تَسْعَاجِلُوهُ﴾: أَي: فَلَا تُكَذِّبُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَهْزِئُوا بِهِ، بِأَسْلُوبِ تَحْدِي الرُّسُولِ بِأَنْ يَطْلُبَ مِنْ رَبِّهِ تَعْجِيلَهُ.

وَفِي هَذَا تَعْرِضُ ضِمْنِي لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ لَا يَطْلُبُوا مِنْ رَبِّهِمْ تَعْجِيلَهُ، رَغْبَةً مِنْهُمْ فِي الْإِنْصَارِ عَلَى مُضْطَهْدِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَتَصَارِيفُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَادِهِ لَا تُفَارِقُ حِكْمَتَهُ، وَقَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

الاستعجال: طَلَبُ تَعْجِيلِ الْأَمْرِ الْمَوْعُودِ بِهِ قَبْلَ أَوَانِهِ، أَوْ طَلَبُ تَحْقِيقِ الشَّيْءِ قَبْلَ الْوَقْتِ الَّذِي قَضَتْ سُنَّةُ اللَّهِ الْحَكِيمَةُ بِتَحْقِيقِهِ فِيهِ.

• ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى: [عَمَّا تُشْرِكُونَ] خُطَابًا لِلْكَافِرِينَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ.

أَي: تَنَزَّهَ وَتَقَدَّسَ اللَّهُ وَعَلَا غُلُوبًا لَا حُدُودَ لَهُ عَنِ الشَّرِكِ وَعَمَّا يَجْعَلُ الْمُشْرِكُونَ بِهِ مِنْ شُرَكَاءَ لَهُ، وَعَمَّا تَجْعَلُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ الْمُخَاطَبُونَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ مِنْ شُرَكَاءَ لَهُ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - وَتَنَزَّهَ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ أَوْ شُرَكَاءُ، فَكُلُّ مَا سِوَاهُ خَلْقٍ مِنْ خَلْقِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

• ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنْهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢) :

المَلَائِكَةُ: أي: الَّذِينَ هم سُفَرَاءُ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، فيما يتعلّقُ بِأُمُورِ الدِّينِ وَقَضَايَاهُ. وَالْمَعْرُوفُ فِي نُصُوصٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَنَّ أَمِينَ الْوَحْيِ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنَّ الْآيَةَ هَذِهِ تُبَيِّنُ أَنَّ الَّذِي يَنْزِلُ بِالْوَحْيِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مَلَائِكَةُ، وَالْأَصْلُ حَمْلُ اللَّفْظِ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَقَدْ يَكُونُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ رَئِيسَ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِذْ لَمَّا قَصَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَفْرَدَهُ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ (الشعراء/ ٢٦ مصحف/ ٤٧ نزول) خُطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٢) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ .

وكذلك في الآيات من (١٩ - ٢١) من سورة (التكوير/ ٨١ مصحف/

٧ نزول).

فَلَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ رُسُلُ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ فِي تَارِيخِ الرِّسَالَاتِ عَدَدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَأَنْ يَكُونَ جِبْرِيلُ رَئِيسَهُمْ.

• ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ﴾: الْمُرَادُ بِالرُّوحِ هُنَا مَا تَكُونُ بِهِ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ السَّعِيدَةُ، مِنْ إِيْمَانٍ، وَإِسْلَامٍ، وَالتَّزَامِ بِشَرَائِعِ اللَّهِ وَوَصَايَاهُ لِعِبَادِهِ، وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي اضْطَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلَّذِينَ وَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ. أُطْلِقَ عَلَيْهِ لَفْظُ «الرُّوحِ» لِأَنَّهُ نَظِيرُ الرُّوحِ الَّتِي إِذَا التَّقَّتْ بِالنَّفْسِ الْمَيِّتَةِ صَارَتْ حَيَّةً.

وَالْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ أَحْيَاءَ حَيَاةٍ حَقِيقِيَّةٍ سَعِيدَةٍ.



أَمَّا الْكَافِرُونَ فَهُمْ مُعَذَّبُونَ دَوَامًا، لَا يَمُوتُونَ مَوْتًا مُرِيحًا، وَلَا يَحْيَوْنَ حَيَاةً فِيهَا أَذْنَىٰ دَرَجَاتِ الرَّاحَةِ، فَهُمْ مَحْرُومُونَ مِنَ الْحَيَاةِ الَّتِي يُرْغَبُ فِيهَا، وَمَحْرُومُونَ مِنَ الْمَوْتِ الْمُرِيحِ لَهُمْ مِنْ عَذَابِهِمْ.

وسبق في الآية (١٥) من سُورَةِ (غافر/ ٦٠) نزول) إطلاق لفظ «الروح» على ما أُطْلِقَ عَلَيْهِ هُنَا، وَكَذَلِكَ فِي الْآيَةِ (٥٢) مِنْ سُورَةِ (الشورى/ ٦٢) نزول).

• ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: أَي: بِالرُّوحِ عَلَى مَا سَبَقَ بَيَانُهُ، الصَّادِرِ مِنْ أَمْرِهِ مُبَاشَرَةً، كَمَا يَصْدُرُ مِنْ أَمْرِ مُبَاشَرَةِ الرُّوحِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا حَيَاةُ الْإِنْفُسِ بَعْدَ تَكْوِينِ طَبْعَاتِهَا فِي الْأَرْحَامِ.

وَأَمْرُ اللَّهِ التَّكْوِينِيُّ يَكُونُ بِكَلِمَةٍ: «كُنْ». وَأَمْرُ اللَّهِ التَّشْرِيعِيُّ يَكُونُ بِإِنزَالِ الشَّرَائِعِ وَالْبَيَانَاتِ وَالْأَحْكَامِ. وَأَمْرُ اللَّهِ الْقَضَائِيُّ يَكُونُ بِإِصْدَارِ أَحْكَامِ الْقَضَاءِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ جَزَاءٍ. وَأَمْرُ اللَّهِ التَّكْلِيفِيُّ يَكُونُ بِتَوْجِيهِ التَّكْلِيفِ لِلْمَأْمُورِ بِهِ.

أَي: يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِتَعَالِيمِ الدِّينِ مِنْ أَمْرِهِ.

• ﴿عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾: أَبَانَ الْوَاقِعَ فِي التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالْوَحْيِ الدِّينِيِّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، لِأَنَّ اللَّهَ اضْطَفَاهُمْ مِنْ عِبَادِهِ لِلْوَحْيِ إِلَيْهِمْ، فَهُوَ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمْ لِيُوحُوا إِلَيْهِمْ.

وَمَعْلُومٌ عَقْلًا وَشَرْعًا أَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا تُفَارِقُ حِكْمَتَهُ، إِذْ هُوَ يَخْتَارُ بِحِكْمَتِهِ أَحْسَنَ الْبَدَائِلِ الْمُمْكِنَةِ عَقْلًا، فَحِينَ يَعْلَمُ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ أَهْلٌ لِأَن يَضْطَفِيَهُ لِلنَّبُوءَةِ أَوْ الرِّسَالَةِ، وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَضْطَفِيَ نَبِيًّا أَوْ رَسُولًا، وَكَانَ هَذَا الْعَبْدُ هُوَ الْأَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ لِلِاضْطِفَاءِ، فَتَكُونُ مَشِيئَتُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُطَابَقَةً لِحِكْمَتِهِ.

• ﴿... أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٢﴾ :

أي: وَمَضْمُونُ الْوَحْيِ: أَنْ أُنَبِّئُكُمْ أَنَّ أَقْوَامَكُمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّكُمْ، فَاعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِعِبَادَتِهِ شَيْئًا، وَأَنْذِرُوهُمْ بِعَذَابِ خَالِدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ، إِذَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ شَرِيكًا أَوْ أَكْثَرَ، وَمُرُوهُمْ نَاصِحِينَ لَهُمْ بِأَنْ يَتَّقُوا عَذَابَ اللَّهِ رَبِّهِمْ بِطَاعَتِهِ.

وقد جاء اختصار هذه المعاني بقول الله عز وجل وحياً لرسله:

• ﴿... أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٢﴾ .

وبهذا انتهى تدبر الدرس الأول من دروس سورة (النحل)

والحمد لله على معاونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٥)

### التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (النحل) الآيات من (٣ - ٢٣)

قال الله عز وجل:

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣﴾ خَلَقَ  
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنفُسَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا  
دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ  
﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَمْثَالَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَدْرُونَ بِلَاغِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ  
لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْإِبَالَ وَالْحَمِيرَ لِرِكْبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ  
﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ  
الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾  
يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَا يَأْتِيَنَّ لِقَوْمٍ يَنْفَكَرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ  
 مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ  
 فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي  
 سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا  
 وَتَكْرَى الْفُلُوكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَسْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾  
 وَالَّذِي فِي الْأَرْضِ رَوسٌ أَنْ تَعْبُدَ بِكُمْ وَلِتَرْخَا عَنْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾  
 وَعَلَّمَنِ الْبَالَغِمْ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾  
 وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا  
 تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ  
 يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ  
 وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنْ  
 اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ :

### القراءات:

(٣) • قبرا حمزة والكسائي، وخلف: [عَمَّا تُشْرِكُونَ] بقاء

المخاطبين.

وقراها باقي القراء العشرة: [عَمَّا يُشْرِكُونَ] بقاء الغائبين.

(٧) • قرأ أبو جعفر: [بِشَقِّ الْأَنْفُسِ] بفتح الشين.

وقراها باقي القراء العشرة: [بِشَقِّ الْأَنْفُسِ] بكسر الشين.

شَقَّ - وشَقَّ: بكسر الشين وفتحها، الْجَهْدُ والمشقة.

(٧) • قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص وأبو جعفر:

[لَرُؤُوفٌ].

وقراها باقي القراء العشرة: [لَرُؤُوفٌ].

وهما نطقان عَرَبِيَّانِ للكلمة.

(١١) • قرأ شُعْبَةً: [نُثِبْتُ] بُنُونِ المتكلم العظيم.

وقراها بَاقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ: [يُنْبِتُ] أَي: يُنْبِتُ الله.

(١٢) • قرأ ابْنُ عَامِرٍ: [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ].

وقراها حفص: [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ] أَي: وَسَخَّرَ اللهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَكُمْ، وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ.

وقراها بَاقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ: [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ] وهي وُجُوهٌ إعرائية جاتزة.

(١٤) • قرأ قَالُونُ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَالْكَسَائِيُّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ. [وَهُوَ]

بِاسْكَانِ الهاء.

وقراها بَاقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ: [وَهُوَ] بضم الهاء.

(١٧) • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذَكَّرُونَ].

وقراها بَاقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ: [تَذَكَّرُونَ] أصلها «تَذَكَّرُونَ» أَذْغَمَتِ التَاءُ بِالذَّالِ.

(٢٠) • قرأ عاصم، ويعقوب: [يَدْعُونَ] بياء الغائبين.

وقراها بَاقِي الْقُرَاءِ الْعَشْرَةِ: [تَدْعُونَ] بتاء المخاطبين.

تَمْهيد:

فِي هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ طَائِفَةٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، الدَّلَالَةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَوَحْدَانِيَّتِهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ لِعِبَادِهِ، وَعَلَى إِنْعَامَاتِهِ عَلَيْهِمْ بِنِعْمٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِخْصَاءَهَا.

وقد جاء فِيهِ مُوجَزَاتٍ لِلْعَدِيدِ مِنْ نِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ.

وجاء فيه استفادة من بعض المناسبات لبيان قضايا إقناعية، وقضايا هي من حقائق الدين الكبرى، مع إلماحات لمطويات تتصل بها.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

الحَقُّ: هو الشيء الثابت الذي ليس وهمًا ولا خداعًا، ولا أخيلةً موهمةً للحواسِ دونَ أن يكونَ لها وجودٌ في الواقع، ويقابله الباطل الذي يكون من قبيل الأوهام وخداع الحواس، كالسحر الذي يسحر أعين الناس، فيريها صوراً لأشياء لا وجودَ لها في الواقع.

والحقُّ: ما كان إيجاده لغاية حكيمة يُذكرُها العقلاء، ويذكرُونَ أنَّها من كمال الموجد، أمَّا إيجاد شيءٍ ما أو فعل شيءٍ ما دونَ غاية حكيمة تُقصد من قبل أهل الكمال، فهو عبثٌ يتنزّه عنه أهل العلم والرشد والتصرّف الحكيم.

فالحقُّ في حدود هذا المفهوم يُقابله العبث.

وضمن هذين المفهومين للحق نذكر أن الله - جلّ جلاله - خلق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من أشياء وأحياء مُتصفاً واقِعها بأنّه حقٌّ ثابت، وليس وهمًا، ولا خداعاً للحواس.

ونذكر أن الله - جلّ جلاله - خلقها خلقاً مُتصفاً بغاية حكيمة، ولم يخلق خلقه عبثاً، وهذه الغاية الحكيمة حقٌّ يمجّده أهل العقل السديد، والتصرّف الحكيم الرّشيد.

ونذكر أن الله - جلّ جلاله - خلق مخلوقات كونه مُتصفاً بصفات دالات على صفات خالقها الجليّة، وعلى كثير من أسمائه الحسنی، ومنها

عِلْمُهُ، واختياره الحكيم في مَشِيئَتِهِ، وَقُدْرَتُهُ الَّتِي يَخْلُقُ بِهَا مَا يَشَاءُ مُخْتَارًا، واثقانه الباهر لِمَا يَخْلُقُ، وإبداعه لِمَا يَخْلُقُ عَلَى غَيْرِ مِثَالِ سَبَقٍ، إلى سائر صفاتِ رُبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ فيها، الَّتِي يَلْزَمُ عَنْهَا وَحْدَانِيَّتُهُ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

فَهِيَ آيَاتٌ دَالَّاتٌ عَلَى الْحَقَائِقِ الْإِيمَانِيَّةِ، الَّتِي كَلَّفَ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ خَلَقَهُمْ وَوَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهَا، وَهَذِهِ الْآيَاتُ فِي الْكَوْنِ هِيَ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي لَا بَاطِلَ فِيهِ وَلَا عَبَثٌ.

وَنَدْرِكُ أَنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ - مَا خَلَقَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ بِصِفَاتِهِمُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا، إِلَّا لِيَضَعَهُمْ مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ لِيَجْزِيَهُمْ عَلَى وَفْقِ أَعْمَالِهِمْ، وَهَذَا الْجَزَاءُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَعْدَ الْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْخَلْقَ لِتَحْقِيقِ هَذِهِ الْغَايَةِ الْعَظِيمَةِ السَّامِيَةِ خَلْقٌ مُتَّصِفٌ بِالْحَقِّ عَلَى مَعْنِيَّتِهِ، وَلَوْلَا تَحْقِيقُ هَذِهِ الْغَايَةِ لَكَانَ خَلْقُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ عَمَلًا بَاطِلًا، وَعَبَثًا يَنْتَزِعُ الْخَالِقُ عَنْهُ.

هل تَقْبَلُ العقولُ السَّلِيمَةُ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، وَيُسَخِّرَ لَهُ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَهُوَ يَتَصَرَّفُ بِالْأَشْيَاءِ ضِمْنَ قَوَائِنِهَا وَأَنْظَمَتِهَا بِاخْتِيَارِهِ الْحَرِّ، وَهَذَا التَّصَرُّفُ يَنْجُمُ عَنْهُ ظَالِمٌ وَمَظْلُومٌ، وَذُو غَنَى وَمُخْرُومٌ، وَمُسِيءٌ وَمُحْسِنٌ، وَكَافِرٌ وَمُؤْمِنٌ، وَتَقِيٌّ وَمُجْرِمٌ، وَمُفْسِدٌ وَمُصْلِحٌ، ثُمَّ لَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ حِسَابٌ، وَلَا فَضْلُ قَضَاءٍ وَلَا جَزَاءٌ؟؟؟!

إِنَّهُ تَمَكِينٌ لِدُيُ الْقُوَّةِ مِنْ أَنْ يَكُونَ الْبَاطِلُ هُوَ الْعَزِيزُ الْفَاقِقُ، وَأَنْ يَكُونَ الْحَقُّ هُوَ الزَاهِقُ.

• ﴿... تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ • :

أي: وبما أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، وَمِنَ الْحَقِّ دَلَالَةٌ خَلْقِهِ لِهَمَّا عَلَى أَنَّهُ لَا رَبَّ فِي الْوُجُودِ

غَيْرُهُ، فَلَا إِلَهَ بِحَقِّ إِلَّا هُوَ، وَمِنَ الْحَقِّ دَلَالَةٌ خَلَقَهُ لِلنَّاسِ عَلَى أَنَّهُ خَلَقَهُمْ لِيَبْلُوهُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْإِيمَانِ بِهِ رَبًّا وَاحِدًا لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِلَهًا وَاحِدًا لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، فَقَدْ تَعَالَى اللَّهُ عُلُوًّا كَبِيرًا، وَتَسَامَى تَسَامِيًّا عَظِيمًا، عَمَّا يُشْرِكُ الْمُشْرِكُونَ بِرُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ بِالْهَيْئَةِ فَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً اتَّخَذُوهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَانَ بَعْضِ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ:

● ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١﴾:

النُّطْفَةُ: هِيَ إِحْدَى أَطْوَارِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَهِيَ نُقْطَةُ الْمَاءِ الصَّغِيرَى الَّتِي تَكُونُ عِنْدَ تَلْقِيحِ الْحَوَيْنِ مِنْ مَنِيِّ الذَّكَرِ لِلْبَيْضَةِ الْمُسْتَقْبِلَةِ لَهُ، وَالْمُنْفَصِلَةِ عَنْ مَكَانِ نَشَاتِهَا فِي الْمَرْأَةِ عِنْدَ بَدْءِ الطَّرِيقِ إِلَى الْحَمْلِ، وَتَحْوِيلِهَا إِلَى نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ.

وَالنُّطْفَةُ تُطَلَّقُ لُغَةً عَلَى الْقَلِيلِ مِنَ الْمَاءِ الصَّافِي، وَعَلَى الْقَطْرَةِ مِنَ الْمَاءِ أَوْ الْعَرَقِ، وَعَلَى الدَّفْقَةِ مِنَ الْمَنِيِّ.

● ﴿... فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٢﴾:

أَي: وَمَرَّ فِي أَطْوَارِ خَلْقِهِ طَوْرًا بَعْدَ طَوْرٍ، فَلَمَّا اكْتَمَلَ فَاجَأَ بِأَنَّهُ مُحَاصِمٌ شَدِيدٌ الْمُخَاصَمَةِ، وَمُبِينٌ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ حُجَجِهِ الْخِصَامِيَّةِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْإِنْسَانَ مَعَ عِلْمِهِ بِأَنَّهُ كَانَ نُطْفَةً مَهِينَةً حَقِيرَةً، وَمُشَاهَدَتِهِ نَفْسَهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَطْوَارِ خَلْقِهِ حَتَّى اكْتِمَالِهِ، دُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُ إِرَادَةٌ فَاعِلَةٌ فِي إِنشَائِهِ، وَكَانَ هَذَا دَلِيلًا عَلَى الْخَالِقِ الرَّبِّ، الْمُمِدِّلِ دَوَامًا بِعَطَاءَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، فَلَمَّا اكْتَمَلَ وَصَارَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُجَادِلَ وَيُخَاصِمَ، وَيَقْدِمَ الْحُجَجَ بِأَقْوَالٍ مُبِينَةٍ مُزْخَرَفَةٍ، صَارَ خَصِيمًا مُجَادِلًا يُجَادِلُ فِي اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ بِالْبَاطِلِ، لِيُدْحِضَ بِهِ الْحَقُّ، وَقَدْ كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ نَصِيرًا لِحَقِّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، بِالْحُجَجِ الْبُرْهَانِيَّةِ الَّتِي دَلَّتْهُ

عَلَيْهَا آيَاتُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَفِي نَفْسِهِ وَأَنْفُسِ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ.

**الْخَصِيم:** المخاصمُ المجادلُ المنازعُ لِنَفْسِهِ أو لغيرِهِ في خُصومةٍ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، بِحَقٍّ أَوْ بِبَاطِلٍ.

والمرادُ هُنَا في الآيةِ أَخْذًا مِنَ الْقَرَائِنِ، أَنَّهُ خَصِيمٌ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضَ الْحَقَّ الرَّبَّانِيَّ، وَيَنْصُرَ الْبَاطِلَ وَالْمُبْطِلِينَ، وَالْكُفْرَ وَالْكَافِرِينَ، وَالشُّرَكَ وَالْمُشْرِكِينَ.

**الْمُبِين:** أي: الْمُعَبِّرُ عَمَّا فِي نَفْسِهِ بِوُضُوحٍ، مِنْ فِعْلِ: «أَبَانَ فَلَانُ الشَّيْءَ إِبَانَةً فَهُوَ مُبِينٌ» أَي: أَظْهَرَهُ وَأَوْضَحَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَانِ بَعْضِ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ وَهِيَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَى النَّاسِ:

• ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحْنَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾﴾:

**الأنعام:** هي الأموال الراعية، وهي الإبل، والبقر، والغنم، ضأنها ومعزها. ولفظ الأنعام يُدْكَرُ وَيُؤُنَّثُ.

يَمْتَنُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذَا الْبَيَانِ عَلَى النَّاسِ بَأَنَّهُ خَلَقَ الْأَنْعَامَ لَهُمْ، أَي: لِمَصَالِحِهِمْ وَلِحَاجَاتِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ.

**الإبل:** اسْمٌ لِلْجِمَالِ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْأُنْثَى «نَاقَةٌ» وَجَمْعُهَا: «نَاقٌ، وَنُوقٌ، وَأَيْتُنٌ، وَأُنُوقٌ».

وقد وَصَفَ عُلَمَاءُ الْأَحْيَاءِ الْجَمَلَ بِمَا يَلِي:

(١) حيوانٌ ضَخْمُ الْجَنَّةِ، قَوِيُّ الْجِسْمِ، يَعِيشُ فِي الصَّحَرَاءِ، يُمَكِّنُهُ



السَّفَرُ إِلَى مَسَافَاتٍ بَعِيدَةٍ عَبْرَ الصَّحَارِي الحَارَّةِ الجَافَّةِ الْمُحْرِقَةِ، مُكْتَفِيًا بِالْقَلِيلِ مِنَ الْمَاءِ وَالطَّعَامِ.

(٢) تَسِيرُ الْجَمَالُ فَوْقَ الرَّمَالِ النَّاعِمَةِ بِسُرٍّ وَخَفَّةٍ.

(٣) تَسْتَطِيعُ الْجَمَالُ نَقْلَ الْأَثْقَالِ وَالْأَمْتَعَةِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ فِي الطَّرِيقِ الصَّعْبَةِ، فَهِيَ تُسَاعِدُ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَعِيشُ فِي الصَّخْرَاءِ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَوْجِهٍ الْحَيَاةِ.

(٤) مِنْ مِمَزِ الْجَمَلِ أَنَّهُ يَحْمِلُ طَعَامَهُ فِي ظَهْرِهِ، إِذْ يَخْزِنُ فِيهِ كَمِّيَّاتٍ مِنَ الْغِذَاءِ فِي شَكْلِ الدُّهْنِ الَّذِي يَتَكَوَّنُ مِنْهُ السَّنَامُ، وَمِنْ هَذَا السَّنَامِ يَجِدُ الطَّاقَةَ اللَّازِمَةَ لَهُ مَتَى تَعَذَّرَ وَجُودُ الطَّعَامِ.

(٥) يُسْتَخْدَمُ الْجَمَلُ فِي جَرِّ الْمَحَارِيثِ، وَفِي السَّوَاقِي لِرَفْعِ الْمِيَاهِ مِنَ الْأَبَارِ وَنَحْوِهَا.

(٦) وَالْجَمَالُ مَضَدَّرٌ لَغِذَاءِ سُكَّانِ الصَّحَارِي، فَهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ لَحُومِهَا، وَيَشْرَبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا، وَيَذَيَّبُونَ بَعْضَ شُحُومِ أَسْنِمَتِهَا وَيَسْتَعْمِلُونَهَا فِي طَهْيِ أَطْعِمَتِهِمْ، وَيَسْتَخْدِمُونَ مِنْ مُشْتَقَّاتِ أَلْبَانِهَا أَطْعِمَةً مُخْتَلِفَةً، كَالْأَجْبَانِ، وَالْأَلْبَانِ الرَّائِبَةِ، وَاسْتِخْرَاجِ السَّمَنِ وَالزُّبْدِ كَسَائِرِ أَلْبَانِ الْأَنْعَامِ.

(٧) وَتُسْتَخْدَمُ أَوْبَارُ الْجَمَالِ فِي صُنْعِ الْحَشَايَا، وَأَصْنَافٍ مِنَ الْأَلْبِسَةِ، وَأَنْوَاعِ النَّسِيجِ الْغَلِيزِ لِلْبُسْطِ وَالْخِيَامِ.

(٨) وَتُصْنَعُ مِنْ جُلُودِ الْجَمَالِ الْأَحْذِيَّةُ وَالْحَقَائِبُ وَالسُّرُوجُ وَالْأَحْزِمَةُ الْقَوِيَّةُ وَنَحْوُهَا.

(٩) وَتُصْنَعُ مِنْ عِظَامِ الْجَمَالِ بَعْضُ أَنْوَاعِ الْحُلِيِّ وَالْأَوَانِي.

(١٠) وَيُسْتَفَادُ مِنْ رَوْثِ الْإِبِلِ سَمَادٌ وَوَقُودٌ.

(١١) وَلِلْجَمَالِ صِفَاتٌ جَسَدِيَّةٌ ثَلَاثُ عَشْرَةَ فِي الصَّحَارِي، وَتَحْمِيهَا

مِنْ كَثِيرٍ مِنْ عَوَارِضِ الرِّيحِ وَالرَّمَالِ وَالشَّمْسِ الْحَارَّةِ، وَهَذَا مِنْ إِتْقَانِ الصَّنْعِ الرَّبَّانِيِّ، وَمِنْ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ، وَمِنْ نِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ.

البقر: نَوْعٌ حَيَوَانٍ يَشْمَلُ عِدَدًا مِنَ الْأَصْنَافِ الَّتِي تَدْعَى الْبَقَرِيَّاتِ، وَذَكَرَ الْبَقْرُ يُسَمَّى «ثَوْرًا» وَمِنْ الْبَقَرِ صِنْفٌ يُسَمَّى «الْجَامُوسَ». وَلِلْأَبْقَارِ سَلَالَاتٌ وَأَصْنَافٌ مُتَعَدَّةٌ، وَتُسَمَّى صِغَارُ الْبَقَرِ عُجُولًا.

وتوصفُ الأبقار بما يلي:

(١) أَكْثَرُ حَيَوَانَاتِ الْمَزَارِعِ أَهْمِيَّةٌ عِنْدَ النَّاسِ، وَهِيَ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمَجْتَرَّةِ.

(٢) وَالْأَبْقَارُ ذَوَاتُ أَجْسَامٍ قَوِيَّةٍ، تُسْتَحْدَمُ فِي جَرِّ الْمَحَارِثِ، وَفِي السَّوَاقِي لِرَفْعِ الْمِيَاهِ مِنَ الْآبَارِ وَنَحْوِهَا، وَفِي إِدَارَةِ حِجَارَةِ الطَّوَاجِينِ، وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ الْقَائِمَةِ عَلَى الْجَرِّ وَالسَّحْبِ.

(٣) وَالْأَبْقَارُ مَصْدَرٌ عَظِيمٌ لِلْغَذَاءِ، فَالنَّاسُ يَأْكُلُونَ مِنْ لَحُومِهَا، وَيَشْرَبُونَ مِنْ أَلْبَانِهَا، وَيَأْكُلُونَ مِنْ مُسْتَقَاتِ أَلْبَانِهَا الْجُبْنِ، وَالزُّبْدِ، وَالسَّمْنِ، وَنَحْوِهَا.

(٤) وَتُصْنَعُ مِنْ جُلُودِ الْأَبْقَارِ أَحْسَنُ الْجُلُودِ الْقَوِيَّةِ، لِصُنْعِ الْحَقَائِبِ، وَالْأَخْذِيَّةِ، وَالسُّرُوجِ، وَالْأُخْزِمَةِ الْقَوِيَّةِ، وَنَحْوِهَا.

(٥) وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ شَيْءٌ فِي الْأَبْقَارِ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ، مِنْ قُرُونِهَا، إِلَى أَذْنَابِهَا، إِلَى أَظْلَافِهَا.

(٦) تَعْتَبَرُ الْأَبْقَارُ فِي الْعَالَمِ أَعْظَمَ مَصَادِرِ اللَّحُومِ وَالْأَلْبَانِ وَمُسْتَقَاتِهَا، بَعْدَ أَنْ اسْتَحْدَمَ النَّاسُ فِي تَرْبِيَّتِهَا فِي حَظَائِرِ أَحْسَنِ الْوَسَائِلِ تَغْذِيَةً وَحِمَايَةً صَحِيَّةً وَاتِّقَاءً لِأَفْضَلِ السَّلَالَاتِ وَتَهْجِينًا.

الضَّأْنُ: صِنْفٌ مِنَ «الْغَنَمِ»:

من أكثر الحيوانات التي استأنسها الإنسان، لأنها الأليّن والأقرب إلى إمداده بالغذاء، والكساء، والجلود التي تتخذ منها أدوات حفظ الماء والدهون وغيرها، والتي يتخذ منها فرشٌ مُحَفَظَةٌ بصوفها.

وذكر علماء الأحياء من خصائصها ما يلي:

(١) تنتج الأغنام الصّائغة اللحم، والصوف، والجلود.

(٢) يُستفاد منها خامات أوليّة للعديد من المنتجات الثانوية، مثل الغراء، والدهن، والشحم، والصّابون، وموادّ التّجميل، والخيوط المستخدّمة في مضارب كُرّة المضرب.

(٣) كان عماد التّربية الحيوانيّة في كثير من الأرض العربيّة ومنطقة الشرق الأوسط، وآسيا، لما تُمدُّ به من منافع كثيرة للناس.

الماعز: صِنْفٌ مِنَ «الغنم» والماعز الواحد من «المعز» للذكر والأنثى ويطلق عليه لفظ «المعزى» وهو أيضاً من أكثر الحيوانات التي استأنسها الإنسان، وقسمٌ من الماعز لا يزال غير مُستأنس، وهو يعيش في البراري والجبال والأماكن الوعرة.

وجاء في وصف «الماعز» ما يلي:

(١) حَيَوَانٌ مُجْتَرٌّ، يُمَدُّ النَّاسَ بِالْحَلِيبِ، وَاللَّحْمِ، وَالشَّعْرِ، والجلود.

(٢) يَبْلُغُ عَدَدُ سُلَالَاتِ الْمَاعِزِ الْمُسْتَأْنَسَةِ نَحْوَ (٣٠٠) سَلَالَةً، وكثير منها ذو أهميّة تجاريّة.

(٣) تَحْتَلُّ «المعز» المرتبة الثالثة على مستوى العالم في إنتاج الحليب، بعد الأبقار والجاموس.

(٤) حَلِيبُ «المعز» أسهل هضمًا من حليب الأبقار، ولهذا صار

مَصْدَرًا مُفَضَّلًا لِعِذَاءِ الْأَطْفَالِ وَلِكِبَارِ السِّنِّ، وَلِلْمَصَاحِبِينَ بِأَمْرَاضِ الْمَعِدَةِ.  
■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِلنَّاسِ.

• ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾:

يَرَى النُّحَاةُ أَنَّ لَفْظَ «الْأَنْعَامِ» هُنَا مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مَحذُوفٍ يُفَسِّرُهُ  
الْفِعْلُ فِي ﴿خَلَقَهَا﴾ لِأَنَّ هَذَا الْفِعْلَ اشْتَعَلَ عَنْ نَصْبِهِ بِنَصْبِ ضَمِيرِهِ،  
وَيَرُونَ فِي مِثْلِ هَذَا التَّعْبِيرِ تَوْكِيدًا، إِذْ جَاءَتْ الْجُمْلَةُ بِقُوَّةِ جُمْلَتَيْنِ، إِذِ  
التَّقْدِيرُ: خَلَقَ الْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ.

وَكُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْأَنْعَامَ لِلنَّاسِ هُوَ مِنْ عِنَايَتِهِ بِهِمْ فِي رِحْلَةِ  
امْتِحَانِهِمْ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ بِهِمْ.

وَجَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَفْصِيلُ بَعْضِ مَا فِي الْأَنْعَامِ مِنْ نِعَمٍ عَلَى  
النَّاسِ.

• ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾: الدِّفْءُ ضِدُّ الْبَرْدِ، أَيُّ: لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ مَا يُدْفِئُ

أَجْسَادَكُمْ وَيَقِيهَا مِنَ الْبَرْدِ، فَصُوفُ الْغَنَمِ، وَأَشْعَارُ الْمِعْزَى، وَوَبَرُ الْإِبِلِ  
مَوَادٌّ عَظِيمَةٌ يَأْخُذُ مِنْهَا النَّاسُ مَا يُدْفِئُهُمْ، وَكَذَلِكَ جُلُودُ جَمِيعِ الْأَنْعَامِ.

• ﴿وَمَنْفَعٌ﴾: أَيُّ: وَلَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا مَا تَوَصَّلْتُمْ

إِلَى مَعْرِفَتِهِ، وَمِنْهَا مَا سَتَكْتَشِفُونَهُ بِالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّجَرُّبَةِ.

• ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾: أَيُّ: وَمِنْ لُحُومِهَا، وَشُحُومِهَا، وَدُهْنِهَا، وَبَعْضِ

عِظَامِهَا، وَمُسْتَقَاتِ أَلْبَانِهَا تَأْكُلُونَ، فَيَكُونُ مَا تَأْكُلُونَ مِنْهَا غِذَاءً وَقُوَّةً لَكُمْ،  
وَلَذَّةً تَسْتَمْتِعُونَ بِهَا فِي حَيَاتِكُمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ تَفْصِيلَ بَعْضِ مَا فِي الْأَنْعَامِ مِنْ نِعَمِهِ عَلَى

النَّاسِ.

• ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾﴾ وَتَحْمِلُ أَنْفَالَكُمْ

إِنْ بَلَدٌ لَمْ تَكُونُوا بِلَاغِهِ إِلَّا بِشِقِّ ﴿٧﴾﴾:

لَمَّا كَانَ الْجَمَالَ أَحَدَ مَطَالِبِ أَنْفُسِ النَّاسِ فِي الْحَيَاةِ، إِذْ فَطَرَهَا اللَّهُ عَلَى حُبِّ الْجَمَالِ وَالتَّعَلُّقِ بِهِ، وَالِاسْتِمْتَاعِ بِمَا يَلْذُّ الْحَوَاسَّ مِنْ مَنْظُورَاتٍ وَمَسْمُوعَاتٍ وَغَيْرِهَا، خَلَقَ اللَّهُ الْأَنْعَامَ لِلنَّاسِ مُتَّصِفَةً بِصِفَاتٍ جَمَالِيَّةٍ كَثِيرَةٍ، يَسْتَمْتِعُ النَّاسُ بِهَا حِينَ يُخْرِجُونَهَا سَارِحَةً إِلَى الْمَرَاعِي فِي النَّهَارِ، وَحِينَ يُعِيدُونَهَا إِلَى أُمْكِنَةِ مُرَاجِحِهَا مَسَاءً.

• ﴿حِينَ تَرْيَحُونَ﴾: أي: حِينَ تَرُدُّونَ أَنْعَامَكُمْ فِي الْعَشِيِّ إِلَى مُرَاجِحِهَا، وَهُوَ الْمَأْوَى الَّذِي تَأْوِي إِلَيْهِ الْمَاشِيَةُ فِي الْعَشِيِّ لِلرَّاحَةِ، هَذَا هُوَ إِرَاحَتُهَا، وَقُدِّمَتْ عَلَى سَرَحِهَا لِأَنَّهَا فِي الْعَشِيِّ تَكُونُ أَنْصَرَّ، مَلِيئَةً بِالْبُطُونِ.

• ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: أي: وَحِينَ تَسْرَحُونَ الْأَنْعَامَ بِالْغَدَاةِ لِتَرْعَى فِي الْمَرَاعِي. يَقَالُ لُغَةً: «سَرَحَ الرَّاعِي مَاشِيَّتَهُ، يَسْرَحُهَا، سَرَحًا، وَسُرُوحًا» أي: أَسَامَهَا فَجَعَلَهَا تَرْعَى مِنَ الْكَلَالِ كَيْفَ شَاءَتْ.

• ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ...﴾:

الْأَثْقَالُ: يَأْتِي جَمْعًا لِلْفِظِ «الثَّقْلُ» وَهُوَ الْحِمْلُ الثَّقِيلُ، وَجَمْعًا لِلْفِظِ «الثَّقَلُ» وَهُوَ الْمَتَاعُ.

وَيُحْمَلُ لَفْظُ «أَثْقَالُ» هُنَا عَلَى الْمَعْنَيْنِ، فَهِيَ تَحْمِلُ الْأَحْمَالَ الثَّقِيلَةَ، وَتَحْمِلُ أَمْتِعَةَ النَّاسِ، وَيَنْطَبِقُ كُلُّ مِنْهُمَا انْطِبَاقًا ظَاهِرًا عَلَى الْإِبْلِ، وَقَدْ تُسْتَحْدَمُ الْأَبْقَارُ لِلْجَرِّ، وَهُوَ نَوْعٌ مَعَ الْحِمْلِ عَلَى مَا تَجَرُّهُ الْأَبْقَارُ.

• ﴿بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾: وَفِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى [بِشَقِّ الْأَنْفُسِ]: أي: بِمَشَقَّةِ الْأَنْفُسِ وَتَعَبِهَا الشَّدِيدِ.

المعنى: وَمِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْ جَعَلَ بَعْضَ الْأَنْعَامِ مُسَخَّرَةً لِحِمْلِ أَثْقَالِكُمْ إِلَى مَا تَقْصِدُونَ مِنْ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ لَوْلَا مَا سَخَّرَ لَكُمْ بِأَحْمَالِكُمْ وَأَثْقَالِكُمْ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ، وَمَتَاعٍ جَسِيمَةٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي آخِرِ بَيَانِ امْتِنَانِهِ عَلَى النَّاسِ بِالْأَنْعَامِ:

• ﴿... إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ :

أي: هَذَا الْاِمْتِنَانُ وَالتَّفَضُّلُ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ آثَارِ صِفَتَيْنِ مِنْ صِفَاتِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - هُمَا الرَّأْفَةُ وَالرَّحْمَةُ، فَمِنْ أَسْمَاءِ الْحُسْنَى أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَوْفٌ، وَرَحِيمٌ.

**الرَّوْفُ: وَالرَّوْفُ:** اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، مَاخُذٌ مِنَ الرَّأْفَةِ، وَهِيَ شِدَّةُ الرَّحْمَةِ، وَمِنْ آثَارِ رَأْفَتِهِ بِعِبَادِهِ الْإِنْعَامُ عَلَيْهِمْ بِجَلَائِلِ النِّعَمِ وَدَقَائِقِهَا، وَتَعَهُدُهُمْ بِعِنَايَتِهِ وَجُودِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَعَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ.

**الرَّحِيمُ:** اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، مَاخُذٌ مِنْ صِفَةِ رَحْمَتِهِ، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ، وَهِيَ صِفَةُ نَفْسِيَّةٍ نُثِبَتْهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَمِنْ آثَارِهَا الْعَطَاءُ وَالْمَعُونَةُ وَالتَّوْفِيقُ وَإِزَالَةُ الْبُؤْسِ، وَالْإِمْدَادُ بِمَا يَسُرُّ مِنْ خَيْرٍ.

وَيُقَاسُ عَلَى تَسْخِيرِ اللَّهِ الْأَنْعَامَ لِلنَّاسِ لِتَحْقِيقِ مَنَافِعَ كَثِيرَةٍ لَهُمْ، وَمِنْهَا حَمْلُهَا لِأَثْقَالِهِمْ، مَا سَخَّرَ لَهُمْ فِي طَبَائِعِ الْأَشْيَاءِ مِنْ مُسَخَّرَاتٍ يَصِلُونَ إِلَى الْاِسْتِفَادَةِ مِنْهَا، أَوْ يَصِلُونَ إِلَى صُنْعِهَا بِمَا وَهَبَهُمُ اللَّهُ مِنْ قُدْرَاتٍ بَحْثٍ عِلْمِيٍّ وَتَجَارِبٍ، وَيَدْخُلُ فِي عُمُومِ هَذِهِ الْمُسَخَّرَاتِ مُكْتَشَفَاتٌ وَقُدْرَاتٌ عَظِيمَاتٌ مَا كَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَ شَيْئاً مِنْهَا، وَمِنْهَا الْمُرْكَبَاتُ الْعَظِيمَاتُ الْأَرْضِيَّةُ، وَالْجَوِيَّةُ، وَالْبَحْرِيَّةُ الَّتِي تَوْصِلُ إِلَيْهَا النَّاسُ، وَنُشَاهِدُ الْكَثِيرَ مِنْهَا فِي عَصْرِنَا.

وَيَدْخُلُ فِي عُمُومِ هَذِهِ الْمُسَخَّرَاتِ مُكْتَشَفَاتٌ كَثِيرَاتٌ تُمَدُّ الْعُمَرَانُ، وَالْأَلْبَسَةُ وَوَسَائِلُ رِفَاهِيَةِ النَّاسِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً ذَكَرَ بَعْضُ نِعَمِهِ عَلَى النَّاسِ خُطَاباً لَهُمْ:

• ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِزِكْبُهَا وَزِينَةُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ :

يَمْتَنُّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى النَّاسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ إِذْ خَلَقَ لَهُمُ الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِزِكْبُهَا، وَلِتَكُونَ زِينَةً لَهُمْ، وبأنَّه سَيَخْلُقُ لَهُمْ بَعْدَ عَصْرِ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ مَرَائِبَ وَزِينَاتٍ لَا يَعْلَمُونَهَا إِلَّا بِالنَّزِيلِ، وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّ هَذَا قَدْ حَصَلَ بِمَا أَلْهِمَ اللهُ النَّاسَ عَنْ طَرِيقِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ وَالتَّجَارِبِ، وَبِمَا سَخَّرَ لَهُمْ فِي كَوْنِهِ مِنْ قُوَى وَخَصَائِصٍ، وَصَارَ كَثِيرٌ مِنْهَا أَشْيَاءَ مَشْهُودَةً وَمُسْتَعْدَةً بِصُورَةٍ مُذهَلَةٍ.

الخيول: نَوْعٌ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُسْتَأَنَسَةِ، وَاحِدُهَا «الْفَرَسُ» فَالْخَيْلُ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ. وَالْفَرَسُ يُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى مِنْ هَذَا النَّوعِ وَجَمْعُهُ «الْأَفْرَاسُ» وَيُجْمَعُ لَفْظُ «خَيْلٍ» عَلَى «أَخْيَالٍ» وَ«خُيُولٍ».

وهذا النوع من الحيوانات جاء في وصفه ما يلي:

(١) كَانَتِ الْخُيُولُ فِي الْمَاضِي أَكْثَرَ الْحَيَوَانَاتِ فَائِدَةً لِلنَّاسِ فِي أَسْفَارِهِمْ، مِنْ نَاحِيَةِ كَوْنِهَا أَسْرَعَ وَأَمِنَ طَرِيقَةً لِلسَّفَرِ بِرَأً.

(٢) وَكَانَتِ الْوَسِيلَةَ الَّتِي يَسْتَخْدِمُهَا الصَّيَّادُونَ لِمُطَارَدَةِ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يُرَادُ صَيْدُهَا وَهِيَ عَلَى ظُهُورِهَا.

(٣) وَالْخُيُولُ هِيَ أَفْضَلُ وَسَائِلِ مُمَارَسَةِ رِيَاضَةِ الْفُرُوسِيَّةِ وَالتَّدْرِبِ عَلَيْهَا، وَهَذِهِ الِمِيزَةُ مَا زَالَتْ مُسْتِمِرَّةً فِي الْعَالَمِ.

(٤) وَالْخُيُولُ عَلَى اخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا وَسَلَالَتِهَا ذَاتُ قُوَّةٍ مُتَفَوِّقَةٍ، لِلْجَرِيِّ بِسُرْعَةٍ، وَجُرْأَةٍ، وَمُطَاوَعَةٍ لِفَارِسِهَا، بِلِمَسَاتٍ تُعَلِّمُهَا، وَتُدْرِبُ عَلَيْهَا.

(٥) وَلِلْخُيُولِ سَمْعٌ حَادٌّ، وَهِيَ تَلْتَقِطُ الْأَصْوَاتَ مِنْ أَيِّ اتِّجَاهٍ.

وَجَمْعُهُ «الْبِغَالُ».

حيوان أَلِفَ هجين، يَتَّبِعُ مِنْ تَزَاجُجِ أَثْنَى الْخَيْلِ مَعَ ذَكَرِ الْحِمَارِ.

وقد كانت الْبِغَالُ في الماضي، من حيواناتِ الْعَمَلِ الْمَفْضَلَةِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ، وَقَامَ بَعْضُ الْمَهْتَمِّينَ بِتَرْبِيَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْحَمِيرِ الضَّخْمَةِ، لاسْتِيلَادِ بِغَالٍ كَبِيرَةٍ الْحَجْمِ، وَذَاتِ قُوَّةٍ مُتَفَوِّقَةٍ.

وَالْبِغَالُ لَهَا شَبَهُ بِالْخَيُْولِ وَشَبَهُ بِالْحَمِيرِ، لِأَنَّهَا مُهَجَّنَةٌ مِنْهُمَا.

وَيَمْتَنَزُ الْبُغْلُ بِالْجُرْأَةِ وَالْإِقْدَامِ وَمُقَاوِمَةِ الْأَمْرَاضِ بِصُورَةٍ جَيِّدَةٍ، وَإِنَاثُ الْبِغَالِ لَا تَلِدُ إِلَّا فِي حَالَاتٍ نَادِرَاتٍ جَدًّا.

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْبُغْلَ أَكْثَرُ ذَابًا عَلَى الْعَمَلِ الرَّائِدِ مِنَ الْحِصَانِ.

الْحِمَارُ: وَجَمْعُهُ «الْحَمِير».

حَيَوانٌ ثَدِييٌّ مُسْتَأْنَسٌ شَبِيهٌ بِالْحِصَانِ، وَشَبِيهٌ بِالْحِمَارِ الْوَحْشِيِّ.

وَكَانَ الْحِمَارُ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ الرُّكُوبِ، وَالْحَمْلِ، وَالْجَرِّ، وَخَادِمًا مُطِيعًا فِي الْمَزَارِعِ وَالْبَسَاتِينِ وَالْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ.

فَقَدْ كَانَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يُلْهِمَ اللَّهُ النَّاسَ صُنْعَ آلَاتِ الرُّكُوبِ، وَالْحَمْلِ، وَالْجَرِّ: وَمَا زَالَ الْحِمَارُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ سُكَّانِ الْبُوَادِي، وَبَعْضِ سُكَّانِ الْقُرَى وَالْمُدُنِ.

• ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾: أَي: وَخَلَقَ اللَّهُ لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ الْخَيْلَ،

وَالْبِغَالَ، وَالْحَمِيرَ، لِتَرْكَبُوهَا فِي تَحْقِيقِ مَصَالِحٍ وَمَنَافِعَ كَثِيرَةٍ لَكُمْ، وَلِتَكُونَ زِينَةً لَكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِامْتِلَاقِهَا، وَإِذَا رَكَبْتُمُوهَا.

وَالِاِقْتِصَارِ عَلَى ذِكْرِ هَاتَيْنِ الْمُنْفَعَتَيْنِ لِلْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا إِلَّا بِهِمَا، بَلْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَخَاطِبِينَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ قَدْ كَانَتْ هَاتَانِ الْمُنْفَعَتَانِ هُمَا الْمَقْصُودَ الْأَعْظَمَ لَدَيْهِمَا مِنْهَا.

• ﴿... وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: أَي: وَيَخْلُقُ حَاضِرًا وَمُسْتَقْبَلًا



مَخْلُوقَاتٍ لَا تَعْلَمُونَهَا، وَمِنْهَا مَا يُلْهِمُ اللَّهُ النَّاسَ اكْتِشَافَ خَصَائِصِ  
وَطَاقَاتٍ فِي كَوْنِهِ، يُضْنَعُ بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ النَّاسُ، وظهر هذا في  
مَرَاقِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْجَوِّ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَعْلُومَةً لِلنَّاسِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾:

• ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ الْقَصْدُ: الْاِعْتِدَالُ فِي الْأَمْرِ دُونَ إِفْرَاطٍ وَلَا  
تَقَرِيطٍ. السَّبِيلُ: كُلُّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ لَفْظِ «سَبِيلٍ» مُفْرَدًا، فَالمراد به  
صراط الله المستقيم، المشتمل على الْعَقَائِدِ وَالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ<sup>(١)</sup>.

وعِبَارَةُ ﴿قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ مِنْ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ، أَيِ:  
السَّبِيلُ الَّذِي هُوَ قَصْدٌ لَا خُرُوجَ فِيهِ عَنِ الْاِعْتِدَالِ مِنْ ذَاتِ الْيَمِينِ، وَلَا  
مِنْ ذَاتِ الشَّمَالِ.

وَصِرَاطُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ هُوَ كَذَلِكَ، وَكُلُّ مَا هُوَ  
مُنْحَرِفٌ عَنْهُ، أَوْ خَارِجٌ عَنْ خُطِّ اسْتِقَامَتِهِ فَهُوَ جَائِزٌ.

الْجَائِزُ: فِي اللَّغَةِ هُوَ الْمَائِلُ، الظَّالِمُ، الْخَارِجُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ.  
بِمُنَاسَبَةِ مَا جَاءَ فِي الدَّرْسِ الْأَوَّلِ، بِشَأْنِ الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَأَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ  
الَّذِينَ وَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْاِمْتِحَانِ، وَسَمَّاهُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ  
رُوحًا، لِأَنَّهُ سَبَبُ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ لَهُمْ، مَعَ مَا جَاءَ فِي هَذَا الدَّرْسِ الثَّانِي  
مِنْ اِمْتِحَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِطَائِفَةٍ مِنْ نِعَمِهِ، جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (٩) مُشْتَمِلَةً عَلَى  
بَيَانِ ثَلَاثِ قَضَايَا مَوْصُولَاتٍ بِالَّذِينَ وَبِالْمَوْضُوعِينَ مَوْضِعَ الْاِمْتِحَانِ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

القضية الأولى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾:

(١) انظر الْمُلْحَقَّ الرَّابِعَ مِنْ مَلَا حَقِّ تَدْبِيرِ سُورَةِ (الْفَاتِحَةِ/ ٥ نزول).

أي: بما أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - هو الخَالِقُ الرَّبُّ الَّذِي يَمْدُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ بِتَصَارِيفِ رُبُوبِيَّتِهِ، وهو الْحَكِيمُ الَّذِي وَهَبَ الَّذِينَ وَضَعَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ، الصِّفَاتِ الَّتِي تُؤْهِلُهُمْ لِأَنْ يَكُونُوا مُمْتَحَنِينَ، فَالْحِكْمَةُ السَّامِيَةُ تَقْضِي بِأَنْ يَكُونَ هُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْمُتَكَفِّلَ وَخَدَهُ بَيَانِ الْعَقَائِدِ وَالشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ وَالْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، الَّتِي جَعَلَهُمْ مُمْتَحَنِينَ تُجَاهَهَا، وَالَّتِي هِيَ تَعَالِيمُ الدِّينِ وَأَحْكَامُهُ، وَسَمَّاها اللهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فِي كَثِيرٍ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَجَاءَ بَيَانُهَا هُنَا تَحْتَ عُنْوَانٍ: ﴿السَّبِيلُ﴾.

وَمِنْ لَطَائِفِ بَيَانَاتِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ - أَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ مُلْزَمًا بِأَنْ يُبَيِّنَ لِعِبَادِهِ قَصْدَ السَّبِيلِ (أي: الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي اصْطَفَاهُ لَهُمْ. وَنَظِيرُهُ بَيَانُ أَنَّهُ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الظُّلْمَ، إِلَى غَيْرِهِمَا مِنْ نَظَائِرٍ.

وَمِنْ لَوَازِمِ بَيَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ لِنُفُوسِ الْمَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِمْتِحَانِ، وَهُمْ مَوْهُوبُونَ إِرَادَاتٍ حُرَّةٍ هِيَ مَنَاطُ الْإِبْتِلَاءِ، أَنْ يَكُونَ قِسْمٌ مِنْ هَذِهِ النُّفُوسِ مُلْزَمًا بِمَطْلُوبِ اللهِ مِنْ عِبَادِهِ فِي صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنْ يَكُونَ قِسْمٌ مِنْهَا جَائِرًا خَارِجًا عَنْ سَوَاءِ الصِّرَاطِ.

الْقَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾:

أي: وَمِنْ النُّفُوسِ الْمَوْضُوعَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْإِمْتِحَانِ نُّفُوسٌ جَائِرَةٌ ظَالِمَةٌ، لَا تَلْتَزِمُ بِمَطْلُوبِ اللهِ مِنْهَا، فِي صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، فَهِيَ تَسْتَحِقُّ عِقَابَ اللهِ يَوْمَ الدِّينِ عَلَى عِصْيَانِهَا.

وَيُلْزَمُ عَقْلًا مِنْ كَوْنِ بَعْضِ هَذِهِ النُّفُوسِ جَائِرَةً أَنْ يَكُونَ بَعْضُهَا الْآخَرُ غَيْرَ جَائِرٍ، فَهِيَ بِاسْتِقَامَتِهَا عَلَى صِرَاطِ اللهِ الْمُسْتَقِيمِ تَسْتَحِقُّ ثَوَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الدِّينِ عَلَى طَاعَتِهَا لِرَبِّهَا.

القضية الثالثة: دَلَّ عليها قول الله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾:

أي: وَلَوْ شَاءَ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ، أَثَبَّهَا الموضوعُونَ في الحياة الدُّنْيَا مَوْضِعَ الامْتِحَانِ، لَسَلَبُكُمْ إِرَادَاتِكُمْ الْحُرَّةَ، وَلَجَعَلَكُمْ مَجْبُورِينَ لَا اخْتِيَارَ لَكُمْ، وَحِينَئِذٍ فَإِنَّ حِكْمَتَهُ تَقْضِي بِأَنْ يَجْعَلَكُمْ جَمِيعاً مَهْدِيِّينَ، كَالْمَلَائِكَةِ، إِذْ لَا يَجْعَلُ الرَّبُّ الْجَلِيلُ بِحِكْمَتِهِ حَيًّا مَجْبُوراً عَلَى الْكُفْرِ والضَّلَالَةِ، إِنَّهُ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ.

وَسَلَبُكُمْ إِرَادَاتِكُمْ الْحُرَّةَ يُلْغِي حِكْمَةَ ابْتِلَائِكُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَلَا تَزْعُمُوا أَنَّكُمْ مَجْبُورُونَ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنَ اللهِ رَبِّكُمْ أَنْ يَهْدِيَ بِالْجَبْرِ هِدَايَةَ خَلْقٍ وَتَكْوِينِ الضَّالِّينَ الْكَافِرِينَ، وَالْمُجْرِمِينَ الظَّالِمِينَ. أَمَّا الْهِدَايَةُ بِمَعْنَى الْإِعْلَامِ وَالذَّلَالَةُ عَلَى الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَبَيَانِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَوْصِلِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، فَقَدْ بَعَثَ بِهَا رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهَا كُتُبَهُ، وَهُوَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةُ الْأُولَى مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ (٩).

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى عَوْدًا إِلَى بَيَانِ بَعْضِ نِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، الَّتِي تَسْتَوْجِبُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَالْإِسْلَامَ لَهُ، وَشُكْرَهُ بِطَاعَتِهِ، فِي فِعْلٍ مَا أَمَرَهُمْ بِفِعْلِهِ، وَتَرْكِ مَا نَهَاَهُمْ عَنْ فِعْلِهِ.

• ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾:

• ﴿هُوَ﴾: هَذَا الصَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى اللهِ جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي بَدَأَتْ السُّورَةُ بِالْحَدِيثِ عَنْهُ.

• ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: يَمْنُنُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ بِالْمَاءِ، مَعَ الْإِشَارَةِ إِلَى نِظَامِ تَدْبِيرِهِ الْعَجِيبِ بِإِنْزَالِهِ مِنَ السَّحَابِ مَاءً حُلُوءاً طَهُوراً

نَافِعًا، بَعْدَ تَصْعِيدِهِ بُحَارًا مِّنَ الْبَحَارِ وَالْأَنْهَارِ وَكُلِّ مَكَانٍ يُوجَدُ فِيهِ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ، مُنْقَى مِنَ الْأَمْلَاحِ غَيْرِ النَّافِعَةِ فِي الشَّرَابِ، وَمِنَ الشَّوَائِبِ الْمَفْسِدَةِ لَهُ، فَيَكُونُ فِي الْجَوِّ سَحَابًا يُسِيرُهُ اللَّهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَيُنْزِلُ مِنْهُ الْمَاءَ حَيْثُ يَشَاءُ.

• ﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾: أي: لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ (أي: مِنَ السَّحَابِ الَّذِي بَسَطَهُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) شَرَابٌ عَظِيمُ النَّفْعِ طَاهِرٌ طَهُورٌ، هُوَ أَحَدُ مَوَادِّ الْحَيَاةِ الْكُبْرَى. الشَّرَابُ: اسْمٌ لِمَا يُشْرَبُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ وَصَنَفٍ.

• ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: أي: وَلَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ شَجَرٌ، يَكُونُ الْمَاءُ سَبَبًا فِي نَبَاتِهِ وَنَمَاتِهِ، فَانْتُمْ فِيهِ تَجْعَلُونَ أَنْعَامَكُمْ وَدَوَابَّكُمْ أَكِلَاتِ النَّبَاتَاتِ تَرَعَى مَا تَشَاءُ مِنْهُ مِمَّا هُوَ سَبَبُ مَنَافِعِكُمْ مِنْهَا.

وَطَوَى النَّصْرُ مَنَافِعَ النَّاسِ مِنَ الشَّجَرِ، لِبِدَاهَةِ الْعِلْمِ بِهِ، وَلِلتَّنْبِيهِ عَلَى تَخْصِيصِهِ بِالذِّكْرِ فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

الشَّجَرُ: كُلُّ نَبَاتٍ يَقُومُ عَلَى سَاقٍ صُلْبَةٍ. وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ نَبَاتٍ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَائِمًا عَلَى سَاقٍ صُلْبَةٍ.

يقال لغة: «سَامَتِ الْأَنْعَامُ» أي: مَشَتْ تَرَعَى عَلَى مَا تَشَاءُ مِنْ نَبَاتَاتِ الْأَرْضِ. ويقال: «أَسَامَ الرَّاعِي أَنْعَامَهُ» أي: جَعَلَهَا تَرَعَى عَلَى مَا تَشَاءُ مِنْ نَبَاتَاتِ الْأَرْضِ، فَدَفَعَ بِهَا لِتَسْوَمَ.

• ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ...﴾:

جاء في هَذَا الْبَيَانِ تَعْمِيمُ الزَّرْعِ الشَّامِلِ لِكُلِّ مَا يَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ، مِنْ بُرُورٍ أَوْ جُذُورٍ أَوْ فُطُورٍ، وَيَكُونُ الْمَاءُ سَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ نَبَاتِهِ وَنُمُوهِ حَتَّى يَبْلُغَ مُسْتَوَى كَمَالِهِ، وَبَعْدَهُ جَاءَ تَخْصِيصُ الزَّيْتُونِ وَالنَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ

بِالذِّكْرِ لِمَا فِي هَذِهِ الْأَشْجَارِ مِنْ مَنَافِعٍ عَظِيمَةٍ غِذَائِيَّةٍ وَدَوَائِيَّةٍ وَغَيْرِهَا، وَبَعْدَهُ جَاءَ تَعْمِيمُ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، بِمَا فِيهَا الْأَزْهَارُ الَّتِي يَمْتَصُّ النَّحْلُ رَحِيقَهَا، فَقَدْ سَمَّاها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَمَرَاتٍ مَهْمَا كَانَتْ صَغِيرَةً وَدَقِيقَةً.

• ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١١﴾ :

أي: إِنَّ فِي ذَلِكَ الَّذِي ذَكَّرْنَا بَعْضَ مَعَالِمِهِ الْبَارِزَةِ، وَهِيَ تُمَثِّلُ مَرَاحِلَ قَلِيلَةٍ جَدًّا مِنْ مَرَاحِلِ الْخَلْقِ فِي دَوْرَةِ سُقْيَا الْمَاءِ وَإِنْبَاتِ النَّبَاتِ، ذَكَّرْنَا مِنْهَا إِنْزَالَ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَتْبَعْنَاهُ بِذِكْرِ بَعْضِ مَنَافِعِهِ، وَبِذِكْرِ كَوْنِهِ وَسِيلَةً مِنَ الْوَسَائِلِ لِإِنْبَاتِ النَّبَاتَاتِ الْمُخْتَلِفَاتِ، لَآيَةً عَظِيمَةً عَلَى شُمُولِ عِلْمِ اللهِ وَعَظِيمِ حِكْمَتِهِ، وَاتِّقَانِهِ لِمَا يَخْلُقُ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَهَذِهِ الْآيَةُ يُذَكِّرُكَ غَنَاصِرَهَا الْمُتَفَكِّرُونَ.

وَقَدْ تَحَدَّثَ عُلَمَاءُ النَّبَاتَاتِ عَنْ خَصَائِصٍ وَفَوَائِدِ الزَّيْتُونِ وَالنَّخِيلِ وَالْعِنَبِ، فَعَلَى الْبَاحِثِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَا كَتَبَهُ الْمُخْتَصُّونَ بِالدِّرَاسَاتِ النَّبَاتِيَّةِ، لِيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ بِمَا فِي هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْجَلِيلَةِ النَّفْعِ لِلنَّاسِ مِنْ آيَاتٍ دَالَّاتٍ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، فَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْبَصِيرَةُ دَافِعَةً لَهُ إِلَى الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالْعَمَلِ بِمَرْضِي اللهِ.

■ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانِ بَعْضِ مَنَنِهِ عَلَى عِبَادِهِ:

• ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ :

وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ: [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ] وَهِيَ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ بِدْءاً مِنْ: [وَالشَّمْسُ].

وَفِي قِرَاءَةِ جُمْهُورِ الْقُرَّاءِ: [وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ] وَهِيَ عَلَى الْعُطْفِ عَلَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

أما قراءة حفص الأولى، فَهِيَ عَلَى الاسْتِثْنَاءِ بَدْءاً مِنْ [وَالنُّجُومِ].

وَلَمْ أَرِ فِي هَذِهِ الْقُرْآنِ إِلَّا اسْتِخْدَامَ وَجُوهٍ عَرَبِيَّةٍ جَائِزَةٍ.

التَّسْخِيرُ: التَّذْلِيلُ لِعَمَلٍ مَا، أَوْ أَمْرٍ مَا، وَجَعَلَ الشَّيْءَ مُطَاوِعاً لِمَا يُرَادُ بِهِ ضِمْنِ قَانُونٍ تَسْخِيرِهِ، وَتَسْخِيرُ هَذِهِ الْمَسْخَرَاتِ الْمَذْكُورَاتِ فِي الْآيَةِ تَسْخِيرٌ جَبْرِيٌّ بِسُلْطَانِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

وقد سبق في نجوم التَّنْزِيلِ امتنان الله عَلَى النَّاسِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَبَيَانُ أَنَّهُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِهِ، وَجَاءَ هُنَا بَيَانُ تَسْخِيرِهِمَا لِعِبَادِهِ فِي الْأَرْضِ.

وَسَبَقَ أَيْضاً فِي الْآيَةِ (١٣) مِنْ سُورَةِ (فَاطِر/٤٣) نَزُولِ بَيَانِ تَسْخِيرِ اللَّهِ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ. وَكَذَلِكَ فِي الْآيَةِ (٥) مِنْ سُورَةِ (الزَّمَر/٥٩) نَزُولِ).

وسبق أن جاء في الآية (٥٤) مِنْ سُورَةِ (الأعراف/٣٩) بَيَانُ تَسْخِيرِ اللَّهِ النُّجُومَ، مَعَ تَسْخِيرِهِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِعِبَادِهِ. فَلْيُرْجَعْ إِلَى تَدَبُّرِ هَذِهِ النُّصُوصِ.

وهذا التَّسْخِيرُ لِهَذِهِ الْآيَاتِ الْكُويْنِيَّةِ الْكُبْرَى ذَوَاتِ النَّفْعِ الْعَظِيمِ، كَائِنْ بِأَمْرِ اللَّهِ التَّكْوِينِيِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - وَفِي هَذِهِ الْمَسْخَرَاتِ الْعَظْمَى لآيَاتٍ جَلِيلَاتٍ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ، وَعَلَى عِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ، وَرَحْمَتِهِ لَهُمْ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ.

• ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٢﴾ :

أي: إِنَّ فِي ذَلِكَ التَّسْخِيرِ لِهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْكُبْرَى لَعَدَدًا مِنَ الْآيَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى صِفَاتِ جَلِيلَاتٍ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، يَتَوَصَّلُ لَهَا الَّذِينَ يَعْقِلُونَ عَقْلاً عِلْمِيًّا وَعَقْلاً إِرَادِيًّا، فَبِالْعَقْلِ الْعِلْمِيِّ يُدْرِكُونَ دَلَالَاتِ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَيَحْتَفِظُونَ بِمَا أَدْرَكُوهُ فِي ذَاكِرَاتِهِمْ، وَبِالْعَقْلِ

الْإِرَادِي يُوجِّهُونَ إِرَادَاتِهِمْ لِلْعَمَلِ بِمَا تَقْتَضِيهِ الْمَعَارِفُ الَّتِي تَوَصَّلُوا إِلَيْهَا،  
وَاحْتَفَظُوا بِهَا.

جاء تأكيد هَذِهِ الْجُمْلَةِ بِالْمُؤَكَّدَاتِ: «إِنَّ»، وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ،  
وَاللَّامُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَّانَ بَعْضِ مَنَنِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَمَخَاطِباً لَهُمْ:  
• ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ (١٣):

ذَرَأَ: يَأْتِي بِمَعْنَى «خَلَقَ» وَبِمَعْنَى «بَثَّ» وَكِلَا الْمَعْنِيَيْنِ مُرَادَانِ، فَاللَّهُ -  
جَلَّ جَلَالُهُ - خَلَقَ لِعِبَادِهِ فِي الْأَرْضِ وَنَشَرَ فِيهَا عَنْ طَرِيقِ الذَّرِّيَّةِ مَخْلُوقَاتٍ  
كَثِيرَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ الْأَلْوَانِ.

اللُّونُ: هُوَ فِي الْأَصْلِ صِفَةُ جِسْمِ الشَّيْءِ مِنْ كَوْنِهِ أبيضَ أَوْ أَحْمَرَ أَوْ  
أخْضَرَ أَوْ أَسْوَدَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ. وَقَدْ سَبَقَ لَدُنِي تَذَكُّرُ الْآيَتَيْنِ (٢٧ وَ ٢٨) مِنْ  
سُورَةِ (فَاطِر/ ٤٣ نَزُول) بَيَّانَ مَا يَكْفِي عَنِ الْأَلْوَانِ.

وَيُطْلَقُ اللَّوْنُ تَوْسَعاً عَلَى النَّوعِ أَوْ الْجِنْسِ أَوْ الصَّنْفِ، فَيُقَالُ مِثْلًا  
أَلْوَانُ الْأَطْعَمَةِ، أَي: أَنْوَاعُهَا وَأَصْنَافُهَا وَأَجْنَاسُهَا.

وَكَلا الْمَعْنِيَيْنِ يَصِحُّ أَنْ يُرَادَا، وَالْوَاقِعُ يَدُلُّ عَلَى هَذَا.

• ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ (١٣):

أَي: إِنَّ فِي ذَلِكَ الَّذِي ذَرَأَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، أَيُّهَا الْمَوْضُوعُونَ  
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، لَآيَةً جَلِيلَةً عَظِيمَةً دَافِعَةً لِقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ  
مِنْكُمْ، أَنْ يَعْمَلُوا مَعَ كُلِّ تَذَكُّرٍ لِلْوَنِ مِنْ أَلْوَانِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، مَا  
يَقْتَضِيهِ وَاجِبُ شُكْرِ اللَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَوَاجِبُ طَاعَتِهِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ.

فَفِعْلُ «يَتَذَكَّرُ» فِي الدَّلَالَةِ الْقُرْآنِيَّةِ بِمَثَابَةِ مُصْطَلَحِ يُرَادُ بِهِ الْأَثَرُ  
النَّفْسِيُّ وَالْقَلْبِيُّ فِي السُّلُوكِ الدِّينِيِّ مِنْ حُضُورِ الْمَعْلُومَةِ فِي الذَّاكِرَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مَتَابَعًا بَيَّانَ بَعْضِ نِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ:

• ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٠﴾:

أي: والله هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ، وَقَدْ سَبَقَ قَرِيبًا بَيَّانُ مَعْنَى التَّسْخِيرِ.

وقد أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَرْبَعَ مَنَنِ امْتَنَّ اللَّهُ بِهَا عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ تَسْخِيرِ الْبَحْرِ لَهُمْ، وَهَذِهِ الْمَنُّ تُبَيَّنُّ عَلَى وَاجِبِ شُكْرِهِ عَلَيْهَا:

الْمَنَّةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: أي: لَتَسْتَخْرِجُوا مِنَ الْأَحْيَاءِ الْبَحْرِيَّةِ أَحْيَاءَ ذَوَاتِ لَحْمٍ طَرِيٍّ تَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَفِي هَذَا اللَّحْمِ مَنَافِعٌ لَكُمْ وَطَيِّبَاتٌ تَسْتَمْتِعُونَ بِالْأَكْلِ مِنْهَا.

الطَّرِيُّ: الْعُضُّ اللَّيِّنُ. يُقَالُ لُغَةً: «طَرِيٌّ، يَطْرِي، طَرَاوَةٌ، وَطَرَاءَةٌ» و«طَرُو، يَطْرُو، طَرَاوَةٌ، وَطَرَاءَةٌ، وَطَرَاءٌ» فَهُوَ طَرِيٌّ أي: عُضٌّ لَيِّنٌ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ يُسْتَخْرَجُ مِنَ الْبَحَارِ أَلْيَنَ اللَّحُومِ لِلْأَكْلِ.

الْمَنَّةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾:

الْحِلْيَةُ: وَالْحُلْيُ: مَا يُتَزَيَّنُ بِهِ مِنْ حِجَارَةٍ كَرِيمَةٍ، أَوْ مَصْصُوغٍ مِنَ الْمَعَادِنِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

تَلْبَسُونَهَا: أَضْلُ «الْلُبْسِ» سَتْرُ الْجِسْمِ أَوْ بَعْضُهُ بِثَوْبٍ مَا أَوْ بَنَحْوِهِ، ثُمَّ جَرَى التَّعْمِيمُ حَتَّى شَمَلَ لُبْسَ خَاتَمٍ فِي إِضْبَعٍ، وَلُبْسَ عَقْدٍ مِنْ سِلْسِلَةٍ دَقِيقَةِ الصُّنْعِ جَدًّا فِي الْجِيدِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ.



وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْبَحَارَ يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا اللَّؤْلُؤُ، وَالْمَرْجَانُ، وَغَيْرَهَا مِمَّا يَتَزَيَّنُ بِهِ النَّاسُ.

وُحُوِطَبَ الذُّكُورُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَلْبَسُونَهَا﴾ مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ، أَي: وَيَلْبَسُهَا إِنَائِكُمْ.

الْمَنَّةُ الثَّالِثَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ﴾:

الْفُلْكَ: مَرَكَبُ الْبَحْرِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ، وَالْاِثْنَيْنِ، وَالْجَمْعِ، وَيُذَكَّرُ وَيؤنثُ، فيقال: هُوَ الْفُلْكَ، وَهِيَ الْفُلْكَ.

مَوَاحِرَ جَمْعُ «مَاحِرَةٍ» أَي: تَجْرِي شَاقَّةُ الْمَاءِ شَقًّا، يَقَالُ لُغَةً: «مَحَرَّتِ السَّفِينَةُ، تَمَحَرُّ، مَحَرًّا، وَمُحَوْرًا» أَي: جَرَّتْ تَشُقُّ الْمَاءَ.

أَي: وَتَرَى أَيُّهَا الرَّائِي أَيَّا كُنْتَ، أَنَّ اللَّهَ اأْمَنَّ عَلَى عِبَادِهِ فِي حَيَاةِ الْاِبْتِلَاءِ بِالْمَرَائِكِبِ الْبَحْرِيَّةِ، الَّتِي تَجْرِي فِي الْمَاءِ فَتَشُقُّهُ شَقًّا، لِقَضَاءِ كَثِيرٍ مِنْ حَاجَاتِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ عَلَى ظُهُورِهَا.

جاء بَيَانُ هَذِهِ الْمَنَّةِ الثَّالِثَةِ مُعَايَرًا فِي أُسْلُوبِهِ لِلْأُسْلُوبِ الَّذِي جاء فِيهِ ذِكْرُ الْمَنَّتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ، إِثَارًا لِلتَّنْوِيعِ، وَلَمَّا فِي عِبَارَةِ ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ﴾ مِنْ إِبْدَاعٍ فِي اخْتِيَارِ الصُّورَةِ الْمُقَدِّمَةِ فِي عَرْضِ الْمَنَّةِ الرَّبَّانِيَّةِ.

الْمَنَّةُ الرَّابِعَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾:

أَي: وَلِتَبْتَغُوا مَكَاسِبَ وَمَنَافِعَ وَمَصَالِحَ وَحَاجَاتٍ فِي صُدُورِكُمْ، مِنْ فَضْلِ اللَّهِ، بِرُكُوبِهَا وَالسَّفَرِ أَوِ التَّجَوُّالِ وَأَنْتُمْ آمِنُونَ عَلَى ظُهُورِهَا تُوجِّهُونَهَا حَيْثُ تُرِيدُونَ، طَامِعِينَ فِي أَنْ يَتَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بِتَحْقِيقِ مَا تَقْصِدُونَ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمِنْهَا الْمَكَاسِبُ التِّجَارِيَّةُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ:

• ﴿... وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٤): أي: وَرَغْبَةً مِنَّا فِي أَنْ تَشْكُرُوا لَتَنْجُوا مِنْ عَذَابِ الْكَافِرِينَ الْجَاهِلِينَ الْمُجْرِمِينَ، وَلِتَنَالُوا ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

كلمة «لَعَلَّ» أَضْلُ معناها التَّرجي والتَّوَقُّعُ، وهذا المعنى لا يَلِيقُ بِمَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، وَلَمَّا كَانَ بَعْضُ مَا يُرْجَى مَرْغُوبًا فِيهِ كَانَ حَمْلُ «لَعَلَّ» عَلَى مَعْنَى الرَّغْبَةِ هُوَ الْمُنَاسِبُ بِمِثْلِ هَذَا التَّعْيِيرِ.

الشُّكْرُ: مَقَابَلَةُ إِنْعَامِ الْمُنْعَمِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بَيَّانَ بَعْضِ نِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي كَوْنِهِ:

• ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَكَ وَغَبًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥) وَعَلَّمَتْهُمُ الْإِنجِيلَ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (١٦):

رَوَاسِي: أي: جِبَالًا رَاسِيَاتٍ ثَابِتَاتٍ فِي أَعْمَاقٍ مِنْ تَحْتِ سَطْحِ الْأَرْضِ. الرَّاسِي: الثَّابِتُ الرَّاسِخُ.

• ﴿أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ﴾: أي: مَنَعَ أَنْ تَتَحَرَّكَ الْأَرْضُ مِنْ تَحْتِكُمْ، وَتَضْطَرِبَ بِكُمْ، يُقَالُ لُغَةً: «مَادَ الشَّيْءُ، يَمِيدُ، مِيدًا، وَمِيدَانًا» أي: تَحَرَّكَ واضطرب.

عِبَارَةٌ ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَنْ نَمِيدَ بِكُمْ﴾ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرَّبَّ جَلَّ جَلَالُهُ حِينَ أَرَسَى الْجِبَالَ فِي مَوَاضِعِهَا مِنَ الْأَرْضِ، أَلْقَاهَا إلقاءً يَنْقُلُهَا مِنْ مَوَاضِعَ فِي الْأَرْضِ، وَطَرَحَهَا فِي الْأَمْكِنَةِ الْمُخْتَارَةِ لِعَوِصِمِهَا ضَمْنَ قَشْرَةِ الْأَرْضِ، وَالضَّغْطِ عَلَيْهَا كَمَا تُضْرَبُ الْأَوْتَادُ لِيَتَدَخَلَ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، وَبِتَوَالِي الضُّغُوطِ غَاصَتِ الْجِبَالُ الَّتِي أُلْقِيَتْ، حَتَّى صَارَ الْغَائِصُ مِنْهَا وَالْمَثْبُتُ لِقَشْرَةِ الْأَرْضِ مِنَ الْمِيدَانِ أَكْثَرَ مِنَ الظَّاهِرِ فَوْقَ سَطْحِ الْأَرْضِ مِنْهَا.

• ﴿وَأَنْهَرُوا﴾: أي: وشقّ في الأرض أنهاراً، وأجرى فيها الماء الحلو لمنافعكم الكثيرة منه.

• ﴿... وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٤): وجعل لكم في سطح الأرض طرقاً قابلة لأن تسلكوها، رغبة في أن تصلوا بسلوكمها إلى ما تريدون الوصول إليه من البلدان، أو مواضع من الأرض لكم رغبات في أن تصلوا إليها.

• ﴿وَعَلَّمَنَّا﴾: أي: وجعل لكم في الأرض علامات تميز بعضها عن بعض، حتى لا تلتبس عليكم مواضعها، وهذا مشاهد في اختلاف صفات كل قسم من الأرض عن غيره من الأقسام.

• ﴿... وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (١٦): أي: وجعلنا في نجوم السماء علامات توصل إلى معرفتها أولوا النظر العلمي، فهم يهتدون بها في ظلمات البر والبحر، لتحديد اتجاهاتهم والطرق التي يسلكونها.

وقد سبق في سورة (الأنعام/ ٥٥ نزول) ذكر هذه المنّة من منن الله على عباده في الأرض، فقال الله عز وجل فيها خطاباً لعباده:

• ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٩٧):

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي مُحَاكَمَةِ إِفْنَاعِيَّةٍ لِلْمُشْرِكِينَ بَعْدَ الْعَرْضِ الْمَوْسِعِ لِبَعْضِ ظَوَاهِرِ خَلْقِهِ فِي كَوْنِهِ، وَبِاسْتِلْوَاجِ الاسْتِفْهَامِ الْحَوَارِيِّ:

• ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٧):

أي: هذا الذي نبهناكم عليه من ظواهر خلق الله في كونه يثبت عظمة الرب الخالق، وعظمة صفاته، وسمو حكيمته، وواسع فضله على عباده.

وَأَنْتُمْ تَجْعَلُونَ شَرِيكاً أَوْ شُرَكَاءَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ، وَكُلُّ مَا تَدْعُونَ مِنْ شُرَكَاءَ لَهُ لَا يَخْلُقُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ شَيْئاً، فَحَاكُمُوا أَنْفُسَكُمْ.

اللهُ الرَّبُّ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ، أَفَيَصِحُّ فِي عُقُولِكُمْ، أَنْ تَدْعُوا أَنْ مَنْ لَا يَخْلُقُ شَيْئاً مُسَاوٍ لَخَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ، فِي الرُّبُوبِيَّةِ أَوْ الْإِلَهِيَّةِ.

• ﴿... أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٥): أي: أَفَلَا تَضَعُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ فِي مَوَاضِعَ تَذَكُّرِكُمْ الْوَاعِي الْعَامِلِ، حَتَّى تَكُونَ بَاعِثَةً لَكُمْ لِأَنْ تَذَرِكُوا أَنَّ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ شِرْكٍ بَاطِلٍ وَاضِحِ الْبُطْلَانِ، فَتَنْبِذُوهُ، وَتُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ، وَتُعْلِنُوا إِسْلَامَكُمْ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَتَعْمَلُوا بِمَا أُنْزِلَ فِي كِتَابِهِ عَلَى رَسُولِهِ لِهِدَايَتِكُمْ وَهَدَايَةِ كُلِّ الَّذِينَ وَضَعَهُمْ مَوْضِعَ الْإِبْتِلَاءِ فِي طُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى تَعْلِيْقاً عَلَى مَا سَبَقَ أَنْ ذَكَرَ مِنْ نِعَمِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَإِظْمَاعاً لِلْعَصَاةِ مِنْهُمْ بِالْغُفْرَانِ إِذَا اسْتَغْفَرُوا وَتَابُوا، وَمُخَاطَباً لَهُمْ:

• ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾:

أي: ذَكَرَ اللَّهُ لَكُمْ فِي آيَاتِ سَابِقَاتٍ بَدْءاً مِنَ الْآيَةِ (٣) بَعْضَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمَوْضُوعُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، وَلَوْ اجْتَهِدْتُمْ فِي عَدِّ مُفْرَدَاتِ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ فَإِنَّكُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ إِحْصَاءَهَا، لِخَفَاءِ مُعْظَمِهَا عَلَيْكُمْ، وَلِكَثْرَتِهَا كَثْرَةً تَفُوقُ اسْتَطَاعَتَكُمْ عَلَى الْإِحْصَاءِ.

إِحْصَاءُ الشَّيْءِ: عِلْمُ مِقْدَارِهِ الْعَدَدِيِّ.

• ﴿نِعْمَةُ اللَّهِ﴾: أي: نِعَمُهُ الَّتِي تَفْضُلُ وَتَتَفَضَّلُ بِهَا دَوَاماً عَلَيْكُمْ، الْمَفْرَدُ النِّكَرَةُ إِذَا أُضِيفَ إِلَى مَغْفَةٍ صَارَ بِقُوَّةِ الْجَمْعِ، فِعْبَارَةً: «نِعْمَةُ اللَّهِ» تَدُلُّ عَلَى مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ «نِعَمُ اللَّهِ».

وَيَا أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ الَّذِينَ قَامَتْ حُجَّةٌ عَلَىكُمْ بِبُطْلَانِ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ شِرْكٍ، وَيَا أَيُّهَا الْعُصَاةُ مِنْ كُلِّ دَرَكَاتِ الْمَعَاصِي الْخَفِيفَةِ وَالثَقِيلَةِ، الصَّغَائِرِ وَالْكَبَائِرِ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِذَا آمَنْتُمْ وَاسْتَغْفَرْتُمْ وَتُبْتُمْ ﴿١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ وَقَدْ سَبَقَ كَثِيرًا تَحْلِيلُ نَظِيرِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ.

أي: فَتَدَارَكُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ مَوْتِكُمْ.

• ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُلْنُونَ﴾ ﴿١٩﴾:

اِئْتَضَى الْإِطْمَاعُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ إِشْعَارَهُمْ بِانْتِقَامِهِ الْعَادِلِ، بِأَسْلُوبِ ذِكْرِ أَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ، وَقَدْ خَاطَبَهُمْ بِهَذَا كَمَا خَاطَبَهُمْ بِالَّذِي جَاءَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ شُرَكَاءِ الْمَشْرِكِينَ مُؤَكِّدًا مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ

(١٧) ضِمْنَا، مَعَ الْاِلْتِفَاتِ عَنْ خِطَابِ الْمَشْرِكِينَ:

• ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ أَمَوْتُ

غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾: وَفِي الْقِرَاءَةِ الْآخَرَى: [تَدْعُونَ] خِطَابًا لِلْمَشْرِكِينَ.

أي: وَالَّذِينَ يَعْبُدُونَ مَعْبُودِينَ أَوْ مَعْبُودَاتٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَانُوا أَحْيَاءَ

فَمَاتُوا، مَا كَانُوا يَخْلُقُونَ شَيْئًا، بَلْ كَانُوا هُمْ يَخْلُقُونَ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقِ مَعَ تَوَالِي أَرْمَانِ بَقَائِهِمْ فِي الْحَيَاةِ.

وَهُمْ الْآنَ أَمَوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ، وَمَا يَشْعُرُونَ مَتَى يُبْعَثُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ

وَفَضْلِ الْقَضَاءِ وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ، فَأَمْرُهُمْ كَأَمْرِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَحْيَاءِ الَّذِينَ مَاتُوا مَهْمَا كَانُوا فِي حَيَوَاتِهِمْ صَلَحَاءَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُخَاطَبُ عِبَادَهُ بِشَأْنِ أَنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ، وَأَنَّ

الْإِيمَانَ بِالْآخِرَةِ عُنْصُرٌ أَساسٌ مِنْ عَنَاصِرِ سَلَامَةِ الْإِنْسَانِ وَنَجَاتِهِ، بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَجِ الْبُرْهَانِيَّةِ عَلَى أَنَّ الْإِلَهَ وَاحِدٌ.

• ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۖ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۚ لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَا يَحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢٣) :  
 • ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ : أي : بَعْدَ الْبَيِّنَاتِ السَّابِقَاتِ بِشَأْنِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَالْحُجَجِ الْبُرْهَانِيَّةِ عَلَى ذَلِكَ ، صَارَ مِنَ الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ تَوْكِيدَاتٍ فِي الْجُمْلَةِ : «إِلَهُكُمْ الْحَقُّ أَيُّهَا الْعِبَادُ الْمُضْوَغُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» .

• ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ :

فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانٌ أَنَّ مَنْ كَانُوا مُسْتَكْبِرِينَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ ، وَاتَّبَاعِ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْهُ ، وَعَنِ الْإِيمَانِ بِرَسُولِهِ وَعَنِ اتِّبَاعِهِ ، تَتَحَجَّرُ قُلُوبُهُمْ فَلَا تُدْرِكُ الْحَقَّ بَلْ تَكُونُ مُنْكَرَةً لَهُ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الْحُجَجِ الْبُرْهَانِيَّةِ الَّتِي تُقَامُ لِأَجْهَرَةِ الْإِذْرَاكِ لَدَيْهِمْ ، وَهَذَا يَجْعَلُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، فَلَا يَخَافُونَ عِقَابَ اللَّهِ فِيهَا ، وَحِينَ يَنْعَدِمُ الْخَوْفُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ تَنْمُو فِي النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ غَالِبًا عَوَامِلَ فِعْلِ الشَّرِّ ، بِاتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ وَالْغَرَائِزِ ، وَالنَّهْمُ لِتَحْقِيقِ مَطَالِبِهَا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْبَصِيرَةُ عَمِيَاءَ .

• ﴿لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَا يَحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢٣) :

فِي هَذِهِ إِشْعَارٌ بِأَسْلُوبِ الْكِنَايَةِ فِيهِ تَرْهِيْبٌ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ .

﴿لَا جَرَمَ﴾ : عِبَارَةٌ تُسْتَعْمَلُ لِتَوْكِيدِ الْكَلَامِ وَتَوْثِيقِهِ ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ : «حَقًّا - لَا بُدَّ - لَا مَحَالَةَ - لَا شَكَّ» وَأَصْلُ مَعْنَى «الْجَرَمُ» الْقَطْعُ .

وَبِمَا أَنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَهُوَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يَعْلَمُونَ ، فَهُمْ مُرَشَّحُونَ لِعِقَابِ اللَّهِ الشَّدِيدِ يَوْمَ الدِّينِ .

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّانِي مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (النحل) .

والحمد لله على مَعُونَتِهِ ، وَمَدَدِهِ ، وَتَوْفِيقِهِ ، وَمَتْنِهِ ، وَفَتْحِهِ .

(٦)

## التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (النحل) الآيات من (٢٤ - ٢٩)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أُنزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا اسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ طَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾:

### القراءات:

(٢٦) • قرأ أبو عمرو: [فَخَرَّ عَلَيْهِمْ] بِكسْرِ هاء الضمير والميم

بعدها.

وقراها حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [فَخَرَّ عَلَيْهِمْ] بضم

هاء الضمير والميم بعدها.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَخَرَّ عَلَيْهِمْ] بِكسْرِ الهاء وضم الميم.

(٢٧) • قرأ يعقوب: [يُخْزِيهِمْ] و[فِيهِمْ] بضم هاء الضمير فيهما.

وقراها باقي القراء العشرة بِكسْرِ هاء الضمير فيهما.

(٢٧) • قرأ نافع: [تُشَاقُّونَ] بِكسْرِ النون. أي: تُشَاقُّونِي.

وقراها باقي القراء العشرة: [تُشَاقُّونَ] بفتح النون.

(٢٨) • قرأ حَمَزَةً، وخلف: [يَتَوَفَّاهُمْ].

وقراها باقِي القُرَاءِ العَشْرَةِ: [تَتَوَفَّاهُمْ].

وقراها باقِي القُرَاءِ العَشْرَةِ: [تَتَوَفَّاهُمْ].

وهما وجهان عَرَبِيَّانِ جائِزان.

تَمْهِيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ لَقِطَةٍ مِنْ كُفْرِ الْمُشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْعَامِلِينَ عَلَى إِضْلَالِ مَنْ يَتَأَثَّرُ بِهِمْ، مَعَ تَحْذِيرِهِمْ مِنْ عِقَابَيْنِ مُعْجَلٍ فِي الدُّنْيَا، وَمُؤَجَّلٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَتَحَدَّثُ عَنْ أَيْمَةِ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ الَّذِينَ يُضِلُّونَ مَنْ يَتَأَثَّرُ بِهِمْ مِنْ جَمَاهِيرِ قَوْمِهِمْ:

• ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ ﴿٢٥﴾﴾:

أي: وَإِذَا قِيلَ لِأَيْمَةِ الشُّرْكِ الْمُضِلِّينَ: مَا الَّذِي أَنْزَلَ رَبُّكُمْ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَهُوَ كِتَابٌ حَقٌّ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟.

قَالُوا: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، أي: لَمْ يُنْزَلْ رَبَّنَا كِتَابًا عَلَى مُحَمَّدٍ، وَالَّذِي يَتْلُوهُ مُحَمَّدٌ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ كِتَابٌ مُنْزَلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ رَبَّنَا، هُوَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. وَاسْتَعْمَالُ [إِذَا] يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ يُكَرِّرُونَ إِجَابَتَهُمْ حِينَ سُؤِلَهُمْ.

عِبَارَةٌ: «أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» لَهَا مَعْنِيَانِ:

المعنى الأول: أَبَاطِيلُ وَأَحَادِيثُ لَا نِظَامَ لَهَا، وَلَفْظُ «أَسَاطِيرُ» جَمْعُ: «إِسْطَارٍ» وَ«إِسْطَارَةٌ» وَ«أُسْطُور» وَ«أُسْطُورَةٌ».



المعنى الثاني: مَكْتُوبَاتِ الْأَوَّلِينَ وَمَسْطُورَاتُهُمْ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: جُمِعَ «سَطَرَ» عَلَى «أَسْطَرَ» ثُمَّ جُمِعَ «أَسْطَرَ» عَلَى «أَسَاطِيرَ».

وَكُلٌّ مِنْ هَٰذَيْنِ الْمَعْنَيَيْنِ مُرَادٌ لَهُمْ، فَالْعَامَّةُ الْجَهْلَةُ مِنْ جَمَاهِيرِهِمْ يُفْهِمُونَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ أَبَاطِيلٌ وَأَحَادِيثٌ لَا نِظَامَ لَهَا. وَأَهْلُ الْفَهْمِ وَالرَّأْيِ مِنْ جَمَاهِيرِهِمْ يَزْعُمُونَ لَهُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا يَنْقُلُ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ مَكْتُوبَاتِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، كَالْتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.

• ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ...﴾ (١٥)

أَيُّ: يَفْعَلُونَ هَٰذَا مُعَانِدِينَ وَرَافِضِينَ الْاعْتِرَافَ بِالْحَقِّ، لِيَتَكُونَ عَاقِبَتُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً، وَأَنْ يَحْمِلُوا مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ مَا كَانُوا هُمْ السَّبَبَ فِي إِضْلَالِهِمْ بِهِ، وَهَؤُلَاءِ الْأَتْبَاعُ لَا يَعْلَمُونَ، وَلَكِنْ تَبِعُوا أَيْمَتَهُمْ تَقْلِيداً وَهُمْ جَاهِلُونَ، غَيْرُ قَادِرِينَ عَلَى إِدْرَاكِ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ آيَاتُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ، عَلَى أَنَّهُمْ مُذْئِبُونَ كَفَرَةً لِأَنَّهُمْ رَفَضُوا الْإِيمَانَ بِمَا أَذْرَكُوا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ.

الأَوْزَارُ: جمع «الْوِزْر» وهو في اللُّغَةِ الْحِمْلُ الثَّقِيلُ، وَلَمَّا كَانَ ارْتِكَابُ الذَّنْبِ وَفِعْلُ الْإِثْمِ مِمَّا يَتَحَمَّلُ بِهِ الْإِنْسَانُ حِمْلًا ثَقِيلًا، أُطْلِقَ عَلَى الذَّنْبِ الَّذِي يَرْتَكِبُهُ الْمَكْلُفُ الْمُخْتَارُ الْمَسْئُولُ عَنْ أَعْمَالِهِ الْإِدَارِيَّةِ.

يقال لغة: «وَزَرَ، يَزِرُ، وَزَرًا، وَوَزَرًا، وَزَرَةً» أَي: حَمَلَ حِمْلًا ثَقِيلًا، أَوْ ارْتَكَبَ ذَنْبًا كَبِيرًا ثَقِيلًا، فَهُوَ «وَازِرٌ» وَهِيَ «وَازِرَةٌ».

• ﴿... أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (٢٥): «أَلَا» هُنَا أَدَاةُ اسْتِفْتَاحٍ، وَتَنْبِيهِ، وَتَحْقِيقٍ. «سَاءَ» فِعْلٌ لِإِنْشَاءِ الذَّمِّ عَلَى سَبِيلِ الْمَبَالِغَةِ، مَعَ الدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى التَّعْجِيبِ، أَي: مَا أَسْوَأَ مَا يَحْمِلُونَ مِنْ آثَامٍ كُبْرَى.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا الْحَدِيثَ عَنْ أَيْمَةِ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ وَالتَّضْلِيلِ:

• ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَفَاقَ اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْرِجُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلْيَوْمَ وَالسَّوَاءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾:

المَكْرُ: تدبير أمرٍ ما في خفاء، يَكُونُ في الخير، ويَكُونُ في الشرِّ، والمَكْرُ هُنَا مُسْتَعْمَلٌ في المَكْرِ الَّذِي يَكُونُ في الشرِّ، لِأَنَّهُ تَدْبِيرٌ لِلصَّدِّ عَنِ دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ مِنْ قِبَلِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ الْمُضِلِّيلِ.

الْقَوَاعِدُ: جمع «القاعدة» وهي الأساس. ﴿مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾: أي: مِنْ الْأَسْسِ.

حَيْثُ: اسْمُ مَكَانٍ مَبْنِيٍّ عَلَى الضَّمِّ، في مَحَلٍّ نَضَبٍ عَلَى أَنَّهُ ظَرْفُ مَكَانٍ.

الْحَزْبِيُّ: الذُّلُّ والهوان، والافتِضَاحُ بِالْقَبَائِحِ وَالسَّيِّئَاتِ وَالْآثَامِ الْمَوْرَثَةِ لِلْخَجَلِ الشَّدِيدِ مِنْهَا. وَالْوُقُوعُ فِي الْعَذَابِ.

تُشَاقِقُونَ: أي: تُخَالِفُونَ وتُعَادُونَ رُسُلَ رَبِّكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ الرَّجَاجُ: الشَّقَاقُ الْعِدَاوَةُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ وَالْخِلَافُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، سُمِّيَ شِقَاقًا لِأَنَّ كُلَّ فِرْقَةٍ مِنْ فِرْقَتَيْ الْعِدَاوَةِ قَصَدَ شِقًّا، أَيُّ: نَاحِيَةٍ غَيْرِ شِقِّ صَاحِبِهِ.

• ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: أي: قَدْ مَكَرَ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالتَّضْلِيلِ الَّذِينَ سَلَفُوا فِي الْقُرُونِ الْأُولَى، مِنْ قَبْلِ أَيْمَةِ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ وَالتَّضْلِيلِ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ فِي مَكَّةَ، بِاتِّخَاذِ التَّدْبِيرَاتِ الصَّادَاتِ عَنِ دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ.

• ﴿فَأَفَاقَ اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾:

أي: فَأَتَى أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِتَدْمِيرِ أُنْبِيَائِهِمْ عَلَيْهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ،

فَزَلْزَلَ هَٰذِهِ الْأَيْنَةَ بَدَأَ مِنْ قَوَاعِدِهَا، فَحَرَّ مُتَفَكِّكًا مِنْ أَثَرِ الزَّلْزَالِ سَفَفُ كُلِّ بِنَاءٍ عَلَى مَنْ تَحْتَهُ مِنْهُمْ، وَكَانَ بِذَلِكَ تَدْمِيرُ أُنْبِيَائِهِمْ كُلِّهَا وَإِهْلَاكُهُمْ جَمِيعًا، بَعْدَ أَنْ نَالُوا مِنَ الْعَذَابِ مَا يَسْتَحِقُّونَ بِعَذْلِ اللَّهِ.

• ﴿وَأَنذَهُمُ الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

أي: وَأَتَى كُفَّارَ الْقُرُونِ الْأُولَى الْمُسَابِغِينَ لِأَيْمَةِ كُفَّارِ مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، الْعَذَابُ الَّذِي وَصَلَتْ إِلَى أَجْسَادِهِمْ وَسَائِلُهُ مِنْ أَمْكِنَةٍ لَمْ يَكُونُوا يَشْعُرُونَ بِأَنَّهَا سَتَأْتِيهِمْ مِنْهَا.

وَمِنَ الْاِخْتِمَالَاتِ الَّتِي لَمْ يَكُونُوا يُدْخِلُونَهَا فِي حُسْبَانِهِمْ أَنْ تَتَفَجَّرَ بَرَائِكُنْ مُدْمَرَةً وَمُعَذِّبَةً لَهُمْ مِنْ تَحْتِ أُنْبِيَائِهِمْ.

• ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْرِجُهُمْ...﴾ ﴿٧٧﴾:

أي: ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةِ الْبَرْزَخِ، وَبَعَثِهِمْ لِلْحِسَابِ، وَفَضَلَ الْقَضَاءِ، وَتَنَفِيزِ الْجَزَاءِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَعْزِضُهُمُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ، خَزَايَا أَذْلَاءَ مُهَانِينَ فِي مَوْقِفِ حِسَابِهِمْ.

• ﴿... وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ...﴾ ﴿٧٨﴾:

أي: وَيَقُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - لَهُمْ: أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمْتُمُوهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا شُرَكَائِيَ فِي رُبُوبِيَّتِي وَإِلَهِيَّتِي، وَالَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ رَسُولِي وَالْمُؤْمِنِينَ فِيهِمْ، فَتَجْعَلُونَ أَنْفُسَكُمْ فِي شِقِّ عِبَادِ إِلَهَتِكُمُ الْمَشْرِكِينَ بِرَبِّكُمْ، فِي مُقَابِلِ شِقِّ الرَّسُولِ وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُبَيِّنُونَ لَكُمْ أَنَّ أَرْبَابَكُمْ وَإِلَهَتَكُمْ بَاطِلَةٌ، وَأَنَّ إِيْمَانَكُمْ بِهَا كُفْرٌ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

• ﴿... قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ آلِيَوْمٍ وَالسَّوَاءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧٩﴾:

عبارة مُفْتَطَعَةٌ مِمَّا سَوْفَ يَكُونُ يَوْمَ الدِّينِ بَعْدَ أَنْ يَشْهَدَ أَهْلُ الْمَحْشَرِ مَا يَجْرِي لِلْكَافِرِينَ مِنْ خِزْيٍ وَسُوءٍ.

أي: وَيَوْمَئِذٍ يَقُولُ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ مُؤْمِنِينَ، وَمَلَائِكَةٍ: إِنَّ الْخِزْيَ وَالذُّلَّ وَالْهَوَانَ الْيَوْمَ، وَالسُّوءَ، عَلَى الَّذِينَ كَانُوا فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ كَافِرِينَ بِمَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ. السُّوءَ: كُلُّ أَمْرٍ قَبِيحٍ مَكْرُوهٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ عُمُومِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَتَوَقَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ كُفَّارًا فِي بَيَانِ مُسْتَأْنَفٍ:

• ﴿الَّذِينَ تَوَقَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فليْسَ مَوْتَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾:

أي: الَّذِينَ تَتَوَقَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ فِي آجَالِهِمْ بَعْدَ رِحْلَةِ الْإِبْتِلَاءِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، حَالَةَ كَوْنِهِمْ ظَالِمِينَ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ، وَعِنْدَهُمْ خَوْفٌ مِمَّا هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ يُعْلِنُونَ اسْتِسْلَامَهُمْ وَخُضُوعَهُمْ، وَيَحَاوِلُونَ التَّنْصُلَ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنْ أَعْمَالٍ سَيِّئَةٍ لَمْ يَكُونُوا يُجَاهِرُونَ بِهَا، فَيَقُولُونَ: مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ.

فَبَيَّاتِيهِمُ الْجَوَابُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَوْ مِنْ رَبِّهِمْ عِنْدَ مُحَاكَمَتِهِمْ فِي مَوْقِفِ حِسَابِهِمْ: بَلَى كُنتُمْ كَفَرَةً، وَكَانَتْ أَعْمَالُكُمْ سَيِّئَةً مُلَائِمَةً لِكُفْرِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ خَافِيَةٌ مَهْمَا كَانَتْ سِرًّا فِي نَفُوسِكُمْ.

فَحُكْمُ اللَّهِ الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ بِأَنَّكُمْ كَافِرُونَ، وَتَسْتَحِقُّونَ الْخُلُودَ فِي جَهَنَّمَ دَارِ عَذَابِ الْمُجْرِمِينَ.

• ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ ﴿٢٩﴾﴾:

عِبَارَةٌ مُفْتَطَعَةٌ مِمَّا سَوْفَ يُقَالُ لَهُمْ، عَلَى وَفْقِ أَسْلُوبِ الْاِقْتِطَاعِ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، الَّذِي هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ الْبَدِيعَةِ.

أي: فَادْخُلُوا بِحَسَبِ دَرَكَاتِكُمْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا.

• ﴿... فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢٩):

بُئْسَ: فِعْلٌ جَامِدٌ لِإِنْشَاءِ الذَّمِّ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ.

مَثْوًى: أي: مَكَانُ إِقَامَةٍ.

الْمُتَكَبِّرِينَ: أي: الَّذِينَ كَانَ كِبَرُهُمْ هُوَ الدَّافِعَ لَهُمْ لِعَدَمِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ

وكتابه ورسوله، وَلِعَدَمِ الْإِسْلَامِ لِلَّهِ وَاتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثالث من دروس سورة (النحل).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٧)

التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (النحل)

الآيات من (٣٠ - ٣٢)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِلَّذِينَ اتَّقَوْا خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَقَّعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

القراءات:

(٣٣) • قرأ حمزة، وخلف: [يَتَوَقَّعُهُمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تَتَوَقَّعُهُمْ].

وهما وَجْهَانِ عَرَبِيَّانِ جائزان.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس لَقْطَةٌ تَتَعَلَّقُ بِالْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ بِشَأْنِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، مع بَيَانِ بَعْضِ مَا يَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، وَمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِنْ تَحِيَّةٍ وَتَكْرِيمٍ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ:

• ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ...﴾ (٣٠)

جَاءَ هَذَا الْبَيَانُ بِشَأْنِ الْمُتَّقِينَ فِي مُقَابِلِ مَا جَاءَ بِشَأْنِ أَيْمَةِ الشِّرْكِ وَالتَّضْلِيلِ، فِي الْآيَةِ (٢٤): ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤):

فَالْكَفَرَةُ الْمَشْرُكُونَ الْمَعَانِدُونَ قَالُوا بِشَأْنِ الْقُرْآنِ: هُوَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.

أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّقَوْا فَقَالُوا بِشَأْنِ الْقُرْآنِ حِينَ قِيلَ لَهُمْ: ﴿مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾: أَي: مَا الَّذِي أَنْزَلَهُ رَبُّكُمْ فِي كِتَابِهِ: ﴿قَالُوا خَبَرٌ﴾: أَي: قَالُوا أَنْزَلَ رَبُّنَا فِي كِتَابِهِ خَبَرًا عَظِيمًا.

فَالْفَرِيقَانِ عَلَى طَرَفَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ فِي مَوَاقِفِهِمَا مِنَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

إِنَّ عِبَارَةَ ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِيهِ.

أَمَّا عِبَارَةُ الْمُتَّقِينَ: ﴿خَبَرٌ﴾ فَتَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَا جَاءَ فِيهِ خَيْرٌ عَظِيمٌ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى تَعْقِيًّا عَلَى مَقَالَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ:

• ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ

يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ .

في هَذَا الْبَيَانِ وَعَدُّ مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ ذِي الْفَضْلِ لِلْمُحْسِنِينَ أَصْحَابِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، وَلِعُمُومِ الْمُتَّقِينَ .

أَيُّ: الَّذِينَ أَحْسَنُوا فَبَلَّغُوا بِأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ مَرْتَبَةَ الْإِحْسَانِ، لَهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ رَبِّهِمْ مَقَادِيرُ حَسَنَةٍ تَسْرُهُمْ. وَلَكِنْ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ خَيْرٌ عَظِيمٌ يَفُوقُ كُلَّ تَصَوُّرَاتِهِمْ.

• ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾: أَيُّ: وَلَدَارُ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ وَهِيَ الْجَنَّةُ، ذَاتُ الْأَقْسَامِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي يُعْتَبَرُ كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا جَنَّةً مُكْتَمِلَةً الْعَنَاصِرِ الْمَطْلُوبَةِ فِيهَا:

• ﴿وَلَنَعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾: هَذِهِ عِبَارَةٌ ثَنَاءً عَلَى دَارِ الْمُتَّقِينَ، جَاءَتْ فِي مُقَابِلِ ذِمِّ مَكَانِ إِقَامَةِ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

وَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَمْنَحُ الْمُحْسِنِينَ مِنْ عُمُومِ دَارِ الْمُتَّقِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾:

جَنَّاتُ عَدْنٍ هِيَ أَقْسَامُ ذَاتُ مُسْتَوًى رَفِيعٍ مِنْ عُمُومِ دَارِ الْمُتَّقِينَ، وَهِيَ فَوْقَ أَقْسَامِ جَنَّاتِ الْمُتَّقِينَ الْعَادِيِّينَ، وَدُونَ مَنَازِلِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى الَّتِي هِيَ لِذَوِي الدَّرَجَاتِ الْعُلْيَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَالْأَبْرَارِ.

وَمَعْنَى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: جَنَّاتُ ثَبَاتٍ وَاسْتِقْرَارٍ دَائِمٍ، وَهُوَ عُقُودٌ مُخْتَارٌ لَوْسَطِ الْجَنَّاتِ.

وَمِنْ صِفَاتِ جَنَّاتِ عَدْنٍ أَنَّهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا أَوْ مِنْ تَحْتِ

شُرَفَاتٍ قُصُورِهَا الْأَنْهَارُ، وَهِيَ أَنْهَارُ الْمَاءِ، وَاللَّبَنِ، وَالْخَمْرِ الَّتِي لَا غَوْلَ فِيهَا، وَالْعَسَلِ الْمَصْفَى، وَمِنْ صِفَاتِ جَنَّاتِ عَدْنٍ أَنَّ لِأَهْلِهَا مَا يَشَاءُونَ فِيهَا مِنْ كُلِّ يَشْتَهُونَهُ وَيَتَمَنَّوْنَهُ.

• ﴿...﴾ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾: أي: كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ عُمُومَ الْمُتَّقِينَ بِجَنَّاتٍ فِيهَا شَبِهُ جَنَّاتِ عَدْنٍ فِي الصِّفَاتِ الْعَامَّةِ مَعَ تَفَاضُلٍ فِي الدَّرَجَاتِ وَالصِّفَاتِ، وَهِيَ دُونَ جَنَّاتِ عَدْنٍ.

وَتَابَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحَدِيثَ عَنْ عُمُومِ الْمُتَّقِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٢﴾: وفي القراءة الأخرى: [يَتَوَفَّاهُمْ]:

أي: كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمَكْلُفُونَ أَنَّ يَقْبِضُوا أَرْوَاحَهُمْ حَالَةَ كَوْنِهِمْ طَيِّبِينَ مِنْ رَجَسِ الْكُفْرِ بِرَبِّهِمْ.

الطَّيِّبُ: فِي اللَّغَةِ ضِدُّ الْخَبِيثِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الظَّاهِرِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ ظَاهِرُونَ مِنْ رَجَسِ الْكُفْرِ عَلَى اخْتِلَافِ دَرَجَاتِهِمْ فِي سُلَمِ التَّقْوَى.

وَيَقُولُ الْمَلَائِكَةُ لَهُمْ حِينَ يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَهُمْ تَكْرِيماً وَإِنْسَافاً وَتَبَشِيراً بِالْأَمْنِ: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» وَيُبَشِّرُونَهُمْ بِأَنَّهُمْ سَوْفَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فيقولون لَهُمْ: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: أي: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَبَبِ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ أَعْمَالٍ أَرْضَتْ عَنْكُمْ رَبَّكُمْ، فَهُوَ يُحَقِّقُ لَكُمْ بِفَضْلِهِ وَعَدَهُ الْكَرِيمِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بِعَمَلِكُمْ حَقٌّ عَلَى رَبِّكُمْ ذِي الْفَضْلِ أَنْ يَدْخِلَكُمْ بِهِ الْجَنَّةَ، وَلَكِنَّ رَبَّكُمْ تَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ بِوَعْدِهِ الْكَرِيمِ، فَأَنْتُمْ تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ اللَّهِ دَلَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ:

«سَلِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِ» قِيلَ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:



«وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ».

أقول: إِنَّ أَعْمَالَ الْعَبْدِ مَهْمَا صَلَحَتْ، وَكَانَتْ مِنْ دَرَجَاتِ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، فَإِنَّهَا لَا تُكَافِي جُزْءاً يَسِيراً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الرَّابِعِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (النحل).

والحمد لله على مُعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٨)

### التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (النحل) الآيتان (٣٣) و (٣٤)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾:

القراءات:

(٣٣) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [أَنْ يَأْتِيَهُمْ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [أَنْ تَأْتِيَهُمْ].

وهما وجهان عَرَبِيَّانِ جائزان.

(٣٤) • قرأ أبو جعفر: [يَسْتَهْزِئُونَ].

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [يَسْتَهْزِئُونَ].

تمهيد:

فِي آتِي هَذَا الدَّرْسِ مُعَالَجَةُ الْكَفَرَةِ الْمُعَانِدِينَ بِالْإِنْذَارِ بِعَذَابٍ عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْ بِاسْتِثْصَالٍ بِمُعَذِّبَاتٍ مُهْلِكَاتٍ، كَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْأُمَمِ الْمُهْلَكَةِ مِنْ كُفَّارِ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ.

التدبر التحليلي:

• ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ؟﴾: أي: هَلْ يَنْتَظِرُ أَيْمَةُ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ وَالتَّضْلِيلِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ.

• ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: أي: إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْمَكْلُوفُونَ أَنْ يَقْبِضُوا أَرْوَاحَهُمْ، فَيَعَذِّبُوهُمْ بِضَرْبِ وُجُوهِهِمْ وَأَذْبَارِهِمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ.

دَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ فِي سُورَةِ (الْأَنْفَالِ/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول) فِي وَصْفِ أَحْدَاثِ غَزْوَةِ بَدْرٍ:

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٥﴾﴾:

أي: وَيَقُولُونَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ الَّذِي تَخْلُدُونَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

• ﴿... أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ...﴾: أي: أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ بِاسْتِثْصَالِهِمْ بِإِهْلَاكِ جَمَاعِيٍّ مَقْرُونٍ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.

• ﴿... كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾: أي: كَذَلِكَ الْفِعْلُ الَّذِي يَفْعَلُهُ هَؤُلَاءِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، فَعَلَ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ الْمَضِلُّونَ مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ إِهْلَاكًا شَامِلًا مَقْرُونًا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.

• ﴿... وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾: أي: وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ حِينَ أَنْزَلَ بِهِمُ الْعَذَابَ الْمُهِلِكَ الْمُدْمِرَ الْمُسْتَأْصِلَ، فَقَدْ

أَبَانَ اللَّهُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ تَرْكُهُ، وَحَذَّرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ بِالْعَذَابِ الْمُسْتَأْصِلِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِمْ، فَاسْتَهْزَؤُوا بِمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ الرُّسُلُ، وَعَانَدُوا وَأَصْرُوا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ، فَكَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ كَمَنْ قِيلَ لَهُ: هَذِهِ نَارٌ مُحْرِقَةٌ قَاتِلَةٌ، فَدَخَلَ فِيهَا.

• ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢٤) :

أي: فَأَصَابَ أَعْمَاقَهُمْ عِقَابُ سَيِّئَاتِ مَا عَمِلُوا. وَأَحَاطَ بِهِمْ وَلِزِمَهُمُ الْإِنْذَارُ الَّذِي كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ، قَبْلَ أَنْ يُدَمِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَيَسْتَأْصِلَهُمْ اسْتِئْصَالًا مُقْتَرِنًا بِتَعْذِيبٍ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الخامس من دروس سورة (النحل).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْتِهِ، وَقَنَاجِهِ.



(٩)

### التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (النحل) الآية (٣٥)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٣٥)

تمهيد:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَرْضُ جَدَلِيَّةٍ مِنْ جَدَلِيَّاتِ الْمُشْرِكِينَ، تَعْتَمِدُ عَلَى مَقُولَةٍ أَنَّ النَّاسَ مَجْبُورُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا غَيْرُ مُخَيَّرِينَ، وَهُمْ فِي هَذَا كَاذِبُونَ.

## التدبر التحليلي:

سَبَقَ أَنْ جَاءَ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الأنعام/ ٦ مصحف/ ٥٥ نزول):

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٨٨﴾﴾:

وقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الزُّخْرُف/ ٤٣ مصحف/ ٦٣ نزول) بِشَأْنِ مَقُولَةٍ قَالَهَا الْمُشْرِكُونَ:

﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَالَيْتُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾.

(١) أنزل الله آية (الأنعام) وفيها بيان أن أئمة الشرك والكفر المعالجين في مكة إبان التنزيل، سَيَتَعَلَّلُونَ بِالْجَبْرِ وَسَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مَفْطُورُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ الْجَبْرِيِّ عَلَى أَنْ يَكُونُوا مُشْرِكِينَ، وكذلك آباؤهم مِنْ قَبْلِهِمْ، وفَطَرَهُمْ عَلَى أَنْ يُحَرِّمُوا أَشْيَاءَ مِنَ الْأَنْعَامِ وَغَيْرِهَا، لِذَلِكَ فَهُمْ غَيْرُ مَسْئُولِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَمَّا هُمْ مَجْبُورِينَ عَلَيْهِ مِنْهُ.

وَأَنَّهُمْ سَيَعْبُرُونَ عَنْ هَذَا الْجَبْرِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: بَلْ شَاءَ أَنْ نَكُونَ مُشْرِكِينَ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا، وَشَاءَ أَنْ نُحَرِّمَ مَا حَرَّمْنَا، وَفَطَرْنَا عَلَى هَذَا بِالْخَلْقِ الْجَبْرِيِّ، فَلَا مَسْئُولِيَّةَ عَلَيْنَا فِيمَا نَحْنُ عَلَيْهِ عِنْدَ رَبِّنَا.

فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِيمَا سَيَدْعُونَهُ، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ إِذْ عَاقَبْنَاهُمْ مُعَذِّبِينَ وَمُهْلِكِينَ وَعَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: ﴿هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

(٢) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً سُورَةَ (الزُّحُرْفِ) فَأَبَانَ فِيهَا أَنََّّهُمْ صَرَّحُوا بِتَعَلُّلِهِمْ بِالْجَبْرِ، وَأَنََّّهُمْ قَالُوا فِعْلًا بِشَأْنِ شُرَكَائِهِمُ الَّذِينَ يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنََّّهُمْ لَيْسَ لَدَيْهِمْ عِلْمٌ يُثَبِّتُ ادِّعَاءَهُمْ، وَأَنََّّهُمْ يَكْذِبُونَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَلَيْسَ لَكُمْ كِتَابٌ مِنْ قَبْلِهِ فَهَلْ بِهِ مُتَمَسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾.

فَجَاءَ الرَّدُّ فِي آيَةِ سُورَةِ (الزُّحُرْفِ) مُشَابِهًا لِلرَّدِّ الَّذِي جَاءَ فِي آيَةِ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ).

(٣) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى آيَةً سُورَةِ (النَّحْلِ) الَّتِي يَجْرِي تَدْبِيرُهَا، فَأَبَانَ فِيهَا أَنََّّهُمْ كَرَّرُوا تَعَلُّلَهُمُ الْكَاذِبَ بِالْجَبْرِ فَجَاءَ فِيهَا قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

• ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾.

أي: ما عَبَدْنَا مِنْ دُونِ جَبْرِهِ لَنَا مِنْ شَيْءٍ، وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِ جَبْرِهِ لَنَا مِنْ شَيْءٍ.

وهي مُحَرَّمَاتُهُمُ الْبَاطِلَاتُ الَّتِي سَبَقَ بَيَانُهَا فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ).

يُظْهَرُ أَنَّ مَقُولَتَهُمُ الْجَبْرِيَّةَ هَلْذِهِ انْخَدَعَ بِهَا أَتْبَاعُهُمْ وَقَبَلُوهَا، فَكَرَّرُوهَا لِتَرْزِيقِ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شُرْكَ بَاطِلٍ، وَمَا يَقْتَرُونَهُ مِنْ تَحْرِيمٍ مَا لَمْ يُحَرِّمَهُ اللَّهُ. فَجَاءَ الْبَيَانُ الرَّبَّانِيُّ التَّعْقِيبِيُّ فِي آيَةِ سُورَةِ (النَّحْلِ) فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾: فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ إِشْعَارٌ بِمَا جَاءَ فِي آيَةِ (الْأَنْعَامِ) أَي: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا... ﴿١٨﴾﴾.

وقال الله لَهُمْ فِي آيَةِ سُورَةِ (النَّحْلِ):

• ﴿... فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٣٥):

أي: لَيْسَ الرُّسُلُ وَفِي خَاتِمَتِهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ مُطَالِبِينَ بِإِجْبَارِكُمْ وَتَحْوِيلِكُمْ مَعَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَمِنَ الضَّلَالِ إِلَى الْهُدَى، بَلْ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فِي رِسَالَتِهِمْ إِلَّا أَنْ يُبَلِّغُوا مَا أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ بِتَبْلِيغِهِ لِعِبَادِهِ.

أَمَّا الْجَزَاءُ عَلَى الْقَبُولِ أَوْ الرَّفْضِ لِبَلَاغَاتِ الرُّسُلِ، فَاللهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ هُوَ الَّذِي يَتَوَلَّاهُ.

وَفِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ تَلْوِيحٌ ضَمْنِيٌّ، بِأَنَّ اللَّهَ سَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى عِنَادِهِمْ، وَإِضْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ الَّذِي لَا حُجَّةَ لَهُمْ فِيهِ، بَلْ قَامَتْ عَلَيْهِمْ فِيهِ حُجَّةُ اللَّهِ الْبَالِغَةُ.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ السَّادِسِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (النحل).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٠)

التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (النحل)  
الآية (٣٦)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۚ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا ۚ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣٦):

## القراءات :

(٣٦) • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحَمْزَةُ، وَيَعْقُوبُ: [أَنِ اعْبُدُوا]

بكَسْرِ النون.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [أَنْ اعْبُدُوا] بضمّ النون، مُراعاةً لضمّ

باء «اعْبُدُوا».

## التدبر التحليلي:

يُؤَكِّدُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُعَالَجِينَ فِي السُّورَةِ مِنْ مُشْرِكِي مَكَّةِ إِبَانَ  
التَّنْزِيلِ بِهَبَارَةٍ «لَقَدْ» الْمُبْنِيَّةِ عَلَى قَسَمٍ مَنْوِيٍّ مَعَ حَرْفِ «قَدْ» الدَّالُّ عَلَى  
التَّحْقِيقِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا...﴾:

الْأُمَّةُ: تُظَلِّقُ فِي الاسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ عَلَى كُلِّ مَجْمُوعَةٍ تَجْمَعُهَا  
صِفَاتٌ، أَوْ خَصَائِصٌ، أَوْ رَوَابِطٌ مُتَمَيِّزَةٌ.

فَكُلُّ أُمَّةٍ مِنَ النَّاسِ بَعَثَ اللهُ فِيهَا رَسُولًا لِيُبَلِّغَهَا رِسَالَةَ رَبِّهِ، فَهِيَ أُمَّةٌ  
بَلَاغَ رَسُولِهَا الْمَبْعُوثِ فِيهَا.

الرَّسُولُ: هُوَ نَبِيٌّ يُوحَى إِلَيْهِ، وَمَأْمُورٌ بِأَنْ يُبَلِّغَ أُمَّتَهُ رِسَالَةَ رَبِّهِ إِلَيْهِمْ.

وعبارة: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ تَشْمَلُ أُمَّةَ الْأَرْضِ جَمِيعًا، حَتَّى بِعَثَةِ  
مُحَمَّدٍ ﷺ، الَّذِي جَعَلَهُ اللهُ رَسُولًا لِلنَّاسِ جَمِيعًا مُنْذُ بَعَثْتِهِ إِلَى آخِرِ إِنْسَانٍ  
مُمْتَحِنٍ مُكَلَّفٍ قَبْلَ قِيَامِ السَّاعَةِ.

وَدَلَّتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ أَنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي عَاشَتْ فِي عَهْدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
قَدْ كَانَ آدَمُ رَسُولَهَا، وَأَنَّ الْأُمَّةَ الَّتِي تَفَاصَلَتْ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ  
قَدْ أُرْسِلَ لَهَا رَسُولًا.

أَمَّا نُوحٌ عَلَيْهِ فَقَدْ كَانَ أَوَّلَ الرُّسُلِ مِنْ أُولِي الْعِزْمِ الْكِبَارِ، سَبَقَهُ رُسُلٌ لَمْ يَكُونُوا مِنْ أُولِي الْعِزْمِ، وَمِنْهُمْ «شِيث» و«إدريس» عَلَيْهِمَا السَّلَام.

• ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

الطَّاغُوت: كُلُّ مَا عُيِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ (يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَغَيْرُهُ وَالْمَذْكُورُ وَالْمَوْثُوتُ) وَيُجْمَعُ عَلَى «طَوَاغِيَتٍ» وَعَلَى «طَوَاغٍ».

ومعناه لغةً: «كثيرُ الطُّغْيَانِ» فَيُطْلَقُ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَالكَاهِنِ، وَالسَّاحِرِ، وَبَيْتِ الصَّنَمِ.

أي: وَكَانَ عُنْوَانُ رِسَالَةِ كُلِّ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أُمَّتِهِ:

«اعْبُدُوا اللَّهَ وَخُدُّهُ، لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَاجْتَنِبُوا كُلَّ طَاغُوتٍ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْخُرُوجِ عَنْ صِرَاطِ رَبِّكُمْ الْمُسْتَمِلِ عَلَى مَطْلُوبِ اللَّهِ مِنْكُمْ فِي عِبَادَتِهِ».

• ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾: أي: فَمِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مَنْ اسْتَجَابَ لِدَعْوَةِ رَسُولِ رَبِّهِ وَاتَّبَعَ الْحَقَّ، فَحَكَّمَ اللَّهُ لَهُ بِالْهِدَايَةِ، فَجَعَلَهُ مَهْدِيّاً، وَقَضَى لَهُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

• ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾: أي: وَمِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَةِ رَسُولِ رَبِّهِ، وَلَمْ يَتَّبِعِ الْحَقَّ، فَثَبَّتَ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ الَّتِي سَلَكَ سُبُلَهَا بِاخْتِيَارِهِ الْحَرَّ، اتِّبَاعاً لِأَهْوَاءِ نَفْسِهِ، وَشَهَوَاتِهَا، وَنَزَعَاتِهَا، وَتَأَثُّراً بِتَضْلِيلَاتِ الْمُضِلِّينَ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

وَإِذْ ثَبَّتَ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ بِاخْتِيَارِهِ الْحَرَّ، حَكَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالضَّلَالَةِ، فَجَعَلَهُ ضَالاً ضَمَنْ فِتْنَةِ الضَّالِّينَ، وَقَضَى عَلَيْهِ بِأَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَعَذِّبِينَ فِي الْجَحِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

وَمِنَ الْأَمَمِ مَنْ قَضَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يُهْلِكَهُمْ إِهْلَاكاً مُسْتَأْصِلاً، مُقْتَرِناً بِعَذَابٍ.



وَحَاطَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُعَالَجِينَ إِيَّانَ التَّنْزِيلِ مُلَوِّحاً لَهُمْ بِاخْتِمَالِ  
إِهْلَاكِهِمْ، وَمُعَامَلَتِهِمْ مُعَامَلَةً مِّنْ أَهْلَكِهِمْ مِّنْ كُفَّارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ إِهْلَاكاً  
مُّقْتَرِناً بِالْعَذَابِ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ، فَقَالَ لَهُمْ:

• ﴿... فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٣٦):

أي: فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَإِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ أَرْضَ ثُمُودَ،  
وَأَرْضَ عَادَ، وَأَرْضَ قَوْمِ لُوطَ، وَغَيْرَهَا، فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْذِبِي  
رُسُلِ رَبِّهِمْ، وَالْمُكْذِبِينَ بِمَا بَلَّغُوهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ، وَهَذِهِ الْعَاقِبَةُ قَدْ كَانَتْ  
تَذَمِيرًا لِّبُلْدَانِهِمْ، وَإِهْلَاكاً شَامِلاً لَهُمْ، مَقْرُوناً بِتَعْذِيبٍ مِّنْ يَسْتَحِقُّ التَّعْذِيبَ  
مِنْهُمْ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس السابع من دروس سورة (النحل).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتْنِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١١)

التدبر التحليلي للدرس الثامن من دروس سورة (النحل)

الآية (٣٧)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِّرَسُولِهِ ﷺ:

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّنْ  
نَّصِيرِينَ﴾ (٣٧).

القراءات:

قرأ عَاصِمٌ، وَحَمْزَةً، وَالْكَسَائِيُّ، وَخَلَفَ: [لَا يَهْدِي].

وَقَرَأَهَا بَاقِي الْقُرَّاءِ الْعَشْرَةِ: [لَا يَهْدِي].

تَمْهِدُ :

فِي آيَةِ هَذَا الدَّرْسِ تَرْبِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ بِشَأْنِ مَنْ يَخْرِصُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ .

التدبر التحليلي :

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَدِيدَ الْحَرْصِ عَلَى هِدَايَةِ قَوْمِهِ، وَلَا سِيَّمَا أَهْلُ مَكَّةَ، فَأَبَانَ اللَّهُ لَهُ فِي نُصُوصٍ مَتَعَدَّةٍ أَنَّ وَظِيفَتَهُ تَبْلِيغُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، لَا تَحْوِيلُ مَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ مِنَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، إِلَى الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ، وَتَوْحِيدِ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ .

وَلَكِنْ اسْتَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَدِيدَ الْحَرْصِ عَلَى هِدَايَةِ قَوْمِهِ، فَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يُنَيِّسَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رَسُولَهُ مِنْ تَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ هَذِهِ، إِذْ خَلَقَ اللَّهُ النَّاسَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ذَوِي إِرَادَاتٍ حُرَّةٍ لِيَبْلُوَهُمْ فِيَمَا آتَاهُمْ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ مَجْبُورِينَ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ مِنْ نَتَائِجِ حُرِّيَّةِ الْإِرَادَةِ أَنْ يَخْتَارَ كُلُّ ذِي إِرَادَةٍ حُرَّةٍ مَا يَشَاءُ لِنَفْسِهِ، مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، مِنْ هِدَايَةٍ أَوْ ضَلَالَةٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ :

• ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ (٣٧) : وفي القراءة الأخرى : [لَا يَهْدِي] .

أَيُّ : إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى أَنْ يَكُونَ قَوْمُكَ كُلُّهُمْ يَا مُحَمَّدُ مَهْدِيِّينَ فَلَا تَظْمَعُ بِأَنْ يَتَحَقَّقَ لَكَ مَا تَحَرَّصُ عَلَيْهِ .

• أَمَّا مِنْ جِهَتِهِمْ فَإِنَّ رَبَّكَ خَلَقَهُمْ ذَوِي إِرَادَاتٍ حُرَّةٍ لِيَبْلُوَهُمْ فِيَمَا آتَاهُمْ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ مُجْبِراً لَهُمْ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَخْتَارَ بَعْضُهُمْ لِنَفْسِهِ أَنْ يَسْلُكَ سَبِيلَ الْهِدَايَةِ، وَأَنْ يَخْتَارَ آخَرُونَ مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ سَبِيلَ الضَّلَالَةِ .

• وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ رَبِّكَ، فَإِنَّ رَبَّكَ لَا يَجْعَلُهُمْ مَجْبُورِينَ بَعْدَ اخْتَارِ أَنْ

يَجْعَلُهُمْ مُخَيَّرِينَ لِمَتَجَنَّهُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، إِذْ لَوْ جَعَلَهُمْ مَجْبُورِينَ لَجَعَلَهُمْ مَجْبُورِينَ عَلَى الْهِدَايَةِ، وَتَلَعَى حَيْثُ جِئَتْ حِكْمَةُ الْامْتِحَانِ.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَا يَحْكُمُ لَهُمْ بِالْهِدَايَةِ وَهُمْ ضَالُّونَ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَكُونُ مُتَنَاقِضًا فَيَحْكُمَ بِهِدَايَةٍ مَنْ حَكَمَ عَلَيْهِ بِالضَّلَالَةِ لِأَنَّهُ فِي وَاقِعِ حَالِهِ ضَالٌّ.

وَحِينَ يَقْضِي رَبُّكَ بِتَنْفِيذِ عِقَابِهِ لَهُمْ فَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ يَنْصُرُونَهُمْ فَيُحْمِيهِمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ بِالْعَدْلِ.

وَأَمَّا بِالنُّسْبَةِ إِلَى قِرَاءَةِ: [لَا يُهْدَى] فَهِيَ عَلَى مَعْنَى: أَنَّهُ لَا يُوجَدُ أَحَدٌ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْكُمَ بِهِدَايَةٍ مَنْ يَحْكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالضَّلَالَةِ، إِذْ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الثامن من دروس سورة (النحل).

والحمد لله على معاونته، ومددِهِ، وتوفيقِهِ، ومُنَّهِ، وفتحِهِ.



(١٢)

التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (النحل)  
الآيات من (٣٨ - ٤٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِبَيْنِ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾.

## القراءات:

- (٤٠) • قرأها ابنُ عامر، والكسائي: [كُنْ فَيَكُونُ] بنضْبٍ «يكون».  
وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [كُنْ فَيَكُونُ] بالرفع، أي: فهو يكون.

## تمهيد:

في آياتِ هذا الدَّرْسِ بَيَّانُ عَقِيدَةِ الْمُشْرِكِينَ الْكَافِرَةِ، بِشَأْنِ إِنْكَارِهِمْ  
الْبَعْثِ، مَعَ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ.

## التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ:

إِنَّ أَيْمَةَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، بَعْدَ أَنْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ  
الْبَرَاهِينُ الْعَقْلِيَّةُ بِشَأْنِ ضَرُورَةِ الْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتَحْقِيقِ الْجَزَاءِ الرَّبَّانِيِّ، فِي  
سَوَابِقِ نُجُومِ التَّنْزِيلِ، وَبَعْدَ أَنْ أُسْقِطَتْ تَشْكِكَاتُهُمُ الَّتِي لَا حُجَّةَ فِيهَا إِلَّا  
مُجَرَّدُ الْاسْتِنْعَادِ وَالِاسْتِعْرَابِ وَالتَّعَجُّبِ، لَمْ يَجِدُوا شَيْئًا يَقُودُونَ بِهِ ادِّعَاءَهُمْ  
الْبَاطِلَ، إِلَّا أَنْ يَخْلِفُوا الْأَيْمَانَ الْمَشْدَدَةَ الْمَغْلَظَةَ بِأَنَّ اللَّهَ لَا يَبْعَثُ مَنْ  
يَمُوتُ، لِثَبَّتِ أَتْبَاعَهُمْ فِي تَبَعِيَّتِهِمْ لَهُمْ فِي كُفْرِيَّاتِهِمْ.

فَاقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْجَدَلِيَّةُ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ بِنَفْيِ مَقُولَتِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ، وَبَيَّانَ  
أَنَّ أَيْمَانَهُمُ الْمَغْلَظَةَ الْمَشْدَدَةَ ذَرَائِعُ بَاطِلَةٍ، أَفْسَمُوا بِهَا مُؤَكِّدِينَ مَقُولَتَهُمُ  
الْكَاذِبَةَ، لِإِيْهَامِ أَتْبَاعِهِمْ بِأَنَّهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا زَعَمُوا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

- ﴿وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ  
حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٨):

أي: وَأَفْسَمَ أَهْلُ الْكُفْرِ وَالشُّرِّ التَّضْلِيلِ، فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، غَايَةَ  
مَا لَدَيْهِمْ مِنْ أَيْمَانٍ، مُؤَكَّدَةً مُشْدَدَةً يَقْبَلُهَا وَيُثِقُ بِهَا أَتْبَاعُهُمْ وَمُقَلِّدُوهُمْ،  
عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، لِيُحَاسِبَهُ، وَيَقْضِيَ بِشَأْنِهِ، وَيَجْزِيَهُ عَلَى مَا  
قَدَّمَ فِي رِحْلَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

جَهْدُ الشَّيْءِ: يَأْتِي فِي اللُّغَةِ: بِمَعْنَى نِهَائِيَّتِهِ وَغَايَتِهِ، وَبِمَعْنَى وَسْعِهِ وَطَاقَتِهِ، وَيَأْتِي الْجَهْدُ بِمَعْنَى الْمَشَقَّةِ.

فَكَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي الرَّدِّ الرَّبَّانِيِّ عَلَى نَفْيِ صِدْقِهِمْ، وَبَيَانِ افْتِرَائِهِمْ عَلَى رَبِّهِمْ، وَتَمَادِيهِمْ بِأَنْ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ، أَنْ يَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿... بَلَىٰ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا...﴾ (٣٧):

أي: بَلَىٰ، سَيَبْعَثُ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ لِلْحِسَابِ، وَفَضَلَ الْقَضَاءِ، وَتَحْقِيقِ الْجَزَاءِ، وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلْزَمَ بِهِ نَفْسَهُ لِتَحْقِيقِ حِكْمَتِهِ.

• ﴿... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٨):

أي: وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يُغْرِضُونَ وَيَصُدُّونَ عَنْ، مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الْمُؤَيَّدَةِ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ، وَتَوَاطُؤِ الْبَيِّنَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ عَلَيْهَا، فِي رِسَالَاتِهِ لِعِبَادِهِ، فَهُمْ لَا يَرْغَبُونَ فِي أَنْ يَعْلَمُوهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا

كَذِبِينَ﴾ (٣٩):

أي: بَلَىٰ لِيَبَيِّنَ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ، لِيَبَيِّنَ لِلَّذِينَ كَانُوا مَوْضُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْامْتِحَانِ، كُلَّ الَّذِي كَانُوا يُخْتَلَفُونَ فِيهِ، مِنْ عَقَائِدَ حَوْلَ أَصُولِ الدِّينِ، وَحَوْلَ شَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَمَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَمَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتْرُكُوهُ، وَمَا كَانَ يَفْعَلُ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ، وَمَا كَانَ يَتْرُكُ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ يُحَاسِبُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا بِاخْتِيَارِهِمُ الْحَرِّ مِنْ خَيْرٍ كَانُوا مُكَلِّفِينَ أَنْ يَفْعَلُوهُ، وَعَلَى أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا مِنْ شَرٍّ بِاخْتِيَارِهِمُ الْحَرِّ كَانُوا مُكَلِّفِينَ أَنْ يَتْرُكُوهُ، وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ

بِالْحَقِّ، ثُمَّ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِمَا قَضَىٰ بِهِ لَهُ أَوْ قَضَىٰ بِهِ عَلَيْهِ، جَلًّا جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ.

وَحِينَئِذٍ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَاذِبِينَ، وَمِنْهُ كَذِبُهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًّا صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ تَعْقِيْبًا عَلَى قَضِيَّةِ الْبَعْثِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ:

• ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٤١):

أي: مَا نَحْتَاجُ إِذَا أَرَدْنَا إِيْجَادَ مَعْدُومٍ أَوْ إِعْدَامَ مَوْجُودٍ، أَوْ تَغْيِيرَ لَأَيِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ، إِلَّا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ، فَيَكُونُ مُرَادَ اللَّهِ عَلَى مَا تَمَّتْ بِهِ إِرَادَةُ اللَّهِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ التَّاسِعِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (النحل).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتِّهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٣)

التدبر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (النحل)  
الايتان (٤١) و (٤٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا آخِرَ الْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢).

## القراءات :

(٤١) • قرأ أبو جعفر: [لنُبَوِّنَهُمْ] وكذلك حمزة في الوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [لنُبَوِّنَهُمْ].

وهما وجهان عريَّان في النطق.

## تمهيد :

في آيتي هذا الدرس بيان الذين هاجروا في سبيل الله، وما لهم من ثواب حسن في الدنيا، وأجر عظيم في الآخرة، بسبب صبرهم وتوكلهم على ربهم.

## التدبر التحليلي :

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى :

• ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) :

الهجرة، والهجرة: الخروج من أرض إلى أرض أخرى للإقامة فيها. والمهاجرة: هي عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدين.

وكلُّ مُتَقَلِّبٍ مِنْ مَكَانٍ إِقَامَتِهِ فِي قَوْمٍ، إِلَى الْإِقَامَةِ فِي قَوْمٍ آخَرِينَ فَقَدْ هَاجَرَ قَوْمَهُ، أي: تَبَاعَدَ عَنْهُمْ يَقَاطِعُهُمْ وَيَقَاطِعُونَهُ.

والهجرة، والمهاجرة: فِي الْإِسْلَامِ تَرْكُ دَارِ الْكُفْرِ الَّتِي يُضْطَهُدُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ، إِلَى أَرْضٍ يَكُونُونَ فِيهَا آمِنِينَ.

وَجَاءَ فِي كُتُبِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ هَاجَرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ بِإِذْنٍ مِنَ الرَّسُولِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُضْهَدُونَ فِي مَكَّةَ، ثُمَّ إِنَّ بَعْضَهُمْ هَاجَرُوا مُتَتَابِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ بِتَوْجِيهِ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَامُوا بِنَشْرِ

الإسلام، ثُمَّ هَاجَرَ الرُّسُولُ ﷺ إِلَيْهَا بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ وَعْدٌ كَرِيمٌ، مِنَ الرَّبِّ الْعَظِيمِ، لِلَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا، وَهُمْ الَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ قَبْلَ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ، بِثَوَائِنٍ: ثَوَابٍ دُنْيَوِيٍّ مُعَجَّلٍ، وَثَوَابٍ أُخْرَوِيٍّ عَظِيمٍ.

• ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ...﴾ : أي: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ مَكَّةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ، تَارِكِينَ بِلَدَهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ فِيهَا، وَأَهْلَهُمْ، لِيَتَخَلَّصُوا مِنَ الظُّلْمِ وَالْاضْطِهَادِ الَّذِي كَانَ جَبَابِرَةً مُشْرِكِي مَكَّةَ يُعَامِلُونَهُمْ بِهِمَا، وَلِيَكُونُوا آمِنِينَ عَلَى دِينِهِمْ وَعِبَادَاتِهِمْ، وَلِيَكُونُوا دُعَاءَ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي مُهَاجَرِهِمْ إِذَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَكُونُوا فِيهِ دُعَاءَ إِلَيْهِ.

وَيُقَاسُ عَلَيْهِمْ أَمْثَالُهُمْ فِي كُلِّ عَصْرِ فَسُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَاحِدَةٌ.

• ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ : أي: هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا فِعْلًا، وَلَمْ يَجِدُوا وَسِيلَةً يَكْفُونُ بِهَا عَنْ أَنْفُسِهِمْ ظُلْمَ الطُّغَاةِ الْبَغَاةِ الْمُتَجَبِّرِينَ مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ.

﴿لِنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ : أي: لِنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا مَبَاءَةً حَسَنَةً تَرْضِيهِمْ.

يُقَالُ لُغَةً: «بَوَّأُ فُلَانًا فُلَانًا مَنَزَلًا» أي: هَيَّأُ وَأَعِدُّهُ لَهُ، وَأَنْزَلُهُ فِيهِ. وَالْمَبَاءَةُ الْمَنْزِلُ الَّذِي يُنْزَلُ بِهِ، وَيَكُونُ مَكَانَ إِقَامَةِ نَزِيلِهِ. وَيُلْحَقُ بِالْمَنْزِلِ كُلُّ مَا يَحْتَاجُهُ النَّزِيلُ فِيهِ، مِنْ أَمْنٍ وَرِزْقٍ وَرَاحَةٍ، وَحُرِّيَّةِ حَرَكَةٍ، إِذْ وَصِفَتِ الْمَبَاءَةُ الْمَحْذُوفَةُ لَفْظًا وَالْمَقْدَّرَةُ ذَهْنًا بِأَنَّهَا حَسَنَةٌ.

• ﴿وَلَا تُجْرُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ : أي: الْمَبَاءَةُ الْحَسَنَةُ أَجْرٌ مُعَجَّلٌ يُقَدِّرُهُ اللَّهُ لَهُمْ وَيَقْضِيهِ، وَهَذَا قَدْ حَصَلَ فِعْلًا لِلَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ، ثُمَّ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَيَحْصُلُ دَوَامًا لِلْمُهَاجِرِينَ الصَّادِقِينَ الْمُخْلِصِينَ.



وَلَا جُرْ اللَّهِ الَّذِي يُفِيضُهُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الدِّينِ فِي الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ بَعْدَ الْبَعْثِ،  
أَكْبَرُ كِبَرًا لَا يَسْتَطِيعُونَ تَصَوُّرَهُ فِي مُخَيَّلَاتِهِمْ.

• ﴿... لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٣): أي: لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ كِبَرَ  
هَذَا الْأَجْرِ لَكَانُوا فَرَحِينَ سُعْدَاءَ مَهْمَا نَالُوا فِي هِجْرَتِهِمْ مِنْ مَتَاعِبَ، وَلَا  
يَكُونُ فِي نَفْسِهِمْ حُزْنٌ عَلَى وَطَنِ وَمَسَاكِينِ وَأَمْوَالٍ وَأَهْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
مَحَابِّ تَرَكُّوْهَا بِسَبَبِ هِجْرَتِهِمْ.

وَوَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ هَاجَرُوا بِالصَّبْرِ وَبِالتَّوَكُّلِ عَلَى  
رَبِّهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٤٤): أي: الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى مَا  
نَالَهُمْ مِنْ أذى وَظُلْمٍ، وَصَبَرُوا عَلَى تَرْكِ مَا يُحِبُّونَ فِي وَطَنِهِمْ، وَهُمْ فِي كُلِّ  
أَحْوَالِهِمْ وَمَطَالِبِهِمْ فِي حَيَاتِهِمْ عَلَى اللَّهِ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ مُسْلِمِينَ أُمُورَهُمْ إِلَيْهِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس العاشر من دروس سورة (النحل).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتْنِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٤)

التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من دروس سورة (النحل)

الآيتان (٤٣) و (٤٤)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ ﷺ والمقصود إفهامُ المشركينَ والرَّدَّ عَلَيْهِمْ  
فِي اغْتِرَاضِهِمْ عَلَى كَوْنِهِ بَشَرًا مِنَ النَّاسِ.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ إِلَيْهِمْ فَشَئَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ  
لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ  
وَلَعَلَّهُمْ يَفْكُرُونَ﴾ (٤٤).

## القرءات :

(٤٣) • قرأ حفصٌ : [نُوحِي] بِضَمِّيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ .

وقرأها باقي القُرَّاءِ العَشْرَةِ : [يُوحَى] بِنَاءِ الْفِعْلِ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ .

وهي على معنى أَنَّ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ هُوَ الَّذِي يُوحِي .

(٤٣) • قرأ ابنُ كثيرٍ ، والكسائي ، وخلف : [فَسَلُّوا] .

وقرأها باقي القُرَّاءِ العَشْرَةِ : [فَاسْأَلُوا] .

وَهُمَا وَجْهَانِ عَرَبِيَّانِ .

(٤٤) • قرأ حمزة ، ويعقوب : [إِلَيْهِمْ] بِضَمِّ الْهَاءِ .

وقرأها باقي القُرَّاءِ العَشْرَةِ : [إِلَيْهِمْ] بِكَسْرِ الْهَاءِ .

## تَمْهِيد :

فِي آيَتِي هَذَا الدَّرْسِ رَدُّ ضَمْنِيٍّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ اغْتَرَضُوا عَلَى كَوْنِ الرَّسُولِ بَشَرًا رَجُلًا ، يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَيَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، زَاعِمِينَ وَمُوهِمِينَ أَتْبَاعَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلنَّاسِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَلَكًا ، أَوْ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ مَلَكٌ يَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا .

وَقَدْ دَلَّ هَذَا الدَّرْسُ عَلَى أَنَّهُمْ مَا زَالُوا يَقُولُونَ هَذِهِ الْمَقُولَةُ ، وَيُرَدُّونَهَا ، مَعَ سَبْقِ الرَّدِّ عَلَيْهَا فِي نَجْوَى التَّنْزِيلِ ، وَمِنْهُ مَا جَاءَ فِي الْآيَةِ (٧) مِنْ سُورَةِ (الْفِرْقَانِ/ ٤٠ نَزُول) <sup>(١)</sup> .

(١) انظر الملحق الثالث مِنْ مَلَا حِقْ تَدْبِيرِ سُورَةِ (يَس/ ٤١ نَزُول) : «بَيَانُ اغْتِرَاضِ الْأَمَمِ عَلَى بَشَرِيَّةِ الرَّسُلِ» .

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

• ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ﴾ (٤٣):

أي: إِنَّ أَيْمَةَ الشُّرْكِ وَالْكَفْرِ فِي مَكَّةَ يَعْتَرِضُونَ عَلَى كَوْنِكَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ، وَرِجَالًا مِنَ النَّاسِ، تَعِلَّةٌ لِرَفْضِ كَوْنِكَ رَسُولًا مُرْسَلًا مِنْ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَعَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ رُسُلًا بَشَرًا مِنْ قَبْلِكَ، وَكَانُوا رِجَالًا مِنَ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَمُوسَى وَعِيسَى - عَلَيْهِمَا السَّلَام - فَكَيْفَ يُؤْمِنُونَ بِهَؤُلَاءِ رُسُلًا مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا إِلَّا رِجَالًا مِنَ النَّاسِ يُوْحَى إِلَيْهِمْ، ثُمَّ يَجْحَدُونَ رِسَالَاتَكَ، وَأَيَّاتُ صِدْقِهَا دَامِغَةٌ لَهُمْ بِالْمَعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، وَبَيَّاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ الَّذِي أَعْجَزَ اللَّهُ بِهِ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا.

وَبَعْدَ خِطَابِ اللَّهِ رَسُولَهُ ﷺ التَّفَتُّ الْبَيَّانُ الْقُرْآنِيُّ إِلَى الْمَغْنِيِّينَ بِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ:

• ﴿فَسَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ﴾:

هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ اغْتِنَاءً بِتَوْجِيهِ الْخِطَابِ لِلْمُشْرِكِينَ الْمْتَذَرِّعِينَ لِكُفْرِهِمْ بِتَعِلَّةِ بَشَرِيَّةِ الرَّسُولِ، بِغِيَةِ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ مِنْ خِلَالِ مُعْتَقَدَاتِهِمْ...

أَهْلُ الذِّكْرِ: هُمْ أَهْلُ الْكُتُبِ الرَّبَّانِيَّةِ السَّابِقَةِ، الْيَهُودُ، وَالصَّابِئَةُ، وَالنَّصَارَى.

أي: فَإِنَّكُمْ إِذَا سَأَلْتُمُوهُمْ قَالُوا لَكُمْ: إِنَّ رُسُلَنَا كَانُوا رِجَالًا بَشَرًا مِثْلَنَا أَوْحَى إِلَيْهِمْ فَجَعَلَهُمْ أَنْبِيَاءَ، وَأَرْسَلَهُمْ إِلَى أُمَمِهِمْ رُسُلًا، وَلَمْ يَكُونُوا مَلَائِكَةً.

• ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: أي: على افتراضِ أَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ هَذِهِ الْحَقِيقَةَ، مَعَ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَهَا، وَتَتَجَاهَلُونَهَا لِلتَّمَسُّكِ بِتَعْلِيَّتِكُمُ الْبَاطِلَةَ. «إِنْ» الشَّرْطِيَّةُ تُسْتَعْمَلُ فِي الْمَشْكُوكِ فِيهِ، وَفِي الْمَعْلُومِ خِلَافَهُ.

• ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ...﴾: أي: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ، أَرْسَلْنَاهُمْ مَضْحُوبِينَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ.

بِالْبَيِّنَاتِ: أي: بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الْبَاهِرَاتِ، وَهِيَ الْمَعْجَزَاتُ الْخَوَارِقُ الَّتِي يُؤَيِّدُ اللَّهُ بِهَا صِدْقَ رُسُلِهِ.

وَالزُّبُرِ: أي: وَالْكُتُبِ الرَّبَّانِيَّةِ الْمَنْزَلَةَ عَلَى الرُّسُلِ. الزُّبُرِ: جَمْعُ «الزُّبُورِ» وَهُوَ الْكِتَابُ الْمَزْبُورُ، أي: الْمَكْتُوبُ. سَمَّاها اللَّهُ «زُبْرًا» لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْمَطْلُوبَ كِتَابُهَا بِإِتْقَانٍ، لِحِفْظِهَا مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ. وَبَعْدَ هَذَا خَاطَبَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

• ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

أي: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْقُرْآنَ الَّذِي هُوَ ذِكْرُ الْأُمَّةِ الْخَاتِمَةِ لِلْأُمَمِ، لِتُبَيِّنَ مِنْهُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، مِنْ عَقَائِدٍ، وَأَخْلَاقٍ، وَشَرَائِعٍ وَأَحْكَامٍ، وَقَضَايَا هِيَ مِنْ قَضَايَا الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَّاهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ.

أَمَّا مَا فِي هَذَا الذِّكْرِ مِنْ قَضَايَا حَقَائِقِ الْوُجُودِ الَّتِي لَيْسَتْ هِيَ مِنْ قَضَايَا الدِّينِ، فَلَسْتُ يَا مُحَمَّدُ مُكَلَّفًا أَنْ تُبَيِّنَهَا لِلنَّاسِ، وَقَدْ جَعَلْنَاهَا ضِمَّنَ هَذَا الذِّكْرِ الْعَظِيمِ رَغْبَةً مِنَّا فِي أَنْ يَتَفَكَّرُوا فِيهَا، وَيَنْتَفِعُوا بِهَا، وَتَكُونَ شَوَاهِدَ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ لَدُنَّا.

وبهذا تَمَّ تَدَبُّرُ الدَّرْسِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (النحل).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْنَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٥)

## التدبر التحليلي للدرس الثاني عشر من دروس سورة (النحل) الآيات من (٤٥ - ٤٧)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾.

القراءات:

(٤٥) • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [بِهِمُ الْأَرْضَ] بكسرِ الهاء

والميم.

وقراها حمزة، والكسائي، وخلف: [بِهِمُ الْأَرْضَ] بضمِ الهاء

والميم.

وقراها باقي القراء العشرة: [بِهِمُ الْأَرْضَ] بكسرِ الهاء وضم الميم.

(٤٧) • قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص، وأبو جعفر:

[لَرَوْوْفٌ].

وقراها باقي القراء العشرة: [لَرَوْوْفٌ].

وهما وجهان عريَّان في النطق.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس تهديدٌ للكافرين باختِمالاتِ عقابِهِم بِالْخُسْفِ أَوْ بغيرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ عِقَابٍ وَوَسَائِلِهِ فِي الْكَوْنِ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ...﴾: «الفاء» تَعْطِفُ عَلَى مَطْوِيٍّ يُمَكِّنُ مُلَاحَظَتَهُ ذَهْنًا وَتَقْدِيرَهُ: أَمَلَكَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ تَصَارِيفَ الْكَوْنِ، أَوْ كَانَ لَدَيْهِمْ عِلْمٌ مِمَّنْ بِيَدِهِ مَلِكٌ كُلُّ شَيْءٍ وَتَضْرِيفُ الْكَوْنِ عَلَى مَا يَشَاءُ، بِأَنَّهُمْ سَالِمُونَ مِنْ أَحْدَاثِ الْكَوْنِ الْمُهْلِكَةِ، الْمُفْتَرَنَةِ بِالتَّعْذِيبِ فَأَمِنُوا؟؟.

إِنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ تَصَارِيفَ الْكَوْنِ، وَلَيْسَ لَدَيْهِمْ عِلْمٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ بِأَنَّهُمْ سَالِمُونَ مِنْ عَذَابِهِ، فَلْيَتَرَقَّبُوا نُزُولَ عَذَابِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِعَذْلِهِ وَحُكْمَتِهِ.

• ﴿مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾: الْمَكْرُ: تَذْيِيرُ أَمْرٍ فِي خَفَاءٍ، يَكُونُ فِي الْخَيْرِ، وَيَكُونُ فِي الشَّرِّ. وَمَكْرُهُمُ السَّيِّئَاتِ هُوَ تَذْيِيرُ أُمُورِهِمْ فِي خَفَاءٍ، قَاصِدِينَ بِمَكْرِهِمُ السَّيِّئَاتِ ضِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، إِذْلَالَهُمْ، وَالتَّخْلُصَ مِنْهُمْ وَمِنْ دَعْوَتِهِمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَقَاصِدِينَ إِيقَافَ دَعْوَةِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيَّةِ.

ولفظ «السَّيِّئَاتِ» يَشْمَلُ كُلَّ مَا هُوَ قَبِيحٌ وَشَرٌّ يَسُوءُ مَنْ قَصِدَ بِهِ، وَيَسُوءُ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ وَالْخَيْرِ.

وأرى أَنَّ الْفِعْلَ فِي «مَكَرُوا» قَدْ ضُمِّنَ مَعْنَى الْفِعْلِ فِي: «قَصَدُوا» أَوْ فِي: «فَعَلُوا» فَعُدِّي تَعْدِيَّتُهُ، فَأَعْنَتِ الْجُمْلَةُ عَنْ جُمْلَتَيْنِ، وَهَذَا التَّضْمِينُ مِنْ بَدَائِعِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ. وَقَدْ يَكُونُ عَلَى مَعْنَى: مَكَرُوا الْمَكَرَاتِ السَّيِّئَاتِ.

• ﴿... أَن يَخْصِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) أَوْ يَأْخُذْهُمْ فِي ثَغْلِيهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ...﴾:

ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذَا الْبَيَانِ أَرْبَعَةَ اخْتِمَالَاتٍ كُتِلِيَّةٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ إِهْلَاكُهُمْ وَتَعْذِيبُهُمْ بَوَاحِدٍ مِنْهَا، وَهِيَ:

الِاخْتِمَالُ الْأَوَّلُ: دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَنْ يَخْصِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾:

أي: وَإِذَا خَسَفَ بِهِمُ الْأَرْضَ عَذَّبَهُمْ بِهَذَا الْخَسْفِ، وَأَهْلَكَهُمْ وَطَمَرَهُمْ فِي بَاطِنِهَا، فَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ وُجُودٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

الِاخْتِمَالُ الثَّانِي: دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

أي: أَوْ يَأْتِيَهُمْ مَا يَكُونُ بِهِ عَذَابُهُمْ مِنْ مَكَانٍ لَا يَشْعُرُونَ بِأَنَّهُ سَيَأْتِيَهُمْ مِنْهُ، كَأَنْ يَأْتِيَهُمْ مِنْ دَاخِلِ أَجْسَادِهِمْ، كَكَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ الْخَطِيرَةِ الَّتِي تَنْتَشِرُ دَاخِلَ أَجْسَادِهِمْ وَيَكُونُ بِهَا عَذَابُهُمْ الشَّدِيدُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْهُمْ، وَكَأَنْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ وَأَحَبِّهِمْ إِلَيْهِمْ، كَأَوْلَادِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ.

الِاخْتِمَالُ الثَّلَاثُ: دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾:

التَّقْلُبُ فِي الْأُمُورِ: تَصَرُّفُ الْمُتَقَلِّبِ فِيهَا كَيْفَ يَشَاءُ. وَالتَّقْلُبُ فِي الْبِلَادِ: تَنْقُلُ الْمُتَقَلِّبُ فِيهَا حُرّاً أَمِناً.

﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: أي: فَمَا هُمْ بِمُفْلِتِينَ هَارِبِينَ سَابِقِينَ لَا يُدْرِكُونَ، بَلْ نَقْبُضُ عَلَيْهِمْ قَبْضَ إِهْلَاكِ مَعَ تَعْذِيبٍ.

فَالْمَعْنَى: أَوْ يَأْخُذَهُمْ وَيَقْبِضُ عَلَيْهِمْ قَبْضَ إِهْلَاكِ مَعَ تَعْذِيبٍ، فِي حَالِ تَقْلِبِهِمْ فِي حَرَكَةِ حَيَاتِهِمْ لِقَضَاءِ مَصَالِحِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ فِي أَوْطَانِهِمْ أَوْ فِي أَسْفَارِهِمْ آمِنِينَ، فَإِذَا جَاءَتْهُمْ وَسَائِلُ تَعْذِيبِ اللَّهِ لَهُمُ الْمَثْبُوعُ بِإِهْلَاكِهِمْ

فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ هَرَبًا، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ إِفْلَاتًا مِنْ قَبْضَةِ تَعْذِيبِ اللَّهِ وَإِهْلَاكِهٖ إِيَّاهُمْ.

الاحْتِمَالُ الرَّابِعُ: دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾:

أَي: أَوْ يَقْبِضُ عَلَيْهِمْ قَبْضَ تَعْذِيبٍ وَإِهْلَاكِ حَالَةٍ كَوْنِهِمْ يَتَخَوَّفُونَ وَيَتَوَقَّعُونَ الْمَصَائِبَ وَالْبَلَايَا، كَأَحْوَالِ الْحُرُوبِ، وَأَحْوَالِ النَّقْصِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمَرَاتِ، وَأَحْوَالِ الْعَوَاصِفِ الْعَاتِيَةِ، وَالرِّيَّاحِ الطَّاغِيَةِ فِي الْبَرِّ أَوْ فِي الْبَحْرِ، وَأَحْوَالِ السُّيُولِ الْجَارِفَةِ، وَالْبَرَائِكِينَ الشَّائِرَةِ، وَالزَّلَازِلِ الْمَدْمَرَةِ.

يُقَالُ لُغَةً: «خَوْفُهُ بِمَعْنَى فَزَعُهُ فَتَخَوَّفَ» فَفِعْلٌ: «تَخَوَّفَ» مُطَاوَعٌ فِعْلٌ «خَوْفُهُ» وَيُقَالُ لُغَةً: «تَخَوَّفَ الشَّيْءُ» أَي: تَنَقَّصَهُ.

وَمَعْنَى الْخَوْفِ هُوَ الْمَلَائِمُ لِذِكْرِ الْاِحْتِمَالَاتِ الثَّلَاثِ السَّابِقَاتِ فِيمَا أَرَى.

وُخْتِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الدَّرْسَ بِقَوْلِهِ خِطَابًا لِلنَّاسِ:

• ﴿... فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرْؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٤٧):

الرَّؤُوفُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، مَاخُودٌ مِنَ الرَّأْفَةِ، وَهِيَ شِدَّةُ الرَّحْمَةِ.

الرَّحِيمُ: اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَهِيَ صِفَةُ نَفْسِيَّةٌ مِنْ آثَارِهَا الْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ وَدَفْعُ السُّوءِ.

أَي: لَمْ يُعْجَلْ رَبُّكُمْ بِمُعَاقَبَةِ الَّذِينَ مَكْرُوا السَّيِّئَاتِ، بِسَبَبِ أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رُؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بِعِبَادِهِ.

وَجَاءَتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ مُؤَكَّدَةً بِـ «إِنَّ» وَالْمِلَّةِ الْأَسْمِيَّةِ - وَاللَّامِ الْمَرْحَلَةِ. لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يُؤَخَّرْ عِقَابَهُمْ إِهْمَالًا، بَلْ رَأْفَةً



بِهِمْ وَرَحْمَةً لَهُمْ، وَلِيُعْطِيَهُمْ أَوْسَعَ مَدَّةٍ إِمْهَالٍ رَغْبَةً فِي أَنْ يَتُوبُوا وَيُؤْمِنُوا وَيُقْلِعُوا عَنْ مَكْرِهِمُ السَّيِّئَاتِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الثاني عشر من دروس سورة (النحل).

والحمد لله على معاونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحهِ.



(١٦)

### التدبر التحليلي للدرس الثالث عشر من دروس سورة (النحل) الآيات من (٤٨ - ٥٠)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعُهُمْ يَلْبَسُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ  
سُجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا  
يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

القراءات:

(٤٨) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [أَوْ لَمْ يَرَوْا].

وقراها باقي القراء العشرة: [أَوْ لَمْ يَرَوْا].

وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني.

(٤٨) • قرأ أبو عمرو، ويعقوب: [يَتَقَبَّؤُا] بالناء.

وقراها باقي القراء العشرة: [يَتَقَبَّؤُا] بالياء.

وهما وجهان عربيان جائزان.

تَمْهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ إِفْتَاغُ الْكَافِرِينَ بِالسُّجُودِ لِلَّهِ كَمَا تَسْجُدُ لَهُ الْأَشْيَاءُ وَالذَّوَابُّ وَالْمَلَائِكَةُ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ السُّجُودِ لِرَبِّهِمْ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ.

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوْا ظِلَلَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (٤٨) وفي القراءة الأخرى: [أَوْ لَمْ تَرَوْا]: و[تَنْفَعِيوْا].

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: «الواو» عاطفةٌ مِنْ قَبِيلِ عَظْفٍ مَوْضُوعٍ عَلَى مَوْضُوعٍ، وَأُخِّرَتْ عَنِ الهمزة لِأَنَّ الِاسْتِفْهَامَ لَهُ الصَّدَارَةُ فِي الْعَرَبِيَّةِ.

والمرادُ بِالرُّؤْيَةِ الرُّؤْيَةُ الْبَصَرِيَّةُ، الَّتِي يَجِبُ عَلَى أَهْلِ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ أَنْ يُتَّبِعُوهَا بِالرُّؤْيَةِ الْفِكْرِيَّةِ الْهَادِيَةِ إِلَى حَقَائِقِ عِلْمِيَّةٍ فِي كَوْنِ اللَّهِ الْعَجِيبِ.

• ﴿إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾: أَي: إِلَى كُلِّ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ذِي جِسْمٍ حَاجِبٍ لِلضُّوءِ، وَهَذَا يَشْمَلُ الْأَشْيَاءَ وَالْأَحْيَاءَ، وَمِنَ الْأَحْيَاءِ النَّاسُ، وَمِنَ النَّاسِ الْكَفَرَةُ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ السُّجُودِ لِرَبِّهِمْ.

لَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوَانِينِ كَوْنِهِ أَنَّ الْأَجْسَامَ ذَاتَ الْكَثَافَةِ، تَحْجُبُ الضُّوءَ عَنِ اخْتِرَاقِهَا وَالتَّفَازِ فِيهَا إِلَى الْجِهَةِ الْمَقَابِلَةِ لِجِهَةِ الضُّوءِ، لِيَكُونَ لَهَا ظِلٌّ سَاقِطٌ عَلَى الْأَرْضِ سَاجِدٌ كُلُّهُ لِرَبِّهِ تَطَوُّهُ الْأَقْدَامُ، فَفِي الصَّبَاحِ يَكُونُ ظِلُّهُ مُمْتَدًّا عَلَى الْأَرْضِ إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ، وَبَعْدَ الزَّوَالِ يَفِيءُ ظِلُّهُ فَيَمْتَدُّ عَلَى الْأَرْضِ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ، تَبَعًا لِحَرَكَةِ ضِيَاءِ الشَّمْسِ مُنْذُ إِشْرَاقِهَا حَتَّى غُرُوبِهَا.

• ﴿... ظِلَلَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾:

الْفَيءُ: الظِّلُّ بَعْدَ الزَّوَالِ يَنْبَسِطُ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ. يُقَالُ لُعَّةٌ: «فَاءُ الظِّلِّ» أَي: رَجَعَ مِنْ جَانِبِ الْمَغْرِبِ إِلَى جَانِبِ الْمَشْرِقِ.  
وَصِيغَةُ: «يَتَفَيَّأُ» فِيهَا مَعْنَى الْحَرَكَةِ الْمَتَدَرِّجَةِ شَيْئًا فَشَيْئًا.  
سُجَّدًا: جَمْعُ «سَاجِدٍ».

فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَذَلَّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنِ السُّجُودِ لَهُ،  
يَجْعَلُ ظِلَالَهُمْ قَبْلَ زَوَالِ الشَّمْسِ، وَبَعْدَ زَوَالِهَا إِذْ يَفِيءُ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ،  
سَاجِدَةً مُتَبَسِّطَةً عَلَى الْأَرْضِ تَدُوسُهَا الْأَقْدَامُ، وَهُمْ دَاخِرُونَ، أَدْلَاءُ  
صَاغِرُونَ، وَهَذِهِ إِحْدَى ظَوَاهِرِ خُضُوعِ الْأَجْسَادِ لِبَارِئِهَا.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَ أَجْسَادَ النَّاسِ غَيْرَ حَاجِبَةٍ لِلضِّيَاءِ، وَحِينَئِذٍ لَا  
يَكُونُ لَهَا ظِلَالٌ، لَكِنَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - جَعَلَهَا ذَاتَ ظِلَالٍ  
لِيُشْعِرَهُمْ بِإِيْمَاءٍ خَفِيٍّ أَنَّ ظِلَالَهُمْ سَاجِدَةٌ عَلَى الْأَرْضِ لَهُ، بِالْقَهْرِ وَالْجَبْرِ،  
كَمَا أَنَّ أَجْسَادَهُمْ خَاضِعَةٌ لِسُلْطَانِهِ إِيجَادًا وَإِعْدَامًا وَتَصَارِيفَ بِالْقَهْرِ  
وَالْجَبْرِ، وَالْعَاقِلُ الرَّشِيدُ يَجْعَلُ مَا يَمْلِكُ بِإِرَادَاتِهِ مُنْسَجِمًا مَعَ مَا هُوَ فِيهِ  
مَجْبُورٌ، تَجْرِي مَقَادِيرُ اللَّهِ عَلَى وَفْقِ قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَلَا يَشِدُّ  
عَنْهَا مُسْتَكْبِرًا.

وَجَاءَتْ عِبَارَةُ ﴿ظَلَّلَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ  
الْإِنْسَانَ حَيْثُ اتَّجَهَ، وَجَدَ فِي النَّهَارِ ظِلَّهُ وَظِلَّ الْأَشْيَاءِ مِنْ حَوْلِهِ يَتَفَيَّأُ  
مُتَدَرِّجًا، فَإِذَا التَّمَتَ إِلَى جِهَةِ يَمِينِهِ وَأَيْمَانِهِ وَجَدَ هَذَا السُّجُودَ لِظِلِّهِ وَلِظِلِّ  
الْأَشْيَاءِ فِي النَّهَارِ ذِي الشَّمْسِ الْمَشْرِقَةِ، وَإِذَا التَّمَتَ إِلَى جِهَةِ شِمَالِهِ  
وَشَّمَائِلِهِ وَجَدَ هَذَا السُّجُودَ، فَمِنْ الْخَيْرِ لَهُ أَنْ يَكُونَ فِي حَرَكَتِهِ الْإِرَادِيَّةِ  
سَاجِدًا مَعَ السَّاجِدِينَ، وَأَنْ يَجْعَلَ مَا هُوَ فِيهِ مُخْتَارٌ مِثْلَ مَا هُوَ فِيهِ مَجْبُورٌ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَلِلَّهِ سَعْدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا

يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ :

بَعْدَ أَنْ أَبَانَ اللَّهُ أَنَّ ظِلَالَ الْأَجْسَادِ ذَاتِ الْكَثَافَةِ وَمِنْهَا أَجْسَادُ النَّاسِ جَمِيعاً، تَكُونُ عَلَى سَطُوحِ الْأَرْضِ سَاجِدَةً لِرَبِّهَا، وَهِيَ تَذُلُّ بِأَسْلُوبِ الْإِيمَاءِ لِلْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِينَ لَا يَسْجُدُونَ لِرَبِّهِمْ، أَنَّ ظِلَالَ أَجْسَادِهِمْ سَاجِدَةٌ لِلَّهِ رَبِّهَا بِالْجَبْرِ، وَإِنْ اسْتَكْبَرَتْ إِرَادَاتُهُمْ عَنْ جَعْلِ أَجْسَادِهِمْ تَسْجُدُ لِلَّهِ طَائِعِينَ خَاضِعِينَ.

أَبَانَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - أَنَّ كُلَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَابَّةٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سُجُوداً لَا نَذْرَ كَيْفِيَّتُهُ.

وَأَبَانَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَسْجُدُونَ لَهُ جَمِيعاً خَاضِعِينَ لِعَظَمَتِهِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنِ السُّجُودِ لَهُ، فَلَا يُوجَدُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ يَسْتَكْبِرُ عَنِ السُّجُودِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَأَبَانَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَخَافُونَ عِقَابَ رَبِّهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَهُمْ بِخَوْفِهِمْ يَخْضَعُونَ وَيَذَلُّونَ لَهُ.

وَأَبَانَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَفْعَلُونَ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ رَبُّهُمْ، فَلَا يَعْصُونَهُ فِي شَيْءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ.

أي: فَمِنْ الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ وَالرُّشْدِ وَالْإِنْسِجَامِ مَعَ الْكَوْنِ كُلِّهِ، أَنْ لَا يَشِدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، إِذْ أَعْطَاهُمْ رَبُّهُمْ إِرَادَاتٍ حُرَّةً لِيَبْلُوَهُمْ فِيمَا آتَاهُمْ، فَيَسْتَكْبِرُوا عَنِ السُّجُودِ لِلَّهِ رَبِّهِمْ، خُضُوعاً لَهُ وَذُلّاً، بَعْدَ الْإِيمَانِ الصَّحِيحِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (النحل).

والحمد لله على مُعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَنْنَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(١٧)

## التدبر التحليلي للدرس الرابع عشر من دُرُوس سورة (النحل) الآيات من (٥١ - ٥٥)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ ﴾  
 ﴿٥١﴾ وَلَمْ يَأْتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّنْ نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرُ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانِسْتُمْ فَتَمَتُّوْا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ۝

القراءات:

(٥١) • قرأ يعقوب: [فَازَهُبُونِي] بإثبات ياء المتكلم وصلًا ووقفًا.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَازَهُبُونَ] بحذف ياء المتكلم وصلًا ووقفًا.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيان قول قاله الله عزَّ وجلَّ، ووجهه لكل عباده الذين وضعهم في الحياة الدنيا موضع الامتحان، بشأن بعض كليات كبرى من كليات الدين، وبشأن بعض صفات الناس في حالة مسهم الضر ولجوبهم إلى ربهم ليكشف عنهم ما نزل بهم من ضر، فإذا كشفه عنهم إذا فريق منهم برّبهم يشركون، ليتهرّبوا من واجبات إيمانهم برّبهم، وواجبات شكره على نعمه.

التدبر التحليلي:

■ قول الله تعالى بشأن الذين يعبدون إلهين اثنين.

• ﴿٥١﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ ﴿٥٢﴾ :

دَلَّ الْبَيَانُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْمُقْصُودِينَ بِالْمُعَالَجَةِ فِيهَا هُمُ الْمَجُوسُ مِنَ الْفُرْسِ، وَمَنِ اتَّبَعَ دِينَهُمْ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ، وَمِنْهُمْ بَعْضُ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، وَبَعْضُ بَنِي تَمِيمٍ، وَكَذَلِكَ مَنْ اتَّبَعَ دِينَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْأُخْرَى.

فَالْمَجُوسِيَّةُ قَائِمَةٌ عَلَى اثْبَاتِ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ: إِلَهٍ لِلْخَيْرِ، وَهُوَ النُّورُ، وَإِلَهٍ لِلشَّرِّ، وَهُوَ الظُّلْمَةُ.

فَالْإِلَهُ الْخَيْرِ لَا يَصُدُّ عَنْهُ إِلَّا الْخَيْرُ وَالْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ. وَإِلَهُ الشَّرِّ لَا يَصُدُّ عَنْهُ إِلَّا الشَّرُّ وَالضُّرُّ وَالْإِيذَاءُ وَالْإِيْلَامُ.

وَاسْمُ إِلَهِ الْخَيْرِ عَنْدهُمْ: «يَزْدَان».

وَاسْمُ إِلَهِ الشَّرِّ عَنْدهُمْ: «أَهْرُمَن».

وَيُظْهَرُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِيمَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ بَيَانًا مُوجِّهًا لِلْمَجُوسِ فِيهِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لَهُمْ: لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ، فَاعْتِقَادُكُمْ بِالْإِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ اعْتِقَادٌ بَاطِلٌ فَاسِدٌ، إِنَّمَا الْإِلَهُ الْحَقُّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، هُوَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَهُوَ أَنَا، فَإِيَّايَ وَخِدي فَارْهَبُونِي، وَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، وَلَا تُشْرِكُوا بِي أَحَدًا، وَلَا تَرْهَبُوا إِلَهَ الشَّرِّ الَّذِي رَعَمْتُمُوهُ، فَهُوَ بَاطِلٌ لَا وُجُودَ لَهُ.

وَجَاءَ تَوْكِيدُ «إِلَهَيْنِ» بِعِبَارَةِ «اثْنَيْنِ» لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ الْمُقْصُودِينَ بِالْبَيَانِ هُمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْإِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ، وَهُمْ الْمَجُوسُ، وَمَنِ اتَّبَعَهُمْ فَأَمَّنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنَ بِهِ مَجُوسُ الْفُرْسِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿٥٢﴾ وَلَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ :

أي: والله الذي هُوَ الإلهُ الواحد الذي لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ خَلْقًا وَمَلَكًا كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَا يُشَارِكُهُ فِي خَلْقِهَا وَمَلِكِهَا وَالتَّصَرُّفِ فِيهَا أَحَدٌ.

وَلَهُ أَيْضًا وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الدِّينُ وَاصِبًا، أَي: حَالَةٌ كَوْنِهِ دَائِمًا ثَابِتًا.

الْوَاصِبُ: الثَّابِتُ الدَّائِمُ الْوَاجِبُ الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

الدِّينُ: الطَّاعَةُ وَالْإِنْقِيَادُ الْكَامِلُ.

إِنَّهُ لَمَّا كَانَ اللَّهُ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَالتَّصَرَّفَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَمَالِكٌ كُلِّ شَيْءٍ، كَانَ مِنْ حَقِّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَيَنْقَادُوا لَهُ دَائِمًا، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ حَقٌّ عَلَى الْعِبَادِ فِي أَنْ يُطِيعُوهُ وَيَنْقَادُوا لَهُ، مَا لَمْ يَأْمُرْهُوَ جَلَّ جَلَالُهُ بِطَاعَتِهِ وَالْإِنْقِيَادِ لَهُ.

• ﴿... أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ (٥٦): أَي: أَفَبَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ الْجَلِيِّ تَتَّقُونَ عِقَابَ إِلَهٍ الشَّرِّ الَّذِي جَعَلْتُمُوهُ إِلَهًا كَذِبًا وَافْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ، دُونَ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ دَلِيلٌ يُثْبِتُ إِلَهِيَّتَهُ، وَيُثْبِتُ صِحَّةَ تَخَوُّفِكُمْ مِنْهُ وَصِحَّةَ أَنْ تَتَّقُوا عِقَابَهُ وَتَرْهَبُوهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُغْنِيَيْنِ بِالْمَعَالَجَةِ، وَهُمْ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْأَلْهَيْنِ

اثنَيْنِ:

• ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ...﴾ (٥٧): أَي: إِنَّكُمْ تَجْعَلُونَ مَا تَسْتَمْتِعُونَ بِهِ مِنْ نِعَمٍ هُوَ مِنْ أَنْعَامِ إِلَهٍ الْخَيْرِ الَّذِي تُؤْمِنُونَ بِهِ: فِي مُقَابِلِ إِلَهٍ الشَّرِّ الَّذِي تَرْهَبُونَهُ فَتَعْبُدُونَهُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ، مَعَ أَنْ كُلَّ نِعْمَةٍ بِكُمْ هِيَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ، وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا مِنْ إِلَهٍ الْخَيْرِ الَّذِي تُؤْمِنُونَ بِهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وُجُودٌ إِلَّا فِي أَوْهَامِكُمْ.

• ﴿... ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٢﴾﴾:

تَجَارُونَ: تَدْعُونَ وَتَسْتَغِيثُونَ، رَافِعِينَ أَصْوَاتَكُمْ بِالدُّعَاءِ، تَسْأَلُونَ اللَّهَ أَنْ يَكْشِفَ عَنْكُمُ الضُّرَّ.

أي: إِنَّكُمْ تَتَوَهَّمُونَ أَنَّ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ هُوَ مِنْ فَضْلِ إِلَهٍ الْخَيْرِ عَلَيْكُمْ، الَّذِي تُؤْمِنُونَ بِهِ، وَهُوَ بَاطِلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، لَكِنَّكُمْ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ أَمْوَالِكُمْ أَوْ أَرْزَاقِكُمْ، فَإِنَّكُمْ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ رَبِّكُمْ، لِيَكْشِفَ عَنْكُمْ مَا مَسَّكُمْ مِنْ ضُرٍّ، لِأَنَّهُ لَا مُجِيبَ لَكُمْ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا هُوَ، فِيمَا سَبَقَ مِنْ تَجَارِبِكُمْ.

• ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٣﴾﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانِسْتُمْ... ﴿٥٤﴾﴾:

أي: ثُمَّ إِذَا اسْتَجَابَ اللَّهُ رَبُّكُمْ دُعَاءَكُمْ الَّذِي جَأَرْتُمْ بِهِ إِلَيْهِ، رَحْمَةً وَرَأْفَةً بِكُمْ، فَاجَأَ فَرِيقٌ مِنْكُمْ فَأَعْلَنُوا شِرْكَهُمْ بِرَبِّهِمُ الْمُهْنِمِينَ بِصِفَاتِ رَبُّوبِيَّتِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِيهِمْ، وَفِي كُلِّ الْكُونِ مِنْ حَوْلِهِمْ، فَجَعَلُوا يَنْسُبُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْهُمْ إِلَى الْإِلَهِ الْبَاطِلِ الَّذِي يُؤْمِنُونَ بِهِ، أَوْ إِلَى أَسْبَابٍ يَجْعَلُونَهَا مُنْفَصِلَةً عَنِ إِرَادَةِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، يَفْعَلُونَ هَذَا لِأَجْلِ أَنْ يَكْفُرُوا جَاحِلِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، حَتَّى لَا يَلْتَزِمُوا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ رَبِّهِمْ، وَالْقِيَامِ بِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ عَلَى مُرَادِهِ، فِي الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِعِبَادِهِ.

هَذَا الْمَوْقِفُ الْجُحُودِيُّ الْإِشْرَاقِي اسْتَدْعَى أَنْ يَقُولَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ بِأَسْلُوبِ الْإِلْتِقَاتِ مُهْدَدًا وَمُتَوَعِّدًا:

• ﴿... فَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾: أي: فَمَتَّعُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ رَبُّكُمْ بِهِ عَلَيْكُمْ، فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ يَوْمَ الدِّينِ تَحْقِيقَ مَا تُوَعَّدُونَ بِهِ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ فِي الْجَحِيمِ، خَالِدِينَ فِيهَا، جَزَاءَ كُفْرِكُمْ بِرَبِّكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ، لَكِنَّكُمْ تَجْحَدُونَ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الرابع عشر من دُرُوس سورة (النحل).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، وميثه، وفتحِهِ.



(١٨)

## التدبر التحليلي للدرس الخامس عشر من دروس سورة (النحل) الآيات من (٥٦ - ٦٢)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَسْتُلْزَمَ عَمَّا كُتِبَ تَفَرُّونَ ۖ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۖ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَكَلِيمٍ ۖ ﴿٥٨﴾ بَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۖ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَاحِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَنْقِذُونَ ۖ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْمُسْتَقَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ۖ﴾ ﴿٦٢﴾

### القراءات:

(٦١) • قرأ ورش، وأبو جعفر: [يُؤَاخِذُ] و[يُؤَخِّرُهُمْ] بإبدال الهمزة واواً.

وقراها باقي القراء العشرة: [يُؤَاخِذُ] و[يُؤَخِّرُهُمْ].

(٦٢) • قرأ نافع: [مُفْرَطُونَ] بكسر الراء، من فعل «أَفْرَطَ» أي: متجاوزون حدود الحق والخير يغلَو.

وقراها أبو جعفر: [مُفْرَطُونَ] بتشديد الراء مكسور وفتح الفاء، أي: مُفْرَطُونَ بما يجب عليهم تُجَاه رَبِّهِمْ، وهو نظير «مُفْرَطُونَ» إلا أنه من المضعف.

وقراها باقي القراء العشرة: [مُفْرَطُونَ] بفتح الراء، أي: مُقَدَّمُونَ لعذاب النار، بسبب غلوهم في الكفر والجُحود.

تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَّانُ افْتِرَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْأَحْكَامَ عَلَى اللَّهِ، فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ. وَفِيهَا بَيَّانُ ادْعَائِهِمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، وَفِيهَا مُعَالَجَتُهُمْ بِالْإِنذَارِ بِعِقَابِ اللَّهِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ بَعْضِ افْتِرَاءَاتِ الْمُشْرِكِينَ:

• ﴿وَجَعَلُوا لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَتَّىٰ عَمَّا كُتِبَ لَهُمْ يَنْفَرُونَ﴾ (٥٦):

أي: وَيَجْعَلُ الْمُشْرِكُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ لَهُمْ رُبُوبِيَّةً وَلَا إِلَهِيَّةً، وَإِنَّمَا اتَّخَذُوهُمْ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ افْتِرَاءً عَلَيْهِ، نَصِيبًا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ رَبُّهُمْ، فَيَتَقَرَّبُونَ لِإِلَهَتِهِمْ الْبَاطِلَةَ بِالْقَرَابِينَ، وَبِالْأَرْزَاقِ الَّتِي يَسْطُو عَلَيْهَا سَدَنَةُ هَذِهِ الْآلِهَةِ، وَيَحْرُضُونَ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ بَذْلِهَا، وَيَضْعُونَ أَكَاذِيبَ انْتِفَاعِ الْمُشْرِكِينَ فِي مَطَالِبِ حَيَاتِهِمْ، إِذَا هُمْ بَذَلُوا لِإِلَهَتِهِمْ مِنَ الْأَوْثَانِ الْقَرَابِينَ مِنَ الذَّبَائِحِ، وَالْأَرْزَاقِ مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَالْأَمْوَالِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

النَّصِيبُ: الْحِظُّ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ.

لَقَدْ كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يَبْذُلُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ رَبُّهُمْ، فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ الَّتِي دَعَا عِبَادَهُ لِلْبَذْلِ فِيهَا، لَا أَنْ يَبْذُلُوا فِيمَا جَعَلُوهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ وَكُفْرًا بِهِ، وَهَذَا مِمَّا شَدَّدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ التَّحْذِيرَ مِنْهُ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ الْخُلُودَ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ لِأَنَّهُ كَفَرُ بِهِ، فَمَنْ مَاتَ عَلَىٰ شِرْكِهِ، كَانَ يَوْمَ الدِّينِ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ مِنَ الْخَالِدِينَ.

وَتَشْدِيداً فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الشُّرْكِ وَلَوَازِمِهِ فِي السُّلُوكِ، تَوَجَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِخِطَابِهِمْ عَلَى طَرِيقَةِ الْإِنْفَاتِ، فَقَالَ لَهُمْ مُؤَكِّدًا.

• ﴿... تَأْتِيهِمْ لَئْسَ لَكَ عَنْهُمْ كُفْرٌ تَقْرُونَ﴾ (٥٦):

يُقَسِّمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ بِعِبَارَةِ ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ عَلَى أَنَّهُمْ سَوْفَ يُسْأَلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مُحْكَمَةِ الْعَدْلِ الرَّبَّانِيَّةِ عَمَّا كَانُوا يَقْتَرُونَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَى رَبِّهِمْ، فِي قَضَايَا الدِّينِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِ رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ.

وفي ذِكْرِ السُّؤَالِ كِنَايَةً عَنْ لَوَازِمِهِ، مِنَ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ، ثُمَّ تَنْفِيذِ الْجَزَاءِ الَّذِي صَدَرَ بِهِ الْحُكْمُ الرَّبَّانِي، وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ الْخُلُودُ فِي عَذَابِ النَّارِ لِأَنَّهُمْ بِافْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ رَبِّهِمْ كَانُوا كَافِرِينَ، وَمَاتُوا عَلَى ذَلِكَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ كَبِيرَةٍ أُخْرَى مِنْ افْتِرَاءَاتِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى

رَبِّهِمْ:

• ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ

بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩):

زَعَمَتْ بَعْضُ قِبَائِلِ الْعَرَبِ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، وَذَكَرَ مِنْهُمَا: «كِنَانَةُ» وَ«خُرَاعَةُ» فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِهِمْ مُلُومًا وَمُعْجِبًا مِنْ افْتِرَائِهِمْ عَلَى اللَّهِ رَبِّهِمْ:

• ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ﴾: أَي: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ بِالْافْتِرَاءِ الْقَوْلِيَّ

وَالْاِعْتِقَادِيَّ لِلَّهِ رَبِّهِمْ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ الْبَنَاتِ، إِذْ يَقُولُونَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ.

وَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَقُولَتَهُمُ الْكَاذِبَةَ هَذِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ أَي: تَنَزَّهَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ فِرْيَتِهِمْ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ السُّقُوطِ وَالْبُطْلَانِ، فَالْخَالِقُ الْأَزَلِيُّ الْأَبَدِيُّ لَا زَوْجَةَ لَهُ وَلَا وَلَدَ بِالْوُجُوبِ الْعَقْلِيِّ.

سُبْحَانَ: اسْمٌ عَلَّمَ لِمَعْنَى الْبَرَاءَةِ وَالتَّنْزِيهِ.

وهو في موضعِ المضدِرِّ، والأصل في العبارة: أَسْبَحْهُ تَسْبِيحاً.

• ﴿... وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ۝٥٧﴾: أي: وَلَهُمْ يَطْلُبُونَ مَا يَشْتَهُونَ، وَمَا يَشْتَهُونَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ أَوْلَادُ ذُكُورٍ يَعْتَزُّونَ بِهِمْ، وَيَكُونُونَ لَهُمْ عَوْنًا فِي الْحَيَاةِ، فَكَيْفَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ رَبِّهِمُ الْبَنَاتِ، وَهُمْ يَرْغَبُونَ فِي الْبَنِينَ الذُّكُورِ رغبة شديدة.

يُقَالُ لُغَةً: «اشْتَهَى الشَّيْءَ» أي: اشْتَدَّتْ رَغْبَتُهُ فِيهِ.

• ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨﴾:

أي: وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ بَزْعِمَهُنَّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ، إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِأَنَّهُ وُلِدَتْ لَهُ مِنْ زَوْجَتِهِ مَوْلُودَةٌ أُنْثَىٰ اسْوَدَّ وَجْهُهُ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ، فَظَهَرَتْ عَلَيْهِ مَلَامِحُ كُذْرَةٍ فِيهَا سَوَادٌ، عَلَامَةٌ عَلَى كَرَاهِيَّتِهِ لِمَا بُشِّرَ بِهِ، وَظَلَّ طَوَالَ نَهَارِهِ كَثِيبًا مُسْوَدًّا الْوَجْهِ.

يُقَالُ لُغَةً: «ظَلَّ نَهَارَهُ يَفْعَلُ كَذَا» لَا يُقَالُ هَذَا إِلَّا فِي النَّهَارِ. وَقَدْ يَسْتَعْمَلُ «ظَلَّ» بِمَعْنَى الدَّوَامِ، فيقال: «ظَلَّ فُلَانٌ عَلَى طَاعَتِهِ» بِمَعْنَى دَاوَمَ عَلَيْهَا.

• ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: أي: وَهُوَ مُمَسِكٌ عَلَى مَا امْتَلَأَتْ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ غَيْظٍ أَوْ كَرَاهِيَةٍ أَوْ غَضَبٍ. يُقَالُ لُغَةً: «كَظَمَ السَّقَاءُ يَكْظُمُهُ» أي: مَلَأَهُ وَسَدَّ فَاهُ. وَاخْتِيرَ فِي الْآيَةِ اسْتِعْمَالُ كَلِمَةِ: «بُشِّرَ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَبَرَ الْخَبَرَ بَشَارَةً سَارَةً.

• ﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾...: أي: يَسْتَحْفِي وَيَسْتَتِرُ مِنْ مَعَارِفِهِ مِنْ قَوْمِهِ، مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ، حَتَّى لَا تَظْهَرَ قَسَمَاتُ وَجْهِهِ الْكَالِحَةِ الدَّالَّةُ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِ مِنْ كَرَاهِيَةٍ لِمَا أُخْبِرَ بِهِ مِنْ مَوْلُودَةٍ لَهُ أُنْثَىٰ.

• ﴿... أَيْمُسِكُمْ عَلَى هُوْبٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ...﴾ ﴿٥٩﴾ :

الهُون: الخِزْيُ والدَّلَّةُ.

يَدُسُّهُ: أي: يُخْفِيهِ وَيَسْتُرُهُ. وَدَسَّهُ فِي التُّرَابِ هُو قَتْلُهُ وَأَدَا فِي تُرَابِ الْأَرْضِ، كَعَادَةِ بَعْضِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

أي: تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ حِينَ يُبَشِّرُ بِمَوْلُودَةٍ لَهُ أَنْثَى بِحَدِيثَيْنِ وَعَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ أَحَدَهُمَا:

الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ: أَيْمُسِكَ هَذَا الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ عَلَى تَحْمِلِ خِزْيٍ وَذَلَّةٍ فِي مَعَارِفِهِ مِنْ قَوْمِهِ، فَلَا يَتَخَلَّصُ مِنْهُ بِالْقَتْلِ وَأَدَا فِي تُرَابِ الْأَرْضِ؟!

الحديث الثاني: أَمْ يَدُسُّهُ فَيُخْفِيهِ وَيَسْتُرُهُ وَأَدَا فِي تُرَابِ الْأَرْضِ، وَيَتَخَلَّصُ مِنْهُ، حَتَّى لَا يَكُونَ بَيْنَ قَوْمِهِ خَزْيَانٍ مُنْكَسِرًا، لِأَنَّ قَوْمَهُ يُعَيِّرُونَهُ أَبَا الْبَنَاتِ؟؟.

وَفِي آخِرِ هَذَا الْبَيَانِ بِشَأْنِ بَعْضِ مَفَاهِيمِ الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

• ﴿... أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ :

«أَلَا» أَدَاةُ اسْتِفْتَاحٍ، وَتَنْبِيْهِ، وَتَحْقِيقٍ.

«سَاءَ» فِعْلٌ يُقَالُ فِي إِنْشَاءِ الذَّمِّ عَلَى سَبِيلِ الْمَبَالِغَةِ.

﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ مِنْ أَحْكَامِ جَاهِلِيَّةٍ لَا عَقْلَ فِيهَا وَلَا رُشْدَ، وَلَا عَدْلَ وَلَا حِكْمَةَ، إِذْ يُفَضِّلُونَ الذُّكُورَ مِنَ الْمَوَالِيدِ، وَيَكْرَهُونَ أَنْ تُوَلَدَ لَهُمُ الْإِنَاثُ، مَعَ أَنَّ نِظَامَ تَنَاسُلِ الْأَبْنَاءِ فِي الْكَوْنِ بِحَسَبِ تَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا بِالذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ، فَالذُّكُورُ أَشِقَاءُ الْإِنَاثِ، وَالْإِنَاثُ شَقِيقَاتُ الذُّكُورِ فِي نِظَامِ تَكَاثُرِ الْأَحْيَاءِ.

وَمَا لَهُمْ يُفَضِّلُونَ الْإِنَاثَ فِي الْأَنْعَامِ عَلَى الذُّكُورِ، لِأَنَّ الْإِنَاثَ يِلْدَنَ الْأَنْسَالَ الْكَثِيرَةَ الْمُرَبِّحَةَ لَهُمْ، أَمَّا الذُّكُورُ فَيَكْنِيهِ الْوَاحِدُ مِنْهَا لِتَلْقِيحِ قَطِيعٍ مِنْ نَوْعِهِ؟

إِنَّ أَحْكَامَهُمُ الْجَاهِلِيَّةَ مِنْ أَسْوَأِ الْأَحْكَامِ وَأَقْبَحِهَا .

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًّا أَنَّ سَبَبَ كَبَوَاتِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي أَحْكَامِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا جَزَاءُ :

● ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦٠) :

السَّوْءُ : بفتح السين، اسمٌ للضُّرِّ، وسوءُ الحَالِ، والعَذَابِ .

﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ : أي : وَصَفُ سُوءِ الحَالِ، وسوءِ المَصِيرِ، وسوءِ الضُّرِّ الَّذِي أَعَدَّ لَهُمْ وسوءِ العَذَابِ .

وَقَدْ جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْحَدِيثُ عَنِ الْمَشْرِكِينَ الَّذِينَ سَبَقَ فِي الْآيَاتِ مِنْ (٥٦ - ٥٩) بَيَانُ بَعْضِ كِبَائِرِهِمُ الْكُفْرِيَّةِ بِعُنْوَانِ، الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ، لِلذَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ لَوْ آمَنُوا بِالْآخِرَةِ لَمْ يَسْقُطُوا فِي هَذِهِ الْكِبَائِرِ الْكُفْرِيَّةِ، وَالْأَحْكَامِ الشَّيْعَةِ ذَاتِ الْقُبْحِ الشَّدِيدِ .

والمعنى : لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِأَمْثَالِهِمْ، وَصَفُ السَّوْءِ، إِذْ سَوْفَ يَكُونُ مِنْ وَصْفِهِمْ أَنَّهُمْ فِي أَسْوَأِ حَالٍ، وَأَسْوَأِ مَصِيرٍ، وَأَسْوَأِ عَذَابٍ، إِذَا لَمْ يَتُوبُوا بَلْ مَاتُوا عَلَى شِرْكِهِمْ وَكُفْرِيَّاتِهِمْ .

● ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ : أي : وَلِلَّهِ الَّذِي جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، وَافْتِرَاءً عَلَى مَا يَجِبُ لَهُ مِنْ صِفَاتٍ، وَالَّذِي زَعَمُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُهُ، الْوَصْفُ الْأَعْلَى فِي كُلِّ شَيْءٍ، فِي ذَاتِهِ، وَفِي صِفَاتِهِ النَّفْسِيَّةِ، وَفِي أَعْمَالِهِ الْحَكِيمَةِ، وَفِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى . إِذْ لَهُ الْكَمَالُ كُلُّهُ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ .

● ﴿... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦١) : أي : وَهُوَ الْقَوِيُّ الْغَالِبُ الْقَادِرُ عَلَى عِقَابِ مَنْ يَشَاءُ عِقَابَهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُصَاةِ الْمُجْرِمِينَ، وَهُوَ

الْحَكِيمُ فِيمَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، وَقَدْ تَقْتَضِي حِكْمَتُهُ إِمْهَالَ الْعَصَاةِ الْمُجْرِمِينَ،  
فَيُؤَخِّرُ عِقَابَهُمْ بِحِكْمَتِهِ، لِيَمْنَحَهُمْ أَقْصَى زَمَنٍ يُرَاجِعُونَ فِيهِ أَنْفُسَهُمْ، فَيُؤْمِنُوا  
وَيَتُوبُوا وَيُقْلِعُوا عَنْ كِبَائِرِهِمُ الْكُفْرِيَّةِ، وَيَعْمَلُوا مِنَ الصَّالِحَاتِ.

فَمِنْ حِكْمَتِهِ أَنْ لَا يُعَجِّلَ لِلنَّاسِ مُوَاخَذَتَهُ لَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، وَبَيَانًا  
لِهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ التَّالِيَةِ.

• ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى  
أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٦١):

أي: وَلَوْ يُتَابِعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوَاخَذَةَ النَّاسِ بِالْعِقَابِ، بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ  
الَّذِي يَسْتَحِقُّونَ بِهِ التَّعْذِيبَ وَالْإِهْلَاكَ، مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ  
تَدْبُّ عَلَيْهَا، حَتَّى الْأَحْيَاءِ الَّتِي لَمْ تُوضَعْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ  
الامْتِحَانِ.

إِنَّ إِهْلَاكَ الْأَحْيَاءِ الْأُخْرَى مَعَ النَّاسِ فِيمَا لَوْ أَرَادَ اللَّهُ إِهْلَاكَ النَّاسِ،  
يَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ دَوَابِّ الْأَرْضِ مَخْلُوقَةٌ لِأَجْلِ النَّاسِ، فَإِذَا أَهْلِكَ النَّاسُ  
لَمْ يَكُنْ لِهَذَا الْأَحْيَاءِ غَايَةٌ حَكِيمَةٌ يَبْقُونَ بِسَبَبِهَا فِي الْوُجُودِ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا.

وَلَكِنْ يُؤَخِّرُ اللَّهُ بِإِمْهَالِهِ الْحَكِيمِ مُوَاخَذَةَ النَّاسِ الظَّالِمِينَ، إِلَى أَجَلٍ  
مُحَدَّدٍ مُّسَمًّى عِنْدَهُ، فَإِذَا اقْتَرَبَ أَجَلُ مُوَاخَذَتِهِمْ بِمُقْتَضَى حِكْمَةِ اللَّهِ - جَلَّ  
جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ تَأْخِيرَ نُزُولِ عَذَابِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ  
لَحْظَةً وَاحِدَةً، وَإِذَا كَانَ فِي الْأَجَلِ مُهْلَةٌ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ تَعْجِيلَ إِنْزَالِ  
عِقَابِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ لَحْظَةً وَاحِدَةً.

اسْتَأْخَرَ: أي: «تَأَخَّرَ» لُغَةً.

اسْتَقْدَمَ: أي: «تَقَدَّمَ» لُغَةً.

وقد جاء في الآية (٣٤) من سورة (الأعراف/ ٣٩ نزول) نَظِيرُ هَذِهِ العبارة: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فليُرْجَعْ إِلَى تَدْبِيرِهَا.

والمراد بالسَّاعَةِ أَقْلُ مُدَّةٍ زَمَنِيَّةٍ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحَدِّدُ أَجَالَ الْأَشْيَاءِ، بِأَقْلِ الْأَزْمَانِ الَّتِي تَبْدَأُ عِنْدَهَا أَحْدَاثُ كَوْنِهِ، وبأَقْلِ الْأَزْمَانِ الَّتِي تَنْتَهِي عِنْدَهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُضِيفُ بَيَانَ بَعْضِ قَبَائِحِ الْمُشْرِكِينَ الْكَفَرَةَ الْمَجْرَمِينَ:

• ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جُرْمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ وَأَنْتُمْ مُفْرَطُونَ﴾ (٦٢):

وفي قراءة [مُفْرَطُونَ]. وفي قراءة أُخْرَى: [مُفْرَطُونَ].

أَبَانَتْ هَذِهِ الْآيَةُ كِبِيرَتَيْنِ شَنِيعَتَيْنِ مِنْ افْتِرَاءِ تِلْكَ عَلَى رَبِّهِمْ:

الكَبِيرَةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: أَي: وَيَجْعَلُونَ بِالْإِدْعَاءِ الْكَاذِبِ الْمَفْتَرَى لِلَّهِ الْأَزَلِّيِّ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَكْرَهُونَ نَظِيرَهُ لِأَنْفُسِهِمْ. وَيَجْعَلُونَ فِي سَبِيلِهِ مِنَ الْقُرْبَاتِ مَا يَكْرَهُونَ نَظِيرَهُ لِأَنْفُسِهِمْ.

• إِنَّهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ شَرِيكٌ فِي سُلْطَانِهِمْ، أَوْ مُمْتَلَكَاتِهِمْ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ شَرِيكاً أَوْ شُرَكَاءَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

• وَيَتَقَرَّبُونَ إِلَى آلِهَتِهِمْ بِالْقَرَابِينِ وَبِالْعَطَايَا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ شَيْئاً مِنْهَا لِلَّهِ وَشَيْئاً مِنْهَا لِأَصْنَامِهِمْ، عَلَى سَبِيلِ الْعِبَادَةِ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ مِثْلَ هَذَا لِأَنْفُسِهِمْ فِيمَا يُقَدِّمُهُ عِبِيدُهُمْ لَهُمْ مِنْ تَكْرِيمٍ أَوْ تَعْظِيمٍ وَتَبَجِيلٍ، فَإِذَا أَشْرَكُوا مَعَهُمْ أَحَدًا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ بِذَلِكَ غَضِبُوا.



• وَإِذَا بَدَأَ لَهُمْ أَنْ يَبَذُلُوا شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَذَوِي الضَّرُورَاتِ وَذَوِي الْحَاجَاتِ، بَذَلُوا أَحْسَنَ وَأَرْذَلَ وَأَرَادُوا مَا يَمْلِكُونَ، وَهُمْ يَكْرَهُونَ مِثْلَ هَذَا لِأَنْفُسِهِمْ.

الكبيرة الثانية: دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾: أي: وَيَدْعُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ادِّعَاءَ كَذِبًا أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ الْمَنْزِلَةَ الْحُسْنَى فِي الْجَنَّةِ، إِنَّ صَحَّ خَبَرُ الْبَعْثِ وَيَوْمَ الدِّينِ، وَخَبَرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قِيَاسًا عَلَى مَا هُمْ فِيهِ مُفَضَّلُونَ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَجَاءَ التَّغْيِيرُ بِأَنَّ أَلْسِنَتَهُمْ تَصِفُ الْكَذِبَ، إِذْ زَعَمُوا أَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى فَرَضِ صِدْقِ الْخَبَرِ فِيهِ الْمَنْزِلَةَ الْحُسْنَى فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ فِيمَا أَرَى عَلَى تَقْدِيرِ: وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْوَصْفَ الْكَذِبَ، وَهُوَ وَصَفُ حَالِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ عَلَى فَرَضِ صِحَّةِ خَبَرِ يَوْمَ الدِّينِ، إِذْ يَقُولُونَ: إِنَّ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا الْحُسْنَى، وَإِنَّا سَنَكُونُ أَنْعَمَ حَالًا مِمَّا نَحْنُ الْآنَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا. نظير قول صَاحِبِ الْجَنَّتَيْنِ لِمُحَاوِرِهِ الْمُؤْمِنِ، كَمَا سَبَقَ بَيَانُ جَوَارِهِمَا فِي سُورَةِ (الكهف/ ٦٩ نزول):

• ﴿وَمَا أَطُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَيَّ لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ ﴿٦٦﴾.

وَجَاءَ التَّغْلِيْقُ الرَّبَّانِيُّ عَلَى ادِّعَائِهِمُ الْكَاذِبِ بَيَانِ نَقِيضِ مَا زَعَمُوا فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآيَةِ:

﴿... لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُقَرَّنُونَ﴾ ﴿٦٧﴾.

• ﴿لَا جَرَمَ﴾: عبارة تُسْتَعْمَلُ لِتَوْكِيدِ الْكَلَامِ وَتَوْثِيقِهِ، فَهِيَ بِمَنْزِلَةِ «حَقًّا - لَا بُدَّ - لَا شَكَّ - لَا مَحَالَةَ» وَأَصْلُ مَعْنَى الْجَرَمِ الْقَطْعُ. أي: لَيْسَ حَالُهُمْ كَمَا يَزْعُمُونَ، بَلِ الْحَقُّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ يُعَذَّبُونَ فِيهَا خَالِدِينَ.

• ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾: أي: وَأَنَّهُمْ مُّقَدَّمُونَ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ فِي دُخُولِ النَّارِ، لِفَرَطِ غُلُوِّهِمْ فِي الْكُفْرِ الْجُحُودِيِّ الْعِنَادِيِّ.

• ﴿وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ في قراءة نافع، أي: غَالُونَ مُتَجَاوِزُونَ كُلَّ حُدُودِ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ، وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ تَجَاهَ رَبِّهِمْ، وَكَذَلِكَ قِرَاءَةُ أَبِي جَعْفَرٍ: [مُفَرِّطُونَ].

وبهذا انتهى تدبر الدرس الخامس عشر من دروس سورة (النحل).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، وميثقه، وفتحِهِ.



(١٩)

### التدبر التحليلي للدرس السادس عشر من دروس سورة (النحل) الآيتان (٦٣) و(٦٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِيقًا مِّنَ الشَّيْطَانِ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ  
وَلِيُّهُمْ يَوْمَ الْيَوْمِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي  
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

القراءات:

(٦٣) • قرأ قَالُون، وأبو عمرو، والكِسَائِيُّ، وأبو جعفر: [فَهُوَ]

بإسكان الهاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَهُوَ] بِضَمِّ الهاء.

تمهيد:

فِي آيَتِي هَذَا الدَّرْسِ بَيَّانٌ أَنَّ أُمَّمًا كَثِيرَةً مِنْ قَبْلِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَدْ

أَرْسَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا يُعَذِّبُهُمْ بِهِ يَوْمَ الدِّينِ.

وفيهما بَيَانُ وَظِيفَةٍ مِنْ وَظَائِفِ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْخَاتِمَةِ، وَهِيَ أَنَّ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ فِي قَضَايَا الدِّينِ، وَيُبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ الْقُرْآنَ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ لِأَمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَخَطَابًا لَهُ:

● ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَرَثَتُهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣):

التوكيد بِالْقَسَمِ ﴿تَاللَّهِ﴾ وبعبارة ﴿لَقَدْ﴾ مُوجَّهَةٌ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ، وَلِكُلِّ الْمَلَلِ الَّتِي لَهَا بَقَايَا بَعْدَ بَعَثَةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، مِنَ الَّذِينَ سَبَقَ أَنْ أَرْسَلَ اللَّهُ لَهُمْ رَسُولًا.

أي: نُقَسِّمُ وَنُؤَكِّدُ أَنَّنَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئُونَ، فَاسْتَجَابَ مَنِ اسْتَجَابَ مِنْهُمْ لِرُسُلِنَا فِي دَعَوَاتِهِمْ إِلَى الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَيْنَاهُ لِعِبَادِنَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ انْحَرَفَ خَلْفُهُمْ عَنِ صِرَاطِنَا الْمُسْتَقِيمِ إِيْمَانًا، وَإِسْلَامًا، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءَ وَرَغَبَاتِ نَفْسِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ، فَانْسَاقُوا مَعَ الشَّيْطَانِ فِي تَزْيِينَاتِهِ، حَتَّى خَرَجُوا عَنِ صِرَاطِنَا الْمُسْتَقِيمِ.

فَمَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْهُمْ بَعْدَ بَعَثِكَ، فَالشَّيْطَانُ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، يَسُوقُهُمْ أَوْ يَقُودُهُمْ إِلَى حَضِيضٍ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَكُونُوا مِنَ الْخَالِدِينَ فِي عَذَابِ السَّعِيرِ.

وَلَايَةُ الشَّيْطَانِ لَهُمْ هِيَ وَلَايَةُ آمِرٍ وَنَاهٍ وَدَاعٍ إِلَى الشُّرُورِ وَالْآثَامِ، لَا وَلَايَةُ مُحَبٍّ وَنَاصِرٍ.

• ﴿... وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣): أي: وَلَهُمْ مِنَ الصِّفَاتِ الْمَلَاذِمَةِ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ عَذَابٌ أَلِيمٌ، يُعَذِّبُونَهُ فِي الْجَحِيمِ، بِحَسَبِ ذَرَكَاتِهِمُ الْمُعَادِلَةِ لِحَرَائِمِهِمُ الَّتِي أَجْرَمُوهَا فِي حَيَاةِ الْإِنْبِلَاءِ فِي الدُّنْيَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ ﷺ:

• ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦٤):

فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانٌ قَصُرِ انْزَالِ الْكِتَابِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ عَلَى غَرَضَيْنِ رَئِيسَيْنِ:

**الغرض الأول:** أَنْ يُبَيِّنَ الرَّسُولُ ﷺ، وَحَمَلَهُ رِسَالَتِهِ مِنْ أُمْتِهِ، لِلْمُتَمَيِّنِ إِلَى الْمَلَلِ السَّابِقَةِ الَّتِي حَرَفَهَا أَتْبَاعُهَا عَنْ أَصُولِهَا، الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ عَنِ الْحَقِّ الْمَنْزَلِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى الرُّسُلِ السَّابِقِينَ، لِيَعْلَمُوا مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ بَاطِلٍ خَارِجٍ عَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، فَعَسَى أَنْ يَسْتَجِيبَ مِنْهُمْ أَهْلُ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ وَالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، فَيُؤْمِنُوا وَيُسَلِّمُوا وَيَتَّبِعُوا مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ الْخَاتَمُ مُحَمَّدٌ ﷺ.

دَلَّ عَلَى هَذَا الْعَرَضِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

**الغرض الثاني:** أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ لَدَيْهِمُ الْإِسْتِعْدَادُ النَّفْسِيُّ وَالْقَلْبِيُّ، لِأَنْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ الْخَاتَمُ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَهَذَا يَشْمَلُ النَّاسَ جَمِيعاً بَعْدَ بَغْثَةِ الرُّسُولِ.

دَلَّ عَلَى هَذَا الْغَرَضِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

أي: وَهُوَ هُدًى يَهْدِي إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي يُوَصِّلُ سَالِكِيهِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

وَهُوَ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ يَرْحَمُ بِهَا مَنْ اهْتَدَى بِهِدَاهُ وَعَمِلَ بِأَحْكَامِهِ، فَيُصْرِفُ عَنْهُ شَقَاءَ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْآخِرَةِ، وَيَجْعَلُهُ مِنَ الْخَالِدِينَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

وفعل: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ فَعَلُ مُضَارِعٌ يَصْلُحُ لِلْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ، وَبِالنَّسْبَةِ إِلَى دَلَالَتِهِ عَلَى الْإِسْتِقْبَالِ يُحْمَلُ عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي ذَكَرْتُهُ آنفًا، وَهُوَ أَنَّ الْقُرْآنَ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ لَدَيْهِمُ الْإِسْتِعْدَادُ النَّفْسِيُّ وَالْقَلْبِيُّ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ إِذَا عَرَفُوا الْحَقَّ وَالْخَيْرَ وَفَضَائِلَ السُّلُوكِ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس السادس عشر من دروس سورة (النحل).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، وميته، وفتحيه.



(٢٠)

التدبر التحليلي للدرس السابع عشر من دروس سورة (النحل)

الآيات من (٦٥ - ٧٢)

قال الله عز وجل:

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِكَيْ تُنْقِصُوا مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ وَدَمَرُوا لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَتَنَجِدُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

### القراءات :

(٦٦) • قرأ نافع، وابن عامر، وشعبة، ويعقوب [نَسْقِيكُمْ] من فعل: «سَقَى».

وقراها أبو جعفر: [نَسْقِيكُمْ] أي: الأنعام.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [نُسْقِيكُمْ] من فعل: «أَسْقَى».

(٦٨) • قرأ وزش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: [يُبُونَا] بضمّ الباء.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [يُبُونَا] بكسر الياء. وهما لغتان.

(٦٨) • قرأ ابن عامر، وشعبة: [يَعْرُشُونَ] بضمّ الراء.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [يَعْرُشُونَ] بكسر الراء.

وهما لغتان عريتان لمعنى واحد.

(٧١) • قرأ شعبة، ورؤيس: [تَجْحَدُونَ] بتاء الخطاب.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [يَجْحَدُونَ] بياء الغيبة.

وبين القراءتين تكامل في الأداء البياني.

تمهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ عَوْدٌ إِلَى عَرْضِ بَعْضِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَهُمْ لَا يُؤَدُّونَ وَاجِبَ الشُّكْرِ عَلَيْهَا، بَلْ يَجْحَدُونَهَا، وَيَكْفُرُونَ بِهَا، وَيُؤْمِنُونَ بِالْبَاطِلِ، وَيَتَّبِعُونَ سُبُلَ الضَّلَالِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّاً نِعْمَةَ إِنْزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ وَإِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِهِ

بَعْدَ مَوْتِهَا:

● ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾:

إِنَّ نِعْمَةَ إِنْزَالِ الْمَاءِ مِنَ السَّمَاءِ، أَيْ: مِنَ السَّحَابِ لِأَنَّ كُلَّ مَا عَلَا فَأَظْلَمَ فَهُوَ سَمَاءٌ، وَنِعْمَةُ إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِهِ بِالنَّبَاتَاتِ بَعْدَ مَوْتِهَا، يُبْنَسِ النَّبَاتَاتِ السَّابِقَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا، وَتَحْطُمُهَا وَتَفْرُقُهَا، وَصَيْرُورَةَ الْأَرْضِ تُرَاباً وَصُخُوراً جَافَةً قَاحِلَةً، مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الظَّاهِرَةِ فِي كَوْنِهِ، الَّتِي لَا يَحْتَاجُ اسْتِدْعَاؤُهَا لِلتَّصَوُّرِ الْحَاضِرِ إِلَّا التَّذْكِيرَ عَنْ طَرِيقِ السَّمَاعِ.

فَمَنْ لَدَيْهِمْ اسْتِعْدَادٌ لِأَنَّ يَسْمَعُوا مَا يَتَعَلَّقُ بِالتَّذْكِيرِ بِآيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، كَفَاهُمْ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ: لَا حِطُّوا مَا فِي هَذِهِ النِّعَمِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ.

وَقَدْ سَبَقَ فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ تَدْبِيرُ نَظِيرِ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عِدَّةَ

مَرَّاتٍ.

انظر الآية (٩٩) من سورة (الأنعام/ ٥٥ نزول). والآية (٥٣) من سورة (طه/ ٤٥ نزول). والآية (٦٠) من سورة (النمل/ ٤٨ نزول). والآية (١٠) من سورة (لقمان/ ٥٧ نزول). والآية (٢٧) من سورة (فاطر/ ٤٣ نزول). والآية (١١) من سورة (الزخرف/ ٦٣ نزول).

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا نِعْمَةَ اللَّبَنِ الَّذِي يُخْرِجُهُ مِنْ بُطُونِ الْأَنْعَامِ  
خُطَابًا لِلنَّاسِ:

• ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنذِرُوا بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ (٦٦):

الأنعام: الأموال الراعية، وهي الإبل، والبقر، والغنم، وتدخل المعز في الغنم، ولفظ «الأنعام» يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ، وَقَدْ جَاءَ هُنَا فِي الْآيَةِ تَذْكِيرُهُ.

• ﴿لَعِبْرَةً﴾: تَأْتِي الْعِبْرَةُ فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى «الْعَجَب» وَأَرَى أَنَّ هَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمَلَأْتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

الْقَرْنُ: مَا يَكُونُ فِي الْكَرْشِ مِنْ مَأْكُولٍ لَمْ يَتَمَّ هَضْمُهُ وَإِخْرَاجُهُ رَوْنًا.

• ﴿لَبَنًا خَالِصًا﴾: أَي: حَلِيبًا نَقِيًّا لَا أَثَرَ فِيهِ مِنْ دَمٍ أَوْ قَرْنٍ.

• ﴿سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾: أَي: طَيِّبًا لَذِيذًا، سَهْلَ الْمُرُورِ فِي الْحَلْقِ وَالْإِنْحِدَارِ إِلَى الْمَعْدَةِ.

المعنى: وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَأَمْرًا عَجَبًا، هُوَ أَنَّنا بِقُدْرَتِنَا الْعَظِيمَةِ، وَحُكْمَتِنَا السَّامِيَةِ، وَالطَّافِنَا الْعَجِيبَةِ، نُخْرِجُ لَكُمْ مِنْ بُطُونِهَا لَبَنًا طَيِّبًا لَذِيذًا، سَهْلَ الْمُرُورِ فِي الْحَلْقِ وَالْإِنْحِدَارِ إِلَى الْمَعْدَةِ، مُسْتَخْلَصًا مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ، وَدَمٍ.

فَوَجَّهَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى هَذِهِ الْعَجِيبَةِ مِنْ عَجَائِبِ الْخَلْقِ، وَهِيَ اسْتِخْلَاصُ اللَّبَنِ السَّائِغِ لِلشَّارِبِينَ، مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا نِعْمَةَ أُخْرَى مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ:

• ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٦٧):



أي: وَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِثَمَرَاتِ النَّخِيلِ، وَثَمَرَاتِ الْأَعْنَابِ، وَأَنْتُمْ تَتَّخِذُونَ مِنْ بَعْضِ هَذِهِ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ عَلَيْكُمْ سَكْرًا غَيْرَ حَسَنٍ، أَخْذًا مِنْ إِشَارَةِ «وَرِزْقًا حَسَنًا» وَهَذِهِ الْآيَةُ كَانَتْ بَدَايَةَ فِي الْإِشْعَارِ بِأَنَّ السَّكْرَ مَوْضُوعٌ فِي قَائِمَةِ مَا سَيُحَرِّمُ فِي الْإِسْلَامِ.

السَّكْرُ: اسْمٌ لِكُلِّ مَا يُسَكِّرُ مِنْ خَمْرٍ وَشَرَابٍ مَا.

وَالرِّزْقُ الْحَسَنُ كُلُّ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ ثَمَرِ النَّخِيلِ وَثَمَرِ أَشْجَارِ الْعِنَبِ، فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَمَا يُصْنَعُ مِنْهُمَا، بِاسْتِثْنَاءِ السَّكْرِ غَيْرِ الْحَسَنِ، وَبِاسْتِثْنَاءِ مَا يَدْخُلُ فِي عُمُومِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْذِي، ضِمْنَ قَاعِدَةٍ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» وَهَذَا مَعْرُوفٌ مِنْ نُصُوصٍ أُخْرَى.

وتقدير الآية: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَكُمْ عِبْرَةٌ أَيْضًا، إِذْ جَعَلَ اللَّهُ فِي نِظَامِ كَوْنِهِ أَنْ يُصْنَعَ مِنْ ذَلِكَ سَكْرٌ غَيْرُ حَسَنٍ لِلشُّرْبِ، وَهُوَ حَسَنٌ لِمَنَافِعِ أُخْرَى، وَأَنْ يُؤْكَلَ، وَيُصْنَعَ مِنْهُ مَا كِيلُ وَمَشَارِبُ حَسَنَةٍ، وَأَنْتُمْ تَتَّخِذُونَ مِنْ هَذَا الْمَخْلُوقِ لِمَنَافِعِكُمْ سَكْرًا غَيْرَ حَسَنٍ تَشْرَبُونَهُ، وَتَتَّخِذُونَ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا.

وَلَمَّا كَانَ إِدْرَاكَ هَذَا يَحْتَاجُ قُوَّةَ عَاقِلَةٍ تُذَرِّكُ دَقَائِقَ صُنْعِ اللَّهِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ، وَلَمَّا كَانَ كَفَتْ الْأَنْفُسُ عَنِ السَّكْرِ غَيْرِ الْحَسَنِ يَحْتَاجُ عَقْلًا إِرَادِيًّا حَازِمًا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي آخِرِ الْآيَةِ:

• ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٦٥): وَيَظْهَرُ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْعَقْلِ هُنَا الْعَقْلُ الْعِلْمِيُّ، وَالْعَقْلُ الْإِرَادِيُّ، فَبِالْعَقْلِ الْعِلْمِيِّ، يُذَرِّكُونَ عَظَمَةَ إِتْقَانِ الصُّنْعِ الرَّبَّانِيِّ، وَبِالْعَقْلِ الْإِرَادِيِّ يَكْفُونَ نَفْسَهُمْ عَمَّا يَضُرُّهُمْ، وَهُوَ غَيْرُ حَسَنٍ لِمَا كِيلِهِمْ وَمَشَارِبِهِمْ، وَلَوْ كَانَتْ تَتَطَلَّبُهُ شَهَوَاتُهُمْ وَأَهْوَاؤُهُمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا عَجِيبَةً مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِهِ وَهِيَ النَّحْلُ، وَهَذِهِ الْعَجِيبَةُ تُنْتِجُ عَسَلًا مُخْتَلِفَ الْأَلْوَانِ، وَفِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ، وَهُوَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ:

• ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ :

• ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾: هَذَا الْخَطَابُ مُوجَّهٌ لِكُلِّ فَرْدٍ صَالِحٍ لِلْخِطَابِ بِأَسْلُوبِ الْخِطَابِ الْإِفْرَادِيِّ.

ولفظ الوحي في العربية يدلُّ عَلَى مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْهَا: «الْكِتَابُ - الْكِتَابَةُ - الْإِشَارَةُ السَّرِيعَةُ - الْإِلْهَامُ فِي دَاخِلِ النَّفْسِ - الْكَلَامُ السَّرِيعُ الْخَفِيُّ - إِلْقَاءُ الْمَعْنَى فِي الْقَلْبِ».

والوحيُّ إِلَى النَّحْلِ يُنَاسِبُهُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الْإِلْهَامُ فِي دَاخِلِ النَّفْسِ، مَعَ تَكْوِينِ فِطْرِيٍّ يُلَاقِيهِ، وَاسْتِعْدَادٍ لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهُ.

النَّحْلُ: اسْمُ جَنْسٍ جَمْعِيٍّ وَاحِدُهُ «نَحْلَةٌ» وَلَفْظُهُ «مُؤَنَّثٌ» يُقَالُ هَذِهِ النَّحْلُ.

وَيَصِفُ عُلَمَاءُ الْأَحْيَاءِ النَّحْلَ الْمُنْتِجَ لِلْعَسَلِ بِصِفَاتٍ تَدُلُّ عَلَى عَجَائِبِ مُذْهَلَةٍ مِنْ إِتْقَانِ صَنْعَةِ الْبَارِي - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَمَ سُلْطَانُهُ - وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَعِلْمِهِ الْمُحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَسَامِي حِكْمَتِهِ.

إِنَّ هَذِهِ الْحَشْرَةَ الْمُنْتِجَةَ لِلْعَسَلِ لِمَنَافِعِ النَّاسِ، مِنْ رَحِيقِ الْأَزْهَارِ، فِيهَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْجَلِيلَاتِ مَا يُذهِشُ وَيُذهِلُ أَذْكَى أَذْكِيَاءِ الْبَشَرِ، وَتَلْخِيصُ مَا فَصَّلَهُ عُلَمَاءُ الْأَحْيَاءِ بِشَأْنِهَا يَحْتَاجُ عِدَّةَ صَفَحَاتٍ.

وَاقْتَصَرَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ عَلَى ذِكْرِ بَعْضِ ظَوَاهِرِ سُلُوكِ هَذِهِ الْحَشْرَةِ الْعَجِيبَةِ، بِالْإِلْهَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَلَى مَا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا مِنْ شَرَابٍ مُخْتَلِفِ الْأَلْوَانِ، وَفِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ.

• ﴿... أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ :

أي: وأوحى ربك إلى النحل على ما سبق ذكره في التدبر، وحيًا إلهاميًا مضمونه: أن اتخذي للممالك التي تكونينها بيوتًا، هذه البيوت تسمى خلايا النحل، وهي تتألف من حجر سداسية البناء من شمع خاص تجلبه من بعض الأشجار وتصنعه، وتبني به هذه الحجرة السداسية الشكل المتقنة الصنع، لتخزن بها العسل، واجعلي هذه البيوت في الجبال، أو في الشجر، أو فيما يعرش الناس، أي: فيما يبني الناس من أبنية، من خشب، أو حجر، أو طين، أو غير ذلك.

يُقال لغة: «عرش، يعرش، ويعرش» أي: بنى بناءً من مادة ما وجعل له سقفًا، ويُقال: «عرش الكرم» أي: صنع له عرشًا، أو عريشًا من خشب أو غيره ليمتد فروعه عليه.

• ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا...﴾ (٦٩):

أطلق الله عز وجل لفظ «الثمرات» على كل ما يخرج من أشجار الأرض ذات الساق وغير ذات الساق، مما يأكله الناس أو غير الناس، ومنه الزهر والنور الذي تأكله النحل من رحيقه، وغير النحل من الحشرات.

• فالعنب، والتمر، والطلح، والتفاح، والبرقوق، والمشمش، من الثمرات.

• واليفطين، والبطيخ، والخيار والقثاء، والبادنجان، ونحوها من الثمرات.

• والورود، والأزهار، ونور الأشجار وسائر النباتات من الثمرات.

أي: ثم بعد أن تبني بيوتك، كُلِي من كل الثمرات لتصنعي عسلًا نفيسًا في بطونك، وتحفظي به في حجرات بيوتك، أما قبل ذلك فكلّي مما يتيسر لك الأكل منه لحياتك، إن العسل النفيس لا يكون إلا مُستَقًا

مِنْ رَحِيقِ الْأَزْهَارِ الْمُنْتَشِرَةِ عَلَى سَطُوحِ الْأَرْضِ فِي النَّبَاتَاتِ الْمُخْتَلِفَاتِ،  
وَنُلاحظُ فِي هَذَا أَنَّ النَّحْلَ مُلْهِمٌ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَسْعَى بَعِيداً عَنْ أَمَاكِنِ بُيُوتِهِ  
لِيَأْكُلَ مِنْ رَحِيقِ الْأَزْهَارِ وَالنُّورِ الْمُنْتَشِرِ فِي أَمَاكِنِ تَوَرُّعِهِ فِي نَبَاتَاتِ  
الْأَرْضِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَصْنَافِ.

وَجَاءَتْ عِبَارَةٌ: ﴿فَاسْأَلْكَ سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُلًا﴾ مُرْتَبَةً بِالتَّعْقِيبِ بِالْفَاءِ عَلَى:  
﴿ثُمَّ كُلِي﴾: أَي: ثُمَّ ابْدِئِي بِالْأَكْلِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ الَّتِي تُوجَدُ حَوْلَ  
بُيُوتِكَ، وَأَتَّبِعِي ذَلِكَ بِالتَّعْقِيبِ، فَاسْأَلْكِ بَعِيداً عَنْ بُيُوتِكَ سُبُلَ رَبِّكَ فِي جَوِّ  
الْأَرْضِ مُدَلَّلَةً سَهْلَةً، يُسَاعِدُكَ عَلَى سُلُوكِهَا الطَّيْرَانُ بِأَجْنَحَتِكَ، لِتَنْتَقِي مَا  
يَطِيبُ فِي لِسَانِكَ مِنْ رَحِيقِ النُّورِ وَالْأَزْهَارِ النَّابِتَةِ عَلَى نَبَاتَاتِ الْأَرْضِ.

وهَذَا مُلَاحَظٌ فِي سُلُوكِ النَّحْلِ حِينَمَا تَنْتَشِرُ مُفَارِقَةً بُيُوتَهَا لِانْتِقَاءِ مَا  
تَخْتَارُ مِنْ رَحِيقِ الْأَزْهَارِ الَّتِي تَأْكُلُ مِنْهَا وَتَخْزِنُهُ فِي مَعِدَةٍ خَاصَّةٍ بِصِنَاعَةِ  
الْعَسَلِ، فَإِذَا رَجَعَتْ إِلَى بُيُوتِهَا أَخْرَجَتْهُ فَجَعَلَتْهُ فِي حُجَرَاتِ خَلِيَّتِهَا،  
الْخَاضِعَةِ لِسُلْطَانِ مَلِكَةِ الْخَلِيَّةِ، وَهِيَ نَحْلَةٌ كَبِيرَةٌ أَنْثَى.

السُّلُوكُ: الدُّخُولُ فِي الشَّيْءِ، وَالْعُبُورُ وَسَطُهُ.

السُّبُلُ: الطَّرِيقُ، وَدَلَّ هَذَا النَّصُّ عَلَى أَنَّ فِي الْجَوِّ طُرُقاً تَسْلُكُهَا  
ذَوَاتُ الْأَجْنِحَةِ الَّتِي تَطِيرُ بِهَا.

وَبِمَا أَنَّ كُلَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِلْكٌ لِلَّهِ الرَّبِّ  
خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سُبُلَ رَبِّكَ﴾ وَلَعَلَّهَا تُذَرِّكُ مَعْنَى رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ  
لِكُلِّ شَيْءٍ، أَوْ لِتَنْبِيْهِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ فِي أَذْهَانِ مُتَلَقِّي هَذَا الْبَيَانِ مِنْ ذَوِي  
الْعِلْمِ.

• ﴿ذُلُلًا﴾ أَي: مُمَهَّدَةً سَهْلَةً السُّلُوكِ، مُفْرَدُهَا «ذُلُولٌ» وَ«ذُلُولَةٌ».

وَبَعْدَ هَذَا وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَظَيَّفَتْهَا النَّفْعِيَّةُ لِلنَّاسِ فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿... يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ...﴾ (٦٩):

أي: يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا بِخَلْقِ اللَّهِ وَإِتْقَانِ صُنْعِهِ لِهَذِهِ الْحَشَرَةِ العجبية، شَرَابٌ لِمَا فِيهِ مِنْ سُيُولَةٍ هُوَ الْعَسَلُ.

قال علماء الأحياء: قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلنَّحْلَةِ مَعْدَةً خَاصَّةً لِتَجْمِيعِ الرَّحِيقِ فيها، وَصِنَاعَةَ الْعَسَلِ، فَإِذَا صَارَ عَسَلًا أَخْرَجَتْهُ مِنْ فَمِهَا، وَصَبَتْهُ فِي حُجْرَةٍ مِنْ حُجْرَاتِ الْحَلِيَّةِ الَّتِي تَنْتَمِي إِلَيْهَا، إِذْ مَلَكَتُهَا أُمُّهَا.

وهذا الشَّرَابُ «العسل» مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، فَمِنْهُ الْأَبْيَضُ، أَوْ الْقَرِيبُ مِنَ الْبَيَاضِ، وَمِنْهُ الْأَصْفَرُ، وَمِنْهُ الْأَشَدُّ صُفْرَةً، وَمِنْهُ الْقَرِيبُ إِلَى السَّوَادِ، وَمِنْهُ الْأَسْوَدُ، وَهَذَا الْاِخْتِلَافُ يَتَّبِعُ صِنْفَ النَّحْلِ وَعُمْرَهُ، وَمَرْعَاهُ.

وَيَتَّبِعُ اِخْتِلَافَ أَلْوَانِهِ اِخْتِلَافُ خَصَائِصِهِ الْغِذَائِيَّةِ وَالْعِلَاجِيَّةِ، وَتَكْشِفُ التَّجَارِبُ وَالْمُخْتَبَرَاتُ الْعِلْمِيَّةُ هَذِهِ الْخَصَائِصَ.

• ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾: أي: يُوجَدُ فِي أَنْوَاعِ الْعَسَلِ وَأَصْنَافِهِ شِفَاءٌ مَا لِبَعْضِ أَمْرَاضِ النَّاسِ، إِذَا اسْتَعْمِلَ بِالْمَقَادِيرِ الَّتِي أَثْبَتَتِ التَّجَرِبَاتُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ فِيهَا شِفَاءً.

وَيَفْهَمُ بَعْضُ الْمُتَعَجِّلِينَ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ أَنَّ فِي الْعَسَلِ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَهَذَا خَطَأٌ فِي فَهْمِ النَّصِّ، فَكَلِمَةُ «شِفَاء» نَكْرَةٌ يَكْفِي فِي تَحَقُّقِ دَلَالَتِهَا وَجُودِ شِفَاءٍ فِي الْعَسَلِ لِبَعْضِ الْأَمْرَاضِ مِنْ أَمْرَاضِ النَّاسِ، وَلَيْسَ فِي الْعِبَارَةِ دَلِيلٌ مَا عَلَى أَنَّهُ يُوجَدُ فِي الْعَسَلِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ أَمْرَاضِ النَّاسِ.

وَنَتَجَّ مِنْ سُوءِ فَهْمِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ، اِغْتِقَادًا بِأَنَّ النَّصَّ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَهُوَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، أَنَّ بَعْضَ الْمَرْضَى الَّذِينَ لَا يُنَاسِبُهُمُ الْعَسَلُ، تَدَاوَوْا بِهِ تَدَاوِيًا سَيِّئًا فَكَانَ قَاتِلًا لَهُمْ، أَوْ زَائِدًا فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ أَمْرَاضٍ.

وَحَتَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الْبَيَانَ عَنِ النَّحْلِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهِ بِقَوْلِهِ

تَعَالَى:

• ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ :

أي: إِنَّ فِي ذَلِكَ الَّذِي وُصِفَتْ بِهِ النَّحْلُ لَآيَةً عَظِيمَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، يَنْتَفِعُ بِهَا قَوْمٌ يَتَفَكَّرُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي بَثَّهَا فِي كَوْنِهِ، أَوْ لَدَيْهِمْ الْاسْتِعْدَادُ لِأَنَّهُ يَتَفَكَّرُوا إِذَا نُبِّهُوا إِلَيْهَا، وَذَكَّرُوا بِهَا، وَهَذَا التَّفَكُّرُ يَجْعَلُهُمْ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَيُسَلِّمُونَ لَهُ، أَوْ يَزِيدُ فِي إِيمَانِهِمْ وَالتَّزَامِهِمْ بِالسُّلُوكِ الْإِسْلَامِيِّ عَلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ.

قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَبِينُ بَعْضَ ظَوَاهِرِ قُدْرَتِهِ، وَاخْتِيَارَاتِهِ الْحَكِيمَةِ فِي أَعْمَارِ النَّاسِ الْمَخْتَلِفَةِ، الَّتِي سَتَنْتَهِي بِالمَوْتِ حَتْمًا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا:

• ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ إِلَّا أَزْدِلِ الْعُمُرُ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ﴿٧٠﴾ :

الخطابُ مُوجَّهٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِلنَّاسِ جَمِيعًا فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ:

• ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾: أي: أَوْجَدَكُمْ أَحْيَاءَ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا، وَخَلَقَكُمْ إِنَّمَا تَحَقَّقَ بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَعِلْمِهِ الشَّامِلِ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَحُكْمَتِهِ السَّامِيَّةِ، إِذْ أُعْطِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ طَبْعَتَهُ الْخَاصَّةَ بِهِ.

• ﴿ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ﴾: أي: ثُمَّ بَعْدَ انْتِهَاءِ آجَالِكُمْ الْمُقَدَّرَةِ لِحَيَاتِكُمْ، فِي رِحْلَةِ ابْتِلَائِكُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، يُمَيِّتُكُمْ.

«تَوَفَّى اللَّهُ فُلَانًا» أي: أَعْطَاهُ غَايَةَ الزَّمَنِ الْمَقْدَّرِ لَهُ أَنْ تَكُونَ رُوحُهُ مُتَّصِلَةً بِنَفْسِهِ، وَبِالْفَضْلِ الْكَامِلِ يَحْدُثُ الْمَوْتُ، وَبِالْفَضْلِ الْجَزْئِيِّ يَحْدُثُ النَّوْمُ.

• ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ إِلَّا أَزْدِلِ الْعُمُرُ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا...﴾ :

أَي: وَبَعْضُكُمْ يُعَمَّرُ حَتَّى يُنَكَّسَ فِي الْخَلْقِ، وَيُرْجَعَ بِهِ مِنَ الدَّرَجَاتِ الَّتِي ارْتَقَى إِلَيْهَا، حَتَّى يَصِلَ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمَرِ، لِكَيْ يَصِلَ إِلَى خَرْفٍ زَائِدٍ لَا يَعْلَمُ فِيهِ مِنْ بَعْدِ عِلْمِ نَالِهِ فِي حَيَاتِهِ شَيْئًا، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى سَلْبِ ذَوِي الْقُدْرَاتِ قُدْرَاتِهِمْ إِذَا شَاءَ، وَعَلَى سَلْبِ ذَوِي الْعُلُومِ عُلُومَهُمْ إِذَا شَاءَ، فَلَا يَتَعَاظَمَنَّ أَحَدٌ بِقُدْرَتِهِ، وَلَا يَتَفَاخَرَنَّ أَحَدٌ بِوَاسِعِ عِلْمِهِ، فَقُدْرَتُهُ وَعِلْمُهُ عَطَاءٌ مِنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمَنْ أَعْطَى وَهَبَ، قَادِرٌ عَلَى سَلْبِ مَا وَهَبَ، إِذَا اقْتَضَتْ حِكْمَتُهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ.

وَحَتَمَ اللَّهُ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٧٠): أَي: إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ لَا يَتَعَرَّضُ عِلْمُهُ لِلنَّقْصِ وَقَدِيرٌ لَا تَتَعَرَّضُ قُدْرَتُهُ لِلنَّقْصِ وَبِقُدْرَتِهِ الْمَقْرُونَةِ بِعِلْمِهِ الشَّامِلِ يَفْعَلُ فِي كَوْنِهِ وَعِبَادِهِ مَا يَشَاءُ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ حَكِيمٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُبَيِّنُ حِكْمَتَهُ فِي تَفْضِيلِ النَّاسِ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ، وَيَبْنِي عَلَيْهِ حُجَّةَ إِفْنَاعِيَّةٍ لِإِبْطَالِ الشَّرْكِ الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ:

● ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْيِ رَبِّهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٧١):

نِظَامُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ قَائِمٌ عَلَى التَّفَاضُلِ لَا عَلَى التَّسَاوِي، فَلَا تَسَاوِي بَيْنَ وَرَقَتَيْنِ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ تَسَاوِيًا مُتَطَابِقًا، وَلَا تَسَاوِي بَيْنَ ثَمَرَتَيْنِ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ تَسَاوِيًا مُتَطَابِقًا، إِذْ لِلْخَالِقِ إِرَادَةٌ حَكِيمَةٌ خَاصَّةٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَخْلُقُهُ.

وَمِنْ ظَوَاهِرِ هَذَا النِّظَامِ فِي التَّفَاضُلِ تَفْضِيلُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ، وَهَذِهِ ظَاهِرَةٌ مُشَاهِدَةٌ فِي النَّاسِ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَرْزَاقَ النَّاسِ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ، مَعَ مَا يَقُومُ بِهِ الْأَمْثَالُ مِنْهُمْ مِنْ عَمَلٍ فِي الْكَسْبِ مُتَنَاطِرٍ.

وَمِنْ صُورِ هَذَا النِّظَامِ فِي الْخَلْقِ التَّفَاضُّلِي وَجُودُ أَرْقَاءَ مِنَ النَّاسِ مَمْلُوكِينَ، وَوُجُودُ مَالِكِينَ لَهُمْ، حِينَ يَكُونُ فِي النَّاسِ سَادَةٌ وَعَبِيدٌ، وَوُجُودُ خَدَمٍ مُسْتَأْجَرِينَ، وَمَخْدُومِينَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى مَنْ يَخْدُمُونَهُمْ.

وَاسْتِفَادَةٌ مِنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي النَّاسِ لِقَضِيَّةٍ عَظِيمَةٍ هِيَ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ الْكُبْرَى، هِيَ إِبْطَالُ قَضِيَّةِ الشُّرْكِ مِنْ أَسَاسِهَا قِيَاسًا عَلَى مَا فِي طَبَائِعِ النَّاسِ.

إِنَّ اللَّهَ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْكَوْنِ وَمَالِكُهُ وَرَبُّهُ، وَذُو السُّلْطَانِ الْمَطْلَقِ عَلَيْهِ، وَمَا يَزْعُمُهُ الْمَشْرِكُونَ مِنْ أَرْبَابٍ وَآلِهَةٍ هُمْ خَلَقُوا مِنْ خَلْقِهِ، وَعَبِيدٌ مِنْ عِبِيدِهِ، فَكَيْفَ يَكُونُونَ شُرَكَاءَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ أَوْ فِي إِلَهِيَّتِهِ.

إِنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ فَضَّلَهُمُ اللَّهُ بِالرِّزْقِ الْوَاسِعِ، وَعِنْدَهُ أَرْقَاءُ عَبِيدٌ لَهُ يَمْلِكُ رِقَابَهُمْ، لَا يَقْبَلُ وَلَا يَرْضَى بِأَنْ يُرَدَّ مَا يَمْلِكُ مِنَ رِزْقِ اللَّهِ عَلَى عِبِيدِهِ وَأَرْقَائِهِ حَتَّى يَكُونُوا مَعَهُ مُتَسَاوِينَ شُرَكَاءَ.

فَكَيْفَ تَدْعُونَ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا لِرَبِّكُمْ أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ!!؟

• ﴿فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾:

هَذِهِ مُعْتَرِضَةٌ اشْتَمَلَتْ عَلَى تَقْدِيمِ دَلِيلٍ إِفْنَاعِيٍّ لِإِبْطَالِ مَقُولَاتِ الْمَشْرِكِينَ، وَيَرْجِعُ الْبَيَانُ مُتَّصِلًا بِمَا قَبْلَهَا. فيقول الله تعالى:

• ﴿... أَفَنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٦١):

أي: وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُ الْعِبَادَ وَيُفْضِلُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ، وَالشَّاكُّونَ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَكْسِبُونَ أَرْزَاقَهُمْ بِمَهَارَاتِهِمْ وَعِلْمِ عِنْدِهِمْ، وَالْمَشْرِكُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّ لآلِهَتِهِمْ تَأْثِيرَاتٍ غَيْبِيَّةً فِي



أَرْزَاقِهِمْ، وَهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ جُحُودٌ بِنِعْمَةِ اللَّهِ رَبِّهِمْ عَلَيْهِمْ.  
الاستفهام في هذه العبارة للتوبيخ والتفريع والتلويح، إذ أدلة  
رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لِكَوْنِهِ، وَأَنَّهُ الْخَالِقُ الرَّازِقُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ، ظَاهِرَةٌ لِكُلِّ ذِي  
فِكْرٍ سَلِيمٍ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا بَعْضَ آيَاتِهِ فِي خَلْقِ النَّاسِ وَبَعْضَ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ  
فِي خِطَابٍ مُبَاشِرٍ لَهُمْ:

• ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَيْنَ  
وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفْبَاطِلًا يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾:  
يُخَاطَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذَا النَّاسَ جَمِيعًا.

أَزْوَاجًا: أَي: قَرِينَاتٍ مِنَ النِّسَاءِ تَنْكِحُوهُنَّ عَلَى وَفْقِ شَرْعِ اللَّهِ.  
مِنْ أَنْفُسِكُمْ: لَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَوَاءَ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ، فَهِيَ مُشْتَقَّةٌ  
مِنْ نَفْسِهِ، وَبِمَا أَنَّ الْبَشَرَ أَنْسَالٌ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالنِّسَاءُ مِنْ أَنْفُسِ  
بَنِي آدَمَ، لِأَنَّهُمْ جَمِيعًا مُشْتَقُّونَ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.  
وَفِي كَوْنِ النِّسَاءِ مِنْ أَنْفُسِ الرِّجَالِ حِكْمَةٌ تِلَاوُمِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَهِيَ مِنْ  
نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ.

• ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ﴾: أَي: وَجَعَلَ لَكُمْ ضِمْنَ  
نِظَامِ التَّنَاسُلِ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ مِنَ النِّسَاءِ بَيْنَ، أَي: وَبَنَاتٍ، وَحَفْدَةٍ.  
وَحَفْدَةٍ: الرَّاجِعُ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْحَفْدَةِ أَوْلَادُ الْأَوْلَادِ، وَمُفْرَدُهُ «حَافِدٌ».

• ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: أَي: وَرَزَقَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الَّتِي أَنْتُمْ فِيهَا  
فِي رِحْلَةِ امْتِحَانٍ، مِنْ بَعْضِ الطَّيِّبَاتِ، وَادَّخَرَ سَائِرَ الطَّيِّبَاتِ الْمَثَلَى لِجَنَّاتِ  
النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

فَالْمَاكِيلُ وَالْمَشَارِبُ وَالْمَلَابِسُ وَالْمَسَاكِينُ وَالْمَنَاجِحُ وَسَائِرُ مَا يَطِيبُ  
وَيَلَذُّ لِلْإِنْسَانِ هُوَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ.

وبما أَنَّ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ إِلَهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ إِلَهَتَهُمْ هِيَ الَّتِي تَرْزُقُهُمْ، وَبِمَا أَنَّ السَّبَّيْنَ يَجْعَلُونَ كُلَّ مَا يَنَالُونَهُ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ هُوَ مِنْ تَأْثِيرِ الْأَسْبَابِ تَأْثِيرًا ذَاتِيًّا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِهِمْ فِي آخِرِ الْآيَةِ مُؤَنِّبًا وَمُؤَبِّخًا بِأَسْلُوبِ الِاسْتِفْهَامِ:

• ﴿أَفِيَ الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

أي: أَنْظَمَسَتْ بَصَائِرُهُمْ عَنْ إِدْرَاكِ الْحَقِيقَةِ الْجَلِيلَةِ فِي الْوُجُودِ، فَهُمْ بِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ، فَيَجْعَلُونَ مَالَهُ لِشُرَكَائِهِمْ الْبَاطِلَةَ، أَوْ لِلْأَسْبَابِ تَارِكِينَ مُسَبِّبًا، وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ الدَّائِمَةِ عَلَيْهِمْ هُمْ يَكْفُرُونَ!!؟.

الاستفهام تَأْنِيبِيٌّ تَوْبِيخِيٌّ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَهُمْ إِلَهَةٌ يَعْبُدُونَهَا، وَلِلْمُشْرِكِينَ السَّبَّيِّينَ، الَّذِينَ يَتَشَبَّثُونَ بِظَوَاهِرِ الْأَسْبَابِ، وَيَنْسَوْنَ مُسَبِّبَهَا الْأَزَلِّيَّ الْأَبَدِيَّ.

والفاء تَغْطِفُ عَلَى مَطْوِيٍّ جَاءَ فِي التَّدْبِيرِ تَقْدِيرُهُ.

وبهذا انتهى تدبُّر الدرس السابع عشر من دُرُوس سورة (النحل).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢١)

التدبُّر التحليلي للدرس الثامن عشر من دُرُوس سورة (النحل)

الآيات من (٧٣ - ٧٦)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ (٧٣) ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤) ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا

فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا زَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ :

### القراءات:

(٧٦) • قرأ قالون، وأبو عمرو، والكسائي، وأبو جعفر: [وهو]

بإسكان الهاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [وهو] بضم الهاء.

وهما نطقان عربيان.

### تمهيد:

في آيات هذا الدرس معالجة للمشركين بحجج إقناعية تُلاَمِسُ نفوسهم ومشاعرهم.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمُشْرِكِينَ:

• ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا

وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ :

أي: ويعبد المشركون من دُونِ اللَّهِ مَعْبُودَاتٍ، لَا تَمْلِكُ لَهُمْ أَنْ تُقَدِّمَ مِنْ أَجْلِ حَيَاتِهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا مِنَ الرِّزْقِ، لَا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَلَا مِنَ الْأَرْضِ، لِأَنَّهَا لَا تَخْلُقُ شَيْئًا فِي الْوُجُودِ كُلِّهِ حَتَّى تَمْلِكَهُ، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْلِكَ شَيْئًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَتَمْلِكِهِ.

أَمَّا الْأَوْثَانُ فَظَاهِرٌ أَنَّهَا لَا تَمْلِكُ شَيْئًا، لِأَنَّهَا عَدِيمَةُ الْحَيَاةِ، وَأَمَّا مَا

تَرْمُرُ إِلَيْهِ الْأَوْثَانُ مِنَ أَمْوَاتٍ، فَهُمْ مَيِّتُونَ لَا يَمْلِكُونَ لِلْأَحْيَاءِ شَيْئًا، وَأَمَّا مَا تَرْمُرُ إِلَيْهِ مِنَ أَحْيَاءٍ فَهُمْ مَمْنُوعُونَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ عَنْ إِعَانَةِ عَابِدِيهِمْ، إِذَا كَانُوا مِنَ الْجِنَّ أَوْ الشَّيَاطِينِ، وَلَا يَفْعَلُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِذَا كَانُوا مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَوْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، بَلْ يَتَّبِعُونَ مِنْ عِبَادَتِهِمْ لَهُمْ، وَيُعَادُونَهُمْ.

﴿شَيْئًا﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿رِزْقًا﴾ أَي: مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا شَيْئًا مَهْمَا قَلَّ، وَآخَرَ هَذَا الْبَدَلُ لِإِتِّمَامِ بَيَانِ أَنَّ هَذِهِ الْإِلَهَةَ لَا تَمْلِكُ لِعَابِدِيهَا رِزْقًا لَا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَلَا مِنَ الْأَرْضِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ الْحَدِيثَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ مُحَاطَبًا لَهُمْ:

• ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤):

أَي: فَلَا تَصْنَعُوا يَا أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ بِأَوْهَامِكُمْ وَتَخَيَّلَاتِكُمْ الَّتِي لَا أَسَاسَ لَهَا مِنَ الْوَاقِعِ وَلَا سَنَدَ لَهَا مِنْ عِلْمِ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا فِيهِمَا وَمَنْ فِيهِمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، الْأَمْثَالَ وَالْأَشْبَاهَ، وَلَا تَقِيسُوا عَلَيْهَا آلِهَتَكُمْ، وَلَا تَصْنَعُوا لِهَذِهِ الْإِلَهَةِ رُمُوزًا مِنْ أَوْثَانِكُمْ الْحَقِيرَةِ الَّتِي لَا تَكُونُ مِنْ ذَوِي عَقْلٍ وَرَشْدٍ وَحِكْمَةٍ، فَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ حَقِيقَةَ ذَاتِ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - وَلَا تَعْلَمُونَ مَبْلَغَ صِفَاتِ اللَّهِ الْجَلِيلَةِ، فَلَا تَقْدِرُونَهُ حَقَّ قَدْرِهِ.

والتَّزِمُوا بِمَا جَاءَكُمْ عَنِ اللَّهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ بِالنَّسْبَةِ إِلَى ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ حَقِيقَةَ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

فَاطْرَحُوا عَنْ تَصَوُّرَاتِكُمْ وَمُخَيَّلَاتِهِمْ كُلَّ مَا تَتَوَهَّمُونَ عَنِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا الْحَدِيثَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ بِأَسْلُوبِ إِقْنَاعِيٍّ تَعْلِيمًا لِدَاعِيِ الْحَقِّ:

• ﴿٧٥﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾:

هَذَا مَثَلٌ فِي تَعْلِيمِ جَدَلِي يُنَاطِرُ بِهِ دَاعِي الْحَقِّ الْمُشْرِكِينَ بِشَأْنِ آلِهَتِهِمُ الْبَاطِلَةِ.

هَلْ يَسْتَوِي الْعَبْدُ الْمَمْلُوكُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ يَتَصَرَّفُ بِهِ، وَلَا يَمْلِكُ شَيْئًا يُنْفِقُ مِنْهُ فِي السِّرِّ أَوْ فِي الْعَلَنِ، مَعَ مَالِكِهِ ذِي الرِّزْقِ الْوَاسِعِ الْحَسَنِ، وَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا؟؟  
إِنَّهُمَا لَا يَسْتَوِيَانِ بِالْبَدَاهَةِ.

وكَذَلِكَ كُلُّ الْعَبِيدِ الْمُمَائِلِينَ لِهَذَا الْعَبْدِ، لَا يَسْتَوُونَ مَعَ مَالِكِيهِمُ الْمُمَائِلِينَ لِهَذَا الْمَالِكِ، فَالْقَضِيَّةُ كُلِّيَّةٌ لَا شُدُودٌ فِيهَا.

إِذَنْ. فَكَيْفَ تُسَوُّونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ عِبَادَ اللَّهِ الْمَمْلُوكِينَ لَهُ، الَّذِينَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لَهُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا يَتَصَرَّفُونَ بِهِ بِأَنْفُسِهِمْ دُونَ تَقْدِيرِ مَنْ اللَّهُ وَقَضَاءِ، كَيْفَ تَسَوُّونَهُمْ بِاللَّهِ خَالِقِهِمُ وَالْمُهَيِّمِ عَلَيْهِمْ دَوَامًا بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ، وَأَنْتُمْ لَا تَقْبَلُونَ فِي مَفَاهِيمِكُمُ الْبَشَرِيَّةَ مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ، بَيْنَ الْعَبِيدِ الْمَمْلُوكِينَ، وَالسَّادَةِ الْمَالِكِينَ، مَعَ أَنَّ أَشْخَاصَ بَعْضِ الْعَبِيدِ قَدْ تَكُونُ صِفَاتُهُمْ أَفْضَلَ مِنْ سَادَاتِهِمْ.

كَيْفَ تُسَوُّونَ عِبَادَ اللَّهِ بِاللَّهِ، فَتَتَّخِذُونَ مِنْهُمْ أَرْبَابًا وَآلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ لِلَّهِ، وَهَؤُلَاءِ الْعِبَادُ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَلَا لِغَيْرِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.  
حُجَّةٌ إِفْتِنَاعِيَّةٌ لَيْسَ لَدَى الْمُشْرِكِينَ دَفْعٌ لَهَا، وَلَا قُدْرَةٌ عَلَى الْجِدَالِ بِشَأْنِهَا.

وَهُنَا يَقُولُ مُنَاطِرُ الْمُشْرِكِينَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: أَي: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْإِنْتِصَارِ بِحُجَّةِ اللَّهِ الْبَالِغَةِ.

﴿... بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾: أي: فَهَلْ يَنْتَفِعُ الْمُشْرِكُونَ  
بهَذَا الدَّلِيلِ، فَيَنْبِذُوا الشُّرْكَ وَمَقَاهِيمَهُ الْبَاطِلَةَ؟. الجواب: لَا بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
غَيْرُ مُسْتَعِدِّينَ أَنْ يَعْلَمُوا الْحَقَّ، لِأَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّبِعُوهُ وَيَعْمَلُوا  
بِمُقْتَضَاهُ مُخَالِفِينَ أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَوَلَاءَاتِهِمُ الْعَمِيَاءَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً الْحَدِيثَ عَنِ الْمَشْرِكِينَ بِأَسْلُوبِ إِقْنَاعِيٍّ  
تَعْلِيمِيٍّ جَدَلِيٍّ لِدَاعِيِ الْحَقِّ:

• ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ  
كُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ  
وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾:

هَذَا مَثَلٌ آخَرُ فِي تَعْلِيمِ جَدَلِيٍّ لِدَاعِيِ الْحَقِّ يُنَاطِرُ بِهِ الْمَشْرِكِينَ بِشَأْنِ  
الْهَيْتَمِ الْبَاطِلَةِ، وَيُظْهِرُ أَنَّ هَذَا الْمَثَلَ يُقْصَدُ بِهِ إسْقَاطُ الْأَوْثَانِ الَّتِي يَعْبُدُهَا  
الْمَشْرِكُونَ مِنْ كُلِّ اغْتِبَارٍ، لِأَنَّهَا لَا تَنْطِقُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ، وَلَا  
تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَحَرَّكَ بِأَنْفُسِهَا، وَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَدْفَعَ عَنْ أَنْفُسِهَا ضَرّاً وَلَا  
أذىً، وَلَا تَكْسِيرًا وَتَحْطِيمًا، وَقَدْ جَاءَ الْمَثَلُ مُخَفِّفًا.

إِنَّهُمَا رَجُلَانِ لَا يُوجَدُ عَاقِلٌ يَحْكُمُ بِتَسَاوِيِهِمَا.

أَمَّا أَحَدُهُمَا فَهُوَ:

(١) أَبْكَمُ لَا يَنْطِقُ بِكَلِمَةٍ.

(٢) وَعَاجِزٌ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ شَيْئاً.

(٣) وَكُلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ، أَيُّ: لَا يَقُومُ لِنَفْسِهِ بِشَيْءٍ، بَلْ يَقُومُ لَهُ  
بِحَاجَاتِهِ مُتَوَلِّيٌ أُمُورِهِ، حَتَّى الْعُبَّارُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْسَحَهُ عَنْ جَسَدِهِ.

(٤) أَيْنَمَا وَجَّهْتُهُ لِعَمَلٍ مَا لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ.

وَأَمَّا الْآخَرُ فَهُوَ:

(١) عَالِمٌ عَاقِلٌ رَشِيدٌ مُنْطِقٌ، يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ.

(٢) ذُو سُلُوكٍ فِي الْحَيَاةِ مُتَّقٍ الْفَضْلِ، يَسِيرُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

هَلْ يَسْتَوِي هَذَانِ الرَّجُلَانِ فِي مَفَاهِيمِكُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ؟

إِنَّكُمْ لَا بُدَّ أَنْ تَقُولُوا: لَا يَسْتَوِيَانِ، إِذَنْ فَكَيْفَ تُسَوُّونَ فِي الْإِلَهِيَّةِ  
بَيْنَ أَوْثَانِكُمُ الْجَامِدَةِ الَّتِي لَا يُرْجَى خَيْرٌ مِنْهَا، وَلَا يُخْشَى ضَرُّ مِنْهَا وَبَيْنَ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ خَالِقِ الْكَوْنِ وَالْمَتَصَرِّفِ بِكُلِّ شَيْءٍ فِيهِ وَالْمَحِيطِ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عِلْمًا.

وبهذا انتهى تدبر الدرس من دروس سورة (النحل).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٢٢)

التدبر التحليلي للدرس التاسع عشر من دروس سورة (النحل)

الآيتان (٧٧) و (٧٨)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ  
أَقْرَبُ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ  
لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

القراءات:

(٧٨) • قرأ حمزة: [مِنْ بُطُونِ إِمَّهَاتِكُمْ] بِكسْرِ الهمزة والميم

المشددة في حالة الوصل بِبُطُون.

وقرأ الكسائي: [إِمَّهَاتِكُمْ] بِكسْرِ الهمزة وفتح الميم المشددة في حالة

الوصل أيضاً.

وقراها بآقي القراء العشرة: [أَمْهَاتِكُمْ] بِضَمِّ الهمزة وَفَتْح الميم المشددة في حالة الوصل وَعَدَمِهِ.

تمهيد:

في آيتي هذا الدرس بَيَانُ شُمُولِ عِلْمِ اللَّهِ كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهُ أَمْرٌ وَقِتَ قِيَامِ السَّاعَةِ.

أَمَّا النَّاسُ فَقَدْ أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَمَنْحَهُمْ وَسَائِلَ اكْتِسَابِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ بِقَدَرٍ، رَغْبَةً فِي أَنْ يَشْكُرُوا رَبَّهُمْ عَلَى مَا وَهَبَهُمْ فِي حَيَاتِهِمْ مِنْ نِعَمٍ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ❖

العالمُ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

القِسْمُ الأول: عالمُ شَهَادَةٍ، أي: قَابِلٌ لِأَنْ يَشْهَدَهُ وَلَوْ بَعْضُ الْكَائِنَاتِ الْقَادِرَاتِ عَلَى شَهَادَةِ شَيْءٍ مَا بِإِذْرَاكِهِ وَالْإِحْسَاسِ بِوُجُودِهِ، وَإِذَا جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْضَ مَخْلُوقَاتِهِ ذَوَاتِ الْإِذْرَاكِ وَالْإِحْسَاسِ تَشْهَدُ شَيْئًا مَا فِي كَوْنِهِ، فَهُوَ مَشْهُودٌ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ بِدَاهَةٍ.

القِسْمُ الثَّانِي: عَالَمُ غَيْبٍ، أي: غَيْرُ قَابِلٍ لِأَنْ يَشْهَدَهُ أَحَدٌ مِمَّنْ خَلَقَ اللَّهُ أَوْ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ.

الْغَيْبُ: كُلُّ مَا غَابَ عَنِ إِذْرَاكِ الْكَائِنَاتِ اللَّوَاتِي لَهَا قُدْرَاتٌ عَلَى إِذْرَاكِ شَيْءٍ مَا، بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ.



وَالْغَيْبُ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ وَالْعِلْمُ بِهِ مِنْ خَصَائِصِ عِلْمِ اللَّهِ وَحْدَهُ، لَا يُشَارِكُهُ فِي الْعِلْمِ بِهِ أَحَدٌ، وَبِهَذَا نَفْهَمُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

أي: ولله وحده عِلْمُ كُلِّ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَمِنْ خَصَائِصِ عِلْمِ اللَّهِ عِلْمُ كُلِّ الْغَيْبِ، الَّذِي لَا يُدْرِكُ أَحَدٌ غَيْرُ اللَّهِ عِلْمَ شَيْءٍ مِنْهُ. وَمِمَّا هُوَ غَيْبٌ لَمْ يُعْلِمِ اللَّهُ بِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، مَلَكًا وَلَا رَسُولًا، وَلَا غَيْرَهُمَا، عِلْمُ وَقْتِ قِيَامِ سَاعَةِ انْهَاءِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَانْهَاءِ نِظَامِ الْكَوْنِ، تَمْهِيدًا لِلْحَيَاةِ الْآخِرَى، وَنِظَامِ الْحَيَاةِ الْآخِرَى، وَقَدْ جَاءَ بَيَانُ هَذَا فِي عِدَّةِ نُصُوصٍ سَبَقَتْ فِي نُجُومِ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ.

وجاء في هذه الآية إضافة ما دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾:

أي: وَمَا أَمْرُ أَحْدَاثِ السَّاعَةِ الَّتِي فِيهَا تَذْمِيرُ ظُرُوفِ حَيَاةِ الْإِنْتِلَاءِ كُلِّهَا، بِكُلِّ مَا يَخْتَصُّ بِهَا مِنْ كَائِنَاتٍ بِالنُّسْبَةِ إِلَى الزَّمَنِ الَّذِي تَتَحَقُّ فِيهِ، إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ.

لَمْحُ الْبَصَرِ: هُوَ النَّظَرُ السَّرِيعَةُ الَّتِي يَرَى فِيهَا الْمَبْصَرُ شَيْئًا مَا.

• ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾: أي: أَوْ هُوَ أَقْرَبُ مِنْ مَسَافَةِ زَمَنِ لَمْحِ الْبَصَرِ،

فَإِذَا كَانَ لَمْحُ الْبَصَرِ يَكُونُ فِي ثَانِيَةٍ، فَإِنَّ أَحْدَاثَ قِيَامِ السَّاعَةِ تَكُونُ فِي جُزْءٍ مِنَ الثَّانِيَةِ.

• ﴿... إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: أي: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَشَاؤُهُ عَظِيمُ الْقُدْرَةِ، وَلَوْ كَانَ إِحْدَاثُ كَوْنٍ مِثْلِ هَذَا الْكَوْنِ أَوْ أَعْظَمَ مِنْهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِلنَّاسِ بِشَأْنِ اكْتِسَابِهِمِ لِلْعِلْمِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ

عِنْدَهُمْ مِنْهُ شَيْءٌ:

• ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ :

خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ إِنْسَانٍ فِي بَطْنِ أُمِّهِ وَجِهَازُ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ عِنْدَهُ خَالٍ مِنْ عِلْمِ أَيِّ شَيْءٍ، وَهَكَذَا نِظَامُ خَلْقِ النَّاسِ حَتَّى آخِرِ مَخْلُوقٍ مِنْ بَنِي آدَمَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَسْتَمِرُّ هَكَذَا حَتَّى يُوَلَّدَ وَيُحْرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ بِالْطَّافِ اللهُ وَعِنَايَتِهِ وَتَدْبِيرِهِ.

وَقَدْ زَوَّدَ اللهُ الْإِنْسَانَ بِأَدَوَاتٍ اكْتِسَابِ الْمَعْرِفَةِ فِي جَسَدِهِ، وَهِيَ تَبْدَأُ بِالْعَمَلِ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ.

وَفِي مُقَدِّمَةِ هَذِهِ الْأَجْهَزةِ السَّمْعُ، وَبَعْدَهُ الْأَبْصَارُ ثُمَّ الْفُؤَادُ الْعَامِلُ فِي دَاخِلِ الْإِنْسَانِ بِالتَّمْيِيزِ، وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّرْكِيبِ، وَرَبِطَ الْعِلَلِ بِمَعْلُولَاتِهَا، وَالْأَسْبَابِ بِمُسَبَّبَاتِهَا، وَقِيَاسِ الْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ عَلَى بَعْضِهَا، وَاسْتِخْرَاجِ الْكُلِّيَّاتِ مِنْ اسْتِقْرَاءِ الْجُزْئِيَّاتِ، وَهَذَا الْفُؤَادُ يَنْطَبِقُ عَلَى جِهَازِ التَّفْكِيرِ وَالْفَهْمِ وَالْعَقْلِ.

أَمَّا السَّمْعُ فَهُوَ أَوَّلُ أَدَوَاتِ الْإِتِّصَالِ بِالْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ حَوْلَ الْوَلِيدِ، وَالْمُسْمُوعَاتِ تَأْتِي إِلَى الْأُذُنِ مِنْ كُلِّ مُحِيطِ الْكُرَّةِ الْهَوَائِيَّةِ حَوْلَهَا، وَلَعَلَّ هَذَا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي دَعَتْ إِلَى ذِكْرِهِ فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ مُفْرَدًا، لَا مَجْمُوعًا.

وَأَمَّا الْبَصَرُ فَهُوَ ثَانِي الْأَدَوَاتِ الْفُضْلَى لِلإِتِّصَالِ بِالْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ، حَوْلَ الْوَلِيدِ، وَالْمُبْصَرَاتُ لَا تَأْتِي إِلَى الْعَيْنِ مِنْ كُلِّ مُحِيطِ الْكُرَّةِ الْهَوَائِيَّةِ حَوْلَ مَوْضِعِهَا مِنَ الرَّأْسِ، بَلْ تَأْتِي مُجَزَّاةً بِحَسَبِ اتِّجَاهِ الْعَيْنِ، وَلَعَلَّ هَذَا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي دَعَتْ إِلَى ذِكْرِ الْبَصَرِ فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ مَجْمُوعًا.

وَأَمَّا الْأَفْئِدَةُ فَهِيَ ثَالِثُ الْأَدَوَاتِ الْعَامِلَةِ لِاسْتِقْبَالِ صُورِ الْعَالَمِ مِنْ خَارِجِ النَّفْسِ وَدَاخِلِهَا، وَالِاخْتِفَاطِ بِهَا، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَهَا، وَتَحْلِيلِهَا وَتَرْكِيبِهَا،

وَرَبِّطِ الْعِلَلَ بِمَعْلُولَاتِهَا، وَالْأَسْبَابَ بِمُسَبِّبَاتِهَا، وَقياسِ الْأَشْبَاهِ وَالنَّظَائِرِ عَلَى بَعْضِهَا، وَاسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ عَلَى بَعْضِ الْأَشْيَاءِ، وَاسْتِخْرَاجِ الْكُلِّيَّاتِ مِنْ اسْتِقْرَاءِ الْجُزْئِيَّاتِ، وَلَعَلَّهَا فِي دَاخِلِ الذَّهْنِ فُصُوصٌ مُتَخَصِّصَةٌ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا ذُو وَظِيفَةٍ هُوَ مُتَخَصِّصٌ فِيهَا، وَلَعَلَّ هَذَا مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي دَعَتْ إِلَى ذِكْرِ الْفَوَادِ فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ مَجْمُوعاً بِلَفْظِ الْأَفْئِدَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الدِّمَاغِ.

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي آخِرِ الْآيَةِ: ﴿... لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨):  
أَي: وَجَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ رَغْبَةً فِي أَنْ تَشْكُرُوا  
بِالْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، حَتَّى تَكُونُوا مِنْ أَهْلِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ  
يَوْمَ الدِّينِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس التاسع عشر من دروس سورة (النحل).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٢٣)

التدبر التحليلي للدرس العشرين من دروس سورة (النحل)  
الآيات من (٧٩ - ٨٣)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا إِلَى حِينٍ (٨٠) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظُلُلًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَبِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَبِيلَ تَقِيكُمْ

بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ :

### القراءات :

(٧٩) • قرأ ابنُ عامر، وحمزة، ويعقوب، وخلف: [أَلَمْ تَرَوْا] بقاء الخطاب.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [أَلَمْ يَرَوْا] بقاء الغيبة.

وبين القراءتين تكاملٌ في الأداء البياني.

(٨٠) • قرأ ورش، وأبو عمرو، وحفص، وأبو جعفر، ويعقوب: [بِئُوتِكُمْ] بضم الباء. وكذا: [بِئُوتَا].

وقرأهما باقي القُرَّاء العَشْرَة: [بِئُوتِكُمْ] و[بِئُوتَا] بكسر الباء.

(٨٠) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب: [ظَعْنِكُمْ] بفتح العين.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [ظَعْنِكُمْ] بإسكان العين.

الظَّعْنُ. وَالظَّعْنُ: بفتح العين وإسكانها السَّفر.

### تمهيد:

في آياتِ هذا الدرسِ عَوْدٌ إِلَى عَرْضِ بعضِ آيَاتِ اللَّهِ فِي كونه، وَبَعْضِ نِعَمِهِ عَلَى النَّاسِ، وَتَوْصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ مَسْئُولاً عِنْدَ رَبِّهِ إِلَّا عَنِ الْبَلَاغِ الْمُبِينِ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا مِنْ آيَاتِهِ فِي كَوْنِهِ آيَةُ الطَّيْرِ الَّتِي تَطِيرُ فِي جَوِّ

السَّمَاءِ.

• ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٧٩):

الطَّيْرُ: جَمْعُ مُفْرَدُهُ «الطَّائِر».

التَّسْخِيرُ: جَعْلُ الشَّيْءِ مُطَاوِعاً لِمَا يُرَادُّ مِنْهُ ضِمْنَ قَانُونِ تَسْخِيرِهِ.

الْجَوْ: الْفَضَاءُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

الطَّيْرُ مِنْ عَجَائِبِ الْمَخْلُوقَاتِ الْمَسَاكِينَةِ لِلنَّاسِ فِي الْأَرْضِ، وَقَدْ ذَكَرَ  
عُلَمَاءُ الْأَحْيَاءِ أَنَّهُ يُوجَدُ نَحْوَ «٩٣٠٠» نَوْعٍ مِنَ الطَّيْرِ، وَأَصْغَرُهَا طَائِرُ  
النَّحْلِ الطَّنَّانُ الَّذِي يَصِلُ طَوْلُهُ إِلَى نَحْوِ خَمْسَةِ سَنَتِيمَتَرٍ، وَأَكْبَرُهَا النَّعَامُ،  
الَّذِي يَصِلُ ارْتِفَاعُهُ إِلَى حَوَالِي (٢,٥) م.

وَأَشْكَالُ الطَّيُورِ وَأَلْوَانُهَا وَرُسُومَاتُهَا وَسُلُوكُ كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا، وَوُضَائِفُهَا  
الْتَفْعِيَّةُ مِنَ الْعَجَائِبِ الْمُدهِشَةِ، وَيَكَادُ أَصْحَابُ الذَّوْقِ الرَّفِيعِ لَا يَمْلُؤُونَ مِنْ  
مُتَابَعَةِ مُشَاهَدَتِهَا، وَلَا سِيماً إِذَا جُمِعَتْ أَنْوَاعٌ مِنْهَا كَثِيرَةٌ فِي حَدِيقَةِ الطَّيُورِ.

إِنَّ تَقْلِيلَ الصَّفَحَاتِ الْجَامِعَاتِ لِكَثِيرٍ مِنْ رُسُومَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَنْوَاعِهَا،  
يَسْتَأْتِرُ بِإِعْجَابِ النُّفُوسِ إِلَى حَدِّ الدَّهْشَةِ، فَكَيْفَ بِهَا إِذَا كَانَتْ حَيَّةً تُمَارِسُ  
أَنْوَاعَ سُلُوكِهَا بِحُرِّيَّةٍ تَامَّةٍ.

وَكَثِيرٌ مِنَ الطَّيُورِ وَلَهَا أَصْوَاتٌ جَمِيلَةٌ تُحِبُّ النُّفُوسُ الْاسْتِمَاعَ إِلَيْهَا،  
وَلَا سِيماً الْمُعْرِدَةُ.

الْمَعْنَى: أَلَمْ يَرَ الْغَافِلُونَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، وَالْجَهْلَةُ  
الْمُشْرِكُونَ، نَاطِرِينَ بِأَعْيُنِهِمْ إِلَى أَنْوَاعِ الطَّيُورِ وَأَصْنَافِهَا وَأَنْوَاعِ سُلُوكِهَا،  
أَلَمْ يَرَوْا مُشَاهِدِينَ طَيْرَانَهَا مُسَخَّرَاتٍ لِإِمْتِنَاعِ النَّاسِ وَمَنَافِعِهِمْ بِتَسْخِيرِ اللَّهِ  
الرَّبِّ الْجَلِيلِ الْعَظِيمِ لَهَا.

مَا يُمَسِّكُهُنَّ فِي جَوْ السَّمَاءِ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ فِي نِظَامِ خَلْقِهَا

الْأَجْنَحَةَ، الَّتِي هِيَ مِنَ الرَّيشِ الَّذِي يُسَهِّلُ حَمْلَ الْهَوَاءِ لَهَا، وَيَسْهُلُ عَلَيْهَا تَحْرِيكُهَا وَبَسْطُهَا وَقَبْضُهَا، وَجَعَلَ فِي الْهَوَاءِ قُدْرَةَ حَمْلِ الْأَشْيَاءِ ضِمْنَ نِظَامٍ مُعَيَّنٍ، وَيَصَاحِبُ كُلَّ ذَلِكَ خَلْقُ اللَّهِ وَعِنَايَتُهُ.

وَحَتَمَ اللَّهُ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾:

أَي: إِنَّ فِي الطُّيُورِ وَطَيْرَانِهَا وَالْجَوِّ الَّذِي تَطِيرُ فِيهِ، لآيَاتٍ كَثِيرَاتٍ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عَظِيمِ صِفَاتِ الرَّبِّ الْخَالِقِ، وَإِتْقَانِ صُنْعِهِ، وَإِبْدَاعِهِ لِمَا خَلَقَ، يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا وَيَنْتَفِعُ بِهَا فِي الْإِيمَانِ، وَالْإِسْلَامِ، وَصَالِحِ الْعَمَلِ، الْقَوْمُ الَّذِينَ لَدَيْهِمُ الْاسْتِعْدَادُ لِأَنْ يُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ، وَيَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًّا بَعْضَ نِعَمِهِ عَلَى النَّاسِ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا:

• ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨١﴾﴾:

يُخَاطَبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَ الْقُرَى وَأَهْلَ الْبَوَادِي مُمْتَنًا عَلَيْهِمْ، بِالْبُيُوتِ الَّتِي أَقْدَرَهُمْ عَلَى بَنَائِهَا وَسُكْنَاهَا آمِنِينَ، وَعَلَى أَنْ هَيَأَ لَهُمْ أَنْ يَصْنَعُوا مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا صَالِحَةً لِلْحَمْلِ وَالنَّقْلِ إِلَى أُمُكِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، تَتَوَافَرُ فِيهَا حَاجَاتُهُمْ، وَحَاجَاتُ أَنْعَامِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ.

وَيُخَاطَبُهُمْ مُمْتَنًا عَلَيْهِمْ بِأَنْ دَبَّرَ لَهُمْ فِي خُطَّةِ الْخَلْقِ، وَهَيَأَ لَهُمْ مِمَّا تُنتِجُهُ جُلُودُ الْأَنْعَامِ مِنْ أَصْوَابٍ يَقْضُونَهَا مِنَ الضَّأْنِ مِنَ الْأَغْنَامِ، وَأَوْبَارٍ يَجْمَعُونَهَا مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ، وَأَشْعَارٍ يَقْضُونَهَا مِنَ الْمَغَزِّ مِنَ الْأَغْنَامِ، وَيَصْنَعُونَ مِنْ ذَلِكَ أَثْنَا لِبُيُوتِهِمْ، وَمَتَاعًا يَسْتَمْتِعُونَ بِهِ إِلَى حِينٍ بِلَاةٍ، وَهَذَا الْمَتَاعُ يَشْمَلُ الثِّيَابَ وَالْحَبَالَ وَسَائِرَ مَا يُصْنَعُ مِنْ خُيُوطِ الْأَصْوَابِ وَالْأَوْبَارِ وَالْأَشْعَارِ.

الْأَثَاثُ: جَمْعُ مُفْرَدِهِ «أَثَاثَةٌ» وَالْأَثَاثُ يُطْلَقُ عَلَى مَتَاعِ الْبَيْتِ الَّذِي يُفَرِّشُ فِيهِ، أَوْ يُتَّخَذُ فِيهِ لِلْجُلُوسِ، وَالتَّوْمُ، وَالزَّيْنَةُ، وَعَلَى أَدَوَاتِ الْمَطَاْعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَسَائِرِ الْحَاجَاتِ، وَيُطْلَقُ أَيْضاً عَلَى الْأَمْوَالِ الثَّابِتَةِ الَّتِي لَا تُنْقَلُ، وَعَلَى الْأَمْوَالِ الْمُتَحَرِّكَةِ الَّتِي تُنْقَلُ.

تَسْتَخِفُّونَهَا أَي: تَجِدُونَهَا خَفِيفَةً فِي الْحَمْلِ حِينَمَا تَنْتَقِلُونَ مِنْ سُكْنَى أَرْضٍ إِلَى سُكْنَى أَرْضٍ أُخْرَى أَصْلَحَ لِمَنَافِعِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي انْتَقَلْتُمْ مِنْهَا.

﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾: أَي: يَوْمَ سَفَرِكُمْ إِذْ تَحْمِلُونَهَا مَعَكُمْ، وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ إِذْ تُحْبُونَ أَنْ تَبْدُلُوا أُمْكِنَتَهَا إِلَى أُمْكِنَةٍ قَرِيبَةٍ أَحْسَنَ مَوْقِعاً أَوْ أَكْثَرَ رَاحَةً وَنَفْعاً.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً بَيَانَ بَعْضِ نِعَمِهِ عَلَى النَّاسِ مُخَاطَباً لَهُمْ:

• ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَالسَّرَائِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُنُكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٨١).

ظِلَالًا: جَمْعُ فُرْدَةٍ «ظِلٌّ».

أَكْنَانًا: جَمْعُ مُفْرَدِهِ «كِنٌّ» وَهُوَ كُلُّ مَا يَرُدُّ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ مِنَ الْأَبْنِيَةِ وَالْمَغَارَاتِ وَنَحْوِهَا.

سَرَائِلَ: جَمْعُ مُفْرَدِهِ «سَرِيَالٌ» الْقَمِيصُ، وَكُلُّ مَا يُلْبَسُ، وَالذَّرْعُ.

• ﴿سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾: أَي: ثِيَاباً تَقِيكُمْ أَدَى الْحَرِّ، وَتَقِيكُمْ أَيْضاً أَدَى الْبَرْدِ، فَدَرَجَةُ الْحَرَارَةِ، إِذَا ارْتَفَعَتْ كَانَتْ حَرًّا، وَإِذَا نَزَلَتْ كَانَتْ بَرْدًا.

• ﴿وَسَرَّيْلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُتُمْ﴾: أي: ذُرُوعاً تَقِيكُمْ فِي الْحَرْبِ بِأَسَ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ، فَلَا تَصِلُ السُّيُوفُ وَالرَّمَاخُ وَالسَّهَامُ إِلَى جَسَدِ مَنْ يُضْرَبُ بِشَيْءٍ مِنْهَا. وَالْبَأْسُ: الشَّدَّةُ فِي الْحَرْبِ.

وَمِنْ هَذَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَصْنَعُهُ النَّاسُ هُوَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، إِذْ خَلَقَ فِيهِمْ مَا يَقْدِرُونَ عَلَى صُنْعِ مَا يَصْنَعُونَ، وَجَبَلَ الْأَشْيَاءَ بِالتَّسْخِيرِ مُطَاوِعَةً لِأَنْ يَصْنَعُوا مِنْهَا وَبِهَا مَا قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَى أَنْ يَصْنَعُوهُ.

• ﴿... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٨١):

أي: كَذَلِكَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِيَمَا مَضَى، سَيَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ، فَيُمْكِّنُكُمْ مِنْ صُنْعِ أَشْيَاءَ لَا حَظَرَ لَهَا فِي الْعُصُورِ الْقَادِمَةِ بَعْدَ عَظْرِ التَّنْزِيلِ.

وَهَذَا مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنْ صِنَاعَاتٍ مُذْهِلَةٍ بِالْهَامِ اللَّهُ لَهُمْ، وَتَسْهِيلِ وَتَذْلِيلِ الْمَسْخَرَاتِ فِي الْكَوْنِ لَهُمْ، حَتَّى تَأْخُذَ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَتَنْزِينَ النَّاسَ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا، عِنْدَئِذٍ يَأْتِي أَمْرُ اللَّهِ قِيَامَ السَّاعَةِ.

• ﴿... لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٨١): أي: رَغْبَةً فِي أَنْ تُؤْمِنُوا بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ لَكُمْ فِي كِتَابِهِ، وَفِي أَنْ تُسْلِمُوا مُنْقَادِينَ لَهُ فِي شَرَائِعِهِ وَأَحْكَامِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَاباً لِرَسُولِهِ، وَيُلْحَقُ بِهِ كُلُّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ:

• ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُكْفِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٨٣).



• ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾: أي: فَإِنْ أَدْبَرَ وَابْتَغَدَ الَّذِينَ تُبَلِّغُهُمْ مَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ مِنْ آيَاتِ كِتَابِهِ، وَتَعَالِيمِ دِينِهِ، وَأَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ لِعِبَادِهِ فِي حَيَاةِ امْتِحَانِهِمْ.

• ﴿... فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾: أي: فَمَا عَلَيْكَ مِنْ وَاجِبٍ إِلَّا أَنْ تُبَلِّغَهُمْ بَلَاغًا مُبِينًا وَاضِحًا مَا أَمَرَكَ اللَّهُ رَيْكَ أَنْ تُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُحَوِّلَ أَحَدًا مِنْهُمْ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، إِنَّهُمْ يَتَحَمَّلُونَ مَسْئُولِيَّاتِ أَنْفُسِهِمْ وَاخْتِيَارَاتِهَا فِي رِحْلَةِ امْتِحَانِهَا.

• ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾: أي: إِنَّهُمْ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، بِتَأْمُلَاتِهِمْ الْفِكْرِيَّةِ، وَبِمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَبِمَا أَنْبَتَ لَهُمْ وَشَرَحْتَ يَا مُحَمَّدٌ فِي بَيِّنَاتِكَ وَتَذَكِيرِكَ لَهُمْ، وَنَمَاهُلَهُمْ كَثِيرًا رَغْبَةً فِي أَنْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، لِيُنْقِذُوا أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ يَوْمَ الدِّينِ، ثُمَّ بَعْدَ الْإِمْهَالِ الطَّوِيلِ يُنْكِرُونَ أَنَّهَا مِنْ نِعَمِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِمْ، وَيَنْسُبُونَ بَعْضَهَا إِلَى الْأَسْبَابِ الْمَادِيَّةِ الْكُونِيَّةِ، وَيَنْسُبُونَ بَعْضَهَا إِلَى مَهَارَتِهِمْ وَعِلْمِ عِنْدِهِمْ، وَيَنْسُبُونَ بَعْضَهَا إِلَى شُرَكَائِهِمْ الَّتِي اتَّخَذُوهَا آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ رَبِّهِمْ.

• ﴿... وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾: أي: وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ عِنَادًا وَجُحُودًا، الَّذِينَ يَسْتُرُونَ الْحَقَّ بِالشُّبُهَاتِ، وَالْأَكَاذِبِ وَالْأَبَاطِيلِ، مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّ مَا جِئْتُهُمْ بِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس العشرين من دروس سورة (النحل).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٤)

## التدبر التحليلي للدرس الحادي والعشرين من دروس سورة (النحل) الآيات من (٨٤ - ٨٩)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَسْلَمٌ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾:

القراءات:

(٨٦) • قرأ أبو عمرو: [إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ] بكسر الهاء والميم.

وقراها حمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ] بضم الهاء والميم.

وقراها باقي القراء العشرة: [إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ] بكسر الهاء وضم الميم.

وهي وجوه من وجوه النطق العربي.

(٨٩) • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهِمْ] بضم الهاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [عَلَيْهِمْ] بكسر الهاء.

تَمْهيد:

في آياتِ هَذَا الدَّرْسِ عَرَضُ لَفْطَاتٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَكْثَرُهَا يَتَعَلَّقُ بِبَعْضِ أَحْوَالِ الْكَافِرِينَ يَوْمَئِذٍ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثَمَّ لَا يُوْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٨٤):

أي: وَضَعَ فِي ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمُتَلَقِّي لِكَلَامِ رَبِّكَ، يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ بَلَّغَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِ إِلَيْهِمْ، كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، وَهَذَا الشَّهِيدُ الْأَوَّلُ هُوَ النَّبِيُّ الرَّسُولُ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ فِي الدُّنْيَا، فَذَلِكَ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْيَوْمِ فِي الْآيَةِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ الْمَوْقِفَ مَوْقِفَ حِسَابِ النَّاسِ عَلَى مَا قَدَّمُوا فِي دُنْيَاهُمْ لِأَخْرَجَتِهِمْ.

وَبَعَثَ الشَّهِيدَ النَّبِيَّ الرَّسُولَ يَكُونُ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ زُمْرَةِ الرُّسُلِ، وَإِزْسَالِهِ وَإِحْضَارِهِ إِلَى مَحْكَمَةِ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ الرَّبَّانِيَّةِ، لِيُؤَدِّيَ شَهَادَتَهُ عَلَى أُمَّتِهِ بِأَنَّهُ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَلَمْ يَقْصُرْ فِي تَأْيِيدِهَا وَظَائِفِهَا الَّتِي كُلفَهَا، وَرُبَّمَا يُقَدَّمُ وَسَائِلَ إِبْتَاتِ ذَلِكَ، إِذْ تُضْحَبُ شَهَادَتُهُ بِصُورٍ مُطَابِقَةٍ تَمَامًا لِمَا قَامَ بِهِ مِنْ وَظَائِفِ رِسَالَتِهِ، وَتُعْلَنُ عَلَى الْمُشْهُودِ عَلَيْهِمْ، بِالصَّوْتِ وَالصُّورَةِ، وَكُلِّ حَرَكَاتِ الْفِكْرِ وَالنَّفْسِ وَالْمَشَاعِرِ، مَعَ صُورِ مَوَاقِفِ الْمُشْهُودِ عَلَيْهِمْ كَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَمَا كَانَ يَتَلَقَّاهُ مِنْ أُمَّتِهِ بِكُلِّ التَّفَاصِيلِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ الدَّقِيقَةِ.

فَإِذَا قَدَّمَ شَهَادَتَهُ مَعَ وَسَائِلِ إِبْتَاتِهَا، وَقَدَّمَ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُ شَهَادَاتِهِمْ،

وَلَمْ يَبْقَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَا يَعْتَزُّونَ بِهِ بِصُورَةٍ جَمَاعِيَّةٍ، يُحَاوِلُ بَعْضُهُمْ أَنْ يَقْدُمُوا أَعْذَاراً كَاذِبَةً وَاضِحَةً الْكَذِبِ، فَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ، وَنَظْراً إِلَى الْفَاصِلِ الطَّوِيلِ بَيْنَ تَقْدِيمِ شَهَادَةِ الرَّسُولِ مع تقديم وسائلِ إثباتِها، وَتَقْدِيمِ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ شَهَادَاتِهِمْ وَهُوَ مَا جَاءَ بَيَانُهُ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى جَاءَ الْعُطْفُ بحرف العطف «ثُمَّ» الَّتِي تَدُلُّ بِالْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ عَلَى التَّرْتِيبِ مَعَ التَّرَاخِي، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَي: بِأَنْ يَعْتَزُّوْا بِأَعْذَارِ كَاذِبَاتٍ، دَلَّ عَلَى هَذَا الْمَطْوِيِّ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْمُرْسَلَاتِ/ ٣٣ نزول):

﴿يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَزُّونَ ﴿٢٦﴾﴾.

■ قول الله تعالى في آخر الآية:

• ﴿... وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾: أَي: وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ طَلَبُ رَفْعِ الْعُتْبِ عَنْهُمْ، بَلِ الْجُزْمُ الْعَظِيمُ لَاصِقٌ بِهِمْ وَلَا بُدَّ أَنْ يُعَاقِبُوا عَلَيْهِ خُلُوداً فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ، لِأَنَّهُ مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ الْعِنَادِيِّ الْجُحُودِيِّ.

يُقَالُ لُغَةً: «اسْتَعْتَبَ الْعَبْدُ الْمُذْنِبُ الْعَاصِي مِنْ سَيِّدِهِ» أَي: طَلَبَ رِضَاهُ بِاعْتِرَافٍ أَوْ غَيْرِهِ، لَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا يُسْتَعْتَبُونَ يَوْمَ الْحِسَابِ، أَي: لَا يُسَمَّحُ لَهُمْ أَنْ يَطْلُبُوا رِضَا رَبِّهِمْ عَنْهُمْ بِاعْتِرَافٍ، أَوْ دُعَاءٍ وَتَضَرُّعٍ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ كُفْراً عِنَادِيّاً جُحُودِيّاً، وَمَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ.

الْعُتْبُ: اللَّوْمُ وَالتَّشْرِيبُ عَلَى الذَّنْبِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً عَرْضَ بَعْضِ لَقَطَاتٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الدِّينِ.

• ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

أَي: وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ مَكَانَ عَذَابِهِمْ فِي جَهَنَّمَ،

وَوَسَائِلَ الْعَذَابِ الْمُرْهِبَةِ لِلْقُلُوبِ، مِنْ أَعْظَمِ مُسْتَوِيَاتِ الرَّهْبَةِ، فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ شَيْءٌ مِنْ مَسَاعِيرِ الذَّعْرِ الشَّدِيدِ، وَإِذَا طَلَبُوا تَخْفِيفَ الْعَذَابِ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ وَإِذَا طَلَبُوا تَأْخِيرَ وَقْتِ إِلْقَائِهِمْ فِي جَهَنَّمَ فَهُمْ لَا يُنْظَرُونَ.

**الإنظار:** التأخير والإمهال، يقال لغة: «أُنْظِرَ فلاناً» أي: أخره

وأمهله.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً عَرَضَ بَعْضُ لَقَطَاتٍ مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الدِّينِ:

• ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَاطَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾:

• ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾: أي: مَعْبُودَاتِهِمْ الَّتِي كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَارَى أَنَّهُمْ رَأَوْا مَا كَانَتْ تَرْمِزُ إِلَيْهِ أَصْنَامُهُمْ مِنْ مَلَائِكَةٍ أَوْ جِنٍّ، أَوْ أَنْاسٍ صَالِحِينَ مَاتُوا، أَوْ زَعَمَاءَ كَانَتْ لَهُمْ فِي أَقْوَامِهِمْ زَعَامَاتٍ ذَاتُ سُلْطَانٍ، فَاتَّخَذُوا لَهُمْ أَصْنَاماً صَارُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، مُتَوَهِّمِينَ أَنَّهُمْ بِعِبَادَتِهَا يَعْبُدُونَ مِنْ تَرْمِزٍ إِلَيْهِ فِي الْغَيْبِ.

• ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾: أي: قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ آلِهَتُنَا الَّذِينَ أَضَلُّونَا، فَكُنَّا نَعْبُدُهُمْ مِنْ دُونِكَ بِسَبَبِ مَا فَتَنُونَا بِهِ مِنْ وَسَائِلِ إِضْلَالٍ، فَاجْعَلْ عَذَابَ كُفْرِنَا عَلَيْهِمْ إِذْ هُمْ السَّبَبُ فِي إِضْلَالِنَا.

وَقَدْ سَبَقَ فِي سُورَةِ (الْأَعْرَافِ/ ٣٩ نزول) فِي الْآيَةِ (٣٨) أَنَّ الْمُشْرِكِينَ يُحَاوِلُونَ وَهُمْ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يُتَيَّيَ الَّذِينَ أَضَلُّوهُمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ فيقول الله لَهُمْ: لِكُلِّ مِنْكُمْ مِثْلُ جَرَائِمِهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

وَهُنَا فِي آيَةِ (النحل/ ٧٠ نزول) يُحَاوِلُ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُلْقُوا التَّبِعَةَ عَلَى شُرَكَائِهِمْ، وَهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿... فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿٨٦﴾:

أي: فَأَسْرَعَ شُرَكَائُهُمْ لِدَفْعِ تَهْمَةِ إِضْلَالِ عَابِدِيهِمْ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ بِعُنْفٍ إلقاء الحجر على رؤوسهم لدمغهم، قائلين لهم: إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ، نحن ما أضللناكم ولكن كنتم قوماً ضالين.

• ﴿... وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَسَلَّ...﴾: أرى أن هذا الإلقاء يَصُدُّ مِنَ الْمَعْبُودِينَ الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِضْلَالٌ فِي الدُّنْيَا لِعَابِدِيهِمْ، إِذْ يُعْلِنُونَ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةِ الْإِسْتِسْلَامِ الْكَامِلِ لِلَّهِ وَلِحُكْمِهِ، مُتَّظِرِينَ إِثْبَاتَ بَرَاءَتِهِمْ مِنْ إِضْلَالِهِمْ لِعَابِدِيهِمْ، وَهَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَعَلَى الصَّالِحِينَ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُمْ عَنْ عَابِدِيهِمْ غَافِلُونَ، أَوْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا.

أَمَّا إِبْلِيسُ وَالشَّيَاطِينُ، فَإِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ مِنَ التَّأْثِيرِ عَلَى عَابِدِيهِمْ، إِذْ جَاءَ فِي غَيْرِ هَذَا مِنَ النُّصُوصِ، أَنَّ الشَّيْطَانَ يَقُولُ لِعَابِدِيهِ: وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي.

وَأَمَّا الطَّعَاةُ مِنَ الْبَشَرِ فَعَابِدُوهُمْ شُرَكَائُهُمْ فِي الْجَرَائِمِ الْعَظْمَى، وَيَنَالُ كُلُّ مِنْهُمْ جَزَاءَهُ بِمِقْدَارِ جَرَائِمِهِ.

وَلَا مَانِعَ مِنْ حَمْلِ عِبَارَةِ: ﴿... وَالْقَوْلُ إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَسَلَّ...﴾ عَلَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ حِينَ تَكْذِبُهُمُ آلِهَتُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ، يُلْقُونَ الْإِسْتِسْلَامَ لِحُكْمِ اللَّهِ رَبِّهِمْ فِيهِمْ، إِذْ لَا يَجِدُونَ لِأَنْفُسِهِمْ حُجَّةً يَحْتَجُّونَ بِهَا، وَقَدْ لَزِمَتْهُمْ جَرَائِمُهُمُ الْعَظْمَى، وَلَزِمَهُمُ الْجَزَاءُ عَلَيْهَا خُلُودًا فِي عَذَابِ النَّارِ.

• ﴿... وَصَدَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٨٧﴾: أي: وَضَاعَ مِنْهُمْ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُ أَثَرًا، كُلُّ شَيْءٍ كَانُوا يَفْتَرُونَهُ فِي قَضَايَا الدِّينِ، فَلَمْ يَجِدُوا أَنَّ آلِهَتَهُمُ الَّذِينَ لَهُمْ وُجُودٌ قَدْ نَفَعُوهُمْ بِشَيْءٍ بَلْ تَبَرَّأُوا مِنْهُمْ، وَأَمَّا الْإِلَهَةُ

الَّتِي لَمْ يَكُنْ لَهَا وُجُودٌ فَهِيَ أَوْهَامٌ بَاطِلَةٌ، وَأَسْمَاءٌ سَمَّوْهَا لَا حَقِيقَةَ لَهَا.  
يَقْتَرُونَ: أي: يَفْتَرُونَهُ كَذِبًا وَزُورًا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَزَادُوا عَلَى كُفْرِهِمْ صَدَّهُمُ النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَهُمْ كُفَّارٌ وَدُعَاةٌ يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى الْكُفْرِ:  
• ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ ﴿٨٤﴾:

أي: الَّذِينَ كَفَرُوا كُفْرًا إِرَادِيًّا بِالْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَسْتُرُونَ كَوْنَهُ حَقًّا، بِحِيلِهِمْ، وَأَكْذِيبِهِمْ، وَزُخْرُفِ أَقْوَالِهِمْ، وَأَصَافُوا إِلَى كُفْرِهِمُ الْعِنَادِيَّ الْجُحُودِيَّ صَدَّهُمُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَصَرَفَ النَّاسَ عَنْهُ، بِوَاسِئِهِمُ الشَّيْطَانِيَّةَ.

الصَّدُّ: يُسْتَعْمَلُ لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًا، وَمَا فِي الْآيَةِ هُنَا مِنَ الْمُتَعَدِّي. يُقَالُ لُغَةً: «صَدَّ دَاعِي الْبَاطِلِ النَّاسَ، يَصِدُّهُمْ وَيَصُدُّهُمْ صَدًّا عَنِ الْحَقِّ». أي: مَنَعَهُمْ وَصَرَفَهُمْ عَنْهُ.

• ﴿... زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ ﴿٨٤﴾: أي: زِدْنَاهُمْ عَذَابًا عَلَى صَدِّهِمْ غَيْرُهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، الَّذِي يُفْسِدُونَ بِهِ أَفْكَارَ النَّاسِ وَعُقُولَهُمْ وَنَفُوسَهُمْ، وَيَجْعَلُونَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْبَاطِلِ، فَوْقَ الْعَذَابِ الَّذِي اسْتَحَقُّوه بِكُفْرِهِمْ.

﴿... بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ ﴿٨٤﴾: فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ بَيَانُ سَبَبِ زِيَادَةِ تَعْذِيبِهِمْ. إِنَّهُمْ لَمْ يَقْتَصِرُوا عَلَى اخْتِيَارِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ سُبُلَ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، بَلْ وَظَفُوا أَنْفُسَهُمْ ضِمْنَ جُنُودِ إِبْلِيسَ، فَاخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكُونُوا مُضِلِّينَ، بَعْدَ اخْتَارُوا أَنْ يَكُونُوا ضَالِّينَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

• ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ :

أي: وَضَعُ فِي ذَاكَرَتِكَ يَا مُحَمَّدُ هَذَا الْحَدَّثَ الَّذِي سَوْفَ يَكُونُ يَوْمَ الْحِسَابِ، يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا، مُخْرَجِينَ لَهُ مِنْ زُمْرَةِ الرُّسُلِ، وَنَحْضِرُهُ فِي مَحْكَمَةِ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ الرَّبَّانِيَّةِ، لِيُؤَدِّيَ شَهَادَتَهُ عَلَى أُمَّتِهِ، بِأَنَّهُ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَنَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَهُوَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.

وَجِئْنَا بِكَ يَا مُحَمَّدُ يَوْمَ الْحِسَابِ، شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ بَلَّغْتَهُمْ رِسَالَةَ رَبِّكَ، وَأَدَيْتَ لَهُمُ الْأَمَانَةَ، وَنَصَحْتَهُمْ، فِي مَكَّةَ وَمَا حَوْلَهَا.

أُعِيدَ بَيَانُ بَعْثِ الشَّهِيدِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ تَوَاطُنَةً لِخِطَابِ الرُّسُولِ ﷺ بِأَنَّهُ يَشْمَلُهُ هَذَا الْبَعْثُ، وَزِيدَ فِي الْمَكْرَرِ أَنَّهُ مِنْ أَنْفُسِ أُمَّتِهِ نَسَبًا أَوْ لُغَةً أَوْ إِقَامَةً وَاتِّمَاءً.

رُويَ أَنَّ الرُّسُولَ ﷺ كَانَ إِذَا تَلَّى هَذِهِ الْآيَةَ فَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

• ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ :

أي: وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْكِتَابَ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ مُتَّصِفًا بِأَرْبَعِ صِفَاتٍ:

الْصَّفَةُ الْأُولَى: أَنَّهُ تِبْيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ قَضَايَا الدِّينِ الْكُبْرَى الَّذِي اضْطَفَيْنَاهُ لِعِبَادِنَا الْمُؤْمُسُوعِينَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ الْاِمْتِحَانِ، أَمَّا التَّفْصِيلَاتُ، وَالْجُزْئِيَّاتُ، فَفُتِّهْمُ بِالْاِسْتِنبَاطِ وَالْقِيَّاسِ وَبَيِّنَاتِ الرُّسُولِ.

تِبْيَانٌ: مَصْدَرُ «بَيَّنَ الشَّيْءَ، يُبَيِّنُهُ، تَبْيِينًا، وَتَبْيَانًا» أَي: أَظْهَرَهُ، وَأَوْضَحَهُ.



الصِّفَةُ الثَّانِيَّةُ: كَوْنُهُ هُدًى، أَي: يَهْدِي النَّاسَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الْمُوَصِّلِ مَنْ سَلَكَهُ إِلَى السَّعَادَةِ وَالْخُلُودِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

الصِّفَةُ الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ رَحِمَةٌ، أَي: أَثَرٌ مِنْ أَثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ، إِذْ جَعَلَ لَهُمْ فِيهِ هِدَايَةً وَإِرْشَادًا إِلَى مَا يُسْعِدُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَآخِرَتِهِمْ.

الصِّفَةُ الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَقَادِرِينَ لِأَوَامِرِ رَبِّهِمْ وَنَوَاهِيهِ، إِذْ فِيهِ مَا يُبَشِّرُهُمْ بِالْخُلُودِ السَّعِيدِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، الَّتِي فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.

وبهذا انتهَى تدبُّر الدَّرْسِ الحَادِي والعِشْرِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (النحل).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٥)

التدبُّر التحليلي للدرس الثاني والعشرين من دُرُوسِ سُورَةِ (النحل)  
الآيات من (٩٠ - ٩٧)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ تَلْعَنُ دُونَ أَيْمَانِكُمْ دَخَلًا يَنْسَكُمُ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِمْ وَلِكَبِّينَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ لَجَمَلِكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَفْضِلُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ لَنْ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوهُ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ :

### القراءات :

(٩٠) • قرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف: [تَذْكُرُونَ].

وقراها باقي القراء العشرة: [تَذْكُرُونَ] أضلها «تَذْكُرُونَ» أَدْعَمَتِ التاء الثانية بالذال، وهذا الإدغام أحد الوجوه الجائزة عربياً.

(٩٦) • قرأ ابن كثير: [باقي] في الوقف.

وقراها باقي القراء العشرة: [باقي] في الوصل والوقف، ووافقهم ابن كثير في حالة الوصل.

(٩٦) • قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو جعفر: [وَلَنَجْزِيَنَّ] بالنون. وهو أحد وجهين لابن ذكوان.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَلَيَجْزِيَنَّ] بالياء، وهو الوجه الثاني لابن ذكوان.

### تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيان وصايا من الله عز وجل لعباده الموضوعين في الحياة الدنيا موضع الامتحان، وهي من قضايا الدين الذي اضطفأ لهم.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِعِبَادِهِ وَهُمْ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ:

• ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠):

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى بَيَانِ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ السُّلُوكِ الْفَاضِلِ الْحَسَنِ أَمَرَ اللَّهُ بِهَا. وَثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ الرَّذَائِلِ وَالْقَبَائِحِ نَهَى اللَّهُ عَنْهَا.

أ - أَمَّا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَهِيَ:

(١) الْعَدْلُ، وَهُوَ إِعْطَاءُ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَمِنْهُ الْحُكْمُ بِالْعَدْلِ بَيْنَ الْخُصَمَاءِ، دُونَ جَوْرِ وَلَا خُرُوجٍ عَنِ الْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَمِنْهُ الْعَدْلُ فِي السُّلُوكِ الدِّينِيِّ دُونَ إِفْرَاطٍ وَلَا تَقْرِيطٍ، وَمِنْهُ الْعَدْلُ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ السُّلُوكِ، وَجَاءَ فِي بَيَانَاتِ الرَّسُولِ ﷺ مَا يَلِي: إِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْقِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ.

وَجَاءَ فِي الْبَيَانِ الْقِرَآنِيِّ، قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ/ ٥٥ نزول):

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا...﴾ (١١٥)

فَالْكَلِمَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ الْخَبَرِيَّةُ صِفَتُهَا الصِّدْقُ، وَغَيْرُ الْخَبَرِيَّةِ صِفَتُهَا الْعَدْلُ.

(٢) الْإِحْسَانُ: وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَ إلْزَامٍ وَإِيجَابٍ بِالْإِحْسَانِ لِلْوَالِدَيْنِ، وَأَمَرَ الرُّسُلَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِ الدَّعْوَةِ بِالْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ مِنْ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ.

وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْإِحْسَانِ أَمْرَ تَرْغِيبٍ، فَهُوَ مِنَ النَّوَافِلِ لَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ.

الإِحْسَانُ: جَاءَ بَيَّانُهُ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ».

وَمَرْتَبَةُ الإِحْسَانِ فِي السُّلُوكِ الإِسْلَامِيِّ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ، وَدُونَهَا مَرْتَبَةُ الْبِرِّ، وَدُونَ مَرْتَبَةِ الْبِرِّ مَرْتَبَةُ التَّقْوَى، وَتَكُونُ بِفِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمُحَرَّمَاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عُمُومِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ.

(٣) إِيْتَاءُ ذِي الْقُرْبَى: وَهُوَ صَلََةُ الْأَقْرَبَاءِ وَالْأَرْحَامِ بِمَا يَسْرُهُمْ مِنْ عَطَاءٍ.

وإِيْتَاءُ ذِي الْقُرْبَى يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ:

• قِسْمٌ مَفْرُوضٌ، وَهُوَ مَا يَدْخُلُ فِي النِّفَقَةِ الْوَاجِبَةِ لَهُمْ، كَالنِّفَقَةِ الْوَاجِبَةِ عَلَى الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ مَا يَسُدُّونَ بِهِ حَاجَاتِ حَيَاتِهِمْ مِنَ الْأَوْلَادِ وَالْوَالِدِينَ.

• وَقِسْمٌ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَهُوَ بِرُّ الْأَقْرَبِينَ بِمَا يَسْرُهُمْ مِمَّا هُوَ زَائِدٌ عَلَى حَاجَاتِ حَيَاتِهِمْ.

ب - وَأَمَّا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَهِيَ:

(١) الْفَحْشَاءُ: وَهِيَ ارْتِكَابُ الْكِبَائِرِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْفُرُوجِ، كَالزُّنَا، وَإِتْيَانِ الذُّكُورِ، وَالْبَهَائِمِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْفَحْشَاءِ نَهْيٌ تَحْرِيمٌ.

(٢) الْمُنْكَرُ: وَهُوَ كُلُّ أَنْكَرِهِ الشَّرْعُ وَنَهْيٌ عَنْهُ نَهْيٌ تَحْرِيمٌ، كَأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَظُلْمِ النَّاسِ فِي حُقُوقِهِمْ، وَالْغِشُّ، وَالْغِيْبَةِ وَالنِّمِيمَةِ، وَاتِّهَامِ النَّاسِ بِالْفَوَاحِشِ الَّتِي لَمْ يَشْهَدْ بِهَا أَرْبَعَةُ شُهُودٍ.

(٣) الْبَغْيُ: وَهُوَ الْعُدْوَانُ عَلَى حُقُوقِ النَّاسِ وَسَلْبُهَا بِالْقُوَّةِ الْمَسْلُوحَةِ وَبِالْقَهْرِ.

وَحَتَمَ اللَّهُ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... يَعْظُمُ لَعَنُكُمْ لَعَنَ كُتُبٍ ۖ﴾ ﴿٩٠﴾.

يَعْظُكُمُ: أي: يَأْمُرُكُمْ أَمْرًا مَقْرُونًا بِتَرْغِيبٍ وَتَرْهيبٍ.

الْوَعْظُ: النَّصْحُ بِالْفِعْلِ أَوْ بِالتَّزْكِ الْمَقْرُونُ بِمَا يُشِيرُ الرَّغْبَةَ أَوْ الرَّهْبَةَ.

• ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: أي: رَغْبَةً فِي أَنْ تَتَذَكَّرُوا فَتَعْمَلُوا بِمَا وَعَظَكُمْ رَبُّكُمْ بِهِ. يُرَادُ بِالتَّذَكُّرِ فِي الِاسْتِعْمَالِ الْقَرَأَنِيِّ: الْأَثَرُ النَّفْسِيُّ وَالْقَلْبِيُّ لِحُضُورِ الْمَعْلُومَةِ فِي الذَّاكِرَةِ، مِنْ الْمَعْلُومَاتِ الْمَطْلُوبَاتِ فِي الدِّينِ، وَهَذَا الْأَثَرُ يَدْفَعُ إِلَى مُمَارَسَةِ السُّلُوكِ الدِّينِيِّ الْمَطْلُوبِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُتَابِعُ خِطَابَ عِبَادِهِ وَهُمْ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ:

• ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِمْ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخَالِفُونَ ﴿٩٢﴾:

• ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾: أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْلِمِينَ بِالْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ، وَهُوَ تَحْقِيقُ مَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ وَافِيًا تَامًا غَيْرَ مَنْقُوصٍ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ النَّهْيَ عَنِ الْإِخْلَافِ فِيهِ، لِأَنَّ الْأَمْرَ بِشَيْءٍ مَا نَهَى عَنْ ضِدِّهِ.

العَهْدُ: يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا يَكُونُ بَيْنَ الْعِبَادِ مِنْ مَوَاقِيقَ. وَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَوْ نَهَى عَنْهُ. وَيُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَا يَلْتَزِمُ بِهِ الْعَبْدُ تُجَاهَ رَبِّهِ كَالْمُبَايَعَاتِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ، وَمِنْ الْعَهْدِ مَعَ اللَّهِ الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ، لِأَنَّهُ عَهْدٌ مَعَ اللَّهِ عَلَى الْإِلْتِزَامِ بِفِعْلِ أَوْامِرِ اللَّهِ فِي الدِّينِ، وَتَرْكِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَمُتَابَعَةِ مَسِيرَةِ الْحَيَاةِ عَلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهَذَا الْعَهْدُ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ أَنَّهُ عَهْدُ اللَّهِ، لِأَنَّهُ عَهْدٌ مَعَهُ جَلَّ جَلَالُهُ - وَأَمَّا مَا يَكُونُ بَيْنَ الْعِبَادِ مِنْ مَوَاقِيقَ فَفِيهِ تَوَثُّقٌ غَالِبًا بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ مَعْنَى جَعْلِ اللَّهِ كَفِيلًا، فَإِذَا لَمْ

يَفِ الْمَعَاهِدُ بِعَهْدِهِ عَرَضَ نَفْسُهُ لِعُقُوبَةِ اللَّهِ إِذْ جَعَلَ اللَّهُ بِالْيَمِينِ بِهِ كَفِيلًا لَهُ.

وَوَظَاهِرٌ أَنَّ هَذَا التَّكْلِيفَ يَشْمَلُ كُلَّ الْعُهُودِ الْمُوثَّقَةِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَخْتَصُّ بِالْعُهُودِ الَّتِي كَانَ الدَّاخِلُونَ فِي الْإِسْلَامِ يُبَايِعُونَ الرَّسُولَ ﷺ فِيهَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا كَانُوا يُبَايِعُونَهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ جَاءَ بَيَانُهَا فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ.

وَوَظَاهِرٌ أَيْضاً أَنَّ الْمُرَادَ مَا يُعَاهِدُ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ فِعْلاً، أَخْذًا مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾.

أَمَّا أَوْامِرُ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ الَّتِي لَمْ تُسَبِّقْ بِالْعَهْدِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِيهَا، فَهِيَ لَا تَدْخُلُ ضِمْنَ عُمُومِ هَذَا الْبَيَانِ، وَلَكِنْ تَجِبُ طَاعَةُ اللَّهِ فِيهَا بِحَقِّ رُبُوبِيَّتِهِ وَالْهَيْئَةِ لِعِبَادِهِ.

• ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾:

نَقْضُ الْأَيْمَانٍ يَكُونُ بِعَدَمِ تَحْقِيقِ مَا حَلَفَ عَلَيْهِ الْحَالِفُ.

أَمَّا الْأَيْمَانُ الَّتِي تَكُونُ لِتَوْثِيقِ الْعُهُودِ، فَيَجِبُ الْوَفَاءُ بِهَا وَعَدَمُ نَقْضِهَا حَتْمًا، إِذْ تَرْتَبِطُ بِهَا حُقُوقٌ تَعَاقُدِيَّةٌ مَعَ غَيْرِ الْحَالِفِ.

وَأَمَّا الْأَيْمَانُ الَّتِي يَلْتَزِمُ بِهَا الْحَالِفُ لِنَفْسِهِ بِأَمْرِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَا تَكُونُ مِنَ الْعُهُودِ، فَقَدْ صَحَّ فِيهَا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ قَوْلُهُ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَلْيَكْفُرْ عَنْ يَمِينِهِ». وَقَوْلُهُ:

«وَاللَّهِ لَا أَخْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي».

جَاءَ فِي هَذَا الْبَيَانِ النَّبَوِيِّ إِطْلَاقُ الْيَمِينِ عَلَى الْمَحْلُوفِ عَلَيْهِ لَا

عَلَى لَفْظِ الْيَمِينِ بِاللَّهِ أَوْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ أَوْ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحَسَنَى.

وَعَلَى هَذَا يَكُونُ نَقْضُ الْإِيمَانِ عَدَمَ تَحْقِيقِ مَا عَزَمَ عَلَى فِعْلِهِ أَوْ تَرْكِهِ الْمُسْلِمُ، وَأكَّدَ عَزْمَهُ بِالْحَلْفِ بِاللَّهِ أَوْ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ، أَوْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

فَتَأْتِي عِبَارَةٌ: ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ دَالَّةٌ عَلَى مَعْنَى تَوْكِيدِ الْمَعْزُومِ عَلَى فِعْلِهِ أَوْ تَرْكِهِ بِالْحَلْفِ. وَبِنَاءٍ عَلَى هَذَا لَا حَاجَةَ لِلتَّأْوِيلَاتِ النَّاكِمَاتِ عَنْ فَهْمِ التَّوْكِيدِ لِلْفِظِ الْحَلْفِ بِتَشْدِيدِهِ وَتَغْلِيظِهِ بِالتَّكْرِيرِ، أَوْ بغيرِهِ مِنْ عِبَارَاتِ التَّوْثِيقِ بِالْحَلْفِ، مِثْلُ: «وَاللَّهِ وَبِاللَّهِ وَتَالَهُ» فَتَوْكِيدُ الْمَعْزُومِ عَلَى فِعْلِهِ أَوْ تَرْكِهِ يَكُونُ بِقَسَمٍ وَاحِدٍ.

• ﴿... وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٩١):

أَي: وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ بِسُلْطَانِهِ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا لَكُمْ، إِذْ أَقْسَمْتُمْ بِهِ، وَعَرَضْتُمْ أَنْفُسَكُمْ لِعُقُوبَتِهِ الشَّدِيدَةِ إِذَا لَمْ تَقُوا بِمَا عَاهَدْتُمْ عَلَيْهِ، أَوْ التَّزَمْتُمْ بِهِ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ ثُمَّ لَمْ تَكْفُرُوا عَنْ أَيْمَانِكُمْ.

الْكَفِيلُ: الضَّامِنُ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْمُتَابِعُ لِمَنْ وَكَلَ إِلَيْهِ الْإِنْتِصَارَ لِمَنْ عَاهَدَهُ، أَوْ عِقَابَ مَنْ التَّزَمَ بِأَمْرٍ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ إِذَا لَمْ يُؤَدِّ مَا وَجِبَ عَلَيْهِ.

• ﴿... إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (٩١): أَي: وَبِمَا أَنَّهُ الْمُمْتَحَنُ

الْمُتَزَمِّ بِمُجَازَاةِ عِبَادِهِ، بِالْفَضْلِ أَوْ بِالْعَدْلِ، فَاحْذَرُوا عِقَابَهُ عَلَى مُخَالَفَةِ مَا أَوْجَبَهُ عَلَيْكُمْ، اْعْلَمُوا أَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ مَهْمَا اسْتَحْفَيْتُمْ.

• ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا...﴾ (٩٢):

قِيلَ: كَانَتْ امْرَأَةٌ بِمَكَّةَ تُسَمَّى خَرْقَاءَ مَكَّةَ، كَانَتْ تَغْزِلُ فِإِذَا أَبْرَمَتْ غَزْلَهَا نَقَضَتْهُ.

نَقَضَ الْحَبْلُ أَوْ الْعَزْلُ حَلُّ طَاقَاتِهِ، فَكُلَّ خَيْطٍ مُبْرَمٍ يُسَمَّى مِنَ الْحَبْلِ قُوَّةً.

أَنْكَائًا جَمْعُ «نَكَثَ» وَهُوَ الْخَيْطُ الْخَلْقُ مِنْ صُوفٍ أَوْ شَعْرِ أَوْ وَبَرٍ يُنْقَضُ، ثُمَّ يُعَادُ فَتَلُهُ وَإِبْرَامُهُ.

وَالْمَرْأَةُ الْمَشْبَهُ بِهَا كَانَتْ تَعْزِلُ وَتُبْرِمُ غَزْلَهَا، وَيَكُونُ غَزْلُهَا قُوَّةً مُبْرَمَةً، ثُمَّ تَأْتِي إِلَى مَا أَبْرَمَتْهُ وَجَعَلَتْهُ قُوَّةً صَالِحَةً مُبْرَمَةً مِنْ عِدَّةٍ قُوَى، نَقَضَتْهُ فَجَعَلَتْهُ أَنْكَائًا خُيُوطًا مَحْلُولَةً غَيْرَ مُبْرَمَةٍ.

أي: وَلَا تَكُونُوا بِعَدَمِ الْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ، وَبِنَقْضِ الْإِيمَانِ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، كَالْمَرْأَةِ الْخَرْقَاءِ الْحَمَقَاءِ الَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ مَا جَعَلَتْهُ قُوَّةً مُبْرَمَةً مِنْ عِدَّةٍ قُوَى أَنْكَائًا، أي: خُيُوطًا مَحْلُولَةً لَا قُوَّةَ لَهَا.

فَدَلَّ بِهَذَا الْمَثَلِ عَلَى أَنَّ الَّذِي لَا يَفِي بِعَهْدِهِ الْمُؤْتَى بِالْيَمِينِ بِاللَّهِ، أَوْ يَنْقُضُ مَا عَزَمَ عَلَى فِعْلِهِ أَوْ تَرَكِهِ وَأَكْثَدَهُ بِالْيَمِينِ دُونَ كَفَارَةٍ، إِنْسَانٌ نَاقِصُ الْعَقْلِ أَحَقُّ سَفِيهِ يُعَرِّضُ نَفْسَهُ لِعُقُوبَةِ اللَّهِ، إِذْ لَمْ يُؤَدِّ مَا جَعَلَ اللَّهُ كَفِيلًا لَهُ فِيهِ بِإِيمَانِهِ.

• ﴿لَتَنَخِذُوا أَنْتُمْ كَرُّ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ...﴾.

دَخَلًا: أي: مَكْرًا وَخَدِيعَةً وَغِشًا وَفَسَادًا.

ذَكَرَ أَنَّ قُرَيْشًا كَانُوا إِذَا رَأَوْا أَنَّ أَعَادِي حُلَفَائِهِمْ أَكْثَرُ شَوْكَةً وَقُوَّةً، نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مَعَ حُلَفَائِهِمْ وَحَالَفُوا أَعْدَاءَهُمْ، وَغَرَضُهُمْ مِنْ هَذَا أَنْ تَكُونَ أُمَّتُهُمْ أَرْبَى مِنْ غَيْرِهَا، أي: أَكْثَرُ عَدَدًا مِنْهَا، وَأَكْثَرُ قُوَّةً وَمَالًا، وَهَذَا غَرَضٌ تَنَافُسِيٌّ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ غَرَضًا يُقْصَدُ عِنْدَ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ، بَلْ مِنْ عَادَاتِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ.

أَمَّا إِذَا كَانَ الْغَرَضُ التَّعَاوُنَ عَلَى رَفْعِ الظُّلْمِ، أَوْ مُسَاعَدَةَ ذَوِي



الْحَاجَاتِ، أَوْ نَشْرِ الْحَقِّ وَالْفَضِيلَةِ، فَهُوَ غَرَضٌ مَقْبُولٌ فِي الدِّينِ، وَيَحْسُنُ نَقْضُ الْعَهْدِ مِنْ أَجْلِهِ.

أي: تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ مِنْ وَسَائِلِ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَالْغِشِّ، فَتَنْقُضُونَهَا لِأَجْلِ تَنَافُسَاتِ جَاهِلِيَّةٍ، مِنْهَا أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَكْثَرُ مِنْ أُمَّةٍ عَدَدًا وَقُوَّةً وَمَالًا، مَعَ أَنَّ الْجَمِيعَ عِبَادُ اللَّهِ.

• ﴿... إِنَّمَا يَتْلُوَكُمْ اللَّهُ يَوْمَ...﴾: أي: إِنَّ تَكْوِينَ الْأُمَمِ مُتَفَاضِلِينَ مِمَّا ابْتَلَاكُمْ اللَّهُ بِهِ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَلَا تَنْقُضُوا عُهُودَكُمْ الْمُؤَكَّدَةَ بِالْأَيْمَانِ، مِنْ أَجْلِ نَزَعَاتٍ وَتَفَاخُرَاتٍ وَوَلَاءَاتٍ جَاهِلِيَّةٍ، لَا تَخْدُمُ غَرَضًا مِنَ الْأَغْرَاضِ النَّبِيلَةِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي فِيهَا خَيْرٌ يُرْضِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَرْغَبُ فِيهَا، كَرَفْعِ الظُّلْمِ، وَفِعْلِ الْمَعْرُوفِ، وَمُسَاعَدَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُسْتَضْعِفِينَ وَذَوِي الضَّرُورَاتِ وَالْحَاجَاتِ.

• ﴿... وَلَيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: ﴿٩٢﴾

أي: وَتَأْكُدُوا لَيَّبِنَنَّ اللَّهُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ الْحِسَابِ، كُلَّ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَيَاةَ الْإِبْتِلَاءِ مِنْ أَعْمَالٍ وَعَقَائِدَ وَنِيَّاتٍ، تَمْهِيدًا لِفَضْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَكُمْ، وَالْحُكْمِ عَلَى كُلِّ فَرْدٍ مِنْكُمْ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْ جَزَاءٍ بِالشَّوَابِ أَوْ بِالْعِقَابِ، ثُمَّ يَكُونُ تَنْفِيذُ الْجَزَاءِ عَلَى وَفْقِ الْقَضَاءِ الرَّبَّانِيِّ.

اللام في: ﴿وَلَيَبَيِّنَنَّ﴾ مُوَطَّئَةٌ لِلْقِسْمِ كَمَا يَقُولُ النحاة.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيِّنًا أَنَّهُ خَلَقَ النَّاسَ ذَوِي اخْتِيَارَاتٍ حُرَّةً، وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُمْ مَجْبُورِينَ، وَحَيْثُ يَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً مَهْدِيَيْنَ، لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، وَوَجَّهَ فِيهِ الْخِطَابَ لِلنَّاسِ:

• ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي

مَنْ يَشَاءُ وَلَسْتَ لَكَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ﴿٩٣﴾

أي: لَقَدْ خَلَقَكُمْ اللَّهُ ذَوِي إِرَادَاتٍ حُرَّةٍ، وَلَوْ شَاءَ لَسَلَبَكُمْ حُرِّيَّةَ إِرَادَاتِكُمْ، وَلَجَعَلَكُمْ مَجْبُورِينَ، وَلَوْ جَعَلَكُمْ مَجْبُورِينَ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً مَهْدِيَّيْنَ لَا ضَلَّ فِيكُمْ، وَلَكُنْتُمْ كَالْمَلَائِكَةِ.

وَإِذْ جَعَلَكُمْ ذَوِي إِرَادَاتٍ حُرَّةٍ لِيَمْتَحِنَكُمْ فِي طُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَانَ مِنْ لَوَازِمِ حُرِّيَّاتِ إِرَادَاتِكُمْ أَنْ يَخْتَارَ بَعْضُكُمْ سَبِيلَ الْهُدَى، وَأَنْ يَخْتَارَ آخَرُونَ مِنْكُمْ سَبْلَ الضَّلَالِ اتِّبَاعاً لِأَهْوَائِهِمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَنَزَعَاتِهِمُ الْجَانِحَةِ، وَنَزَعَاتِ شَيَاطِينِهِمْ.

وَبِنَاءً عَلَى اخْتِيَارَاتِكُمُ الْمُخْتَلِفَةِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، يَحْكُمُ اللَّهُ بِمَشِيئَتِهِ الْحَكِيمَةِ عَلَى مَنْ ضَلَّ بِالضَّلَالِ، وَيَحْكُمُ بِمَشِيئَتِهِ لِمَنْ اهْتَدَى بِالْهُدَايَةِ، فِي مَحْكَمَةِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ يَوْمَ الْحِسَابِ.

وَعِنْدَ مُحَاسَبَتِكُمْ، أَكْثَدُ لَكُمْ أَنَّكُمْ لَسَأَلْتُمْ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فِي حَيَاةِ الْامْتِحَانِ، لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْكُمْ، وَإِصْدَارِ أَحْكَامِ الْعَدْلِ بَيْنَكُمْ، الَّتِي تَسْتَبِيعُ الْجِزَاءَ.

وَيَغْلُظُ الْكَثِيرُونَ فِي فَهْمِ هَذِهِ الْآيَةِ وَأَشْبَاهِهَا، فَيَحْمِلُونَهَا عَلَى مَعْنَى الْجَبْرِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً خِطَابَ عِبَادِهِ وَهُمْ فِي حَيَاةِ الْإِبْتِلَاءِ.

• ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا الشَّوْءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُرْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٤) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾:

سبق في الآية (٩٢) النَّهْيُ عَنِ اتِّخَاذِ الْإِيمَانِ دَخَلًا، أَيُّ: مَكْرًا وَخَدِيعَةً وَغِشًا وَفَسَادًا، لِنَقْضِ الْعُهُودِ وَالْأَخْلَافِ فِيهَا لِمَقَاصِدِ جَاهِلِيَّةٍ، مِنْهَا أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ أَكْثَرُ مِنْ أُمَّةٍ عَدَدًا وَقُوَّةً وَمَالًا، وَنَحْوِ هَذَا مِمَّا

يَتَفَاخَرُونَ فِيهِ، وَأَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ ذَلِكَ خُرْقٌ وَحِمَاقَةٌ وَنَقْصٌ فِي الْعَقْلِ وَسَفَاهَةٌ، كَحَالَةِ الْمَرَأَةِ الْخَرْقَاءِ الْمُصَابَةِ بِجُنُونٍ مَا، الَّتِي تَنْقُصُ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةِ أَنْكَائِهَا.

وَجَاءَ فِي الْآيَةِ (٩٤) نَهْيٌ يَخُصُّ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ، وَيُبَايِعُونَ عَلَى نُصْرَتِهِ وَنُصْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ، مُوثِّقِينَ بَيْنَهُمْ بِمَا يَحْلِفُونَ مِنْ أَيْمَانٍ، ثُمَّ يَتَعَرَّضُونَ لِفِتْنَةٍ مِنْ قِبَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَغْرَاءِ مَادِّيَّةٍ أَوْ مَعْنَوِيَّةٍ، فَتَمِيلُ نَفْسُهُمْ لِنَقْصِ بَيْعَتِهِمْ وَالْإِرْتِدَادِ عَنِ الْإِسْلَامِ، طَمَعاً فِيمَا وَعَدُوا بِهِ مِنْ مَنَافِعَ دُنْيَوِيَّةٍ، فَنَزَلَ الْبَيَانُ الرَّبَّانِيُّ مُثَبِّتاً لَهُمْ بِأَسْلُوبِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ.

فَمَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا يَتَعَلَّقُ بِعَهْدِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَالْمُبَايَعَةِ عَلَيْهِ، وَتَحَرُّكِ بَعْضِ النَّفُوسِ لِلإِرْتِدَادِ عَنْهُ، طَمَعاً فِي مَنَافِعَ دُنْيَوِيَّةٍ عِنْدَ الَّذِينَ كَفَرُوا.

الْأَمْرَانِ مُخْتَلِفَانِ، وَفِي كُلِّ مِنْهُمَا تُتَّخَذُ الْإِيمَانُ دَخَلاً، مَكْرَماً وَغِشّاً وَخَدِيعَةً، وَغُنْصُراً قَابِلاً لِلْفَسَادِ السَّرِيعِ مَعَ أَنَّهُ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ وَالْوَاجِبِ غُنْصُرٌ مُوثِّقٌ لِلْعُهُودِ، وَالْبَيْعَاتِ.

**فالمعنى :**

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ أَيُّهَا الدَّاخِلُونَ فِي الْإِسْلَامِ وَالْمُبَايِعُونَ عَلَيْهِ أَيْمَانَ غِشٍّ وَفَسَادٍ، قَابِلَةً لِلنَّقْصِ، وَالرَّدَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ، إِذْ يَنْجُمُ عَنْهَا إِنْزِلَاقٌ إِلَى شَرٍّ عَظِيمٍ، تَذَوُقُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا سُوءَ تَكْرَهُوْنَهُ، بِسَبَبِ إِغْرَاضِكُمْ وَانْصِرَافِكُمْ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ سَبَبُ سَعَادَتِكُمْ، وَعَنْ سَبِيلِ اللَّهِ الْمَوْصِلِ إِلَى السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، ثُمَّ يَكُونُ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ دَارِ الْمُجْرِمِينَ.

وَلَا تَغَرَّنَّكُمْ غُرُوضُ الْكَافِرِينَ الْمُضِلِّينَ بِمَنَافِعَ دُنْيَوِيَّةٍ، فَتَبِيعُوا عَهْدَ اللَّهِ

الَّذِي دَخَلْتُمْ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، مُقَابِلَ ثَمَنِ قَلِيلٍ يُقَدِّمُهُ لَكُمْ أَثِمَّةُ الْكُفْرِ الْمَضِلُّونَ، فَالَّذِي أَعَدَّهُ اللَّهُ لِلثَّابِتِينَ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَهُوَ يَجْعَلُكُمْ تَثْبُوتَ عَلَى إِيْمَانِكُمْ وَإِسْلَامِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُسْتَعِدِينَ لِأَنْ تُدْرِكُوهُ وَتَعْلَمُوهُ وَتُؤْمِنُوا بِهِ.

وَخَاطَبَ اللَّهُ النَّاسَ بِأَنْ كُلَّ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ مَالٍ وَمَنَافِعَ وَمَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَنْقُذَ بَانْتِهَاءٍ آخِرِ شَيْءٍ مِنْهُ وَفَنَائِهِ، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِمَّا ادَّخَرَهُ لِلْمُتَّقِينَ وَالْأَبْرَارِ وَالْمُحْسِنِينَ بَاقٍ لَا نَفَادَ لَهُ، وَأَقْسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ سَوْفَ يَجْزِي الَّذِينَ صَبَرُوا عَلَى الثَّبَاتِ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ، كَمَا عَاهَدُوا اللَّهَ عِنْدَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَمْ تُؤْثَرِ فِيهِمْ الْمَغْرِبَاتُ وَلَا الْمُؤْذِيَّاتُ، وَيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَأَحْسَنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ هِيَ الْفَرَائِضُ وَالنَّوَافِلُ، أَمَّا الْمُبَاحَاتُ فَقَدْ يُشِيْهُمُ عَلَيْهَا إِذَا كَانَتْ مَقْرُونَةً بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ تُرْضِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَمَّا الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتُ فَيَنْطَبِقُ عَلَيْهَا أَنَّهَا سَيِّئَاتٌ، وَالْأَحْسَنُ مِنْهَا الْمُبَاحَاتُ وَالنَّوَافِلُ وَالْوَاجِبَاتُ.

• ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾: أي: وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ أَيْمَانَ غِشٍّ دَاخِلٍ فِي ثَنَائِيَا أَعْمَالِكُمْ وَمَقَاصِدِكُمْ مِنْهَا، فَتَكُونَ سَهْلَةً النِّقْضِ إِذَا اقْتَضَتْ مَصَالِحَكُمْ، نَقَضَهَا.

• ﴿فَنَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: أي: فَتَزَلَقَ قَدَمٌ مِمَّا مِنْ أَقْدَامِكُمْ فِي مَزَالِقِ الْكُفْرِ وَالرَّدَّةِ، فَتَجَرَّ مَعَهَا كُلُّ جَسَدٍ صَاحِبِهَا بَعْدَ ثُبُوتِهَا عَلَى صِرَاطِ الْحَقِّ وَالْهُدَى. فَالْغِشُّ فِي الْأَيْمَانِ عِنْدَ تَوْثِيقِ الْعُهُودِ عِلَّةٌ مُزْلِقَةٌ فِي شَرٍّ عَظِيمٍ، وَجَرْمٌ جَسِيمٍ، وَالْوَاجِبُ يَقْتَضِي سَلَامَةَ الْأَيْمَانِ مِنْ أَنْ تَكُونَ دَخَلًا، حَتَّى لَا تَكُونَ فِي الْأَنْفُسِ عِلَّةٌ مُزْلِقَةٌ إِلَى مَا تُذَمُّ عُقْبَاهُ.

• ﴿وَتَذَرُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدَتْهُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: أي: وَتَنَالُوا يَا مَنْ زَلَلْتُمْ أَقْدَامَكُمْ أَشَدَّ الْإِحْسَاسِ بِمَا تَكْرَهُونَ مِنْ آلَامٍ مَا تُعَاقِبُونَ بِهِ، بِسَبَبِ مَا أَغْرَضْتُمْ وَأَنْصَرَفْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ الْمَوْصِلِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

• ﴿... وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٤): أي: وَسَوْفَ يَكُونُ لَكُمْ يَوْمَ الدِّينِ عَذَابٌ عَظِيمٌ تُعَذَّبُونَ بِهِ فِي الْجَحِيمِ، عِقَاباً لَكُمْ عَلَى رِدَّتِكُمْ إِلَى الْكُفْرِ أَعْظَمَ الْجَرَائِمِ.

• ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (٩٥): أي: وَلَا تَسْتَحْيُوا لِمَنْ يُوْضِلُكُمْ مِنْ أَيْمَةِ الْكُفْرِ، فَتَوَافِقُهُمْ عَلَى نَقْضِ عَهْدِ اللَّهِ وَالْإِزْدَادِ عَنِ الْإِسْلَامِ، مُقَابِلَ ثَمَنٍ قَلِيلٍ مِنْ مَحَابِّكُمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ يُشْبِهُ عَقْدَ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ، فَاسْتُعِيرَ لَفْظُ الشِّرَاءِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى الْبَيْعِ أَيْضاً، لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْمَوَافَقَةِ عَلَى نَقْضِ الْعَهْدِ مُقَابِلَ بَذْلِ مَتَاعٍ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الْمَادِّيَّةِ أَوِ الْمَعْنَوِيَّةِ.

• ﴿... إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٩٥): أي: إِنَّ الَّذِي هُوَ عِنْدَ اللَّهِ مُعَدٌّ لِلثَّابِتِينَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَإِسْلَامِهِمُ الَّذِي عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ يُبْذَلُ لَكُمْ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُقَابِلَ ارْتِدَادِكُمْ، إِنْ ارْتَدَدْتُمْ. وَهَذَا يَجْعَلُكُمْ لَا تَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَهُ، فَثِقُوا بِهِ وَاعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهُ.

• ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ (٩٦): أي: كُلُّ مَا عِنْدَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يَذْهَبُ وَيَفْنَى، وَمَا عِنْدَ اللَّهِ، وَهُوَ مَا آذَرَهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بَاقٍ، لَا يَتَعَرَّضُ لِلنَّفَادِ وَالْانْتِهَاءِ إِذْ هُوَ مُتَجَدِّدٌ دَوَاماً بِلَا نِهَايَةٍ.

• ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧):

اللَّامُ فِي ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُ﴾ مُوَطَّئَةٌ لِلْقَسَمِ، أي: وَأَقْسِمُ لِأَعْطِيَنَّهُ الَّذِينَ ثَبَتُوا عَلَى الْإِيْمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَصَبَرُوا عَلَى عَدَمِ التَّأَثُّرِ بِالْمُغْرِبَاتِ، وَعَدَمِ التَّأَثُّرِ بِالْمُرْهَبَاتِ وَالْمُؤْذِيَّاتِ مِنْ قَبْلِ أَيْمَةِ الْكُفْرِ، أَجْرَهُمْ عَلَى صَبْرِهِمْ فَنَجْزِيَهُمْ ثَوَاباً بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالنَّوَافِلِ وَالْقُرْبَاتِ وَالْمُبَاحَاتِ الْمَقْرُونَاتِ بِنِيَّاتٍ صَالِحَاتٍ، وَهَذِهِ هِيَ

أَحْسَنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَهُمْ يُجْزَوْنَ بِهَا. أَمَّا الْمُبَاحَتُ بِدُونِ نِيَّاتٍ صَالِحَاتٍ، وَالْخَطَايَا فَلَا يُؤْجَرُونَ عَلَيْهَا، وَيَعْفُو اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ عَمَّا يَشَاءُ الْعَفْوُ عَنْهُ مِنْهَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧):

خَتَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الدَّرْسِ، بِبَيَانِ بَنْدٍ مِّن بُنُودِ قَانُونِ الْجَزَاءِ، وَهُوَ الْجَزَاءُ بِالثَّوَابِ.

فَمِنْ عَمَلٍ عَمَلًا صَالِحًا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَى، وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِمَا يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ فِي دِينِ اللَّهِ لِعِبَادِهِ، فَلَهُ ثَوَابَانِ:

(١) ثَوَابٌ مُّعَجَّلٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ أَنْ يُحْيِيَهُ اللَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ضِمْنَ ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَعَوَارِضِهَا.

وَمِنْ أَعْظَمِ طَيِّبَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الرِّضَا عَنِ اللَّهِ فِيمَا تَجْرِي بِهِ مَقَادِيرُهُ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا وَيَعْمَلُ أَعْمَالًا صَالِحَةً، وَكَانَ رَاضِيًا عَنِ اللَّهِ فِيمَا تَجْرِي بِهِ مَقَادِيرُهُ، فَهُوَ فِي حَيَاةٍ طَيِّبَةٍ.

وَمَنْ كَانَ سَاخِطًا عَلَىٰ مَا تَجْرِي بِهِ مَقَادِيرُ اللَّهِ فَهُوَ فِي حَيَاةٍ بَيْسَةٍ تَعِيسَةٍ.

(٢) وَثَوَابٌ عَظِيمٌ مُّوَجَّلٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، دَلَّ عَلَيْهِ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وَقَدْ سَبَقَ تَدْبِيرُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ لَدَى تَدْبِيرِ الْآيَةِ (٩٦) السَّابِقَةِ.

وبهذا انتهى تدبُّر الدرس الثاني والعشرين من دُرُوس سورة (النحل).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ.

(٢٦)

## التدبر التحليلي للدرس الثالث والعشرين من دُروس سورة (النحل) الآيات من (٩٨ - ١٠٥)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُمُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوهُمْ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا ءَايَةً مَكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبُ وَهَذَا لِسَانُ عَرَبٍ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

القراءات:

(٩٨) • قرأ السُّوسي، وأبو جَعْفَر: [قَرَأَتْ] وكذلك حمزة في

الوقف.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [قَرَأَتْ].

(٩٨) • قرأ ابن كثير: [الْقُرْآنَ]. وكذلك حمزة في الوقف.

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [الْقُرْآنَ].

(١٠١) • قرأ ابن كثير، وأبو عَمْرٍو: [بِمَا يُنْزِلُ] من فعل «أَنزَلَ».

وقرأها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [بِمَا يُنْزِلُ] من فعل «نَزَلَ».

أَنزَلَ وَنَزَلَ مُتَكَافِئَانِ، فَالْمَهْمُوزُ أَخُو الْمَضْعَفِ.

(١٠٢) • قرأ ابن كثير: [الْقُدْسِ] بِإِسْكَانِ الدَّالِ.

وقراها بَاقِي الْقُرْأَةِ الْعَشْرَةِ: [الْقُدْسِ] بِضَمِّ الدَّالِ. وَهُمَا لَغْتَانِ.

(١٠٣) • قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: [يُلْحِدُونَ] بفتح الياء والحاء مِنْ فِعْلِ «لَحَدَ».

وقراها بَاقِي الْقُرْأَةِ الْعَشْرَةِ: [يُلْحِدُونَ] بِضَمِّ الياء وَكَسْرِ الحاء، مِنْ فِعْلِ «أَلْحَدَ».

وهُمَا لَغْتَانِ، أَيْ يَمِيلُونَ عَنِ الْحَقِّ.

(١٠٤) • قرأ أبو عمرو: [لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ] بِكَسْرِ الهاء والميم بَعْدَهَا.

وقراها حمزة، والكسائي، ويعقوب: وخلف: [لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ] بِضَمِّ الهاء والميم بَعْدَهَا.

وقراها بَاقِي الْقُرْأَةِ الْعَشْرَةِ: [لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ] بِكَسْرِ الهاء وَضَمِّ الميم بَعْدَهَا.

وَضَمَّ هَاءَ الضمير فِي الْوَقْفِ يَعْقُوبُ.

تَمْهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ رَبَّانِي بِشَأْنِ الْقُرْآنِ، وَبِشَأْنِ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَأَعْمَالِهِ الْإِغْوَائِيَّةِ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْلُوبِ الْخُطَابِ الْإِفْرَادِيِّ لِكُلِّ صَالِحٍ لِلْخُطَابِ

مِنَ الْمُسْلِمِينَ:

وَأَوَّلُهُمُ الرُّسُولُ ﷺ:



• ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ :

«الفاء» في ﴿فَإِذَا﴾ عاطفة على ما جاء في الآية (٨٩): ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ .

• ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ :

أي: فَإِذَا أَرَدْتَ يَا مُحَمَّدُ وَيَا مُسْلِمٌ أَيًّا كُنْتَ أَنْ تَشْرَعَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مِنْ صَحِيفَةٍ مَكْتُوبَةٍ، أَوْ مِنْ صَحِيفَةٍ ذَاكَرَتِكَ، فَقُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، لِيَتَمَنَعَ بِهِ هَذِهِ الِاسْتِعَاذَةُ بِاللَّهِ، عَنْ فِكْرِكَ وَنَفْسِكَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَتَسْوِيلَاتِهِ وَمَا يَنْزَعُ بِهِ مِنْ شَبَهَاتٍ، فَإِنَّكَ إِذَا اسْتَعَذْتَ بِاللَّهِ صَانَكَ وَحَمَالَكَ.

الاستعاذة: الاعتصام والالتجاء إلى المستعاذ به، والاستعاذة بالله هي الاستعاذة النَّافعةُ في الوجود كله.

الشَّيْطَانُ: اسم جنس يقع على كُلِّ مُغْوٍ مُضِلٍّ مُتَمَرِّدٍ مُفْسِدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَإِبْلِيسُ إِمَامُ الشَّيَاطِينِ وَرَئِيسُهُمْ. والمراد هنا الشيطان من الجن. الرَّجِيمُ: أي: الملعون المظروود.

• ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ :

السُّلْطَانُ: القوَّة والقهر. والحجَّة والبرهان. والولاية والمُلك.

التوكل على الله: الاستِسْلَامُ إليه، وَتَفْوِيضُ تَدْبِيرِ الْأُمُورِ وَتَحْقِيقِ مَا يَرْجُو الْمُتَوَكِّلُ إِلَيْهِ، مع القيام بالأسباب المستطاعة المادية والمعنوية، طاعةً لِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

وجاء تقديم المعمول ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ على عامليه ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ لإفادة القصر والاختصاص.

المعنى: إِنَّ الشَّيْطَانَ مِنَ الْجِنَّ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانُ قُوَّةٍ وَوِلَايَةٍ، وَلَا سُلْطَانُ حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ، عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا إِيْمَانًا صَحِيحًا صَادِقًا بِمَا يَجِبُ الْإِيْمَانُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَانُوا عَلَى رَبِّهِمْ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ يَتَوَكَّلُونَ.

• ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (١٠٠):

أي: مَا سُلْطَانُهُ الْمُؤَثِّرُ بِالْوِلَايَةِ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ يَجْعَلُونَهُ وَلِيًّا لَهُمْ، إِذْ يَتَّبِعُونَ الْأَهْوَاءَ وَالشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ وَرَغَبَاتِ نَفْسِهِمُ الْجَامِحَةَ الْجَانِحَةَ.

وكَذَلِكَ الَّذِينَ هُمْ بِسَبَبِ إِغْوَاءَاتِهِ مُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ آلِهَةً مِنْ دُونِ اللَّهِ.

أَوْ وَكَذَلِكَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ مَعْبُودًا لَهُمْ فَجَعَلُوهُ فِي عِبَادَتِهِمْ لَهُ شَرِيكًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، ذَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (يس/ ٤١ نزول) تَعْبِيرًا عَمَّا سَوْفَ يَقُولُ لِيْنِي آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

﴿وَأَمْتَرُوا أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ﴾ (٥٩) ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىٰ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٠) ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦١).

وَمَعْلُومٌ أَنَّ عِبَادَةَ الشَّيْطَانِ مِنَ الشُّرْكِ بِاللَّهِ، تَعَالَى اللَّهُ وَتَنَزَّهَ وَتَبَارَكَ، وَتَبَرَّأَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكَ مَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٠٢):

نَسَخُ الْأَقْوَالِ وَالتَّكْلِيفِ مِنَ الْأَعْمَالِ، بِحَسَبِ تَغْيِرَاتِ الْأَحْوَالِ، مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا الْحِكْمَةُ السَّامِيَّةُ.

وَقَدْ أَجْرَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَعْضَ النَّسْخِ، فِيمَا أُنْزِلَ مِنْ شَرَائِعِهِ وَمِنْ  
النُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَيْهَا لَاحِقًا، عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ، فِي  
رِسَالَاتِهِ لِرُسُلِهِ، وَفِي الرِّسَالَةِ الْوَاحِدَةِ أَيْضًا.

وَعَلَّمَنَا بِهَذَا أَنْ نَغَيِّرَ أَنْظِمَتَنَا وَقَرَارَاتِنَا، إِلَى مَا هُوَ الْأَصْلَحُ وَالْأَفْضَلُ  
بِحَسَبِ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ، وَتَطَوُّرِ الْأَوْضَاعِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَلَكِنَّ الْجَاهِلِينَ بِحِكْمَةِ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ فِي النُّصُوصِ وَالْأَحْكَامِ مِنَ  
الْكَافِرِينَ، يَتَّخِذُونَ تَبْدِيلَ آيَةِ قُرْآنِيَّةٍ، وَجَعَلَهَا فِي مَكَانِ آيَةٍ انْتَهَتْ الْمَصْلَحَةُ  
مِنْ تَوْجِيهِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ بَيَانٍ، أَوْ مِنَ الْعَمَلِ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنْ  
عَمَلٍ، ذَرِيعَةً لِاتِّهَامِ الرَّسُولِ ﷺ بِأَنَّهُ يَفْتَرِي عَلَى رَبِّهِ.

بَدَأَ النَّصُّ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا﴾ وجاءَ بَعْدَهُ التَّضْرِيحُ  
بِاسْمِ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ الْأَزَلِّيَّ الْأَبَدِيَّ  
رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعَلِيمَ الْحَكِيمَ أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ بِمَا يُنَزِّلُ وَيُبْدِلُ.

• ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾: أَي: قَالَ أَيْمَةُ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ  
لِلرَّسُولِ ﷺ: مَا أَنْتَ إِلَّا مُفْتَرٍ تَفْتَرِي عَلَى رَبِّكَ.

الافتراء: اخْتِلَاقُ الْكَذِبِ.

• ﴿... بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١١٦): أَي: إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَسْتَ  
بِمُفْتَرٍ عَلَى رَبِّكَ، بَلْ أَكْثَرُ الْكَافِرِينَ جَاهِلُونَ، لَا يَعْلَمُونَ مَا هُوَ الْحَقُّ  
وَالْأَحْسَنُ وَالْأَفْضَلُ، وَلَا يَرْغَبُونَ فِي أَنْ يَعْلَمُوا، لِئَلَّا يُؤَثَّرَ عَلَيْهِمُ الْعِلْمُ فِي  
الشُّعُورِ بِأَنَّهُمْ ضَالُّونَ، بِسَبَبِ اتِّبَاعِهِمْ أَهْوَاءَهُمْ وَشَهَوَاتِهِمْ وَرَغَبَاتِهِمْ مِنَ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَبِسَبَبِ تَأَثُّرِهِمْ بِوَسَاوِسِ الشَّيَاطِينِ وَتَسْوِيلَاتِهِمْ.

وَعَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ رُسُولَهُ مَا يُجِيبُ مُتَّهِمِيهِ بِالْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ  
فَقَالَ لَهُ:

• ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٧٢):

أي: قُلْ يَا مُحَمَّدُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ مِنْ لَدُنِ اللَّهِ رَبِّي مُتَّصِفًا بِالْحَقِّ، رُوحُ الْقُدُسِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنْ كَانَ لَدَيْكُمْ مَا تُجَادِلُونَ بِهِ حَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فَهَاتُوا مَا عِنْدَكُمْ، أَمَّا أَنْ تَتَذَرَّعُوا بِتَعْلَلَاتٍ لَا دَلِيلَ فِيهَا عَلَى شَيْءٍ مِمَّا تَزْعُمُونَ، فَهُوَ مِنَ السَّفَاهَةِ الَّتِي لَا يَتَذَرَّعُ بِهَا أَهْلُ الْعَقْلِ وَالرُّشْدِ.

رُوحُ الْقُدُسِ: أي: رُوحُ الطُّهْرِ مِنَ الْأَرْجَاسِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ.  
الْقُدُسُ وَالْقُدُسُ: الطهارة.

وَصَفَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ رُوحُ الْقُدُسِ. لِأَنَّهُ رُوحٌ صَادِرٌ بِأَمْرِ التَّكْوِينِ الرَّبَّانِيِّ، خَالٍ مِنْ طَبَعَةِ نَفْسٍ ذَاتِ أَهْوَاءٍ وَشَهَوَاتٍ، وَطَاهِرٌ مِنْ كُلِّ رَجَسٍ مَادِّيٍّ أَوْ مَعْنَوِيٍّ.

• ﴿... لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٧٢):  
أي: حَصَلَ تَنْزِيلُ الْقُرْآنِ مُنْجَمًا، قَابِلًا لِتَبْدِيلِ آيَةٍ اقْضَتْ الْحِكْمَةَ السَّامِيَّةَ جَعَلَهَا مَكَانَ آيَةٍ اقْضَتْ الْحِكْمَةَ السَّامِيَّةَ عَدَمَ اسْتِمْرَارِهَا، لِجَمِّ ثَلَاثٍ:  
الْحِكْمَةُ الْأُولَى: تَثْبِيْتُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ يَشْعُرُونَ أَنَّ الْوَحْيَ الرَّبَّانِيَّ عَلَى صِلَةٍ مُتَجَدِّدَةٍ مَعَ الرَّسُولِ.

الْحِكْمَةُ الثَّانِيَّةُ: أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ هُدًى تَعْلِيمِيًّا مُتَّبَاعًا بِتَكَامُلٍ.

الْحِكْمَةُ الثَّالِثَةُ: أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ، بِمَا يَتَّصِفُ مِنْ بُشْرِيَّاتٍ بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، مَعَ النُّجُومِ الْمُتَتَابِعَةِ التَّنْزِيلِ، وَفَتْحِ مُبِينٍ عَظِيمٍ، تُفْتَحُ عَلَيْهِمْ بِهِ خَيْرَاتُ الدُّنْيَا.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا الرَّدَّ عَلَى شُبُهَاتِ أُيُمَّةِ الشَّرْكِ وَالْكُفْرِ فِي مَكَّةَ إِبَّانَ التَّنْزِيلِ:

• ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١١٣):

جاءَ عِنْدَ الْمُفَسِّرِينَ فِي تَعْيِينِ هَذَا الْإِنْسَانِ الْبَشَرِ الَّذِي زَعَمَ الْمُشْرِكُونَ أَنَّهُ يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا الْقُرْآنَ، أَخْذًا مِمَّا يَعْلَمُ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ، مَا يَلِي:

(١) قيل: هو «جَبْر» غُلَامُ الْفَاكِهِ بْنِ الْمَغِيرَةِ، وَكَانَ نَضْرَانِيًّا فَأَسْلَمَ.

(٢) وقيل: هو «يَعِيش» عَبْدٌ لِبَنِي الْحَضَرَمِيِّ، وَكَانَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ الْأَعْجَمِيَّةَ.

(٣) وقيل: هو غُلَامٌ لِبَنِي عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ.

(٤) وقيل: هما غلامان: «يَسَار» و«جَبْر» وَكَانَا صَيِّقَلِيَّيْنِ، يَعْمَلَانِ السُّيُوفَ، وَكَانَا يَقْرَأَانِ كِتَابًا لِقَوْمِهِمَا، وقيل: يَقْرَأَانِ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

(٥) وقيل: «بَلْعَام» وَكَانَ يَقْرَأُ التَّوْرَةَ.

(٦) وقيل: «أَبُو مَيْسَرَةَ» وَكَانَ رَجُلًا نَضْرَانِيًّا يَتَكَلَّمُ بِالرُّومِيَّةِ، وَفِي رَوَايَةٍ أَنَّ اسْمَهُ «عَدَّاس».

وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَطْلُوبِ مَعْرِفَةُ اسْمِهِ، فَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ رَجُلٌ أَعْجَمِيٌّ، لَا يُحْسِنُ تَكَلَّمَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ.

وقد ردَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ:

• ﴿... لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ

مُبِينٌ﴾ (١١٣):

أَي: إِنَّ مِنْ عَنَاصِرِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ مَا فِي بَيَانِهِ الْعَرَبِيَّ الرَّفِيعِ، الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ فَصَحَاءُ الْعَرَبِ وَبُلْعَاؤُهُمْ مُنْفَرِدِينَ أَوْ مُجْتَمِعِينَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ.

وَلِسَانُ الَّذِي يَمِيلُونَ إِلَيْهِ زَاغِمِينَ أَنَّهُ يُعَلِّمُ مُحَمَّدًا الْقُرْآنَ لِسَانٌ  
أَعْجَمِيٍّ، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْطِقَ بِلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ فَصَحَى، فَكَيْفَ يَكُونُ قَادِرًا  
عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُولِ الْقُرْآنَ الْعَرَبِيَّ الْمُبِينَ الْمُعْجَزَ.

هَذَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا زَعَمَ هُراءَ سَاقِطَ، لَا يَقْبَلُهُ مَنْ لَدَيْهِ مَقْدَارٌ قَلِيلٌ  
مِنَ الْفِكْرِ وَالْفَهْمِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾  
إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾:

أَي: اْعْلَمُوا أَيُّهَا الْمَشْكُوكُونَ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ الْمُعْجَزِ،  
بِتَعْلِيلَاتٍ سَاقِطَاتٍ لَيْسَ لَهَا قِيَمَةٌ فِكْرِيَّةٌ تَصْلُحُ لِتَوْجِيهِ شُكُوكِهَا، أَنَّ اللَّهَ  
سَوْفَ لَا يَحْكُمُ لَكُمْ بِالْهِدَايَةِ، إِذَا لَزِمْتُمْ مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ بَاطِلٍ، وَأَنَّ اللَّهَ  
بَعْدَ ذَلِكَ سَوْفَ يَجْزِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ، ضِمْنَ  
قَانُونِ الْجَزَاءِ الَّذِي وَضَعَ بِحُكْمَتِهِ عَنَاصِرَهُ.

إِنَّ كُلَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَحْكُمُ اللَّهُ بِهِدَايَتِهِمْ، وَلَهُمْ  
عِنْدَهُ يَوْمَ الدِّينِ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ رَسُولَ رَبِّهِمُ الْأَمِينِ الصَّادِقَ بِالْإِفْتِرَاءِ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ  
لَمْ يَفْتَرِ عَلَى رَبِّهِ حَرْفًا وَاحِدًا، إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الْكَاذِبُونَ الْمُفْتَرُونَ.

إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ، هُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ،  
وَأُولَئِكَ وَخَدَهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ أَخْسَ الْكَذِبِ الْمُوصِلِ إِلَى عَذَابِ الدَّرَكِ  
الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، لِأَنَّهُمْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ، وَيَزْعَمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ يَفْتَرِيهِ  
مُحَمَّدٌ عَلَى رَبِّهِ.

وبهذا انتهت تدبر الدرس الثالث والعشرين من دروس سورة (النحل).

والحمد لله على معونته، ومدده، وتوفيقه، وميثه، وفتحِهِ.

(٢٧)

## التدبر التحليلي للدرس الرابع والعشرين من دروس سورة (النحل) الآيات من (١٠٦ - ١١١)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ  
بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ  
عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا  
يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ  
وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ  
الْخَسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ  
جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِي  
كُلُّ نَفْسٍ بِجُودِلٍ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا  
يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾:

القراءات:

(١٠٦) • قرأ حمزة، ويعقوب: [فَعَلَيْهِمْ] بضم الهاء.

وقراها باقي القراء العشرة: [فَعَلَيْهِمْ] بكسر الهاء.

(١١٠) • قرأ ابن عامر: [فُتِنُوا].

وقراها باقي القراء العشرة: [فُتِنُوا].

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيان بشأن الكفر بعد الإيمان، وبيان بشأن  
المهاجرين، الذين هاجروا من بعدما فُتِنُوا، إذ تعرَّضُوا لِتَعْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ  
واضطهادهم لهم، ثُمَّ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَصَبَرُوا.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾:

إِنَّ الْارْتِدَادَ عَنِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْظَمِ الْجَرَائِمِ، وَأَعْظَمُهَا عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الدِّينِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَيَانٌ تَفْصِيلِيٌّ عَنِ الْمُرْتَدِّ حَقِيقَةً، وَعَنِ الْمُرْتَدِّ ظَاهِرًا لِيَحْمِيَ نَفْسُهُ مِنْ تَعْذِيبِ ذَوِي سُلْطَةٍ، يُكْرِهُونَهُ عَلَى أَنْ يَكْفُرَ بَعْدَ أَنْ آمَنَ وَأَعْلَنَ إِسْلَامَهُ.

فَأَبَانَ هَذَا النَّصُّ أَنَّ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ، أَيْ: وَمَنْ بَعْدَ إِغْلَانِهِ الدُّخُولَ فِي الْإِسْلَامِ، بِاسْتِثْنَاءِ الْمُكْرَهِ ذِي الْقَلْبِ الْمُطْمَئِنِّ بِالْإِيمَانِ، فَقَدْ نَزَلَ عَلَيْهِ غَامِرًا لَهُ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ أَشَدُّ أَحْوَالِ النِّقْمَةِ، وَلَهُ يَوْمَ الدِّينِ عَذَابٌ عَظِيمٌ فِي جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا بِلَا نَهَايَةٍ، إِذَا مَاتَ وَهُوَ عَلَى رِدَّتِهِ.

وَأَبَانَ هَذَا النَّصُّ سَبَبَ رِدَّتِهِ وَكُفْرِهِ بَعْدَ الْإِيمَانِ، هُوَ أَنَّهُ أَحَبَّ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حُبًّا شَدِيدًا جَعَلَهُ يَتَعَلَّقُ بِهَا، وَيُؤْثِرُهَا عَلَى الْآخِرَةِ، بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ عَنَاصِرِ الْإِيمَانِ، وَتَذَوُّقِهِ شَيْئًا مِنْ حَلَاوَتِهِ، وَبَعْدَ مَعْرِفَتِهِ أَنَّ دِينَ اللَّهِ حَقٌّ.

وَأَبَانَ هَذَا النَّصُّ سَبَبَ إِخْبَاطِ اللَّهِ سَابِقَ إِيمَانِهِ، وَالْحُكْمَ عَلَيْهِ بِمَا خَتَمَ بِهِ حَيَاةَ امْتِحَانِهِ، وَهُوَ الْكُفْرُ الَّذِي شَرَحَ بِهِ صَدْرَهُ، هَذَا السَّبَبُ هُوَ أَنَّ اللَّهَ بِحُكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ، أَيْ: لَا يَحْكُمُ بِهِدَايَةِ كَافِرٍ مَا أَنْهَى حَيَاةَ امْتِحَانِهِ بِالْكُفْرِ وَالْإِضْرَارِ عَلَيْهِ.



كلمة «مَنْ» فِي عِبَارَةٍ ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ اسْمُ مَوْصُولٍ تَضَمَّنَ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ.

وعبارة: ﴿مَنْ بَعْدَ إِيْمَانِهِ﴾ أَي: مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ بِقَلْبِهِ وَإِعْلَانِهِ الْإِسْلَامَ الَّذِي هُوَ شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ صِحَّةِ إِيْمَانِهِ، مَا لَمْ يُوجَدْ مَا نَعِ قَاهِرٌ مِنْ هَذَا الْإِعْلَانِ، وَهَذَا قَدْرٌ لَازِمٌ، لِبَيَانِ أَنَّهُ مُرْتَدٌّ، وَيَكْفِي لِلْحُكْمِ عَلَيْهِ بِالرَّدِّ أَنْ يَكْفُرَ بِقَلْبِهِ، كَأَنْ يَكْفُرَ بِقَلْبِهِ وَيَسْتَمِرُّ مُنَافِقًا - مُتَظَاهِرًا بِالْإِيْمَانِ وَالْإِسْلَامِ.

وعبارة: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ خَبَرٌ لِلْمُبْتَدَأِ، وَجَاءَتِ الْفَاءُ فِيهِ لِتَضَمُّنِ «مَنْ» مَعْنَى الشَّرْطِ، وَأُعِيدَ الضَّمِيرُ أَوَّلًا بِالْأَفْرَادِ بِاعْتِبَارِ لَفْظِ «مَنْ» وَبَعْدَهُ أُعِيدَ الضَّمِيرُ بِالْجَمْعِ بِاعْتِبَارِ مَعْنَى «مَنْ».

وجاءت عِبَارَةٌ ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ بَيَانًا مُعْتَرِضًا لِاسْتِثْنَاءِ مَنْ ارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ بِلِسَانِهِ وَهُوَ مُكْرَهُ، وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ، وَلَكِنْ مَنْ ارْتَدَّ مُكْرَهًا ثُمَّ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَهُوَ مُرْتَدٌّ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَيَشْمَلُهُ حُكْمُ الْمُرْتَدِّ، وَلَا يَشْمَلُهُ الْاسْتِثْنَاءُ: فَعِبَارَةٌ: ﴿وَلَكِنْ﴾ اسْتِذْرَاكٌ عَلَى الْاسْتِثْنَاءِ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَجْتَمَعَ مَا جَاءَ فِي الْاسْتِذْرَاكِ مَعَ مَا جَاءَ فِي الْاسْتِثْنَاءِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ لِلتَّنَاقُضِ، فَمَنْ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ مُتَمَكِّنٌ مِنْ مَقْعَدِهِ فِيهِ، لَا يَكُونُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ شَارِحًا بِالْكُفْرِ صَدْرَهُ، فَلَا بُدَّ مِنْ حَمْلِ الْعِبَارَةِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَمِرَّ عَلَى طَمَإِنِّيَّتِهِ، بَلْ أَثَرَتْ عَلَيْهِ مُغْرِبَاتُ الدُّنْيَا وَفَاتِنَاتُهَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَانْطَمَسَتْ بَصِيرَتُهُ، وَشَرَحَ بِالْكُفْرِ مَعَ الْفَوَاتِنِ صَدْرًا، وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِمَفْهُومَاتِ الْكُفْرِ، إِذْ تَأْتِي شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فُتْرِيْنَهَا لَهُ.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ تَقِيَّةً لِيُدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ عَذَابَ مُكْرِهِيهِ مِنَ الْمَشْرِكِينَ عَلَى الْكُفْرِ «عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ» فَقَدْ رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ، وَابْنُ سَعْدٍ،

وابن جرير، والحاكم وصححه، وغيرهم، أَنَّ الْمَشْرِكِينَ أَخَذُوا «عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ» فَلَمْ يَتْرُكُوهُ حَتَّى سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ، وَذَكَرَ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ، فَتَرَكُوهُ، فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لَهُ:

«مَا وَرَاءَكَ؟» قَالَ: شَرٌّ، مَا تُرِكتُ، حَتَّى نِلْتُ مِنْكَ وَذَكَرْتُ آلِهَتَهُمْ بِخَيْرٍ.

قال: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟». قال: مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ. قال: «إِنْ عَادُوا فَعُدْ».

فَإِذَنْ الرَّسُولُ ﷺ لَهُ أَنْ يُعْلِنَ مَا يَدُلُّ عَلَى كُفْرِهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنًّا بِالْإِيمَانِ.

وليس هذا الإِذْنُ خَاصًّا بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ، بَلْ هُوَ عَامٌّ، وَهُوَ بَيَانٌ نَبَوِيٌّ لِمَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.

غَضِبَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ نَفْسِهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - مِنْ أَثَارِهَا الْإِنْتِقَامُ وَالْعُقُوبَةُ.

• ﴿شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾: الشَّرْحُ: يَأْتِي بِمَعْنَى الْبَسْطِ وَالتَّوْسِيعَةِ، وَالْمَعْنَى: لَمْ يَضِيقْ صَدْرُهُ بِالْكَفْرِ، وَلَمْ يَجِدْ بِهِ حَرَجًا، بَلْ بَسَطَ صَدْرُهُ وَوَسَّعَهُ لِيَسْتَقَرَّ فِيهِ الْكَفْرُ، بِسَبَبِ مَا جَلَبَ إِلَيْهِ الْكَفْرُ مِنْ رَغَبَاتِ نَفْسِهِ مِنْ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَلَذَاتِهَا وَمُعْرِياتِهَا.

• ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾: أَي: ذَلِكَ الْغَضَبُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَالْعَذَابُ الْعَظِيمُ لَهُمْ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ أَحَبُّوا مَتَاعَاتِهِمْ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حُبًّا شَدِيدًا، وَاتَّزَوْهَا عَلَى الْآخِرَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ نَعِيمٍ مُقِيمٍ لَا يَنَالُونَهُ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَتَعَامَوْا عَمَّا فِيهَا مِنْ عَذَابٍ عَظِيمٍ أَغْنَدَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكَافِرِينَ.

اسْتَحَبُّوا: أي: أَحَبُّوا بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ، أَخَذُوا مِنْ صِيغَةِ: «اسْتَفْعَلَ». وَضُمِّنَ فِعْلُ ﴿اسْتَحَبُّوا﴾ مَعْنَى فِعْلٍ: «آثَرُوا» فَعُدِّي تَعْدِيَّتُهُ بِحَرْفِ «عَلَى» وَهَذَا التَّضْمِينُ مِنْ إِبْدَاعَاتِ الْقُرْآنِ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِيهِ.

• ﴿... وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٧): أي: وَذَلِكَ الْغَضَبُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَالْعَذَابُ الْعَظِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَبَبِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ سُلْطَانُهُ - هُوَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مِنْ حِكْمَتِهِ وَاخْتِيَارَاتِهِ أَنْ يَحْكُمَ لِلْكَافِرِينَ بِالْهُدَايَةِ وَهُمْ ضَالُّونَ، فَاللَّهُ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ، وَهُوَ لَا يَحْكُمُ إِلَّا بِالْحَقِّ، إِنْ مَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِالْهُدَايَةِ حَكَمَ اللَّهُ لَهُ بِالْهُدَايَةِ، وَمَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِالضَّلَالَةِ حَكَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالضَّلَالَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا بَيَانُهُ بِشَأْنِ الْمُرْتَدِّينَ:

• ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَرَتْهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِلُونَ﴾ (١٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ ﴿١٩﴾:

﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: الطَّبْعُ فِي الْمَادِّيَّاتِ الْمَلْمُوسَةِ كَالْخَتَمِ، وَقَدْ كَانَ مِنْ عَادَةِ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ، إِذَا أُرْسِلُوا رَسَائِلَ، وَأَرَادُوا الْمُحَافَظَةَ عَلَى سِرِّيَّةِ مَا فِيهَا، أَفْقَلُوهَا بِأَحْكَامٍ، وَوَضَعُوا عِنْدَ مَكَانِ إِقْفَالِهَا طَبْعًا خَاصًّا، يَطْبَعُونَ عَلَيْهِ خَاتَمَهُمُ الْخَاصَّ بِهِمْ، فَيَجِفُّ الطِّينُ وَمِثَالُ الْخَاتَمِ عَلَيْهِ مَطْبُوعٌ، فَلَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَتَهُ مَا فِي دَاخِلِ الرِّسَالَةِ إِلَّا بِكَسْرِ خَاتَمِ الطِّينِ.

وَعَلَى سَبِيلِ التَّوَشُّعِ فِي التَّغْيِيرِ بِنَقْلِ مَا هُوَ لِلْمَادِّيَّاتِ إِلَى الْمَعْنَوِيَّاتِ، جَاءَ فِي الْقُرْآنِ التَّغْيِيرُ بِالطَّبْعِ وَالْخَتَمِ، لِلدَّلَالَةِ أَنَّ الْمَطْبُوعَ عَلَيْهِ وَالْمَخْتُومَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُلُوبِ وَالسَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ مَحْجُوبٌ عَنْ إِدْرَاكِ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِمَا هِيَ مَحْجُوبَةٌ عَنْهُ.

فَالطَّبْعُ عَلَى الْقُلُوبِ يَحْجُبُهَا عَنْ إِدْرَاكِ مَا يَهْدِيهَا إِلَى حَقَائِقِ الْإِيمَانِ، وَحَقَائِقِ الْقَضَايَا الْإِسْلَامِيَّةِ ذَوَاتِ الْأَدِلَّةِ الْبُرْهَانِيَّةِ.

وَالطَّنْبُعُ عَلَى السَّمْعِ يَحْجُبُهَا عَنْ إِذْرَاكِ الْبَيِّنَاتِ الرَّبَّانِيَةِ الْمَنْزَلَةِ فِي كِتَابِهِ، لِأَنَّهَا مُتَعَلِّقَةٌ تَعَلُّقًا كَامِلًا بِمَا يَتَّصِلُ بِمَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَالطَّنْبُعُ عَلَى الْأَبْصَارِ يَحْجُبُهَا عَنْ مُشَاهَدَةِ الْجَوَانِبِ الَّتِي تَدُلُّهَا عَلَى آيَاتِ اللَّهِ فِي كَوْنِهِ، الْهَادِيَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ.

وَطَّنْبُعُ اللَّهِ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ لَا يَكُونُ بِصُورَةِ جَبْرِيَّةٍ ابْتِدَاءً، وَإِنَّمَا يَكُونُ نَتِيجَةً مَا يَكْسِبُونَ بِإِرَادَاتِهِمُ الْحِرَّةِ، مِنْ أَعْمَالٍ ظَاهِرَةٍ أَوْ بَاطِنَةٍ يَتَوَلَّدُ عَنْهَا الطَّنْبُعُ بِمُقْتَضَى سُنَّةِ اللَّهِ فِي قَوَائِنِ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ، كَمَنْ يَضَعُ يَدَهُ فِي النَّارِ، إِذْ يُحْرِقُهَا اللَّهُ لَهُ.

• ﴿... وَأَوَّلِيكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٠٨﴾ :

الْغَفْلَةُ عَنِ الشَّيْءِ: انْصِرَافُ الذَّهْنِ عَنْ مُلَاحَظَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ، مَعَ وُجُودِهِ فِي مَجَالِ الْإِذْرَاكِ، أَوْ وُجُودِ أُدْلَتِهِ وَإِمْكَانِ إِذْرَاكِهِ لَوْلَا وُجُودُ الصَّارِفِ أَوْ السَّهْوِ، الَّذِي هُوَ بِمَثَابَةِ إِطْبَاقِ الْجَفْنَيْنِ عَنِ الْعَيْنَيْنِ.

أَي: وَأَوَّلِيكَ الْبُعْدَاءُ عَنْ تَنْزُلَاتِ رَحِمَاتِ اللَّهِ، الَّذِي كَفَرُوا مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِمْ، إِذْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَآثَرُوهَا عَلَى الْآخِرَةِ، هُمْ بِالْحَضَرِ وَالْقَصْرِ أَشَدُّ النَّاسِ غَفْلَةً عَمَّا هُوَ سَبَبُ سَعَادَتِهِمْ وَعَمَّا هُوَ سَبَبُ شَقَائِهِمْ فِي حَيَاةِ الْخُلُودِ.

• ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ ﴿١٠٩﴾ :

﴿لَا جَرَمَ﴾: عِبَارَةٌ تُسْتَعْمَلُ لِتَوْكِيدِ الْكَلَامِ وَتَوْثِيقِهِ، فَهِيَ بِمَنْزَلَةِ: «حَقًّا» - لَا بُدَّ - لَا شَكَّ - لَا مَحَالَةَ» وَأَضْلُ مَعْنَى: «جَرَمَ» قَطَعَ.

أَي: مِنَ الْمُؤَكَّدِ قَطْعًا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْغَافِلِينَ، سَوْفَ يَكُونُونَ هُمْ مَعَ أَمْثَالِهِمُ الْخَاسِرِينَ كُلَّ شَيْءٍ، إِذْ سَوْفَ يَكُونُونَ فِي أَخْسَ وَأَحْطَ دَرَكَةٍ مِنْ دَرَكَاتِ الْخَاسِرِينَ، النَّادِمِينَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُمْ مِنْ ارْتِدَادٍ عَنِ الْإِيمَانِ إِلَى

الْكُفْرِ، وَعَلَى مَا حَوَّلُوا اخْتِيَارَهُمْ عَنْهُ بِإِرَادَاتِهِمْ الْحَرَّةَ تَعَلُّقًا بِمَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، مَعَ أَنَّهَا مَتَاعُ الْغُرُورِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِهِ:

• ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَنَهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾: وفي قراءة ابنِ عامرٍ: [فَتَنُوا].

اخْتِيرَ الْعَظْفُ بِحَرْفِ «ثُمَّ» لِلإِشْعَارِ بِأَنَّ الْمُتَحَدِّثَ عَنْهُمْ بَعْدَهَا أَصْحَابُ رُتْبَةٍ عِنْدَ اللَّهِ رَفِيعَةٍ، بَعْدَ الْحَدِيثِ عَنِ الْمُرْتَدِّينَ الْخَاسِرِينَ أَصْحَابِ الدَّرَكَةِ الْوَضِيعَةِ، وَهُوَ مِنْ عَظْفٍ مَوْضُوعٍ عَلَى مَوْضُوعٍ.

تَعَرَّضُ أَصْحَابُ الرَّسُولِ ﷺ لِأَنْوَاعٍ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالْإِضْطِهَادِ بِأَيْدِي أَيْمَةِ الْمُشْرِكِينَ:

جَاءَ فِي سِيرَةِ «ابنِ هِشَامٍ» عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ: أَنَّ «سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ» قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَبْلُغُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَذَابِ مَا يُعْذَرُونَ بِهِ فِي تَرْكِ دِينِهِمْ؟

قال: نَعَمْ وَاللَّهِ، إِنْ كَانُوا لَيَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ، وَيُجِيعُونَهُ، وَيُعْطِشُونَهُ حَتَّى مَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا<sup>(١)</sup> مِنْ شِدَّةِ الضَّرِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ، حَتَّى يُعْطِيتَهُمْ مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْفِتْنَةِ، حَتَّى يَقُولُوا لَهُ: اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ إِلَهَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. حَتَّى إِنْ الْجَعَلَ لَيَمُرُّ بِهِمْ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَهَذَا إِلَهَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. افْتِدَاءً مِنْهُمْ مِمَّا يَبْلُغُونَ مِنْ جَهْدِهِ.

تَوَجُّيْهِ الرَّسُولِ ﷺ لِلْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ مَنْ كَانَ يُعَذِّبُ مِنْ أَصْحَابِهِ:

جاء في سيرة «ابنِ هِشَامٍ» عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ:

(١) أي: ما يَقْدِرُ أَنْ يَتَّعَدَلَ جَالِسًا، رَافِعًا ظَهْرَهُ عَنِ الْأَرْضِ.

فَلَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ، وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَافِيَةِ، بِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ، قَالَ لَهُمْ:

«لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ».

فَخَرَجَ عِنْدَ ذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ، وَفِرَارًا إِلَىٰ اللَّهِ بِدِينِهِمْ، فَكَانَتْ أَوَّلَ هِجْرَةٍ فِي الْإِسْلَامِ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ (١١٠) مِنَ السُّورَةِ نَزَلَتْ بِمُنَاسَبَةِ هَذِهِ الْهِجْرَةِ الَّتِي هَاجَرَهَا بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ الْحَبَشَةِ، مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ، وَفِرَارًا إِلَىٰ اللَّهِ بِدِينِهِمْ، فَأَوَاهَمَ اللَّهُ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ آمِنِينَ، مُدَّةَ هِجْرَتِهِمْ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ تُؤْخَذُ عَلَىٰ عُمُومِهَا، وَلَا تُحْمَلُ عَلَىٰ خُصُوصِ السَّبَبِ، فَكُلُّ مَنْ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنَ فِي دِينِهِ فِي وَطَنِهِ مِنْ قَبْلِ كُفْرَةٍ بِأَغْيَنِ الظَّالِمِينَ، ثُمَّ جَاهَدَ وَصَبَرَ وَلَمْ تُغَيِّرْ أَحْدَاثُ الْهِجْرَةِ شَيْئًا فِي قَلْبِهِ وَإِيمَانِهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَأَحَاطَهُ بِرَحْمَتِهِ.

وَتَشْمَلُ قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ: ﴿فَتَيَسَّرَ﴾ مَنْ كَانَ لَهُ قَبْلَ إِسْلَامِهِ تَعَذُّبٌ لِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ لِيَعُودُوا إِلَى الشُّرْكِ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ، ثُمَّ جَاهَدَ وَصَبَرَ.

• ﴿... إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٠): أَي: لَغَفُورٌ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ لَهُ، رَحِيمٌ بِهِ يَغْمُرُهُ بِعَطَايَاهُ الْمُسْعِدَةِ لَهُ، الَّتِي هِيَ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَىٰ مُبَيِّنًا لِقَطَاطٍ مِنْ أَحْدَاثِ يَوْمِ الدِّينِ تَأْكِيدًا أَوْ تَأْسِيسًا:

• ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١١١):

أي: ضَعُ في ذَاكِرَتِكَ أَيُّهَا الْمَتَلَقِّي لِبَيِّنَاتِ رَبِّكَ، هَذِهِ الْقَضَايَا  
الْثَلَاثُ الَّتِي سَوْفَ تَحْدُثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

**القَضِيَّةُ الْأُولَى:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ  
عَنْ نَفْسِهَا﴾: أي: تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ كَانَتْ مَوْضُوعَةً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَوْضِعَ  
الامْتِحَانِ عَلَى مَوْقِفِ الْحِسَابِ وَفَضْلِ الْقَضَاءِ فِي الْمَحْكَمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، لَا  
مُحَامِي عَنْهَا، بَلْ هِيَ الَّتِي تُسْأَلُ عَمَّا أَسْلَفَتْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهِيَ الَّتِي  
تُجَادِلُ دِفَاعاً عَنْ نَفْسِهَا، إِنْ كَانَ لَدَيْهَا مَا تُجَادِلُ بِهِ دِفَاعاً عَنْ نَفْسِهَا،  
لِتُقَدِّمَ عُذْرَهَا فِيمَا ارْتَكَبَتْهُ مِنْ خَطَايَا.

**القَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتُؤْتَى كُلُّ نَفْسٍ مَّا  
عَمِلَتْ﴾: أي: وَتُعْطَى كُلُّ نَفْسٍ عَمِلَتْ صَالِحاً أَجْرَ مَا عَمِلَتْ وَإِفِياً غَيْرَ  
مَنْقُوضٍ، عَلَى وَفْقِ مَا سَبَقَ بِهِ الْوَعْدُ الرَّبَّانِيُّ الْمَنْزَلُ فِي كِتَابِهِ، وَالْمَبِينُ  
عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ.

**القَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ:** دَلَّ عَلَيْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... وَهُمْ لَا  
يُظْلَمُونَ﴾: أي: وَكُلُّ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مُمْتَحِنِينَ لَا يُظْلَمُونَ  
شَيْئاً مُسِيئُوهُمْ وَمُحْسِنُوهُمْ، فَالْمُسِيئُونَ مِنْهُمْ يَحْكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالْعَدْلِ  
وَيَتَجَاوَزُ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَهُمْ بِهَذَا لَا يُظْلَمُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.  
وَالْمُحْسِنُونَ مِنْهُمْ يَحْكُمُ اللَّهُ لَهُمْ بِالْفَضْلِ، وَيُضَاعِفُ لَهُمْ أَعْدَادَ حَسَنَاتِهِمْ،  
وَتُضَاعَفُ لَهُمْ أَجُورُهُمْ عَلَيْهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، فَكَيْفَ  
بَعْدَ هَذَا يُتَصَوَّرُ أَنَّهُمْ يُظْلَمُونَ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس الرابع والعشرون من دروس سورة  
(النحل).

والحمد لله على معُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٨)

## التدبر التحليلي للدرس الخامس والعشرين من دروس سورة (النحل) الآيتان (١١٢ - ١١٣)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾

تمهيد:

في آيتي هذا الدرس بيان بشأن كُفَّارِ مَكَّةَ، وَمُعَالَجَتِهِمْ بِبَعْضِ الْمَصَائِبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا بِهِمْ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ بِحِكْمَةٍ وَجَلْمٍ وَصَبْرٍ كَثِيرٍ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾:

جاء في أخبار السيرة النبوية أن أهل مَكَّةَ لَمَّا اسْتَعَصَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ، وَأَبَوْا إِلَّا خِلَافَهُ، وَكَانَ قَدْ صَبَرَ عَلَى مُعَالَجَتِهِمْ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ الدَّعْوِيَّةِ الْحَكِيمَةِ، دَعَا عَلَيْهِمْ بِسَبْعِ كَسْبَعِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِضْرٍ، فَأَصَابَتْهُمْ سَنَةٌ أَذْهَبَتْ كُلَّ شَيْءٍ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنْ جُوعِهِمْ «الْعِلْهَز» وَهُوَ وَبْرُ الْبَعِيرِ يُخْلَطُ بِدَمِهِ إِذَا نَحَرُوهُ.



وَرُوي أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ فِي دُعَائِهِ عَلَيْهِم :

«اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطَأَتَكَ عَلَى مُضَرٍّ، واجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفُ»  
فَابْتَلُوا بِالْفَحْطِ حَتَّى أَكَلُوا الْعِظَامَ.

وَدَهَبَ أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ إِلَى الْمُرَادِ بِالْقَرْيَةِ الَّتِي ضَرَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا  
الْمَثَلَ هِيَ مَكَّةُ الْمُكْرَمَةِ حِينَ اسْتَعْصَى أَهْلُهَا عَنْ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لِلرَّسُولِ ﷺ،  
وَيَقْبَلُوا دَعْوَتَهُ، بَلْ شَاقُّوهُ وَقَاوَمُوا دَعْوَتَهُ، وَاضْطَّهَدُوا وَعَذَّبُوا مَنْ آمَنُوا بِهِ  
وَاتَّبَعُوهُ، مِمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ شَوْكَةٌ، وَلَا عُزْوَةٌ تَحْمِيهِمْ.

أَقُولُ: وَضَرَبُ الْمَثَلِ بِمَا نَزَلَ بِأَهْلِ مَكَّةَ لَهُ صِفَةُ التَّعْمِيمِ عَلَى كُلِّ  
أَشْبَاهِهِ فِي غَايِرِ الزَّمَنِ، وَمُسْتَقْبَلِهِ، إِذْ يَأْتِي ضَرَبُ الْمَثَلِ لِلْقِيَاسِ عَلَيْهِ،  
وَهُوَ أَحَدُ أَفْرَادِ كُلِّيَّةٍ عَامَّةٍ، هِيَ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ.

• ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾: أَي: وَصَنَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي تَدَابِيرِ  
تَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ لِمُجَازَاةِ عِبَادِهِ مُجَازَاةً تَأْدِيبِيَّةً تَحْذِيرِيَّةً، مَثَلًا وَاقِعِيًا قَرِيبًا،  
هَذَا الْمَثَلُ هُوَ مَا أَنْزَلَهُ بِأَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَةِ رَسُولِ رَبِّهِمْ،  
بَلْ شَاقُّوهُ وَقَاوَمُوا كِبْرًا وَعِنَادًا.

• ﴿قَرْيَةً﴾ الْقَرْيَةُ تُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مُجْمَعٍ سَكَنِي صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ جَدًّا.

• ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾: الْمُرَادُ  
بِالْقَرْيَةِ أَهْلُهَا وَسُكَّانُهَا، وَهَكَذَا كَانَ حَالُ أَهْلِ مَكَّةَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ يَأْتِيهِمْ  
رِزْقُهُمْ رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

• لَقَدْ كَانُوا آمِنِينَ، وَالنَّاسُ يُتَحَفَّطُونَ مِنْ حَوْلِهِمْ، قَضَى اللَّهُ لَهُمْ  
بِالْأَمْنِ، مِنْ أَجْلِ بَيْتِهِ الْحَرَامِ فِي بَلَدِهِمْ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ.

• وَكَانُوا مُطْمَئِنِّينَ، أَي: سَاكِينَ بِرَاحَةٍ وَاسْتِقْرَارٍ، خَالِينَ مِمَّا يُقْلِقُهُمْ  
وَيُزْجِعُهُمْ. الطَّمَأْنِينَةُ: السُّكُونُ بِرَاحَةٍ خَالِيَةٍ مِمَّا يُقْلِقُ.

• وَكَانَتْ تَأْتِيهِمْ أَرْزَاقُهُمْ كَثِيرَةً وَاسِعَةً طَيِّبَةً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ مَجْلُبُونَ مِنْهُ عَادَةً أَرْزَاقُهُمْ، أَوْ تُجْلَبُ مِنْهُ الْأَرْزَاقُ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ.  
الرَّغَدَ وَالرَّغْدُ: الكثير الطَّيِّبُ الوَاسِعُ الرَّفِيهُ.

• ﴿فَكَفَرْتَ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾: أي: جَحَدْتَ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَشْكُرْهَا بِالْإِيمَانِ بِوَحْدَانِيَّتِهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ، وَكَذَّبْتَ رَسُولَهُ، وَكَذَّبْتَ بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ.  
أَنْعُمٌ: جَمْعُ «نِعْمَةٍ».

• ﴿... فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾:

اسْتُعِيرَ فِعْلٌ «أَذَقَ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِحْسَاسِ الشَّدِيدِ بِأَلَمِ الْجُوعِ وَأَلَمِ الْخَوْفِ، إِذْ حَاسَهُ الذَّوْقُ أَشَدَّ الْمَوَاضِعِ إِحْسَاساً بِمَا يُلَامِسُهَا. وَأُظْلِقَ الذَّوْقُ عَلَى الْقَرْيَةِ وَالْمَرَادِ أَهْلِهَا، وَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ الْمَحَلِّ وَإِرَادَةِ الْحَالِ فِيهِ.

وَاسْتُعِيرَ اللَّبَاسُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْجُوعَ كَانَ الْإِحْسَاسُ بِهِ إِحْسَاساً شَامِلاً لِحَسَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، كَشُمُولِ اللَّبَاسِ السَّابِغِ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْخَوْفَ كَانَ الْإِحْسَاسُ بِهِ إِحْسَاساً شَامِلاً أَيْضاً.

وَهَذَا التَّعْذِيبُ بِالْمَصَائِبِ الَّتِي هِيَ مِنْ عَوَارِضِ مَصَائِبِ الدُّنْيَا، قَدْ كَانَ تَعْذِيباً تَأْدِيبِيّاً، وَتَذَكِيرِيّاً بِالْعَذَابِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ، لَوْ كَانُوا يَعْقِلُونَ.  
وَسَبَبُهُ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ مِنْ كُفْرِيَّاتٍ، وَجَرَائِمَ بِتَعْذِيبِ الْمُؤْمِنِينَ:  
﴿... بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ «الباء» سَبَبِيَّةٌ، أَي: بِسَبَبِ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً الْحَدِيثَ عَنْهُمْ:

• ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾:

يُؤَكِّدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ بِعِبَارَةِ «لَقَدْ» أَنَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَبُّهُمْ إِلَيْهِمْ، مَضْحُوبًا بِالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الشَّاهِدَاتِ لَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا.

وَهُوَ مِنْهُمْ نَسَبًا، وَلُغَةً، وَنَشَأَةً، يَعْلَمُونَ صِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعِفَّتَهُ، وَأَنَّهُ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ، وَقَدْ عَلِمُوا مِنْ صِفَاتِهِ وَمِنْ سُلُوكِهِ فِي مَسِيرَتِهِ الدَّعْوِيَّةِ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصِدْقًا، فَكَذَّبُوهُ جُحُودًا وَعِنَادًا وَاسْتِكْبَارًا.

فَأَخَذَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ عَذَابُ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ ظَالِمُونَ ظُلْمًا عَظِيمًا مِنْ دَرَكَةِ الْكُفْرِ الْجُحُودِيِّ الْعِنَادِيِّ الْاسْتِكْبَارِيِّ.

الْأَخْذُ: أَضْلُهُ الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ، وَبِالتَّوَسُّعِ صَارَ يُطْلَقُ عَلَى مَعْنَى مَا يُؤْخَذُ لَهُ الشَّيْءُ، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى جَاءَ إِطْلَاقُ الْأَخْذِ فِي الْقُرْآنِ فِي نُصُوصٍ كَثِيرَةٍ، فَمِنْ الْأَخْذِ الْعِقَابُ التَّأْدِيبِيُّ الْجُزْئِيُّ، وَمِنْ الْأَخْذِ الْإِهْلَاكُ الْاسْتِصَالِيُّ الشَّامِلُ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (النحل).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٢٩)

التدبر التحليلي للدرس السادس والعشرين من دروس سورة (النحل)  
الآيات من (١١٤ - ١١٩)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ  
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ

لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعْتُ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ يَجْعَلُ لَهُمْ تَابًا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ۚ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴿١١٩﴾

### القراءات:

(١١٥) • قرأ أبو جعفر: [المِثَّة] بِشَدِيدِ الْيَاءِ مَكْسُورَةً.

وقراها باقى القراء العشرة: [المِثَّة] بِاسْكَانِ الْيَاءِ.

(١١٥) • قرأ أبو عمرو، وعاصم، وحمزة، ويعقوب: [فَمَنِ اضْطُرَّ].

وقراها أبو جعفر: [فَمَنْ اضْطُرَّ].

وقراها باقى القراء العشرة: [فَمَنْ اضْطُرَّ].

وهي وُجُوهٌ عَرَبِيَّةٌ مِنَ الْأَدَاءِ.

### تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ تَوْجِيهٌُ لِلنَّاسِ بِأَنْ يَأْكُلُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا، وَيَشْكُرُوا نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ، مَعَ بَيَانِ الْمَحْرَمَاتِ مِنَ الْمَطَاعِمِ، وَمَعَ التَّحْذِيرِ مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خُطَابًا لِلنَّاسِ بَعْدَ ضَرْبِ الْمَثَلِ بِأَصْحَابِ الْقَرْيَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنْعَمِ اللَّهِ فِي الْآيَةِ (١١٢):

• ﴿فَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُفْرَكُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١١٤﴾:

أي: فَلَا تَكُونُوا أَمْثَالَ أَصْحَابِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِينَ، بَلْ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ فِي كَوْنِهِ حَسَبَ اخْتِيَارَاتِكُمْ، حَالَةً كَوْنٍ مَا تَخْتَارُونَهُ حَلَالًا طَيِّبًا، أي: لَيْسَ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْ مَطَاعِمٍ، وَلَيْسَ مِنَ الْحَبَائِثِ أَوْ الْأَشْيَاءِ الضَّارَّةِ غَيْرِ الطَّيِّبَةِ، وَاجْعَلُوا مَا تَتَنَفَّعُونَ وَتَسْتَمْتِعُونَ بِهِ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ لَكُمْ مُقْتَرِنًا وَمَتْبُوعًا بِشُكْرِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ فِي رَبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ، وَتَعْبُدُونَهُ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُونَ بِعِبَادَتِهِ شَيْئًا.

● ﴿حَلَالًا طَيِّبًا﴾ مَنْصُوبَانِ عَلَى الْحَالِيَةِ، أي: فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ، بِقَيْدِ كَوْنِهِ حَلَالًا طَيِّبًا.

الْحَلَالُ: مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ.

الطَّيِّبُ: ضِدُّ الْخَبِيثِ الْمُسْتَقْدَرِ، وَضِدُّ الضَّارِّ وَالْمُؤْذِي.

● ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾: الشُّكْرُ مُقَابَلَةُ الْمَنْعَمِ بِمَا يُرْضِيهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَيَدْخُلُ فِيهِ الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ، وَالْحَمْدُ، وَالطَّاعَةُ، وَالتَّقَرُّبُ إِلَيْهِ بِمَا شَرَعَ مِنْ نَوَافِلٍ.

● ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾: أي: إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مُشْرِكِينَ فَأَنْتُمْ لَا تَعْبُدُونَ شَيْئًا غَيْرَهُ سُبْحَانَهُ.

اسْتِفِيدَ الْقَصْرُ مِنْ تَقْدِيمِ الْمَعْمُولِ: ﴿إِيَّاهُ﴾ عَلَى عَامِلِهِ: ﴿تَعْبُدُونَ﴾.

الْعِبَادَةُ: الْخُضُوعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْقِيَامُ بِمَا يُرْضِي الْمَعْبُودَ، وَتَرْكُ مَا لَا يُرْضِيهِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًا مَا حَرَّمَ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْمَطَاعِمِ الَّتِي يَأْكُلُ النَّاسُ مِنْهَا:

● ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ عَفْوَرٌ رَجِيمٌ﴾: ﴿١١٥﴾

أي: مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِيمَا سَبَقَ عَلَيْكُمُ الْأَكْلَ مِنْ أَجْسَادِ الْأَحْيَاءِ غَيْرِ  
الْإِنْسَانِيَةِ الَّتِي تَأْكُلُونَ مِنْهَا إِلَّا أَرْبَعَةً مُحَرَّمَاتٍ:

الْمُحَرَّمُ الْأَوَّلُ: الْمَيْتَةُ، وَهِيَ كُلُّ بَهِيمَةٍ مَاتَتْ بِانْتِهَاءِ أَجْلِهَا، دُونَ  
ذَبْحٍ أَوْ قَتْلِ أَوْ صَيْدٍ.

الْمُحَرَّمُ الثَّانِي: الدَّمُ، وَهُوَ الدَّمُ السَّائِلُ، وَقَدْ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ  
يَأْخُذُونَ الدَّمَ السَّائِلَ وَيَمْلُؤُونَ بِهِ بَعْضَ أَمْعَاءِ الْبَهَائِمِ، وَيُجَفِّفُونَهُ، ثُمَّ  
يَشْوُونَهُ أَوْ يَطْبَخُونَهُ وَيَأْكُلُونَهُ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ فِي كُلِّ الرِّسَالَاتِ السَّابِقَةِ أَكْلَ الدَّمِ مُحَرَّمًا.

الْمُحَرَّمُ الثَّلَاثُ: لَحْمُ الْخِنْزِيرِ، بِرِيًّا كَانَ، أَمْ أَهْلِيًّا يُرَبَّى فِي  
الْحِظَائِرِ، وَالِابْتِعَادُ عَنِ الْأَكْلِ مِنْ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ عِبَادَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَجُوزُ  
الْأَكْلُ مِنْهُ، وَلَوْ غُولَجَ بِالْوَسَائِلِ الصَّحِيَّةِ حَتَّى صَارَ سَلِيمًا مِنْ كُلِّ تَأْثِيرٍ  
ضَارٍّ أَوْ مُؤْذٍ لِصِحَّةِ الْآكِلِينَ مِنْهُ.

الْمُحَرَّمُ الرَّابِعُ: مَا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، أَي: أَعْلَنَ ذَابِحُهُ أَنَّهُ يَقْدُمُهُ  
قُرْبَانًا لِغَيْرِ اللَّهِ، أَضْلُ مَعْنَى إِهْلَالِ الذَّابِحِ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ ذَاكِرًا اسْمَ مَنْ  
يَقْدُمُ ذَبِيحَتَهُ قُرْبَانًا لَهُ، وَهَذَا مِنْ عِبَادَاتِ الْمُشْرِكِينَ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،  
فَجَعَلَهُ اللَّهُ مُحَرَّمًا، لِأَنَّ الْأَكْلَ مِنْهُ إِقْرَارٌ لِعِبَادَةِ مَنْ عِبَادَاتِ الْمُشْرِكِينَ.

وَرَخَّصَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْمُضْطَرِّ بِأَنْ يَأْكُلَ مِنْ هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ، بِشَرْطِ  
أَنْ لَا يَكُونَ بَاغِيًّا وَلَا عَادِيًّا، فَقَالَ تَعَالَى:

• ﴿... فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ عَقُورٌ رَجِيمٌ﴾ (١١٥):

أي: فَمَنْ جَاعَ جُوعًا شَدِيدًا، وَلَمْ يَجِدْ طَعَامًا يَأْكُلُهُ إِلَّا شَيْئًا مِنْ  
هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ، فَأَكَلَ مِنْهَا مَا يَسُدُّ بِهِ ضَرُورَتَهُ، لَمْ يُؤَاخِذْهُ اللَّهُ عَلَى مَا  
فَعَلَ، بَلْ جَعَلَ لَهُ رُخْصَةً فِي هَذَا.

وَجَاءَتْ عِبَارَةٌ: ﴿... فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١١٥﴾ كِنَايَةً عَنْ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ وَيَرْحَمُهُ وَلَا يُؤَاخِذُهُ عَلَى مَا فَعَلَ، لِأَنَّهُ أَخَذَ بِالرُّخْصَةِ بِمِقْدَارِ ضَرُورَتِهِ.

وَلَكِنَّ هَذِهِ الرُّخْصَةَ الرَّبَّانِيَّةَ مَشْرُوطَةٌ بِشَرْطَيْنِ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: أَنْ لَا يَكُونَ الْمَضْطَّرُّ بَاغِيًا، أَي: أَنْ لَا تَكُونَ مَعْصِيَتُهُ لِلَّهِ هِيَ الَّتِي أَوْصَلَتْهُ إِلَى حَالَةِ الْاضْطِرَارِ الَّتِي هُوَ فِيهَا.

الْبَغْيُ: تَجَاوُزُ الْحَدِّ، وَالظُّلْمُ. وَالْبَغَاةُ: قُطَاعُ الطَّرِيقِ ظُلْمًا وَعُدْوَانًا، وَالْخَارِجُونَ عَلَى الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِغَيْرِ حَقٍّ.

فَمَنْ سَافَرَ لِيُعْصِيَ اللَّهَ فِي سَفَرِهِ، فَلَا رُخْصَةَ لَهُ. وَعَصَابَاتُ قُطَاعِ الطَّرِيقِ الْبَغَاةُ لَا رُخْصَةَ لَهُمْ، وَالْخَارِجُونَ عَلَى الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِغَيْرِ حَقٍّ لَا رُخْصَةَ لَهُمْ.

الشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ لَا يَكُونَ الْمَضْطَّرُّ عَادِيًا. الْعَادِي: هُوَ الَّذِي يَتَجَاوَزُ حَدَّ الْحَقِّ، وَحَدَّ الرُّخْصَةِ هُنَا أَنْ يَأْكُلَ الْمُرْخَصُ لَهُ بِمِقْدَارِ مَا يَدْفَعُ بِهِ اضْطِرَارَّهُ، فَإِذَا جَاوَزَ حَدَّ الرُّخْصَةِ وَجَعَلَ يَسْتَزِيدُ مِنَ الْأَكْلِ لِإِرْضَاءِ شَهْوَتِهِ لِلطَّعَامِ، وَرَغْبَةِ نَفْسِهِ بِالشَّبْعِ الزَّائِدِ عَنِ الْحَدِّ، فَهُوَ عَادٍ يَأْكُلُ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَكْلَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقَدْ تَجَاوَزَ حُدُودَ الرُّخْصَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى بِشَأْنِ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ مُخَاطَبًا لَهُمْ:

• ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾:

• ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾

كَانَ لِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ أَحْكَامٌ فِي الْمَطَاعِمِ افْتَرَوْهَا عَلَى اللَّهِ، فَأَحَلُّوا بَعْضَهَا بِأَهْوَائِهِمْ وَحَرَّمُوا بَعْضَهَا بِأَهْوَائِهِمْ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذَا لَدَى تَدْبِيرِ الدَّرْسِ (٣١) مِنْ سُورَةِ (الْأَنْعَامِ/ ٥٥ نزول).

إِذَا قَالَ الْقَائِلُ: هَذَا حَلَالٌ، فَإِنَّهُ يَصِفُهُ بِالْحِلِّ، وَإِذَا قَالَ: هَذَا حَرَامٌ، فَإِنَّهُ يَصِفُهُ بِالْحُرْمَةِ.

والتَّحْلِيلُ والتَّحْرِيمُ مِنْ خَصَائِصِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ لِعِبَادِهِ، فَإِذَا كَانَ الْوَاصِفُ الَّذِي يَصِفُ شَيْئاً مَا بَأَنَّهُ حَلَالٌ، أَوْ بَأَنَّهُ حَرَامٌ، لَيْسَ لَهُ فِيهِ عَنِ اللَّهِ خَبَرٌ صَادِقٌ، وَلَا دَلِيلٌ نَصَبَهُ اللَّهُ لِمَعْرِفَةِ حُكْمِهِ، فَهُوَ كَاذِبٌ يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ رُبُوبِيَّتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ، وَقَوْلُهُ: هَذَا حَلَالٌ، وَهَذَا حَرَامٌ وَصَفٌ كَذِبٌ يَقُولُهُ بِلِسَانِهِ.

فالمعنى: وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْوَصْفَ الْكَذِبَ مِنْ أَحْكَامِ هِيَ مِنْ خَصَائِصِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ وَإِلَهِيَّتِهِ: هَذَا الشَّيْءُ حَلَالٌ، وَهَذَا الشَّيْءُ الْآخَرُ حَرَامٌ.

• ﴿لَتَقْفُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾: أَي: لِيَكُونَ مِنْ نَتِيجَةِ وَصْفِكُمْ افْتِرَاؤَكُمْ الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ، فَالْأَمُّ فِي ﴿لَتَقْفُوا﴾ لَيْسَتْ لَامُ التَّغْلِيلِ إِنَّمَا هِيَ لَامُ الْعَاقِبَةِ.

• ﴿...إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾: أَي: إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ عَنْ عَمْدٍ، أَوْ يُؤَدِّي تَصَرُّفُهُمْ إِلَى نَتِيجَةِ فِيهَا افْتِرَاءُ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ، لَا يُفْلِحُونَ.

• ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾: أَي: لَا يَنْجُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَا يَفُوزُونَ وَلَا يظفرون. وَأَصْلُ الْفَلَاحِ الْبَقَاءُ فِي النِّعَمِ.

• ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أَي: إِنَّ تَدَخُّلَهُمْ فِي أَحْكَامِ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ الَّتِي هِيَ مِنْ خَصَائِصِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، قَدْ يَسْتَفِيدُونَ



مِنْهُ شَيْئاً مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، لَكِنْ وَصَفَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ مَتَاعٌ قَلِيلٌ، إِذْ هُوَ قَلِيلُ الْقِيَمَةِ، وَقَلِيلُ الْمِقْدَارِ مُعَرَّضٌ لِلزَّوَالِ السَّرِيعِ، وَهَكَذَا كُلُّ مَتَاعَاتِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَهَؤُلَاءِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مُعَدٌّ لَهُمْ يُعَذِّبُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لِمُشَارَكَتِهِمْ لِلَّهِ فِي مَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِ رَبُّوبِيَّتِهِ وَالْهَيْبَةِ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُبَيَّنًّا أَنَّ الْحَضَرَ الَّذِي جَاءَ فِي الْآيَةِ (١١٥) عَامٌّ فِي غَيْرِ الْيَهُودِ الَّذِينَ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَوْقَهَا مُحَرَّمَاتٍ أُخْرَى هِيَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ بِسَبَبِ ظُلْمٍ كَبِيرٍ كَانَ مِنْهُمْ:

• ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا فَصَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٦):

سَبَقَ أَنْ قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ فِي سُورَةِ (الْأَنْعَام/ ٥٥ نَزُول) تَفْصِيلَ مَا حَرَّمَهُ عَلَى الْيَهُودِ خَاصَّةً، زِيَادَةً عَلَى الْمُحَرَّمَاتِ الْعَامَّةِ الَّتِي حَرَّمَهَا عَلَى النَّاسِ فِي رِسَالَاتِهِ، وَهُوَ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُرُهُمَا أَوْ الْحَوَابِ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ (١١٦):

وَقَدْ سَبَقَ تَدَبُّرُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي مَكَانِهَا مِنْ سُورَةِ (الْأَنْعَام).

• ﴿... وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٧):

يَتَحَدَّثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ مُبَيَّنًّا أَنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ مَا ظَلَمَ الْيَهُودَ بِتَشْدِيدِ أَحْكَامِ التَّحْرِيمِ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا بِسَبَبِ ظُلْمِهِمُ الْمُبَالَغِ فِيهِ، فَهُمْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فِي الْحَقِيقَةِ. إِذْ تَسَبَّوْا لِأَنْفُسِهِمْ بِالتَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُطْمَعًا عِبَادَهُ بِالْغُفْرَانِ وَالرَّحْمَةِ إِذَا تَابُوا وَأَصْلَحُوا:

• ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾:

أي: ثُمَّ بَعْدَ الْبَيِّنَاتِ السَّابِقَاتِ الْمُرْهَبَاتِ نُظْمِعُ التَّائِبِينَ الْمُصْلِحِينَ الَّذِينَ سَبَقَ أَنْ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ بِالْغُفْرَانِ وَالرَّحْمَةِ الْعَظِيمَةِ، مَهْمَا طَالَتِ الْمُدَّةُ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَ فِيهَا السَّيِّئَاتِ.

الشُّوْءُ: كُلُّ قَبِيحٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، والمرادُ هُنَا مَا هُوَ قَبِيحٌ وَمَكْرُوهٌ شَرْعًا.

بِجَهَالَةٍ: مُتَّصِفًا بِانْدِفَاعِ نَفْسِيٍّ غَيْرِ رَشِيدٍ، كَشَهْوَةٍ، أَوْ غَضَبٍ، أَوْ رَغْبَةٍ جَامِحَةٍ جَانِحَةٍ، تُغْشِي عَلَى الْبَصِيرَةِ.

وَأَصْلَحُوا: أَيُّ: فَعَلُوا مَا هُوَ صَالِحٌ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ أَوْ اعْتِقَادٍ.

• ﴿... إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾: أي: إِنَّ رَبَّكَ لَكَثِيرُ الْغُفْرَانِ لَهُمْ، وَوَاسِعُ الرَّحْمَةِ الَّتِي يَرْحَمُهُمْ بِهَا، مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِهِمْ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ السَّادِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (النحل).

والحمد لله عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٣٠)

التدبر التحليلي للدرس السابع والعشرين من دروس سورة (النحل)  
الآيات من (١٢٠ - ١٢٤)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾  
شَاكِرًا لِنِعْمِهِ أَجْبَنَهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ تَبْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً

وَأَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ :

### القراءات:

(١٢٠ و ١٢٣) • قرأ هشام: [إِبْرَاهَامَ] في الموضعين.

وقرأهما باقي القراء العشرة: [إِبْرَاهِيمَ].

وهما نطقان معروفان في العرب لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

(١٢١) • قرأ قُنبَل، ورؤيس [سِرَاطِ].

وقرأها خلف عن حمزة بإشمام الصاد زائاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [صِرَاطِ] بالصاد الخالصة.

### تمهيد:

في هذا الدرس ضَرْبُ مَثَلٍ لِلشَّاكِرِينَ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، وفيه أَمْرٌ لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِاتِّبَاعِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ.

### التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَصِفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام:

• ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجَبْتُهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَمَآ تَيْتُهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ :

يُؤَكِّدُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِ «إِنَّ - وَالْجُمْلَةَ الْأَسْمِيَّةَ» أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، كَانَ لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ مَا يَلِي:

**الصِّفَّةُ الْأُولَى:** أَنَّهُ كَانَ أُمَّةً وَحْدَهُ، إِذْ لَمْ يَكُنْ عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ فِي أَوَّلِ نَشَأَتِهِ غَيْرُهُ، فَحَمَلَ عِبَاءَ الدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ وَبَذَلَ الْوُثْنِيَّةَ وَحْدَهُ.

**الأُمَّة:** تُطْلَقُ فِي الْأَسْتِعْمَالِ الْقُرْآنِيِّ عَلَى كُلِّ مَجْمُوعَةٍ تَجْمَعُهَا صِفَاتٌ، أَوْ خَصَائِصٌ، أَوْ رَوَابِطٌ مُتَمَيِّزَةٌ. وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى الْفَرْدِ الْوَاحِدِ الْمَتَمَيِّزِ بِصِفَاتٍ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ لَفْظَ أُمَّةٍ.

**الصِّفَّةُ الثَّانِيَّةُ:** أَنَّهُ كَانَ قَانِتًا لِلَّهِ، أَي: عَابِدًا لِلَّهِ، مُطِيعًا خَاضِعًا لَهُ، يَذِلُّ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ.

**الصِّفَّةُ الثَّالِثَةُ:** أَنَّهُ كَانَ حَنِيفًا، أَي: كَانَ مَائِلًا عَنْ كُلِّ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ، الْمَائِلَةِ عَنْ صِرَاطِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْأَسْتِقَامَةِ عَلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ ذِي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، لِأَنَّ كُلَّ الْأَدْيَانِ وَالْمَلِكِ الْبَاطِلَةِ مَائِلَةٌ عَنْهُ إِلَى جِهَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، مَائِلَاتٍ السَّاحَاتِ اللَّوَاتِي لَيْسَتْ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

**الصِّفَّةُ الرَّابِعَةُ:** أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَدْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ أَرْبَابًا، وَلَا آلِهَةً، وَلَا أَسْبَابًا، بَلْ كَانَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ مَحْكُومٌ بِصِفَاتِ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ لَهُ، إِيجَادًا وَإِعْدَامًا وَتَصَارِيفٍ وَتَغْيِيرَاتٍ وَحَرَكَاتٍ وَسَكَنَاتٍ.

**الصِّفَّةُ الْخَامِسَةُ:** أَنَّهُ كَانَ شَاكِرًا لِأَنْعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ، قَائِمًا عَلَى مِقْدَارِ اسْتِطَاعَتِهِ الْبَشَرِيَّةِ بِمَا يُطْلَبُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَاكِرًا وَجُوبًا أَوْ نَذْبًا.

الشُّكْرُ: مُقَابَلَةُ إِنْعَامِ الْمُنْعَمِ بِمَا يُرْضِيهِ، مِنْ اِغْتِقَادٍ، أَوْ عَمَلٍ ظَاهِرٍ أَوْ بَاطِنٍ، أَوْ قَوْلٍ، فَيَدْخُلُ فِي الشُّكْرِ الْحَمْدُ.

الصِّفَةُ السَّادِسَةُ: أَنَّ اللَّهَ اجْتَبَاهُ، أَي: اخْتَارَهُ وَاضْطَفَاهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَجَعَلَهُ نَبِيًّا يُوحَى إِلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَهُ رَسُولًا يُبَلِّغُ النَّاسَ عَنْ رَبِّهِ مَا أَوْحَى بِهِ إِلَيْهِ.

الصِّفَةُ السَّابِعَةُ: أَنَّ اللَّهَ هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، فَعَلَّمَهُ عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ، وَهُوَ مَا اشْتَمَلَ عَلَى الدِّينِ الَّذِي اضْطَفَاهُ لِعِبَادِهِ فِي رِحْلَةِ الْاِمْتِحَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمَوْصِلُ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ.

الصِّفَةُ الثَّامِنَةُ: أَنَّ اللَّهَ آتَاهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَسَنَةً، أَي: عَطَايَا حَسَنَةً، فَفَضَّرَهُ عَلَى نَمْرُودِ الْعِرَاقِ، وَاخْتَارَ لَهُ مُهَاجِرًا حَسَنًا فِي بِلَادِ الشَّامِ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا، وَمَنَحَهُ مَعِيشَةً حَسَنَةً بِصِحَّةٍ وَسَلَامَةٍ مَعَ عُمَرٍ مَدِيدٍ، وَذَكَرَ حَسَنٍ بَيْنَ النَّاسِ، وَطُمَأْنِينَةً قَلْبٍ وَرِضًا كَامِلٍ عَنْ رَبِّهِ.

فِي عِبَارَةٍ ﴿وَأَيَّنَنَّهُ﴾ الْتِفَاتٌ مِنَ الْحَدِيثِ بِالْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ، لِلْإِشْعَارِ بِجَزِيلِ الْعَطَايَا الْحَسَنَةِ الَّتِي آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، وَأَجَلَّهَا مَشَاعِرُ السَّعَادَةِ الَّتِي كَانَتْ تَتَدَفَّقُ عَلَى جَوَانِبِ نَفْسِهِ.

الصِّفَةُ التَّاسِعَةُ: أَنَّ اللَّهَ حَكَّمَ لَهُ وَهُوَ فِي الدُّنْيَا بِأَنَّهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ زُمْرَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَكَّدَ هَذِهِ الصِّفَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأِنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بِالْمُؤَكَّدَاتِ: «إِنَّ - وَالْجُمْلَةُ الْاِسْمِيَّةُ - وَاللَّامُ الْمُزْحَلَّةُ».

الصَّالِحُ: هُوَ الْخَالِي مِنَ الْفَسَادِ الْكُلِّيِّ وَالْجَزْئِيِّ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ لَفْظُ «الصَّالِحِينَ» وَصْفًا لِلْمُرْسَلِينَ، وَالْأَنْبِيَاءِ، وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ.

وَأَدْخَلَ اللَّهُ فِي الصَّالِحِينَ الْأَوَابِينَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا بَغْضَ الْمَعَاصِي وَالْمَخَالَفَاتِ رَجَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ عَلَىٰ وَجْهِ السَّرْعَةِ، وَلَوْ تَكَرَّرَ مِنْهُمْ ذَلِكَ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

• ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٢٢﴾:

أي: ثُمَّ بَعَدَ إِبْرَاهِيمَ وَعَصْرِهِ، وَبَعْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَتْبَاعَ مُوسَى، وَأَهْلِ الْكِتَابِ أَتْبَاعَ عِيسَى، جَعَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ نَبِيًّا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا، مَاثِلًا عَنْ كُلِّ الْمِلَلِ الْبَاطِلَةِ، وَمُسْتَقِيمًا عَلَى الدِّينِ الْحَقِّ وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي هَدَيْنَاهُ إِلَيْهِ، وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ فِي يَوْمٍ مِنْ حَيَاتِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَاحْذَرْ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَتَأَثَّرَ بِقَوْمِكَ فِي شَيْءٍ مِنْ شُرَكِيَائِهِمْ، فإِبْرَاهِيمَ قَدْ نَشَأَ فِي قَوْمٍ مُشْرِكِينَ وَلَمْ يَتَأَثَّرْ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ شُرَكِيَائِهِمْ.

وَأُصُولُ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يَتَّبِعَهَا بَعْدَ أَنْ جَعَلَهُ نَبِيًّا هِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَفِي إِلَهِيَّتِهِ، وَعِبَادَتُهُ بِالْمُورُوثَاتِ الصَّحِيحَةِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَالصَّلَاةِ، وَمِنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْمُورُوثَةُ عَنْهُ، الْإِلْتِزَامُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْإِلْتِزَامُ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، وَنُصْرَةُ الْمَظْلُومِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا تَتَّفَقُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ.

ثُمَّ لَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولًا شَرَعَ يُنْزِلُ عَلَيْهِ أُصُولَ دِينِ الْإِسْلَامِ، وَشَرَائِعَهُ، وَأَحْكَامَهُ، فِي نُجُومِ التَّنْزِيلِ تَبَاعًا حَتَّى هَذِهِ السُّورَةُ، وَتَتَابَعَ ذَلِكَ حَتَّى آخِرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ فِي حَيَاتِهِ.

وَلِئَلَّا يَتَّبِعَ النَّبِيُّ ﷺ الْيَهُودَ فِي يَوْمِهِمِ الْأَسْبُوعِيِّ، الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مِنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ اللَّهُ لَهُ:

• ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٢٤):

أي: لَمْ يَكُنْ الْيَوْمُ الْأُسْبُوعِيُّ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ يَوْمَ السَّبْتِ، بَلْ كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَتَمَّ اللَّهُ فِيهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَعَدَلَ الْيَهُودَ عَنْهُ ابْتِدَاعاً مِنْهُمْ إِلَى يَوْمِ السَّبْتِ، وَزَعَمَ مِنْهُمْ أَنَّ الْيَوْمَ السَّابِعَ هُوَ الَّذِي ارْتَاحَ فِيهِ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ أَيَّامِ التَّعَبِ الَّتِي خَلَقَ فِيهَا الْخَلْقَ، وَقَدْ كَذَّبُوا فِي هَذَا، وَجَعَلُوا السَّبْتَ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَرْتَاخُونَ فِيهِ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا، فَفَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَشَدَّدَ عَلَيْهِمْ تَحْرِيمَ الْعَمَلِ فِيهِ، وَأَرَادَ التَّنْصَارَى مُخَالَفَةَ الْيَهُودِ فَجَعَلُوا الْأَحَدَ يَوْمَهُمُ الْأُسْبُوعِي.

فَالْمَعْنَى: مَا جُعِلَ السَّبْتُ وَأَحْكَامُهُ الْمَشْدَدَةُ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ بِابْتِدَاعِهِمْ عَمَّا كَانَ لَهُمْ فِي مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي كُلِّ مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ ابْتِدَاعاً وَتَحْرِيفاً.

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيِّدَا أَنْتُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ (أي: يَوْمَ الْجُمُعَةِ) فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَذَا اللَّهُ لَهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، الْيَهُودُ غَدَاً، وَالتَّنْصَارَى بَعْدَ غَدٍ».

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَضَلَّ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلتَّنْصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْمُقْضِيُّ بَيْنَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ».

أَضَلَّ اللَّهُ: أي: وَجَدَهُمْ ضَالِّينَ بِابْتِدَاعَاتِهِمْ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (النحل).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.

(٣١)

## التدبر التحليلي للدرس الثامن والعشرين من دُروس سورة (النحل) الآيات من (١٢٥ - ١٢٨) آخر السورة

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾:

القراءات:

(١٢٧) • قرأ ابن كثير: [في ضَيْقٍ] بكسر الضاد.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [في ضَيْقٍ] بفتح الضاد.  
وهما لُغَتَانِ والمَعْنَى واحد.

(١٢٧) • قرأ حمزة، ويعقوب: [عَلَيْهِمْ] بضم الهاء.

وقراها باقي القُرَّاء العَشْرَة: [عَلَيْهِمْ] بكسر الهاء.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس عَرَضُ بَعْضِ وَصَايَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُوجَّهَةٌ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، في الدَّعْوَةِ، وَالْعِقَابِ، وَالصَّبْرِ، وَغَيْرِهَا، وَيُلْحَقُ بِالرُّسُولِ حَمَلَةُ رِسَالَتِهِ وَسَائِرُ الْمُسْلِمِينَ.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُخَاطَبُ رَسُولُهُ مُحَمَّدًا ﷺ:



• ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥):

يُبَيِّنُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْعُنُونَاتِ الْكُبْرَى لِمَنْهَاجِ الدَّعْوَةِ إِلَى سَبِيلِهِ، وَهِيَ: الْحُكْمَةُ، وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ، وَالْمَجَادَلَةُ الْحَوَارِيَّةُ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَفِيمَا يَلِي بَسْطُ هَذِهِ الْعُنُونَاتِ الْكُبْرَى بِإِيجَازٍ:

الدَّعْوَةُ بِالْحُكْمَةِ: الْحُكْمَةُ هِيَ وَضْعُ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي يُوجِبُهُ الْعَقْلُ، أَوْ تَكْشِفُهُ التَّجَرِبَةُ، وَتَتَحَقَّقُ بِهِ الْغَايَةُ الْمَقْصُودَةُ مِنَ الْأَمْرِ، بِأَقْلٍ كَلْفَةٍ وَأَقْصَرِ زَمَنِ مُمَكِّنِينَ.

فَمِنْ الْحُكْمَةِ مُحَاظَبَةُ الْإِنْسَانِ بِمَا يُفْنِعُهُ، كإِقَامَةِ الْحُجَجِ الْبَرْهَانِيَّةِ لَهُ بِمَقْدَارِ مَذَارِكِهِ، مِنَ الْعَقْلِيَّاتِ، وَمِنَ الْحُسْنِيَّاتِ، وَمِنْ قَوَاطِعِ الْخَبَرِيَّاتِ. وَمِنْ الْحُكْمَةِ إِجْرَاءُ التَّجَارِبِ لَهُ الَّتِي تُعْطِي النَتَائِجَ الَّتِي يُرَادُ إِقْنَاعُهُ بِهَا.

وَمِنْ الْحُكْمَةِ وَضْعُ الْأَحْتِمَالَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ أَمَامَهُ، وَجَعْلُهُ يُفَكِّرُ بِنَفْسِهِ، وَيُطْرَحُ مِنَ الْأَحْتِمَالَاتِ مَا هُوَ مَرْفُوضٌ عَقْلاً، وَمَا لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ، وَمَالَهُ شُبْهَةٌ دَلِيلٍ لَا تَقْوَى عَلَى إِنْبَاتِهِ، ثُمَّ يُوَازِنُ بَيْنَ الْبَقَايَا إِذَا كَانَ ذَا عَقْلٍ وَرُشْدٍ، فَيَتَرَجَّحُ لَدَيْهِ الْحَقُّ الَّذِي يَدْعُوهُ إِلَيْهِ الدَّاعِي إِلَى اللهِ، أَوْ يُسْهَلُ عَلَى الدَّاعِي حَبِثُ إِقْنَاعِهِ.

وَمُنَافِيَّاتُ الْحُكْمَةِ أُمُورٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا، مِنْهَا مَا يَلِي:

(١) السَّبَابُ وَالشَّتَائِمُ، وَالْمَقَاطِظَةُ وَالْغِلَاطِظَةُ فِي الْأَقْوَالِ وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَعْمَالِ.

(٢) تَوَجُّيهِ الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي الصَّارِمَةِ.

(٣) اهْتِمَامُ الدَّاعِي بِالْإِنْتِصَارِ لِنَفْسِهِ.

(٤) التَّشْهِيرُ بِأَسْمَاءِ الْعُصَاةِ، وَالتَّنْصُحُ الْعَلَنِيُّ لِأَشْخَاصٍ بِأَعْيَانِهِمْ.

(٥) الِاسْتِهْزَاءُ وَالسُّخْرِيَّةُ بَرَاءِ الْآخِرِينَ وَحِوَارَاتِهِمْ.

إلى غير ذلك مِنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ جَاءَ ذِكْرُهَا فِي كِتَابِي «فقه الدعوة إلى الله»<sup>(١)</sup>.

**الدَّعْوَةُ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ:** الموعظة الحسنَةُ هِيَ التَّنْصُحُ بِالْفِعْلِ أَوْ بِالتَّرْكِ الْمَقْرُونُ بِمَا يُثِيرُ الرَّغْبَةَ أَوْ الرَّهْبَةَ فِي النَّفْسِ، لِلاتِّفَاعِ بِالتَّنْصُحِ، وَاتِّبَاعِ مَا هَدَى إِلَيْهِ فِعْلاً أَوْ تَرْكاً.

قال ابنُ سَيِّدَةَ مِنْ أئِمَّةِ اللَّغَةِ: «الْوَعْظُ تَذْكِيرُكَ لِلإِنْسَانِ بِمَا يُلَيِّنُ قَلْبَهُ مِنْ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ».

وَقَدْ قَيَّدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ الْمَوْعِظَةَ بِأَنْ تَكُونَ حَسَنَةً، أَيْ: حَسَنَةً فِي أَسْلُوبِ عَرْضِهَا، مَقْبُولَةً فِي نَفُوسٍ مَنْ تَوَجَّهَ لَهُمْ.

**الدَّعْوَةُ بِالْجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ:** الْجِدَالُ حِوَارٌ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ، يَشْتَمِلُ عَلَى ادِّعَاءٍ مِنْ فَرِيقٍ، وَاعْتِرَاضٍ مِنْ فَرِيقٍ آخَرَ، وَاسْتِدْلَالٍ لِلْإِقْنَاعِ، وَطَعْنٍ فِي الدَّلِيلِ، وَدَفْعٍ لِلطَّعْنِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصُولِ الْمَنَازِلَةِ الْجَدَلِيَّةِ.

وَالْمُظْلُوبُ مِنَ الدَّاعِي إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ يُجَادِلَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، أَيْ: بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ تَشْمَلُ بَعْمُومَهَا الْأَسَالِيبَ الْفِكْرِيَّةَ وَالْأَسَالِيبَ الْقَوْلِيَّةَ.

فَالْمُظْلُوبُ مِنَ الدَّاعِي الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ فِي مُجَادَلَتِهِ عَلَى حَالَةٍ أَرْقَى وَأَحْسَنَ بِاسْتِمْرَارٍ مِنَ الْحَالَةِ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا مَنْ يَجَادِلُهُ، أَدَباً وَتَهْذِيباً، وَقَوْلًا وَفِكْراً.

• ﴿... إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١٢٥):

أي: وتابع دعوة مَنْ لَمْ تُثَبِّتِ التَّجَرِبَةُ الطَّوِيلَةُ أَنَّهُمْ مَيُؤَسُّوْنَ مِنْ اسْتِجَابَتِهِمْ عَنْ طَرِيقِ إِرَادَاتِهِمْ الْحُرَّةِ، وَلَا تَتَأَثَّرُ بِالْأَمَارَاتِ الْآتِيَةِ دُونَ تَجَرِبَةٍ فِي مَدَّةِ طَوِيلَةٍ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ وَحْدَهُ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ضَلَالًا غَيْرَ مُقْتَرِنٍ بِاسْتِعْدَادٍ مِنْ عُمُقِ نَفْسِهِ لِلْاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، وَهُوَ وَحْدَهُ أَعْلَمُ بِمَنْ لَدَيْهِ اسْتِعْدَادٌ لِأَنَّهُ يَكُونُ مُسْتَقْبَلًا مِنَ الْمُهْتَدِينَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، فَعِلْمُ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ هُوَ اللَّهُ رَبُّكَ وَحْدَهُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى خِطَابًا لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ بِأَسْلُوبِ خِطَابِ الْجَمَاعَةِ:

• ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ

لِلصَّابِرِينَ﴾ (١٢٦):

سَبَقَ فِي الْآيَةِ (١٠٦) أَنَّ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يُكْرَهُونَ مِنْ قِبَلِ بُعَاةِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْكُفْرِ بِالْتَّعْذِيبِ، وَسَبَقَ فِي الْآيَةِ (١١٠) بَيَانُ أَنَّ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يُفْتَنُونَ فِي دِينِهِمْ بِتَّعْذِيبِ بُعَاةِ الْمُشْرِكِينَ لَهُمْ.

فَجَاءَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ حَقِّ الَّذِينَ كَانُوا يُكْرَهُونَ وَيُفْتَنُونَ فِي دِينِهِمْ، بِأَنَّهُ يَقْتَضُوا مِنْ ظَالِمِهِمْ بِالْعَدْلِ، وَالْعَدْلُ هُوَ مُعَاقِبَتُهُمْ بِمِثْلِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَهُمْ بِهِ، إِذَا تَمَكَّنُوا مِنْ مُعَاقِبَتِهِمْ بِتَمَكُّنِ اللَّهِ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ.

وَلَكِنَّ فَضَائِلَ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمَا هُوَ الْأَرْجَى لِتَأْلِيفِ قُلُوبِ النَّاسِ وَتَحْيِيهِمْ بِالْإِسْلَامِ وَالِدُّخُولِ فِيهِ، إِعْجَابًا بِمَكَارِمِ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ دِينَ حَقٍّ وَفَضَائِلَ، تَدْعُو إِلَى الصَّبْرِ وَالتَّجَاوُزِ عَنْ مُعَاقِبَةِ الظَّالِمِينَ حِينَ التَّمَكُّنِ مِنْ مُعَاقِبَتِهِمْ.

• ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾: أي: وَمَعَ تَرْغِيْبِنَا لَكُمْ بِالصَّبْرِ وَالتَّجَاوُزِ، إِنَّ

أُضْرَرْتُمْ عَلَى مُعَاقِبَةٍ مَنْ كَانَ فَتَنَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ بِوَسَائِلِ التَّعْذِيبِ، وَفِي اسْتِعْمَالِ (إِنْ) هُنَا إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْمَرْغُوبَ فِيهِ أَنْ لَا تُعَاقَبُوا.

• ﴿فَعَاqِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوqِبْتُمْ بِهِ﴾: أي: فَعَاqِبُوا مَنْ كَانَ عَذَّبَكُمْ لِأَنَّكُمْ آمَنْتُمْ وَأَسْلَمْتُمْ، بِمِثْلِ مَا عَاqَبَكُمْ بِهِ لِأَنَّكُمْ فَاqَرَقْتُمْ دِينَ قَوْمِكُمْ، وَشَتَمْتُمْ آلِهَتَهُمْ، وَسَفَهْتُمْ أَخْلَامَهُمْ، وَلَا تَزِيدُوا عَلَى ذَلِكَ، فَالْعَدْلُ يَقْتَضِي الْعِقَابَ بِالْمِثْلِ.

• ﴿... وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾: أي: وَأُقْسِمُ لَكُمْ لَئِنْ صَبَرْتُمْ فَتَجَاوَزْتُمْ عَنْهُمْ وَلَمْ تُعَاqِبُوهُمْ، وَقَدَّمْتُمْ صُورَةَ حَسَنَةٍ عَنْ مَحَاسِنِ الْإِسْلَامِ، وَمَكَارِمِ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِينَ لَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِذْ تَدْخُلُونَ فِي عُمُومِ الصَّابِرِينَ، فَتُقَوِّونَ أَجْرَكُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ، كَمَا سَبَقَ بَيَانُ هَذَا فِي الْآيَةِ (١٠) مِنْ سُورَةِ (الزُّمَر/ ٥٩ نزول).

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يُوصِي رَسُولُهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِعِدَّةٍ وَصَايَا.

• ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾: رَخَّصَ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْمُعَاqَبَةِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى الصَّبْرِ، وَأَلْزَمَ رَسُولَهُ بِالصَّبْرِ، فَأَمَرَهُ أَمْرَ الْإِزَامِ وَإِجَابَ فَقَالَ لَهُ:

• ﴿وَأَصْبِرْ﴾: أي: فِي مُتَابَعَةِ دَعْوَتِكَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَلَا تَمَلَّ وَلَا تَبْأَسْ، وَلَا تُعَاqِبْ مَنْ كَانَ يُؤْذِيكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مُتَشَفِّيًا لِنَفْسِكَ.

• ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾: أي: وَمَا يَتَحَقَّقُ لَكَ الْإِتِّصَافُ بِالصَّبْرِ إِلَّا بِمُعُونَةِ اللَّهِ، فَاسْتَعِزْ بِهِ حَتَّى يُمِدَّكَ بِمَا يَجْعَلُكَ صَابِرًا فِي أَشَدِّ الْأُمُورِ الَّتِي تَشُقُّ عَلَى نَفْسِكَ.

• ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾: أي: وَإِذَا وَجَدْتَ مَنْ تَحْرِصُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ مُوْغِلِينَ فِي مَتَاهَاتِ ضَلَالَاتِهِمْ، فَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُمْ ذُؤُوءَا إِرَادَاتِ حُرَّةٍ فِي رِحْلَةِ امْتِحَانٍ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَقَدْ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ دُونَ جَبْرِ سَبِيلِ الضَّلَالِ بَعْدَ تَعْرِيفِهِمْ بِصِرَاطِ الْحَقِّ وَالْهُدَى، وَاسْتَيْقَانِ قُلُوبِهِمْ بِأَنَّهُ صِرَاطُ الْحَقِّ وَالْهُدَى.

• ﴿... وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٧٧): أي: وَلَا تَكُنْ فِي كَرْبٍ وَأَلَمْ نَفْسِي ضَاغِطٍ عَلَيْهَا، مِمَّا يُدَبِّرُونَ فِي الْخَفَاءِ ضِدَّكَ وَضِدَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَضِدَّ مَسِيرَتِكَ الدَّعْوِيَّةَ، فَرُبُّكَ مُتَوَلِّ أَمْرِكَ، وَمُحِيطٌ بِمَا يَمْكُرُونَ.

• ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾ (١٧٨): أي: وَمَعَ الْأَبْرَارِ الَّذِينَ هُمْ فَوْقَ الْمُتَّقِينَ وَدُونَ الْمُحْسِنِينَ.

وَمَنْ كَانَ اللَّهُ مَعَهُ كَانَ نَاصِرًا لَهُ، وَمُحِبِّطًا مَكْرَ أَعْدَائِهِ وَمَكَايِدَهُمْ، فَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ وَيَكِيدُونَ.

الْمَعِيَّةُ الْمُرَادَةُ هُنَا مَعِيَّةٌ عِنَايَةٌ وَحَفِظٌ وَنُصْرَةٌ.

وبهذا انتهى تدبرُ سورة النحل.

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٣٢)

**ملحق: مستخرجات بلاغية من سورة (النحل)**

في هذه السورة اختياراتٌ بلاغيةٌ كثيرةٌ، مِنْهَا الاختيارات التالية:

**أولاً: التَّعْيِيرُ بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي عَمَّا سَيَأْتِي مُسْتَقْبَلًا**

لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُرْبِ وَقُوعِهِ، أَوْ تَحَقُّقِ صُدُورِ الْقَضَاءِ بِأَنَّهُ وَقَعَ فِي الْمَوْعِدِ الْمَقْدَّرِ لَهُ.

فجاء في صدر السورة قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:

• ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ أَلَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ...﴾ (١)

أي: اقْتَرَبَ وَقُوعُ أَمْرِ اللَّهِ بِمُعَاقَبَةِ أُمَّةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، الَّذِينَ يَسْتَعْجِلُونَ مَا أَوْعَدَهُمُ الرَّسُولُ بِهِ مِنْ عَذَابٍ، لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَهُ فِي إِيْعَادِهِ، وَفِي كُلِّ نُبُوتِهِ وَرِسَالَتِهِ.

## ثانياً: من الاستعارة

وهي عند علماء البيان استِعْمَالُ لفظ ما في غير ما وُضِعَ لَهُ في اصطلاح به التخاطب، لِعَلَّاقَةِ المشابهة، مَعَ قَرِينَةٍ صَارِفَةٍ عَنِ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْمَوْضُوعِ لَهُ فِي اصطلاح به التخاطب.

ومن الاستعارة في السُّورَةِ قول الله عَزَّ وَجَلَّ فيها:

• ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٣٢﴾﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَةِ اسْتِعَارَتَانِ:

الاستعارة الأولى: اسْتَعِيرَ فعل: «أَذَاقَ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْإِحْسَاسِ الشَّدِيدِ بِآلَامِ الْجُوعِ، وَآلَامِ الْخَوْفِ فِي النَّفْسِ، لِأَنَّ حَاسَّةَ الذَّوْقِ أَشَدُّ الْحَوَاسِ إِذْرَاكَاً لِمَا يُلَامِسُهَا مِنْ طُعُومٍ مُّخْتَلِفَةٍ.

الاستعارة الثانية: اسْتَعِيرَ «اللباس» لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْإِحْسَاسَ بِالْجُوعِ كَانَ إِحْسَاساً شَامِلاً لِبَظْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ، كَشُمُولِ اللَّبَاسِ السَّابِغِ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الْإِحْسَاسَ بِالْخَوْفِ كَانَ إِحْسَاساً شَامِلاً لِلْقَلْبِ وَالنَّفْسِ.

## ثالثاً: من المجاز المرسل

وهو الْمَجَازُ الَّذِي تَكُونُ الْعَلَّاقَةُ فِيهِ بَيْنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِي وَالْمَعْنَى الْمَجَازِي، الَّذِي اسْتُعْمِلَ اللَّفْظُ لِلدَّلَالَةِ بِهِ عَلَيْهِ أَمْرًا غَيْرَ الْمِشَابَهَةِ، أَوْ قَائِمًا عَلَى التَّوَسُّعِ فِي اللَّغَةِ دُونَ ضَابِطٍ مُّعَيَّنٍ.

ومن المجاز المرسل في السُّورَةِ مَا يَلِي:

المثال الأول: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْفَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوَهِمِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢١):

أي: فأتى أثر أمر الله التكويني بتدمير بُيُوتِهِمْ مِنْ أُسُسِهِ الَّتِي هِيَ قَوَاعِدُهُ، فَرَزَلَهُ فَخَرَّ عَلَيْهِمْ كُلُّ سَقْفٍ فِي أُنْيَتِهِمْ فَكَانَ بِذَلِكَ هَلَاكُهُمْ.

المثال الثاني: قول الله تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً...﴾ (١١٢):

أي: وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا أَهْلَ قَرْيَةٍ، وَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ الْمَحَلِّ وَإِرَادَةِ الْحَالِ فِيهِ.

#### رابعاً: من الاستقطاع

وهو ما يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ النَّصُّ مِنْ تَصْوِيرِ الْحَدَثِ الْمَاضِي، أَوِ الْحَدَثِ الْآتِي فِي الْمُسْتَقْبَلِ، كَأَنَّهُ حَدَثٌ أَنِّي يَجْرِي الْآنَ عِنْدَ التَّكَلُّمِ، وَالصُّورُ التَّمْثِيلِيَّةُ الْمُسْتَقْطَعَةُ مِنَ الْمَاضِي أَوِ الْمُسْتَقْبَلِ، يُؤْتَى بِكُلِّ ظُرُوفِهَا الزَّمَانِيَّةِ وَالْمَكَانِيَّةِ وَبِأَحْدَاثِهَا، فَتَقَدَّمَ كَأَنَّهَا أَحْدَاثٌ قَائِمَةٌ فِعْلاً، لِلإِشْعَارِ بِأَنَّهَا حَقَائِقُ قَدْ حَدَثَتْ فِعْلاً فِي الْمَاضِي، أَوْ لَا بُدَّ أَنْ تَحْدُثَ مُسْتَقْبَلاً.

وَمِنْ أَمْثِلَةِ الْإِسْتِقْطَاعِ فِي السُّورَةِ مَا يَلِي:

المثال الأول: مَا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ:

﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْشُّوَاءُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١٧):

إِنَّ عِبَارَةَ ﴿قَالَ﴾ وَمَا بَعْدَهَا حَتَّى آخِرِ الْآيَةِ مُسْتَقْطَعَةٌ مِمَّا سَوْفَ يَحْدُثُ مُسْتَقْبَلاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمُقَدَّمَةٌ كَأَنَّ مَضْمُونَهَا حَدَثَ فِي الْمَاضِي، أَوْ يَحْدُثُ الْآنَ.

المثال الثاني: قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيدِينَ فِيهَا فَلْيَتَسَمَّوْا الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢٩).

كلامٌ مُسْتَقْطَعٌ مِمَّا سَوْفَ يُقَالُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُسَاقُونَ لِلْقَائِمِهِمْ فِي دَارِ عَذَابِهِمْ.

المثال الثالث: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خِطَاباً لِلرَّسُولِ ﷺ:

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ...﴾ (٨٩).

إِنَّ عِبَارَةَ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ عبارةٌ مُسْتَقْطَعَةٌ مِمَّا سَوْفَ يَحْدُثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمُقَدِّمَةٌ كَأَنَّ مَضْمُونَهَا يَحْدُثُ الْآنَ.

خامساً: من الكناية

وهي اللفظ المستعمل فيما وُضِعَ لَهُ في اصطلاح التخاطب للدلالة به على معنى آخر لازم له، أو مُصَاحِبٍ له، أو يُشَارُ بِهِ عادةً إِلَيْهِ، لما يَبْنِيهِمَا مِنَ الْمَلَابَسَةِ.

ومن أمثلة الكناية في هَذِهِ السُّورَةِ ما يلي:

المال الأول: قول الله تَعَالَى:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (١٩).

في هَذِهِ الْعِبَارَةِ كِنَايَةٌ عَنْ أَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُحَاسِبُهُمْ، وَيَفْصِلُ الْقَضَاءَ بَيْنَهُمْ، وَيُجَازِيهِمْ.

المثال الثاني: قول الله تَعَالَى:

﴿لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُوتُ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢٢).



فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ نَظِيرُ مَا فِي سَابِقَتِهَا، وَعَدَمَ مَحَبَّةِ اللَّهِ الْمُسْتَكْبِرِينَ كِنَايَةً عَنْ إِبْعَادِهِمْ عَنْ مَوَاطِنِ تَنْزُلِ رَحْمَاتِهِ.

وفي السُّورَةِ أُمُثْلَةٌ كَثِيرَةٌ مُشَابِهَةٌ، مِنْهَا:

١ - ﴿وَيَعْمَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ

تَقْتَرُونَ ﴿٥٦﴾.

٢ - ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ

جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾.

٣ - ... ﴿وَلَيَبْيَنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾﴾.

٤ - ... ﴿وَلَسْتَلْنَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

### سادساً: من الإيجاز

وهو التعبير عن المراد بكلام قصير ناقص عن الألفاظ التي يؤدي بها عادة في متعارف الناس، مع وفائه بالدلالة على المقصود، وهو ينقسم إلى إيجاز القصر، وإيجاز الحذف.

ومن أمثلة الإيجاز في السورة ما يلي:

المثال الأول: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ... ﴿١٥﴾﴾:

في هَذِهِ الْعِبَارَةِ إيجازٌ بالحذف، والتقدير: وألقى في الأرض رواسي «منع» أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ.

المثال الثاني: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ فِيكُمْ قَالُوا أَسْطِطِرُّ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾: أي: فهم

يُضِلُّونَ بِقَوْلِهِمْ هَذَا مَنْ يَتَأَثَّرُ بِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، دَلَّ عَلَى هَذَا: ﴿لِيَحْمِلُوا

أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُّوكَ ﴿٢٥﴾:

ففي هذا البيان إيجازٌ بالحذف كما هو ظاهر.

المثال الثالث: قول الله عَزَّ وَجَلَّ بِشَأْنِ مُنْكَرِي الْبُعْثِ:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾:

أي: بَلَى سَوْفَ يَبْعَثُ اللَّهُ الْمَوْتَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا. وهذا من الإيجاز بالحذف.

المثال الرابع: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ... ﴿٤١﴾﴾:

أي: وَالَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ أَوْطَانِهِمْ وَأَهْلِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ سَالِكِينَ فِي سَبِيلِ ابْتِغَاءِ مَرْضَاةِ اللَّهِ. وهذا من الإيجاز بالحذف.

المثال الخامس: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ... ﴿٤٥﴾﴾:

أي: انْظَمَسَتْ بَصَائِرُ الَّذِينَ مَكَرُوا الْمَكَرَاتِ السَّيِّئَاتِ فَأَمِنُوا مِنْ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ؟! وهذا من الإيجاز بالحذف.

المثال السادس: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ... ﴿٤٨﴾﴾:

أي: أَعَشَيْتَ أَبْصَارَهُمْ وَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ؟!

المثال السابع: قول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿... أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾:

أي: أنظمت بصائرهم فهم بالباطل يؤمنون، وبنيمة الله هم يكفرون؟!

المثال الثامن: قول الله عز وجل:

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٣):

أي: ولو شاء الله لسلبكم إراداتكم الحرة. ولجعلكم أمة واحدة مهديّة، ولكن ما شاء الله ذلك، بل جعلكم ذوي إرادات حرة ليبلوكم فيما آتاكم، ونتيجة لما تقدّمونه في امتحاناتكم يضلّ الله عند محاسبتكم وفضل قضائه بينكم بمشيئته الحكيمة من ضلّ منكم، ويهدي بمشيئته الحكيمة من اهتدى منكم.

سابعاً: من خروج الاستفهام عن أصل دلّالته

يَسْتَعْنِي الْبُلْغَاءُ بِعِبَارَاتِ الاسْتِفْهَامِ عَنْ ذِكْرِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تُدَلُّ دَلَالَةً صَرِيحَةً عَلَى مَا يُرِيدُونَ التَّعْبِيرَ عَنْهُ مِنَ الْمَعَانِي، وَقَدْ ذَكَرَ عُلَمَاءُ الْبَلَاغَةِ نِيفًا وَثَلَاثِينَ مَعْنَى يَخْرُجُ الاسْتِفْهَامُ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهَا، دُونَ حَضَرِ فِيهَا.

ومن خروج الاستفهام عن دلّالته الأضليّة في السورة أمثلة كثيرة، منها ما يلي:

(١) ﴿... أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾:

الاستفهام هنا للحث على التذكّر، والتلويح على عديمه.

(٢) ﴿... فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُسِينُ﴾ (٢٥):

المراد بالاستفهام هنا النفي، أي: ما عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الواضح.

(٣) ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) ؟.

الاستفهام هنا للتعجب مِنْ أمرهم، وَلِتَلْوِيَهُمُ وَالتَّشْرِيبِ عَلَيْهِمُ.

(٤) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ...﴾ (٤٨) ؟.

المراد بالاستفهام هنا التثنية، وَلَفَتْ النَّظَرَ، والحثُّ على التفكير.

(٥) ﴿... أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَّقُونَ﴾ (٥٢) :

المراد بالاستفهام هنا التلويُّم والتعجب مِنْ أمرهم.

(٦) ﴿... أَفَبِإِنِّعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (٦١) ؟:

(٧) ﴿... أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِإِنِّعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ؟:

يراد بالاستفهام في هَذَيْنِ المَثَالَيْنِ، التلويُّم والتعجب مِنْ أمرهم، كَسَابِقَهُمَا.

### ثَامِنًا: مِنَ الْقَصْرِ

وهو تَخْصِيصُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ بِعِبَارَةِ كَلَامِيَّةٍ تَدُلُّ عَلَيْهِ، وفي السُّورَةِ أُمُثْلَةٌ كثيرة مِنْ أُمُثْلَةِ الْقَصْرِ، وَمِنْهَا الْأُمُثْلَةُ التَّالِيَّةُ:

(١) ﴿... أَنْ أُنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (٢) :

فيها قَصْرُ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ قَصراً حَقِيقِيّاً بالنفي والاستثناء.

(٢) ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ...﴾ (٩) :

أي: وعلى الله وَحْدَهُ قَصْدُ السَّبِيلِ، وهو من قَصْرِ صِفَةٍ عَلَى

مَوْصُوفٍ قَصْرًا حَقِيقِيًّا، بِتَقْدِيمِ الْخَبَرِ عَلَى الْمَبْتَدَأِ الْمَعْرِفَةِ بِالِإِضَافَةِ.

(٣) ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً...﴾ ﴿١٥﴾:

فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ قَصْرُ صِفَةٍ عَلَى مَوْصُوفٍ قَصْرًا حَقِيقِيًّا بِتَغْرِيفِ طَرَفِي الْإِسْنَادِ.

(٤) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ...﴾ ﴿٤٣﴾:

فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ قَصْرُ الْإِرْسَالِ عَلَى رِجَالٍ مِنَ النَّاسِ قَصْرًا حَقِيقِيًّا بِالنَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ.

(٥) ﴿... إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾:

فِي: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ قَصْرُ الْأَلُوْهِيَّةِ عَلَى رَبِّ وَاحِدٍ قَصْرًا حَقِيقِيًّا بِأَدَاةِ «إِنَّمَا».

وَفِي: ﴿فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾ طَلَبُ قَصْرِ الرَّهْبَةِ عَلَى أَنْ تَكُونَ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ قَصْرًا إِضَافِيًّا، بِتَقْدِيمِ الْمُعْمُولِ عَلَى عَامِلِهِ.

(٦) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٨٧﴾:

فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ قَصْرُ تَكْلِيفِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى الْبَلَاغِ الْمُبِينِ، وَهُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ بِأَدَاةِ «إِنَّمَا».

وَتُوجَدُ أُمْتِلَةٌ مُشَابِهَةٌ لِهَذِهِ الْأُمْتِلَةِ فِي السُّورَةِ تُقَاسُ عَلَيْهَا.

تَاسِعًا: التَّوْكِيدُ فِي الْجَمَلِ لَوْجُودِ الدَّاعِي الْبَلَاغِيِّ لِتَوْكِيدِهَا

وَالْأُمْتِلَةُ عَلَى هَذَا كَثِيرَةٌ فِي السُّورَةِ مِنَ السَّهْلِ اسْتِخْرَاجُهَا، وَادْكُرْ

مِنْهَا مَا يَلِي:

(١) ﴿... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١١﴾:

التَّوْكِيدُ ب: «إِنَّ» - وَالْجُمْلَةُ الْاِسْمِيَّةُ - وَاللَّامُ الْمَرْخَلَقَةُ.

(٢) ﴿... فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢٩):

التوكيد بلام الابتداء.

(٣) ﴿... وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣١):

التوكيد بلام الابتداء في موضعين.

(٤) ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٣):

التوكيد بالقسم، وبعبارة «لَقَدْ».

إلى غير هذه من أمثلة كثيرة.

وأقتصر إلى هذه المستخرجات من الاختيارات البلاغية في سورة (النحل).

والحمد لله على معاونته، ومدده، وتوفيقه، ومنته، وفتح.



# سُورَةُ نُوحٍ

٧١ مصحف ٧١ نزول

وهي سورة مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا





(١)

## نص السورة وما فيها من فرش القراءات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ  
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا  
 اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَذِّعْكُمْ إِلَىٰ  
 أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
 ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ  
 إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعَهُمْ  
 فِيْءَ إِذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ  
 إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا  
 ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ  
 عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيجعل  
 لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ

٣ - قرأ يعقوب [وأطيعوني] بإثبات ياء المتكلم، وضلاً ووقفاً.

وقرأها باقي القراء العشرة: [وأطيعون].

٦ - قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر: [دُعَانِي إِلَّا] بفتح ياء المتكلم.

وقرأها باقي القراء العشرة بإسكانها.

٩ - قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [إِنِّي أَعْلَنْتُ] بفتح ياء المتكلم.

وقرأها باقي القراء العشرة بإسكانها.

أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾  
 وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ  
 مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾  
 وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا  
 ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمُ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ  
 إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ  
 آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾  
 وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا  
 خَطِئْتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا  
 ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾  
 إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا  
 ﴿٢٧﴾ رَبِّ آغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا  
 وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾

٢١ - • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحزمة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [وَوَلَدُهُ].  
 وقرأها باقي القراء العشرة: [وَوَلَدُهُ].

٢٣ - • قرأ نافع، وأبو جعفر: [وَدًّا] بضم الواو.  
 وقرأها باقي القراء العشرة: [وَدًّا] بفتح الواو.  
 وهما نطقان عَرَبِيَّان.

٢٥ - • قرأ أبو عمرو: [مِمَّا خَطِئْتَهُمْ].

وقرأها باقي القراء العشرة: [مِمَّا خَطِئْتَهُمْ].

٢٨ - • قرأ هشام، وحفص: [بَيْتِي] بفتح ياء المتكلم.  
 وقرأها باقي القراء العشرة بِإِسْكَانِهَا.

(٢)

**مَوْضُوعُ سُورَةِ (نُوح)**

موضوع هَذِهِ السُّورَةِ يَتَلَخَّصُ بِأَنَّهَا فُضُولٌ مِنْ قِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
مَعَ قَوْمِهِ.

(٣)

**دُرُوسُ سُورَةِ (نُوح)**

تَنْقَسِمُ سورة (نوح) عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى خَمْسَةِ دُرُوسٍ، يُمَثِّلُ كُلُّ دُرْسٍ  
مِنْهَا فَضْلاً مِنْ فُضُولٍ قِصَّتِهِ مَعَ قَوْمِهِ الَّتِي جَاءَ عَرْضُهَا فِي السُّورَةِ.

الدَّرْسُ الْأَوَّلُ: الْآيَةُ الْأُولَى.

وَهَذَا الدَّرْسُ يُبَيِّنُ فَضْلَ تَكْلِيفِ «نُوحٍ» عَلَيْهِ السَّلَامُ تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ  
قَوْمَهُ.

الدَّرْسُ الثَّانِي: الْآيَاتُ مِنْ (٢ - ٤):

وَهَذَا الدَّرْسُ يَتَضَمَّنُ بَيَانَ فَضْلِ قِيَامِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَأْدِيَةِ الرِّسَالَةِ  
الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يُبَلِّغَهَا لِقَوْمِهِ.

الدَّرْسُ الثَّالِثُ: الْآيَاتُ مِنْ (٥ - ٢٤).

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ مَا قَامَ بِهِ تُجَاةً  
قَوْمِهِ، وَشُكْرًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لَهُ.

الدَّرْسُ الرَّابِعُ الْآيَةُ (٢٥).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بَيَانُ عَاقِبَةِ كِفَارِ قَوْمِ نُوحٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الدَّرْسُ الْخَامِسُ: الْآيَاتُ مِنْ (٢٦ - ٢٨) آخِرُ السُّورَةِ.

وَفِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ بَيَانُ دُعَاءِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى جَمِيعِ كُفَّارِ

الأرض بالإهلاك، ودُعائِهِ بالمغفرة لوالِدَيْهِ، ولمن دَخَلَ بَيْتَهُ مُؤْمِنًا،  
ولجميع المؤمنين والمؤمنات.

(٤)

## التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (نوح)

(١) الآية

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الْمُحْسِنَ الرَّحِيمَ﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ﴾.

### التدبر التحليلي:

هَذَا الدَّرْسُ يَتَضَمَّنُ بَيَانَ فَضْلِ تَكْلِيفِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يُبَلِّغَ  
رِسَالَتَهُ قَوْمَهُ.

• ﴿إِنَّا﴾ يَتَحَدَّثُ رَبُّنَا بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ، وَمُؤَكِّدًا بِ «إِنَّ» -  
والجملة الاسمية» لِأَنَّ التَّوَكِيدَ مُسَلِّطٌ عَلَىٰ كُلِّ مَا جَاءَ فِي السُّورَةِ مِنْ قِصَّةِ  
نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ.

وَالْمَقْصُودُ مُعَالَجَةُ أَئِمَّةِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ الْجَا حِدِينَ الْمُعَانِدِينَ فِي مَكَّةَ  
إِبَّانَ التَّنْزِيلِ، وَإِنْذَارُهُمْ بِعِقَابِ مِنَ اللَّهِ شَدِيدٍ، فَقَدْ عَاقَبَ اللَّهُ - جَلَّ جَلَالُهُ  
وَعَظَّمَ سُلْطَانَهُ - قَوْمَ نُوحٍ بِطُوفَانٍ عَظِيمٍ.

وَيَنْسَحِبُ هَذَا الْعِلَاجُ عَلَىٰ كُلِّ أُمَّةٍ لَهُمْ إِذَا تَدَبَّرُوا قِصَّةَ نُوحٍ وَقَوْمِهِ.

• ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾: أَي: إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ فَجَعَلْنَاهُ نَبِيًّا،  
ثُمَّ بَعَثْنَاهُ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِ، لِيُبَلِّغَهُمْ دِينَ اللَّهِ لَهُمْ، فَقَامَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ  
حَلِيمًا صَابِرًا، يُتَابِعُ قَوْمَهُ بِالْبَيَانِ وَالتَّكْذِيرِ وَالتَّصْحِاحِ وَالْإِرْشَادِ وَالْمَوْعِظَةِ  
الْحَسَنَةِ، فَلَمْ تُجِدْ فِيهِمْ وَسَائِلُهُ طَوَالَ قُرُونٍ.

فَكَلَّفَهُ اللَّهُ أَنْ يُنْذِرَهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ مِنْ رَبِّهِمْ، إِذَا أَصْرُوا عَلَى عُنَادِهِمْ، وَاسْتَكْبَارِهِمْ، وَعَدَمَ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ، ذَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ خِطَاباً لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

• ﴿... أَنْ أَنْذِرَ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾:

﴿أَنْ﴾: تَفْسِيرِيَّةٌ بِمَنْزِلَةِ «أَي» وَمَا بَعْدَهَا تَفْسِيرٌ لِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ اسْتَعْصَمُوا وَعَانَدُوا عِنَاداً شَدِيداً، وَاسْتَكْبَرُوا وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبَّارًا.

الْإِنْذَارُ: الْإِعْلَامُ بِأَمْرٍ يُخَافُ مِنْهُ، لِلتَّحْذِيرِ مِنْ وَقُوعِهِ، بِاتِّخَاذِ أَسْبَابِ تَفَادِيهِ وَالْخَلَّاصِ مِنْهُ.

• ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: أَي: عِقَابٌ مُؤَلَّمٌ إِيْلَاماً شَدِيداً لِلْمُعَذِّبِينَ الَّذِينَ لَا يُحَقِّقُونَ الْمَطْلُوبَ الرَّبَّانِيَّ مِنْهُمْ.

وَالْمَعْنَى: أَرْسَلْنَا نُوحًا بِمَضْمُونِ هَذَا الْبَيَانِ وَبِلَوَازِمِهِ الْفِكْرِيَّةِ، وَالْمَعْلُومَةِ فِي كُلِّ رِسَالَةِ الرُّسُلِ، بَدَأَ مِنْ أَوَائِلِ التَّبْلِيغِ، حَتَّى أَوَاخِرِ الْإِنْذَارِ.

وَقَدْ دَلَّتْنَا النُّصُوصُ الْمُخْتَلِفَةُ الْمُوزَّعَةُ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، عَلَى أَنَّ الْإِنْذَارَ عُنْوَانٌ لِآخِرِ فِقْرَةٍ مِنْ فِقَرَاتِ التَّبْلِيغِ الْمَطْلُوبِ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِعِبَادِهِ.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ الدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (نُوح).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمَتْنِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٥)

## التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (نوح) الآيات من (٢ - ٤)

قال الله عز وجل:

﴿قَالَ يَقْوِمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾﴾  
يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَوِّضَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ  
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾:

القراءات:

(٣) • قرأ يعقوب: [وَأَطِيعُونِي] بإثبات ياء المتكلم وصلاً ووقفاً.  
وقراها باقي القراء العشرة: [وَأَطِيعُونِ] بحذف ياء المتكلم.

تمهيد:

تُمَثِّلُ آيَاتُ هَذَا الدَّرْسِ فَضْلاً مُوجِزاً مِنْ قِيَامِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَأْدِيَةِ  
وَعَاطِفِ رِسَالَتِهِ فِي قَوْمِهِ، الَّتِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَدَائِهَا.

التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى:

• ﴿قَالَ يَقْوِمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾﴾:

دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ أَدَّى رِسَالَتَهُ الَّتِي بَعَثَهُ اللَّهُ  
بِهَا، فَقَدْ جَاءَ فِيهَا الْمَطَابَقَةُ بَيْنَ مَضْمُونِ التَّكْلِيفِ فِي: ﴿أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ وَبَيْنَ  
قَوْلِهِ لِقَوْمِهِ: ﴿يَقْوِمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ مَعَ مُلَاحَظَةِ اللَّوْازِمِ الَّتِي هِيَ  
مَضَامِينُ الدِّينِ السَّابِقَةِ لِلْإِنْذَارِ.

وَفِي عِبَارَةِ ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ مَعْنَى أَنَّ رِسَالَتَهُ كَانَتْ فِي عَصْرِ  
خَاصَّةٍ بِقَوْمِهِ.

● ﴿مُتَيْنٌ﴾ اسم فاعل من فعل «أَبَانَ» وهو يَأْتِي لازماً ومُتَعَدِّياً، أي: ظاهر واضح، ومُظْهِرٌ مُوَضِّحٌ، فَهُوَ فِي ذَاتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاضِحٌ مَكْشُوفٌ، لَيْسَ لَهُ بَاطِنٌ يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ، وَهُوَ أَيْضاً مُبَيِّنٌ لِحَقَائِقِ الدِّينِ وَشَرَائِعِهِ وَمُوَضِّحٌ لَهَا، وَمُبَيِّنٌ لِلْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الدِّينُ.

وهَذَا مِمَّا اِمْتَّازَ بِهِ رُسُلُ اللَّهِ، وَامْتَّازَتْ بِهِ رِسَالَاتُهُمْ، الْوُضُوحُ وَالْإِيضَاحُ.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي حِكَايَةِ دَعْوَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ:

● ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾:

بَعْدَ إِنْذَارِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ إِذَا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ، أَبَانَ لَهُمْ ثَلَاثَ قَضَايَا، مُفَسَّرَةٌ بِمَا جَاءَ بَعْدَ «أَنَّ» التَّفْسِيرِيَّةَ:

الْقَضِيَّةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾: أي: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَقَدْ كَانَ قَوْمُهُ وَثَنِيَّينَ مُشْرِكِينَ، يَعْبُدُونَ أَوثَانَهُمُ الَّتِي سَيَّأَتِي ذِكْرُهَا فِي السُّورَةِ.

الْعِبَادَةُ: الْخُضُوعُ، وَالطَّاعَةُ، وَأَدَاءُ مَا يُرْضِي الْمَعْبُودَ، وَتَرْكُ مَا لَا يُرْضِيهِ.

الْقَضِيَّةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا: ﴿وَاتَّقُوهُ﴾: أي: وَاتَّقُوا عِقَابَ اللَّهِ، عَلَى الْكُفْرِ بِهِ، وَمَعْصِيَتِهِ، وَالْكُفْرِ بِرَسُولِهِ، وَبِمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ، وَاتَّقُوا عِقَابَهُ عَلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ شِرْكَ، وَقَبَائِحِ أَخْلَاقٍ، وَسَيِّئَاتِ سُلُوكٍ، فَهُوَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ، يَحْكُمُ بِالْعَدْلِ، وَهُوَ مُنْتَقِمٌ قَدِيرٌ.

الْقَضِيَّةُ الثَّالِثَةُ: دَلَّ عَلَيْهَا: ﴿وَأَطِيعُوا﴾: أي: وَأَطِيعُونِي بِالْإِسْتِجَابَةِ لِدَعْوَتِي إِيَّاكُمْ إِلَى دِينِ رَبِّكُمْ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ طَاعَةَ الرَّسُولِ مِنَ الْفُرُوضِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا رَسُولًا، دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٣ نزول):

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وَأَبَانَ لَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُمْ إِذَا حَقَّقُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَطْلُوبَ اللَّهِ مِنْهُمْ فِي الْقَضَايَا الثَّلَاثِ، كَافَأَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ بِمُكَافَأَتَيْنِ:

الْمُكَافَأَةُ الْأُولَى: دَلَّ عَلَيْهَا: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾: أي: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ بَعْضَ ذُنُوبِكُمْ، وَهِيَ الذُّنُوبُ الَّتِي اِزْتَكَبْتُمُوهَا فِي حَقِّ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ، أَمَّا حُقُوقُ الْعِبَادِ فَلَهَا شَأْنٌ آخَرُ، إِذْ قَاعِدَةُ الْعَدْلِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى حُقُوقِ الْعِبَادِ تَقْتَضِي الْقِصَاصَ، أَوْ اسْتِزْضَاءَ الْحَضَمِ بِوَسِيلَةٍ أُخْرَى. يَغْفِرُ: مجزوم على أَنَّهُ جوابُ الطلب. وكذلك: يُؤَخَّرُ.

الْمُكَافَأَةُ الثَّانِيَّةُ: دَلَّ عَلَيْهَا: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: دَلَّتْ هَذِهِ الْعِبَارَةُ عَلَى هَذَا الْبَيَانِ كَانَ فِي أَوَاخِرِ دَعْوَةِ نُوحٍ فِي قَوْمِهِ، وَبَعْدَ إِنْذَارِهِ لَهُمْ بِإِهْلَاكِ شَامِلٍ مَقْرُونٍ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ مِنْ اللَّهِ رَبِّهِمْ.

أي: وَيَرْفَعُ عَنْكُمْ الْعَذَابَ وَالْإِهْلَاكَ الشَّامِلَ، وَيُؤَخِّرْكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى مُحَدَّدٍ بِتَقْدِيرِهِ وَقَضَائِهِ، لِكُلِّ حَيٍّ مِنْكُمْ، وَهُوَ الْأَجَلُ الَّذِي قُضِيَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مُنْذُ قَضَى اللَّهُ خَلْقَهُ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

وَهَذَا الْأَجَلُ الْمَقْدَرُ الْمُقْضَى بِتَقْدِيرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ إِذَا جَاءَ فَإِنَّهُ لَا يُؤَخَّرُ، دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ (٤) مِنْ هَذَا الدَّرْسِ:

• ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾:

هَذِهِ الْعِبَارَةُ دَلَّتْ عَلَى قَضِيَّةٍ كُلِّيَّةٍ عَامَّةٍ، أي: إِنَّ أَجَلَ أَيِّ شَيْءٍ ذِي أَجَلٍ قَدَرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ فِي خُطَّةِ التَّكْوِينِ لَا يُؤَخَّرُ عَنْ وَقْتِهِ.



وَتَمَنَّى نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ أَنْ يَعْلَمُوا هَذِهِ الْحَقَائِقَ الَّتِي أَبَانَهَا لَهُمْ. عِلْمًا يَهْدِيهِمْ إِلَى أَنْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ، فَيُؤْمِنُوا وَيُسَلِّمُوا، فَقَالَ لَهُمْ:

• ... لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ «لَوْ» هُنَا مِنْ حُرُوفِ التَّمَنِّي، وَلَهَا نظائر في القرآن المجيد.

وبهذا تَمَّ تدبُّر الدرس الثاني من دُرُوس سورة (نوح).  
والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِيتَتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٦)

### التدبر التحليلي للدرس الثالث من دُرُوس سورة (نوح) الآيات من (٥ - ٢٤)

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعُمْ فِي مَادَانِهِمْ وَاسْتَفْسَحُوا يَدَيْهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أُنَبِّئُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِآثَارِكُمْ لَتَسْلُكُنَّ مِنْهَا نَهْرًا ﴿١٧﴾ قَالَتْ رَبِّ إِنَّا نَعْبُدُكَ وَنَحْنُ عَصَوْنَا وَاتَّبَعْنَا مَنْ لَمْ تَزِدْهُ مَالًا وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿١٨﴾ وَمَكُرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٠﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾:

## القراءات :

(٦) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر: [دُعَانِي إِلَّا] بفتح ياء المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة بإسكانها.

(٩) • قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: [إِنِّي أَعْلَنْتُ] بفتح ياء المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة بإسكانها.

(٢١) • قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف: [وَوُلِدْهُ].

وقراها باقي القراء العشرة: [وَوُلِدْهُ].

الْوُلْدُ وَالْوُلْدَ يُطْلَقَانِ عَلَى الْمَفْرَدِ وَغَيْرِهِ وَالْمَذْكَرِ وَغَيْرِهِ، فَهُمَا بِمَعْنَى واحد.

(٢٣) • قرأ نافع، وأبو جعفر: [وَدَّأ] بضم الواو.

وقراها باقي القراء العشرة: [وَدَّأ] بفتح الواو.

وَهُمَا نُطْقَانِ عَرَبِيَّانِ.

## تمهيد:

فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ ذَكَرُ مُوجَزٍ مَا أَبَانَهُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ، بِشَأْنِ مَا قَامَ بِهِ تُجَاهَ قَوْمِهِ فِي رِسَالَتِهِ. وَشَكْوَاهُ مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ لَهُ، وَعَدَمِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ. وَفِيهِ مَقُولَتَانِ.

المقولة الأولى: وفيها حكاية قصة دعوته لقومه.

المقولة الثانية: وفيها حكاية شكواه من معصية قومه له، وعدم استجابتهم لدعوته.

## التدبر التحليلي:

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى يَحْكِي مُوجَزَ دُعَاءِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ جَلَّ

جَلَالُهُ:

● ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ﴿٧﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِتْرَافًا وَاعْتِرَافًا ﴿٨﴾ وَاسْتَغْفِرُوا اسْتَغْفَارًا ﴿٩﴾﴾

أي: قَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دُعَائِهِ لِرَبِّهِ.

رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَعِبَادَتِكَ وَحَدِّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فِي رُبُوبِيَّتِكَ وَلَا فِي إِلَهِيَّتِكَ، فِي مُخْتَلَفِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي رَأَيْتُ مِنَ الْمُنَاسِبِ مُوَاجَهَتَهُمْ فِيهَا بِدُعَوَتِي، وَنُضْحِي، وَتَبْلِيغِي الدِّينَ الَّذِي أَمَرْتَنِي بِأَنْ أُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ، وَتَذْكِيرِهِمْ بِهِ، لَيْلًا وَنَهَارًا، قِيَامًا بِأَدَاءِ الرُّسَالَةِ الَّتِي حَمَلْتَنِي مَسْئُولِيَّاتِهَا، وَكَلَّفْتَنِي وَظَائِفَهَا.

فَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْشَى قَوْمَهُ جَمَاعَاتٍ وَأَفْرَادًا فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِلَا كَلَلٍ وَلَا مَلَلٍ، فَيَذْعُوهُمْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ رِسَالَتَهُ، وَيُبَلِّغُهُمْ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يُبَلِّغَهُمْ إِيَّاهُ مِنْ قَضَايَا الدِّينِ، وَيُبَلِّغُهُمْ وَعْدَ اللَّهِ وَوَعِيدَهُ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَيَتْلُوها عَلَيْهِمْ.

وَقَدْ صَبَرَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَوْمِهِ صَبْرًا عَظِيمًا، فِي أَزْمَانٍ مَدِيدَةٍ، وَبِأَسَالِيبٍ عَدِيدَةٍ.

لَكِنَّ دَابَّةَ الطَّوِيلِ فِي دَعْوَتِهِ قَوْمَهُ، لَمْ يَكُنْ لَهُ أَثَرُ اسْتِجَابَةٍ فِي نَفْسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ، وَكُلَّمَا زَادَهُمْ دَعْوَةٌ زَادُوا فِرَارًا مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَزَادُوا هُرُوبًا وَابْتِعَادًا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي يَدْعُوهُمْ فِيهِ.

الْفِرَارُ: أَشَدُّ مَا يَسْتَطِيعُ الْعَدَاءُ مِنْ جَرِي ابْتِعَادًا عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي أَثَارَ خَوْفُهُ وَدُعْرَهُ.

فجاء التَّغْيِيرُ بِالْفِرَارِ كِنَايَةً عَنْ أَشَدِّ صُورِ عَدَمِ الاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَام.

وَقَالَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِ النُّفُورِ الَّذِي كَانَ يُقَابِلُهُ قَوْمُهُ بِهِ كُلَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ:

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ وَثَنَاتِهِمْ وَكُفْرِيَّاتِهِمْ وَقَبَائِحِهِمُ الْخُلُقِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ، وَإِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ بِصِدْقٍ، لَتَغْفِرَ لَهُمْ سَوَاقٍ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ ضَلَالَاتٍ قَابِلُوا دَعْوَتِي لَهُمْ بِعَمَلَيْنِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْمَادِيَّةِ الْجَسَدِيَّةِ، الدَّالَّةِ عَلَى رَفْضِهِمْ أَنْ يَسْتَمِعُوا لِأَقْوَالِي، وَيَشْهَدُوا وَجُودِي قَرِيباً مِنْهُمْ.

**العمل الأول:** أَنْ يَضَعُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ، حَتَّى لَا يَسْمَعُوا كَلَامِي، وَلْيُشْعِرُونِي بِأَنَّنِي أَقُولُ أَقْوَالِي الْمَوْجَّهَةَ لَهُمْ فِي الْهَوَاءِ لِغَيْرِ سَامِعٍ لَهَا، فَالْأَوَّلَى لِي أَنْ لَا أُتْعِبَ نَفْسِي بِالتَّحَدُّثِ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، وَلْيُشْعِرُونِي بِأَنَّ أَقْوَالِي صَارَتْ مَحْفُوظَةً لَدَيْهِمْ مُكْرَرَةً، فَنفُوسُهُمْ تَشْمِئُزُ مِنْهَا، وَتَتَقَرَّرُ مِنْ سَمَاعِهَا، فَيَجِبُ عَلَيَّ أَنْ أَنْصَرِفَ عَنْهُمْ، إِذْ هُمْ يَزْدَرُونَنِي، وَيَسْتَهْيِنُونَ بِي.

**العمل الثاني:** أَنْ يَسْتَعْشُوا ثِيَابَهُمْ، أَي: أَنْ يَجْعَلُوا ثِيَابَهُمْ أَغْشِيَةً وَأَغْطِيَةً عَلَى وُجُوهِهِمْ، لئَلَّا يَرَوْهُ، وَلْيُشْعِرُوهُ بِالْإِذْبَارِ عَنْهُ إِذْ بَارَأَ كُلِّيًّا، وَيَبَآنَهُمْ عَنْهُ فِي حِجَابٍ، وَبِأَنَّهُ صَارَ ثَقِيلَ الظِّلِّ كَرِيهاً لَدَيْهِمْ، فَهُمْ يَنْفِرُونَ مِنْ رُؤْيَاهُ وَجْهَهُ.

وَاسْتَمَرَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُوهُمْ صَابِراً مُخْتَسِباً أَجْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ لِمَا يَلْقَاهُ مِنْهُمْ، وَغَيْرُ عَابِيٍّ بِمَا يُقَابِلُونَهُ بِهِ.

وَأَبَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَبِّهِ أَنَّهُ كُلَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، أَصْرُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَوَثَنَاتِهِمْ، وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً شَنِيعاً مُسْرِفاً.

• ﴿وَأَصْرُوا﴾: أَي: لَزِمُوا بَعْنَادِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرٍ وَشِرْكَ وَأَثَام.

يُقَالُ لُغَةً: «أَصَرَ فُلَانٌ عَلَى الْأَمْرِ» أَي: لَزِمَهُ وَتَبَتَ عَلَيْهِ، وَكَثُرَ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْأَنَامِ وَالْقَبَائِحِ.

● ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾: أَي: وَتَكَبَّرُوا تَكَبُّرًا فَاحِشًا مُسْرِفًا قَبِيحًا مُؤْذِيًا، مُتَعَالِينَ رَافِضِينَ قَبُولَ دَعْوَةِ الْحَقِّ، اسْتَفِيدَ غُلُوَّهُمُ الشَّنِيعُ فِي كِبَرِهِمْ مِنْ صِيغَةِ «اسْتَفْعَلَ».

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعًا حِكَايَةَ مُوجَزٍ دُعَاءِ نُوحٍ رَبُّهُ جَلَّ جَلَالُهُ:

● ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِيَنَّ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾:

جَاءَ الْعَظْفُ بِحَرْفِ الْعَظْفِ «ثُمَّ» لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْفَاصِلِ الزَّمَنِيِّ بَيْنَ الْمَجَاهِدَةِ الْأُولَى الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآيَاتُ مِنْ (٥ - ٧) وَبَيْنَ الْجَاهِدَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا الْآيَةُ (٨) وَالْمَجَاهِدَةُ الثَّالِثَةُ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا الْآيَاتُ بَدَأَ مِنْ الْآيَةِ (٩).

إِنَّ الْمَجَاهِدَةَ الْأُولَى كَانَتْ بِأَسْلُوبِ الْعَرْضِ الْعَادِيِّ بِرَفْقٍ وَلُطْفٍ عَلَى أَفْرَادِهِمْ وَجَمَاعَتِهِمْ فَنَالَهُ مِنْهُمْ مَا نَالَهُ مِنْ نُفُورٍ وَفَرَارٍ، وَجَعَلَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ، وَتَغَطَّيَتْهُمُ وُجُوهُهُمْ بِثِيَابِهِمْ، وَإِصْرَارُهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ وَشُرَكِيَائِهِمْ وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ، وَاسْتِكْبَارِهِمْ اسْتِكْبَارًا شَنِيعًا.

أَمَّا الْمَجَاهِدَةُ الثَّانِيَّةُ: فَقَدْ كَانَتْ بِأَسْلُوبِ الْخُطْبِ فِي الْمَجَامِعِ، وَرَفَعَ الصَّوْتِ بَيْنَ الْجَمَاهِيرِ، دَلَّتْ عَلَيْهَا عِبَارَةُ: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ ﴿٨﴾.

يُقَالُ لُغَةً: «جَهَرَ الرَّجُلُ بِكَلَامِهِ، أَوْ دُعَائِهِ، أَوْ صَوْتِهِ، أَوْ قِرَاءَتِهِ، يَجْهَرُ، جَهْرًا، وَجِهَارًا» أَي رَفَعَ بِذَلِكَ صَوْتَهُ، فَصَوْتُهُ جَهِيرٌ.

وهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ صَارَ يَقِفُ فِي مَجَامِعِ قَوْمِهِ وَضَمَّنَ جَمَاهِيرَهُمْ خَطِيباً يَدْعُو إِلَى دِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، فَيَرْفَعُ صَوْتَهُ، حَتَّى يُسْمِعَ جَمَاهِيرَهُمْ دَعْوَتَهُ.

وَأَمَّا الْمَجَاهِدَةُ الثَّالِثَةُ: فَقَدْ كَانَتْ بِأُسْلُوبِ الْمَرَاوَحَةِ بَيْنَ الْإِعْلَانِ إِذَا اقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْإِعْلَانَ، وَالْإِسْرَارَ إِذَا اقْتَضَتْ الْحِكْمَةُ الْإِسْرَارَ.

دَلَّ عَلَى هَذِهِ الْمَجَاهِدَةِ الثَّالِثَةِ عِبَارَةٌ: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.

• ﴿أَعْلَتُ لَهُمْ﴾: أَي: دَعَوْتُ أَفْرَادَهُمْ وَجَمَاعَاتِهِمْ عَلَانِيَةً، وَذَلِكَ بِأُسْلُوبِ التَّحَدُّثِ الْعَلَنِيِّ بَيْنَ النَّاسِ، وَهُوَ غَيْرُ أُسْلُوبِ الْخُطَابَةِ، إِنَّهُ أُسْلُوبٌ هَادِيٌّ، يَتَحَمَّلُ السُّؤَالَ وَالْجَوَابَ، وَالْمُنَاقَشَةَ وَالْمَجَادَلَةَ، وَالْأَخْذَ وَالرَّدَّ وَالْمَرَاجَعَاتِ وَالْمَذَاحِلَاتِ.

• ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾: أَي: دَعَوْتُ أَفْرَادًا مِنْهُمْ بِأُسْلُوبِ الْحَدِيثِ السَّرِيِّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَكْرَهُونَ أَنْ يُوجَّهَ لَهُمُ التَّنْصِيحُ أَوْ التَّعْلِيمُ بَيْنَ النَّاسِ بِطَرِيقَةٍ عَلَنِيَّةٍ، وَيَتَقَبَّلُونَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ بِطَرِيقَةٍ سَرِيَّةٍ.

وَقَدْ اتَّخَذَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْأُسْلُوبَ مَعَ مَنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يُوجَّهُوا أَوْ يَعْلَمُوا أَوْ يُنْصَحُوا أَوْ يُدْعَوْ بِطَرِيقَةٍ عَلَنِيَّةٍ، فَهُمْ لَا يَسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ إِذَا دُعُوا بِأُسْلُوبِ عَلَنِيٍّ، إِذْ هُوَ فِي تَصَوُّرِهِمْ يَنْقُصُ مِنْ مَكَانَاتِهِمْ لَدَى الْجَمَاهِيرِ الَّتِي تُعَظِّمُ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَتَرَاهُمْ عُظَمَاءَ فِي أَفْكَارِهِمْ وَآرَائِهِمْ وَمَفَاهِيمِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ، فَكَيْفَ يَسْتَجِيبُونَ لِذَاكَ يَدْعُوهُمْ، إِلَى تَرْكِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، مِنْ مُعْتَقَدَاتٍ وَمَفْهُومَاتٍ، وَأَنْوَاعِ سُلُوكٍ فِي الْحَيَاةِ.

وَجَاءَ تَوْكِيدُ فِعْلِ «أَسْرَرْتُ» بِالْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ «إِسْرَارًا» لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ حَرِيصاً عَلَى أَنْ لَا يَسْمَعَ حَدِيثُهُ مَعَهُمْ أَحَدٌ، وَعَلَى أَنَّهُ يَسْتَمِرُّ كَاتِماً حَدِيثَهُ الَّذِي كَانَ يُسِرُّ بِهِ إِلَيْهِمْ، لَا يَنْشُرُهُ وَلَا يَتَحَدَّثُ بِهِ لِلنَّاسِ،

لِيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى التَّأْثِيرِ فِيهِمْ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَرَادُ أَيْضاً إِسْرَاراً شَدِيداً مُبَالِغاً فِيهِ مَقْرُوناً بِالْحَيْظَةِ الشَّدِيدَةِ.

مَا يُسْتَفَادُ مِنْ دَعْوَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ:

بِاسْتِطَاعَةِ الْمُتَدَبَّرِ أَنْ يُدْرِكَ أَنَّ دَعْوَةَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ، كَانَتْ ذَاتَ ثَلَاثِ مَرَاجِلَ:

### المرحلة الأولى:

كَانَتْ دَعْوَتُهُ لِقَوْمِهِ فِيهَا بِأَسْلُوبِ الْبُتِّ الْعَامِّ، فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَحْسُنُ انْتِهَازُهَا لِدَعْوَةِ قَوْمِهِ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِذْ كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْشَى الْأَفْرَادَ فَيَدْعُوهُمْ، وَيَغْشَى الْجَمَاعَاتِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَعْرِضُ حَقَائِقَ الدِّينِ، وَيُبَيِّنُهَا، وَيُشْرَحُهَا، وَيُقِيمُ الْحُجَجَ، وَيَنْصَحُ، وَيُرْعَبُ وَيُخَوِّفُ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ، وَيَذَكِّرُ مَنْ آتَى إِلَى آخِرِ بِمَا كَانَ قَدْ أَبَانَهُ وَشَرَحَهُ، وَيَتَابِعُ بِكُلِّ مَا أَوْتِيَ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى الْمَجَاهَدَةِ وَالْإِقْنَاعِ وَالْجِدَالِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

### المرحلة الثانية:

كَانَتْ دَعْوَةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ فِيهَا تَتَسِمُ بِأَسْلُوبِ التَّصَدِّي لِلْحَطَابَةِ، بِالصَّوْتِ الْجَهِيرِ فِي الْمَجَامِعِ وَالْمَحَافِلِ الَّتِي يَتَيَسَّرُ لَهُ أَنْ يَخْطُبَ فِيهَا.

وَمِمَّا لَا يَخْفَى أَنَّ الْحَطَابَةَ يَدْخُلُ فِيهَا مَعَ الْإِقْنَاعِ الْفِكْرِيِّ أَسْلُوبُ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ بِالْتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ، وَأَسْلُوبُ اسْتِخْدَامِ الْقِصَصِ وَالْأَمْثَالِ، وَفُنُونُ الْقَوْلِ الْمُحَرِّكِ لِلْعَوَاطِفِ وَالْمُثِيرِ لِلْأَنْفِعَالِ الَّتِي تُهَيِّئُ الْمُنَاحَ النَّفْسِيَّ لِلِاسْتِجَابَةِ، وَيَدْخُلُ فِي الْحَطَابَةِ تَنْوِيعُ أَسَالِيبِ الْأَدَاءِ وَالْعَرْضِ لِلْأَفْكَارِ الَّتِي يُرَادُ عَرْضُهَا، وَتَضْرِيفُ لَهَجَاتِ الصَّوْتِ وَنَعَمَاتِهِ بِمَا يَلَازِمُ الْمَضَامِينِ الْفِكْرِيَّةَ، مَا بَيْنَ تَرْقِيقٍ وَتَحْزِينٍ، أَوْ إِثَارَةٍ وَتَهْيِيجٍ، وَدَغْدَغَةٍ طَبِيعَةٍ لِمُخْتَلِفِ انْفِعَالَاتِ النَّفْسِ.

وَفِي الْخَطَابَةِ كَمْ يَجُودُ بِخَيْلٍ، وَكَمْ يَنْدَفِعُ جَبَانٌ بِشَجَاعَةٍ، وَكَمْ يَبْكِي ضَاحِكٌ، وَيَضْحَكُ بَاكِ، وَكَمْ يَفْرَحُ حَزِينٌ، وَيَحْزَنُ فَرِحَانٌ، وَكَمْ يَتَسَلَّى مَهْمُومٌ، وَيُصَابُ بِالْهَمِّ الشَّدِيدِ سَالٍ.

وَفِي لِسَانِ الْخَطِيبِ الْمُفَوِّهِ الْحَكِيمِ أَدَوَاتُ التَّسْخِينِ وَالتَّبْرِيدِ لِلنُّفُوسِ وَالْقُلُوبِ وَالْأَفْكَارِ وَقِيَادَتُهَا بِامْتِلَاكِ الْمَشَاعِرِ.

### المرحلة الثالثة:

وَكَانَتْ دَعْوَةُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَرَحَلَةِ الثَّالِثَةِ تَتَّسِمُ بِمُمَارَسَةِ أُسْلُوبَيْنِ رَئِيسَيْنِ:

**الأسلوب الأول:** الإغْلَانُ لِمَنْ كَانَ يَرَى عَلَيْهِ السَّلَامَ أَنَّ الإِغْلَانَ لَا يُنْفَرُهُمْ أَفْرَادًا أَوْ جَمَاعَاتٍ.

**الأسلوب الثاني:** الإِسْرَارُ لِمَنْ كَانَ يَرَى عَلَيْهِ السَّلَامَ أَنَّ الإِغْلَانَ يُنْفَرُهُمْ عَنِ الِاسْتِمَاعِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ، إِذْ كَانَ يَزُورُهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ، أَوْ مَتَاجِرِهِمْ، أَوْ مَصَانِعِ مِهْنِهِمْ، أَوْ مَزَارِعِهِمْ، أَوْ أَمَاكِنِهِمُ الْخَاصَّةَ، فَيَحَادِثُهُمْ سِرًّا بِحَسَبِ مُسْتَوِيَاتِهِمُ الْفِكْرِيَّةِ، وَصِفَاتِهِمُ النَّفْسِيَّةِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِدِينِ اللَّهِ الْحَقِّ، وَالْإِسْلَامِ لِلَّهِ بِتَحْقِيقِ مَطْلُوبِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ.

وَأَبَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دُعَائِهِ لِرَبِّهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِأَمْرِهِ مِنْهُ، إِلَّا أَنَّ نُوحًا يُقَدِّمُ فِي بَيَانِهِ عُذْرَهُ، أَمَّهَاتِ عُنُونَاتِ الْمَوْضُوعَاتِ الَّتِي كَانَ يَدْعُو قَوْمَهُ فِي أَطْرَافِهَا.

• دَلَّ عَلَى الْعُنُونِ الرَّئِيسِ الْأَوَّلِ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي حِكَايَةِ بَيَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

• ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٥﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٦﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٧﴾﴾:



بَعْدَ دَعْوَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأُولَى لِقَوْمِهِ، وَإِضْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ  
وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَاسْتِكْبَارِهِمْ مُتَرَفِّعِينَ عَنِ اتِّبَاعِ رَسُولِ رَبِّهِمْ إِلَيْهِمْ،  
صَارُوا عَلَى عِلْمٍ بِمَضْمُونِ دَعْوَتِهِ، غَيْرَ خَالِي الْأَذْهَانِ مِنْ مَعْرِفَةِ أَرْكَانِ  
الْإِيمَانِ، وَأَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَقَوَاعِدِ الدِّينِ الْكُبْرَى، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ عُذْرٌ بَعْدَ  
التَّبْلِيغِ.

وَصَارُوا كَفَرَةً مُذْنِبِينَ عَنْ إِرَادَةِ جَازِمَةٍ وَتَضَمِيمِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ  
نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ أَبَانَ لَهُمْ أَنَّهُمْ كَفَرَةُ عَصَاةٍ مُذْنِبُونَ.

لِهَذَا تَحَوَّلَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ قَوْمِهِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى مَبَادِي  
الْإِيمَانِ، وَأَرْكَانِ الْإِسْلَامِ، وَقَوَاعِدِ الدِّينِ الْكُبْرَى إِلَى بَيَانِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ  
مِنَ الْإِقْلَاعِ عَنِ الذُّنُوبِ الَّتِي هُمْ غَارِقُونَ فِيهَا مِنَ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، إِلَى كُلِّ  
مَا دُونَهُمَا مِنْ فُسُوقٍ وَعِصْيَانٍ.

• ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ :

أي: فَقُلْتُ لَهُمْ: اظْلُبُوا مِنَ اللَّهِ أَنْ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَا يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ مِنْ ذَنْبِهِ، إِلَّا مَنْ صَحَّ إِيْمَانُهُ وَأَقْلَعَ  
عَنْ ذُنُوبِهِ.

إِذَنْ: فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِقْلَاعِ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ كُفْرٍ  
وَفُسُوقٍ وَعِصْيَانٍ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى طَلَبِ الْمَغْفِرَةِ مِنْ رَبِّهِمُ الْمُمَدِّ لَهُمْ  
بِعَطَاءَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ دَوَامًا بَعْدَ ذَلِكَ.

• ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾: أي: مِنْ صِفَاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الدَّائِمَةِ، أَنَّهُ كَثِيرٌ

الْمَغْفِرَةِ لِعِبَادِهِ.

غَفَّارٌ: مِنْ صِيغِ الْمُبَالَغَةِ، وَوَصَفُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِصِيغِ الْمُبَالَغَةِ لَا  
مُبَالَغَةَ فِيهِ، بَلْ هِيَ الصِّيغَةُ الْأَقْرَبُ فِي الْبَيَانِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ الْبَالِغَةِ الْعَايَةِ فِي كَمَالَاتِهَا.

وَاسْتَعْمَلَ فَعَلَ «كَانَ» هُوَ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْكَيْفُونَةِ الْمُسْتَمِرَّةِ وَالْوُجُودِ الدَّائِمِ، وَهَكَذَا سَائِرُ النُّصُوصِ الَّتِي اسْتَعْمَلَ فِيهَا فِعْلُ «كَانَ» بِالنَّسْبَةِ إِلَى صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَاسْتَعْمَلَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِبَارَةَ: ﴿رَبِّكُمْ﴾ لِأَنَّ رُبُوبِيَّةَ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ - لَهُمْ دَائِمَةٌ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَى إِيْمَانِهِمْ بِهَا، بِخِلَافِ عِبَارَةِ «إِلَهُم» أَي: مَعْبُودُكُمْ، إِذْ هُمْ لَا يَعْبُدُونَ رَبَّهُمُ الْمُنْعَمَ عَلَيْهِمْ دَوَامًا بِنِعَمٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ إِحْصَاءَهَا، وَيَعْبُدُونَ إِلَهَةً لَا تَنْفَعُهُمْ وَلَا تَضُرُّهُمْ، أَوْ لَيْسَ لَهَا وَجُودٌ إِلَّا فِي أَوْهَامِهِمْ.

• ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيَمْدِدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِي وَبَيْنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾:

دَلَّ هَذَا الْبَيَانُ عَلَى أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا أَهْلَ دُنْيَا وَشَهَوَاتٍ، وَكَانُوا شَدِيدِي التَّلَقُّقِ بِالْأَمْوَالِ وَالْبَنِينَ، وَالْجَنَّاتِ وَالْأَنْهَارِ.

فَكَانَ مِنْ مَوَاعِظِهِ الْحَسَنَةِ لَهُمْ إِظْمَاعُهُمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا آمَنُوا وَأَسْلَمُوا وَاسْتَغْفَرُوا رَبَّهُمْ وَأَطَاعُوهُ، وَسَعَّ عَلَيْهِمْ مَا يَطْلُبُونَ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ إِظْمَاعٌ بِحَقِّ لِقَائِهِ مِنْ سُنَنِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ.

• ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾﴾:

أَي: فَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتُسَلِّمُوا وَتَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ وَتُطِيعُوهُ يُرْسِلِ الْأَمْطَارَ عَلَى بِلَادِكُمْ غَزِيرَةً وَافِرَةً.

وَجَاءَ اسْتِعْمَالُ فِعْلِ «يُرْسِلُ» لِمَا فِي الْإِرْسَالِ مِنْ مَعْنَى تَأْدِيَةِ الْمُرْسَلِ وَظِيْفَةِ كَلْفِهِ مَنْ أَرْسَلَهُ أَنْ يُؤَدِّيَهَا، وَحَدَّدَ لَهُ عَمَلَهُ فِيهَا، وَهَذَا مَا يُسَمَّى عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَدِيعِ «الْإِرْدَافُ» إِذِ الْأَصْلُ أَنْ يُقَالَ نَحْوُ «يُنْزِلُ»<sup>(١)</sup>.

(١) الْإِرْدَافُ: هُوَ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَدِيعِ. اخْتِيَارَ لَفْظَ بَدَلٍ لَفْظِ آخَرٍ هُوَ الْأَصْلُ فِي تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى الْأَصْلِي، لِقَرَضٍ بَلَاغِي.

وجاء إطلاق لفظ «السَّمَاء» عَلَى الْأَمْطَارِ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ سَحَابًا، فَهِيَ سَمَاءٌ، إِذْ كُلُّ مَا هُوَ فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى سُكَّانِ الْأَرْضِ سَمَاءٌ لُغَةً، وَكُلُّ مَا عَلَاكَ فَأَظْلَكَ فَهُوَ سَمَاءٌ لُغَةً لَكَ، وَإِطْلَاقُ لَفْظِ «السَّمَاء» عَلَى مَا يَنْزِلُ مِنْهَا مِنَ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ.

• ﴿عَلَيْكُمْ﴾: أَي: عَلَى أَرْضِكُمْ وَبِلَادِكُمْ وَمَزَارِعِكُمْ، لِمَنَافِعِكُمْ وَسُقْيَاكُمْ، وَسُقْيَا أَنْعَامِكُمْ وَدَوَابِّكُمْ.

• ﴿مِذْرَارًا﴾: أَي: كَثِيرًا غَزِيرًا، يُقَالُ لُغَةً: «سَحَابٌ مِذْرَارٌ» أَي: كَثِيرُ السَّحَابِ وَالْإَمْطَارِ. وَلَفْظُ «مِذْرَارًا» مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِيَّةِ.

• ﴿وَيَتَذَكَّرُ يَأْمُورٍ وَنَهْيٍ﴾:

الْمَالُ وَالْبَنُونَ مِنْ أَوْلَى مَطَالِبِ الْإِنْسَانِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُمَا مُزَيَّنَانِ لِلنَّاسِ فِيهَا.

وُقَدِّمَتْ الْأَمْوَالُ عَلَى الْبَنِينَ، لِأَنَّ نَفُوسَ قَوْمِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ تَعَلُّقُهَا بِالْأَمْوَالِ يَحْتَلُّ الْمُرْتَبَةَ الْأُولَى، أَوْ لِمَرَاعَاةِ أَنْسِيَابِ السَّبَكِ فِي الْجُمْلَةِ.

أَمَّا مُعْظَمُ النَّاسِ فَالْأَوْلَوِيَّاتُ عِنْدَهُمْ يُعَبِّرُ عَنْهَا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (النِّسَاء/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفَنَسَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَكُعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِلِ﴾ (١٤).

وَنَظِيرُ تَقْدِيمِ الْمَالِ عَلَى الْبَنِينَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (الْكَهْف/ ١٨ مصحف/ ٦٩ نزول):

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٤٦).

فَلَعَلَّ بَعْضَ النَّاسِ يُقَدِّمُونَ فِي الْأُولَوِيَّاتِ الْمَالِ، وَآخِرِينَ يُقَدِّمُونَ فِي الْأُولَوِيَّاتِ الْبَنِينَ.

• ﴿... وَبَجَلْ لَكُمْ جَنَّتْ وَبَجَلْ لَكُمْ أَنْهَارُ﴾ ﴿١٦﴾:

الْجَنَّتُ وَالْأَنْهَارُ مِنْ مَطَالِبِ الرَّفَاهِيَةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

جَنَّتْ: أي: بَسَاتِينَ فِيهَا أَصْنَافُ الْأَشْجَارِ وَالزُّرُوعِ، وَفِيهَا مُخْتَلِفُ الثَّمَرَاتِ، مَعَ مَا يُرَافِقُهَا مِنْ أَنْعَامٍ وَدَوَابٍّ.

أَنْهَارًا: أي: لِإِمْتِنَاعِ نُفُوسِكُمْ وَأَعْيُنِكُمْ بِهَا، وَلِسُقْيَا الْأَشْجَارِ وَالزُّرُوعِ.

وَقُدِّمَتِ الْجَنَّتُ عَلَى الْأَنْهَارِ، مُرَاعَاةً لِاحْتِمَالِ أَنْ تَكُونَ الْجَنَّتُ تُسْقَى بِالْأَمْطَارِ دُونَ أَنْهَارٍ، وَمَعَ ذَلِكَ تَكُونُ الْأَنْهَارُ مَطْلَبًا جَمَالِيًا بَدِيعًا، وَلِتَحْقِيقِ مَنَافِعٍ أُخْرَى غَيْرِ سُقْيَا الْجَنَّتِ.

وَكُرِّرَتْ عِبَارَةٌ: ﴿وَبَجَلْ لَكُمْ﴾ لِنَوْعِ مِنَ الْجَمَالِ اقْتَضَاهُ التَّوَارُؤُ الْإِلِقَاعِيُّ فِي الْجَمَلِ، وَلِأَنَّ جَعَلَ الْأَنْهَارِ يَكُونُ مِنْ خَزَائِنَاتِ فِي الْجِبَالِ بَعِيدَاتٍ عَنْ مَوَاقِعِ الْجَنَّتِ، فَهَمَّا جَعَلَانِ مُنْفَصِلَانِ.

• وَدَلَّ عَلَى الْعُنْوَانِ الرَّئِيسِ الثَّانِي: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي حِكَايَةِ بَيَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ:

• ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْحَمُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ﴿١٤﴾؟:

• ﴿مَّا لَكُمْ؟﴾ اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِيٌّ تَعَجُّبِيٌّ، وَجَّهَهُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ. وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ جُمْلَةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ. أَي: مَا الصَّارِفُ أَوْ الْبَاعِثُ لَكُمْ، أَوْ الْمُنْفِسُ لِعُقُولِكُمْ وَأَفْكَارِكُمْ وَمَدَارِكِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ وَنُفُوسِكُمْ.

• ﴿لَا تَرْحَمُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: أَي: لَا تَتَوَقَّعُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً وَقُدْرَةً عَلَى أَنْ يَفْعَلَ بِكُمْ مَا يَشَاءُ مِنْ عِقَابٍ عَلَى الْكُفْرِ وَالْإِشْرَاقِ بِهِ، وَعَلَى مَعْصِيَتِهِ فِي

أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَعَدَمَ الِاسْتِجَابَةِ لِرَسُولِهِ وَعَدَمَ قَبُولِكُمُ الْبَلَاغَاتِ الَّتِي بَلَّغَكُمُ إِيَّاهَا عَنْهُ.

الرَّجَاءُ: هُوَ فِي اللَّغَةِ بِمَعْنَى التَّوَقُّعِ لِمَا هُوَ مَحْبُوبٌ أَوْ مَرْغُوبٌ فِيهِ، أَوْ لِمَا هُوَ مَكْرُوهٌ وَمَخُوفٌ مِنْهُ.

وَالْوَقَارُ: يَأْتِي فِي اللَّغَةِ لِعِدَّةٍ مَعَانٍ، وَالْمُنَاسِبُ مِنْهَا هُنَا الْعَظَمَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ عَظَمَتِهِ قُدْرَتُهُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (١٤): أَي: وَالْحَالُ أَنَّهُ خَلَقَكُمْ خَلْقًا مُتَدَرِّجًا أَطْوَارًا، مِنْ تُرَابٍ، إِلَى غِذَاءٍ، إِلَى نُظْفَةٍ، إِلَى عِلَاقَةٍ، إِلَى مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ، إِلَى جَنِينٍ، إِلَى طِفْلِ، وَهَكَذَا.

أَطْوَارًا: جَمْعُ «طَوْرٍ» وَكَلِمَةُ «طَوْرٍ» تَأْتِي بِمَعْنَى الْحَالِ وَالْوُصْفِ الْمَتَمِّيزِ بِخَصَائِصِهِ وَمَقَادِيرِهِ، فَمَثَلًا:

(١) يَخْلُقُ اللَّهُ الشَّيْءَ أَوَّلًا مِنَ التُّرَابِ، فَيَكُونُ نَبَاتًا «هَذَا طَوْرٌ».

(٢) ثُمَّ يَتَغَذَّى مِنْهُ الْإِنْسَانُ، فَيَجْعَلُ مِنَ الْغِذَاءِ دَمًا «وهذا طَوْرٌ».

(٣) ثُمَّ يَخْلُقُ اللَّهُ مِنَ الدَّمِ نُظْفَةً (وهذا طَوْرٌ ثالث).

(٤) ثُمَّ يَخْلُقُ اللَّهُ مِنَ النُّظْفَةِ عِلَاقَةً (وهذا طَوْرٌ رابع).

(٥) ثُمَّ يَخْلُقُ اللَّهُ مِنَ الْعِلَاقَةِ مُضْغَةً «وهذا طَوْرٌ خامس».

وَهَكَذَا تَتَبَايَعُ الْأَطْوَارُ حَتَّى يَكُونَ الْجَنِينُ إِنْسَانًا سَوِيًّا، فَخَلَقَ الشَّيْءَ فِي صِفَاتٍ مُتَحَوِّلَاتٍ مِنْ وَضْعٍ إِلَى وَضْعٍ هُوَ خَلَقَ فِي أَطْوَارٍ.

وَالْخَلْقُ ضِمْنِ نِظَامِ الْأَطْوَارِ يُنْبَهُ دَوَامًا عَلَى التَّمَكُّرِ فِي صِفَاتِ الْخَالِقِ الْمُدَبِّرِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ، إِذْ كُلُّ طَوْرٍ مِنْ أَطْوَارِ الْخَلْقِ يُوجِبُهُ أَنْظَارَ الْمُتَمَكِّرِينَ لِعَمَلِ الْخَالِقِ فِي إِحْدَاثِ طَوْرٍ فِي الْخَلْقِ بَعْدَ طَوْرٍ، وَلَوْ بَقِيَ الْخَلْقُ عَلَى طَوْرٍ وَاحِدٍ دَوَامًا لَمَا حَدَثَ مِثْلُ هَذَا التَّنْبِيهِ، وَلَبَدَا لِلنَّاطِرِينَ إِلَيْهِ أَنْ وَضَعَهُ الطَّبِيعِيُّ الدَّائِمَ هَكَذَا، فَهُوَ لَا يَحْتَاجُ خَالِقًا.

فَالْمَغْنَى: أَيُّ شَيْءٍ حَصَلَ لِعُقُولِكُمْ، وَأَفْكَارِكُمْ، وَمَدَارِكِكُمْ، وَقُلُوبِكُمْ، وَنُفُوسِكُمْ، فَأَفْسَدَهَا، وَصَرَفَهَا عَنْ إِدْرَاكِ عَظَمَةِ اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْهَا قُدْرَتُهُ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ فِيكُمْ مَا يَشَاءُ، فَهُوَ يُعَاقِبُكُمْ بِعَظَمَتِهِ كَمَا أَوْعَدَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ وَمَعَاصِيِكُمْ، فَأَنْتُمْ لَا تَتَوَقَّعُونَ أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ بِكُمْ نِقْمَتَهُ، وَيُهْلِكَكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيُعَذِّبُكُمْ فِي دَارِ عَذَابِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَلَا تَتَوَقَّعُونَ ثَوَابَهُ الْعَظِيمَ، وَأَنْ يُدْخِلَكُم فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ يَوْمَ الدِّينِ إِذَا آمَنْتُمْ وَأَسْلَمْتُمْ وَعَمِلْتُمْ مِنَ الصَّالِحَاتِ، كَمَا وَعَدَكُمْ فِيمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ؟؟.

أُعْشِيَ عَلَى مَدَارِكِكُمْ فَصِرْتُمْ لَا تُدْرِكُونَ دَلَائِلَ آيَاتِ اللَّهِ الْمُشْهُودَةِ وَالْمَسْمُوعَةِ، فَلَا تَخَافُونَ عِقَابَ اللَّهِ، وَلَا تَظْمَعُونَ فِي ثَوَابِهِ الْعَظِيمِ يَوْمَ الدِّينِ، وَهُمَا مِنْ آثَارِ عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَجَلَالِهِ «= وَقَارِهِ» وَالْحَالُ أَنَّهُ قَدْ خَلَقَكُمْ خَلْقًا مُتَدَرِّجًا أَطْوَارًا يُدْلِكُمْ فِيهِ دَوَامًا عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ، وَكَمَالِ حِكْمَتِهِ.

• وَدَلَّ عَلَى الْعُنْوَانِ الرَّئِيسِ الثَّالِثِ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَيَانِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ:

• ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ السَّنْسَنَ سِرَاجًا ﴿٦﴾ وَاللَّهُ أُنَبِّئُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿١٠﴾﴾:

• ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾: أَيُّ: قَالَ لَهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَمْ تَرَوْا هَذِهِ الظَّاهِرَاتِ الْكَوْنِيَّةِ الْمُتَقَنَّةِ الْعَظِيمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ؟

اسْتَفْهَامٌ فِيهِ مَعْنَى الْحَثِّ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ الظَّاهِرَاتِ الْعَجِيبَاتِ، وَالتَّلْوِيمِ عَلَى عَدَمِ التَّفَكُّرِ فِيهَا تَفَكُّرًا هَادِيًا إِلَى عَظَمَةِ صِفَاتِ الرَّبِّ الْخَالِقِ جَلَّ جَلَالُهُ، وَسَمَتْ حِكْمَتُهُ، وَبَهَرَ إِتْقَانُهُ صُنْعَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ.

فَهَلْ مِنَ الْمُمَكِّنِ عَقْلًا أَنْ يَكُونَ تَتَابُعَ تَصَارِيفِ الْخَلْقِ فِيهَا بِإِثْقَانٍ تَامٍ

دُونَ خَالِقٍ عَظِيمٍ لَهُ كُلُّ صِفَاتِ الْكَمَالِ، الَّتِي مِنْهَا الْعِلْمُ الشَّامِلُ، وَالْقُدْرَةُ الْعَظِيمَةُ الْمَكَافِئَةُ لِتَضْرِيفِ هَذِهِ الْمُكَوِّنَاتِ الْعَظُمَى، وَالْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ، وَالْعَدْلُ وَالْعِنَايَةُ وَالرَّحْمَةُ؟!

هَلْ يُمَكِّنُ عَقْلاً أَنْ تَكُونَ خَاضِعَةً لِتَضَارِيفِهِ فِيهَا، مِنْ أَضْعَرِ ذَرَّةٍ إِلَى أَكْبَرِ مَجَرَّةٍ بِإِتْقَانٍ كَامِلٍ بِدِيْعٍ حَكِيمٍ، دُونَ أَنْ تَكُونَ خَلْقاً مِنْ خَلْقِهِ، وَأَثَرًا مِنْ أَثَارِ صَنْعَتِهِ؟!

هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ خَلْقُ الْإِنْسَانِ فِي هَذَا الْكَوْنِ الْعَظِيمِ عَبَثًا وَبَاطِلًا؟!

أَلَا يَدُلُّ هَذَا الْخَلْقُ الْأَوَّلُ عَلَى أَنَّ الْغَايَةَ مِنْهُ ابْتِلَاءُ الْإِنْسَانِ فِي ظُرُوفِ هَذِهِ الْحَيَاةِ؟!

أَلَا يَحْكُمُ الْعَقْلُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ خَلْقٍ آخَرَ يَتَحَقَّقُ فِيهِ الْحِسَابُ، وَفَضْلُ الْقَضَاءِ، وَالْجَزَاءِ؟!

إِنَّ الاسْتِدْلَالَ بِظَاهِرَاتِ خَلْقِ اللَّهِ فِي الْأَنْفُسِ، وَفِي السَّمَاوَاتِ، وَفِي الْأَرْضِ، عَلَى حَقِّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَعَلَى إِدَانَتِهِمْ وَمُحَاسَبَتِهِمْ وَمَجَازَاتِهِمْ يَوْمَ الدِّينِ، إِنَّمَا يَتِمُّ بِاتِّبَاعِ السُّلْسِلَةِ الْفِكْرِيَّةِ الَّتِي سَبَقَ بَيَانُهَا، وَكَثِيرٌ مِنْهَا مَطْوِيٌّ فِي النَّصِّ، لِأَنَّ اللُّزُومَاتِ الْفِكْرِيَّةَ تَدُلُّ عَلَيْهَا.

• ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (٥)؟؟!

طِبَاقًا: اسْمٌ مَصْدَرٍ، يُقَالُ لُغَةً «طَبَاقُهُ»، مُطَابَقَةً، وَطِبَاقًا» وَالْمُطَابَقَةُ فِي اللُّغَةِ الْمَوْافَقَةُ، وَالتَّسَاوِي، تَقُولُ لُغَةٌ: «طَابَقْتُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ» أَي: جَعَلْتُهُمَا عَلَى حَذْوٍ وَالزَّفَقَتُهُمَا. وَتَقُولُ أَيْضًا: «طَابَقْتُ بَيْنَ الْقَمِيصَيْنِ»، أَوْ بَيْنَ الثَّوْبَيْنِ» أَي: لَبِسْتُ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ طِبَاقًا، أَي: جَعَلَ بَعْضَهَا

فَوْقَ بَعْضِ بَسَاطِعَ، كَتُوبَ قَوْفِهِ نَوْبٌ آخَرُ وَهَكَذَا إِلَى سَبْعَةِ أَثْوَابٍ، أَوْ مِثْلَ كُرَاتٍ مُتَدَاخِلَاتٍ، فَالْكُرَّةُ الْوُسْطَى فَوْقَهَا كُرَّةٌ أُخْرَى حَوْلَهَا، وَهَكَذَا إِلَى سَبْعِ كُرَاتٍ، كُلُّ كُرَّةٍ تَالِيَةٍ تُحِيطُ بِالْكُرَّةِ الدَّاخِلَةِ فِيهَا.

ولفظ «طَبَاقًا» مَنْصُوبٌ عَلَى الْحَالِيَّةِ، أَوْ عَلَى تَضْمِينِ فِعْلِ «خَلَقَ» معنى فِعْلٍ «جَعَلَ» والتقدير: خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فَجَعَلَهَا طَبَاقًا.

وَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ ظَاهِرَةُ خَلْقِ اللَّهِ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا طَبَاقًا مَعْلُومَةً وَلَوْ بِصُورَةٍ إِجْمَالِيَّةٍ، لَدَى الَّذِينَ يَلْفِتُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْظَارَهُمْ إِلَيْهَا مِنْ قَوْمِهِ، بِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا مِنَ الْقَضَايَا الْمُسَلَّمَةِ لَدَيْهِمْ، إِذْ هِيَ مِنْ بَقَايَا الْمُرُوثَاتِ الَّتِي وَرِثَتْهَا الْبَشَرِيَّةُ عَنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالْنَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ دُرِّيَّتِهِ، أَوْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أَقَامَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمُ الدَّلِيلَ عَلَيْهَا حَتَّى سَلَّمُوا بِهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَرَادَ أَنْ يَنْقُلَهُمْ إِلَى الْإِقْنَاعِ بِمَا لَمْ يُسَلِّمُوا بِهِ، بِالْإِسْتِنَادِ إِلَى مَا سَلَّمُوا بِهِ.

لَكِنَّ كَوْنَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا، وَكَوْنَهَا طَبَاقًا أَمْرَانِ خَبَرِيَّانِ لَا يَمْلِكُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَدْلَةً إِقْنَاعِيَّةً عَلَيْهِمَا مِنَ الظُّوَاهِرِ الْمَشْهُودَةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَا مِنْ مَرُوثَاتِ عَقَائِدِهِمْ.

وَسُؤَالُ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمَهُ عَنْ كَيْفِيَّةِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ الطَّبَاقِ، هُوَ سُؤَالٌ لَهُمْ عَنْ إِنْقَانِهَا الْبَدِيعِ، الظَّاهِرَةِ أَثَارُهُ فِي الْمَشَاهِدَاتِ الْمُتَكَرِّرَاتِ مَعَ تَوَالِي الْأَزْمَانِ فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ دَوَامًا، لِانْتِزَاعِ اعْتِرَافِهِمْ بِكَمَالِ صِفَاتِ الرَّبِّ الْخَالِقِ، وَالْإِنْتِقَالِ مِنْهَا إِلَى حَقِّ رُبُوبِيَّتِهِ، وَمَسْئُولِيَّتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَجَاهَهُ - جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظُمَ سُلْطَانُهُ وَسَمَتْ حِكْمَتُهُ - فَإِلَى قَانُونِ الْإِدَانَةِ عَلَى الْمُكَتَسَبَاتِ الْإِرَادِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، بِالْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ، فَإِلَى الْإِيمَانِ بِيَوْمِ الدِّينِ.



هُمَا نِظَامَانِ مُخْتَلِفَانِ، فَجَعَلُ الْقَمَرِ يُعْطِي نَوْراً لَهُ نِظَامٌ فِي الْكَوْنِ مُخْتَلِفٌ عَنِ نِظَامِ الشَّمْسِ، وَجَعَلُ الشَّمْسِ تُعْطِي ضِيَاءً كَالسَّرَاجِ لَهُ نِظَامٌ آخَرُ فِي الْكَوْنِ مُخْتَلِفٌ عَنِ نِظَامِ الْقَمَرِ، فَهُمَا جَعَلَانِ يَلَائِمُهُمَا فِي الْبَيَانِ تَكْرِيرُ فِعْلٍ «جَعَلَ».

وَكَوْنُ الْقَمَرِ وَالشَّمْسِ فِي السَّمَاوَاتِ حَقِيقَةٌ مَشْهُودَةٌ لِلنَّاسِ جَمِيعاً، وَلَمَّا كَانَتْ الْأَرْضُ فِي مَوْقِعٍ مِنَ الْكَوْنِ تُحِيطُ بِهِ السَّمَاءُ الدُّنْيَا، وَفَوْقَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَحَوْلَهَا تَتَسَلَّلُ سَائِرُ السَّمَاوَاتِ، كَانَ مِنَ الْبَدْهِ أَنْ يَكُونَ الْقَمَرُ وَالشَّمْسُ فِي السَّمَاوَاتِ، إِذِ السَّمَاءُ الدُّنْيَا واقِعَةٌ فِي بَاطِنِ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، وَهِيَ فِي الثَّالِثَةِ، وَهَكَذَا، فَمَا هُوَ فِي الْأَذْنَى مِنْهَا هُوَ فِيهَا جَمِيعَهَا بِالنَّظَرِ إِلَى التَّدَاخُلِ.

وَمِنَ الْمُلَاحَظَةِ أَنَّ نُوحاً عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ لَفَتْ أَنْظَارَ قَوْمِهِ إِلَى أَنَّ الْقَمَرَ نُورٌ، وَإِلَى أَنَّ الشَّمْسَ سِرَاجٌ، أَيْ: تُشَبِّهُ السَّرَاجَ بِالنَّظَرِ إِلَى كَوْنِهَا كُتْلَةً نَارِيَّةً، ذَاتَ أَشْعَةٍ حَارَّةٍ تَنْبَعِثُ مِنْهَا مُمْتَدَّةٌ إِلَى مَسَافَاتٍ بَعِيدَاتٍ عَنْهَا فِي الْكَوْنِ، وَقَسَمَ عَظِيمٌ مِنْهَا يَصِلُ إِلَى الْأَرْضِ.

وَيُظْهَرُ أَنَّ قَوْمَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ النُّورِ وَالسَّرَاجِ ذِي الشَّعْلَةِ الْمَلْتَهَبَةِ.

إِنَّهُمْ إِذَا جَلَسُوا فِي نُورِ الْقَمَرِ طَوَالَ لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ لَمْ يَشْعُرُوا بِأَيَّةِ حَرَارَةٍ لِنُورِهِ الَّذِي يَمْتَدُّ إِلَيْهِمْ، بِخِلَافِ مَا لَوْ جَلَسُوا فِي النَّهَارِ فِي ضِيَاءِ الشَّمْسِ، فَإِنَّهُمْ يَشْعُرُونَ بِالْحَرَارَةِ، وَقَدْ تَصَلُّ إِلَى حَدٍّ لَذَعِ أَجْسَادِهِمْ، لَمَّا يَفْعَلُ السَّرَاجُ الْمُشْتَعِلُ بِالنَّارِ، فَإِنَّهُ يُعْطِي ضِيَاءً مَضْحُوباً بِحَرَارَةِ وَشُعْلَتِهِ تُحْرِقُ مَنْ مَسَّهَا.

وَهَذَا الَّذِي كَانَ قَوْمُ نُوحٍ يُدْرِكُونَهُ بِالْحَسِّ، دُونَ أَنْ يَكُونُوا عَلَى عِلْمٍ بِتَفْسِيرِهِ، وَتَحْدِيدِ أَسْبَابِهِ، هُوَ مِنْ ظَوَاهِرِ عِنَايَةِ اللَّهِ بِخَلْقِهِ، إِذْ يُدْرِكُونَ

أَنَّهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى ضِيَاءٍ حَارٍّ يَبْعَثُ بِالْحَرَارَةِ بِاتِّجَاهِ الْأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ النَّاسِ فِيهَا، فَهِيَ الْوَقُودُ الضَّرُورِيُّ لِلْحَيَاةِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، وَيُذَرِّكُونَ أَنَّهُمْ بِحَاجَةٍ إِلَى مَدَّةٍ رَاحَةٍ مِنْ وَطْأَةِ حَرَارَةِ الشَّمْسِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ اللَّيْلَ الَّذِي تَغِيبُ فِيهِ الشَّمْسُ، وَيُذَرِّكُونَ أَنَّهُمْ بِحَاجَةٍ فِي اللَّيْلِ إِلَى نُورٍ بَارِدٍ، لَا تُصَاحِبُهُ حَرَارَةٌ أَشْعَى مُنْبِعِثَةٍ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْقَمَرَ.

أَلَيْسَ كُلُّ هَذَا التَّذْيِيرِ فِي الْكَوْنِ لِسُكَّانِ الْأَرْضِ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالنَّاسِ، وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّلَالَةِ عَلَى عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَوَقَارِهِ؟!

هَذَا مَا لَفَتْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْظَارَ قَوْمِهِ إِلَيْهِ.

أَمَّا التَّفْسِيرُ الْعِلْمِيُّ لِكَوْنِ الْقَمَرِ يُعْطِي نُورًا، وَكَوْنِ الشَّمْسِ تُعْطِي ضِيَاءً مِثْلَ السَّرَاجِ، فَمَتَى وَصَلَ النَّاسُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ أَذَرَكُوا أَنَّ الْبَيَانَ الدِّينِيَّ قَدْ أَلْمَحَ إِلَيْهِ مُنْذُ عَهْدِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيَذَلَّ عَلَى أَنَّ الدِّينَ حَقٌّ، وَأَنَّ كُلَّ بَيَانَاتِهِ صِدْقٌ، فَمُنْزَلُ الدِّينِ عَلَى لِسَانِ الرُّسُلِ هُوَ خَالِقُ الْكَوْنِ وَالْعَلِيمُ بِهِ.

السَّرَاجُ: هُوَ فِيمَا يَعْرِفُ النَّاسُ شَيْءٌ يُوقَدُ فَيُعْطِي شُعْلَةً نَارٍ مُضِيئَةً، وَالشَّمْسُ فِي حَقِيقَتِهَا الَّتِي تَوْصَلُ إِلَيْهَا الْعُلَمَاءُ بَعْدَ أُلُوفِ السِّنِينَ مِنْ عَصْرِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كُرَّةُ نَارِيَّةٍ كُبْرَى، سَابِغَةٌ فِي السَّمَاءِ، فَاتَّفَقَ الْإِلْمَاحُ فِي الْبَيَانِ الدِّينِيِّ مَعَ مَا تَوْصَلَتْ إِلَيْهِ الْمَعَارِفُ الْإِنْسَانِيَّةُ بَعْدَ أُلُوفِ السِّنِينَ.

وَأَمَّا النُّورُ: فَكَاشِفٌ لِلظُّلْمَةِ، وَالنَّاسُ يُفَرِّقُونَ مُنْذُ عَهْدِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الضِّيَاءِ الْحَارِّ الَّذِي يَنْبَعِثُ مِنَ النَّارِ الْمُشْتَعِلَةِ، إِذْ كَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَ أَنْوَارًا بَارِدَةً لَا حَرَارَةَ فِيهَا، أَقْرَبُهَا إِلَى النَّاسِ الْبُدَائِيينَ مَا يُشَاهِدُونَهُ مِنْ انْعِكَاسِ الْأَضْوَاءِ عَنِ الْأَشْيَاءِ الصَّقِيلَةِ الْعَاكِسَةِ لِلنُّورِ، كَالْمِرَاةِ، وَهَذِهِ الْكَوَاشِفُ لِلظُّلْمَةِ الْمُنْعَكِسَةُ بَارِدَةً لَا حَرَارَةَ لَهَا.

وَالْقَمَرُ فِي حَقِيقَتِهِ جِسْمٌ فِي السَّمَاءِ يَعْكِسُ ضِيَاءَ الشَّمْسِ الْمُنْصَبِّ

عَلَيْهِ، فَيَأْتِي إِلَى الْأَرْضِ نَوْرًا، فَاتَّفَقَ الْإِلْمَاحُ فِي الْبَيَانِ الدِّينِيِّ مَعَ مَا تَوَصَّلْتُ إِلَيْهِ الْمَعَارِفُ الْإِنْسَانِيَّةَ بَعْدَ أُلُوفِ السِّنِينَ.

فَمَعْنَى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾: وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِي السَّمَاوَاتِ عَاكِسًا نُورًا، أَوْ بَاقًا نُورًا، أَوْ ذَا نُورٍ.

وَمَعْنَى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾: وَجَعَلَ الشَّمْسَ فِيهِنَّ كَالسِّرَاجِ، وَهَذَا مِنَ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ، أَوْ وَجَعَلَ الشَّمْسَ فِيهِنَّ سِرَاجًا كَوْنِيًّا كَبِيرًا يُنَاسِبُ حَجْمَ الْأَرْضِ وَحَاجَاتِهَا إِلَى مَا تَبْتُهُ الشَّمْسُ مِنْ أَشِعَّةٍ ضَوْئِيَّةٍ تَصِلُ إِلَيْهَا.

• ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۖ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۖ﴾:

أَبَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ فِي تِلْكَ الْقُرُونِ الْقَدِيمَةِ مِنْ قُرُونِ الْبَشَرِيَّةِ حَقِيقَتَيْنِ تَتَعَلَّقَانِ بِالنَّاسِ:

الحقيقة الأولى: نَشَأَةُ النَّاسِ مِنَ الْأَرْضِ.

الحقيقة الثانية: بَعَثُ النَّاسِ إِلَى الْحَيَاةِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيذِ الْجَزَاءِ، بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَفَنَاءِ أَجْسَادِهِمْ وَعَوْدَتِهَا إِلَى تَرَابِ الْأَرْضِ، فَتَكُونَ فِيهَا مِنْ عَنَاصِرِهَا.

إِنَّ مِنَ الْعَجِيبِ أَنْ يَذْكُرَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ أَنَّ اللَّهَ أَنْبَتَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا، وَأَنْ يَلْفِتَ أَنْظَارَهُمْ إِلَى التَّفَكُّرِ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ مِنَ الْحَقَائِقِ الَّتِي يَضَعُوبُ جَدًّا عَلَى أَهْلِ الْقُرُونِ السَّحِيقَةِ فِي الْقَدَمِ أَنْ يُذَرِّكُوهَا، وَقَدْ يَعْتَبِرُونَ ذِكْرَهَا مِنَ التَّخْرِيفِ وَالتَّخْلِيطِ، لَكِنَّ الْفِكْرَ الدِّينِيَّ مُتَقَدِّمٌ دَائِمًا.

إِنَّا فِي عُصُورِنَا الَّتِي ارْتَقَتْ فِيهَا الْعُلُومُ الْكَوْنِيَّةُ لَا نَجِدُ صُعُوبَةً فِي إِدْرَاكِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، لِأَنَّا صِرْنَا نَعْلَمُ أَنَّ الْجَنِينَ إِنَّمَا يَتَكَوَّنُ بِخَلْقِ اللَّهِ مِنَ النُّطْفَةِ، وَأَنَّ النُّطْفَةَ إِنَّمَا تَتَكَوَّنُ بِخَلْقِ اللَّهِ مِنَ الدَّمِ، وَأَنَّ الدَّمَ فِي أَجْسَادِ

النَّاسِ إِنَّمَا يَتَكَوَّنُ بِخَلْقِ اللَّهِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَأَنَّ الطَّعَامَ الَّذِي يَأْكُلُهُ  
النَّاسُ مِنَ الْحَيَوَانِ أَوْ النَبَاتِ مَضْرُوءٌ نَبَاتُ الْأَرْضِ، وَأَنَّ الْمَضْرُوءَ لِكُلِّ  
ذَلِكَ التُّرَابِ وَالْمَاءِ.

فَهَلِ الشُّعُوبُ الْبَدَائِيَّةُ كَانَ لَدَيْهِمْ الْاسْتِعْدَادُ لِفَهْمِ كُلِّ هَذَا وَالِاقْتِنَاعِ  
بِهِ، إِذَا شَرَحَهُ لَهُمُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

وَلَعَلَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ كَانَتْ مِنَ الْمَعَارِفِ الْمَتَوَارِثَةِ بَيْنَ النَّاسِ مُنْذُ عَهْدِ  
آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَتُوحِ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
يُذَكِّرُ قَوْمَهُ بِمَعَارِفِ هُمْ مُسَلِّمُونَ بِهَا، وَلَا يُجَادِلُونَ فِيهَا؟

فَمَعْنَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ٧١ والله أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
نَبَاتًا وَفُقَ نِظَامٍ خَاصٍّ جَارٍ ضَمْنِ تَسْلُسِلِ أَطْوَارِ مُتَابَعَةٍ.

وَبَعْدَ أَنْ أَبَانَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ أَطْوَارَ النَّشْأَةِ الْأُولَى مِنَ  
الْأَرْضِ بِخَلْقِ اللَّهِ، أَخْبَرَهُمْ عَنِ الْمَصِيرِ الَّذِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ.

أَمَّا الْمَوْتُ فَكُلُّهُمْ مُؤْمِنُونَ بِهِ، إِذْ هُوَ أَمْرٌ مَشْهُودٌ مُتَكَرِّرُ الْوُقُوعِ،  
وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَتَوَقَّعُهُ آجِلًا أَوْ عَاجِلًا.

وَأَمَّا فَنَاءُ الْأَجْسَادِ وَعَوْدُهَا إِلَى تَرَابِ الْأَرْضِ، حَتَّى تَكُونَ جُزْءًا  
دَاخِلًا فِي أَجْزَاءِ الْأَرْضِ الَّتِي كَانَ مِنْهَا بَدْءُ خَلْقِهِمْ، فَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِهِ أَيْضًا،  
وَيَشْهَدُونَهُ فِي مَقَابِرِ مَوْتَاهُمْ، وَلَكِنَّ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَفَتَ أَنْظَارَ قَوْمِهِ إِلَيْهِ  
بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ لِيُهَيِّئَ أَذْهَانَهُمْ إِلَى حَقِيقَةِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، مِنْ  
الْأَرْضِ نَفْسِهَا الَّتِي خُلِقَتْ أَجْسَادُهُمْ مِنْهَا أَوَّلًا، ثُمَّ أُعِيدَتْ إِلَيْهَا حَتَّى  
كَانَتْ فِيهَا ذَرَاتُ تَرَابٍ.

أَي: فَالَّذِي خَلَقَ أَجْسَادَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ابْتِدَاءً، وَأَعَادَكُمْ إِلَيْهَا إِمَاتَةً  
فَإِفْنَاءً، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْهَا مَرَّةً أُخْرَى إِخْرَاجًا هَيِّنًا عَلَيْهِ، وَيُعِيدُكُمْ  
إِلَى الْحَيَاةِ، لِلْحِسَابِ، وَفَضْلِ الْقَضَاءِ، وَتَنْفِيزِ الْجَزَاءِ.

وَأَبَانَتِ النَّصُوصُ الدِّينِيَّةُ فِي الْإِسْلَامِ، أَنَّ هَذَا الْإِخْرَاجَ لِلنَّاسِ مِنَ الْأَرْضِ، يَكُونُ مِثْلَ إِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنْهَا، مِنَ النَّوَاتِ الَّتِي لَا تَفْنَى، وَالَّتِي تَكُونُ مَحْفُوظَةً فِي عَجَبِ الذَّنْبِ، وَفِي كُلِّ مِنْهَا طَبْعَةُ الْإِنْسَانِ بِكُلِّ صِفَاتِهِ.

فَقَضِيَّةُ الْبَعْثِ لِيَوْمِ الدِّينِ مِنَ الْحَقَائِقِ الَّتِي بَلَّغَهَا جَمِيعُ رُسُلِ اللَّهِ أَمَمَهُمْ، إِذْ هِيَ دَاخِلَةٌ ضَمْنَ بَرْنَامَجِ التَّكْوِينِ الرَّبَّانِيِّ، مُنْذُ قَدَّرَ اللَّهُ وَقَضَى بِأَنْ يَخْلُقَ النَّاسَ لِيَبْلُوَهُمْ فِي ظُرُوفِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

• ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ إِسَاطًا ﴿١٦﴾ لَتَسْتَلْكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ :

• ﴿إِسَاطًا﴾ : أي: كَالِإِسَاطِ فِي سَطُوحِهَا عَلَى دَائِرَةِ كُرَتِهَا، فَالْأَرْضُ ذَاتُ سُهُولٍ مُنْبَسِطَةٍ وَاسِعَةٍ، وَذَاتُ سَطُوحٍ مُخْتَلِفَةٍ، صَالِحَةٍ لِلْحَرْثِ وَالزَّرْعِ وَاتِّخَاذِ الْمَزَارِعِ وَالْبَسَاتِينِ الْوَاسِعَةِ فِيهَا، وَلِلْإِقَامَةِ الْمُدُنِ وَالْقُرَى، وَشَقِّ الطَّرِيقِ الَّتِي تُقَرِّبُ الْمَسَافَاتِ الشَّاسِعَاتِ.

فَلَيْسَتْ كُلُّ الْأَرْضِ جِبَالًا ذَوَاتِ رُؤُوسٍ عَالِيَةٍ، وَوُذْيَانٍ وَأَغْوَارٍ سَحِيقَةٍ، وَلَيْسَتْ هِيَ كَظْهَرِ الْقُنْفُذِ، بَلْ هِيَ بِسَطُوحِهَا الْمُنْبَسِطَةِ صَالِحَةٌ لِتَسْهِيلِ مَصَالِحِ النَّاسِ عَلَيْهَا، وَلَوْ كَانَتْ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ، لَاسْتَدَّ عَلَى النَّاسِ فِيهَا اتِّخَاذُ سُبُلِ الْحَيَاةِ وَالرِّزْقِ، وَالتَّنَقُّلِ فِي أَرْجَائِهَا عَلَى ظَهْرِهَا.

• ﴿لَتَسْتَلْكُوا﴾ : أي: لَتَدْخُلُوا وَتَعْبُرُوا، يُقَالُ لَعَةً: «سَلَكَ الطَّرِيقَ أَوْ الْمَكَانَ، وَسَلَكَ بِهِ، وَسَلَكَ فِيهِ» أي: دَخَلَهُ وَنَقَذَ.

• ﴿سُبُلًا﴾ : جَمْعُ «سَبِيلٍ». وَالسَّبِيلُ: هُوَ الطَّرِيقُ سِوَاءِ أَكَانَ ضَيِّقًا أَمْ وَاسِعًا. وَيُطْلَقُ عَلَى الطَّرِيقِ فِي الْأَرْضِ الْيَابِسَةِ، وَعَلَى الطَّرِيقِ فِي الْبَحْرِ، وَعَلَى الطَّرِيقِ فِي الْجَوِّ، وَيُطْلَقُ عَلَى الطَّرِيقِ الْمَادِّيِّ الْحَسِّيِّ، وَعَلَى الطَّرِيقِ الْمَعْنَوِيِّ الْفِكْرِيِّ.

• ﴿فِجَاجًا﴾ : جَمْعُ «فَجَجٍ» وَالْفَجَجُ: هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ.

أي: لَتَسْلُكُوا مِنَ الْأَرْضِ طُرُقًا مُخْتَلِفَةً وَاسِعَةً، فجيء بلفظ «سُبُلًا» للدلالة على الأنواع، وجيء بلفظ «فجاجاً» للدلالة على السعة.

وهنا نلاحظ أن نوحاً عليه السلام قد أرشد قومه إلى التفكر في ظواهر عناية الله بعباده، إذ هيأ لهم في الأرض سُبُلَ معاشهم وأفاض عليهم نعمه الكثيرة، فتتبع سلسلة دليل عناية الله بعباده يهدي أولي الألباب إلى واجبات العباد تجاه ربهم، إذ يدفعهم إلى الإيمان به، والإسلام له، وعبادته على الوجه الذي يرضيه، والخوف من عقابه، والطمع في ثوابه.

■ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى مُتَابِعاً حِكَايَةً مُوجِزٍ دُعَاءِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَبَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ، فِي فِقْرَةٍ تَتَضَمَّنُ شَكْوَاهُ مِنْ اسْتِعْصَاءِ قَوْمِهِ عَلَيْهِ، وَعَدَمِ اسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ، وَتَشْبِيهِمْ بِعِبَادَةِ أَوْثَانِهِمْ:

• ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُوهًا مَّكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾:

فِي هَذِهِ الْآيَاتِ يَذْكُرُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَكْوَاهُ لِرَبِّهِ مِنْ قَوْمِهِ سِتَّ قَضَايَا:

القضية الأولى: أَنَّ قَوْمَهُ عَصَوْهُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ.

القضية الثانية: أَنَّ جَمَاهِيرَ قَوْمِهِ اتَّبَعُوا كُفْرَاءَهُمْ وَسَادَتَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ الْوَفِيرَةِ، وَالْأَوْلَادِ الْكَثِيرِينَ.

القضية الثالثة: أَنَّ كُفْرَاءَ قَوْمِهِ مَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا عَظِيمًا، لِيَصُدُّوا الْجَمَاهِيرَ عَنِ اسْتِجَابَةِ لِدَعْوَتِهِ، وَاتِّبَاعِهِ مُؤْمِنِينَ مُسْلِمِينَ.

القضية الرابعة: أَنَّ كُفْرَاءَ قَوْمِهِ نَهَوْا جَمَاهِيرَهُمْ عَنْ تَرْكِ عِبَادَةِ آلِهَتِهِمُ الْوُثْنِيَّةِ، وَلَا سِيَمَا كِبَارُهَا. «وَدٌ - وَسَوَاعٌ - وَيَغُوثٌ - وَيَعُوقٌ - وَنَسْرٌ».

القضية الخامسة: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفْرَاءَ قَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا بِمَكْرِهِمْ  
وَسُلْطَانِهِمْ، وَمُخْتَلِفِ وَسَائِلِهِمْ.

القضية السادسة: قَضِيَّةٌ مَطْوِيَّةٌ دَلَّ عَلَيْهَا دُعَاءُ نُوحٍ عَلَى الظَّالِمِينَ مِنْ  
قَوْمِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾.

شَرْحُ هَذِهِ الْقَضَايَا السَّتِّ:  
شَرْحُ الْقَضِيَّةِ الْأُولَى: هَذِهِ الْقَضِيَّةُ دَلَّ عَلَيْهَا: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّمْ  
عَصَوْنِي﴾:

أي: لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِأَيِّ أَمْرٍ دَعَوْتُهُمْ إِلَيْهِ، مِمَّا أَمَرْتَنِي بِأَنْ أَقُومَ بِهِ فِي  
رِسَالَتِي إِلَيْهِمْ، فَقُلْتُ لَهُمْ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَخُذْهُ لَا شَرِيكَ لَهُ - وَاتَّقُوا عِقَابَهُ -  
وَأَطِيعُونِي بِاعْتِبَارِي رَسُولَ رَبِّكُمْ إِلَيْكُمْ.

شَرْحُ الْقَضِيَّةِ الثَّانِيَةِ: هَذِهِ الْقَضِيَّةُ دَلَّ عَلَيْهَا: ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَرَّ يَزِدُّهُ مَالُهُ  
وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾:

الْوُلْدُ وَالْوُلْدُ: كُلُّ مَا وُلِدَ، وَيُطْلَقُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، الْوَاحِدُ  
وَالْمُثَنَّى، وَالْجَمْعُ، وَيُجْمَعُ عَلَى «أَوْلَادٍ» وَ«وَوِلْدَةٍ».

أي: إِنَّ جَمَاهِيرَ قَوْمِي اتَّبَعُوا كُفْرَاءَهُمْ وَسَادَاتِهِمُ الَّذِينَ اخْتَلَوْا مَرَائِزَ  
السِّيَادَةِ بَيْنَ قَوْمِي بِأَمْرَيْنِ هُمَا: أَمْوَالُهُمْ، وَأَوْلَادُهُمْ.

لَكِنَّ زِيَادَةَ أَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ، وَاسْتِغْنَاءَهُمْ بِذَلِكَ، لَمْ يَزِدَّهُمْ إِلَّا  
طُغْيَانًا، وَالطُّغْيَانُ زَادَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ خَسَارًا، فَوْقَ الْخَسَارِ الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ  
بِكُفْرِهِمْ، الَّذِي يَشْتَرِكُونَ فِيهِ مَعَ سَائِرِ قَوْمِي، إِذْ هُمْ قَدْ تَحَمَّلُوا إِثْمَ  
ضَلَالِهِمْ أَنْفُسِهِمْ، وَإِثْمَ الْأَعْمَالِ الَّتِي أَضَلُّوا بِهَا أَتْبَاعَهُمْ، فَحَمَلُوا بِذَلِكَ مَعَ  
آثَامِهِمْ مِثْلَ آثَامِ مَنْ ضَلُّوا بِسَبِيلِهِمْ.

فَجَاءَ فِي النَّصِّ الْاِكْتِفَاءُ بِذِكْرِ زِيَادَةِ الْخَسَارِ الَّذِي هُوَ نَتِيجَةُ الْأَعْمَالِ

الطُّغْيَانِيَّةَ عَنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الَّتِي طَغَوْا بِهَا، لِأَنَّ ذِكْرَ النَّتِيجَةِ يَدُلُّ عَلَى مُقَدِّمَاتِهَا، وَذِكْرُ الْمُسَبِّبِ يَدُلُّ عَلَى سَبَبِهِ أَوْ أَسْبَابِهِ.

وهَذَا مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ، الَّتِي يَكْتَشِفُ دَلَالَتَهَا مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ بِعُمُقٍ وَأَنَاةٍ، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

شَرْحُ الْقَضِيَّةِ الثَّالِثَةِ: هَذِهِ الْقَضِيَّةُ دَلَّ عَلَيْهَا: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبَرًا﴾:

أي: وَمَكَّرَ هَؤُلَاءِ الْقَادَةُ الْكِبَرَاءُ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فِي الْإِغْوَاءِ وَالطُّغْيَانِ مَكْرًا عَظِيمَ الْكِبَرِ.

﴿كُبَرًا﴾: صِيغَةٌ مِنْ صِيغِ الْمُبَالَغَةِ السَّمَاعِيَّةِ النَّادِرَةِ، وَهِيَ صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ لِلْفِظِ «كَبِير».

الْمَكْرُ: هُوَ تَدْبِيرُ أَمْرٍ مَا فِي خَفَاءٍ، بِشَرٍّ أَوْ بَخِيرٍ، لَكِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ مَكَّرُوا بِشَرٍّ، إِذْ لَمْ تَزِدْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِلَّا خَسَارًا.

وَيُظْهِرُ أَنَّ الْمَكْرَ الَّذِي مَكَّرُوهُ يَتَعَلَّقُ بِتَزْيِينِ الشَّرِّ وَالْكَفْرِ لِاتِّبَاعِهِمْ، وَإِقْنَاعِهِمْ بِبُطْلَانِ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِقْنَاعِهِمْ بِالْإِتِمَامِ مَا وَرِثُوهُ عَنْ آبَائِهِمْ مِنْ شِرْكٍ وَعِبَادَةِ أَوْثَانٍ، وَفَسْقٍ وَفُجُورٍ وَظُلْمٍ وَطُّغْيَانٍ، وَعَادَاتٍ وَقَبَائِحَ وَمُنْكَرَاتٍ.

شَرْحُ الْقَضِيَّةِ الرَّابِعَةِ: هَذِهِ الْقَضِيَّةُ دَلَّ عَلَيْهَا: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾:

أي: وَقَالَ هَؤُلَاءِ السَّادَةُ الْكِبَرَاءُ لِاتِّبَاعِهِمْ مُؤَكِّدِينَ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ بِأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَتْرَكُوا دِينَ آبَائِهِمْ، فِي عِبَادَةِ آلِهَتِهِمْ مِنَ الْأَوْثَانِ، وَلَا سِيَّمَا كِبَارُهَا، وَهِيَ: «وَدّ - سُوَاع - وَيَعُوثُ - وَيَعُوقُ - وَنَسْر».



روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس أنه قال<sup>(١)</sup>: صَارَتْ الْأَوْتَانُ الَّتِي كَانَتْ فِي قَوْمِ نُوحٍ فِي الْعَرَبِ بَعْدُ، أَمَّا وَدَ فَكَانَتْ لِكَلْبٍ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ<sup>(٢)</sup> - وَأَمَّا سُوعٌ: فَكَانَتْ لَهُذَيْلِ<sup>(٣)</sup>. وَأَمَّا يَغُوثٌ: فَكَانَتْ لِمُرَادٍ، ثُمَّ لِبَنِي عُطَيْفٍ بِالْجُرْفِ عِنْدَ سَبَأٍ. وَأَمَّا يَعْقُوبٌ: فَكَانَتْ لَهُمْدَانِ<sup>(٤)</sup>. وَأَمَّا نَسْرٌ: فَكَانَتْ لِحَمِيرٍ، لَالِ ذِي الْكَلَاعِ. أَسْمَاءُ رَجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا، وَسَمُّوَهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلَئِكَ وَنُسِخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَيْفَ جَلِيَتْ إِلَى الْعَرَبِ فَعَبَدُوهَا.

**شَرْحُ الْقَضِيَّةِ الْخَامِسَةِ:** هَذِهِ الْقَضِيَّةُ دَلٌّ عَلَيْهَا: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾:

أَي: وَقَدْ أَضَلَّ هَؤُلَاءِ السَّادَةُ الْكُبَرَاءُ فِي قَوْمِهِمْ إِضْلَالًا كَثِيرًا، بِتَأْيِيرِهِ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ، إِذْ كَانَ لِأَعْمَالِهِمْ وَلِأَقْوَالِهِمْ الْإِغْوَايَةُ الْمَضْلَلَةُ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي إِضْلَالِ هَؤُلَاءِ الْأَتْبَاعِ، وَفِي إِبْعَادِهِمْ عَنِ الْحَقِّ الرَّبَّانِيِّ فِي الْمَتَاهَاتِ الْمَخْتَلِفَاتِ.

**شَرْحُ الْقَضِيَّةِ السَّادَةِ:** هَذِهِ الْقَضِيَّةُ دَلٌّ عَلَيْهَا: ﴿وَلَا تَرِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾:

لَيْسَ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يَدْعُو رَسُولٌ عَلَى الظَّالِمِينَ مِنْ قَوْمِهِ بِأَنْ يَزِيدَهُمُ اللَّهُ ضَلَالًا جَبْرِيًّا عَنِ الدِّينِ.

وَقَدْ ظَهَرَ لِي رَبْطًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الشُّعَرَاءِ/ ٤٧ نَزُول) حِكَايَةَ لِمَا قَالَهُ قَوْمُ نُوحٍ لَهُ:

(١) انظر الحديث رقم (٤٩٢٠) وشرحه في فتح الباري لابن حجر.

(٢) مدينة من الشام مما يلي العراق.

(٣) كَانَ بِمَكَانٍ يُهْذَلُ يُقَالُ لَهُ «رُهَاطٌ» مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ مِنْ جِهَةِ السَّاحِلِ.

(٤) بلاد همدان باليمن.

﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَلْنُوحَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾.

أَنَّ نُوحًا عَلَيْهِ لَمَّا رَأَى أَنَّ قَوْمَهُ لَمْ يَهْتَدُوا بَعْدُ إِلَى طَرِيقَةِ مَقْبُولَةٍ لَدَى جَمَاهِيرِهِمْ يُنْقِذُونَ فِيهَا مَا تَوَعَّدُوهُ بِهِ، إِذْ أَضْلَلَهُمُ اللَّهُ عَنْ أَنْ يَجِدُوا الطَّرِيقَةَ الْمُنَاسِبَةَ، طَوَى نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَضِيَّةَ التَّهْدِيدِ هَذِهِ، وَأَضْمَرَهَا فِي نَفْسِهِ، وَدَعَا دُعَاءً يَتَّصِلُ بِهَا فَقَالَ: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾: أي: وَهَدَدُونَا بِالرَّجْمِ فَأَضَلَّاهُمْ يَا رَبِّ عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَى طَرِيقَةِ تَقَبُّلِهَا جَمَاهِيرُهُمْ، فَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَوَدُّونَ قَتْلَنَا لِلتَّخْلُصِ مِنَّا بِالْقَتْلِ إِلَّا ضَلَالًا عَنِ الْاهْتِدَاءِ إِلَى مَا يُرِيدُونَ.

وبهذا تَمَّ تدبُّر الدرس الثالث من دُرُوس سورة (نوح).

والحمد لله على مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمِثَّتِهِ، وَفَتْحِهِ.



(٧)

### التدبر التحليلي للدرس الرابع من دُرُوس سورة (نوح) الآية (٢٥)

قال الله عزَّ وجلَّ:

﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُعْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا فَلَمَّا يَجِدُوا هُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾: ﴿٢٥﴾

القراءات:

• قرأ أبو عمرو: [مِمَّا خَطَايَاهُمْ].

وقراها باقي القراء العشرة: [مِمَّا خَطِئَاتِهِمْ].

وَكُلُّ مِنْهُمَا جَمْعُ «خَطِيئَةٍ».

تمهيد:

في آية هذا الدرس بيان عاقبة كفار قوم نوح في الدنيا والآخرة.

التدبر التحليلي:

• ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾: «من» في «مِمَّا» حرف جرّ معناه التعليل، ولفظ «ما» حرف زائد لتوكيد معنى التعليل.

أقول: لِمَ لَا يَكُونُ اسْمًا بِمَعْنَى: «شيء عظيم» فكثيراً ما يَسْتَعْمِلُهُ الْعَرَبُ كَذَلِكَ، مثل «ما» في «نِعَمًا». وعلى هذا يكون «خَطِيئَاتِهِمْ» بدلاً مِنْ لفظ «مَا» في «مِمَّا». أي: بِسَبَبِ شَيْءٍ عَظِيمٍ جَدًّا هُوَ خَطِيئَاتُهُمُ الشَّيْئَةُ الْفَظِيئَةُ الْمُتَنَوِّعَةُ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا.

• ﴿أُغْرِقُوا﴾: جاء البيان هنا موجزاً، إذ سبق تفصيل إغراقهم في سورة (هود/ ٥٢ نزول) في الآيات من (٣٦ - ٤٤).

• ﴿فَأَدْخِلُوا نَارًا﴾: أي: فَأَدْخِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارَ جَهَنَّمَ، وَجَاءَ الْعَظْفُ بِالْفَاءِ الَّتِي تَقْتَضِي التَّرْتِيبَ مَعَ التَّعْقِيبِ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُمْ عَقِبَ مَوْتِهِمْ بِالْإِغْرَاقِ، تَلَقَّتْ نَفْسُهُمْ وَهُمْ فِي مُدَّةِ الْبَرَزَخِ عَذَاباً مِنْ نَوْعِ الْعَذَابِ بِمَسِّ لَهَبِ النَّارِ، وَلَئِنَّهُمْ عِنْدَ الْبَعْثِ لَا يَكُونُ لَدَيْهِمْ إِحْسَاسٌ بِفَاصِلِ زَمَنِي بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ، وَعِنْدَئِذٍ يُسَاقُونَ بِسُرْعَةٍ وَيُحَكَّمُ عَلَيْهِمْ بِعَذَابِ النَّارِ، فَيُكَبَّرُونَ فِيهَا، فَبالنظر إلى إحساسهم يَكُونُ إِدْخَالُهُمْ فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَقِبَ إِغْرَاقِهِمْ.

إِنَّ الْمَوْتَى لَا يُحْسِنُونَ بِمُرُورِ الزَّمَنِ مَهْمَا طَالَ، وَحِينَ بَعْثُهُمْ يَقُولُونَ: مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا، أي: مَنْ مَكَانِ نَوْمِنَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ.

• ... ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (١٥):

أي: وَحَكَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِعَذَابِ النَّارِ، فَأَدْخِلُوا فِيهَا قَهْرًا،

وَبَحْثُوا عَنْ آلِهَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، لِيَنْصُرُوهُمْ فَيُدْفَعُوا عَنْهُمْ عَذَابَ رَبِّهِمْ، وَرَأَوْا أَنَّ زُغَمَاءَهُمْ وَكِبَرَاءَهُمْ فِي الدُّنْيَا يُسْحَبُونَ إِلَى جَهَنَّمَ سَحْبًا مِنْ قَبْلِهِمْ، وَبَحْثُوا عَمَّنْ يَنْصُرُهُمْ فَيَحْمِيهِمْ مِنْ عَذَابِ نَارِ جَهَنَّمَ، فَلَمْ يَجِدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا، أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ الْحَكْمُ الْعَدْلُ الَّذِي قَضَى عَلَيْهِمْ بِالْخُلُودِ فِي عَذَابِ النَّارِ.

وبهذا انتهى تدبر الدرس من دروس سورة (نوح).

والحمد لله على معاونته، ومدّده، وتوفيقه، ومنته، وفتحِهِ.



(٨)

### التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (نوح) الآيات من (٢٦ - ٢٨) آخر السورة

قال الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَاضِلُوا عِبَادَكَ وَلَا يُلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾.

القراءات:

(٢٨) • قرأ هشام، وحفص: [بَيْتِي] بفتح ياء المتكلم.

وقراها باقي القراء العشرة بإسكانها.

تمهيد:

في آيات هذا الدرس بيان دعاء نوح عليه السلام على جميع كفار الأرض بالإهلاك، وبيان دعائه بالمغفرة لوالديه، ولكل من دخل بيته

مُؤْمِنًا، وَلِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَبَيَانُ دُعَائِهِ عَلَى الظَّالِمِينَ فِي كُلِّ الْأَرْضِ بِأَنْ لَا يَزِيدَهُمُ اللَّهُ إِلَّا هَلَاكًا حَتَّى لَا يُبْقِيَ مِنْهُمْ أَحَدًا، وَعَذَابًا يَكُونُ عَادَةً مُصَاحِبًا لِإِهْلَاكِهِمْ.

### التدبر التحليلي:

من حُسْنِ التدبر أَنْ نتفكَّرَ في دُعَاءِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الدَّرْسِ الْأَخِيرِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ، ضِمْنَ نَظَرَةٍ تَكَامُلِيَّةٍ مَعَ مَا جَاءَ فِي نُصُوصٍ أُخْرَى مِنْ قِصَّتِهِ فِي غَيْرِ هَذِهِ السُّورَةِ، مِمَّا يَرْتَبِطُ وَلَوْ بِوَجْهِ مَا فِي آيَاتِ هَذَا الدَّرْسِ.

أولاً: أوردَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا الدُّعَاءَ الَّذِي دَعَا بِهِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَعْدَ أَنْ أَبَانَ أَنَّهُ قَدْ أَغْرَقَ قَوْمَهُ، بِاسْتِثْنَاءِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مُؤْمِنِينَ.

ثانياً: سَبَقَ أَنْ أُنْزِلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ (هود/ ٥٢ نزول) بَيَانُ أَنَّهُ أَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا مَنْ آمَنَ، فَقَدْ جَاءَ فِيهَا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:

• ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَ ۚ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

فَدَلَّ هَذَا النَّصُّ عَلَى أَنَّ قَضَاءَ اللهِ بِالْإِغْرَاقِ لَمْ يَكُنْ اسْتِجَابَةً لِدَعْوَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّمَا هُوَ قَضَاءُ رَبَّانِيٍّ مَبْنِيٍّ عَلَى شُمُولِ عِلْمِ اللهِ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَحِكْمَتِهِ فِي تَدْبِيرِ شُؤُونِ عِبَادِهِ، وَعَلَى مَا بَيَّنَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْمَوْجُودِينَ أَوْ ذَرَارِيهِمْ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ قَبْلَ هَذَا الْبَيَانِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى انْتِهَاءِ الْحِكْمَةِ مِنْ بَقَائِهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهِيَ الْامْتِحَانُ.

وَلَيْثَلَا يَتَذَخَّلَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِمَهَالَ قَوْمِهِ،  
بدافعٍ مِنْ رَحْمَتِهِ وَجَلْمِهِ، على الرُّغْمِ مِنَ الْقُرُونِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي صَبَرَ عَلَيْهِمْ  
فِيهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ فِي هَذَا النَّصِّ مِنْ سُورَةِ (هود/ ٥٢ نزول):

﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾: أي: وَلَا تُخَاطِبُنِي طَالِبًا  
إِمَهَالِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ قَوْمِكَ، إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ قَضَاءً مُبَرَّمًا لَا مَرَدَّ لَهُ.

مِنْ هَذَا نُذِرُكَ أَنَّ دُعَاءَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الدَّرْسِ الْأَخِيرِ مِنْ  
سُورَةِ (نوح/ ٧١ نزول): ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ لَمْ يَكُنْ  
قَبْلَ الطُّوفَانِ، وَلَمْ يَكُنْ خَاصًّا بِكُفَّارِ قَوْمِهِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُ بِشَأْنِهِمْ: ﴿إِنَّهُمْ  
مُغْرَقُونَ﴾.

مِنْ هَذَا نُذِرُكَ أَنَّ هَذَا الدُّعَاءَ قَدْ كَانَ بَعْدَ الطُّوفَانِ، وَبَعْدَ اسْتِقْرَارِهِ  
هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ مُؤْمِنِينَ عَلَى الْيَابِسَةِ، بَعْدَ الرِّحْلَةِ الْبَحْرِيَّةِ عَلَى السَّفِينَةِ الَّتِي  
أَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يَصْنَعَهَا.

وَيَبْدُو أَنَّهُ وَقَعَ فِي تَصَوُّرِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ احْتِمَالُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ  
كُفَّارِ قَوْمِهِ نَجَا مِنَ الْعَرَقِ بَارْتِقَاءَ جَبَلٍ عَالٍ لَمْ يَغْمُرْهُ الْمَاءُ، أَوْ بِوَسِيلَةٍ  
أُخْرَى. فَقَالَ:

• ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾:

أي: رَبِّ أَهْلِكَ جَمِيعَ كُفَّارِ قَوْمِي، وَلَا تَدْعُ فِي الْحَيَاةِ مِنْهُمْ أَحَدًا.

• ﴿دَيَّارًا﴾: أي: أَحَدًا. وَهَذَا اللَّفْظُ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِي النَّفْيِ،  
وَهُوَ مِنْ «دَارَ يَدُور». وَأَصْلُ «دَيَّار» قَبْلَ التَّضْرِيفِ «دَيَّوَار» عَلَى وَزْنِ  
«فَيْعَال» قَلَبَتِ الْوَاوُ يَاءً وَأُذْغِمَتْ فِي الْيَاءِ.

• ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾: ﴿٧٧﴾

أي: إِنَّكَ يَا رَبِّ إِنْ تَذَرَهُمْ أَحْيَاءً وَأَنْجَيْتَهُمْ مِنَ الْعَرَقِ، يُضِلُّوا

عِبَادَكَ فِي أَمَاكِنَ مِنَ الْأَرْضِ لَمْ يَغْمُرْهَا الطُّوفَانُ، وَإِنْ تَوَالَّدُوا فَإِنَّهُمْ لَا يَلِدُونَ إِلَّا فَاكِراً كَفَّاراً، فَتَجَرَّبَتِي الطَّوِيلَةَ مَعَهُمْ كَشَفْتُ لِي أَنَّهُمْ يَفْهَرُونَ ذَرَارِيَهُمْ عَلَى اتِّبَاعِ طَرِيقَتِهِمْ، وَيُحِيطُونَهُمْ بِبَيْتِهِ فَاسِدَةٍ مُفْسِدَةٍ تَجْذِبُ كُلَّ نَاشِئٍ فِيهَا وَيَعِيشُ بَيْنَ أَفْرَادِهَا إِلَى مَا هِيَ فِيهِ مِنْ شَرٍّ وَكُلِّ قَبِيحٍ وَمُنْكَرٍ، مِنْ فِكْرٍ، وَخُلُقٍ، وَقَوْلٍ وَعَمَلٍ.

• ﴿كُفُّورًا﴾: الْفَاكِهُ الْمُنْبَعِثُ بِقُوَّةٍ لَا زَيْكَابَ الْجَرَائِمِ، وَالْآثَامِ، وَالْعِصْيَانَ، وَالْفُسُوقَ وَالظُّلْمَ وَالطُّغْيَانَ.

• ﴿كُفَّارًا﴾: أَي: مُبَالِغاً فِي كُفْرِهِ، جُحُوداً لِلْحَقِّ، وَتَعْطِيَةً لِأَدْلِيَّتِهِ بِالْأَكَاذِبِ، وَالْمِغَالَطَاتِ، وَالْجِدَالِ بِالْبَاطِلِ، الْمَزِيَّةِ بِزُخْرُفٍ مِنَ الْقَوْلِ.

• ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ (٧٨):

أَخِيرًا تَذَكَّرَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَوَيْهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَذَكَّرَ سَائِرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ دَخَلُوا بَيْتَهُ فِي بَلَدِهِ قَبْلَ الطُّوفَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ قَبْلَ الطُّوفَانِ وَلَمْ يَرْكَبْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ، وَنَظَرَ إِلَى مَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَإِلَى سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَنَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرَأَى أَنَّ مُهِمَّتَهُ قَدْ انْتَهَتْ، وَلَعَلَّهُ تَصَوَّرَ أَنَّ أَجَلَهُ قَدْ اقْتَرَبَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَاعِياً.

• ﴿رَبِّ أَغْفِرْ لِي﴾: فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ إِذْ هِيَ الْأَحَقُّ بِدُعَائِهِ، وَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ مِنْ تَقْصِيرَاتٍ فِي حَقِّ مَرْتَبَةِ الْإِحْسَانِ، الَّتِي هُوَ مِنْ أَهْلِهَا.

• ﴿وَلِوَلَدَيَّ﴾: فَدَعَا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِوَلَدَيْهِ الَّذِينَ مَاتَا عَلَى الْإِيمَانِ.

• ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِناً﴾: فَدَعَا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمَغْفِرَةِ لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ مُؤْمِناً، وَيُظْهَرُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَدْخُلُونَ بَيْتَهُ لِيَتَعَلَّمُوا مِنْهُ أُصُولَ الدِّينِ وَشَرَائِعَهُ وَأَحْكَامَهُ وَتَطْبِيقَاتِهِ.

• ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: وَدَعَا بِالْمَغْفِرَةِ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَهَذَا تَعْمِيمٌ يَشْمَلُ كُلَّ الْمُؤْمِنِينَ، بَعْدَ تَخْصِيصِ نَفْسِهِ، وَوَالِدَيْهِ، وَمَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ مُؤْمِنًا، وَهُوَ بِقُوَّةِ تَكْرِيرِ الدُّعَاءِ لِكُلِّ مَنْ سَبَقَ، مَعَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَدَعَا عَلَى الظَّالِمِينَ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَام:

• ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَارًا﴾ التَّبَارُ الْهَلَاكُ. أَي: زِدْهُمْ هَلَاكًا وَلَا تَزِدْهُمْ غَيْرَ ذَلِكَ. وَأَرَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْهَلَاكِ الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الْعَذَابُ الْمُرَافِقُ لِلْهَلَاكِ الَّذِي يَكُونُ لِلْمُجْرِمِينَ، فَالْمَعْنَى وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا عَذَابًا.

وبهذا تَمَّ تَدْبِيرُ سُورَةِ (نُوح) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ، وَمَدَدِهِ، وَتَوْفِيقِهِ، وَمُنْتَهَى، وَفَتْحِهِ.



(٩)

### ملحق: مُسْتَخْرَجَاتُ بَلَاغِيَّةٍ مِنَ السُّورَةِ

مِمَّا فِي سُورَةِ (نُوح) مِنْ اخْتِيَارَاتِ بَلَاغِيَّةِ الْمُسْتَخْرَجَاتِ التَّالِيَاتِ:

(١) فِي عِبَارَةٍ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ...﴾ (١) التَّوَكِيدُ بِـ «إِنْ» - وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ - وَضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ الْعَظِيمِ.

(٢) وَفِي عِبَارَةٍ: ﴿قَالَ يَقَوْمُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٢) التَّوَكِيدُ بِـ «إِنْ» - وَالْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ.

(٣) وَفِي عِبَارَةٍ: ﴿... وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ (٧) تَوْكِيدٌ بِالْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ، مَعَ إِيجَازِ بِالْحَذْفِ، إِذِ التَّقْدِيرُ: وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا مُسْرَفًا شَنِيعًا.



(٤) وفي عبارة: ﴿... وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ﴿٩﴾ تأكيد بالمفعول المطلق مع إيجاز بالحذف، إذ التقدير: وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا شَدِيدًا مُبَالِغًا فِيهِ، حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ أَحْوَالُ الْمُسْتَكْبِرِينَ.

(٥) وفي عبارة: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ﴿١١﴾ إطلاق السَّمَاءِ وإرادة المطر الذي يَنْزِلُ مِنْهَا، وهو من المجاز المرسل، وفي اختيار فعل «يُرْسِلِ» بَدَل «يُنْزِلِ» إِرْدَافٌ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْبَدِيعِ.

(٦) وفي عبارة: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ﴿١٤﴾ إيجاز بالحذف، أي: وقد خَلَقَكُمْ خَلْقًا مُتَطَوِّرًا أَطْوَارًا، طَوْرًا، فَطَوْرًا.

(٧) وفي عبارة: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ﴿١٥﴾ خُرُوجٌ لِلْإِسْتِفْهَامِ عَنْ أَضْلٍ دَلَالَتِهِ، إِلَى مَعْنَى لَفْتِ النَّظَرِ، وَالْحَثُّ عَلَى الرُّؤْيَةِ.

(٨) وفي عبارة: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ﴿١٧﴾ إيجاز بالحذف، والتقدير: واللَّهُ أَنْبَتَ مَادَّةَ بِنَاءِ أَجْسَادِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا مُتَقَنَّأً، فَكَانَ غِذَاءً، فَكَانَ دَمًا، فَكَانَ نُطْفًا، فَكَانَتْ أُجِنَّةً، فَكَانَتْ أَنْاسِيٍّ مُكَمِّلَةً.

(٩) وفي عبارة: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ ﴿١٨﴾ الإيجاز بالحذف والتشبيه البليغ، والتقدير: واللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مَوَاضِعَ كَثِيرَةً فِي الْأَرْضِ الَّتِي تَعِيشُونَ عَلَيْهَا، وَكُلُّ مَوْضِعٍ مِنْهَا كَالْبِسَاطِ.

(١٠) وفي عبارة: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهِمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٢١﴾ إطلاقُ الْمَسَبِّ وإرادة السَّبِّ، وهو من المجاز المرسل، والتقدير: وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا عِضْيَانًا وَكُفْرًا، وَفَسَادًا وَإِفْسَادًا، وَضَلَالًا وَإِضْلَالًا، سَبَّيْتُ لَهُ خَسَارًا عَظِيمًا عِنْدَ رَبِّهِ.

(١١) وفي عبارة: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ ﴿٢٢﴾ إطلاقُ التَّبَارِ وَمَعْنَاهُ الْهَلَاكُ، وَالْهَلَاكُ الْمَوْتُ، وَإِرَادَةُ مَا هُوَ سَبَبُهُ مِنْ عَذَابٍ يَكُونُ عِنْدَ إِهْلَاكِ

الْمُجْرِمِينَ . وَهَذَا مِنْ إِطْلَاقِ الْمُسَبِّبِ وَإِرَادَةِ سَبَبِهِ وَهُوَ الْعَذَابُ الْمُهِلِكُ ،  
وَهُوَ مِنَ الْمَجَازِ الْمُرْسَلِ .

وَأُكْتَفِيَ بِهِ هَذِهِ الْمُسْتَخْرَجَاتُ الْبَلَاغِيَّةُ مِنْ سُورَةِ (نُوحٍ)

وَبِهَذَا تَمَّ مَا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ عَلَيَّ حَوْلَ هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ تَدَبُّرٍ  
وَمُسْتَخْرَجَاتٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَعُونَتِهِ ، وَمَدَدِهِ ، وَتَوْفِيقِهِ ، وَمِيتِهِ ، وَفَتْحِهِ .



## خاتمة المجلد الثالث عشر من كتاب معارج التفكير ودقائق التدبر

كَتَبْتُ هَذَا الْمَجْلَدَ بِفَضْلِ اللَّهِ الْوَهَّابِ وَمَعُونَتِهِ وَفَيْضِ عَطَائِهِ، انْتِزَاعاً مِنْ بَرَائِنِ الْمَرَضِ، وَالْعِلَاجِ الْيَوْمِيِّ بِوَحَزَاتِ الْإِبْرِ فِي الْعَضَلِ صَبَاحاً وَمَسَاءً، إِذْ يَجْعَلُنِي طَرِيحاً عَلَى السَّرِيرِ أَوْ عَلَى الْبِسَاطِ، لَا أَقْوَى عَلَى عَمَلٍ مَا مُعْظَمُ الْوَقْتِ، فَإِبْرَةُ الصَّبَاحِ قَدْ تَطَرَّخُنِي خَمْسَ سَاعَاتٍ أَوْ أَكْثَرَ لَا أَقْوَى فِيهَا عَلَى الْعَمَلِ وَلَكِنْ دُونَ آلَامٍ، وَإِبْرَةُ أَوَائِلِ اللَّيْلِ قَدْ تَطَرَّخُنِي إِلَى نَحْوِ صَلَاةِ الْفَجْرِ كَذَلِكَ.

وَمُقْتَضَفَاتٍ مِنَ الْوَقْتِ فِي الْأَثْنَاءِ كَانَتْ تَشُدُّنِي فِيهَا مَعُونَةُ اللَّهِ رَبِّي إِلَى الْعَمَلِ بِعَجْزِ جَسَدِي غَيْرِ مَصْحُوبٍ بِعَجْزِ فِكْرِي لِكِتَابَةِ صَفْحَةٍ أَوْ صَفْحَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ أَحْيَاناً.

وَهَذَا الْعِلَاجُ هُوَ مِنْ ظُهُورِ خَلْفِ لِسَرَطَانِ الْقَوْلُونِ، الَّذِي أَكْرَمَنِي اللَّهُ رَبِّي بِاسْتِئْصَالِ الظَّاهِرِ مِنْهُ فِي الْقَوْلُونِ وَفِي الْكَيْدِ، عَلَى يَدِ الْمَاهِرِ الْبَارِعِ، الْجَرَّاحِ الْعَظِيمِ، النَّصُوحِ النَّفَّاعِ: «البروفيسور» الكبير الدكتور «خَلِيلِ سَلْمَانَ». وَالَّذِي عُولِجْتُ بَعْدَهُ بِالْكِيمَاوِيِّ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بِمُتَابَعَةٍ وَعِنَايَةٍ وَمُرَاقَبَةٍ الْاسْتِشَارِيِّ الْأَلَمِيِّ النَّفَّاعِ الدُّكْتُورِ «عَامِرِ رَضْوِي». أَجْزَلَ اللَّهُ مَثُوبَتَهُمَا، فِي أَنْفُسِهِمَا وَفِي مَنْ يُحِبَّانِ، وَرَزَقَهُمَا كَمَالَ الْعَافِيَةِ حَتَّى انْتِهَاءِ أَجَالِهِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَكَمَالَ الْعَافِيَةِ فِي آخِرَتِهِمَا، حَتَّى يَنَالَ الْمَنَازِلَ الرَّفِيعَةَ فِي جَنَّاتٍ عَذْنٍ بُلُوغاً إِلَى الْفَرْدُوسِ الْأَعْلَى.

والعلاج الذي أعالج به الآن من خَلْفِ السَّرَطَانِ، إِبْرَ يَوْمِيَّةً فِي الضَّحَى وفي أوائل الليل، مع وَخَزَاتِ إِبْرٍ أُخْرَى فِي مَوَاعِيدَ مُحَدَّدَةٍ، فِي خُطَّةِ الْعِلَاجِ الْمُقْتَرَحَةِ، وَمَا زِلْتُ أُعَالِجُ بِهِذَا الْعِلَاجُ مُنْذُ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَةِ أَشْهُرٍ، إِلَّا أَنَّ الْإِنْطِرَاحَ الَّذِي كُنْتُ أُعَانِي مِنْهُ مَعَ اسْتِعْمَالِ الْعِلَاجِ، قَدْ صَرَفَ اللَّهُ مُعْظَمَهُ عَنِّي بِعَظْفِهِ وَلُطْفِهِ.

فَالْحَمْدُ كُلُّهُ لِلَّهِ رَبِّي عَلَى مَا ابْتَلَى، وَعَلَى مَا وَهَبَ، وَأَدْعُوهُ بِتَضَرُّعٍ وَدُلٍّ وَانْكِسَارٍ:

رَبِّ أَوْزِعْنِي، وَأَعِنِّي، وَاقْضِ لِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ وَعَلَى مَنْ أَحَبُّ، وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ، وَأَنْ تُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَأَنْ تَجْعَلَنِي مِنْ أَهْلِ الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى بِفَضْلِكَ، مَعَ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ سَيِّدِنَا وَسَيِّدِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ أَجْمَعِينَ.

وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ كِتَابَةِ هَذَا الْمَجْلَدِ الثَّالِثِ عَشَرَ، يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ١٩ ربيع الأول من سنة ١٤٢٤ هجرية و ٢٠/٥/٢٠٠٣ م.

وَأَخِرُ دُعَائِي: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى.

عبد الرحمن حسن حَبَنَكَةُ المِيدَانِي

## الفهرس

## الصفحة

## الموضوع

(٦٤)

سُورَةُ الدُّخَانِ

٤٤ مصحف ٦٤ نزول

- ٧ ..... (١) نصُّ السورة وما فيها من فرش القراءات
- ١٠ ..... (٢) مِمَّا وَرَدَ بِشَأْنِ سُورَةِ (الدُّخَانِ)
- ١١ ..... (٣) موضوع سورة (الدُّخَانِ)
- ١١ ..... (٤) دُرُوس سورة (الدُّخَانِ)
- ١٣ ..... (٥) التدبُّر التحليلي للدرس الأول من دُرُوس سورة (الدُّخَانِ) الآيات من (١ - ٨) ..
- ١٤ ..... - القراءات
- ١٤ ..... - تَمْهيد
- ١٤ ..... - التدبُّر التحليلي
- ١٤ ..... • ﴿حَمَّ ۝١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ .....
- ..... • ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمَّا
- ١٥ ..... مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ .....
- ..... • ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجِيبُ
- ٢٠ ..... وَيُسِطُّ رُبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ .....
- ٢٢ ..... (٦) التدبُّر التحليلي للدرس الثاني من دُرُوس سورة (الدُّخَانِ) الآيات من (٩ - ١٦) ..
- ٢٣ ..... - القراءات
- ٢٣ ..... - تَمْهيد
- ٢٣ ..... - التدبُّر التحليلي

## الموضوع

## الصفحة

- ٢٣ ..... ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ (٩)
- ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ﴾ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ
- ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ (١١) أَفَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّكُمُ بَحْثُونَ ﴿١٣﴾
- ٢٤ ..... ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (١٤) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِفُونَ ﴿١٥﴾
- ٢٧ ..... (٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الدُّخَان) الآيات من (١٧ - ٣٣)
- ٢٨ ..... - القراءات
- ٢٨ ..... - تمهيد
- ٣٠ ..... - التدبر التحليلي
- ٣٠ ..... ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ إِتِّاعِ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي ءَانِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩﴾ وَإِنِّي عِدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ رَجُمُونَ ﴿١٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِّلُونِ ﴿١١﴾﴾
- ٣٢ ..... ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَبْ لَآءِ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ﴾ (١٢)
- ٣٣ ..... ﴿فَآتَىٰ عِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ (١٣) وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿١٤﴾
- ﴿كَم تَرَكُوا مِنَ جُنُودٍ وَعِيبُونَ﴾ (١٥) وَزُدُّوعَ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿١٦﴾ وَتَعَمَّقُوا كَانُوا فِيهَا فَكَهَيْنَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿١٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿١٩﴾
- ٣٦ ..... ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِيهِ إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا يِّنَ الْمُرْسِفِينَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٢٣﴾﴾
- ٣٨ ..... (٨) التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (الدُّخَان) الآيات من (٤٢ - ٤٤)
- ٤٠ ..... - تمهيد
- ٤١ ..... - التدبر التحليلي
- ٤١ ..... - التدبر التحليلي

الموضوع

الصفحة

- ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٢٥﴾ فَأَنؤَا  
يَتَابِئَآ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٦﴾ أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْتُمْ إِنَّمَا  
كَانُوا تَجْرِمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ..... ٤٨
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبٍ ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾﴾ ..... ٤٩
- ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ يَمِيقَتُهُمْ أَجْعِبُ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ  
يُصْرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ ..... ٥٠
- (٩) التدبّر التحليلي للدّرس الخامس من دُروس سورة (الدُّخان) الآيات من  
..... (٤٣ - ٥٧) ٥٣
- القراءات ..... ٥٣
- تمهيد ..... ٥٤
- التدبّر التحليلي ..... ٥٤
- ﴿إِنَّ سَجَرَتَ الرَّقُومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْإِثْمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾  
كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ ..... ٥٤
- ﴿حُدُودُهُ فَأَغْوَهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْحَمِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُؤًا فَوْقَ رَأْسِهِ مِن عَذَابِ الْحَمِيمِ  
﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ..... ٥٦
- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ  
وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ  
فَكَهَةٍ ءَامِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَدْخُلُونَهَا فِيهَا الَْمُوتَ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ  
عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَا مَن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ ..... ٥٩
- (١٠) التدبّر التحليلي للدّرس السادس من دُروس سورة (الدُّخان) الآيتان من  
..... (٥٨) و(٥٩) آخر السورة ..... ٦٤
- تمهيد ..... ٦٤
- التدبّر التحليلي ..... ٦٥
- ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْئِيهِ لِسَانُكَ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ..... ٦٥
- ﴿فَازْتَفِقْ إِنَّهُمْ مُّرْتَابُونَ ﴿٥٩﴾﴾ ..... ٦٦
- (١١) ملحق: مُسْتَخَرَجَاتُ بِلَاغِيَّةٍ من سورة (الدُّخان) ..... ٦٧

(٦٥)

## سورة الجاثية

٤٥ مصحف ٦٥ نزول

- ٧٣ ..... (١) نَصُّ السُّورَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ فَرْشِ الْقِرَاءَاتِ
- ٧٧ ..... (٢) مِمَّا وَرَدَ بِشَأْنِ سُورَةِ (الجاثية)
- ٧٧ ..... (٣) مَوْضُوعُ سُورَةِ (الجاثية)
- ٧٨ ..... (٤) دُرُوسُ سُورَةِ (الجاثية)
- ٨٠ ..... (٥) التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لِلدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الجاثية) (الآيات من ١ - ١١)
- ٨٠ ..... - الْقِرَاءَاتِ
- ٨١ ..... - تَمْهِيد
- ٨٢ ..... - التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ
- ٨٢ ..... • ﴿حَمْدُ اللَّهِ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾
- ٨٢ ..... • ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَانٍ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ وَأَخْلَفَ بِالنَّارِ وَمَا أُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَضَرِّبُ الرِّيحُ عَابِتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾
- ٨٤ ..... • ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ وَتِلْكَ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾﴾ يَسْمَعُ آيَاتُ اللَّهِ تُنَلَّلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصَرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾﴾ مَن رَّأَيْتُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُقَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾
- ٨٧ ..... • ﴿هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾﴾
- ٩٤ ..... (٦) التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لِلدَّرْسِ الثَّانِي مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الجاثية) (الآيتان: (١٢)
- ٩٥ ..... و(١٣)
- ٩٥ ..... - تَمْهِيد
- ٩٥ ..... - التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ
- ٩٥ ..... • ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيُنْزِلَ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ ..



الموضوع

الصفحة

- ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٣) ..... ٩٥
- (٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الجاثية) الآيات من (١٤) و(١٥) ..... ٩٩
- القراءات ..... ٩٩
- تمهيد ..... ٩٩
- ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) ..... ١٠٠
- ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمُ تُرْجَعُونَ﴾ (١٥) ..... ١٠٢
- (٨) التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (الجاثية) الآيات من (١٦ - ٢٢) ..... ١٠٣
- القراءات ..... ١٠٣
- تمهيد ..... ١٠٣
- التدبر التحليلي ..... ١٠٤
- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦) وَمَا تَنبَأْنَاهُمْ يَنْتَبِئُونَ مِنَ الْأُمُورِ فَمَا أَخْلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٧) ..... ١٠٤
- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأُمُورِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ أَكْثَرِيَّ النَّاسِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ..... ١٠٧
- ﴿هَٰذَا بَصِيرَةٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (٢٠) ..... ١١٠
- ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَشَجَرَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢٢) ..... ١١١
- (٩) التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (الجاثية) الآيات من (٢٣ - ٢٦) ..... ١١٤

الصفحة

الموضوع

- ١١٤ ..... - القراءات
- ١١٤ ..... - تمهيد
- ١١٥ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَغَلَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٣) ..... ١١٥
- ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢٤) ..... وَإِذَا نُنَادِيْنَاهُمْ لَيَبْتَغَيْنَا مَا كَانُوا حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا آبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٥) ..... ١١٨
- ﴿قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ ثُمَّ يُثَبِّتُكُمْ أَفْعَالَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) ..... ١٢١
- (١٠) التدبر التحليلي للدرس السادس مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْجَاثِيَةِ) الْآيَاتِ مِنْ (٢٧ - ٣٥) ..... ١٢٢
- ١٢٣ ..... - القراءات
- ١٢٤ ..... - تمهيد
- ١٢٤ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمَبْطُلُونَ﴾ (٢٧) ..... ١٢٤
- ﴿وَرَأَى كُلُّ أُمَّةٍ جَانِبَهُ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِنْدِهَا الْيَوْمَ تُخْرَجُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٨) هَذَا كِتَابُنَا يَنْطَلِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٩) ..... ١٢٥
- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنْذِرُ عَلَيْكُمْ فَأَنْتُمْ كُفَرْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (٣١) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّبِعِينَ﴾ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَا نُرِيكُمْ النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَصْرِينَ﴾ (٣٤) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اخْتَذَوْا ءَالَيَةَ اللَّهِ هُزُومًا وَغَرَّبُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ﴾ (٣٥) ..... ١٢٧
- (١١) التدبر التحليلي للدرس السابع مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الْجَاثِيَةِ) الْآيَاتِ مِنْ (٣٦) وَ(٣٧) آخِرُ السُّورَةِ ..... ١٣٣

## الموضوع

## الصفحة

- ١٣٣ ..... - تمهيد
- ١٣٣ ..... - التدبر التحليلي
- ١٣٣ ..... ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦)
- ١٣٣ ..... ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٧)
- ١٣٥ ..... (١٢) ملحق: مُسْتَخْرَجَاتُ بَلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (الجاثية)

(٦٦)

## سورة الأحقاف

٤٦ مصحف ٦٦ نزول

- ١٤٣ ..... (١) نَصُّ السُّورَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ فُرُشِ الْقِرَاءَاتِ
- ١٤٨ ..... (٢) مِمَّا وَرَدَ بِشَأْنِ سُورَةِ (الأحقاف)
- ١٤٨ ..... (٣) موضوع سورة (الأحقاف)
- ١٤٩ ..... (٤) دُرُوسُ سُورَةِ (الأحقاف)
- ١٥٢ ..... (٥) التدبر التحليلي للدرس الأول مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأحقاف) الآيات من (١ - ٣)
- ١٥٢ ..... - القراءات
- ١٥٢ ..... - تمهيد
- ١٥٢ ..... - التدبر التحليلي
- ١٥٢ ..... ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ تَزِيلُ الْكَتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١)
- ١٥٢ ..... ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَعًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا
- ١٥٣ ..... مُعْرِضُونَ﴾ (٢)
- ١٥٤ ..... (٦) التدبر التحليلي للدرس الثاني مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأحقاف) الآية (٤)
- ١٥٥ ..... - تمهيد
- ١٥٥ ..... - التدبر التحليلي
- ١٥٥ ..... ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ
- ١٥٥ ..... أَتُنْفِئُونَ بِكُنُوبِكُمْ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَتُفَرِّقُونَ عَلَيْهِمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤)
- ١٥٧ ..... (٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (الأحقاف) الآيتان (٥) و(٦) ..
- ١٥٧ ..... - تمهيد

الموضوع

الصفحة

- ١٥٧ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفِتْمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُيِّرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾ ... ١٥٧
- (٨) التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (الأحقاف) الآيات من (٧ - ١٠) ..... ١٥٨
- ..... - تمهيد ..... ١٥٩
- ..... - التدبر التحليلي ..... ١٥٩
- ﴿وَإِذَا نُتِلَتْ عَلَيْهِمْ مَا آتَيْنَا بِبَنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾ ..... ١٥٩
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ فَبِئْسَ الْكُفَىٰ بِهِ شَرِيبًا يَبْتِغِي وَيَنْتَكِرُ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾﴾ ..... ١٦٠
- ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا يَكُمُ إِنْ أَنْعَيْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾﴾ ..... ١٦٣
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ ..... ١٦٦
- (٩) التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (الأحقاف) الآيات (١١) و(١٢) ..... ١٦٧
- ..... - القراءات ..... ١٦٧
- ..... - تمهيد ..... ١٦٧
- ..... - التدبر التحليلي ..... ١٦٨
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَافٍ قَدِيرٌ ﴿١١﴾﴾ ..... ١٦٨
- ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانَا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَنُشَرِّىَ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾﴾ ..... ١٦٩
- (١٠) التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (الأحقاف) الآيات: (١٣) و(١٤) ..... ١٧٢
- ..... - القراءات ..... ١٧٢
- ..... - تمهيد ..... ١٧٢

## الموضوع

## الصفحة

- ١٧٢ ..... - التدبر التحليلي
- ١٧٢ ..... • ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) ...
- ١٧٢ ..... • ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤) ...
- (١١) التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (الأحقاف) الآيات (١٥)
- ١٧٥ ..... و(١٦) .....
- ١٧٥ ..... - القراءات .....
- ١٧٦ ..... - تمهيد .....
- ١٧٦ ..... - التدبر التحليلي .....
- ١٧٧ ..... - نصوص وصية الله لهذا الإنسان بوالديه في القرآن .....
- ١٧٧ ..... • ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلَتُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥) .....
- ١٧٨ ..... • ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الْبِصْدَقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (١٦) .....
- ١٨٠ ..... (١٢) التدبر التحليلي للدرس الثامن من دروس سورة (الأحقاف) الآيات من (١٧ - ١٩) .....
- ١٨١ ..... - القراءات .....
- ١٨١ ..... - تمهيد .....
- ١٨٢ ..... - التدبر التحليلي .....
- ١٨٢ ..... • ﴿وَالَّذِي قَالَ لِبَوْلَدَيْهِ أَيْ لَكُمَا أَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبِكَ ءَامِنُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٧) .....
- ١٨٣ ..... • ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِتْمَمَ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (١٨) .....
- ١٨٤ ..... • ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ (١٩) .....
- ١٨٥ ..... (١٣) التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (الأحقاف) الآية (٢٠) ...
- ١٨٧ ..... (١٣) التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (الأحقاف) الآية (٢٠) ...

## الصفحة

## الموضوع

- تمهيد

١٨٧

- التدبر التحليلي

١٨٧

• ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طِينَكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ

عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٥﴾﴾

١٨٧

(١٤) التدبر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (الأحقاف) الآيات من

(٢١ - ٢٦)

١٨٩

- القراءات

١٨٩

- تمهيد

١٩٠

- التدبر التحليلي

١٩٠

• ﴿وَأَذْكُرْ أَنَا عَادِ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ

خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾

١٩٠

• ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكَ عَنْ ءَالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

١٩١

• ﴿قَالَ إِنَّمَا إِلَهُمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِنَاكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

١٩٢

• ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُضْطَرٌّ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ

رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ

كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾

١٩٣

• ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى

عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

وَحَقِّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٦﴾﴾

١٩٤

(١٥) التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من دروس سورة (الأحقاف) الآيتان

(٢٧) و (٢٨)

١٩٥

- تمهيد

١٩٥

- التدبر التحليلي

١٩٥

• ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٧﴾﴾

١٩٥

• ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ

وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٣٨﴾﴾

١٩٦

(١٦) التدبر التحليلي للدرس الثاني عشر من دروس سورة (الأحقاف) الآيات

من (٢٩ - ٣٢) ..... ١٩٨

- تمهيد ..... ١٩٨

- التدبر التحليلي ..... ١٩٨

• ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ

وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ..... ١٩٩

• ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى

الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ..... ٢٠١

• ﴿يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ..... ٢٠٢

• ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي

صَلَاحٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ..... ٢٠٣

(١٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث عشر من دروس سورة (الأحقاف) الآيتان

(٣٣) و(٣٤) ..... ٢٠٥

- القراءات ..... ٢٠٥

- تمهيد ..... ٢٠٦

- التدبر التحليلي ..... ٢٠٦

• ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ لَّيَ حِجَابٍ عَلَىٰ أَن

يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ..... ٢٠٦

• ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا

الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ..... ٢٠٧

(١٧) التدبر التحليلي للدرس الرابع عشر من دروس سورة (الأحقاف) الآية

(٣٥) آخر السورة ..... ٢٠٨

- تمهيد ..... ٢٠٨

- التدبر التحليلي ..... ٢٠٨

• ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَوْمَ مَا

يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغٌ فَبَلَ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ..... ٢٠٩

(١٩) ملحق: مُسْتَحَرَّجَاتُ بِلَاغِيَّةٍ مِّن سُوْرَةِ (الْأَحْقَاف) ..... ٢١٠

(٦٧)

## سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

٥١ مصحف ٦٧ نزول

- (١) نصّ السورة وما فيها مِنْ فَرْشِ القراءات ..... ٢١٥
- (٢) موضوع سورة (الذاريات) ..... ٢١٨
- (٣) دروس سورة (الذاريات) ..... ٢٢٠
- (٤) التدبّر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (الذاريات) الآيات من  
 (١ - ٦) ..... ٢٢٢
- القراءات ..... ٢٢٣
- تمهيد ..... ٢٢٣
- التدبّر التحليلي ..... ٢٢٣
- ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ (١) ..... ٢٢٣
- ﴿فَالْحَالِيَاتِ يُفْرَا﴾ (٢) ..... ٢٢٤
- ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرَا﴾ (٣) ..... ٢٢٤
- ﴿فَالْمُغْسِمَاتِ أَمْرًا﴾ (٤) ..... ٢٢٥
- ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ (٥) ﴿وَالَّذِينَ لَوْعَ﴾ (٦) ..... ٢٢٦
- (٥) التدبّر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (الذاريات) الآيات من  
 (٧ - ١٤) ..... ٢٢٦
- تمهيد ..... ٢٢٧
- التدبّر التحليلي ..... ٢٢٧
- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ﴾ (٧) ﴿إِنَّكُمْ لَعِىَ قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ (٨) ..... ٢٢٧
- ﴿يُوقَفُ عَنْهُ مِنَ أُنْفِكَ﴾ (٩) ..... ٢٢٩
- ﴿قِيلَ الْفَرْصُونَ﴾ (١٠) ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرَةٍ سَاهَوْنَ﴾ (١١) ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (١٢) ..... ٢٢٩
- ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ (١٣) ﴿ذُوقُوا وَفُتِنَ كُفْرُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (١٤) ..... ٢٣١
- (٦) التدبّر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الذاريات) الآيات من  
 (١٥ - ١٩) ..... ٢٣٢
- القراءات ..... ٢٣٢



- ٢٣٢ ..... - تمهيد
- ٢٣٢ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ يَخِذْنَ مَا مَالَتْهُمُ رُءُوسُهُمْ لَئِنْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا لَا سَحَابٍ مِّمَّ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ ﴿١٩﴾﴾
- ٢٣٢ ..... (٧) التدبر التحليلي للدُّرس الرابع من دُرُوس سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ) الْآيَاتِ مِنْ
- ٢٣٥ ..... (٢٠ - ٢٣)
- ٢٣٥ ..... - القراءات
- ٢٣٥ ..... - تمهيد
- ٢٣٥ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾
- ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قُورَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾
- ٢٣٦ ..... (٨) التدبر التحليلي للدُّرس الخامس من دُرُوس سُورَةِ (الذَّارِيَّاتِ) الْآيَاتِ مِنْ
- ٢٣٧ ..... (٢٤ - ٣٧)
- ٢٣٨ ..... - القراءات
- ٢٣٨ ..... - تمهيد
- ٢٣٨ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثٌ ضَلَّ فِيهِ الْمُرُوءِيُّ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّشْكِرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَأَىٰ لِكَ أَمْلِيهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾
- ٢٣٩ ..... • ﴿فَأَرْوَصَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَنِي عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾﴾
- ٢٤١ ..... • ﴿فَأَقْبَلَ بَعْثُهُ فِي صَرَرٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾
- ٢٤١ ..... • ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾
- ٢٤٢ ..... • ﴿قَالَ فَمَا خَبَلَكَ أَتَيْتُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِّيُرْسَلَ عَلَيْهِمْ حَجَازَةٌ مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾
- ٢٤٣ ..... • ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾
- ٢٤٣ ..... (٣٧)

## الموضوع

## الصفحة

(٩) التدبّر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (الذاريات) الآيات من

٢٤٥ ..... (٣٨ - ٤٠)

٢٤٥ ..... - تمهيد

٢٤٥ ..... - التدبّر التحليلي

• ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ  
مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُمْ فَبَدَّوْنَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ ..... ٢٤٥

(١٠) التدبّر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (الذاريات) الآيات من

٢٤٦ ..... (٤١) و(٤٢)

٢٤٦ ..... - القراءات

٢٤٧ ..... - تمهيد

٢٤٧ ..... - التدبّر التحليلي

• ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ  
كَالْمِمْسِ ﴿٤٢﴾﴾ ..... ٢٤٧

(١١) التدبّر التحليلي للدرس الثامن من دروس سورة (الذاريات) الآيات من

٢٤٧ ..... (٤٣ - ٤٥)

٢٤٨ ..... - القراءات

٢٤٨ ..... - تمهيد

٢٤٨ ..... - التدبّر التحليلي

• ﴿وَفِي نُوحٍ إِذْ قِيلَ لَهُمُ تَمَنَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ  
وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَسْتَطْعَمُوا مِنْ قِبَارٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ..... ٢٤٨

(١٢) التدبّر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (الذاريات) الآية (٤٦) ... ٢٤٩

٢٤٩ ..... - القراءات

٢٤٩ ..... - تمهيد

٢٤٩ ..... - التدبّر التحليلي

• ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ..... ٢٤٩

(١٣) التدبّر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (الذاريات) الآيات من

٢٥٠ ..... (٤٧ - ٤٩)

الصفحة	الموضوع
٢٥٠	- القراءات .....
٢٥٠	- تمهيد .....
٢٥١	- التدبر التحليلي .....
٢٥١	• ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٤٧) .....
٢٥٢	• ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾ (٤٨) .....
٢٥٣	• ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) .....
	(١٤) التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من دروس سورة (الذاريات) الآيتان
٢٥٤	(٥٠) و(٥١) .....
٢٥٤	- تمهيد .....
٢٥٤	- التدبر التحليلي .....
	• ﴿فَقُرْؤًا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم
٢٥٤	مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ .....
	(١٥) التدبر التحليلي للدرس الثاني عشر من دروس سورة (الذاريات) الآيات
٢٥٥	من (٥٢ - ٥٥) .....
٢٥٦	- تمهيد .....
٢٥٦	- التدبر التحليلي .....
	• ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾ (٥٢) أَتَوَصَّوْنَ بِهِ بَلْ
	هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَنُوحِ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَنْفَعُ
٢٥٦	الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ .....
	(١٦) التدبر التحليلي للدرس الثالث عشر من دروس سورة (الذاريات) الآيات
٢٥٨	من (٥٦ - ٦٠) آخر السورة .....
٢٥٩	- القراءات .....
٢٥٩	- تمهيد .....
٢٥٩	- التدبر التحليلي .....
	• ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
٢٥٩	يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ .....

الصفحة

الموضوع

- ﴿إِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾ (٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ..... ٢٦٣
- (١٧) ملحق: مستخرجات بلاغية من سورة (الذاريات) ..... ٢٦٥

(٦٨)

سورة الغاشية

٨٨ مصحف ٦٨ نزول

- (١) نصُّ السورة وما فيها من فرش القراءات ..... ٢٧١
- (٢) مِمَّا وَرَدَ بِشَأْنِ سورة (الغاشية) ..... ٢٧٢
- (٣) موضوع سورة (الغاشية) ..... ٢٧٢
- (٤) دُرُوس سورة (الغاشية) ..... ٢٧٣
- (٥) التدبُّر التحليلي للدرس الأول من دُرُوس سورة (الغاشية) الآيات من (١ - ١٦) .. ٢٧٤
- القراءات ..... ٢٧٤
- تمهيد ..... ٢٧٤
- التدبُّر التحليلي ..... ٢٧٥
- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) ..... ٢٧٥
- ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ﴾ (٢) عَالِمَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَابِثَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يَسْمُونَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ جُوعٌ ﴿٧﴾ ..... ٢٧٥
- ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (٨) لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَارٌ مَقْصُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَأِيُّ مَبْنُوءَةٌ ﴿١٦﴾ ..... ٢٧٧
- (٦) التدبُّر التحليلي للدرس الثاني من دُرُوس سورة (الغاشية) الآيات من (١٧ - ٢٠) ..... ٢٨٠
- تمهيد ..... ٢٨٠
- التدبُّر التحليلي ..... ٢٨٠
- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) ..... ٢٨٠
- ﴿وَلِإِيَّائِهَا تَلْمِزُوهَا كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨) ..... ٢٨٢

الصفحة

الموضوع

- ٢٨٢ ..... ﴿وَالِىَ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ ﴿١٩﴾
- ٢٨٣ ..... ﴿وَالِىَ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ ﴿٢٠﴾
- (٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث مِنْ دُرُوس سورة (الغاشية) الآيات من (٢١)
- ٢٨٥ ..... - (٢٦) آخر السورة
- ٢٨٦ ..... - القراءات
- ٢٨٦ ..... - تمهيد
- ٢٨٦ ..... - التدبر التحليلي
- ..... ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ
- ٢٨٦ ..... ﴿٢٣﴾ فَيَمْدِبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾
- ٢٨٨ ..... ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾
- ٢٨٨ ..... (٨) ملحق: مستخرجات بلاغية من سورة (الغاشية)

(٦٩)

سُورَةُ الْكَهْفِ

١٨ مصحف ٦٩ نُزُول

- ٢٩٣ ..... (١) نَصُّ السُّورَةِ وما فيها من فرش القراءات
- ٣١٠ ..... (٢) مِمَّا وَرَدَ بِشَأْنِ سورة الكهف
- ٣١١ ..... (٣) موضوع سُورَةِ (الكهف)
- ٣١٢ ..... (٤) دُرُوس سورة (الكهف)
- (٥) التدبر التحليلي للدرس الأول مِنْ دُرُوس سورة (الكهف) الآيات من
- ٣١٤ ..... (١ - ٨)
- ٣١٥ ..... - القراءات
- ٣١٥ ..... - تمهيد
- ٣١٦ ..... - التدبر التحليلي
- ٣١٦ ..... ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَمْ عِوَجًا﴾ ﴿١﴾ قِيَمًا ﴿٢﴾
- ..... ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ
- ٣١٧ ..... أَجْرًا حَسَنًا مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ ﴿٣﴾



- ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ ﴿١٦﴾ ..... ٣٣٤
- الفصل الثالث من قصة أصحاب الكهف الآيتان (١٧) و(١٨) ..... ٣٣٥
- القراءات ..... ٣٣٦
- تمهيد ..... ٣٣٧
- التدبر التحليلي ..... ٣٣٧
- ﴿وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ﴿١٧﴾ ..... ٣٣٧
- ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آفَاقًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتُ مِنْهُمْ رُجْبًا﴾ ﴿١٨﴾ ..... ٣٣٩
- الفصل الرابع من قصة أصحاب الكهف الآيات من (١٩ - ٢١) ..... ٣٤١
- القراءات ..... ٣٤١
- تمهيد ..... ٣٤١
- التدبر التحليلي ..... ٣٤٢
- ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ ﴿١٩﴾ ..... ٣٤٢
- ﴿وَكَذَلِكَ اعْتَزَلْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَدُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ ﴿٢٠﴾ ..... ٣٤٥
- الفصل الخامس من قصة أصحاب الكهف الآيات من (٢٢ - ٢٦) ..... ٣٤٧
- القراءات ..... ٣٤٧
- تمهيد ..... ٣٤٨
- التدبر التحليلي ..... ٣٤٨

الموضوع

الصفحة

- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامَتُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٧٣﴾﴾ ..... ٣٤٨
- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٧٤﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٧٥﴾﴾ ..... ٣٥٠
- ﴿وَلِئَلَّوْا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٧٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَمْ غِيبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْبَرُ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٧٦﴾﴾ ..... ٣٥٢
- (٧) التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (الكهف) الآيات من (٢٧ - ٣١) ..... ٣٥٤
- القراءات ..... ٣٥٤
- تمهيد ..... ٣٥٥
- التدبر التحليلي ..... ٣٥٥
- ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجْعَلَ مِنْ دُونِهِ مُمْتَحِنًا ﴿٧٧﴾﴾ ..... ٣٥٥
- ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ﴿٧٨﴾﴾ ..... ٣٥٦
- ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٧٩﴾﴾ ..... ٣٥٩
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٨٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٨١﴾﴾ ..... ٣٦١
- (٨) التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (الكهف) الآيات من (٣٢ - ٤٤) ..... ٣٦٤



## الموضوع

## الصفحة

- ٣٦٥ ..... - القراءات
- ٣٦٧ ..... - تمهيد
- ٣٦٨ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٦﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٧﴾﴾
- ٣٦٩ ..... - تقسيم قصّة هذين الرجلين إلى ثلاثة فصولٍ وخاتمة عقبيها
- ٣٧٠ ..... - الفصل الأول
- ٣٧٠ ..... - مقدمة
- ٣٧٢ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿وَكَاذِبٌ لِّمَن نَّمَرٌ فَقَالَ لِيَصْحَبِي وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن يُبَدَّ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ أَلْسَاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾
- ٣٧٢ ..... - الفصل الثاني
- ٣٧٥ ..... • ﴿قَالَ لِمَ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَنُكَفَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً وَهًا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُمُ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾
- ٣٧٥ ..... - الفصل الثالث
- ٣٨٢ ..... • ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَاصْبَحَ يَقُولُ كَيْفَهِ عَلَىٰ مَا أَتَّفَقَ فِيهَا وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُمُ فِتْنَةً يَصُورُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾﴾
- ٣٨٢ ..... - مقدمة
- ٣٨٢ ..... - التدبر التحليلي
- ٣٨٤ ..... - التعليق الختامي
- ٣٨٥ ..... • ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾
- ٣٨٥ ..... -

## الصفحة

## الموضوع

(٩) التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (الكهف) الآيات من

٣٨٦ ..... (٤٥ - ٥٠)

٣٨٦ ..... - القراءات

٣٨٧ ..... - تمهيد

• ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ

فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴿٤٥﴾ ..... ٣٨٧

• ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ ۗ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ..... ٣٩١

• ﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ نُصُرًا ۖ وَنَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا

عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَقَدْ حِشَّمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ

مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ ..... ٣٩٢

• ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ

لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۖ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۚ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ

أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ..... ٣٩٥

• ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ

أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۖ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ..... ٣٩٩

(١٠) التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (الكهف) الآيات من

٤٠٢ ..... (٥١ - ٥٣)

٤٠٢ ..... - القراءات

٤٠٢ ..... - تمهيد

٤٠٣ ..... - التدبر التحليلي

• ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ

عَصَدًا ﴿٥١﴾ ..... ٤٠٣

• ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَوْبِقًا

﴿٥٢﴾ وَرَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ..... ٤٠٤

(١١) التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (الكهف) الآيات من

٤٠٦ ..... (٥٤ - ٥٩)

٤٠٦ ..... - القراءات

- تمهيد

٤٠٧

- التدبر التحليلي

٤٠٨

- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ ٤٠٨ .
- ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ

- الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾ ٤٠٩
- ﴿وَمَا يُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَجَعَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْحَضُوا
- بِهِ الْحَقُّ ۚ وَاتَّخَذُوا آبَاءَهُنَّ بِدَلًا ۚ وَمَا أُنذِرُوا هُزُولًا ۝٥٦﴾ ٤٠٩

- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَلَمَّا جَاءَهُ مَوْعِدُ يَوْمِهِمْ أَتَوْهُم بِظُلُمٍ لَّيْلَةٍ ۚ وَكَانُوا صُرُوفًا ۝٥٧﴾ ٤١١
- ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ ۚ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ۝٥٨﴾ ٤١١

- ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝٥٩﴾ ٤١٣
- (١٢) التدبر التحليلي للتدبر الثامن مِنْ دُرُوسِ سورة (الكهف) الآيات من

(٦٠ - ٨٢)

٤١٤

- القراءات

٤١٥

- تمهيد

٤١٨

- مَا جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِشَأْنِ قِصَّةِ مُوسَىٰ وَالْخَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

٤١٨

- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلِهِ إِئِنَّا عِندَآءُ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۝٦٢ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أُرِيتَآ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣﴾ ٤١٨

- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝٦٤﴾ ٤٢١
- ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَتْلَمِينَ وَمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا ۝٦٥﴾ ٤٢١
- ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٦﴾ ٤٢١
- ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَتَّبِعْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٦٧﴾ ٤٢٨

الموضوع

الصفحة

- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسَىٰ أُنَاقِلَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنَ لُدُنِي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتِخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾
- ٤٣٠ ..... ﴿٧٨﴾ ﴿٧٨﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٩﴾ ..... ٤٣٠
- ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أُعْيِيَهَا وَكَانَ رَأَاهُم مَلَكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرْدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رِجْهًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ..... ٤٣٧
- (١٣) التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (الكهف) الآيات من
- ٤٤٤ ..... (٨٣ - ٩٩)
- ٤٤٤ ..... - القراءات
- ٤٤٧ ..... - تمهيد
- ٤٤٨ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿وَسْتَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ..... ٤٤٨
- ﴿إِنَّمَا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَمَا آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ..... ٤٤٩
- ﴿فَاتَّبَعَ سَبِيلًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَقَرَّ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَقَرُّبُ فِي عِيبٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْنَؤُا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ لِّحُسْنِهِ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ..... ٤٥٠
- ﴿ثُمَّ أَتَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ..... ٤٥٤

• ﴿ثُمَّ أَنبَأَ سَبِيًّا ﴿٩٢﴾ حَقًّا إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَنْذِرُ الْفَرِيقَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَقًّا إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَقًّا إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَرَكَعًا بَعْضُهُمْ يَوْمِيزُ بَعْضٌ فِي بَعْضٍ... ﴿٩٩﴾ ٤٥٥

(١٤) التدبر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (الكهف) الآيات من

٤٦١ ..... (٩٩ - ١٠٢)

٤٦١ ..... - القراءات

٤٦١ ..... - تمهيد

٤٦١ ..... - التدبر التحليلي

• ﴿... وَفُتِحَ فِي الصُّورِ لِمَعْنَتِهِمْ جَمًّا ﴿٩٩﴾ ٤٦١

• ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَيزُ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا ﴿١٠٠﴾ ٤٦٢

• ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ٤٦٣

• ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ آلِهَاتٍ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ ٤٦٣

(١٥) التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من دروس سورة (الكهف) الآيات

٤٦٥ ..... من (١٠٣ - ١١٠) آخر السورة

٤٦٥ ..... - القراءات

٤٦٦ ..... - تمهيد

٤٦٦ ..... - التدبر التحليلي

• ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُطِئَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ ٤٦٦

لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ رِزْقًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَآخَذُوا ءَابِيكُمْ وَرُسُلِي ٤٦٦

مُزْرًا ﴿١٠٦﴾ ٤٦٦

• ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا ٤٧١

يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ٤٧١

الموضوع

الصفحة

- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ ..... ٤٧٢
- ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١٠﴾﴾ ..... ٤٧٣
- (١٦) ملحق: مُسْتَخْرَجَاتٌ بِلَاغِيَّةٍ مِنْ سُورَةِ (الْكَهْف) ..... ٤٧٥

(٧٠)

سُورَةُ النحل

١٦ مصحف ٧٠ نزول

- (١) نَصُّ السُّورَةِ وَمَا فِيهَا مِنْ فُرُشِ الْقِرَاءَاتِ ..... ٤٨٣
- (٢) مَوْضُوعُ سُورَةِ (النحل) ..... ٤٩٩
- (٣) دُرُوسُ سُورَةِ (النحل) ..... ٥٠٠
- (٤) التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لِلدَّرْسِ الْأَوَّلِ مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (النحل) الْآيَتَانِ (١) وَ(٢) .. ٥٠٥
- الْقِرَاءَاتُ ..... ٥٠٥
- تَمْهِيدٌ ..... ٥٠٦
- التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ ..... ٥٠٦
- ﴿أَفَأَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْجُدَ لَوْهٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾﴾ ..... ٥٠٦
- ﴿يُرْزَلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ ..... ٥٠٨
- (٥) التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ لِلدَّرْسِ الثَّانِي مِنْ دُرُوسِ سُورَةِ (النحل) الْآيَاتِ مِنْ (٣) - (٢٣) ..... ٥١٠
- الْقِرَاءَاتُ ..... ٥١١
- تَمْهِيدٌ ..... ٥١٢
- التَّدْبِيرُ التَّحْلِيلِيُّ ..... ٥١٣
- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾ ..... ٥١٣
- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾﴾ ..... ٥١٥

- ﴿وَالْأَنْفَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تَخْرُجُونَ ﴿٦﴾ وَتَجِدُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمَّ تَكُونُوا بِلَيْعِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ ..... ٥١٦
- ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ ..... ٥٢٥
- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُثْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ ..... ٥٢٧
- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ ..... ٥٢٩
- ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ ..... ٥٣١
- ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ ..... ٥٣٢
- ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ ..... ٥٣٤
- ﴿وَعَلَّمَنَّا وَإِلْتَجِمَ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ ..... ٥٣٥
- ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ ..... ٥٣٥
- ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ ..... ٥٣٦
- ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ ..... ٥٣٧
- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِلهًا وَحِيدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنْكَرَةٌ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ ..... ٥٣٨
- (٦) التدبر التحليلي للدروس الثالث من دروس سورة (النحل) الآيات من ٥٣٩ - (٢٤ - ٢٩)
- ٥٣٩ ..... ٥٣٩
- ٥٣٩ ..... - القراءات

الموضوع

الصفحة

- ٥٤٠ ..... - تمهيد
- ٥٤٠ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رُبُّكُمْ قَالُوا اسْطِطِرُّ الْآوَلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ..... ٥٤٠
- ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بَنَسْنَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوَقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْرِجُهُمْ وَيَقُولُ بَيْنَ تُكَايَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْأَسْوَأَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ..... ٥٤٢
- ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مِنْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ..... ٥٤٤
- (٧) التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (النحل) الآيات من (٣٠ - ٣٢) . ٥٤٥
- ٥٤٥ ..... - القراءات
- ٥٤٦ ..... - تمهيد
- ٥٤٦ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِذَلِكَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ ..... ٥٤٦
- (٨) التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (النحل) الآيات (٣٣) و(٣٤) ..... ٥٤٩
- ٥٤٩ ..... - القراءات
- ٥٥٠ ..... - تمهيد
- ٥٥٠ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ..... ٥٥٠
- ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَخَافَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾﴾ ..... ٥٥١



- (٩) التدبر التحليلي للدرس السادس من دروس سورة (النحل) الآية (٣٥) ..... ٥٥١
- تمهيد ..... ٥٥١
- التدبر التحليلي ..... ٥٥٢
- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ ..... ٥٥٢
- (١٠) التدبر التحليلي للدرس السابع من دروس سورة (النحل) الآية (٣٦) ..... ٥٥٤
- القراءات ..... ٥٥٥
- التدبر التحليلي ..... ٥٥٥
- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ ..... ٥٥٧
- (١١) التدبر التحليلي للدرس الثامن من دروس سورة (النحل) الآية من (٣٧) ... ٥٥٧
- القراءات ..... ٥٥٧
- تمهيد ..... ٥٥٧
- التدبر التحليلي ..... ٥٥٨
- ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ ..... ٥٥٨
- (١٢) التدبر التحليلي للدرس التاسع من دروس سورة (النحل) الآيات من (٣٨ - ٤٠) ..... ٥٥٩
- القراءات ..... ٥٦٠
- تمهيد ..... ٥٦٠
- التدبر التحليلي ..... ٥٦٠
- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ ..... ٥٦٠
- ﴿لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ ..... ٥٦١
- ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ ..... ٥٦٢

الموضوع

الصفحة

(١٣) التدبر التحليلي للدرس العاشر من دروس سورة (النحل) الآيتان من

٥٦٢ ..... (٤١) و(٤٢)

٥٦٣ ..... - القراءات

٥٦٣ ..... - تمهيد

٥٦٣ ..... - التدبر التحليلي

• ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنُؤْتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآخِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ..... ٥٦٣

(١٤) التدبر التحليلي للدرس الحادي عشر من دروس سورة (النحل) الآيتان

٥٦٥ ..... (٤٣) و(٤٤)

٥٦٦ ..... - القراءات

٥٦٦ ..... - تمهيد

٥٦٧ ..... - التدبر التحليلي

• ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَتْلُوا آهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٤٣) ..... ٥٦٧

• ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٤) ..... ٥٦٨

(١٥) التدبر التحليلي للدرس الثاني عشر من دروس سورة (النحل) الآيات من

٥٦٩ ..... (٤٥ - ٤٧)

٥٦٩ ..... - القراءات

٥٦٩ ..... - تمهيد

٥٧٠ ..... - التدبر التحليلي

• ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) ..... ٥٧٠

• ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُيبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ..... ٥٧٢

(١٦) التدبر التحليلي للدرس الثالث عشر من دروس سورة (النحل) الآيات من

٥٧٣ ..... (٤٨ - ٥٠)

- ٥٧٣ ..... - القراءات
- ٥٧٤ ..... - تمهيد
- ٥٧٤ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوْا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ (٤٨) ..... ٥٧٤
- ﴿وَلِلَّهِ سَجْدٌ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤٩) بِحَافُونَ رَبِّهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ..... ٥٧٥
- (١٧) التدبر التحليلي للدرس الرابع عشر من دروس سورة (النحل) الآيات من (٥١ - ٥٥) ..... ٥٧٧
- ٥٧٧ ..... - القراءات
- ٥٧٧ ..... - تمهيد
- ٥٧٧ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ﴾ (٥١) ..... ٥٧٨
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَقُونَ﴾ (٥١) ..... ٥٧٨
- ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ (٥٢) ..... ٥٧٩
- ﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٥٣) لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ..... ٥٨٠
- (١٨) التدبر التحليلي للدرس الخامس عشر من دروس سورة (النحل) الآيات من (٥٦ - ٦٢) ..... ٥٨١
- ٥٨١ ..... - القراءات
- ٥٨٢ ..... - تمهيد
- ٥٨٢ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَتَّىٰ عَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ (٥٦) ..... ٥٨٢
- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ..... ٥٨٣
- ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦٠) ..... ٥٨٦

الموضوع

الصفحة

- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ ..... ٥٨٧
- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْمُسْقَىٰ لَا جَرَماً أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿٦٧﴾﴾ ..... ٥٨٨
- (١٩) التدبر التحليلي للدرس السادس عشر من دروس سورة (النحل) الآيتان (٦٣) و(٦٤) ..... ٥٩٠
- القراءات ..... ٥٩٠
- تمهيد ..... ٥٩٠
- التدبر التحليلي ..... ٥٩١
- ﴿ثُمَّ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ ..... ٥٩١
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُفِيتُ بِهِ النَّفْسَ الدَّيْمِيَّةَ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿٦٩﴾﴾ ..... ٥٩٢
- (٢٠) التدبر التحليلي للدرس السابع عشر من دروس سورة (النحل) الآيات من (٦٥ - ٧٢) ..... ٥٩٣
- القراءات ..... ٥٩٤
- تمهيد ..... ٥٩٥
- التدبر التحليلي ..... ٥٩٥
- ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٧٥﴾﴾ ..... ٥٩٥
- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِهَا فِئْتَكُمْ فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمْ وَدَمِ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٧٦﴾﴾ ..... ٥٩٦
- ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَلَّخِدُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ ..... ٥٩٦
- ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّخْلِ أَنْ أُخْرِجْ مِنْهَا لَبَنًا مِثْلَ لَبَنٍ عَذْبٍ ۚ وَتَلَّخِدُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ ..... ٥٩٨
- ﴿وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۚ وَإِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ ..... ٥٩٨

الموضوع

الصفحة

- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ إِلَٰكَ أَرْذَلِ الْعُمَرِ لَكِنَّ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ
- ٦٠٢ ..... اللَّهُ عَلَيْهِ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾
- ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِي فُضِّلُوا بِرَأْيِ رَبِّهِمْ عَلَىٰ مَا
- ٦٠٣ ..... مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْوَابِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ
- ٦٠٥ ..... مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبَنِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾
- (٢١) التدبر التحليلي للدرس الثامن عشر من دروس سورة (النحل) الآيات من
- ٦٠٦ ..... (٧٣ - ٧٦)
- ٦٠٧ ..... - القراءات
- ٦٠٧ ..... - تمهيد
- ٦٠٧ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا
- ٦٠٧ ..... يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾
- ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾
- ٦٠٨ ..... ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا
- حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
- ٦٠٩ ..... يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا زَوْجَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
- ٦١٠ ..... مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ
- صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾
- (٢٢) التدبر التحليلي للدرس التاسع عشر من دروس سورة (النحل) الآيتان
- ٦١١ ..... (٧٧) و(٧٨)
- ٦١١ ..... - القراءات
- ٦١٢ ..... - تمهيد
- ٦١٢ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْخِ الْبَصِيرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ
- ٦١٢ ..... إِلَيْكَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

الموضوع

الصفحة

- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
- وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ..... ٦١٤
- (٢٣) التدبر التحليلي للدرس العشرين من دروس سورة (النحل) الآيات من
- (٧٩ - ٨٣) ..... ٦١٥
- القراءات ..... ٦١٦
- تمهيد ..... ٦١٦
- التدبر التحليلي ..... ٦١٦
- ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُنْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ
- لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ..... ٦١٧
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ
- ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَادِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ ..... ٦١٨
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ
- لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ
- عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ..... ٦١٩
- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا
- وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ ..... ٦٢٠
- (٢٤) التدبر التحليلي للدرس الحادي والعشرين من دروس سورة (النحل)
- الآيات من (٨٤ - ٨٩) ..... ٦٢٢
- القراءات ..... ٦٢٢
- تمهيد ..... ٦٢٣
- التدبر التحليلي ..... ٦٢٣
- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ
- يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ..... ٦٢٣
- ﴿وَإِنَّا رَمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ..... ٦٢٤
- ﴿وَإِنَّا رَمَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن
- دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّهَ
- وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٨٧﴾ ..... ٦٢٥

## الموضوع

## الصفحة

- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ ..... ٦٢٧
- ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بُيُوتًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهْدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ..... ٦٢٨
- (٢٥) التدبر التحليلي للدروس الثاني والعشرين من دروس سورة (النحل)
- الآيات من (٩٠ - ٩٧) ..... ٦٢٩
- القراءات ..... ٦٣٠
- تمهيد ..... ٦٣٠
- التدبر التحليلي ..... ٦٣١
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ..... ٦٣١
- ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ ..... ٦٣١
- ﴿وَلَا تَنْكُحُوا كَالْنِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُنَا نَتَّخِذُونَ آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِذِهِ وَلِيَبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ..... ٦٣٣
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ..... ٦٣٧
- ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ..... ٦٣٧
- ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَزَلَ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ..... ٦٣٨
- ﴿وَلَتَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ..... ٦٤٢
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْفَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ..... ٦٤٢
- (٢٦) التدبر التحليلي للدروس الثالث والعشرين من دروس سورة (النحل)
- الآيات من (٩٨ - ١٠٥) ..... ٦٤٣
- القراءات ..... ٦٤٣

الصفحة

الموضوع

- ٦٤٤ ..... - تمهيد
- ٦٤٤ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّكَ لَمُسْطَنٌّ عَلَى الذِّبِّ ءَامِنٌ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُكَ عَلَى الذِّبِّ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾
- ٦٤٥ ..... ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفَوِّعٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الذِّبِّ ءَامِنٌ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾
- ٦٤٦ ..... ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمٌ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾
- ٦٤٩ ..... ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٥﴾﴾
- ٦٥٠ ..... (٢٧) التدبر التحليلي للدرس الرابع والعشرين من دروس سورة (النحل)
- ٦٥١ ..... الآيات من (١٠٦ - ١١١)
- ٦٥١ ..... - القراءات
- ٦٥١ ..... - تمهيد
- ٦٥٢ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾
- ٦٥٢ ..... ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَزَاءَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾
- ٦٥٥ ..... ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾
- ٦٥٧ ..... - تعرّض أصحاب الرسول لأنواع من التعذيب في مكة
- ٦٥٧ ..... - توجيه الرسول من كان يُعَذَّب من أصحابه للهجرة إلى الحبشة



## الموضوع

## الصفحة

- ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ..... ٦٥٨
- (٢٨) التدبر التحليلي للدرس الخامس والعشرين من دروس سورة (النحل)
- الآيتان (١٢) و(١٣) ..... ٦٦٠
- تمهيد ..... ٦٦٠
- التدبر التحليلي ..... ٦٦٠
- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِسَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ..... ٦٦٠
- ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ..... ٦٦٢
- (٢٩) التدبر التحليلي للدرس السادس والعشرين من دروس سورة (النحل)
- الآيات من (١١٤ - ١١٩) ..... ٦٦٣
- القراءات ..... ٦٦٤
- تمهيد ..... ٦٦٤
- التدبر التحليلي ..... ٦٦٤
- ﴿فَكُلُوا مِنْمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ..... ٦٦٤
- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أُوْهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بِلَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَاكُ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ..... ٦٦٥
- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ ..... ٦٦٧
- أَلِيمٌ ..... ٦٦٧
- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا مَا فَضَّلْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ..... ٦٦٩
- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّنَا عَلَّمَا السُّورَةَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّنَا مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ..... ٦٧٠
- (٣٠) التدبر التحليلي للدرس السابع والعشرين من دروس سورة (النحل)
- الآيات من (١٢٠ - ١٢٤) ..... ٦٧٠

الصفحة

الموضوع

- ٦٧١ ..... - القراءات
- ٦٧١ ..... - تمهيد
- ٦٧١ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾
- ٦٧٤ ..... • ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾
- ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾
- ٦٧٥ ..... (٣١) التدبر التحليلي للدرس الثامن والعشرين من دروس سورة (النحل)
- ٦٧٦ ..... الآيات من (١٢٥ - ١٢٨) آخر السورة
- ٦٧٦ ..... - القراءات
- ٦٧٦ ..... - تمهيد
- ٦٧٦ ..... - التدبر التحليلي
- ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾
- ٦٧٧ ..... • ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾
- ٦٧٩ ..... • ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صَبْرِ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾
- ٦٨٠ ..... • ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾
- ٦٨١ ..... (٣٢) ملحق: مستخرجات بلاغية من سورة (النحل)

(٧١)

سورة نوح

٧١ مصحف ٧١ نزول

- ٦٩٣ ..... (١) نَصُّ السُّورَةِ وما فيها من فرش القراءات
- ٦٩٥ ..... (٢) موضوع سُورَةِ (نوح)
- ٦٩٥ ..... (٣) دروس سورة (نوح)

## الموضوع

## الصفحة

- (٤) التدبر التحليلي للدرس الأول من دروس سورة (نوح) الآية (١) ..... ٦٩٦
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ..... ٦٩٦
- (٥) التدبر التحليلي للدرس الثاني من دروس سورة (نوح) الآيات من (٢ - ٤) ..... ٦٩٨
- القراءات ..... ٦٩٨
- تمهيد ..... ٦٩٨
- التدبر التحليلي ..... ٦٩٨
- ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ..... ٦٩٨
- ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ ..... ٦٩٨
- ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ..... ٦٩٩
- (٦) التدبر التحليلي للدرس الثالث من دروس سورة (نوح) الآيات من (٥ - ٢٤) ... ٧٠١
- القراءات ..... ٧٠٢
- تمهيد ..... ٧٠٢
- التدبر التحليلي ..... ٧٠٣
- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ ..... ٧٠٣
- ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ..... ٧٠٣
- ﴿وَأَنِّي كُنَّا دَعْوَتُهُمْ لِنُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أصْوَعَهُمْ فِي مَا ذُنُوبُهُمْ وَأَسْتَغْفِرُوا نَجَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكَبَرُوا﴾ ..... ٧٠٣
- ﴿أَسْتَجِبَارًا﴾ ..... ٧٠٣
- ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعْوَتُهُمْ جِهَارًا﴾ ..... ٧٠٣
- ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ..... ٧٠٣
- ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ..... ٧٠٣
- ﴿يُرْسِلِ السَّيَّءَ عَلَىٰكُمْ يَذَرُكُمْ﴾ ..... ٧٠٣
- ﴿وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ غَيْرِهَا وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ ..... ٧٠٥
- مَا يُسْتَفَادُ مِنْ دَعْوَةِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ ..... ٧٠٧
- ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ..... ٧١٢
- ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ..... ٧١٢
- ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ..... ٧١٢
- ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ..... ٧١٢
- ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ..... ٧١٢
- ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ ..... ٧١٢
- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ ..... ٧١٢
- ﴿لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ..... ٧١٤
- ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَا لَا يَزِدُّهُمْ مَالَهُمْ وَلَوْلَدٌ إِلَّا خَسَارًا﴾ ..... ٧١٤
- ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾ ..... ٧١٤
- ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ ..... ٧٢٢
- ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَبِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ ..... ٧٢٢

الصفحة

الموضوع

- ٧٢٦ ..... (٧) التدبر التحليلي للدرس الرابع من دروس سورة (نوح) الآية من (٢٥) ..... ٧٢٦
- ٧٢٦ ..... - القراءات ..... ٧٢٦
- ٧٢٧ ..... - تمهيد ..... ٧٢٧
- ٧٢٧ ..... - التدبر التحليلي ..... ٧٢٧
- ٧٢٧ ..... • ﴿يَمَّا خَطِبْتَهُمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (٢٥) ..... ٧٢٧
- ٧٢٧ ..... (٨) التدبر التحليلي للدرس الخامس من دروس سورة (نوح) الآيات من ٢٦ - ٧٢٨
- ٧٢٨ ..... (٢٨) آخر السورة ..... ٧٢٨
- ٧٢٨ ..... - القراءات ..... ٧٢٨
- ٧٢٨ ..... - تمهيد ..... ٧٢٨
- ٧٢٩ ..... - التدبر التحليلي ..... ٧٢٩
- ٧٢٩ ..... • ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (٢٨) ..... ٧٣٠
- ٧٣٢ ..... (٩) ملحق: مُسْتَخْرِجَتِ بَلَاغِيَّةٍ مِنَ السُّورَةِ ..... ٧٣٢
- ٧٣٥ ..... - خاتمة المجلد الثالث عشر من كتاب: «مَعَارِجُ التَّفَكُّرِ وَدَقَائِقُ التَّدْبِيرِ» ..... ٧٣٥
- ٧٣٧ ..... - الفهرس ..... ٧٣٧